الجزء الثاني ومن اول الربع الثاني
من تفسير القرآن العظيم تاليف سيدنا ومولانا الامام
العالم العلامة الحبر البحر الفهامة المفسر المحدث
علي بن محمد بن ابراهيم بن خليل الشيحي البغدادي
الصوفي علاء الدين خازن الكتب بالشميساطية رحمة الله
عليه وعلى مشايخه ومحبيه ووالديه وتلامذته
ونفعنا الله ببركاته وبركات علومه
وانفاسه الطاهرة في الدين والدنيا
والاخرة امين امين امين
وصلى الله على سيدنا محمد
وعلى اله وصحبه وسلم تسليما
كثيرا دايما ابدا الى يوم الدين
امين امين امين
والحمد لله
رب
العا
لمين

الم يرضك الرحمن في سورة الضحى
فحاشاك ان ترضى وفينا معذب
من كتب العبد الراجي شفاعة
سيد الكونين الحاج بشير ناظر
الحرمين الشريفين
سنة ١١٤٣

الملك لله دخل في حفظ عبده
الحاج بشير اغاء دار السعادة
الشريفة سنة ثلاث واربعين
ومائة والف

هذا الكتاب المستطاب من وقف حضرة مولانا صاحب الخيرات والحسنات صاحب ذيل الجود والاحسان
منور مصابيح المقاصد بانوار العناية مفتح مغالق المراصد بمفاتح الكفاية جامع محاسن العلم والعمل والحكم
حائز مجامع البر الاكمل الا وهو اغا دار السعادة الحاج بشير وفقه الله للخير المزيد والبر الكثير
من هو على كل شيء قدير حرره الفقير الى الله سبحانه وتعالى محمد امين المفتش
اوقاف الحرمين المحترمين عفي عنه
حالا

Süleymaniye Kütüphanesi
Beşir Ağa
30

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد واله وصحبه وسلم
تفسير سورة الاعراف مكية روى ذلك عن ابن عباس وبه قال الحسن ومجاهد وعكرمة وعطا
وجابر بن زيد وقتادة وروى عن ابن عباس ايضا انها مكية الا خمس ايات اولها واسيلهم عن
القرية وبه قال قتادة وقال مقاتل ثمان ايات في سورة الاعراف مدنية اولها واسيلهم عن القرية
الى قوله واذ اخذ ربك وهي مايتان وست ايات وثلاثة الاف وثلاثمائة وخمس وعشرون كلمة واربعة عشر
الف حرف وعشرة احرف بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل المص قال ابن عباس معناه انا الله
افصل وعنه انا الله اعلم وافصل وعنه ان المص قسم اقسم الله به وهو اسم من اسما الله تعالى
وقال قتادة المص اسم من اسما القران وقال الحسن هو اسم للسورة وقال السدي هو بعض اسمه تعالى
المصور وقال ابو العالية الالف مفتاح اسمه الله واللام مفتاح اسمه لطيف والميم مفتاح
اسمه مجيد والصاد مفتاح اسمه صادق وصبور وقيل هي حروف مقطعة استاثر الله بعلمها
وهي سره في كتابه العزيز وقيل هي حروف اسمه الاعظم وقيل هي حروف تحوي معاني دل الله بها
خلقه على مراده وقد تقدم بسط الكلام في معاني الحروف المقطعة في اوايل السور في اول سورة
البقرة وقوله كتاب انزل اليك يعني هذا كتاب انزله الله اليك يا محمد وهو القران فلا يكن في صدرك
حرج منه يعني فلا يضيق صدرك بالابلاغ وتادية ما ارسلت به الى الناس لتنذر به يعني انزلنا اليك
الكتاب يا محمد لتنذر به من امرتك بانذاره وذكرى للمومنين يعني ولتذكر وتيقظ به المومنين وهذا من
المؤخر الذي معناه التقديم تقديره كتاب انزلناه اليك لتنذر به وذكرى للمومنين فلا يكن في صدرك حرج منه
قال ابن عباس فلا تكن في شك منه لان الشك لا يكون الا من ضيق الصدر وقلة الاتساع لتوجيه ما حصل له
قوله اتبعوا ما انزل اليكم من ربكم اي قل يا محمد لقومك اتبعوا ايها الناس ما انزل اليكم من ربكم من القران
الذي فيه الهدى والنور والبيان قال الحسن يا ابن ادم امرت باتباع كتاب الله وسنة محمد صلى الله عليه وسلم
والله ما نزلت اية الا ويحب ان تعلم فيما انزلت وما معناها وبنحو هذا قال الزجاج اي اتبعوا القران وما
اتى به النبي صلى الله عليه وسلم فانه مما انزل القوله وما اتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا
ومعنى الاية ان الله تعالى لما امر رسوله صلى الله عليه وسلم بالانذار في قوله لتنذر به فكان معنى الكلام انذر
القوم وقل لهم اتبعوا ما انزل اليكم من ربكم واتركوا ما انتم عليه من الكفر والشرك وقيل معناه لتنذر به وتذكر
به المومنين فتقول لهم اتبعوا ما انزل اليكم من ربكم وقيل هو خطاب للكفار اي اتبعوا ايها المشركون ما انزل
اليكم من ربكم ويدل عليه قوله تعالى ولا تتبعوا من دونه اوليا ولا تتخذوا الذين يدعونكم الى الكفر والشرك
اوليا فتتبعوهم يعني والمعنى ولا تتولوا من دونه شياطين الانس والجن فيامرونكم بعبادة الاصنام واتباع
البدع والاهوا الفاسدة قليلا ما تذكرون يعني ما تتعظون الا قليلا قوله عز وجل وكم من قرية اهلكناها
لما امر الله رسوله صلى الله عليه وسلم بالانذار والابلاغ وامر امته باتباع ما انزل اليهم حذرهم نقمته وباسه
ان لم يتبعوا ما امر به فذكر في هذه الاية ما في ترك المتابعة والاعراض عن امره من الوعيد فقال تعالى وكم من

من قرية اهلكناها قيل فيه حذف تقديره وكم من اهل قرية لان المقصود بالهلاك اهل القرية
لا القرية وقيل ليس فيه حذف لان اهلاك القرية اهلاك لاهلها فجاها باسنا يعني عذابنا
فان قلت مجي الباس وهو العذاب انما يكون قبل الاهلاك فكيف قال اهلكناها فجاها باسنا قلت
معناه وكم من قرية حكمنا باهلاكها فجاها باسنا وقال الفرا ان الهلاك والباس قد يقعان معا
كما يقال اعطيتني فاحسنت الي فلم يكن الاحسان قبل الاعطا ولا بعده وانما وقعا معا وقال
غيره لا فرق بين قولك اعطيتني فاحسنت الي او احسنت الي فاعطيتني فيكون احدهما بدلا من
الاخر بياتا يعني فجاها عذابنا ليلا قبل ان يصبحوا او هم قايلون من القيلولة وهي نوم نصف
النهار او استراحة نصف النهار وان لم يكن معها نوم والمعنى فجاها باسنا غفلة وهم غير متوقعين
له ليلا وهم نايمون او نهارا وهم قايلون وقت الظهيرة وكل ذلك وقت الغفلة ومقصود الاية انه
جاهم العذاب على حين غفلة منهم من غير تقدم امارة لهم على وقت نزول العذاب وفيه وعيد وتخويف
للكفار كانه قيل لهم لا تغتروا باسباب الامن والراحة فان عذاب الله اذا نزل نزل دفعة واحدة فما كان
دعواهم يعني فما كان دعا اهل القرية التي جاهم باسنا والدعوى تكون بمعنى الادعا وبمعنى الدعا
قال سيبويه تقول العرب اللهم اشركنا في صالح دعوى المومنين ومنه قوله دعواهم فيها سبحانك اللهم
اذ جاهم باسنا يعني عذابنا الا ان قالوا انا كنا ظالمين يعني انهم لم يقدروا على رد العذاب عنهم
وكان حاصل امرهم الاعتراف بالجناية وذلك حين لا ينفع الاعتراف فلنسالن الذين ارسل اليهم
يعني لنسالن الامم الذين ارسلت اليهم الرسل ماذا عملتم فيما جاتكم به الرسل ولنسالن المرسلين
يعني ولنسالن الرسل الذين ارسلناهم الى الامم هل بلغتم رسالاتي وادتيم الى الامم ما امرتم بتاديته اليهم
ام قصرتم في ذلك قال ابن عباس في معنى هذه الاية يسال الله الناس عما اجابوا المرسلين ويسال
المرسلين عما بلغوا وعنه انه قال يوضع الكتاب يوم القيامة فيتكلم بما كانوا يعملون وقال السدي
يسال الامم ما عملوا فيما جات به الرسل ويسال الرسل هل بلغوا ما ارسلوا به فان قلت قد اخبر عنهم
في الاية الاولى بانهم اعترفوا على انفسهم بالظلم في قوله انا كنا ظالمين فما فايدة هذا السوال مع
اعترافهم على انفسهم بذلك قلت لما اعترفوا بانهم كانوا ظالمين مقصرين سيلوا بعد ذلك عن
سبب هذا الظلم والتقصير والمقصود من هذا التقريع والتوبيخ للكفار فان قلت فما الفايدة
في سوال الرسل مع العلم بانهم قد بلغوا رسالات ربهم الى من ارسلوا اليهم من الامم قلت اذا كان
يوم القيامة انكر الكفار تبليغ الرسل فقالوا ما جانا من بشير ولا نذير فكان مسالة الرسل على وجه
الاستشهاد لهم على من ارسلوا اليه من الامم انهم قد بلغوا رسالات ربهم الى من ارسلوا اليهم من الامم
فتكون هذه المسالة كالتقريع والتوبيخ للكفار ايضا لانهم انكروا تبليغ الرسل فيزداد بذلك خزيهم
وهوانهم وعذابهم وقوله تعالى فلنقصن عليهم بعلم يعني فلنخبرن الرسل ومن ارسلوا اليهم
بعلم بيقين بما عملوا في الدنيا وما كنا غايبين يعني عنهم وعن افعالهم وعن الرسل فيما بلغوا وعن الامم

فيما اجابوا فان قلت كيف الجمع بين قوله فلنسألن الذين ارسل اليهم ولنسألن المرسلين وبين قوله فلنقصن
عليهم بعلم وما كنا غايبين فاذا كان عالما فما فايدة هذا السوال قلت فايدة سوال الامم والرسل
مع علمه سبحانه وتعالى بجميع المعلومات التوبيخ والتقريع للكفار لانهم اذا اقروا على انفسهم كان
ابلغ في المقصود فاما سوال استرشاد واستثبات فهو ممتنع على الله عز وجل لانه عالم بجميع الاشيا
قبل كونها وفي حال كونها وبعد كونها فهو العالم بالكليات والجزييات وعلمه بظاهر الاشيا كعلمه بباطنها
قوله تعالى **والوزن يومئذ الحق** يعني والوزن يوم سوال الامم والرسل وهو يوم القيامة العدل وقال
مجاهد المراد بالوزن هنا القضا ومعنى الحق العدل وذهب جمهور المفسرين الى ان المراد بالوزن وزن
الاعمال بالميزان وذلك بان الله عز وجل ينصب ميزانا له لسان وكفتان كل كفة قدر ما بين المشرق
والمغرب قال ابن الجوزي جا في الحديث ان داود عليه السلام سال ربه ان يريه الميزان فاراه اياه فقال
الهي من يقدر ان يملا كفته حسنات فقال يا داود اني اذا رضيت عن عبدي ملاتها بتمرة وقال حذيفة
جبريل صاحب الميزان يوم القيمة فيقول له ربه عز وجل زن بينهم ورد من بعضهم على بعض وليس
ثم ذهب ولا فضة فيرد على المظلوم من الظالم ما وجد له من حسنة فان لم يكن له حسنة اخذ من سيات
المظلوم فترد على سيات الظالم فيرجع الرجل وعليه مثل الجبل فان قلت اليس الله عز وجل يعلم مقادير
اعمال العباد فما الحكمة في وزنها قلت فيه حكم منها اظهار العدل وان الله عز وجل لا يظلم عباده ومنها
امتحان الخلق بالايمان بذلك في الدنيا واقامة الحجة عليهم في العقبى ومنها تعريف العباد ما لهم من خير
وشر وحسنة وسيئة ومنها اظهار علامة السعادة والشقاوة ونظيره انه سبحانه وتعالى اثبت
اعمال العباد في اللوح المحفوظ ثم في صحايف الحفظة الموكلين ببني ادم من غير جواز النسيان عليه
سبحانه وتعالى ثم اختلف العلما في كيفية الوزن فقال بعضهم توزن صحايف الاعمال المكتوب فيها
الحسنات والسيات ويدل على ذلك حديث البطاقة وهو ما روي عن عمرو بن العاص ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال ان الله عز وجل يستخلص رجلا من امتي على رووس الخلايق يوم القيمة فينشر له
تسعا وتسعين سجلا كل سجل مثل مد البصر ثم يقول اتنكر من هذا شيا اظلمك كتبتي الحافظون
فيقول لا يا رب فيقول افلك عذر فيقال لا يا رب فيقول الله تعالى بلى ان لك عندنا حسنة فانه لا ظلم
عليك اليوم فيخرج الله بطاقة فيها اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا عبده ورسوله فيقول
احضر وزنك فيقول يا رب ما هذه البطاقة مع هذه السجلات فيقال فانه لا ظلم عليك اليوم فتوضع
السجلات في كفة والبطاقة في كفة فطاشت السجلات وثقلت البطاقة ولا يثقل مع اسم الله شي اخرجه
الترمذي واحمد بن حنبل وقال ابن عباس يوتى بالاعمال الحسنة على صورة حسنة وبالاعمال السيئة على صورة
قبيحة فتوضع في الميزان فعلى قول ابن عباس ان الاعمال تتصور صورا او توضع تلك الصور في الميزان ويخلق
الله في تلك الصور ثقلا وخفة ونقل البغوي عن بعضهم انه توزن الاشخاص واستدل لذلك بما روي
عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال انه لياتي الرجل العظيم السمين يوم القيمة لا يزن عند الله

جناح بعوضة اخرجاه في الصحيحين وهذا الحديث ليس فيه دليل على ما ذكر من وزن
الاشخاص في الميزان لان المراد بقوله لا يزن عند الله جناح بعوضة مقداره وحرمته لا وزن
جسده ولحمه والصحيح قول من قال ان صحايف الاعمال توزن وينفي الاعمال الجسد وتوزن والله اعلم
بحقيقة ذلك وقوله تعالى **فمن ثقلت موازينه** جمع ميزان واورد على هذا انه ميزان واحد فما وجه
الجمع واجيب عنه بان العرب قد توقع لفظ الجمع على الواحد وقيل انه ينصب لكل عبد ميزان
وقيل انما جمعه لان الميزان يشتمل على الكفتين والشاهين واللسان ولا يتم الوزن الا باجتماع
ذلك كله وقيل هو جمع موزون يعني من رجحت اعماله الحسنة الموزونة التي لها وزن وقدر **فاوليك هم
المفلحون** يعني هم الناجون غدا والفايزون بثواب الله وجزايه **ومن خفت موازينه** يعني موازين
اعماله وهم الكفار بدليل قوله **فاوليك الذين خسروا انفسهم** يعني غبنوا انفسهم حظوظها من
جزيل ثواب الله وكرامته **بما كانوا باياتنا يظلمون** يعني بسبب ذلك الخسران انهم كانوا بحجج الله وادلة
توحيده يجحدون ولا يقرون بها روي عن ابي بكر الصديق انه حين حضره الموت قال في وصيته لعمر
ابن الخطاب انما ثقلت موازين من ثقلت موازينه يوم القيامة باتباعهم الحق في الدنيا وثقله عليهم
وحق لميزان يوضع فيه الحق غدا ان يكون ثقيلا وانما خفت موازين من خفت موازينه يوم القيامة باتباعهم
الباطل في الدنيا وخفته عليهم وحق لميزان يوضع فيه الباطل غدا ان يكون خفيفا قوله عز وجل
ولقد مكناكم في الارض يعني ولقد مكناكم ايها الناس في الارض والمراد من التمكين التمليك وقيل معناه
جعلنا لكم فيها مكانا وقرارا واقدرناكم على التصرف فيها **وجعلنا لكم فيها معايش** جمع معيشة
يعني به جميع وجوه المنافع التي يحصل بها الارزاق وتعيشون بها ايام حياتكم وهي على قسمين
احدهما ما ينعم الله به على عباده من الزرع والثمار وانواع الماكل والمشارب والثاني ما يحصل
من المكاسب والارباح في انواع التجارات والصنايع وكلا القسمين في الحقيقة انما يحصل بفضل
الله وانعامه واقداره وتمكينه لعباده من ذلك فثبت بذلك ان جميع معايش العالم انعام من الله
تعالى على عباده وكثرة الانعام توجب الطاعة للمنعم بها والشكر له عليها ثم بين تعالى انه مع هذا
الافضال على عباده وانعامه عليهم لا يقومون بشكره كما ينبغي فقال تعالى **قليلا ما تشكرون**
يعني على ما صنعت اليكم وانعمت به عليكم وفيه دليل على انهم قد يشكرون لان الانسان قد يذكر
نعم الله فيشكره عليها فلا يخلو في بعض الاوقات من الشكر على النعم وحقيقة الشكر تصور النعمة
واظهارها ويضاده الكفر وهو نسيان النعمة وسترها قوله تعالى **ولقد خلقناكم ثم صورناكم**
يعني ولقد خلقناكم ايها الناس المخاطبون بهذا الخطاب وقت نزوله في ظهر ابيكم ادم ثم صورناكم في
ارحام النسا صورا مخلوقة فان قلت على هذا التفسير يكون قوله ثم قلنا للملايكة اسجدوا لادم
يقتضي ان الامر بالسجود لادم كان وقع بعد خلق المخاطبين بهذا الخطاب وتصويرهم لان كلمة ثم
للتراخي ومعلوم ان الامر ليس كذلك بل كان السجود لادم عليه السلام قبل خلق ذريته قلت يحتمل ان يكون

المعنى ولقد خلقناكم ثم صورناكم ايها المخاطبون ثم اخبرناكم انا قلنا للملايكة اسجدوا لادم
فتكون كلمة ثم تفيد ترتيب خبر على خبر ولا تفيد ترتيب المخبر على الخبر وقيل في معنى الاية ولقد
خلقناكم يعني ادم ثم صورناكم يعني ذريته وهذا قول ابن عباس وقال مجاهد ولقد خلقناكم يعني
ادم ثم صورناكم يعني في ظهره وعلى هذين القولين انما ذكر ادم بلفظ الجمع على التعظيم او لانه ابو
البشر فكان في خلقه خلق من خرج من صلبه وقيل ان الخلق والتصوير يرجع الى ادم وحده والمعنى
ولقد خلقناكم يعني ادم حكمنا بخلقه ثم صورناكم يعني ادم يعني صوره من طين ثم قلنا للملايكة اسجدوا
لادم يعني بعد اكمال خلقه وقد تقدم في سورة البقرة الكلام في معنى هذا السجود وانه كان على سبيل
التحية والتعظيم لادم لا حقيقة السجود وقيل بل كان حقيقة السجود وان المسجود له هو الله
تعالى وانما كان ادم كالقبلة للساجدين وقيل بل كان السجود له وكان ذلك بامر الله تعالى وهل كان هذا
الامر بالسجود لجميع الملايكة او لبعضهم فيه خلاف تقدم ذكره وقوله تعالى فسجدوا يعني الملايكة الا
ابليس يعني فسجد الملايكة لادم الا ابليس لم يكن من الساجدين له وظاهر الاية يدل على ان ابليس كان من
الملايكة لان الله تعالى استثناه منهم وكان الحسن يقول ان ابليس لم يكن من الملايكة لانه خلق من نار والملايكة
من نور وانما استثناه من الملايكة لانه كان مامورا بالسجود لادم مع الملايكة فلما لم يسجد اخبر الله عنه
انه لم يكن من الساجدين لادم فلهذا استثناه منهم قوله عز وجل قال ما منعك الا تسجد اذ امرتك
يعني قال الله عز وجل لابليس اي شي منعك من السجود لادم اذ امرتك به فعلى هذا التاويل تكون كلمة لا
في قوله ان لا تسجد صلة زايدة وانما دخلت للتوكيد والتقدير ما منعك ان تسجد فهو كقوله لا اقسم
اي اقسم وقوله وحرام على قرية اهلكناها انهم لا يرجعون اي يرجعون وقوله ليلا يعلم اهل الكتاب اي
ليعلم اهل الكتاب وهذا قول الكسائي والفرا والزجاج والاكثرين وقيل ان كلمة لا هنا على اصلها مفيدة
وليست بزايدة لانه لا يجوز ان يقال ان كلمة من كتاب الله زايدة او لا معنى لها وعلى هذا القول حكى الواحدي
عن احمد بن يحيى ان لا في هذه الاية ليست بزايدة ولا توكيدا لان معنى قوله ما منعك ان لا تسجد من قال لك
لا تسجد فحمل نظم الكلام على معناه وهذا القول حكاه ابو بكر عن الفرا وقال الطبري الصواب في ذلك ان
يقال ان في الكلام محذوفا تقديره ما منعك من السجود فاحوجك ان لا تسجد فترك ذكر احوجك لمعرفة
السامعين ونقل الامام فخر الدين الرازي عن القاضي قال ذكر الله المنع واراد الداعي فكانه قال ما دعاك
الى ان لا تسجد لان مخالفة الله عز وجل حالة عظيمة يتعجب منها ويسال عن الداعي اليها فان قلت لم ساله
عن المانع من السجود وهو اعلم به قلت للتوبيخ والتقريع له ولاظهار معاندته وكفره وافتخاره باصله
وحسده لادم ولذلك لم يتب منه قال يعني قال ابليس مجيبا لله عما ساله عنه انا خير منه فان قلت قوله انا
خير منه ليس بجواب عما ساله عنه في قوله ما منعك ان لا تسجد فلم يجب بما منعه من السجود فانه كان ينبغي
له ان يقول منعني كذا وكذا ولكنه قال انا خير منه قلت انا استانف قصة اخبر فيها عن نفسه بالفضل على
ادم وفيها دليل على موضع الجواب وهو قوله خلقتني من نار وخلقته من طين والنار خير من الطين وانور

وانما قال انا خير منه لما راى انه اشد منه قوة وافضل منه تفضلا وذلك لفضل
الجنس الذي خلق منه وهو النار على الطين الذي خلق منه ادم فجهل عدو الله ابليس
وجه الحق واخطا طريق الصواب لان من المعلوم ان من جوهر النار الخفة والطيش و
والارتفاع والاضطراب وهذا الذي حمل الخبيث ابليس مع الشقا الذي سبق له من الله
تعالى في الكتاب السابق على الاستكبار على السجود لادم عليه السلام والاستخفاف بامر ربه
فاورثه ذلك العطب والهلاك ومن المعلوم ان من جوهر الطين الرزانة والاناة والصبر
والحلم والحيا والتثبت وهذا كان الداعي لادم عليه السلام مع السعادة السابقة التي سبقت
له من الله تعالى في الكتاب السابق الى التوبة من خطيئته ومسالته ربه العفو عنه والمغفرة
ولذلك كان الحسن وابن سيرين يقولان اول من قاس ابليس فاخطا وقال ابن سيرين ايضا ما عبدت
الشمس والقمر الا بالمقاييس واصل هذا القياس الذي قاسه ابليس لما راى ان النار افضل
من الطين واقوى فقال انا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين ولم يدر ان الفضل
لمن جعله الله فاضلا وان الافضلية والاخيرية لا تحصل بسبب فضيلة الاصل والجوهر
وايضا الفضيلة انما تحصل بسبب الطاعة وقبول الامر فالمومن الحبشي خير من الكافر
القرشي فالله تعالى خص صفيه ادم عليه السلام باشيا لم يخص بها غيره وهو انه
خلقه بيده ونفخ فيه من روحه واسجد له ملايكته وعلمه باسما كل شي واورثه الاجتبا
والتوبة والهداية الى غير ذلك مما خص الله به ادم عليه السلام للعناية التي سبقت له في
القدم واورث ابليس كثرة اللعنة والطرد للشقاوة التي سبقت له في القدم قوله تعالى
قال فاهبط منها يعني قال الله عز وجل لابليس اهبط من الجنة وقيل من السما الى الارض
والهبوط الانزال والانحدار من فوق على سبيل القهر والهوان والاستخفاف فما يكون لك ان تتكبر
فيها يعني فليس لك ان تتكبر في الجنة عن امري وطاعتي لانه لا ينبغي ان يسكن في الجنة او في السما
متكبر مخالف لامر الله عز وجل فاما غير الجنة والسما فقد يسكنها المتكبر عن طاعة الله وهم
الكفار الساكنون في الارض فاخرج انك من الصاغرين يعني انك من الاذلا المهانين والصغار الذل
والمهانة قال الزجاج استكبر عدو الله ابليس فابتلاه الله بالصغار والمذلة وقيل كان له ملك
الارض فاخرجه الله منها الى جزاير البحر الاخضر وعرشه عليه فلا يدخل الارض الا خايفا كهيئة
السارق مثل شيخ عليه اطمار رثة يروغ فيها حتى يخرج منها قال يعني قال ابليس عند ذلك
انظرني يعني اخرني وامهلني فلا تمتني الى يوم يبعثون يعني من قبورهم وهي النفخة الاخرة عند
قيام الساعة وهذا من جهالة الخبيث ابليس لانه سال ربه الامهال وقد علم انه لا سبيل لاحد
من خلق الله الى البقا في الدنيا ولكنه كره ان يذوق الموت فطلب البقا والخلود فلم يجب الى ما سال
بل قال الله له انك من المنظرين يعني من المؤخرين الممهلين وقد بين الله تعالى مدة النظرة والمهلة في

سورة الحجر فقال انك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم وذلك هو النفخة الاولى حين يموت
الخلق كلهم فان قلت ما وجه قوله انك من المنظرين وليس احد بمنظر سواه قلت معناه ان الذين
تقوم عليهم الساعة منظرون الى ذلك الوقت باجالهم فهو منهم قال يعني ابليس فبما اغويتني
يعني فباي شي اغويتني فعلى هذا تكون ما استفهاما ثم تم الكلام عند قوله اغويتني ثم ابتدا
فقال لاقعدن لهم صراطك المستقيم وقيل ما بمعنى القسم تقديره فباغوايك اياي وقيل معناه
فبما اوقعت في قلبي من الغي الذي كان سبب هبوطي من السما واضللتني عن الهدى لاقعدن لهم
صراطك المستقيم يعني لاجلسن على صراطك القويم وهو طريق الاسلام وقيل المراد بالطريق
المستقيم الطريق الذي يسلكونه الى الجنة وذلك بان اوسوس اليهم وازين الباطل وما يكسبهم
الماثم وقيل المراد بالصراط المستقيم هنا طريق مكة يعني يمنعهم من الهجرة وقيل المراد به الحج
والقول الاول اولى لانه يعم الجميع ومعنى الاية لاصدن بني ادم عن عبادتك وطاعتك ولاغوينهم
ولاضلنهم كما اضللتني عن سبرة بن ابي الفاكه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
ان الشيطان قعد لابن ادم باطرقه فقعد له في طريق الاسلام فقال اتسلم وتذر دين ابايك وابا ابايك
فعصاه واسلم وقعد له بطريق الهجرة فقال تهاجر وتدع ارضك وسماك وانما مثل المهاجر
كمثل الفرس في الطول فعصاه فهاجر فقعد له بطريق الجهاد فقال تجاهد فهو جهد النفس
والمال فتقاتل فتقتل فتنكح المراة ويقسم المال فعصاه فجاهد قال فمن فعل ذلك كان حقا على الله
ان يدخله الجنة اخرجه النسائي وقوله تعالى اخبارا عن ابليس ثم لاتينهم من بين ايديهم ومن
خلفهم وعن ايمانهم وعن شمايلهم قال ابن عباس من بين ايديهم يعني من قبل الاخرة فاشككهم فيها
ومن خلفهم يعني من قبل الدنيا فارغبهم فيها وعن ايمانهم يشبه عليهم امر دينهم وعن شمايلهم اشهي
لهم المعاصي وانما جعل الاخرة من بين ايديهم في هذا القول لانهم منتقلون اليها وصايرون اليها
فعلى هذا الاعتبار فالدنيا خلفهم لانهم يخلفونها وراظهورهم وقال ابن عباس في رواية عنه من
بين ايديهم من قبل دنياهم يعني ازينها في قلوبهم ومن خلفهم من قبل الاخرة فاقول لا بعث ولا جنة
ولا نار وعن ايمانهم من قبل حسناتهم وعن شمايلهم من قبل سياتهم وانما جعل الدنيا من بين
ايديهم في هذا القول لان الانسان يسعى فيها ويشاهدها فهي حاضرة بين يديه والاخرة غايبة
عنه فهي خلفه وقال الحكم بن عتيبة من بين ايديهم يعني من قبل الدنيا فازينها لهم ومن خلفهم
من قبل الاخرة فاثبطهم عنها وعن ايمانهم يعني من قبل الحق فاصدهم عنه وعن شمايلهم من قبل الباطل
فازينه لهم وقال قتادة اتاهم من بين ايديهم فاخبرهم انه لا بعث ولا جنة ولا نار ومن خلفهم
من امر الدنيا فزينها لهم ودعاهم اليها وعن ايمانهم من قبل حسناتهم فبطاهم عنها وعن شمايلهم زين
لهم السيات والمعاصي ودعاهم اليها اتاك يا ابن ادم من كل وجه غير انه لم ياتك من فوقك ولم يستطع
ان يحول بينك وبين رحمة الله وقال مجاهد ياتيهم من بين ايديهم وعن ايمانهم حيث يبصرون

ومن

ومن خلفهم وعن شمايلهم حيث لا يبصرون ومعنى هذا القول يخطيون ويعلمون انهم يخطيون ومن
حيث لا يبصرون انهم يخطيون ولا يعلمون انهم يخطيون وقيل من بين ايديهم يعني فيما بقي من اعمارهم
فلا يقدمون فيه طاعة ومن خلفهم يعني ما مضى من اعمارهم فلا يتوبون عما اسلفوا فيه من معصية وعن
ايمانهم يعني من قبل الغنى فلا ينفقون ولا يشكرون ومن خلفهم يعني من قبل الفقر فلا يمتنعون فيه من محظور
نالوه قال شقيق البلخي ما من صباح الا ويأتيني الشيطان من الجهات الاربع من بين يدي ومن خلفي وعن
يميني وعن شمالي اما من بين يدي فيقول لا تخف فان الله غفور رحيم فاقرا واني لغفار لمن تاب وامن وعمل
صالحا ثم اهتدى واما من خلفي فيخوفني من وقوع اولادي في الفقر فاقرا وما من دابة في الارض الا على
الله رزقها واما من قبل يميني فياتيني من الثنا فاقرا والعاقبة للمتقين واما من قبل شمالي فياتيني من
من قبل الشهوات فاقرا وحيل بينهم وبين ما يشتهون وقيل ان ذكر هذه الجهات الاربع انما اريد
بها التاكيد والمبالغة في القا الوسوسة في قلب بن ادم وانه لا يقتصر في ذلك وفي معنى الاية على
هذا القول ثم لاتينهم من جميع الوجوه الممكنة بجميع الاعتبارات وقوله ولا تجد اكثرهم شاكرين
يعني ولا تجد يا رب اكثر بني ادم شاكرين لك على نعمتك التي انعمت بها عليهم وقال ابن عباس معناه ولا
تجد اكثرهم موحدين فان قلت كيف علم الخبيث ابليس ذلك حتى قال ولا تجد اكثرهم شاكرين قلت قاله
ظنا فاصاب ومنه قوله تعالى ولقد صدق عليهم ابليس ظنه وقيل انه كان عازما على المبالغة في
تزيين الشهوات وتحسين القبايح وعلم ميل بني ادم الى ذلك فقال هذه المقالة وقيل انه راه مكتوبا
في اللوح المحفوظ فقال هذه المقالة على سبيل اليقين والقطع والله اعلم بمراده قوله عز وجل قال
اخرج منها اي قال الله لابليس حين طرده عن بابه وابعده عن جنابه وذلك بسبب مخالفته وعصيانه
اخرج منها يعني من الجنة فانه لا ينبغي ان يسكن فيها العصاة مذوما يعني معيبا والذام اشد العيب
مدحورا يعني مطرودا مبعودا وقال ابن عباس صغيرا ممقوتا وقال قتادة لعينا مقيتا وقال الكلبي
ملوما مقصيا من الجنة ومن كل خير لمن تبعك منهم يعني من بني ادم لاملان جهنم منكم اجمعين اللام
لام القسم اقسم الله ان من تبع ابليس من بني ادم واطاعه منهم ان يملا جهنم منه وممن كفر من بني ادم
وابليس وذريته ومن تبعه منهم قوله تعالى ويا ادم اسكن انت وزوجك الجنة اي وقلنا يا ادم اسكن انت
وزوجك يعني حوا الجنة وذلك بعد ان هبط منها ابليس واخرجه وطرده من الجنة فكلا من حيث شيتما
يعني فكلا من ثمار الجنة من اي مكان شيتما فان قلت قال في سورة البقرة وكلا بالواو وقال هنا فكلا بالفا
فما الفرق قلت قال الامام فخر الدين الرازي ان الواو يفيد الجمع المطلق والفا تفيد الجمع على سبيل
التعقيب فالمفهوم من الفا نوع داخل تحت المفهوم من الواو ولا منافاة بين النوع والجنس ففي
سورة البقرة ذكر الجنس وهنا ذكر النوع ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين تقدم في سورة
البقرة الكلام على تفسير هذه الاية مستوفيا قوله تعالى فوسوس لهما الشيطان يعني فوسوس اليهما
والوسوسة حديث يلقيه الشيطان في قلب الانسان يقال وسوس اذا تكلم كلاما خفيا مكررا

واصله من صوت الحلي ومعنى وسوس لهما فعل الوسوسة والقاها اليهما فان قلت كيف وسوس
اليهما وادم وحوا في الجنة وابليس قد اخرج منها قلت ذكر الامام فخر الدين في الجواب عن هذا السوال
عن الحسن انه قال كان يوسوس في الارض الى السما الى الجنة بالقوة القوية التي جعلها الله له وقال ابو مسلم
الاصبهاني بل كان ادم وابليس في الجنة لان هذه الجنة كانت بعض جنات اهل الارض والذي يقوله بعض
الناس من ان ابليس دخل في جوف الحية فدخلت به الحية الى الجنة فقصته مشهورة ركيكة وقال الاخرون
ان ادم وحوا ربما قربا من باب الجنة وكان ابليس واقفا من خارج الجنة على بابها فقرب احدهما من
الاخر فحصلت الوسوسة هناك فان قلت ان ادم عليه السلام قد عرف ما بينه وبين ابليس من
العداوة فكيف قبل قوله قلت يحتمل ان يقال ان ابليس لقي ادم مرارا كثيرة ورغبه في اكل هذه الشجرة
بطرق كثيرة منها رجا نيل الخلد ومنها قوله وقاسمهما اني لكما لمن الناصحين فلاجل هذه المواظبة
والمداومة على هذا التمويه اثر كلام ابليس في ادم حتى اكل من الشجرة ليبدي لهما ما ووري عنهما من
سواتهما ليظهر لهما ما غطي وستر من عوراتهما وقوله ما ووري ماخوذ من المواراة وهو الستر يقال
واريته سترته والسوءة فرج الرجل والمراة سمي بذلك لان ظهوره يسوء الانسان وفي الاية دليل
على ان كشف العورة من المنكرات المحرمات واللام في قوله ليبدي لهما لام العاقبة وذلك لان ابليس لم
يقصد بالوسوسة ظهور عورتهما وانما كان حملهما على المعصية فقط فكان عاقبة امرهما
ان بدت عوراتهما وقال يعني وقال ابليس لادم وحوا ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة
يعني عن الاكل من هذه الشجرة الا ان تكونا ملكين او تكونا من الخالدين يعني انما نهاكما عن هذه
الشجرة لكيلا تكونا ملكين من الملايكة تعلمان الخير والشر وتكونا من الباقين الذين لا يموتون
وانما اطمع ابليس لادم بهذه الاية لانه علم ان الملايكة لهم المنزلة والقرب من العرش فاستشرف
لذلك ادم واحب او انه يعيش مع الملايكة لطول اعمارهم او يكون مع الخالدين الذين لا يموتون
ابدا فان قلت ظاهر الاية يدل على ان الملك افضل من الانبيا لان ادم عليه السلام طلب ان
يكون من الملايكة وهذا يدل على فضلهم عليه قلت ليس في ظاهر الاية ما يدل على ذلك
لان ادم عليه السلام لما طلب ان يكون من الملايكة كان ذلك الطلب قبل ان يشرف بالنبوة
وكانت هذه الواقعة قبل نبوة ادم فطلب ان يكون من الملايكة او من الخالدين وعلى تقدير
ان تكون هذه الواقعة وقعت في زمان النبوة بعد ان تشرف بها ادم انما طلب ان يكون من
الملايكة لطول اعمارهم لا لانهم افضل منه حتى يلتحق بهم في الفضل لانه طلب اما ان يكون من
الملايكة لطول اعمارهم او من الخالدين الذين لا يموتون ابدا قوله تعالى وقاسمهما اي واقسم
وحلف لهما وهذا من المفاعلة التي تختص بالواحد اني لكما لمن الناصحين قال قتادة حلف
لهما بالله حتى خدعهما وقد يخدع المومن بالله فقال اني خلقت قبلكما وانا اعلم منكما فاتبعاني
ارشدكما وقال بعض العلما من خادعنا بالله خدعنا له فدلاهما بغرور يعني فخدعهما بغرور

يقال

يقال ما زال فلان يدلي فلانا بغرور يعني ما زال يخدعه ويكلمه بزخرف من القول باطل قال
الازهري واصله ان الرجل العطشان يتدلى في البير لياخذ الما فلا يجد فيها ما فوضعت
التدلية موضع الطمع فيما لا فايدة فيه والغرور اظهار النصح مع ابطان الغش وهو ان
ابليس حطهما من منزلة الطاعة الى حالة المعصية لان التدلي لا يكون الا من علو الى اسفل
ومعنى الاية ان ابليس غر ادم باليمين الكاذبة وكان ادم يظن ان احدا لا يحلف بالله كاذبا
وابليس اول من حلف بالله كاذبا فلما حلف ابليس ظن ادم انه صادق فاغتر به فلما ذاقا الشجرة
يعني طعما من ثمرة الشجرة وفيه دليل على انهما تناولا اليسير من ذلك قصدا الى معرفة طعمه لان
الذوق يدل على الاكل اليسير بدت لهما سواتهما يعني ظهرت لهما عوراتهما قال ابن عباس قبل ان
ازدردا اخذتهما العقوبة والعقوبة ان بدت وظهرت لهما سواتهما وتهافت عنهما لباسهما
حتى ابصر كل واحد منهما ما ووري عنه من عورة صاحبه وكانا لا يريان ذلك وقال وهب كان
لباسهما من النور لا يرى هذا عورة هذه ولا هذه عورة هذا فلما اصابا الخطيئة بدت لهما
سواتهما وقال قتادة كان لباس ادم في الجنة ظفرا كله فلما وقع في الذنب كشط عنه وبدت سواته
وطفقا يعني فاقبلا وجعلا يخصفان عليهما من ورق الجنة يعني انهما لما بدت سواتهما جعلا يرقعان
ويلزقان عليهما من ورق الجنة وهو ورق التين حتى صار كهيئة الثوب وقال الزجاج جعلا ورقة على ورقة
ليسترا سواتهما وفي الاية دليل على ان كشف العورة من لدن ادم قبيح الا ترى انهما بادرا الى ستر العورة
لما تقرر في عقلهما من قبح كشفها روي ابي بن كعب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كان ادم رجلا طوالا
كانه نخلة سحوق كثير شعر الراس فلما وقع في الخطيئة بدت له سوته وكان لا يراها في الجنة فانطلق
فارا فعرضت له شجرة من شجر الجنة فحبسته بشعره فقال لها ارسليني قالت لست بمرسلتك فناداه
ربه يا ادم امني تفر قال لا يا رب ولكني استحييتك ذكره البغوي بغير سنده واسنده الطبري من
طريقين موقوفا ومرفوعا قوله تعالى وناداهما ربهما الم انهكما عن تلكما الشجرة يعني ان الله تعالى
نادى ادم وحوا وخاطبهما فقال الم انهكما عن اكل ثمرة هذه الشجرة واقل لكما ان الشيطان لكما عدو
مبين يعني الم اعلمكما ان الشيطان قد بان عداوته لكما بترك السجود حسدا وبغيا قال ابن عباس لما اكل
ادم من الشجرة قيل له لم اكلت من الشجرة التي نهيتك قال حوا امرتني قال فاني قد اعطيتها ان لا
تحمل الا كرها ولا تضع الا كرها قال فرنت حوا عند ذلك فقيل لها الرنة عليك وعلى
بناتك وقال محمد بن قيس ناداه ربه يا ادم لم اكلت منها وقد نهيتك قال اطعمتني حوا قال لحوا
لم اطعمتيه قالت امرتني الحية قال للحية لم امرتيها قالت امرني ابليس قال الله تعالى اما انت يا حوا
فكما ادميتي الشجرة تدمين كل شهر واما انت يا حية فاقطع رجليك فتمشين على وجهك وسيشدخ
راسك من لقيك واما انت يا ابليس فملعون مدحور يعني مطرودا عن الرحمة وقيل ناداه ربه
يا ادم اما خلقتك بيدي اما نفخت فيك من روحي اما اسجدت لك ملايكتي اما اسكنتك جنتي

في جواري قوله عز وجل **قالا ربنا ظلمنا انفسنا** وهذا خبر من الله عز وجل عن ادم عليه السلام وحوا
واعترافهما على انفسهما بالذنب والندم على ذلك والمعنى قالا يا ربنا انا فعلنا بانفسنا من الاساة
اليها بمخالفة امرك وطاعة عدونا وعدوك ما لم يكن لنا ان نطيعه فيه من اكل الشجرة التي نهيتنا
عن اكلها **وان لم تغفر لنا** يعني وان انت يا ربنا ان لم تستر علينا ذنبنا **وترحمنا** يعني وتتفضل علينا
برحمتك **لنكونن من الخاسرين** يعني من الهالكين قال قتادة قال ادم يا رب ارايت ان تبت اليك واستغفرتك
قال اذا ادخلك واما ابليس فلم يساله التوبة وساله النظرة فاعطى كل واحد منهما ما سال وقال
الضحاك في قوله ربنا ظلمنا انفسنا قال هي الكلمات التي تلقاها ادم من ربه عز وجل فصل
وقد استدل من يرى صدور الذنب من الانبيا عليهم السلام بهذه الاية واجيب عنه بان درجة
الانبيا في الرفعة والعلو والمعرفة بالله عز وجل مما حملهم على الخوف منه والاشفاق من
المواخذة بما لا يواخذ به غيرهم وانهم ربما عوتبوا بامور صدرت منهم على سبيل التاويل
او السهو فهم بسبب ذلك خايفون وجلون وهي ذنوب بالاضافة الى علو منصبهم
ومعاص بالنسبة الى كمال طاعتهم لا انها ذنوب كذنوب غيرهم ومعاص كمعاصي غيرهم
فكان ما صدر منهم مع طهارتهم ونزاهتهم وعمارة بواطنهم بالوحي السماوي والذكر
القدسي وعمارة ظواهرهم بالعمل الصالح والخشية لله عز وجل ذنوبا وهي حسنات
بالنسبة الى غيرهم كما قيل حسنات الابرار سيات المقربين يعني انهم يرونها بالنسبة الى
احوالهم كالسيات وهي حسنات لغيرهم وقد تقدم في سورة البقرة ان اكل ادم من الشجرة
هل كان قبل النبوة او بعدها والخلاف فيه فاغنى عن الاعادة والله اعلم قوله تعالى **قال
اهبطوا** قال الامام فخر الدين ان الذي تقدم ذكره هو ادم وحوا وابليس فقوله اهبطوا يجب
ان يتناول هولا الثلاثة وقال الطبري قال الله تعالى لادم وحوا وابليس والحية اهبطوا يعني
من السما الى الارض قال السدي اهبطوا يعني الى الارض ادم وحوا وابليس والحية **بعضكم
لبعض عدو** يعني ان العداوة ثابتة بين ادم وابليس والحية وذرية كل واحد من ادم وابليس
ولكم في الارض مستقر يعني موضع قرار تستقرون فيه وقال ابن عباس في قوله ولكم في الارض
مستقر يعني مستقر القبور **ومتاع الى حين** يعني ولكم فيها متاع تستمتعون به الى انقطاع
الدنيا والى انقضا اجالكم ومعنى الاية ان الله عز وجل اخبر ادم وحوا وابليس والحية انه
اذا اهبطهم الى الارض فان بعضهم لبعض عدو وان لهم في الارض موضع قرار يستقرون
فيه الى انقضا اجالهم ثم يستقرون في قبورهم الى انقضا الدنيا قال ابن عباس في قوله
تعالى ومتاع الى حين يعني الى يوم القيمة والى انقطاع الدنيا **قال فيها تحيون** يعني قال الله
عز وجل لادم وذريته وابليس واولاده تحيون يعني في الارض تعيشون ايام حياتكم **وفيها
تموتون** يعني وفي الارض تكون وفاتكم وموضع قبوركم **ومنها تخرجون يا بني ادم قد انزلنا**

عليكم

عليكم لباسا يواري سواتكم اعلم ان الله عز وجل لما امر ادم وحوا بالهبوط الى الارض
وجعلها مستقرا لهم انزل عليهم كل ما يحتاجون اليه من مصالح الدين والدنيا فكان مما انزل
عليهم اللباس الذي يحتاج اليه في الدين والدنيا فاما منفعته في الدين فانه ستر للعورة
وسترها شرط في صحة الصلاة واما منفعته في الدنيا فانه ينفع للحر والبرد فامتن الله على
عباده بان انزل عليهم لباسا يواري سواتهم فقال تعالى يا بني ادم قد انزلنا عليكم لباسا يواري
سواتكم يعني لباسا تسترون به عوراتكم فان قلت ما معنى قوله انزلنا عليكم لباسا قلت
ذكر العلما فيه وجوها احدها انه بمعنى خلق اي خلقنا لكم لباسا او بمعنى رزقناكم لباسا
الوجه الثاني ان الله تعالى انزل المطر من السما وهو سبب نبات اللباس فكانه انزله عليهم
الوجه الثالث ان جميع بركات الارض تنسب الى السما والى الانزال كما قال تعالى وانزلنا الحديد
وريشا الريش للطاير معروف وهو لباسه وزينته كالثياب للانسان فاستعير للانسان
لانه لباسه وزينته والمعنى وانزلنا عليكم لباسين لباسا يواري سواتكم ولباسا لزينتكم لان
التزين غرض صحيح كما قال تعالى لتركبوها وزينة وقال ولكم فيها جمال وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان الله جميل يحب الجمال واختلفوا في معنى الريش المذكور في الاية فقال ابن عباس وريشا يعني مالا
وهو قول مجاهد والضحاك والسدي لان المال مما يتزين به ويقال تريش الرجل اذا تمول وقال ابن زيد
الريش الجمال وهو يرجع الى الزينة ايضا وقيل ان الرياش في كلام العرب الاثاث وما ظهر من الثياب
والمتاع مما يلبس ويفرش والريش ايضا المتاع والاموال عندهم وربما استعملوه في الثياب والكسوة
دون ساير المال ويقال انه لحسن الريش يعني لحسن الثياب وقيل الريش والرياش يستعمل ايضا في الخصب
ورفاهية العيش **ولباس التقوى** اختلف العلما في معناه فمنهم من حمله على نفس الملبوس وحقيقته
ومنهم من حمله على المجاز اما من حمله على نفس الملبوس فاختلفوا ايضا في معناه فقال ابن الانباري
لباس التقوى هو اللباس الاول وانما اعاده اخبارا ان ستر العورة من التقوى وذلك خير وقيل انما اعاده
لاجل ان يخبر عنه بانه خير لان العرب في الجاهلية كانوا يتعبدون بالتعري وخلع الثياب في الطواف
بالبيت فاخبر ان ستر العورة في الطواف هو لباس التقوى وذلك خير وقال زيد بن علي لباس التقوى
الات الحرب التي يتقى بها في الحرب كالدروع والمغفر ونحو ذلك وقيل لباس التقوى هو الصوف
والخشن من الثياب التي يلبسها اهل الزهد والورع وقيل هو ستر العورة في الصلاة واما من حمل
لباس التقوى على المجاز فاختلفوا في معناه فقال قتادة والسدي لباس التقوى هو الايمان لان
صاحبه يتقي به من النار وقال ابن عباس التقوى هو العمل الصالح وقال الحسن هو الحيا لانه يحث على
التقوى وقال عثمان بن عفان لباس التقوى هو السمت الحسن وقال عروة بن الزبير لباس التقوى خشية
الله وقال الكلبي هو العفاف فعلى هذه الاقوال ان لباس التقوى خير لصاحبه اذا اخذ به مما خلق
الله له من لباس التجمل وزينة الدنيا وهو قوله تعالى **ذلك خير** يعني ان لباس التقوى خير من لباس الجمال

والزينة وانشد واني المعنى اذا انت لم تلبس ثيابا من التقى عريت وان وارى القميص قميص وقوله تعالى
ذلك من ايات الله يعني انزال اللباس عليكم يا بني ادم من ايات الله الدالة على معرفته وتوحيده لعلهم يذكرون
يعني لعلهم يذكرون نعمته عليهم فيشكروها قوله تعالى يا بني ادم لا يفتننكم الشيطان كما اخرج ابويكم
من الجنة قيل هذا خطاب للذين كانوا يطوفون بالبيت عراة والمعنى لا يخدعنكم بغروره ولا يضلنكم
فيزين لكم كشف عوراتكم في الطواف وانما ذكر قصة ادم هنا وشدة عداوة ابليس له ليحذر بذلك اولاد
ادم فقال تعالى يا بني ادم لا يفتننكم الشيطان كما اخرج ابويكم يعني ادم وحوا من الجنة والمعنى
ان من قدر على اخراج ابويكم من الجنة بوسوسته وشدة عداوته فبان يقدر على فتنتكم بطريق الاولى
فحذر الله عز وجل بني ادم وامرهم بالاحتراز عن وسوسة الشيطان وغروره وتزيينه القبائح وتحسينه
الافعال الردية في قلوب بني ادم فهذه فتنته التي نهى الله عباده عنها وحذرهم منها وقوله ينزع عنهما
لباسهما انما اضاف نزع اللباس الى الشيطان وان لم يباشر ذلك لان نزع لباسهما كان بسبب وسوسة الشيطان
وغروره فاسند اليه واختلفوا في اللباس الذي نزع عنهما فقال ابن عباس كان لباسهما الظفر فلما
اصابا الخطيئة نزع عنهما وبقي الاظفار تذكرة وزينة ومنافع وقال وهب بن منبه كان لباس ادم
وحوا نورا وقال مجاهد كان لباسهما التقى وفي رواية عنه التقوى وقيل كان لباسهما من ثياب الجنة
وهذا القول اقرب لان اطلاق اللباس يطلق عليه ولان النزع لا يكون الا بعد اللبس ليريهما سوآتهما
يعني ليرى ادم عورة حوا ويرى حوا عورة ادم وكان قبل ذلك لا يرى بعضهم سوءة بعض انه يراكم هو
وقبيله يعني ان ابليس يراكم يا بني ادم هو وقيل انما اعاد الكناية في قوله هو ليحسن العطف والقبيل جمع
قبيلة وهي الجماعة المجتمعة التي يقابل بعضهم بعضا وقال الليث كل جيل من جن وانس قبيل ومعنى
يراكم هو وقبيله اي من هو من نسله وحكى ابو عبيد عن ابي زيد القبيل ثلاثة فصاعدا من قوم شتى
والجمع قبل والقبيلة بنو اب واحد وقال الطبري قبيله يعني صنفه وجيله الذي هو منهم وهو واحد
يجمع قبلا وهم الجن وقال مجاهد الجن والشياطين وقال ابن زيد قبيله نسله وقال ابن عباس هو وولده
وقوله من حيث لا ترونهم يعني انتم يا بني ادم قال العلما ان الله خلق في عيون الجن ادراكا يرون به الادراك
الانس ولم يخلق في عيون الانس هذا الادراك فلم يروا الجن وقالت المعتزلة الوجه في ان الانس لا يرون الجن
رقة اجسام الجن ولطافتها والوجه في روية الجن للانس كثافة اجسام الانس والوجه في روية الجن
بعضهم بعضا ان الله تعالى قوى شعاع ابصار الجن وزاد فيها حتى يرى بعضهم بعضا ولو جعل في ابصارنا
هذه القوة لرايناهم ولكن لم يجعلها لنا وحكى الواحدي وابن الجوزي عن ابن عباس قال ان الله تعالى جعلهم
يجرون من بني ادم مجرى الدم وجعل في صدور بني ادم مساكن لهم الا من عصمه الله تعالى كما قال تعالى
الذي يوسوس في صدور الناس فهم يرون بني ادم وبنوا ادم لا يرونهم وقال مجاهد قال ابليس جعل لنا
اربع نرى ولا نرى ونخرج من تحت الثرى ويعود شيخنا فتى وقال مالك بن دينار ان عدوا يراك ولا تراه لشديد
المونة الا من عصمه الله انا جعلنا الشياطين اوليا يعني اعوانا وقرنا للذين لا يومنون قال الزجاج يعني

سلطانهم

سلطانهم عليهم يزيدون في غيهم قوله عز وجل واذا فعلوا فاحشة قال ابن عباس ومجاهد هي
طوافهم بالبيت عراة الرجال والنسا وقال عطا هي الشرك والفاحشة اسم لكل فعل قبيح تبالغ
فيه جميع المعاصي والكبائر فيمكن حملها على الاطلاق وان كان السبب مخصوصا بما ورد من طوافهم
عراة ولما كانت هذه الافعال التي كان اهل الجاهلية يفعلونها ويعتقدون انها طاعات
وهي في انفسها فواحش ذمهم الله عليها ونهاهم عنها فاحتجوا عن هذه الافعال بما اخبر الله عنهم
وهو قوله تعالى قالوا وجدنا عليها اباءنا والله امرنا بها فذكروا لانفسهم عذرين احدهما محض
التقليد وهو قولهم وجدنا على هذا الفعل اباءنا وهذا التقليد باطل لانه لا اصل له والعذر
الثاني قولهم والله امرنا بها وهذا العذر ايضا باطل وقد اجاب الله تعالى عنه بقوله قل ان الله
لا يامر بالفحشاء والمعنى ان هذه الافعال التي كان اهل الجاهلية يفعلونها هي في انفسها قبيحة
منكرة فكيف يامر الله بها والله لا يامر بالفحشاء بل يامر بما فيه مصالح للعباد ثم قال تعالى ردا
عليهم اتقولون على الله ما لا تعلمون يعني انكم سمعتم كلام الله ابتدا من غير واسطة ولا اخذتموه
عن الانبيا الذين هم وسايط بين الله وبين عباده في تبليغ اوامره ونواهيه واحكامه لانكم تنكرون
نبوة الانبيا فكيف تقولون على الله ما لا تعلمون قوله تعالى قل امر ربي بالقسط اي قل يا محمد لهولاء
الذين يقولون على الله ما لا يعلمون امر ربي بالقسط يعني بالعدل وهذا قول مجاهد والسدي وقال
ابن عباس بلا اله الا الله فالامر بالقسط في هذه الاية مشتمل على معرفة الله تعالى بذاته وصفاته
وانه واحد لا شريك له واقيموا وجوهكم عند كل مسجد فان قلت قل امر ربي بالقسط خبر واقيموا
وجوهكم عند كل مسجد امر وعطف الامر على الخبر لا يجوز فما معناه قلت فيه اضمار وحذف تقديره قل امر
ربي بالقسط وقال واقيموا وجوهكم عند كل مسجد فحذف قال لدلالة الكلام عليه ومعنى الاية في قول
مجاهد وجهوا وجوهكم حيث ما كنتم في الصلاة الى الكعبة وقال الضحاك معناه اذا حضرت الصلاة
وانتم عند مسجد فصلوا فيه ولا يقولن احدكم اصلي في مسجدي او في مسجد قومي وقيل معناه اجعلوا
سجودكم لله خالصا وادعوه مخلصين له الدين اي واعبدوه مخلصين العبادة والطاعة والدعا لله
عز وجل لا لغيره كما بداكم تعودون قال ابن عباس ان الله عز وجل بدا خلق بني ادم مومنا وكافرا كما قال
تعالى هو الذي خلقكم فمنكم كافر ومنكم مومن ثم يعيدهم يوم القيامة كما بدا خلقهم مومنا وكافرا
وحجة هذا القول قوله في سياق الاية فريقا هدى وفريقا حق عليهم الضلالة فانه كالتفسير له
ويدل على صحة ذلك ما روي عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يبعث كل عبد على ما مات
عليه اخرجه مسلم زاد البغوي في روايته المومن على ايمانه والكافر على كفره وقال محمد بن كعب من ابتدا
الله خلقه على الشقاوة صار الى ما ابتدا عليه خلقه وان عمل بعمل اهل السعادة كما ان ابليس كان
يعمل بعمل اهل السعادة ثم صار الى الشقا ومن ابتدا خلقه على السعادة صار اليها وان عمل بعمل اهل
الشقا كما ان السحرة كانوا يعملون بعمل اهل الشقا ثم صاروا الى السعادة ويصح هذا القول ما روي عن ابي

هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الرجل ليعمل الزمن الطويل بعمل اهل الجنة
ثم يختم له عمله بعمل اهل النار وان الرجل ليعمل الزمن الطويل بعمل اهل النار ثم يختم
له عمله بعمل اهل الجنة اخرجه مسلم وقال الحسن ومجاهد في معنى الاية كما بداكم فخلقكم
في الدنيا ولم تكونوا شيا فاحياكم ثم يميتكم كذلك تعودون احيا يوم القيامة ويشهد لصحة
هذا القول ما روى عن ابن عباس قال قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بموعظة فقال
ايها الناس انكم تحشرون الى الله عز وجل حفاة عراة غرلا كما بدانا اول خلق نعيده وعدا
علينا انا كنا فاعلين اخرجه البخاري ومسلم وقوله فريقا هدى يعني هداهم الله الى الايمان
به ومعرفته ووفقهم لطاعته وعبادته وفريقا حق عليهم الضلالة وخذل فريقا
حتى وجبت عليهم الضلالة التي سبقت لهم في الازل لانهم اشقيا وفيه دليل على ان
الهدى والضلال من الله عز وجل ولما روى عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم ان الله خلق خلقه في ظلمة فالقى عليهم من نوره فمن اصابه من
ذلك النور اهتدى ومن اخطاه ضل اخرجه الترمذي وقوله تعالى انهم اتخذوا الشياطين
اوليا من دون الله يعني ان الفريق الذين حق عليهم الضلالة اتخذوا الشياطين نصرا واعوانا
اطاعوهم فيما امروهم به من الكفر والمعاصي والمعنى ان الداعي الذي دعاهم الى الكفر والمعاصي
هو انهم اتخذوا الشياطين اوليا من دون الله لان الشياطين يقدرون على اضلال احد وقوله
ويحسبون انهم مهتدون يعني انهم مع ضلالتهم يظنون ويحسبون انهم على هداية
وحق وفيه دليل على ان الكافر الذي يظن انه في دينه على الحق والجاحد والمعاند في الكفر سوا
وقوله عز وجل يا بني ادم خذوا زينتكم عند كل مسجد عن ابن عباس قال كانت المراة
تطوف بالبيت وهي عريانة فتقول من يعيرني تطوافا تجعله على فرجها وتقول اليوم يبدو
بعضه او كله وما بدا منه فلا احله فنزلت هذه الاية خذوا زينتكم عند كل مسجد اخرجه
مسلم وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس قال كانوا يطوفون بالبيت عراة الرجال بالنهار
والنسا بالليل وذكر البيت زاد في رواية اخرى عنه فامرهم الله ان يلبسوا ثيابهم ولا يتعروا
وقال مجاهد كان حي من اهل اليمن كان احدهم اذا قدم حاجا او معتمرا يقول لا ينبغي لي ان اطوف
في ثوب قد عصيت فيه فيقول من يعيرني ميزرا فان قدر عليه والا طاف عريانا فانزل الله
فيه ما تسمعون خذوا زينتكم عند كل مسجد وقال الزهري ان العرب كانت تطوف بالبيت عراة
الا الحمس وهم قريش واحلافهم فمن جا من غير الحمس وضع ثيابه وطاف في ثوب احمسي فانه
لا يحل له ان يلبس ثيابه فان لم يجد من يعيره من الحمس فانه يلقي ثيابه ويطوف عريانا وان
طاف في ثياب نفسه القاها اذا قضى طوافه يحرمها فيجعلها حراما عليه فلذلك قال
الله خذوا زينتكم عند كل مسجد والمراد من الزينة لبس الثياب التي تستر العورة قال مجاهد

ما يوارى

ما يوارى عورتكم ولو عباة وقال الكلبي الزينة ما يوارى العورة عند كل مسجد لطواف
وصلاة وقوله تعالى خذوا زينتكم امر وظاهره الوجوب ففيه دليل على ان ستر العورة
واجب في الصلاة والطواف وفي كل حال وقوله وكلوا واشربوا قال الكلبي كانت بنو عامر
لا ياكلون في ايام حجهم الا قوتا ولا ياكلون دسما يعظمون بذلك حجهم فقال المسلمون نحن احق
ان نفعل ذلك يا رسول الله فانزل الله عز وجل وكلوا واشربوا يعني اللحم والدسم ولا تسرفوا
يعني بتحريم ما لم يحرمه الله من اكل اللحم والدسم قال ابن عباس كل ما شئت واشرب ما شئت
والبس ما شئت ما اخطاتك خصلتان سرف ومخيلة وقال علي بن الحسين بن واقد قد جمع
الله الطب كله في نصف اية فقال وكلوا واشربوا ولا تسرفوا وفي الاية دليل على ان جميع
المطعومات والمشروبات حلال الا ما خصه الشرع بدليل في التحريم لان الاصل في جميع
الاشيا الاباحة الا ما حظره الشارع وثبت تحريمه بدليل منفصل انه لا يحب المسرفين
يعني ان الله لا يحب من اسرف في الماكول والمشروب والملبوس وفي هذه الاية وعيد وتهديد
لمن اسرف في هذه الاشيا لان محبة الله عبارة عن رضاه عن العبد وايصال الثواب اليه واذا لم
يحبه علم انه تعالى ليس هو راض عنه فدلت الاية على الوعيد الشديد في الاسراف قوله تعالى
قل من حرم زينة الله التي اخرج لعباده يعني قل يا محمد لهولا الجهلة من العرب الذين يطوفون
بالبيت عراة من حرم عليكم زينة الله التي خلقها لعباده ان يتزينوا بها ويلبسوها
في الطواف وغيره ثم في تفسير الزينة قولان احدهما وهو قول جمهور المفسرين ان المراد
من الزينة هنا اللباس الذي يستر العورة والقول الثاني ذكره فخر الدين الرازي انه يتناول جميع
انواع الزينة فيدخل تحته جميع انواع الملبوس والحلي ولولا ان النص ورد بتحريم استعمال
الذهب والحرير على الرجال لدخل في هذا العموم ولكن ورد النص بتحريمه على الرجال دون
النسا والطيبات من الرزق يعني ومن حرم الطيبات من الرزق التي اخرجها الله لعباده وخلقها
لهم ثم ذكروا في معنى الطيبات في هذه الاية قولان احدها ان المراد بالطيبات اللحم والدسم
الذي كانوا يحرمونه على انفسهم ايام الحج يعظمون بذلك حجهم فرد الله عليهم بقوله قل من
حرم زينة الله التي اخرج لعباده والطيبات من الرزق والقول الثاني وهو قول ابن عباس
وقتادة ان المراد بذلك ما كان اهل الجاهلية يحرمونه من البحاير والسوايب قال ابن عباس
ان اهل الجاهلية كانوا يحرمون اشيا احلها الله من الرزق وغيره وهو قول الله تعالى قل ارايتم
ما انزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حراما وحلالا وهو هذا وانزل الله قل من حرم زينة الله
التي اخرج لعباده والطيبات من الرزق والقول الثالث ان الاية على العموم فيدخل تحته
كل ما يستلذ ويشتهى من سائر المطعومات الا ما ورد نص بتحريمه قل هي للذين امنوا يعني
قل يا محمد ان الطيبات التي اخرج الله من رزقه للذين امنوا في الحياة الدنيا غير خالصة لهم

لانه يشركهم فيها المشركون **خالصة** لهم **يوم القيامة** يعني لا يشركهم فيها احد لانه لا حظ للمشركين
يوم القيامة في الطيبات من الرزق وقيل معناه خالصة لهم يوم القيمة من التكدير والتنغيص
والغم لانه قد يقع لهم في الحيوة الدنيا في تناول الطيبات من الرزق كدر وتنغيص فاعلمهم الله انها
خالصة لهم في الاخرة من ذلك كله **كذلك نفصل الايات لقوم يعلمون** يعني كما بينت الحلال
مما احللت والحرام مما حرمت لقوم علموا اني انا الله وحدي لا شريك لي فاحلوا حلالي وحرموا حرامي
قوله عز وجل **قل انما حرم ربي الفواحش** جمع فاحشة وهي ما قبح وفحش من قول او فعل والمعنى
قل يا محمد لهولا المشركين الذين يتجردون من الثياب ويطوفون بالبيت عراة ويحرمون اكل الطيبات
مما احل الله لهم ان الله لم يحرم ما تحرمونه انتم بل احله الله لعباده وطيبه لهم وانما حرم ربي
الفواحش من الافعال والاقوال **ما ظهر منها وما بطن** يعني علانيته وسره **ق** عن عبد الله بن مسعود
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا احد اغير من الله من اجل ذلك حرم الفواحش ما ظهر منها
وما بطن ولا احد احب اليه المدح من الله من اجل ذلك مدح نفسه اصل الغيرة تغير القلب
وهيجان الحفيظة بسبب المشاركة فيما يختص به الانسان ومنه غيرة احد الزوجين على الاخر
لاختصاص كل واحد منهما بصاحبه ولا يرضى ان يشاركه احد فيه فلذلك يذب عنه ويمنعه
من غيره واما الغيرة في وصف الله تعالى فهو منعه من ذلك وتحريمه له ويدل على ذلك قوله ومن
غيرته حرم الفواحش وقد يحتمل ان تكون غيرته تغيير حال فاعل ذلك بعقاب والله اعلم وقوله عز وجل
والاثم يعني وحرم الاثم واختلفوا في الفرق بين الفاحشة والاثم فقيل الفواحش الكبائر
لانه قد تفاحش قبحها وتزايد والاثم عبارة عن الصغائر من الذنوب فعلى هذا
يكون معنى الاية قل انما حرم ربي الكبائر والصغائر وقيل الفاحشة اسم لما يجب فيه
الحد من الذنوب والاثم اسم لما لا يجب فيه الحد وهذا القول هو قريب من الاول واعترض
على هذين القولين بان الاثم في اصل اللغة الذنب فيدخل فيه الكبائر والصغائر وقيل
ان الفاحشة اسم للكبيرة والاثم اسم لمطلق الذنب سوا كان كبيرا او صغيرا والفائدة
فيه انه لما حرم الله الكبيرة بقوله انما حرم ربي الفواحش اردفه بتحريم مطلق الذنب
لئلا يتوهم ان التحريم مقصور على الكبائر فقط وقيل ان الفاحشة وان كانت بحسب اللغة
اسما لكل ما تفاحش من قول او فعل لكنه قد صار في العرف مخصوصا بالزنا لانه اذا اطلق
لفظ الفاحشة لم يفهم منه الا ذلك فوجب حمل لفظ الفاحشة على الزنا واما الاثم فقد
قيل انه اسم من اسما الخمر وهو قول الحسن وعطا قال الجوهري وقد يسمى الخمر اثما واستدل
عليه بقول الشاعر شربت الاثم حتى ضل عقلي كذاك الاثم يذهب بالعقول وقال ابن
سيده صاحب المحكم وعندي ان تسمية الخمر بالاثم صحيح لان شربها اثم وبهذا المعنى يظهر
الفرق بين اللفظين وانكر ابو بكر بن الانباري تسمية الخمر بالاثم قال لان العرب ما سمته اثما

قط

قط في جاهلية ولا اسلام ولكن قد يكون الخمر داخلا تحت الاثم لقوله قل فيهما اثم كبير
وقوله تعالى **والبغي** اي وحرم البغي والبغي هو الظلم والكبر والاستطالة على
الناس ومجاوزة الحد في ذلك كله ومعنى البغي بغير الحق هو ان يطلب ما ليس له بحق فاذا طلب
ما له بحق خرج ان يكون بغيا **وان تشركوا بالله** اي وحرم ان تشركوا بالله **ما لم ينزل به**
سلطانا هذا فيه تهكم بالمشركين والكفار لانه لا يجوز ان ينزل الله حجة وبرهانا بان يشرك
به غيره لان الاقرار بشي ليس على ثبوته حجة ولا برهان ممتنع فلما امتنع حصول الحجة
والبينة على صحة القول بالشرك وجب ان يكون باطلا على الاطلاق فان قلت البغي والاشراك
داخلان تحت الفاحشة والاثم لان الشرك من اعظم الفواحش واعظم الاثم وكذا البغي
ايضا من الفواحش والاثم قلت انما افردهما بالذكر للتنبيه على عظيم قبحهما كانه قال من
الفواحش المحرمة البغي والشرك فكانه بين جملة ثم تفصيله وقوله **وان تقولوا على الله ما لا**
تعلمون تقدم تفسيره قوله تعالى **ولكل امة اجل** الاجل الوقت الموقت لانقضا وقت
المهلة ثم في هذا الاجل المذكور في الاية قولان احدهما انه اجل العذاب والمعنى ان لكل امة
كذبت رسلها وقتا معينا واجلا مسمى امهلهم الى ذلك الوقت **فاذا جا اجلهم** يعني فاذا حل
وقت عذابهم **لا يستاخرون ساعة ولا يستقدمون** يعني فلا يؤخرون ولا يمهلون قدر ساعة
ولا اقل من ساعة وانما ذكرت الساعة لانها اقل اسما الاوقات في العرف وهو حين سالوا
نزول العذاب فاخبرهم الله ان لهم وقتا اذا جا ذلك الوقت وهو وقت هلاكهم واستيصالهم
فلا يؤخرون عنه ساعة ولا يستقدمون والقول الثاني ان المراد بهذا الاجل هو اجل الحياة
والعمر فاذا انقضى ذلك الاجل وحضر الموت فلا يؤخر ساعة ولا يتقدم ساعة وعلى هذا
القول يلزم ان يكون لكل واحد اجل لا يقع فيه تقديم ولا تاخير وانما قال تعالى لكل امة لتقارب
اعمار اهل كل عصر فكانهم كالواحد في مقدار العمر وعلى هذا القول ايضا يكون المقتول ميتا
باجله خلافا لمن يقول قطع عليه اجله قوله عز وجل **يا بني ادم اما ياتينكم رسل منكم** هي ان
الشرطية ضمت اليها ما موكدة لمعنى الشرط وجزا هذا الشرط هو الفا وما بعده من
الشرط والجزا وهو قوله فمن اتقى واصلح يعني منكم وانما قال رسل بلفظ الجمع وان كان المراد
به واحدا وهو النبي صلى الله عليه وسلم لانه خاتم الانبيا وهو مرسل الى كافة الخلق فذكره
بلفظ الجمع على سبيل التعظيم فعلى هذا يكون الخطاب في قوله يا بني ادم لاهل مكة ومن
يلحق بهم وقيل اراد جميع الرسل وعلى هذا فالخطاب في قوله يا بني ادم عام في كل بني ادم
وانما قال منكم يعني من جنسكم ومثلكم من بني ادم لان الرسول اذا كان من جنسهم كان اقطع
لعذرهم واثبت للحجة عليهم لانهم يعرفونه ويعرفون احواله فاذا اتاهم بما يليق بقدرته او
بقدرة امثاله علم ان ذلك الذي اتى به معجزة له وحجة على من خالفه **يقصون عليكم اياتي** يعني

يترون عليكم كتابي وادلة احكامي وشرايعي التي شرعت لعبادي فمن اتقى يعني فمن اتقى الشرك ومخالفة رسلي واصلح يعني العمل الذي امرته به رسلي فعمل بطاعتي وتجنب معصيتي وما نهيته عنه فلا خوف عليهم يعني حين يخاف غيرهم يوم القيمة من العذاب ولا هم يحزنون على ما فاتهم من دنياهم التي تركوها والذين كذبوا باياتنا ومن جحد اياتنا وكذب رسلنا واستكبروا عنها يعني واستكبروا عن الايمان بها وبما جاءت به رسلنا اوليك اصحاب النار هم فيها خالدون يعني لا يخرجون منها ابدا

قوله تعالى فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا يعني فمن اعظم ظلما ممن يقول على الله ما لم يقله او يجعل الله شريكا من خلقه وهو منزه عن الشريك والولد او كذب باياته يعني او كذب بالقران الذي انزله على عبده ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم اوليك ينالهم نصيبهم من الكتاب يعني ينالهم حظهم مما قدر لهم وكتب في اللوح المحفوظ واختلفوا في ذلك النصيب على قولين احدهما ان المراد به هو العذاب المعين لهم في الكتاب ثم اختلفوا فيه فقال الحسن والسدي ما كتب لهم من العذاب وقضى عليهم من سواد الوجوه وزرقة العيون وقال ابن عباس في رواية عنه كتب لمن يفتري على الله الكذب ان وجهه اسود وقال الزجاج هو المذكور في قوله فانذرتكم نارا تلظى وفي قوله اذ الاغلال في اعناقهم فهذه الاشيا هي نصيبهم من الكتاب على قدر ذنوبهم في الكفر والقول الثاني ان المراد بالنصيب المذكور في الكتاب هو شي سوى العذاب ثم اختلفوا فيه فقال ابن عباس في رواية اخرى عنه وعن مجاهد وسعيد بن جبير وعطية في قوله ينالهم نصيبهم من الكتاب قالوا هو السعادة والشقاوة وقال ابن عباس ما كتب عليهم من الاعمال وقال في رواية اخرى عنه من عمل خيرا جزي به ومن عمل شرا جزي به وقال قتادة جزا اعمالهم التي عملوها وقيل معنى ذلك ينالهم نصيبهم مما وعدوا في الكتاب من خير او شر قال مجاهد والضحاك وهو رواية عن ابن عباس ايضا وقال الربيع بن انس ينالهم ما كتب لهم في الكتاب من الرزق وقال محمد بن كعب القرظي عمله ورزقه وعمره وقال ابن زيد ينالهم نصيبهم من الكتاب من الاعمال والارزاق والاعمار فاذا فني هذا جاتهم رسلنا يتوفونهم وصحح الطبري هذا القول الاخير وقال لان الله تعالى اتبع ذلك بقوله حتى اذا جاتهم رسلنا يتوفونهم فبان ان الذي ينالهم هو ما قدر لهم في الدنيا فاذا فني توفتهم رسل ربهم قال الامام فخر الدين وانما حصل الاختلاف لان لفظ النصيب محتمل لكل الوجوه وقال بعض المحققين حمله على العمر والرزق اولى لانه تعالى بين انهم وان بلغوا في الكفر ذلك المبلغ العظيم فانه ليس بمانع ان ينالهم ما كتب لهم من رزق وعمر تفضلا من الله سبحانه وتعالى لكي يصلحوا ويتوبوا قوله تعالى حتى اذا جاتهم رسلنا يتوفونهم يعني حتى اذا جاتهم هولا الذين يفترون على الله الكذب رسلنا يعني ملك الموت واعوانه لقبض ارواحهم عند استكمال اعمارهم وارزاقهم لان لفظ الوفاة يفيد هذا المعنى قالوا يعني قال الرسل وهم الملايكة للكفار اينما كنتم تدعون من دون الله وهذا سوال توبيخ وتقريع وتبكيت لا سوال استعلام والمعنى اين الذين كنتم تعبدونهم من دون الله ادعوهم ليدفعوا عنكم

ما نزل بكم وقيل ان هذا يكون في الاخرة والمعنى حتى اذا جاتهم رسلنا يعني ملايكة العذاب يتوفونهم يعني يستوفون عددهم عند حشرهم الى النار قالوا اينما كنتم تدعون من دون الله يعني شركاوا وليا تعبدونهم من دون الله فادعوهم ليدفعوا عنكم ما جاءكم من امر الله قالوا يعني الكفار مجيبين للرسل ضلوا عنا يعني بطلوا وذهبوا عنا وتركونا عند حاجتنا اليهم فلم ينفعونا وشهدوا على انفسهم انهم كانوا كافرين يقول الله تعالى وشهد هولا الكفار عند معاينة العذاب انهم كانوا جاحدين وحدانية الله واعترفوا على انفسهم بذلك قوله عز وجل قال ادخلوا في امم قد خلت من قبلكم من الجن والانس يعني يقول الله عز وجل يوم القيمة لمن افترى عليه الكذب وجعل له شريكا من خلقه ادخلوا في امم يعني في جملة امم قد خلت يعني قد مضت وسلفت وانما قال قد خلت ولم يقل خلوا لانه اطلق الضمير على الجماعة يعني في جملة جماعات قد خلت من قبلكم من الجن والانس في النار اي ادخلوا جميعا في النار التي هي مستقركم وماواكم وانما عنى بالامم الجماعات والاحزاب واهل الملل الكافرة من الجن والانس كلما دخلت امة يعني كلما دخلت جماعة للنار لعنت اختها يعني كلما دخلت امة النار لعنت اختها من اهل ملتها في الدين لا في النسب قال السدي كلما دخلت اهل ملة النار لعنوا اصحابهم على ذلك الدين فيلعن المشركون المشركين واليهود اليهود والنصارى النصارى والصابيون الصابيين والمجوس المجوس تلعن الاخرة الاولى حتى اذا اداركوا فيها جميعا يعني تداركوا وتلاحقوا فيها جميعا يعني تلاحقوا واجتمعوا في النار جميعا وادرك بعضهم بعضا واستقروا في النار قالت اخراهم لاولاهم قال ابن عباس يعني قال اخر كل امة لاولها وقال السدي قالت اخراهم الذين كانوا في اخر الزمان لاولاهم الذين شرعوا لهم ذلك الدين وقال مقاتل يعني قال اخرهم دخولا النار وهم الاتباع لاولاهم دخولا وهم القادة لان القادة يدخلون النار اولا ربنا هولا اضلونا يعني يقول الاتباع ربنا هولا القادة والروسا اضلونا عن الهدى وزينوا لنا طاعة الشيطان وقيل انما قال المتاخرون ذلك لانهم كانوا يعتقدون تعظيم المتقدمين من اسلافهم فسلكوا سبيلهم في الضلالة واتبعوا طريقهم فيما كانوا عليه من الكفر والضلالة فلما كان يوم القيمة وتبين لهم فساد ما كانوا عليه قالوا ربنا هولا اضلوا فاتبعنا سبيلهم فاتهم عذابا ضعفا من النار اي اضعف عليهم العذاب قال ابو عبيدة الضعف هو مثل الشي مرة واحدة قال الازهري والذي قاله ابو عبيدة هو ما يستعمله الناس في مجاز كلامهم واما كتاب الله فهو عربي مبين ويرد تفسيره الى موضع كلام العرب والضعف في كلامهم ما زاد وليس بمقصور على مثلين وجايز في كلام العرب هذا ضعفه اي مثلاه وثلاثة امثاله لان الضعف في الاصل زيادة غير محصورة واولى الاشيا به ان يجعل عشرة امثاله فاقل

الضعف محصور وهو المثل واكثره غير محصور وقال الزجاج في تفسير هذه الاية
فاتهم عذابا ضعفا اى مضاعفا لان الضعف في كلام العرب على ضربين احدهما المثل والاخر
ان يكون في معنى تضعيف الشى اى زيادته قال يعني قال الله لكل ضعف يعني لاولاكم ضعف ولاخراكم
ضعف وقيل معناه للتابع ضعف وللمتبوع ضعف لانهم قد دخلوا في الكفر جميعا ولكن لا تعلمون
يعني ما اعد الله لكل فريق من العذاب للفريق الاخر قوله تعالى وقالت اولاهم يعني في الكفر وهم
القادة لاخراهم يعني للاتباع فما كان لكم علينا من فضل يعني قد ضللتم كما ضللنا وكفرتم كما كفرنا
وقيل في معنى الاية وقالت كل امة سلفت في الدنيا لاخراها الذين جاءوا من بعدهم فسلكوا
سبيل من مضى قبلهم فما كان لكم علينا من فضل وقد علمتم ما جانا من عقوبة الله بسبب كفرنا
ومعصيتنا اياه وجاتكم بذلك الرسل والنذر فما رجعتم عن ضلالتكم وكفركم فذوقوا العذاب
وهذا يحتمل ان يكون من قول القادة للاتباع والاولى للاخرى التي بعدها ويحتمل ان يكون من قول
الله يعني يقول الله للجميع فذوقوا العذاب بما كنتم تكسبون يعني بسبب ما كنتم تكسبون من
الكفر والاعمال الخبيثة قوله عز وجل ان الذين كذبوا باياتنا يعني كذبوا بدلايل التوحيد
فلم يصدقوا بها ولم يتبعوا رسلنا واستكبروا عنها اي وتكبروا عن الايمان بها والتصديق
بها وانفوا عن اتباعها والانقياد لها والعمل بمقتضاها تكبرا لا تفتح لهم ابواب السما يعني
لا تفتح لارواحهم اذا خرجت من اجسادهم ولا يصعد لهم الى الله عز وجل في وقت حياتهم
قول ولا عمل لان ارواحهم وافوالهم واعمالهم كلها خبيثة وانما يصعد الى الله تعالى الكلم الطيب
والعمل الصالح يرفعه قال ابن عباس لا تفتح ابواب السما لارواح الكفار وتفتح لارواح المومنين
وفي رواية عن ابن عباس قال لا يصعد لهم قول ولا عمل وقال ابن جريج لا تفتح ابواب السما
لارواحهم ولا لاعمالهم روى الطبري بسنده عن البرا بن عازب ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم ذكر قبض روح الفاجر فانه يصعد بها الى السما قال فيصعدون بها فلا يمرون على ملا
من الملايكة الا قالوا ما هذا الروح الخبيث قال فيقولون فلان باقبح اسمايه التي كان يدعى بها
في الدنيا حتى ينتهوا بها الى السما فيستفتحون له فلا يفتح له ثم قرا رسول الله صلى الله عليه
وسلم لا تفتح لهم ابواب السما ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط وقيل في معنى الاية
لا تنزل عليهم البركة والخير لان ذلك لا ينزل الا من السما فاذا لم تفتح لهم ابواب السما فلا ينزل
عليهم من البركة والخير والرحمة شي وقوله تعالى ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط
الولوج الدخول والجمل معروف وهو الذكر من الابل وسم الخياط ثقب الابرة قال الفرا الخياط
والمخيط ما يخاط به والمراد به الابرة في هذه الاية وانما خص الجمل بالذكر من بين ساير الحيوانات
لانه اكبر من ساير الحيوانات جسما عند العرب قال الشاعر جسم الجمال واحلام العصافير
وصفهم هجاه بهذا العظم الجسم مع صغر العقل فجسم الجمل من اعظم الاجسام وثقب الابرة

من اضيق

من اضيق المنافذ فكان ولوج الجمل مع عظم جسمه في ثقب الابرة الضيق محالا فكذلك دخول
الكفار الجنة محال ولما وصف الله دخولهم الجنة على حصول هذا الشرط وكان وقوع هذا الشرط
محالا ثبت ان الموقوف على المحال محال فوجب بهذا الاعتبار ان دخول الكفار الجنة مايوس
منه قطعا وقال بعض اهل المعاني لما علق الله دخولهم الجنة بولوج الجمل في سم الخياط
وهو خرق الابرة كان ذلك نفيا لدخولهم الجنة على التابيد وذلك لان العرب اذا علقت ما يجوز
كونه بما لا يجوز كونه استحال كون ذلك الجايز وهذا كقولك لا اتيك حتى يشيب الغراب ويبيض القار
ومنه قول الشاعر اذا شاب الغراب اتيت اهلي وصار القار كاللبن الحليب وقوله تعالى وكذلك
نجزي المجرمين اي ومثل الذي وصفنا نجزي المجرمين يعني الكافرين لانه تقدم من صفتهم انهم
كذبوا بايات الله واستكبروا عنها وهذه صفة الكفار فوجب حمل لفظ المجرمين على انهم هم
الكفار ولما بين الله عز وجل ان الكفار لا يدخلون الجنة ابدا بين انهم من اهل النار ووصف ما اعد
لهم فيها فقال تعالى لهم من جهنم مهاد يعني لهم من نار جهنم فراش واصل المهاد المهد الذي
المهد يقعد عليه ويضطجع عليه كالفراش والبساط ومن فوقهم غواش جمع غاشية وهو
الغطا كاللحاف ونحوه ومعنى الاية ان النار محيطة بهم من تحتهم ومن فوقهم قال محمد
ابن كعب القرظي والضحاك والسدي المهاد الفراش والغواش اللحف وكذلك نجزي الظالمين
يعني وكذلك نكافي ونثيب الكافرين الذين وضعوا العبادة في غير موضعها قوله عز وجل
والذين امنوا وعملوا الصالحات لا نكلف نفسا الا وسعها لما ذكر الله تعالى وعيد الكافرين
وما اعد لهم في الاخرة اتبعه بذكر وعد المومنين وما اعد لهم في الاخرة فقال والذين امنوا
وعملوا الصالحات يعني والذين صدقوا بالله ورسوله واقروا بما جاءهم به من وحي الله اليه
وتنزيله عليه من شرايع دينه وعملوا بما امرهم به واطاعوه في ذلك وتجنبوا ما نهاهم عنه
لا نكلف نفسا الا وسعها يعني لا نكلف نفسا الا ما يسعها من الاعمال وما سهل عليها
ودخل في طوقها وقدرتها وما لا حرج فيه عليها ولا ضيق قال الزجاج الوسع ما يقدر
عليه وقال مجاهد معناه الا ما افترض عليها يعني ان الذي افترض عليها من وسعها الذي
تقدر عليه وقد غلط من قال ان الوسع بذل المجهود قال اكثر اصحاب المعاني ان قوله تعالى
لا نكلف نفسا الا وسعها اعتراض وقع بين المبتدا والخبر والتقدير والذين امنوا وعملوا
الصالحات اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون وانما حسن وقوع هذا الكلام بين المبتدا والخبر
لانه من جنس هذا الكلام لانه تعالى لما ذكر عملهم الصالح ذكر ان ذلك العمل من وسعهم وطاقتهم
وغير خارج عن قدرتهم وفيه تنبيه للكفار على ان الجنة مع عظم قدرها ومحلها يتوصل اليها
بالعمل السهل من غير تحمل كلفة ولا مشقة صعبة وقال قوم من اصحاب المعاني موضعه رفع
من تمام الخبر والعايد محذوف كانه قال لا نكلف نفسا منهم الا وسعها فحذف العايد للعلم به

وقوله تعالى ونزعنا ما في صدورهم من غل يعني وقطعنا واخرجنا ما في صدور المومنين من غش وحسد وحقد وعداوة كانت بينهم في الدنيا ومعنى الاية ان لنا تلك الاحقاد التي كانت لبعضهم على بعض في الدنيا فجعلناهم اخوانا على سرر متقابلين لا يحسد بعضهم بعضا على شي خص الله به بعضهم دون بعض ومعنى نزع الغل تصفية الطبايع واسقاط الوساوس ومنعها عن ان ترد على القلب روى عن علي قال فينا والله اهل بدر نزلت ونزعنا ما في صدورهم من غل اخوانا على سرر متقابلين وروى عنه ايضا انه قال اني لارجو ان اكون انا وعثمان وطلحة والزبير من الذين قال الله فيهم ونزعنا ما في صدورهم من غل وقيل ان الحسد والغل يزول بدخولهم الجنة خ عن ابي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يخلص المومن من النار فيحبسون على قنطرة بين الجنة والنار فيقتص لبعضهم من بعض مظالم كانت بينهم في الدنيا حتى اذا هذبوا ونقوا اذن الله لهم في دخول الجنة فوالذي نفس محمد بيده لاحدهم اهدى بمنزله في الجنة منه بمنزله في الدنيا وقال السدي في هذه الاية ان اهل الجنة اذا سيقوا الى الجنة فبلغوا وجدوا عند بابها شجرة في اصل ساقها عينان فشربوا من احدهما فينزع ما في صدورهم من غل فهو الشراب الطهور واغتسلوا من الاخرى فجرت عليهم نضرة النعيم فلن يشعثوا ولن يشحبوا بعدها ابدا وقيل ان درجات الجنة متفاوتة في العلو والكمال فبعض اهل الجنة اعلى من بعض فاخرج الله تعالى الغل والحسد من صدورهم وازاله عنهم ونزعه من قلوبهم فلا يحسد صاحب الدرجة النازلة صاحب العالية واورد على هذا القول كيف يعقل بان الانسان يرى الدرجات العالية والنعم العظيمة وهو محجوب عنها ولا يصل اليها فكيف لا يميل بطبعه اليها ولا يغتم بسبب حرمانه عنها وان كان في نعيم ولذة واجيب عن هذا بان الله عز وجل قد وعد بازالة الحقد والحسد من قلوب اهل الجنة حتى تكمل لهم اللذة والسرور حتى ان احدهم لا يرى لنفسه الا في كمال وزيادة من النعيم الذي هو فيه فيرضى بما هو فيه ولا يحسد احدا ابدا وبهذا تم نعيمه ولذته وكمل سروره وبهجته وقوله تعالى تجري من تحتهم الانهار لما اخبر الله بما انعم على اهل الجنة من ازالة الغل والحسد والحقد من صدورهم اخبر بما انعم عليهم من اللذات والخيرات والمسرات وقالوا الحمد لله الذي هدانا لهذا يعني ان المومنين اذا دخلوا الجنة قالوا الحمد لله الذي وفقنا وارشدنا للعمل الذي هذا ثوابه وتفضل علينا به رحمة منه واحسانا فله الحمد على ذلك وصرف عنا عذاب جهنم بفضله وكرمه وما كنا لنهتدي لولا ان هدانا الله يعني وما كنا لنرشد لذلك العمل الذي هذا ثوابه لولا ان ارشدنا الله اليه ووفقنا بفضله ومنه وكرمه وفي الاية دليل على ان المهتدي من هداه الله ومن لم يهده الله فليس بمهتد لقد جاءت رسل ربنا بالحق يعني ان اهل النعيم اذا دخلوها وراوا ما اعد الله لهم فيها من

لنرشد

النعيم

النعيم قالوا لقد جاءت رسل ربنا بالحق يعني انهم راوا ما وعدهم الرسل عيانا ونودوا ان تلكم الجنة يعني ونادى مناد يا اهل الجنة ان هذه تلكم الجنة التي كانت الرسل وعدتكم بها في الدنيا واختلفوا في المنادي فقيل هو الله عز وجل وقيل الملايكة ينادون بامر الله عز وجل وقيل هذا النداء يكون في الجنة م عن ابي سعيد وابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا دخل اهل الجنة الجنة نادى مناد ان لكم ان تحيوا فلا تموتوا ابدا وان لكم ان تصحوا فلا تسقموا ابدا وان لكم ان تشبوا فلا تهرموا ابدا وان لكم ان تنعموا فلا تباسوا ابدا فذلك قوله عز وجل ونودوا ان تلكم الجنة اورثتموها بما كنتم تعملون وقوله تعالى اورثتموها بما كنتم تعملون روى ابو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما من احد الا وله منزل في الجنة ومنزل في النار فاما الكافر فانه يرث المومن منزله من النار والمومن يرث الكافر منزله من الجنة زاد في رواية فذلك قوله اورثتموها بما كنتم تعملون قال بعضهم لما سمى الله الكافر ميتا بقوله اموات غير احيا وسمى المومن حيا بقوله لينذر من كان حيا وفي الشرع ان الاحيا يرثون الاموات فقال اورثتموها يعني ان المومن حي وهو يرث الكافر منزله من الجنة لانه في حكم الميت وقيل معناه ان امرهم يؤول الى الجنة كما ان الميراث يوول الى الوارث وقيل اورثتموها عن الاعمال الصالحة التي عملتموها لان الجنة جعلت جزا وثوابا لهم على الاعمال ولا يعارض هذا القول ما ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لن يدخل الجنة احد بعمله وانما يدخلونها برحمة الله فان دخول الجنة برحمة الله واقسام الدرجات والمنازل بالاعمال وقيل ان العمل الصالح لن يناله المومن ولم يبلغه الا برحمة الله وتوفيقه واذا كان العمل الصالح سببه الرحمة لان دخول الجنة في الحقيقة برحمة الله وجعلها الله ثوابا وجزا لهم على تلك الاعمال الصالحة التي عملوها في دار الدنيا والله اعلم قوله تعالى ونادى اصحاب الجنة اصحاب النار يعني ونادى اهل الجنة اهل النار وهذا النداء انما يكون بعد استقرار اهل الجنة في الجنة واهل النار في النار تقول اهل الجنة يا اهل النار ان قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا يعني ما وعدنا في الدنيا على السنة رسله من الثواب على الايمان به وبرسله وطاعته حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا يعني من العذاب على الكفر قالوا نعم قال اهل النار مجيبين لاهل الجنة نعم وجدنا ذلك حقا فان قلت هذا النداء من كل اهل الجنة لكل اهل النار او من البعض للبعض قلت ظاهر قوله ونادى اصحاب الجنة اصحاب النار يفيد العموم والجمع اذا قابل الجمع يوزع الفرد على الفرد فكل فريق من اهل الجنة ينادي من كان يعرفه من الكفار في دار الدنيا فان قلت اذا كانت الجنة في السما والنار في الارض فكيف يمكن ان يبلغ هذا النداء وكيف يصح ان يقع قلت ان الله تعالى قادر على ان يقوي الاصوات والاسماع فيصير البعيد كالقريب وقوله تعالى فاذن موذن بينهم يعني نادى مناد واعلم لان اصل الاذان في اللغة الاعلام والمعنى نادى مناد اسمع الفريقين

وهذا المنادي من الملايكة وقيل انه اسرافيل صاحب الصور ذكره الواحدي ان لعنة الله على
الظالمين يعني يقول المؤذن ان لعنة الله على الظالمين ثم فسر الظالمين من هم فقال تعالى
الذين يصدون عن سبيل الله يعني الذين يمنعون الناس عن الدخول في دين الاسلام ويبغونها
عوجا يعني ويحاولون ان يغيروا دين الله وطريقته التي شرع لعباده ويبدلونها وقيل معناه انهم
يصلون لغير الله ويعظمون ما لم يعظمه الله وذلك انهم طلبوا سبيل الله بالصلاة لغير الله
وتعظيم ما لم يعظمه الله فاخطاوا الطريق وضلوا عن السبيل وهم بالاخرة كافرون يعني وهم بكون
الاخرة وافقه جاحدون منكرون لها قوله عز وجل وبينهما حجاب يعني وبين الجنة والنار وقيل بين
اهل الجنة واهل النار حجاب وهو المذكور في قوله تعالى فضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه
الرحمة وظاهره من قبله العذاب قال مجاهد الاعراف حجاب بين الجنة والنار وقال السدي وبينهما
حجاب هو السور وهو الاعراف وقوله وعلى الاعراف رجال الاعراف جمع عرف وهو كل مرتفع من
الارض ومنه قيل عرف الديك لارتفاعه على ما سواه من الجسد سمي بذلك لانه بسبب ارتفاعه
صار اعرف وابين مما انخفض وقال العبيدي انما سمي الاعراف لان اصحابه يعرفون الناس وقال ابن عباس
الاعراف الشي المشرف وعنه قال الاعراف سور كعرف الديك وعنه ان الاعراف تل بين الجنة والنار
يحبس عليه ناس من اهل الذنوب بين الجنة والنار واختلف العلما في صفة الرجال الذين اخبر الله
عنهم انهم على الاعراف وما السبب الذي صاروا من اجله هناك فروي عن حذيفة انه سيل عن
اصحاب الاعراف فقال هم قوم استوت حسناتهم وسياتهم فقصرت بهم سياتهم عن الجنة وخلفت
بهم حسناتهم عن النار فوقفوا هنالك على السور حتى يقضي الله فيهم قال بعضهم انما جعلوا على
الاعراف لانها درجة متوسطة بين الجنة والنار فهم لا من هولا ولا من هولا لكن الله يدخلهم
الجنة بفضله ورحمته لانه ليس في الاخرة دار الا الجنة والنار وقال ابن مسعود يحاسب الناس يوم
القيمة فمن كانت حسناته اكثر بواحدة دخل الجنة وان الميزان يخف ويثقل بمثقال حبة ومن استوت
حسناته وسياته كان من اصحاب الاعراف فوقفوا على الاعراف فاذا نظروا الى اهل الجنة نادوا سلام
عليكم واذا نظروا الى اهل النار قالوا ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين فهنالك يقول الله لم يدخلوها
وهم يطمعون فكان الطمع دخولا قال ابن مسعود ان العبد اذا عمل حسنة كتب له بها عشرة
واذا عمل سيئة لم تكتب الا واحدة ثم قال هلك من غلب احاده اعشاره وقال ابن مسعود
الاعراف سور بين الجنة والنار واصحاب الاعراف قوم استوت حسناتهم وسياتهم فهم بذلك
المكان حتى اذا اراد الله ان يعافيهم انطلق بهم الى نهر يقال له نهر الحياة حافتاه قصب الذهب مكلل
باللولو ترابه المسك فالقوا فيه حتى تصلح الوانهم وتبدو في نحورهم شامة بيضا يعرفون بها حتى اذا
صلحت الوانهم اتى بهم الرحمن تبارك وتعالى فقال تمنوا ما شئتم فيتمنون حتى اذا انقطعت امنيتهم
قال لهم لكم الذي تمنيتم ومثله سبعون ضعفا فيدخلون الجنة وفي نحورهم شامة بيضا يعرفون بها

يسمون مساكين اهل الجنة ذكره ابن جرير في تفسيره وقال شرحبيل بن سعد اصحاب الاعراف
قوم خرجوا في الغزو بغير اذن ابايهم ورواه الطبري بسنده الى يحيى بن شبل مولى بني هاشم عن
محمد بن عبد الرحمن عن ابيه قال سيل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن اصحاب الاعراف فقال هم
قوم قتلوا عصاة لابايهم فمنعهم قتلهم في سبيل الله عن النار ومنعهم معصية ابايهم ان يدخلوا
الجنة زاد في رواية فهم اخر من يدخل الجنة وذكر ابن الجوزي انهم قوم رضي عنهم اباوهم دون امهاتهم
او امهاتهم دون ابايهم ورواه عن ابراهيم وذكر عن ابي صالح مولى التوامة عن ابن عباس انهم اولاد الزنا وقيل
انهم الذين ماتوا في الفترة الله اعلم بحالهم وهو متولي امرهم وقيل انهم اولاد المشركين الذين ماتوا اطفالا
وهذا القول يرجع معناه الى القول الذي قبله لانه داخل في حكمه فهذه الاقوال على ان اصحاب الاعراف
دون اهل الجنة في الدرجات وان كانوا يدخلون الجنة برحمة الله وقال مجاهد اصحاب الاعراف قوم
صالحون فقها علما فعلى هذا القول انما يكون لبثهم على الاعراف على سبيل النزهة وليرى غيرهم
شرفهم وفضلهم وقيل انهم انبيا حكاه ابن الانباري وانما احبسهم الله على ذلك المكان العالي تمييزا
لهم على ساير اهل القيامة واظهار الفضلهم وعلو مرتبتهم وليكونوا مشرفين على اهل الجنة والنار ومطلعين
على احوالهم ومقادير ثواب اهل الجنة وعقاب اهل النار وقال ابو مجلز اصحاب الاعراف ملايكة
يعرفون الفريقين بسيماهم يعني يعرفون اهل الجنة واهل النار وقيل الا في مجاز ان الله تعالى يقول
وعلى الاعراف رجال وانت تقول انهم ملايكة فقال ان الملايكة ذكور ليسوا باناث وضعف الطبري
قول ابي مجلز فقال لان لفظ الرجال في لسان العرب لا يطلق الا على الذكور من بني ادم دون انا ثهم ودون
ساير الخلق وحاصل هذه الاقوال ان اصحاب الاعراف افضل من اهل الجنة لانهم اعلى منهم منزلة
وافضل وقيل انما احبسهم الله في ذلك المكان العالي ليميزوا بين اهل الجنة واهل النار والله
اعلم بمراده واسرار كتابه وقوله تعالى يعرفون كلا بسيماهم يعني ان اصحاب الاعراف يعرفون اهل الجنة
بسيماهم وذلك بياض وجوههم من نضرة النعيم عليها ويعرفون اهل النار بسيماهم وذلك سواد
وجوههم وزرقة عيونهم والسيما العلامة الدالة على الشي واصله من السمة قال ابن عباس اصحاب
الاعراف اذا راوا اصحاب الجنة عرفوهم ببياض الوجوه واذا راوا اصحاب النار عرفوهم بسواد
الوجوه فان قلنا ان اصحاب الاعراف من استوت حسناتهم وسياتهم وهم دون اهل الجنة في الدرجة
فاوقفهم الله على الاعراف ليكونوا درجة متوسطة بين الجنة والنار فاذا راوا اهل الجنة عرفوهم
ببياض وجوههم نادوهم ان سلام وهو قوله تعالى ونادوا اصحاب الجنة ان سلام عليكم يعني نادى
اصحاب الاعراف اصحاب الجنة ان سلام عليكم يعني سلمتم من الافات وحصل لكم الامن والسلامة واذا راوا
اهل النار يعرفونهم بسواد وجوههم قالوا ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين وان قلنا ان اصحاب
الاعراف هم الاشراف والافاضل من اهل الجنة كان جلوسهم على الاعراف ليطلعوا على احوال اهل
الجنة واهل النار ثم ينقلهم الله عز وجل الى الدرجات العالية في الجنة وقوله تعالى لم يدخلوها وهم

يطمعون يعني في دخول الجنة قال الحسن ما جعل الله ذلك الطمع في قلوبهم الا لكرامة يريدها بهم
وقوله تعالى واذا صرفت ابصارهم يعني واذا صرفت ابصار اصحاب الاعراف تلقاء اصحاب النار يعني
وجههم وحيالهم فنظروا اليهم والى سواد وجوههم وما هم فيه من العذاب قالوا ربنا لا تجعلنا
مع القوم الظالمين يعني الذين ظلموا انفسهم بالشرك وقال ابن عباس ان اصحاب الاعراف اذا نظروا الى اهل
النار عرفوهم قالوا ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين يعني ان اصحاب الاعراف اذا راوا اهل النار
وما هم فيه من العذاب تضرعوا الى الله وسالوه ان لا يجعلهم منهم ونادى اصحاب الاعراف رجالا يعني
ونادى اصحاب الاعراف رجالا كانوا عظما في الدنيا وهم من اهل النار يعرفونهم بسيماهم يعني بسيما
اهل النار قالوا يعني اصحاب الاعراف لهولا الذين عرفوهم من اهل النار ما اغنى عنكم جمعكم يعني ما كنتم
تجمعون من الاموال والعدد في الدنيا وما كنتم تستكبرون يعني وما اغنى تكبركم عن الايمان شيا قال
الكلبي ينادونهم وهم على السور يا وليد بن المغيرة يا ابا جهل بن هشام يا فلان يا فلان ثم ينظرون
الى الجنة فيرون فيها الفقرا والضعفا ممن كانوا يستهزون بهم مثل سلمان وصهيب وخباب وبلال
واشباههم فيقول اصحاب الاعراف لاوليك الكفار اهولا لفظ استفهام يعني هولا الضعفا الذين
اقسمتم بالله لا ينالهم الله برحمة يعني انكم حلفتم انهم لا يدخلون الجنة وقد دخلوا الجنة ثم يقول الله
لاصحاب الاعراف ادخلوا الجنة بفضلي ورحمتي لا خوف عليكم ولا انتم تحزنون وقيل ان اصحاب الاعراف
اذا قالوا لاهل النار ما اخبر الله عنهم قال لهم اهل النار ان اوليك دخلوا الجنة وانتم لم تدخلوها
فيعيرونهم بذلك ويقسمون انهم لا يدخلون الجنة ولا ينالهم الله برحمة فتقول الملايكة لاهل النار يعني اصحاب
الاعراف اهولا الذين اقسمتم لا ينالهم الله برحمة ثم تقول الملايكة لاصحاب الاعراف ادخلوا الجنة برحمة
الله لا خوف عليكم ولا انتم تحزنون قوله عز وجل ونادى اصحاب النار اصحاب الجنة ان افيضوا علينا
من الما قال ابن عباس لما صار اصحاب الاعراف الى الجنة طمع اهل النار في الفرج فقالوا يا ربنا ان لنا قرابات
من اهل الجنة فاذن لنا حتى نراهم ونكلمهم فياذن لهم فينظرون الى قراباتهم في الجنة وما هم فيه من النعيم
فيعرفونهم وينظر اهل الجنة الى قراباتهم من اهل النار فلم يعرفوهم لسواد وجوههم فينادي اصحاب
النار اصحاب الجنة باسمايهم فينادي الرجل اباه واخاه فيقول له قد احترقت افض علي من الما فيقال لهم اجيبوهم
فيقولون ان الله حرمهما على الكافرين ومعنى الاية ان اهل النار يستغيثون باهل الجنة اذا استقروا
فيها وذلك عند نزول البلا باهل النار وما يلقون من شدة العطش والجوع عقوبة من الله على ما سلف
منهم في الدنيا من الكفر والمعاصي يقول اهل النار لاهل الجنة يا اهل الجنة افيضوا علينا من الما يعني صبوا
علينا من الما او مما رزقكم الله قالوا يعني واطعمونا مما رزقكم الله ووسعوا علينا من الجنة طعام الجنة
فيجيبهم اهل الجنة ان الله حرمهما على الكافرين وهذا الجواب يفيد الحرمان قال بعضهم لما كانت شهواتهم
في الدنيا في لذة الاكل والشرب عذبهم الله في الاخرة بشدة الجوع والعطش فسالوا ما كانوا يعتادونه
في الدنيا من طلب الاكل والشرب فاجيبوا بان الله حرمهما على الكافرين يعني طعام الجنة وشرابها ثم

وصف الكافرين فقال تعالى الذين اتخذوا دينهم لهوا ولعبا يعني انهم كانوا
يتلاعبون بدينهم الذي شرع لهم ولهوا عنه واصل اللهو ما يشغل عما يعنيه ويهمه
يقال لهوت بكذا ولهيت عن كذا اي اشتغلت عنه قال ابن عباس هم المستهزون وذلك
انهم كانوا اذا دعوا الى الايمان سخروا ممن دعاهم اليه وهزوا به اغترارا بالله عز وجل
وقيل هو ما زين لهم الشيطان من تحريم البحاير والسوايب والمكا والتصدية حول
البيت وساير الخصال الذميمة التي كانوا يفعلونها في الجاهلية وقيل معنى اتخذوا دينهم
يعني عيدهم اتخذوه لهوا ولعبا لا يذكرون الله فيه وغرتهم الحياة الدنيا يعني وغرهم
عاجل ما هم فيه من خفض العيش والدعة وشغلهم ما هم فيه من ذلك عن الايمان بالله
ورسوله وعن الاخذ بنصيبهم من الاخرة حتى اتتهم المنية على ذلك والغرة غفلة
في اليقظة وهو طمع الانسان في طول العمر وحسن العيش وكثرة المال والجاه ونيل
الشهوات فاذا حصل لهم ذلك صار محجوبا عن الدين وطلب الخلاص لانه غريق في الدنيا
بلذاته وما هو فيه من ذلك ولما وصفهم الله بهذه الصفات الذميمة قال فاليوم يعني
يوم القيامة ننساهم كما نسوا لقا يومهم هذا يعني فاليوم نتركهم في العذاب المهين
جياعا عطاشا كما تركوا العمل للقا يومهم هذا وهذا قول ابن عباس ومجاهد والسدي
قال ابن عباس نسيهم من الخير ولم ينسهم من الشر وقيل معناه نعاملهم معاملة من نسي
فنتركهم في النار كما تركوا العمل واعرضوا عن الايمان فاعراض الناسي سمى الله تعالى جزا
نسيانهم بالنسيان على المجاز لان الله تعالى لا ينسى شيا فهو كقوله وجزا سيية سيية مثلها
فيكون المراد من هذا النسيان ان الله تعالى لا يجيب دعاهم ولا يرحم ضعفهم وذلهم
بل يتركهم في النار كما تركوا الايمان والعمل وما كانوا باياتنا يجحدون يعني ونتركهم في
النار كما كانوا بايات وحدانيتنا يكذبون قوله ولقد جيناهم بكتاب يعني ولقد جينا هولا
الكفار بالقران الذي انزلناه عليك يا محمد فصلناه على علم اي بيناه على علم منا بما نفصله
ونبينه هدى ورحمة لقوم يومنون اي جعلنا القران هاديا وذا رحمة لقوم يومنون
هل ينظرون الا تاويله يعني هل ينتظر هولا الكفار الذين كذبوا باياتنا وجحدوها ولم
يومنوا بها الا تاويله يعني هل ينتظرون ويتوقعون الا ما وعدوا به على السنة الرسل
من العذاب وان مصيرهم الى النار والتاويل ما يوول اليه الشي يوم ياتي تاويله يعني يوم
القيمة لانه يوم الجزا وما يوول اليه امورهم يقول الذين نسوه من قبل يعني يقول الذين
تركوا العمل بالقران ولم يومنوا به يوم القيمة عند معاينة العذاب قد جات رسل ربنا
بالحق اقروا على انفسهم واعترفوا حين لا ينفعهم ذلك الاعتراف والاقرار والمعنى ان
الكفار اقروا بان الذي جات به الرسل من الايمان والتصديق والحشر والنشر والبعث يوم القيمة

والثواب والعقاب حق وصدق وانما اقروا بهذه الاشيا لانهم شاهدوها معاينة
وذلك حين لا ينفعهم ولما راوا انفسهم في العذاب قالوا فهل لنا من شفعا فيشفعوا
لنا او نرد فنعمل غير الذي كنا نعمل يعني انه ليس لنا طريق الى الخلاص مما نحن فيه من العذاب
الا ان يشفع لنا شفيع عند ربنا فتقبل شفاعته فينا فنخلصنا من هذا العذاب او نرد
الى الدنيا فنعمل غير الذي كنا نعمل فيها فنبدل الكفر بالتوحيد والايمان والمعاصي بالطاعة
والانابة قد خسروا انفسهم يعني ان الذي طلبوه لا يحصل لهم فتبين خسرانهم وهلاكهم
انفسهم لانهم كانوا في الدنيا اول مرة فلم يعملوا بطاعة الله ولو ردوا الى الدنيا لعادوا
لما كانوا عليه من الكفر والعصيان لسابق علم الله فيهم وقوله وضل عنهم ما كانوا يفترون
يعني وبطل وذهب عنهم ما كانوا يزعمون ويكذبون في الدنيا من ان الاصنام تشفع لهم
فلما افضوا الى الاخرة ذهب ذلك عنهم وعلموا انهم كانوا في دعواهم كاذبين قوله عز وجل
ان ربكم الله يعني ان سيدكم ومالككم ومصلح اموركم والذي يوصل الخيرات ويدفع عنكم
المكاره هو الله الذي خلق السموات والارض في ستة ايام اصل الخلق في اللغة التقدير
المستقيم ويستعمل في ابداع الشي من غير اصل سبق ولا ابتدا تقدم فقوله خلق السموات
والارض يعني ابدعهما وانشا خلقهما على غير مثال وقد احوالهما في ستة ايام فان قلت اليوم
عبارة عن مقدار من الزمن وذلك المقدار هو من طلوع الشمس الى غروبها فكيف قال في
ستة ايام ولم يكن شمس ولا سما قلت معناه في مقدار ستة ايام فهو كقوله ولهم رزقهم
فيها بكرة وعشيا يعني مقادير البكرة والعشي في الدنيا لان الجنة لا ليل فيها ولا نهار
واختلف العلما في اليوم الذي ابتدا الله عز وجل بخلق الاشيا فقيل في يوم السبت
وهو قول محمد بن اسحاق وغيره ويدل على صحة هذا القول ما روى مسلم في افراده من حديث
ابي هريرة قال اخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيدي فقال خلق الله التربة يوم السبت
وخلق فيها الجبال يوم الاحد وخلق الشجر يوم الاثنين وخلق المكروه يوم الثلاثا
وخلق النور يوم الاربعا وخلق فيها الدواب يوم الخميس وخلق ادم بعد العصر من يوم
الجمعة في اخر الخلق في اخر ساعة من ساعات الجمعة فيما بين العصر والليل وهذا الحديث
وان كان في صحيح مسلم ففيه مقال وقد انكره بعض العلما لما فيه من المخالفة للاية الكريمة
لان الله تعالى يقول خلق السموات والارض وما بينهما في ستة ايام فدل ذلك بنص القران
على ان جميع الخلق تم وكمل في ستة ايام والذي في الحديث ان بعض الخلق وقع في سبعة
ايام وذلك مجموع ايام الاسبوع فلهذا السبب انكره من انكره من العلما وقد ذكر الازهري
في كتابه تهذيب اللغة ما يقوي الحديث فقال وقال ابن الانباري السبت القطع وسمي يوم السبت
لان الله تعالى ابتدا الخلق يوم السبت وقطع فيه بعض خلق الارض وقيل ان ابتدا الخلق كان

يوم الاحد

يوم الاحد وهو قول عبد الله بن سلام وكعب الاحبار والضحاك ومجاهد واختاره
ابن جرير الطبري قال الطبري خلق الله السموات والارض في ستة ايام وذلك يوم
الاحد والاثنين والثلاثا والاربعا والخميس والجمعة وروى بسنده عن مجاهد قال بدء الخلق
العرش والما والهوى وخلقت الارض من الما وبدء الخلق يوم الاحد والاثنين والثلاثا
والاربعا والخميس وجمع الخلق في يوم الجمعة وتهودت اليهود يوم السبت ويوم من الستة
الايام كالف سنة مما تعدون ويعضد هذا القول ما حكاه صاحب المحكم ابن سيدة قال
وسمي سابع الاسبوع سبتا لان ابتدا الخلق كان من يوم الاحد الى يوم الجمعة ولم يكن في
السبت خلق قال اصحاب الاخبار والسير والتواريخ ان الله عز وجل خلق التربة التي هي
الارض بلا دحو ولا بسط في يوم الاحد والاثنين ثم استوى الى السما فسواهن سبع سموات
في يومين وهما الثلاثا والاربعا ثم دحا الارض وبسطها ودحاها واخرج ماها ومرعاها
وخلق دوابها ووحشها وجميع ما فيها في يومين وهما الخميس والجمعة وخلق ادم في يوم الجمعة
اخر الخلق في اخر ساعة من ساعات الجمعة وقيل خلق الله عز وجل التربة يوم الاحد
ثم استوى الى السما فخلقها وجميع ما فيها يوم الاثنين والثلاثا ثم مد الارض ودحاها
يوم الاربعا والخميس وخلق ادم يوم الجمعة واسكنه الجنة هو وزوجته حوا ثم اهبطهما الى
الارض في اخر ساعة من يوم الجمعة وقيل اول ما خلق الله القلم ثم اللوح فكتب فيه ما كان
وما سيكون وما خلق وما هو خالق الى يوم القيامة ثم خلق الله الظلمة والنور ثم خلق
العرش ثم خلق السما من درة بيضا ثم خلق التربة ثم خلق الله السموات وما فيها من نجوم
وشمس وقمر ثم مد الارض وبسطها من التربة التي خلقها اولا ثم خلق جميع ما فيها من جبال
وشجر ودواب وغير ذلك ثم خلق ادم اخر الخلق في اخر ساعة من ساعات يوم الجمعة وفيه
اهبط الى الارض فتكامل جميع الخلق في ستة ايام كل يوم مقدار الف سنة وهذا قول
جمهور العلما وقيل في ستة ايام من ايام الدنيا فان قلت ان الله عز وجل قادر على ان يخلق
الخلق الجميع في لحظة واحدة ومنه قوله تعالى وما امرنا الا واحدة كلمح بالبصر فما الفايدة
في خلق السموات والارض في ستة ايام وما الحكمة في ذلك قلت ان الله عز وجل وان كان قادرا
على خلق جميع الاشيا في لحظة واحدة الا ان الله تعالى جعل لكل شي حدا محدودا ووقتا
معلوما فلا يدخل في الوجود الا في ذلك الوقت والمقصود من ذلك تعليم عباده التثبت
والتاني في الامور قال سعيد بن جبير كان الله عز وجل قادرا على خلق السموات في لمحة ولحظة
فخلقهن في ستة ايام تعليما لخلقه التثبت والتاني في الامور كما في الحديث التاني من الله والعجلة
من الشيطان وقيل ان الشي اذا احدث دفعة واحدة سهل ان يخطر ببال بعضهم ان ذلك
الشي انما وقع على سبيل الاتفاق فاذا احدث شيا بعد شي على سبيل المصلحة والحكمة كان

ذلك ابلغ في القدرة واقوى في الدلالة وقيل ان الله تعالى اراد ان يوقع في كل يوم امرا من امره
حتى تستعظمه الملائكة وغيرهم ممن شاهده وقيل ان التعجيل في الخلق ابلغ في القدرة والتثبت
ابلغ في الحكمة فاراد الله تعالى اظهار حكمته في خلق الاشيا بالتثبت كما اظهر قدرته في خلق
الاشيا بكن فيكون وقوله تعالى **ثم استوى على العرش** العرش في اللغة السرير وقيل هو ما علا فاظل
وسمي مجلس السلطان عرشا اعتبارا بعلوه ويكنى عن العز والسلطان والمملكة بالعرش على الاستعارة
والمجاز يقال فلان ثل عرشه بمعنى ذهب عزه وملكه وسلطانه قال الراغب في كتابه مفردات
القران وعرش الله عز وعلا مما لا يعلمه البشر الا بالاسم على الحقيقة وليس كما تذهب اليه اوهام
العامة فانه لو كان كذلك لكان حاملا له تعالى الله عن ذلك وليس كما قال قوم انه الفلك الاعلى
والكرسي فلك الكوكب واما استوى بمعنى استقر فقد رواه البيهقي في كتابه الاسما والصفات
بروايات كثيرة عن جماعة من السلف وضعفها كلها وقال اما الاستوا فالمتقدمون من اصحابنا
كانوا لا يفسرونه ولا يتكلمون فيه كنحو مذهبهم في امثال ذلك وروى بسنده عن عبد الله بن وهب
قال كنا عند مالك بن انس فدخل رجل فقال يا ابا عبد الله الرحمن على العرش استوى كيف استواوه
قال فاطرق مالك واخذته الرحضا ثم رفع راسه فقال الرحمن على العرش استوى كما وصف
نفسه ولا يقال له كيف وكيف عنه مرفوع وانت رجل سو صاحب بدعة اخرجوه فاخرج
الرجل وفي رواية يحيى بن يحيى قال كنا عند مالك بن انس فجا رجل فقال يا ابا عبد الله الرحمن
على العرش استوى كيف استواوه فاطرق مالك براسه حتى علاه الرحضا ثم قال الاستوا غير
مجهول والكيف غير معقول والايمان به واجب والسوال عنه بدعة وما اراك الا مبتدعا فامر به
ان يخرج وروى البيهقي بسنده عن ابن عيينة قال كلما وصف الله به نفسه في كتابه فتفسيره
تلاوته والسكوت عنه قال البيهقي والاثار عن السلف مثل هذا كثيرة وعلى هذه الطريقة يدل
مذهب الشافعي واليه ذهب احمد بن حنبل والحسين بن الفضل البجلي ومن المتاخرين ابو سليمان الخطابي
قال البغوي اهل السنة يقولون الاستوا على العرش صفة لله تعالى بلا كيف يجب على الرجل الايمان
به ويكل العلم به الى الله عز وجل وذكر حديث مالك بن انس مع الرجل الذي ساله عن الاستوا
وقد تقدم وروي عن سفيان الثوري والاوزاعي والليث بن سعد وسفيان بن عيينة وعبد الله
ابن المبارك وغيرهم من علما السنة في هذه الايات التي جاءت في الصفات المتشابهة امروها
كما جاءت بلا كيف وقال الامام فخر الدين الرازي بعد ذكره الدلايل العقلية والسمعية انه لا يمكن
حمل قوله تعالى ثم استوى على العرش على الجلوس والاستقرار وشغل المكان والحيز وعند هذا
حصل للعلما الراسخين مذهبان الاول ان نقطع بكونه تعالى متعاليا عن المكان والجهة ولا نخوض
في تاويل الاية على التفصيل بل نفوض علمها الى الله عز وجل وهو الذي قررنا في تفسير قوله
وما يعلم تاويله الا الله والراسخون في العلم يقولون امنا به وهذا المذهب هو الذي نختاره ونقول به

ونعتمد

ونعتمد عليه والمذهب الثاني ان نخوض في تاويله على التفصيل وفيه قولان ملخصان الاول ما ذكره
القفال فقال العرش في كلامهم هو السرير الذي يجلس عليه الملك ثم جعل العرش كناية عن نفس الملك يقال
ثل عرشه اي انتقض ملكه واذا استقام له ملكه واطرد امره وحكمه قالوا استوى على عرشه واستوى
على سرير ملكه هذا ما قاله القفال والذي قاله القفال حق وصواب ثم قال والله تعالى دل على ذاته
وصفاته وكيفية تدبيره العالم على الوجه الذي الفوه من ملوكهم واستقر في قلوبهم على عظمة الله
جل جلاله وكمال قدرته وذلك مشروط بنفي التشبيه والمراد منه نفاذ القدرة وجريان المشية قال
ويدل على صحة هذا قوله في سورة يونس ثم استوى على العرش يدبر الامر فقوله يدبر الامر جرى مجرى
التفسير لقوله استوى على العرش واورد على هذا القول بان الله تعالى لم يكن مستويا على الملك قبل خلق
السموات والارض والله تعالى منزه عن ذلك واجيب عنه بان الله تعالى كان قبل خلق السموات والارض
مالكا لكن لا يصح ان يقال شبع زيد الا بعد اكل الطعام فان فسر العرش بالملك صح ان يقال انه تعالى
انما استوى ملكه بعد خلق السموات والارض والقول الثاني ان يكون استوى بمعنى استولى وهذا
مذهب المعتزلة وجماعة من المتكلمين واحتجوا عليه بقول الشاعر ثم استوى بشر على العراق
من غير سيف ودم مهراق وعلى هذا القول انما خص العرش بالاخبار عنه بالاستيلا عليه لانه
اعظم المخلوقات ورد هذا القول بان العرب لا تعرف استوى بمعنى استولى وانما يقال استولى
فلان على كذا اذا لم يكن في ملكه ثم ملكه واستولى عليه والله تعالى لم يزل مالكا للاشيا كلها ومستوليا
عليها فاي تخصيص للعرش هنا دون غيره من المخلوقات ونقل البيهقي عن ابي الحسن الاشعري
ان الله تعالى فعل في العرش فعلا سماه استوا كما فعل في غيره فعلا سماه رزقا ونعمة وغيرهما من
افعاله ثم لم يكيف الاستوا الا انه جعله من صفات الفعل لقوله تعالى ثم استوى على العرش وثم
للتراخي والتراخي انما يكون في الافعال وافعال الله تعالى توجد بلا مباشرة منه اياها ولا حركة وحكى
الاستاذ ابو بكر بن فورك عن بعض اصحابنا انه قال الاستوا بمعنى علا من العلو قال ولا يريد بذلك العلو
بالمسافة والتحيز والكون في المكان متمكنا فيه ولكن يريد معنى نفي التحيز عنه وانه ليس مما يحويه طبق او
يحيط به قطر ووصف الله تعالى بذلك بطريقة الخبر ولا يتعدى ما ورد به الخبر قال البيهقي وهو على هذه
الطريقة من صفات الذات وكلمة ثم تعلقت بالمستوى عليه قال وقد اشار ابو الحسن الاشعري الى هذه الطريقة
حكاية فقال قال بعض اصحابنا انه صفة ذات قال وجوابي هو الاول وهو ان الله تعالى مستو على عرشه
وانه فوق الاشيا باين منها بمعنى انه لا تحله ولا يحلها ولا يماسها ولا يشبهها وليست البينونة بالعزلة
تعالى الله ربنا عن الحلول والمماسة علوا كبيرا وقد قال بعض اصحابنا ان الاستوا صفة الله تعالى
تنفي الاعوجاج عنه وروي ان ابن الاعرابي جاءه رجل فقال يا ابا عبد الله ما معنى قوله الرحمن على
العرش استوى فقال انه مستو على عرشه كما اخبر فقال الرجل انما معنى قوله استوى اي استولى فقال
له ابن الاعرابي ما يدريك العرب لا تقول استولى على الشي حتى يكون له فيه مضاد فايهما غلب فقد

غلب قد استولى عليه والله تعالى لا مضاد له فهو على عرشه كما اخبر لا كما يظنه البشر والله اعلم وقوله
يغشي الليل النهار يعني انه تعالى ياتي بالليل على النهار فيغطيه ويلبسه حتى يذهب بنوره وفيه
حذف تقديره ويغشي النهار الليل وانما لم يذكر النهار لدلالة الكلام عليه يطلبه حثيثا يعني
سريعا وذلك انه اذا كان يعقب احدهما الاخر ويخلفه فكانه يطلبه حكى الامام فخر الدين عن
القفال انه قال ان الله تعالى لما اخبر عباده باستوائه على العرش اخبر عن استمرار امور المخلوقات على وفق
مشيئته واراهم ذلك فيما يشاهدونه منها لينضم العيان الى الخبر وتزول الشبهة عن كل الجهات قال
الامام واعلم انه سبحانه وتعالى وصف هذه الحركة بالسرعة الشديدة وذلك لان تعاقب الليل
والنهار انما يحصل بحركة الفلك الاعظم وتلك الحركة اشد الحركات سرعة فان الانسان اذا كان
في اشد عدوه بمقدار رفع رجله ووضعها يتحرك الفلك الاعظم ثلاثة الاف ميل وهي الف فرسخ
فلهذا قال تعالى يطلبه حثيثا لسرعة حركته والشمس والقمر والنجوم مسخرات بامره معنى التسخير التذليل
وقال الزجاج وخلق هذه الاشياء جاريات في مجاريها بامره وقال المفسرون معنى تسخيرهن تذليلهن
لما يراد منهن من طلوع وغروب وسير ورجوع اذ ليسهن قادرات بانفسهن وانما هن متصرفات
على ارادة المدبر لهن الحكيم في تدبيرهن وتصريفهن على ما اراده منهن والمراد بالامر في قوله بامره نفاذ ارادته
لان الغرض من هذه تبيين عظمة قدرته ومنهم من حمل الامر على الامر الذي هو الكلام وقال انه تعالى
امر هذه الاجرام بالسير الدائم والحركة المستمرة الى انقضاء الدنيا وخراب هذا العالم فان قلت ان الشمس
والقمر من النجوم فلم افردهما بالذكر ثم عطف عليهما ذكر النجوم قلت انما افردهما بالذكر لبيان شرفهما
على سائر الكواكب لما فيهما من الاشراق والنور وسيرهما في المنازل لتعرف الاوقات فهو كقوله من كان
عدوا لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال فعطف جبريل وميكال على ذكر الملائكة وان كانا من الملائكة
لبيان شرفهما وفضلهما على غيرهما وقوله تعالى الا له الخلق والامر يعني له الخلق لانه خلقهم وله ان يامر
فيهم بما اراد وله ان يحكم فيهم بما شاء وعلى هذا المعنى الامر هنا الذي هو نقيض النهي واستخرج
سفيان بن عيينة من هذا المعنى ان كلام الله عز وجل ليس بمخلوق فقال ان الله تعالى فرق بين
الخلق والامر فمن جمع بينهما فقد كفر يعني ان من جعل الامر الذي هو كلامه من جملة ما خلقه فقد
كفر لان المخلوق لا يقوم بمخلوق مثله وقيل معناه ان جميع ما في العالم لله عز وجل والخلق له لانه خلقهم
وجميع الامور تجري بقضائه وقدره فهو مجريها ومنشيها فلا ينبغي بعد هذا لاحد شي وقيل المراد
بالامر هنا الارادة لان الغرض من الاية تعظيم القدرة وفي الاية دليل على انه لا خالق الا الله عز
وجل ففيه رد على من يقول ان للشمس والقمر والكواكب تاثيرات في هذا العالم فاخبر الله انه هو
الخالق المدبر لهذا العالم لا الشمس والقمر والكواكب وله الامر المطلق وليس لاحد امر غيره فهو الامر
والناهي الذي يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد لا اعتراض لاحد من خلقه عليه تبارك الله يعني تمجد وتعظم
وارتفع وقال الزجاج تبارك تفاعل من البركة ومعنى البركة الكثرة من كل خير وقيل معناه تعالى وتعظم

الله

الله رب العالمين يعني انه هو الذي يستحق التعظيم وذلك ان الله تعالى افتتح
هذه الاية بقوله ان ربكم الله الذي خلق السموات والارض وذكر اشيا من عظيم
خلقه وان له الخلق والامر والنهي والقدرة عليهم ختم الاية بالثنا عليه لانه هو المستحق
للمدح المطلق والثنا والتعظيم وقال ابن عباس معناه جا بكل بركة وقيل تبارك معناه
تقدس والتقدس الطهارة وقيل معناه تبارك باسمه يتبرك في كل شي وقال المحققون
معنى هذه الصفة ثبتت ودامت كما لم يزل ولا يزال واصل البركة الثبوت ويقال تبارك الله
ولا يقال متبارك ولا مبارك لانه لم يرد فيه التوقيف قوله عز وجل ادعوا ربكم قيل معناه
اعبدوا ربكم لان الدعا طلب الخير من الله تعالى وهذه صفة العبادة ولانه تعالى عطف
عليه قوله وادعوه خوفا وطمعا والمعطوف يجب ان يكون مغايرا للمعطوف عليه
وقيل المراد به حقيقة الدعا وهو الصحيح لان الدعا هو السوال والطلب وهو نوع من
انواع العبادة لان الداعي لا يقدم على الدعا الا اذا عرف من نفسه الحاجة الى ذلك
المطلوب وهو عاجز عن تحصيله وعرف ان ربه تبارك وتعالى يسمع الدعا ويعلم
حاجته وهو قادر على ايصالها الى الداعي فعند ذلك يعرف العبد نفسه بالعجز
والنقص ويعرف ربه بالقدرة والكمال وهو المراد من قوله تعالى تضرعا يعني ادعوا ربكم
تذللا واستكانة وهو اظهار الذل الذي في النفس والخشوع يقال ضرع فلان لفلان اذا ذل
له وخشع وقال الزجاج تضرعا يعني تملقا وحقيقته ان تدعوه خاضعين خاشعين
متعبدين بالدعا له تعالى وخفية يعني سرا في انفسكم وهو ضد العلانية والادب في
الدعا ان يكون خفيا لهذه الاية قال الحسن بين دعوة السر ودعوة العلانية سبعون ضعفا
ولقد كان المسلمون يجتهدون في الدعا ولا يسمع لهم صوت ان كان الا همسا بينهم وبين
ربهم وذلك انه تعالى يقول ادعوا ربكم تضرعا وخفية وان الله تعالى ذكر عبدا صالحا
ورضي فعله فقال تعالى اذ نادى ربه نداء خفيا ق عن ابي موسى الاشعري قال كنا مع رسول
الله صلى الله عليه وسلم فجعل الناس يجهرون بالتكبير فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ايها الناس اربعوا على انفسكم انكم لا تدعون اصم ولا غايبا انكم تدعون سميعا بصيرا
وهو معكم والذي تدعونه اقرب الى احدكم من عنق راحلته قال ابو موسى وانا خلفه
اقول لا حول ولا قوة الا بالله في نفسي فقال يا عبد الله بن قيس الا ادلك على كنز من كنوز الجنة
قلت بلى يا رسول الله قال لا حول ولا قوة الا بالله قوله صلى الله عليه وسلم اربعوا على انفسكم
يعني ارفقوا بها واقصروا عن الصياح في الدعا وقوله تعالى انه لا يحب المعتدين يعني في الدعا
وقال ابو مجلز هم الذين يسالون منازل الانبيا عن عبد الله بن مغفل انه سمع ابنه يقول اللهم اني
اسالك القصر الابيض عن يمين الجنة اذا دخلتها قال اي بني سل الله الجنة وتعوذ به من النار

فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول سيكون في هذه الامة قوم يعتدون في الطهور
والدعا اخرجه ابو داود وقال ابن جريج من الاعتدا رفع الصوت والندا والصياح في الدعا
وقيل الاعتدا مجاوزة الحد في كل شي فكل من خالف امر الله ونهيه فقد اعتدى ودخل تحت قوله
تعالى انه لا يحب المعتدين فرع بعض ارباب الطريقة على قوله تعالى ادعوا ربكم تضرعا وخفية
هل الافضل اظهار العبادات ام لا فذهب بعضهم الى ان اخفا العبادات والطاعات افضل
من اظهارها لهذه الاية ولكونه ابعد من الريا وذهب بعضهم الى ان اظهارها افضل ليقتدي
به الغير فيعمل مثل عمله وتوسط الشيخ محمد بن علي الحكيم الترمذي فقال ان كان خايفا على
نفسه من الريا فالاولى اخفا العبادات صونا للعمل عن البطلان وان كان قد بلغ في الصفا
وقوة اليقين الى التمكين بحيث صار مباينا عن شايبة الريا كان الاولى في حقه الاظهار لتحصل
فايدة الاقتدا وذهب بعضهم الى ان اظهار العبادات المفروضات افضل من اخفايها
فصلاة المكتوبة في المسجد افضل من صلاته في بيته وصلاة النفل في البيت افضل
من صلاته في المسجد وكذا اظهار الزكاة افضل من اخفايها واخفا صدقة التطوع
افضل من اظهارها ويقاس على هذا ساير العبادات قوله تعالى ولا تفسدوا في الارض
بعد اصلاحها يعني ولا تفسدوا ايها الناس في الارض بالمعاصي والكفر والدعا الى غير
طاعة الله بعد اصلاح الله اياها ببعثة الرسل وبيان الشرايع والدعا الى طاعة الله
عز وجل وهذا معنى قول الحسن والسدي والضحاك والكلبي وقال عطية لا تعصوا في الارض
فيمسك الله المطر ويهلك الحرث بسبب معاصيكم فعلى هذا يكون معنى قوله بعد اصلاحها
يعني بعد اصلاح الله اياها بالمطر والخصب وقيل معنى الاية ولا تفسدوا في الارض
شيا بعد ان اصلحه الله تعالى فيدخل فيه المنع من اتلاف النفس بالقتل او افسادها
بقطع بعض الاعضا وافساد الاموال بالغصب والسرقة واخذه من الغير بوجوه
الحيل وافساد الاديان بالكفر واعتقاد البدع والاهوا المضلة وافساد الانساب
بالاقدام على الزنا وافساد العقول بسبب شرب المسكر وذلك لان المصالح المعتبرة في
الدنيا هي هذه الخمسة فمنع الله من ادخال الفساد في ماهيتها وقوله وادعوه خوفا وطمعا
اصل الخوف انزعاج في الباطن لما لا يومن من المضارع وقيل هو توقع مكروه يحصل فيما بعد
والطمع توقع محبوب يحصل له والمعنى وادعوه خوفا منه ومن عقابه وطمعا فيما عنده
من جزيل ثوابه وقال ابن جريج معناه خوف العدل وطمع الفضل وقيل معناه ادعوه
خوفا من الريا والذكر في الدعا وطمعا في الاجابة فان قلت قال في اول الاية ادعوا ربكم
تضرعا وخفية وقال هنا وادعوه وهذا عطف الشي على نفسه فما الفايدة في ذلك
قلت الفايدة فيه ان المراد بقوله ادعوا ربكم اي ليكون الدعا مقرونا بالتضرع والاخبات وقوله

وادعوه

وادعوه خوفا وطمعا ان فايدة الدعا احد هذين الامرين فكانت الاية الاولى في بيان شرط
صحة الدعا والاية الثانية في بيان فايدة الدعا وقيل معناه كونوا جامعين في انفسكم
بين الخوف والرجا في اعمالكم كلها ولا تطمعوا انكم وفيتم حق الله في العبادة والدعا وان
اجتهدتم فيهما ان رحمة الله اصل الرحمة رقة تقتضي الاحسان الى المرحوم وتستعمل تارة
في الرقة المجردة وتارة في الاحسان المجرد عن الرقة واذا وصف بها الباري جل وعز فليس
يراد بها الا الاحسان المجرد دون الرقة فرحمة الله عز وجل عبارة عن الافضال والانعام
على عباده وايصال الخير اليهم وقيل هي عبارة عن ارادة ايصال الخير والنعمة الى عباده
فعلى القول الاول تكون الرحمة من صفات الافعال وعلى القول الثاني تكون من صفات الذات
قريب من المحسنين قال سعيد بن جبير الرحمة هاهنا الثواب فرجع النعت الى المعنى
دون اللفظ وقيل ان تانيث الرحمة ليس بحقيقي وما كان كذلك جاز فيه التانيث والتذكير
عند اهل اللغة وكون الرحمة قريبة من المحسنين لان الانسان في كل ساعة من الساعات
في ادبار عن الدنيا واقبال على الاخرة واذا كان كذلك كان الموت اقرب اليه من الحياة وليس
بينه وبين الرحمة التي هي الثواب في الاخرة الا الموت فانه قريب من الانسان قوله عز وجل
وهو الذي يرسل الرياح هذا عطف على ما قبله والمعنى ان ربكم الله الذي خلق السموات
والارض وهو الذي يرسل الرياح نشرا قرئ نشرا بالنون او جمع نشور وهي الريح الطيبة الهبوب
التي تهب من كل ناحية وقيل هو جمع ناشر يقال انشر الله الريح بمعنى احياها وقال الفرا النشر الريح الطيبة
اللينة التي تنشي السحاب وقال ابن الانباري المنتشرة الواسعة الهبوب وقيل النشر خلاف الطي فيحتمل
انها كانت بانقطاعها كالمطوية فانشرت بمعنى ارسلت وقرئ بشرا بالبا جمع بشرة وهي التي تبشر بالمطر
والريح هو الهوى المتحرك يمنة ويسرة والرياح اربع الصبا وهي الشرقية والدبور وهي الغربية
والشمال وهي التي تهب من تحت القطب الشمالي والجنوب وهي القبلية وعن ابن عمر ان الرياح ثمان
اربع منها عذاب وهي القاصف والعاصف والصرصر والعقيم واربع منها رحمة وهي الناشرات
والمبشرات والمرسلات والذاريات بين يدي رحمته يعني امام المطر الذي هو رحمته وانما سماه
رحمة لانه سبب لحياة الارض الميتة قال ابو بكر بن الانباري اليدان تستعملها العرب في المجاز على
معنى التقدمة تقول هذه تكون الفتن بين يدي الساعة يريدون قبل ان تقوم الساعة تشبيها
وتمثيلا اذ كانت يد الانسان تتقدمانه كذلك الرياح تتقدم المطر وتوذن به عن ابي هريرة
قال اخذت الناس ريح بطريق مكة وعمر حاج فاشتدت فقال عمر لمن حوله ما بلغكم في الريح فلم يرجعوا
اليه شيا وبلغني الذي سال عمر عنه من امر الريح فاستحثثت راحلتي حتى ادركت عمر وكنت في موخر
الناس فقلت يا امير المومنين اخبرت انك سالت عن الريح فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول الريح من روح الله تاتي بالرحمة وتاتي بالعذاب فاذا رايتموها فلا تسبوها واسالوا الله

من خيرها واستعيذوا بالله من شرها رواه الشافعي بطوله واخرج ابو داود المسند منه
وقال كعب الاحبار لو حبس الله الريح عن عباده ثلاثة ايام لانتن اكثر اهل الارض وقوله تعالى
حتى اذا اقلت سحابا ثقالا يعني اقل فلان الشي اذا حمله واشتقاق الاقلال من القلة فان
من يرفع شيئا يراه قليلا والسحاب جمع سحابة وهو الغيم فيه ما او لم يكن فيه ما سمي سحابا
لانسحابه في الهوى والمعنى حتى اذا حملت هذه الرياح سحابا ثقالا بما فيها من الما قال السدي
ان الله تبارك وتعالى يرسل الرياح فتاتي بالسحاب من بين الخافقين وهو طرف السما والارض
حيث يلتقيان فتخرجه من ثم تنشره فتبسطه في السما كيف يشا ثم تفتح له ابواب السما فيسيل
الما على السحاب ثم يمطر السحاب بعد ذلك وقيل ان الله تعالى دبر بحكمته ان الرياح تحرك
تحريكا شديدا فتثير السحاب ثم تضم بعضه الى بعض فيتراكم وينعقد ويحمل الما ثم تسوقه الى
حيث يشا الله عز وجل وهو قوله تعالى سقناه لبلد ميت يعني الى بلد فتكون اللام بمعنى الى وقيل
معناه لاجل حياة بلد ميت وانما قال سقناه لان لفظ السحاب مذكر وان كان جمع سحابة فكان
ورود الكناية عنه على سبيل التذكير جايزا نظرا الى اللفظ قال الازهري قال الليث البلد كل موضع
من الارض عامر او غير عامر خال او مسكون والطايفة منها بلدة والجمع بلاد ثم ادغيره والمفازة
تسمى بلدة لكونها مسكن للوحش والجن قال الاعمش وبلدة مثل ظهر الترس موحشة للجن بالليل في
حافاتها زجل ومعنى الاية انا سقنا السحاب الى بلد ميت يحتاج الى الما لم ينزل فيه غيث ولم ينبت
خضره فانزلنا به الما اختلفوا في الضمير في قوله تعالى به الى ماذا يعود فقال الزجاج وابن
الانباري جايز ان يكون المعنى فانزلنا بالبلد الميت الما وجايز ان يكون المعنى فانزلنا بالسحاب الما
لان السحاب له لانزال الما فاخرجنا به اي بذلك الما لان انزال الما كان سببا لاخراج الثمرات وقيل
يحتمل ان يكون المعنى فاخرجنا بذلك الميت من كل الثمرات يعني فاخرجنا بذلك البلد بعد موته
وجدوبه من اصناف الثمار والزروع كذلك نخرج الموتى يعني كما احيينا البلد الميت كذلك نخرج
الموتى احيا من قبورهم بعد فنايهم ودروس اثارهم واختلفوا في وجه التشبيه فقيل ان الله تعالى
كما يخلق النبات بواسطة انزال المطر كذلك يحيي الموتى بواسطة انزال المطر ايضا قال ابو هريرة
وابن عباس ان الناس اذا ماتوا في النفخة الاولى امطر عليهم ما من تحت العرش يدعى ما الحيوان اربعين
سنة فينبتون كما ينبت الزرع من الما وفي رواية اربعين يوما فينبتون في قبورهم نبات الزرع
حتى اذا استكملت اجسادهم نفخ فيهم الروح ثم يلقي عليهم النوم فينامون في قبورهم فاذا نفخ في
الصور النفخة الثانية عاشوا ثم يحشرون من قبورهم وهم يجدون طعم النوم في روسهم واعينهم
كما يجد النايم حين يستيقظ من نومه فعند ذلك يقولون يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا فيناديهم المنادي
هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون قال مجاهد اذا اراد الله ان يخرج الموتى امطر السما حتى تنشق
الارض ثم يرسل الارواح فتعود كل روح الى جسدها فكذلك يحيي الموتى بالمطر كاحيايه الارض

وقيل

وقيل انما وقع التشبيه باصل الاحيا والمعنى انه تعالى كما احيى هذه البلد الميت بعد خرابه
وموته فانبت فيه الزرع والشجر وجعل فيه الثمر كذلك يحيي الله الموتى ويخرجهم من قبورهم
احيا بعد ان كانوا امواتا ورمما بالية لان من قدر على اخراج الثمر الرطب من الخشب اليابس قادر
على ان يحيي الموتى ويخرجهم من قبورهم الى حشرهم ونشرهم لعلكم تذكرون الخطاب لمنكري
البعث يقول انكم شاهدتم الاشجار وهي مزهرة مورقة مثمرة في ايام الربيع والصيف
ثم انكم شاهدتموها يابسة عارية من تلك الازهار والاوراق والثمار ثم انه تعالى احياها
مرة اخرى فالقادر على احيايها بعد موتها قادر على احيا الاجسام بعد موتها والمعنى انما
وصفت ما وصفت من التشبيه والتمثيل لكي تعتبروا وتتذكروا وتعلموا ان من فعل ذلك
كان هو الذي يعبد ويخشى قوله تعالى والبلد الطيب يعني والارض الطيبة التربة
السهلة السمحة يخرج نباته باذن ربه يعني انه اذا اصابه المطر اخرج نباته باذن الله
عز وجل والذي خبث لا يخرج الا نكدا يعني والبلد الذي خبث ارضه فهي سبخة لا يخرج
يعني لا يخرج نباته الا نكدا يعني عسرا بمشقة وكلفة قال الشاعر يذم انسانا لا تنجز
الوعد ان وعدت وان اعطيت اعطيت تافها نكدا يعني بالتافه القليل وبالنكد
العسر ومعناه انك ان اعطيت اعطيت القليل بعسر ومشقة قال المفسرون هذا مثل
ضربه الله للمومن والكافر فشبه المومن بالارض الحرة الطيبة وشبه نزول القران على قلب
المومن بنزول المطر على الارض الطيبة فاذا نزل المطر عليها اخرجت انواع الازهار والثمار
وكذلك المومن اذا سمع القران امن به وانتفع به وظهرت منه الطاعات والعبادات
وانواع الاخلاق الحميدة وشبه الكافر بالارض الردية الغليظة السبخة التي لا ينتفع
بها وان اصابها المطر فكذلك الكافر اذا سمع القران لا ينتفع به ولا يصدقه ولا يزيده الا عتوا
وكفرا وان عمل الكافر حسنة في الدنيا كانت بمشقة وكلفة ولا ينتفع بها في الاخرة قال ابن
عباس هذا مثل ضربه الله للمومن يقول هو طيب وعمله طيب كما ان البلد الطيب ثمره طيب
ثم ضرب مثل الكافر كالبلدة السبخة المالحة التي خرجت منها البركة فالكافر خبيث
وعمله خبيث وقال مجاهد هذا مثل ضربه الله لادم وذريته كلهم منهم خبيث وطيب
ويدل على صحة هذا التاويل ما روي عن ابي موسى الاشعري قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ان مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل غيث اصاب ارضا فكانت منها
طايفة طيبة قبلت الما فانبتت الكلا والعشب الكثيرة وكانت منها اجادب امسكت الما
فنفع الله بها الناس فشربوا منها وسقوا وزرعوا واصاب طايفة منها اخرى انما هي قيعان
لا تمسك ما ولا تنبت كلا فذلك مثل من فقه في دين الله عز وجل ونفعه ما بعثني الله به
فعلم وعلم ومثل من لم يرفع بذلك راسا ولم يقبل هدى الله الذي ارسلت به اخرجاه في الصحيحين

وقوله تعالى كذلك نصرف الآيات لقوم يشكرون يعني كما ضربنا هذا المثل كذلك نبين الآيات الدالة على التوحيد والإيمان آية بعد آية وحجة بعد حجة لقوم يشكرون الله على إنعامه عليهم بالهداية وتجنبهم سبيل الضلالة وإنما خص الشاكرين بالذكر لأنهم هم الذين ينتفعون بسماع القرآن قوله عز وجل لقد أرسلنا نوحًا إلى قومه اعلم أن الله تعالى لما ذكر في الآيات المتقدمة دلائل آثار قدرته وغرائب خلقه وصنعته الدالة على توحيده وربوبيته وأقام الدلالة القاطعة على صحة البعث بعد الموت أتبع ذلك بقصص الأنبياء عليهم السلام وما جرى لهم مع أممهم وفي ذلك تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم لأنه لم يكن إعراض قومه عن قبول الحق فقط بل قد أعرض عنه غالب الأمم الخالية والقرون الماضية وفيه تنبيه على أن عاقبة أولئك الذين كذبوا الرسل كانت إلى الخسار والهلاك في الدنيا وفي الآخرة إلى العذاب العظيم فمن كذب محمدًا صلى الله عليه وسلم من قومه كانت عاقبته مثل أولئك الذين خلوا من قبلهم من الأمم المكذبة وفي ذكر هذه القصص دليل على صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم لأنه كان أميًا لا يقرأ ولا يكتب ولم يلق أحدًا من علماء زمانه وقد أتى بمثل هذه القصص والأخبار عن القرون الماضية والأمم الخالية بما لم ينكره عليه أحد علم بذلك أنه إنما أتى به من عند الله عز وجل وأنه أوحى إليه ذلك فكان ذلك دليلًا واضحًا وبرهانًا قاطعًا على صحة نبوته صلى الله عليه وسلم بقوله لقد أرسلنا نوحًا إلى قومه لقد أرسلنا جواب قسم محذوف تقديره والله لقد أرسلنا نوحًا وهو نوح ابن لمك بن متوشلخ بن أخنوخ وهو إدريس عليه السلام ومعنى أرسلنا نوحًا يعني بعثنا نوحًا وهو أول نبي بعثه الله بعد إدريس وكان نوح نجارًا وقيل معنى الإرسال أن الله تعالى حمله رسالة ليؤديها إلى قومه فعلى هذا التقدير فالرسالة تكون متضمنة للبعث أيضًا ويكون البعث كالتابع لأنه أصل قال ابن عباس بعثه الله وهو ابن أربعين سنة وقيل وهو ابن خمسين سنة وقيل وهو ابن مائتين وخمسين سنة وقيل وهو ابن مائة سنة قال ابن عباس سمي نوحًا لكثرة ما ناح على نفسه واختلفوا في سبب نوحه فقيل لدعوته على قومه بالهلاك وقيل لمراجعته ربه في شأن ابنه كنعان وقيل لأنه مر بكلب مجذوم فقال له اخسأ يا قبيح فأوحى الله إليه أعبتني أم عبت الكلب فقال يعني نوحًا لقومه يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره يعني اعبدوا الله فإنه هو الذي يستحق العبادة لا غيره فإنه ليس لكم إله معبود سواه فإنه هو الذي يستوجب أن تعبدوه إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم يعني إن لم تقبلوا ما أمرتكم من عبادة الله واتباع أمره وطاعته واليوم الذي خافه عليهم هو إما يوم الطوفان وإهلاكهم فيه أو يوم القيامة وإنما قال أخاف على الشك وإن كان على يقين من حلول العذاب بهم إن لم يؤمنوا به لأنه لم يعلم وقت نزول العذاب بهم أيعاجلهم أم يتأخر عنهم العذاب إلى يوم القيامة قال الملأ وهم الجماعة الأشراف من قومه إنا لنراك يعني يا نوح في ضلال مبين يعني في خطأ وزوال عن

الحق بين قال يعني نوحًا يا قوم ليس بي ضلالة يعني ما بي مما تظنون من الضلال ولكني رسول من رب العالمين يعني أرسلني إليكم لأنذركم وأخوفكم إن لم تؤمنوا به وهو قوله أبلغكم رسالات ربي وأنصح لكم يعني في تحذيري إياكم عقابه على كفركم إن لم تؤمنوا به وأنصح لكم يقال نصحته ونصحت له كما يقال شكرته وشكرت له والنصح إرادة الخير لغيره كما يريده لنفسه وقيل النصح تحري قول أو فعل فيه صلاح للغير وقيل حقيقة النصح تعريف وجه المصلحة مع خلوص النية من شوائب المكروه والمعنى أنه قال أبلغكم جميع تكاليف الله وشرائعه وأرشدكم إلى الوجه الأصلح والأصوب لكم وأدعوكم إلى ما دعاني إليه وأحب لكم ما أحب لنفسي قال بعضهم والفرق بين إبلاغ الرسالة وبين النصيحة هو أن تبليغ الرسالة هو أن يعرفهم جميع أوامر الله ونواهيه وجميع أنواع التكاليف التي أوجبها الله عليهم وأما النصيحة فهو أن يرغبهم في قبول تلك الأوامر والنواهي والعبادات ويحذرهم عقابه إن عصوه وأعلم من الله ما لا تعلمون يعني وأعلم أنكم إن عصيتم أمره عاقبكم بالطوفان والغرق في الدنيا ويعذبكم في الآخرة عذابًا عظيمًا وقيل أعلم أن مغفرة الله لمن تاب وعقوبته لمن أصر على الكفر وقيل لعل الله تعالى أطلعه على سر من أسراره فقال أعلم من الله ما لا تعلمون أوعجبتم الألف ألف استفهام والواو للعطف والمعطوف عليه محذوف وهذا الاستفهام استفهام إنكار معناه وعجبتم أن جاءكم ذكر من ربكم يعني وحي من ربكم على رجل منكم تعرفونه وتعرفون نسبه وذلك لأن كونه منهم يزيل التعجب وقيل المراد بالذكر الكتاب الذي أنزل الله على نوح عليه السلام سماه ذكرًا كما سمي القرآن ذكرًا وقيل المراد بالذكر المعجزة التي جاء بها نوح عليه السلام فعلى هذا تكون على بمعنى مع أي مع رجل منكم قال الفراء على هنا بمعنى مع لينذركم يعني جاءكم لأجل أن ينذركم ولتتقوا أي ولأجل أن تتقوا ولعلكم ترحمون لأن المقصود من إرسال الرسول الإنذار والمقصود من الإنذار التقوى عن كل ما لا ينبغي والمقصود بالتقوى الفوز بالرحمة في الدار الآخرة فكذبوه يعني فكذبوا نوحًا فأنجيناه يعني من الطوفان والغرق والذين معه يعني من آمن من قومه معه في الفلك يعني في السفينة وأغرقنا الذين كذبوا بآياتنا إنهم كانوا قومًا عمين قال ابن عباس عميت قلوبهم عن معرفة الله تعالى وقال الزجاج عموا عن الحق والإيمان يقال رجل عم في البصيرة وأعمى في البصر وأنشدوا قول زهير وأعلم ما في اليوم والأمس قبله ولكنني عن علم ما في غد عم قال مقاتل عموا عن نزول العذاب بهم وهو الغرق قوله تعالى وإلى عاد يعني وأرسلنا إلى عاد وهو عاد بن عوص بن إرم بن سام بن نوح وهي عاد الأولى أخاهم هودًا يعني أخاهم في النسب لا في الدين وهو هود بن عبد الله بن رباح بن الخلود بن عاد بن عوص وقال ابن إسحاق هو هود بن شالخ بن أرفخشد بن سام بن نوح واتفقوا على أن هودًا عليه السلام لم يكن أخاهم في الدين ثم اختلفوا في سبب الأخوة من أين حصلت فقيل إنه كان واحدًا من القبيلة فيتوجه قوله أخاهم لأنه واحد منهم وقيل إنه لم يكن من القبيلة ثم ذكروا في تفسير هذه الأخوة وجهين الأول قال الزجاج إنه كان من بني آدم ومن جنسهم لا من الملائكة ويكفي هذا القدر في تسمية الأخوة والمعنى أنا أرسلنا إلى عاد

واحدا من جنسهم من البشر ليكون الفهم والانس بكلامه اتم واكمل ولم يبعث اليهم من غير جنسهم
مثل الملك او الجن والثاني انه اخاهم بمعنى صاحبهم والعرب تسمي صاحب القوم اخاهم وكانت منازل
عاد بالاحقاف باليمن والاحقاف الرمل الذي عند عمان وحضرموت قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم
من اله غيره اي اعبدوا الله وحده ولا تجعلوا معه الها اخر فانه ليس لكم اله غيره والفرق بين قوله في
قصة نوح فقال وهنا قال ان نوحا كان مواظبا على دعوته قومه غير متوان فيها لان الفا تدل على التعقيب
واما هود فلم يكن كذلك بل كان دون نوح في المبالغة في الدعا فاخبر الله عنه بقوله قال يا قوم اعبدوا
الله ما لكم من اله غيره افلا تتقون يعني افلا تخافون عقابه بعبادتكم غيره ولما كانت هذه القصة
مسبوقة على قصة قوم نوح وقد علموا ما حل بهم من الغرق حسن قوله هنا افلا تتقون يعني افلا تخافون
ما نزل بهم من العذاب ولما لم يكن قبل واقعة قوم نوح شي حسن تخويفهم من العذاب فقال هناك اني
اخاف عليكم عذاب يوم عظيم قال الملا الذين كفروا من قومه انا لنراك في سفاهة يعني انا لنراك
يا هود في حمق وجهالة وضلالة عن الحق والصواب اخبر الله عن قوم نوح انهم قالوا له انا لنراك
في ضلال مبين واخبر عن قوم هود انهم قالوا له انا لنراك في سفاهة والفرق بينهما ان نوحا لما
خوف قومه بالطوفان وطفق في عمل السفينة فعند ذلك قال له قومه انا لنراك في ضلال مبين
حيث تتعب في اصلاح سفينة في ارض ليس فيها من الما شي واما هود عليه السلام فانه لما زيف
عبادة الاصنام ونسب من عبدها الى السفه وهو قلة العقل قابلوه بمثله فقالوا انا لنراك
في سفاهة وانا لنظنك من الكاذبين يعني في ادعايك انك رسول من رب العالمين قال يعني قال
هود لهولا الملا الذين نسبوه الى السفه يا قوم ليس بي سفاهة يعني ليس الامر كما تدعون ان بي سفاهة
ولكني رسول من رب العالمين يعني اليكم ابلغكم رسالات ربي يعني اودي اليكم ما ارسلني به من اوامره
ونواهيه وشرايعه وتكاليفه وانا لكم ناصح يعني فيما امركم به من عبادة الله عز وجل وترك ما سواه
امين يعني على تبليغ الرسالة واداء النصح والامين الثقة على ما اومن عليه حكى الله عن نوح وانصح
لكم وحكى عن هود وانا لكم ناصح امين فالاول بصيغة الفعل والثاني بصيغة اسم الفاعل والفرق
بينهما ان صيغة الفعل تدل على تجدده ساعة بعد ساعة فكان نوح يدعو قومه ليلا ونهارا
كما اخبر الله عنه بقوله قال رب اني دعوت قومي ليلا ونهارا فلما كان ذلك من عادته ذكره بصيغة
الفعل فقال وانصح لكم واما هود فلم يكن كذلك بل كان يدعوهم وقتا دون وقت فلهذا قال
وانا لكم ناصح امين ومدح النفس باعظم صفات المدح غير لايق بالعقلا وانما فعل هود
ذلك وقال هذا القول لانه كان يجب عليه اعلام قومه بذلك ومقصوده الرد عليهم في قولهم
وانا لنظنك من الكاذبين فوصف نفسه بالامانة وانه امين في تبليغ ما ارسل به من عند الله
ففيه تقرير للرسالة والنبوة وفيه دليل على جواز مدح الانسان نفسه في موضع الضرورة
الى مدحها اوعجبتم ان جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم يعني اعجبتم ان انزل الله وحيه على رجل

تعرفونه

تعرفونه لينذركم باس ربكم ويخوفكم عقابه واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح يعني واذكروا
نعمة الله عليكم اذ اهلك قوم نوح وجعلكم تخلفونهم في الارض وزادكم في الخلق بسطة يعني
طولا وقوة قال الكلبي والسدي كانت قامة الطويل منهم ماية ذراع وقامة القصير ستين ذراعا
وقيل سبعين ذراعا وعن ابن عباس ثمانين ذراعا وقال مقاتل اثني عشر ذراعا وقال وهب كان
راس احدهم مثل القبة العظيمة فاذكروا الاء الله يعني نعم الله وفيه اضمار تقديره واذكروا نعمة
الله عليكم واعملوا عملا يليق بذلك الانعام وهو ان تومنوا به وتتركوا ما انتم عليه من عبادة الاصنام
لعلكم تفلحون يعني لكي تفوزوا بالفلاح وهو البقا في الاخرة قالوا يعني قال قوم هود مجيبين له
اجيتنا يا هود لنعبد الله وحده ونذر ما كان يعبد اباونا يعني من الاصنام فاتنا بما تعدنا
يعني من العذاب ان كنت من الصادقين يعني في قولك انك رسول الله قال يعني قال هود مجيبا لهم
قد وقع يعني نزل ووجب عليكم من ربكم رجس وغضب اي عذاب وسخط اتجادلونني في اسماء سميتموها
انتم واباوكم يعني وضعتم لها اسما من عند انفسكم والمراد منه الاستفهام على سبيل الانكار عليهم
لانهم سموا الاصنام بالالهة وذلك معدوم فيهم ما انزل الله بها من سلطان يعني من حجة وبرهان على
هذه التسمية وانما سميتموها انتم من عند انفسكم بغير دليل فانتظروا يعني من العذاب اني معكم
من المنتظرين يعني نزول العذاب بكم فانجيناه يعني فانجينا هودا عند نزول العذاب بقومه والذين
معه برحمة منا يعني وانجينا اتباعه الذين امنوا معه وصدقوه لانهم كانوا مستحقين للرحمة وقطعنا
دابر الذين كذبوا باياتنا يعني واهلكنا الذين كذبوا هودا من قومه واراد بالايات معجزات هود
الدالة على صدقه وهذا هلاك استيصال فاهلكهم جميعا ولم يبق منهم احدا وما كانوا
مومنين يعني لانهم لم يكونوا مصدقين بالله ولا برسوله هود عليه السلام وكانت قصة عاد على ما
ذكره محمد بن اسحاق واصحاب السير والاخبار قالوا جميعا كانت منازل عاد وجماعتهم حين بعث
الله فيهم هودا عليه السلام الاحقاف والاحقاف الرمل فيما بين عمان وحضرموت من ارض اليمن
وكانوا قد فشوا في الارض كلها وقهروا اهلها بفضل قوتهم التي جعلها الله فيهم وكانوا اصحاب
اوثان يعبدونها من دون الله عز وجل صنم يقال له صدا وصنم يقال له صمود وصنم يقال له الهبا
فبعث الله عز وجل فيهم هودا عليه السلام وهو من اوسطهم نسبا وافضلهم فامرهم ان يوحدوا الله
ولا يجعلوا معه الها غيره وان يكفوا عن ظلم الناس لم يامرهم بغير ذلك فيما ذكر فابوا عليه وكذبوه وقالوا
من اشد منا قوة واتبعه منهم ناس فامنوا به وهم يسير يكتمون ايمانهم وكان ممن صدقه وامن به
رجل يقال له مرثد بن سعد بن عفير وكان يكتم ايمانه فلما عتوا على الله وكذبوا نبيهم واكثروا في
الارض الفساد وتجبروا وبنوا بكل ريع اية واتخذوا المصانع لعلهم يخلدون فلما فعلوا ذلك
امسك الله عنهم المطر ثلاث سنين حتى جهدهم ذلك وكان الناس في ذلك الزمان اذا نزل بهم بلا
وجهد يطلبون الفرج من الله عز وجل وذلك عند بيته الحرام بمكة مومنهم ومشركهم وكان يجتمع بمكة

ناس كثير مختلفة اديانهم وكلهم يعظم مكة معترف بحرمتها ومكانها من الله عز وجل وكان
البيت معروفا مكانه من الحرم وكان سكان مكة يومئذ العماليق وانما سموا العماليق لان اباهم
كان عمليق بن لاوذ بن سام بن نوح وكان سيد العماليق يومئذ رجل يقال له معوية بن بكر وكانت
ام معوية كلهدة بنت الخيبري وهو رجل من عاد وكانت عاد اخوال معوية سيد العماليق فلما
قحط عاد وقل عنهم المطر قالوا جهزوا منكم وفدا الى مكة ليستسقوا لكم فانكم قد هلكتم
فبعثوا قيل بن عنتر ولقيم بن هزال بن هزيل وعتيل بن ضد بن عاد الاكبر ومرثد بن سعد بن
عفير وكان مسلما يكتم اسلامه وجهلمة بن الخيبري خال معوية بن بكر سيد العماليق ولقمان بن عاد
فانطلق كل رجل من هولاء القوم ومعه جماعة من قومه فبلغ عدد وفد عاد سبعين رجلا فلما
قدموا مكة نزلوا على معوية بن بكر وهو بظاهر مكة خارجا عن الحرم فانزلهم واكرمهم وكانوا
اخواله واصهاره فاقاموا عنده شهرا يشربون الخمر وتغنيهم الجرادتان وهما قينتان لمعوية
بن بكر فلما راى معاوية بن بكر طول مقامهم عنده وقد بعثهم قومهم يتغوثون لهم من البلا الذي
اصابهم شق ذلك عليه وقال هلك اخوالي واصهاري وهولا مقيمون عندي وهم ضيفي نازلون
علي والله ما ادري كيف اصنع فاني استحي ان امرهم بالخروج لما بعثوا اليه فيظنون انه
ضيق مني بمكانهم عندي وقد هلك من وراهم من قومهم جهدا وعطشا قال وشكا ذلك من
امرهم الى قينتيه الجرادتين فقالتا قل شعرا نغنيهم به ولا يدرون من قاله لعل ذلك ان يحركهم
فقال معاوية • الا يا قيل ويحك قم فهينم • لعل الله يمنحنا غماما • فيسقي ارض عاد ان عادا
قد امسوا لا يبينون الكلاما • من العطش الشديد فليس نرجوا • به الشيخ الكبير ولا الغلاما
وقد كانت نساوهم بخير • فقد امست نساوهم عياما • وان الوحش تاتيهم جهارا • ولا تخشى
لعادي سهاما • وانتم ها هنا فيما اشتهيتم • نهاركم وليلكم التماما • فقبح وفدكم من
وفد قوم • ولا لقوا التحية والسلاما • فلما قال معاوية هذا الشعر وغنتهم به الجرادتان
وسمع القوم ما غنتا به قال بعضهم لبعض يا قوم انما بعثكم قومكم لتتغوثوا لهم من هذا البلا
الذي نزل بهم وقد ابطاتم عليهم فادخلوا الحرم واستسقوا لقومكم فقال مرثد بن سعد بن عفير
انكم والله لا تسقون بدعائكم ولكن ان اطعتم نبيكم وانبتم الى ربكم سقيتم واظهر اسلامه عند
ذلك وقال شعرا • عصت عاد رسولهم فامسوا • عطاشا ما تبلهم السما • لهم صنم يقال له صمود
يقابله صدا والهبا • فبصرنا الرسول سبيل رشد • فابصرنا الهدى وجلى العما • وان اله هود
هو الهي • على الله التوكل والرجا • زاد في رواية • لقد حكم الاله وليس جورا • وحكم الله اذ غلب
الهوا • على عاد وعاد شر قوم • فقد هلكوا وليس لهم بقاء • واني لن افارق دين هود • طوال الدهر
او ياتنا الفنا • فقال جهلمة بن الخيبري مجيبا لمرثد بن سعد حين فرغ من مقالته وعرف انه قد
اتبع دين هود وامن به • ايا سعد فانك من قبيل • ذوي كرم وانك من ثمود • فانا لا نطيعك ما بقينا

ولسنا

ولسنا فاعلين لما تريد • اتامرنا لنترك دين رفد • ورمل وال صدا والصمود • ونترك
دين اباء كرام • ذوي راي ونتبع دين هود • ثم قال جلهمة لمعاوية بن بكر وابنه بكر احبسا
عنا مرثدا فلا يقدم معنا مكة فانه قد تبع دين هود وترك ديننا ثم خرجوا الى مكة
يستسقون بها لعاد فلما ولوا الى مكة خرج مرثد بن سعد من منزل معاوية بن بكر حتى
ادركهم بمكة قبل ان يدعوا الله عز وجل بشي مما خرجوا اليه فلما انتهى اليهم قام يدعو
الله وبها وفد عاد يدعون فقال مرثد اللهم اعطني سولي وحدي ولا تدخلني فيما يدعوك
به وفد عاد وقام قيل بن عنتر راس وفد عاد يدعو فقال اللهم اعط قيلا ما سالك وقال
الوفد معه واجعل سولنا مع سوله وكان قد تخلف عن وفد عاد لقمان بن عاد وكان
سيد عاد حتى اذا فرغوا من دعوتهم قام لقمان فقال اللهم اني جيتك وحدي في حاجتي
فاعطني سولي وسال طول العمر فعمر عمر سبعة انسر وقال قيل بن عنتر حين دعا يا الهنا
ان كان هود صادقا فاسقنا فانا قد هلكنا فانشا الله تعالى سحايب ثلاثا بيضا
وحمرا وسودا ثم ناداه مناد من السحايب يا قيل اختر لقومك ولنفسك من هذه
السحايب فقال قيل قد اخترت السحابة السودا فانها اكثر السحايب ما فنادى مناد
اخترت رمادا رمددا لا تبقي من العاد احدا وساق الله السحابة السودا التي اختارها
قيل بما فيها من النقمة الى عاد حتى خرجت عليهم من واد لهم يقال له المغيث فلما راوها استبشروا
بها وقالوا هذا عارض ممطرنا يقول الله عز وجل بل هو ما استعجلتم به ريح فيها عذاب اليم
تدمر كل شي اي كل شي مرت عليه بامر ربها وكان اول من ابصر ما فيها وعرف انها ريح مهلكة
امراة من عاد يقال لها مهدد فلما عرفت ما فيها من العذاب صاحت ثم صعقت فلما ان
افاقت قالوا لها ما ذا رايت قالت رايت الريح فيها كشهب النار امامها رجال يقودونها
فسخرها الله عليهم سبع ليال وثمانية ايام حسوما فلم تدع من العاد احدا الا اهلكته
واعتزل هود ومن معه من المومنين في حضيرة ما يصيبه ومن معه من الريح الا ما تلين
عليه الجلود وتلذ به الانفس وانها لتمر بالظعن من عاد فتحملهم بين السماء
والارض وتدمغهم بالحجارة وخرج وفد عاد من مكة حتى مروا بمعاوية بن بكر فنزلوا عليه
فبينما هم عنده اذ اقبل اليه رجل على ناقة له في ليلة مقمرة وذلك مسا ثالثة من مصاب
عاد فاخبرهم الخبر فقالوا له فاين فارقت هودا واصحابه فقال فارقتهم بساحل البحر
فكانهم شكوا فيما حدثهم به فقالت هذيلة بنت بكر صدق ورب الكعبة وقال السدي بعث
الله عز وجل على عاد الريح العقيم فلما دنت منهم نظروا الى الابل والرجال تطير بهم الريح
بين السما والارض فلما راوها تبادروا الى البيوت فدخلوها واغلقوا الابواب فجاءت
الريح ففلعت ابوابهم ودخلت عليهم فاهلكتهم فيها ثم اخرجتهم من البيوت فلما اهلكتهم

ارسل الله تعالى عليهم طيرا اسود فنقلتهم الى البحر فالقتهم فيه وقيل ان الله تعالى امر
الريح فامالت عليهم الرمال فكانوا تحتها سبع ليال وثمانية ايام يسمع لهم انين تحت الرمل
ثم امر الريح فكشفت عنهم الرمل ثم احتملتهم فرمت بهم في البحر ولم تخرج ريح قط الا بمكيال
الا يوم هود فانها عتت على الخزنة فغلبتهم فلم يعلموا كم كان مكيالها وفي الحديث انها خرجت
على مثل خرق الخاتم وقيل ان مرثد بن سعد ولقمان بن عاد وقيل بن عتر حين دعوا بمكة قيل
لهم قد اعطيتم مناكم فاختاروا لانفسكم غير انه لا سبيل الى الخروج ولا بد من الموت
فقال مرثد اللهم اعطني برا وصدقا فاعطي ذلك وقال لقمان اللهم اعطني عمرا فقيل له اختر
عمر سبعة انسر فكان يخرج فياخذ الفرخ حين يخرج من البيضة وكان ياخذ الذكر لقوته
فيربيه حتى يموت فاذا مات اخذ غيره فلم يزل يفعل ذلك حتى اتى على السابع وكان كل
نسر يعيش ثمانين سنة وكان السابع من النسور اسمه لبد فلما مات لبد مات لقمان معه واما
قيل فانه اختار لنفسه ما يصيب قومه فقيل له انه الهلاك فقال لا ابالي لا حاجة
لي في البقاء بعد قومي فاصابه الذي اصاب عادا فهلك ومن معه من الوفد الذين خرجوا يستسقون
لعاد فاتت الريح لما خرجوا من الحرم فاهلكتهم جميعا فلما اهلك الله عادا ارتحل هود ومن
معه من المومنين بعد هلاك قومه الى موضع يقال له الشحر من بلاد اليمن فنزل هناك ثم ادركه
الموت فدفن بارض حضرموت يروى عن علي بن ابي طالب ان قبر هود عليه السلام بحضرموت
في كثيب احمر وقال عبد الرحمن بن سابط بين الركن والمقام وزمزم قبر تسعة وتسعين نبيا
وان قبر هود وصالح وشعيب واسماعيل في تلك البقعة ويروى ان كل نبي من الانبيا
اذا هلك قومه جا هو والصالحون من قومه معه الى مكة يعبدون الله حتى يموتوا بها قوله
عز وجل **والى ثمود اخاهم صالحا** يعني وارسلنا الى ثمود وهو ثمود بن جاثر بن ارم بن سام
ابن نوح وهو اخو جديس بن عابر وكانت مساكن ثمود الحجر بين الحجاز والشام الى وادي
القرى وما حوله ومعنى الكلام والى بني ثمود اخاهم صالحا لان ثمود قبيلة قال ابو عمرو
ابن العلا سميت ثمود لقلة مايها والثمد الما القليل وقيل سموا ثمود باسم ابيهم الذي
ينسبون اليه اخاهم صالحا يعني في النسب لا في الدين وهو صالح بن عبيد بن اسيف بن ماشخ
ابن عبيد بن جاذر بن ثمود **قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره** يعني قال لهم صالح حين
ارسله الله اليهم يا قوم وحدوا الله ولا تشركوا به شيا فما لكم من اله يستحق ان يعبد سواه
قد جاتكم بينة من ربكم يعني جاتكم حجة من ربكم وبرهان على صدق ما اقول وادعو اليه من
عبادة الله تعالى وعلى تصديقي باني رسول من الله اليكم ثم فسر تلك البينة فقال **هذه ناقة
الله لكم اية** يعني انها علامة على صدقي قال العلما ووجه كون هذه الناقة اية على صدق
صالح ومعجزة له خارقة للعادة خرجت من صخرة في الجبل وكونها لا من ذكر ولا من انثى وكمال

خلقها من غير حمل ولا تدريج لانها خلقت في ساعة وخرجت من الصخرة وقيل لانه كان
لها شرب يوم ولجميع قبيلة ثمود شرب يوم وهذا من المعجز ايضا لان ناقة تشرب ما يشربه
قبيلة معجز وكانوا يحلبونها في يوم شربها قدر ما يكفيهم جميعهم وتقوم لهم مقام الما وهذا
ايضا معجز وقيل ان ساير الوحوش والحيوانات كانت تمتنع من شرب الما في يوم شرب الناقة
وتشرب الحيوانات الما في غير يوم الناقة وهذا ايضا معجز وانما اضافها الى الله في قوله هذه
ناقة الله على سبيل التفضيل والتشريف كما يقال بيت الله وقيل لان الله خلقها بغير
واسطة ذكر وانثى وقيل لانه لم يملكها احد الا الله تعالى وقيل لانها كانت حجة الله على
قوم صالح **فذروها تاكل في ارض الله** يعني فذروا الناقة تاكل العشب من ارض الله فان الارض لله
والناقة ايضا لله وليس لكم في ارض الله شي لانه هو الذي انبت فيها العشب **ولا تمسوها بسو**
يعني ولا تطردوها ولا تقربوها بشي من انواع الاذى ولا تعقروها **فياخذكم عذاب اليم** يعني
بسبب عقرها واذاها **واذكروا اذ جعلكم خلفا من بعد عاد** يعني ان الله اهلك عادا وجعلكم
تخلفونهم في الارض وتعمرونها **وبوأكم** يعني واسكنكم وانزلكم **في الارض تتخذون من سهولها قصورا**
يعني تبنون القصور من سهول الارض لان القصور انما تبنى من اللبن والاجر المتخذ من الطين السهل
اللين **وتنحتون الجبال بيوتا** يعني وتشقون بيوتا من الجبال وقيل كانوا يسكنون السهول في الصيف
والجبال في الشتا وهذا يدل على انهم كانوا متنعمين مترفهين **فاذكروا الا الله** اي فاذكروا نعم الله عليكم
واشكروه عليها **ولا تعثوا في الارض مفسدين** قال قتادة معناه ولا تسيروا في الارض مفسدين
والعيث اشد الفساد وقيل اراد به النهي عن عقر الناقة وقيل هو على ظاهره فيدخل فيه النهي عن
جميع انواع الفساد **قال الملا الذين استكبروا من قومه** يعني قال الاشراف الذين تعظموا عن الايمان
بصالح **للذين استضعفوا** منهم يعني المساكين **لمن امن منهم** يعني قال الاشراف المتعظمون في انفسهم
لاتباعهم الذين امنوا بصالح وهم الضعفا من قومهم **اتعلمون ان صالحا مرسل من ربه** يعني ان الله ارسله
الينا واليكم **قالوا انا بما ارسل به مومنون** يعني قال الضعفا انا بما ارسل الله به صالحا من الدين
والهدى والحق مصدقون **قال الذين استكبروا** يعني عن امر الله والايمان به وبرسوله صالح **انا بالذي امنتم
به كافرون** اي جاحدون منكرون **فعقروا الناقة** يعني فعقرت ثمود الناقة والعقر قطع عرقوب
العفير ثم جعل النحر عقرا لان ناحر البعير يعقره ثم ينحره **وعتوا عن امر ربهم** اي تكبروا عن امر ربهم
وعصوه والعتو الغلو في الباطل والتكبر عن الحق والمعنى انهم عصوا الله وتركوا امره في الناقة وكذبوا
نبيهم صالحا عليه السلام **وقالوا يا صالح ايتنا بما تعدنا** يعني من العذاب **ان كنت من المرسلين** يعني ان كنت
كما تزعم انك رسول الله فان الله ينصر رسله على اعدايه وانما قالوا ذلك لانهم كانوا مكذبين في كل ما
اخبرهم به من العذاب فعجل الله لهم ذلك فقال تعالى **فاخذتهم الرجفة** قال الفرا والزجاج الرجفة
الزلزلة الشديدة العظيمة وقال مجاهد والسدي هي الصيحة فيحتمل انهم اخذتهم الزلزلة من تحتهم

والصيحة من فوقهم حتى هلكوا وهو قوله فاصبحوا في دارهم جاثمين يعني فاصبحوا في ارضهم وبلدتهم
جاثمين ولذلك وحد الدار كما يقال دار الحرب اى بلد الحرب ودار بني فلان بمعنى موضعهم ومجمعهم
وجمع في اية اخرى فقال في ديارهم لانه اراد بالدار لكل واحد منهم من الديار والمساكن وقوله جاثمين يعني
باركين والجثوم للناس والطير بمنزلة البروك للبعير وجثوم الطير هو وقوعه لاطيا بالارض في حال
نومه وسكونه بالليل والمعنى انهم اصبحوا جاثمين موتى على وجوههم لا يتحركون فتولى عنهم يعني
فاعرض عنهم صالح وفي وقت هذا التولي قولان احدهما انه تولى عنهم بعد ان ماتوا وهلكوا ويدل عليه
قوله فاصبحوا في دارهم جاثمين فتولى عنهم والفا للتعقيب فدل على انه حصل هذا التولي بعد جثومهم
وهو موتهم والقول الثاني انه تولى عنهم وهم احيا قبل موتهم وهلاكهم ويدل عليه انه خاطبهم وقال
يا قوم لقد ابلغتكم رسالة ربي ونصحت لكم ولكن لا تحبون الناصحين وهذا الخطاب لا يليق الا بالاحيا
فعلى هذا القول يحتمل ان يكون في الاية تقديم وتاخير فتولى عنهم وقال يا قوم لقد ابلغتكم رسالة ربي
ونصحت لكم ولكن لا تحبون الناصحين فاخذتهم الرجفة فاصبحوا في دارهم جاثمين واجاب اصحاب
القول الاول عن هذا انه خاطبهم بعد هلاكهم وموتهم توبيخا وتقريعا كما خاطب النبي صلى الله
عليه وسلم الكفار من قتلى بدر حين القوا في القليب فجعل يناديهم باسمايهم الحديث في الصحيح وفيه
فقال عمر يا رسول الله كيف تكلم اقواما قد جيفوا فقال ما انتم باسمع لما اقول منهم ولكن لا يجيبون
وقيل انما خاطبهم بذلك ليكون عبرة لمن ياتي من بعدهم فينزجر عن مثل تلك الطريقة التي كانوا
عليها وكانت قصة ثمود على ما ذكر محمد بن اسحاق ووهب بن منبه وغيرهما من اصحاب السير والاخبار
قالوا جميعا ان عادا لما هلكت وانقضى امرها عمرت ثمود بعدها واستخلفوا في الارض فدخلوا
فيها وكثروا وعمروا حتى ان احدهم ليبني المسكن من المدر فينهدم والرجل منهم حي فلما راوا ذلك اتخذوا من
الجبال بيوتا وكانوا في سعة من العيش فعتوا وافسدوا في الارض وعبدوا غير الله فبعث
الله اليهم صالحا نبيا وكانوا قوما عربا وكان صالح من اوسطهم نسبا وافضلهم بيتا وحسبا
فبعثه الله اليهم وهو غلام فلم يزل يدعوهم الى الله والى عبادته حتى شمط وكبر فلم يتبعه منهم
الا قليل مستضعفون فلما الح عليهم صالح بالدعا والتبليغ واكثر لهم التحذير والتخويف سالوه
ان يريهم اية تكون مصداقا على ما يقول فقال صالح اي اية تريدون فقالوا تخرج معنا الى عيدنا
وكان لهم عيد يخرجون فيه اصنامهم وذلك يوم معلوم من السنة فتدعو الهك وندعو
الهتنا فان استجيب لك اتبعناك وان استجيب لنا اتبعتنا قال لهم صالح نعم فخرجوا باصنامهم
الى عيدهم وخرج صالح معهم فدعوا اوثانهم وسالوها ان لا يستجاب لصالح في شي مما يدعو به
ثم قال جندع بن عمرو بن جواش وهو يومئذ سيد ثمود يا صالح اخرج لنا من هذه الصخرة لصخرة
منفردة في ناحية الحجر يقال لها الكاثبة ناقة مخترجة جوفا وبرا عشرا والمخترجة ما شاكلت البخت
من الابل فان فعلت امنا بك وصدقناك فاخذ عليهم صالح مواثيقهم لين فعلت لتصدقني ولتؤمنن بي

قالوا

قالوا نعم قال فصلى صالح ركعتين ودعا ربه عز وجل فتمخضت الصخرة كما تتمخض النتوج بولدها ثم
تحركت الهضبة عن ناقة عشرا جوفا وبرا كما سالوا ووصفوا لا يعلم ما بين جنبيها الا الله
وعظما وهم ينظرون اليها ثم نتجت سقبا مثلها في العظم فامن به جندع بن عمرو ورهط من قومه
واراد بقية اشراف ثمود ان يومنوا به ويصدقوه فمنعهم ذواب بن عمرو بن لبيد والحباب وكانا صاحبا
اوثانهم ورباب بن صمعير وكان كاهنهم وكانوا من اشراف ثمود فلما خرجت الناقة من الصخرة قال لهم
صالح هذه ناقة لها شرب ولكم شرب يوم معلوم فمكثت الناقة ومعها سقبها في ارض ثمود ترعى
الشجر وتشرب الما وكانت ترد الما غبا فاذا كان يوم ورودها وضعت راسها في بير في الحجر
يقال لها بير الناقة فما ترفع راسها حتى تشرب كل ما فيها فلا تدع قطرة ثم ترفع راسها فتفشج
حتى تفحج لهم فيحلبون ما شاوا من لبن فيشربون ويدخرون حتى يملاوا اوانيهم كلها ثم تصدر الناقة
من غير الفج الذي وردت منه ولا تقدر ان تصدر من حيث وردت حتى اذا كان من الغد كان يوم
ثمود فيشربون ما شا الله من الما ويدخرون ما شاوا ليوم الناقة فهم على ذلك في سعة ودعة
وكانت الناقة تصيف اذا كان الحر بظهر الوادي فتهرب منها مواشيهم الابل والبقر والغنم فتهبط
الى بطن الوادي فتكون في حره وجدبه واذا كان الشتا تشتو الناقة في بطن الوادي فتهرب
المواشي الى ظهره فتكون في البرد والجدب فاضر ذلك بمواشيهم للامر الذي يريده الله بهم والبلا
والاختبار فكبر ذلك عليهم وعتوا عن امر ربهم وحملهم ذلك على عقر الناقة فاجمعوا على عقرها
وكانت امراتان من ثمود يقال لاحداهما عنيزة بنت غنم بن مجلز وتكنى بام غنم وكانت عجوزا مسنة
وهي امراة ذواب بن عمرو وكانت ذات بنات حسان وذات مال من ابل وبقر وغنم والامراة الاخرى
يقال لها صدوف بنت المحيا وكانت جميلة غنية ذات مواش كثيرة وكانتا من اشد الناس
عداوة لصالح عليه السلام وكانتا تحبان عقر الناقة لما اضرت بمواشيهما فتحيلتا في عقر الناقة
فدعت صدوف رجلا من ثمود يقال له الحباب لعقر الناقة وعرضت عليه نفسها ان هو فعل
فابى عليها فدعت ابن عم لها يقال له مصدع بن مهرج بن المحيا وجعلت له نفسها على ان يعقر الناقة
وكانت من احسن الناس وجها واكثرهم مالا فاجابها الى ذلك ودعت عنيزة بنت غنم قدار بن
سالف وكان رجلا احمر ازرق قصيرا وزعموا انه كان ابن زانية ولم يكن لسالف ولكنه ولد على فراشه
فقالت عنيزة لقدار اي بناتي شيت اعطيتك على ان تعقر الناقة وكان قدار عزيزا منيعا في قومه عن عبد
الله بن زمعة انه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يخطب وذكر الناقة والذي عقرها فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم اذ انبعث اشقاها انبعث لها رجل عزيز عارم منيع في رهطه مثل ابي زمعة قوله انبعث
يعني قام بسرعة والعارم الخبيث الشرير والعرامة الشدة والقوة والشراسة والمنيع الممتنع ممن اراده قال
اصحاب الاخبار فانطلق قدار بن سالف ومصدع بن مهرج فاستغويا غواة ثمود فاتبعهم سبعة نفر
فكانوا تسعة رهط فانطلق قدار ومصدع واصحابهما فرصدوا الناقة حتى صدرت عن الما وقد

كمن لها قدار في اصل صخرة على طريقها وكمن لها مصدع في اصل صخرة اخرى فمرت على مصدع
فرماها فانتظم به عضلة ساقها وخرجت ام عنيزة وامرت ابنتها فسفرت عن وجهها وكانت
من احسن الناس وجها لتريها قدار ثم ذمرته يعني حضته على عقرها واغرته به فشد قدار على الناقة
بالسيف فكشف عرقوبها فخرت ورغت رغاة واحدة فتحدر سقبها من الجبل ثم طعن قدار في
لبتها فنحرها فخرج اهل البلدة فاقتسموا لحمها فلما راى سقبها ذلك انطلق هاربا حتى اتى جبلا
منيعا يقال له صنور وقيل قارة واتى صالح فقيل له ادرك الناقة فقد عقرت فاقبل نحوها وخرج
اهل البلدة يتلقونه ويعتذرون اليه ويقولون يا نبي الله انما عقرها فلان ولا ذنب لنا
فقال صالح انظروا هل تدركون فصيلها فان ادركتموه فعسى ان يرفع عنكم العذاب فخرجوا
في طلبه فراوه على الجبل فذهبوا ليأخذوه فاوحى الله الى الجبل ان تطاول فتطاول حتى ما تناله الطير
وجا صالح فلما راه الفصيل بكى حتى سالت دموعه ثم رغى ثلاثا ثم انفجرت الصخرة فدخلها
فقال صالح لكل رغوة اجل يوم تمتعوا في داركم ثلاثة ايام ذلك وعد غير مكذوب وقال
ابن اسحاق تبع السقب اربعة نفر من التسعة الذين عقروا الناقة وفيهم مصدع بن مهرج
واخوه ذواب فرماه مصدع بسهم فاصاب قلبه ثم جره برجله فانزله والقوا لحمه مع لحم امه
وقال لهم صالح انتهكتم حرمة الله فابشروا بعذاب الله ونقمته قالوا وهم يهزون به ومتى
ذلك يا صالح وما اية ذلك وكانوا يسمون الايام في ذلك الوقت الاحد اول والاثنين اهون والثلاثا
بار والاربعا جبار والخميس مونس والجمعة العروبة والسبت شيار وكانوا عقروا الناقة يوم
الاربعا فقال لهم صالح حين قالوا ذلك تصبحون غدا يوم مونس ووجوهكم مصفرة ثم
تصبحون يوم العروبة ووجوهكم محمرة ثم تصبحون يوم شيار ووجوهكم مسودة
ثم يصبحكم العذاب يوم اول فلما قال لهم صالح ذلك قال التسعة الذين عقروا الناقة هلم
فلنقتل صالحا فان كان صادقا عجلناه قبلنا وان كان كاذبا كنا قد الحقناه بناقته فاتوه
ليلا ليبيتوه في اهله فدمغتهم الملايكة بالحجارة فلما ابطاوا على اصحابهم اتوا منزل صالح هم
فوجدوهم وقد رضخوا بالحجارة فقالوا لصالح انت قتلتهم ثم هموا به فقامت عشيرته
دونه وقالوا لا تقتلوه ابدا فانه قد وعدكم العذاب انه نازل بكم بعد ثلاث فان كان صادقا
لم تزيدوا ربكم الا غضبا عليكم وان كان كاذبا فانتم من وراء ما تريدون فانصرفوا عنه تلك
الليلة فاصبحوا يوم الخميس ووجوههم مصفرة كانما طليت بالخلوق صغيرهم وكبيرهم
ذكرهم وانثاهم فايقنوا بالعذاب وعرفوا ان صالحا قد صدقهم فيما قال فطلبوه ليقتلوه
فهرب منهم ولحق بحي من بطون ثمود يقال لهم بنو غنم فنزل على سيدهم واسمه نفيل ويكنى بابي
هدب وهو مشرك فمنع صالحا فلم يقدروا عليه فعمدوا الى اصحاب صالح ليدلوهم عليه فقال رجل
من اصحاب صالح يقال له مبدع بن هرم يا نبي الله انهم يعذبوننا لندلهم عليك افندلهم عليك فقال

نعم

نعم فدلوهم عليه فاتوا ابا هدب فكلموه في امر صالح فقال هو عندي وليس لكم اليه سبيل
فاعرضوا عنه وتركوه وشغلهم ما نزل بهم من العذاب فجعل بعضهم يخبر بعضا بما يرون في
وجوههم فلما امسوا صاحوا باجمعهم الا قد مضى يوم من الاجل فلما اصبحوا في اليوم الثاني
اذا وجوههم محمرة كانما خضبت بالدم فصاحوا وضجوا وبكوا وايقنوا انه العذاب فلما امسوا
صاحوا باجمعهم الا قد مضى يومان من الاجل وحضركم العذاب فلما اصبحوا في اليوم الثالث اذا
وجوههم مسودة كانما طليت بالقار فصاحوا جميعا الا قد حضركم العذاب فلما كانت
ليلة الاحد خرج صالح من بين اظهرهم ومن اسلم معه الى الشام فنزل رملة فلسطين فلما اصبحوا
في اليوم الثالث تكفنوا وتحنطوا والقوا بانفسهم الى الارض يقلبون ابصارهم الى السما مرة
والى الارض مرة لا يدرون من اين ياتيهم العذاب فلما اشتد الضحى من يوم الاحد اتاهم صيحة
عظيمة من السما فيها صوت كل صاعقة وصوت كل شي له صوت في الارض فتقطعت قلوبهم
في صدورهم وهلكوا جميعا الا جارية مقعدة يقال لها ذريعة بنت سلق وكانت كافرة
شديدة العداوة لصالح فاطلق الله تعالى رجليها بعد ما عاينت العذاب وما اصاب ثمود
فخرجت مسرعة حتى اتت وادي القرى فاخبرتهم بما عاينت من العذاب الذي بثمود ثم استسقت
ما فسقيت فلما شربت ماتت في الحال وذكر السدي في عقر الناقة فقال اوحى الله عز وجل الى
صالح عليه السلام ان قومك سيعقرون ناقتك فقال لهم ذلك صالح فقالوا ما كنا
لنفعل فقال صالح انه سيولد في شهركم غلام يعقرها فيكون هلاككم على يديه فقالوا لا يولد
لنا في هذا الشهر ولد الا قتلناه قال فولد للتسعة منهم في ذلك الشهر اولاد فذبحوهم ثم ولد
للعاشر فابى ان يذبحه لانه كان لم يولد له قبل ذلك ولد وكان الولد الذي ولد له احمر ازرق فنبت
نباتا سريعا فكان اذا مر بالتسعة فراوه قالوا لو كان ابناونا احيا لكانوا مثل هذا الغلام
فغضب التسعة على صالح لانه كان سبب قتل ابنايهم فتقاسموا بالله يعني فتحالفوا بالله
لنبيتنه واهله وقالوا نخرج فيرى الناس انا قد خرجنا الى سفر فناتي الغار فنكون فيه حتى اذا
جا الليل وخرج صالح الى مسجده اتيناه فقتلناه ثم نرجع الى الغار فنكون فيه ثم ننصرف الى
رحلنا فنقول ما شهدنا مهلك اهله وانا لصادقون فيصدقونا انا قد خرجنا الى سفر وكان صالح
لا ينام معهم في القرية بل كان يبيت في مسجد له خارج القرية فاذا اصبح اتاهم فيعظهم ويذكرهم
فاذا امسى خرج الى مسجده فيتعبد فيه قال فانطلق التسعة الى الغار فدخلوا فيه فسقط الغار
عليهم فقتلهم فانطلق رجال ممن كان قد اطلع على امرهم لينظروا ما فعل اولئك النفر فراوهم وهم
رضخ فرجعوا الى القرية يصيحون ما رضي صالح بقتل اولادهم حتى قتلهم فاجتمع اهل القرية على
عقر الناقة وقال ابن اسحاق وكانوا التسعة قد تقاسموا على تبييت صالح بعد عقر الناقة وقال
السدي وغيره لما ولد للعاشر ولد سماه قدار وكان يشب سريعا فلما كبر جلس مع اناس يشربون

الحجر فارادوا ما ان يرجوا به شرابهم وكان ذلك اليوم يوم شرب الناقة فوجدوا الما قد شربته الناقة فاشتد
عليهم ذلك وقالوا ما نصنع نحن بلبن هذه الناقة ولو كنا ناخذ هذا الما الذي تشربه الناقة فنسقيه لانعامنا
وزروعنا كان خيرا لنا فقال الغاشر هل لكم ان اعقرها لكم قالوا نعم فعقرها وعن ابن عمر قال لما مر رسول
الله صلى الله عليه وسلم بالحجر قال لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا انفسهم ان يصيبكم ما اصابهم الا ان
تكونوا باكين ثم قنع راسه واسرع السير حتى جاوز الوادي وفي رواية لمسلم لا تدخلوا على هولا
المعذبين ثم ذكر مثله ولهما عنه ان الناس نزلوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على الحجر ارض ثمود
فاستقوا من ابارها وعجنوا به العجين فامرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يهريقوا ما استقوه ويعلفوا
الابل العجين وامرهم ان يستقوا من البير التي ترده الناقة وللبخاري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
لما نزل الحجر في غزوة تبوك امرهم ان لا يشربوا من بيارها ولا يستقوا منها فقالوا قد عجنا منها واستقينا
فامرهم النبي صلى الله عليه وسلم ان يطرحوا ذلك العجين ويهريقوا ذلك الما وفي بعض الاحاديث قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تسالوا رسولكم الايات هولا قوم صالح سالوا رسولهم فبعث الله
الناقة فكانت ترد من هذا الفج وتصدر من هذا الفج وتشرب ماهم يوم ورودها واراهم مرتقى
الفصيل من القارة فعتوا عن امر ربهم وعقروها فاهلك الله من تحت اديم السما منهم في مشارق
الارض ومغاربها الا رجلا واحدا يقال له ابو رغال وهو ابو ثقيف كان في حرم الله فمنعه حرم الله
من عذاب الله فلما خرج اصابه ما اصاب قومه فدفن ودفن معه غصن من ذهب واراهم قبر ابي
رغال فنزل القوم فابتدروه باسيافهم وحفروا عنه فاستخرجوا ذلك الغصن وكانت الفرقة المومنة
من قوم صالح اربعة الاف خرج بهم صالح الى حضرموت فلما دخلها مات صالح فسمي حضرموت ثم بنى
الاربعة الاف مدينة وسموها حاصورا وقال قوم من اهل العلم توفي صالح عليه السلام بمكة وهو
ابن ثمان وخمسين سنة واقام في قومه عشرين سنة قوله تعالى ولوطا يعني وارسلنا لوطا وقيل معناه
واذكر يا محمد لوطا وهو لوط بن هاران بن تارخ وهو ابن اخي ابراهيم وابراهيم عمه اذ قال لقومه يعني
اهل سدوم واليهم كان ارسل وذلك ان لوطا عليه السلام لما هاجر مع عمه ابراهيم عليه السلام الى
الشام فنزل ابراهيم ارض فلسطين ونزل لوط الاردن فارسله الله الى اهل سدوم يدعوهم الى الله
وينهاهم عن فعلهم القبيح وهو قوله اتاتون الفاحشة يعني اتفعلون الفعلة الخبيثة التي هي
غاية في القبح وكانت فاحشتهم اتيان الذكران في ادبارهم ما سبقكم بها من احد من العالمين
من الاولى زايدة لتوكيد النفي وافادة معنى الاستغراق والثانية للتبعيض والمعنى ما سبقكم بها
القوم بهذه الفعلة الفاحشة احد من العالمين قبلكم وفي هذا الكلام توبيخ لهم وتقريع على فعلهم
تلك الفاحشة قال عمرو بن دينار ما نزا ذكر على ذكر في الدنيا حتى كان قوم لوط انكم لتاتون الرجال
يعني في ادبارهم شهوة من دون النسا يعني ان ادبار الرجال اشهى عندكم من فروج النسا بل انتم
يعني ايها القوم قوم مسرفون اي مجاوزون الحلال الى الحرام وانما ذمهم وعيرهم ووبخهم بهذا الفعل

الخبيث

الخبيث لان الله تبارك وتعالى خلق الانسان وركب فيه شهوة النكاح لبقا النسل
وعمارة الدنيا وجعل النسا محلا لتلك الشهوة وموضع النسل فاذا تركهن الانسان
وعدل عنهن الى غيرهن من الرجال فكانما قد اسرف وجار واعتدى لانه وضع الشي في
غير موضعه الذي خلق له لان ادبار الرجال ليست محلا للولادة التي هي مقصودة بتلك
الشهوة في الانسان وكانت قصة قوم لوط على ما ذكره محمد بن اسحاق وغيره من اهل
الاخبار والسير انه كانت قرى قوم لوط مخصبة وثمار وزروع لم يكن في الارض مثلها
فقصدهم الناس فاذوهم وضيقوا عليهم فعرض لهم ابليس في صورة شيخ وقال لهم ان
فعلتم بهم كذا وكذا نجوتم منهم فابوا فلما الح الناس عليهم وقصدوهم فاصابوا غلمانا حسانا
فاخبثوا واستحكم ذلك فيهم قال الحسن كانوا لا ينكحون الا الغربا وقيل استحكم ذلك الفعل
فيهم حتى نكح بعضهم بعضا وقال الكلبي ان اول من عمل عمل قوم لوط ابليس وذلك ان بلادهم
اخصبت فقصدها اهل البلدان فتمثل لهم ابليس في صورة شاب امرد فدعا الى نفسه
فكان اول من نكح في دبره فامر الله تعالى السما ان تحصبهم والارض ان تخسف بهم وقوله تعالى
وما كان جواب قومه يعني وما كان جواب قوم لوط للوط اذ وبخهم على فعلهم القبيح وركوبهم
ما حرم الله تعالى عليهم من العمل الخبيث الا ان قالوا يعني قال بعضهم لبعض اخرجوهم من
قريتكم يعني اخرجوا لوطا واتباعه واهل دينه من بلدكم انهم اناس يتطهرون يعني انهم
اناس يتنزهون عن فعلكم وادبار الرجال لانه موضع النجاسة ومن تركه فقد تطهر وقيل
ان البعد عن المعاصي والاثام يسمى طهارة فمن تباعد عن المعاصي والاثام فقد تطهر فلهذا
قالوا انهم اناس يتطهرون يعني من فعل المعاصي والاثام فانجيناه واهله يعني فانجينا
لوطا ومن امن به واتبعه على دينه وقيل المراد باهله المتصلين به بسبب النسب وقيل
المراد باهله ابنتاه الا امراته يعني زوجته كانت من الغابرين يعني كانت من الباقين في
العذاب لانها كانت كافرة وقيل معناه كانت من الباقين المعمرين قد اتى عليها دهر طويل
ثم هلكت مع من هلك من قوم لوط وانما قال من الغابرين ولم يقل من الغابرات لانها هلكت
مع الرجال فغلب ذكر الرجال فقال من الغابرين وامطرنا عليهم مطرا يعني حجارة من سجيل
قد عجنت بالكبريت والنار يقال مطرت السما وامطرت وقال ابو عبيدة يقال في العذاب
امطر وفي الرحمة مطر فانظر كيف كان عاقبة المجرمين يعني انظر يا محمد الى هولا الذين كذبوا
بالله ورسوله وعملوا الفواحش كيف اهلكناهم قال مجاهد نزل جبريل فادخل جناحه
تحت مداين قوم لوط فاقتلعها ورفعها الى السما ثم قلبها فجعل اعلاها اسفلها ثم اتبعوا
بالحجارة وقوله فانظر كيف كان عاقبة المجرمين وان كان هذا الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم
لكن المراد به غيره من امته ليعتبروا بما جرى على اولئك فينزجروا بذلك الاعتبار عن الافعال

التبيحة والفواحش الخبيثة قوله عز وجل والى مدين اخاهم شعيبا يعني وارسلنا الى مدين
اكثر المفسرين على ان مدين اسم رجل وهو مدين بن ابرهيم الخليل عليه السلام فعلى
هذا يكون المعنى وارسلنا الى ولد مدين ومدين اسم للقبيلة كما يقال بنو تميم وبنو عدي وبنو
اسد وقيل مدين اسم للما الذي كانوا عليه وقيل هو اسم للمدينة وعلى هذين القولين يكون
المعنى وارسلنا الى اهل مدين والصحيح هو الاول لقوله اخاهم شعيبا يعني في النسب لا في
الدين وشعيب هو ابن توبة بن مدين بن ابرهيم عليه السلام قاله عطا وقال محمد بن اسحاق
هو شعيب بن ميكيل بن يشجر بن مدين بن ابرهيم عليه السلام وام ميكيل بنت لوط عليه
السلام وقيل هو شعيب بن يثرون بن توبة بن مدين بن ابرهيم عليه السلام وكان شعيب اعمى
وكان يقال له خطيب الانبيا لحسن مراجعته قومه وكان قومه اهل كفر وبخس في المكيال والميزان
قال يعني شعيبا يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره قد جاتكم بينة من ربكم يعني قد
جاتكم حجة وبرهان من ربكم بحقيقة ما اقول وصدق ما ادعي من النبوة والرسالة اليكم لانه لا بد
لكل نبي من معجزة تدل على صدق ما جا به من عند الله غير ان تلك المعجزة التي كانت لشعيب لم تذكر في القران
وليست كل ايات الانبيا مذكورة في القران وقيل المراد بالبينة مجي شعيب بالرسالة اليهم وقيل المراد
بالبينة الموعظة وهي قوله فاوفوا الكيل والميزان يعني فاتموا المكيال والميزان واعطوا الناس حقوقهم
وهو قوله ولا تبخسوا الناس اشياهم يعني لا تظلموا الناس حقوقهم ولا تنقصوهم اياها فتطففوا
الكيل والوزن يقال بخس فلان في الكيل والوزن اذا نقصه وطففه ولا تفسدوا في الارض
بعد اصلاحها يعني بعد ان اصلحها الله ببعثة الرسل واقامة العدل وكل نبي يبعث الى قوم
فهو صلاحهم ذلكم يعني الذي ذكرت لكم وامرتكم به من الايمان بالله ووفا الكيل والميزان وترك
الظلم والبخس خير لكم يعني مما انتم عليه من الكفر وظلم الناس ان كنتم مومنين يعني مصدقين بما
اقول ولا تقعدوا بكل صراط توعدون يعني ان شعيبا قال لقومه الكفار ولا تقعدوا على كل طريق
من الدين والحق تمنعون الناس من الدخول فيه وتهددونهم على ذلك وذلك انهم كانوا يجلسون
على الطرقات ويخوفون من يريد الايمان بالله وبرسوله شعيب وهو قوله وتصدون عن سبيل الله
من امن به يعني وتمنعون من يريد الايمان بالله وتقولون ان شعيبا كذاب وتخوفونه بالقتل قال
ابن عباس كانوا يجلسون على الطريق فيخبرون من اتى عليهم ان شعيبا الذي تريدون كذاب فلا
يفتنكم عن دينكم وتبغونها عوجا يعني وتريدون اعوجاج الطريق عن الحق وعدولها عن القصد
وقيل معناه وتلتمسون لها الزيغ والهلاك ولا تستقيموا على طريق الهدى والرشاد واذكروا
اذ كنتم قليلا فكثركم يعني ان شعيبا عليه السلام ذكرهم نعمة الله عليهم قال الزجاج يحتمل ذلك
ثلاثة اوجه كثر عددكم وكثركم بالغنا بعد الفقر وكثركم بالقدرة بعد الضعف ووجه ذلك
انهم اذا كانوا فقرا ضعفا فهم بمنزلة القليل والمعنى انه كثركم بعد القلة واعزكم بعد الذلة فاشكروا

نعمة

نعمة الله عليكم وامنوا به وانظروا كيف كان عاقبة المفسدين يعني وانظروا واعتبروا بما نزل
بمن كان قبلكم من الامم السالفة والقرون الخالية حين عتوا على ربهم وعصوا رسله من العذاب
والهلاك واقرب الامم اليكم قوم لوط فانظروا كيف ارسل الله عليهم حجارة من السما بما عصوا وكذبوا
رسله وان كان طايفة منكم امنوا بالذي ارسلت به وطايفة لم يومنوا يعني وان اختلفتم في رسالتي
فصرتم فرقتين فرقة امنت بي وصدقت برسالتي وفرقة كذبت وجحدت رسالتي فاصبروا فيه وعيد
وتهديد حتى يحكم الله بيننا يعني حتى يقضي الله بيننا ويفصل بيننا فيعز المومنين المصدقين
وينصرهم ويهلك المكذبين الجاحدين ويعذبهم وهو خير الحاكمين يعني انه حاكم عادل منزه عن
الجور والميل والحيف في حكمه وانما قال خير الحاكمين لانه قد يسمى بعض الاشخاص حاكما على سبيل
المجاز والله تعالى هو الحاكم في الحقيقة فلهذا قال وهو خير الحاكمين قال الملا الذين استكبروا
من قومه يعني قال الجماعة من اشراف قومه الذين تكبروا عن الايمان بالله وبرسوله وتعظموا عن اتباع
شعيب لنخرجنك يا شعيب والذين امنوا معك من قريتنا او لتعودن في ملتنا يعني ان قوم شعيب
اجابوه بان قالوا لا بد من احد امرين اما اخراجك ومن يتبعك على دينك من بلدنا او لترجعن الى ديننا
وملتنا وما نحن عليه وهذا فيه اشكال وهو ان شعيبا عليه السلام لم يكن قط على ملتهم حتى يرجع الى
ما كان عليه فما معنى قوله او لتعودن في ملتنا واجيب عن هذا الاشكال بان اتباع شعيب
كانوا قبل الايمان به على ملة اوليك الكفار فخاطبوا شعيبا واتباعه جميعا فدخل هو في الخطاب
وان لم يكن على ملتهم قط وقيل معناه لتصيرن الى ملتنا فوقع العود على معنى الابتدا كما تقول
قد عاد علي من فلان مكروه يعني قد لحقني منه ذلك وان لم يكن قد سبق منه مكروه فهو كما قال الشاعر
فان تكن الايام احسن مرة الي فقد عادت لهن ذنوب اراد فقد صارت لهن ذنوب ولم يرد ان
ذنوبا كانت لهن قبل الاحسان وقوله قال اولو كنا كارهين يعني لا نعود في ملتكم وان اكرهتمونا
واجبرتمونا فيها فلا نقبل ولا ندخل قد افترينا على الله كذبا ان عدنا في ملتكم بعد اذ نجانا الله منها
يعني ان شعيبا اجاب قومه اذ دعوه ومن امن الى العود الى ملتهم والدخول فيها فقال قد افترينا يعني
قد اختلقنا على الله كذبا وتخرصنا عليه من القول باطلا ان نحن رجعنا الى ملتكم وقد علمنا فساد
ما انتم عليه من الملة والدين وقد انقذنا الله وخلصنا منها وبصرنا خطاها وهذا ايضا فيه
من الاشكال مثل ما في الاول وهو ان شعيبا عليه السلام ما كان في ملتهم قط حتى يقول ان عدنا في
ملتكم بعد اذ نجانا الله منها والجواب عنه مثل ما اجيب عن الاشكال الاول وهو ان نقول ان
الله نجا قومه الذين امنوا به من تلك الملة الباطلة الا ان شعيبا نظم نفسه في جملتهم وان كان بريا
مما كانوا عليه من الكفر فاجرى الكلام على حكم التغليب وقيل معناه نجانا الله منها علمنا قبح ملتكم
وفسادها فكانه خلصنا منها وقوله وما يكون لنا ان نعود فيها الا ان يشا الله ربنا يعني وما يكون
لنا ان نرجع الى ملتكم ونترك الحق الذي نحن عليه الا ان يشا الله ربنا يعني الا ان يكون قد سبق لنا في علم

الله ان نعود فيها فحينئذ يمضي قضا الله وقدره فينا وينفذ سابق مشيته علينا وقال
الواحدي يعني العود هنا الابتدا والذي عليه اهل العلم والسنة في هذه الاية ان شعيبا
واصحابه قالوا انما كنا لنرجع الى ملتكم بعد اذ وقفنا الله على انها ضلالة تكسب دخول النار
الا ان يريد الله اهلاكنا فامورنا راجعة الى الله غير خارجة عن قبضته يسعد من يشا
بالطاعة ويشقي من يشا بالمعصية وهذا من شعيب وقومه استسلام للمشية ولم
تزل الانبيا والاكابر يخافون العاقبة وانقلاب الامر الا ترى الى قول الخليل ابراهيم صلى الله عليه
وسلم واجنبني وبني ان نعبد الاصنام وكان نبينا محمد صلى الله عليه وسلم كثيرا ما يقول يا مقلب
القلوب ثبت قلبي على دينك قال الزجاج المعنى وما يكون لنا ان نعود فيها الا ان يكون قد
سبق في علم الله ومشيته ان نعود فيها وتصديق ذلك قوله وسع ربنا كل شي علما يعني انه تعالى
يعلم ما يكون من قبل ان يكون وما سيكون وانه تعالى كان عالما في الازل بجميع الاشيا فالسعيد
من سعد في علم الله والشقي من شقي في علم الله تعالى على الله توكلنا يعني على الله توكلنا لا على غيره
فكانه ترك الاسباب ونظر الى مسبب الاسباب ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق لما ايس
شعيب من ايمان قومه دعا بهذا الدعا فقال ربنا افتح اي اقض وافصل واحكم بيننا وبين
قومنا بالحق يعني بالعدل الذي لا جور فيه ولا ظلم ولا حيف وانت خير الفاتحين يعني خير الحاكمين
قال الفرا ان اهل عمان يسمون القاضي الفاتح والفتاح وقال غيره من اهل اللغة هو لغة مراد وانشد
بعضهم • الا ابلغ بني عصم رسولا • فاني عن فتاحتكم غني • اراد انه غني عن حاكمهم وقاضيهم وقال
ابن عباس ما كنت ادري ما معنى قوله ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وانت خير الفاتحين حتى
سمعت ابنة ذي يزن تقول تعالى افاتحك يعني اقاضيك وهذا قول قتادة والسدي وابن جريج وجمهور
المفسرين ان الفاتح هو القاضي والحاكم سمي بذلك لانه يفتح اغلاق الاشكال بين الخصوم ويفصله
وقال الزجاج وجايز ان يكون معناه ربنا اظهر امرنا حتى ينفتح بيننا وبين قومنا وينكشف والمراد
منه ان ينزل عليهم عذابا يدل على كونهم مبطلين وعلى كون شعيب وقومه محقين وعلى هذا الوجه
فالفتح يراد به الكشف والتمييز وقال الملا الذين كفروا من قومه لين اتبعتم شعيبا انكم اذا لخاسرون
يعني وقال جماعة من اشراف قوم شعيب ممن كفر به لاخرين منهم لين اتبعتم شعيبا على دينه
وتركتم دينكم وملتكم وما انتم عليه انكم اذا لخاسرون يعني انكم لمغبونون في فعلكم فاخذتهم
الرجفة يعني الزلزلة الشديدة فاصبحوا في دارهم جاثمين قال ابن عباس وغيره فتح الله عز وجل
عليهم بابا من جهنم فارسل عليهم حرا شديدا فاخذ بانفاسهم فلم ينفعهم ظل ولا ما فدخلوا
في الاسراب ليبردوا فيها فوجدوها اشد حرا من الظاهر فخرجوا هربا الى البرية فبعث الله عليهم
سحابة فيها ريح طيبة باردة فاظلتهم وهي الظلة فوجدوا لها بردا ونسيما فنادى بعضهم بعضا
حتى اذا اجتمعوا تحت السحابة رجالهم ونساوهم وصبيانهم الهبها الله عليهم نارا ورجفت بهم

الارض من تحتهم فاحترقوا كما يحترق الجراد في المقلى وصاروا رمادا وروي ان الله تعالى حبس
عنهم الريح سبعة ايام ثم سلط عليهم الحر حتى هلكوا وقال قتادة بعث الله شعيبا الى اصحاب
الايكة والى اهل مدين فاما اصحاب الايكة فاهلكوا بالظلة واما اهل مدين فاخذتهم الصيحة
صاح بهم جبريل صيحة هلكوا جميعا قال ابو عبد الله البجلي كان ابو جاد وهوز وحطي
وكلمن وسعفص وقرشت ملوك مدين وكان ملكهم في زمن شعيب يوم الظلة اسمه كلمن فلما هلك
قالت ابنته شعرا تبكيه وترثيه • كلمن هدم ركني • هلكه وسط المحلة • سيد القوم اتاه •
هلك نار تحت ظله • جعلت نار عليه • دارهم كالمضمحله • وقوله تعالى الذين كذبوا شعيبا كان
لم يغنوا فيها يعني كان لم يقيموا فيها ولم ينزلوها يوما من الدهر يقال غنيت بالمكان اي اقمت
به والمغاني المنازل التي بها اهلها واحدها مغنى قال الشاعر ولقد غنوا فيها بانعم عيشة
في ظل ملك ثابت الاوتاد اراد فيها اقاموا وقيل في معنى الاية كان لم يعيشوا فيها متنعمين
مستغنين يقال غني الرجل اذا استغنى وهو من الغنى الذي هو ضد الفقر الذين كذبوا شعيبا
كانوا هم الخاسرين يعني خسروا انفسهم باهلاكهم فتولى عنهم يعني فاعرض عنهم شعيب شاخصا من
بين اظهرهم حين اتاهم العذاب وقال يا قوم لقد ابلغتكم رسالات ربي ونصحت لكم يعني انه قال لهم
ذلك لما تيقنوا نزول العذاب بقومه واختلفوا هل كان هذا القول قبل نزول العذاب او بعده على
قولين سبقا في قصة هود عليه السلام وقوله فكيف اسى يعني احزن على قوم كافرين والاسى اشد الحزن
وانما اشتد حزنه على قومه لانهم كانوا كثيرين وكان يتوقع منهم الاجابة والايمان فلما نزل بهم ما نزل
من العذاب عزى نفسه فقال كيف احزن على قوم كافرين لانهم هم الذين اهلكوا انفسهم باصرارهم
على الكفر وقيل في معنى الاية ان شعيبا قال لقد اعذرت اليكم في الابلاغ والنصيحة والتحذير فلم تسمعوا
قولي ولم تقبلوا نصحي فكيف احزن عليكم بمعنى انكم لستم مستحقين بان احزن عليكم فعلى القول الاول
انه حصل لشعيب حزن على قومه وعلى القول الثاني لم يحزن عليهم والله اعلم قوله وما ارسلنا في قرية من
نبي فيه اضمار وحذف تقديره فكذبوه الا اخذنا اهلها بالباسا والضرا قال ابن مسعود الباسا
الفقر والضرا المرض وهذا معنى قول الزجاج فانه قال الباسا كلما نالهم من الشدة في اموالهم والضرا
كلما نالهم من الامراض وقيل الباسا الشدة وضيق العيش والضرا الضر وسو الحال لعلهم يضرعون
يعني انما فعلنا بهم ذلك لكي يتضرعوا ويتوبوا والتضرع الخضوع والانقياد لامر الله عز وجل والمراد
من هذه الاية ان الله عز وجل لما عرف نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم احوال الانبيا مع اممهم المكذبة
وقص عليه من اخبارهم وعرفه سنته في الامم الذين خلوا من قبله وما صاروا اليه من الهلاك والعذاب
عرفه في هذه الاية انه قد ارسل رسلا الى امم اخر فكذبوا رسلهم فاخذهم بالباسا والضرا
كما فعل بمن كذب رسله وفيه تخويف وتحذير لكفار قريش وغيرهم من الكفار لينزجروا عما هم عليه من
الكفر والتكذيب ثم بين تعالى انه لا يجري تدبيره في اهل القرى على نمط واحد وسنة واحدة انما يدبرهم

بما يكون الى الايمان اقرب وهو قوله تعالى ثم بدلنا مكان السيئة الحسنة لان ورود النعمة على البدن والمال بعد الشدة والضيق يستدعي الانقياد للطاعة والاشتغال بالشكر قال اهل اللغة السيئة كلما يسوء صاحبه والحسنة كلما يستحسنه الطبع والعقل فالسيئة والحسنة هنا الشدة والرخا والمعنى انه تعالى بدل مكان الباسا والضرا النعمة والسعة والخصب والصحة في الابدان فاخبر الله تعالى في هذه الاية انه يا خذ اهل المعاصي والكفر تارة بالشدة وتارة بالرخا على سبيل الاستدراج وهو قوله حتى عفوا يعني انه فعل ذلك بهم حتى كثروا وكثرت اموالهم يقال عفا الشعر اذا كثر وطال قال مجاهد كثرت اموالهم واولادهم وقالوا يعني من غرتهم وغفلتهم بعدما صاروا الى الرخا والسعة قد مس اباءنا الضرا والسرا يعني انهم قالوا هكذا عادة الدهر قديما وحديثا لنا ولابائنا ولم يكن ما مسنا من الشدة والضرا عقوبة من الله على ما نحن عليه فكونوا على ما انتم عليه كما كان اباؤكم من قبل فانهم لم يتركوا دينهم لما اصابهم ما اصابهم من الضرا والسرا قال الله تعالى فاخذناهم بغتة يعني اخذناهم فجاءة ايمنا كانوا ليكون ذلك اعظم لحسرتهم وهم لا يشعرون يعني بنزول العذاب بهم والمراد بذكر هذه القصة الاعتبار من سمعها لينزجر عما هو عليه من الذنوب قوله عز وجل ولو ان اهل القرى امنوا واتقوا يعني لما بين الله تعالى في هذه الاية الاولى ان الذين عصوا وتمردوا اخذهم بعذابه بين في هذه الاية انهم لو امنوا يعني بالله وبرسوله واطاعوه فيما امرهم به واتقوا يعني ما نهى الله عنه وحرمه عليهم لفتحنا عليهم بركات من السما والارض فبركات السما المطر وبركات الارض النبات والثمار وجميع ما فيها من الخيرات والانعام والارزاق والامن والسلامة من الافات وكل ذلك من فضل الله واحسانه على عباده واصل البركة ثبوت الخير الالهي في الشي وسمي المطر بركة السما لثبوت البركة فيه وكذا ثبوت البركة في نبات الارض لانه نشا عن بركات السما وهي المطر وقال البغوي اصل البركة المواظبة على الشي اي تابعنا عليهم بالمطر من السما والنبات من الارض ورفعنا عنهم القحط والجدب ولكن كذبوا يعني فعلنا بهم ذلك ليومنوا فما امنوا ولكن كذبوا يعني الرسل فاخذناهم يعني بانواع العذاب بما كانوا يكسبون يعني اخذناهم بسبب كسبهم الاعمال الخبيثة قوله تعالى افامن اهل القرى هو استفهام بمعنى الانكار وفيه وعيد وتهديد وزجر والمراد بالقرى مكة وما حولها وقيل هو عام في كل اهل القرى الذين كفروا وكذبوا ان ياتيهم باسنا يعني عذابنا بياتا يعني ليلا وهم نائمون اوامن اهل القرى ان ياتيهم باسنا ضحى يعني نهارا لان الضحى صدر النهار وهم يلعبون يعني وهم ساهون لاهون غافلون عما يراد بهم والمقصود من الاية ان الله خوفهم بنزول العذاب وهم في غاية الغفلة وهو حال النوم بالليل وحال الضحى بالنهار لانه الوقت الذي يغلب على الانسان التشاغل فيه بامور الدنيا وامور الدنيا كلها لعب ويحتمل ان يكون المراد خوضهم في كفرهم وذلك لعب ايضا لانه يضر ولا ينفع افامنوا مكر الله يعني استدراجه اياهم بما انعم عليهم من الدنيا وقيل المراد به ان ياتيهم عذابه من حيث

لا يشعرون وعلى هذا الوجه فيكون بمعنى التحذير وسمي هذا العذاب مكرا لنزوله بهم في غفلة عنه لا يشعرون به فلا يامن مكر الله الا القوم الخاسرون يعني انه لا يامن ان يكون ما اعطاهم مع النعمة مع كفرهم استدراجا الا من خسر في اخراه وهلك مع الهالكين اولم يهد يعني اولم يبين للذين يرثون الارض من بعد اهلها يعني من بعد هلاك اهلها الذين كانوا من قبلهم فورثوها عنهم وخلفوهم فيها ان لو نشاء اصبناهم بذنوبهم يعني لو نشاء اخذناهم وعاقبناهم بسبب كفرهم ونطبع اي ونختم على قلوبهم فهم لا يسمعون يعني لا يسمعون موعظة ولا يقبلون الايمان ونطبع منقطع عما قبله والمعنى ونحن نطبع على قلوبهم ويجوز ان يكون معطوفا على الماضي ولفظه لفظ المستقبل والمعنى ولو شئنا طبعنا على قلوبهم تلك القرى يعني هذه القرى التي ذكرنا لك يا محمد امرها وامر اهلها وهي قرى قوم نوح وعاد وثمود وقوم لوط وقوم شعيب نقص عليك من انبائها يعني نخبرك عنها وعن اخبار اهلها وما كان من امرهم وامر رسلهم الذين ارسلوا اليهم لتعلم يا محمد انا لننصر رسلنا والذين امنوا معهم على اعدائنا واعدائهم من اهل الكفر والعناد وكيف اهلكناهم بكفرهم ومخالفتهم رسلهم وفيه تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم وتحذير لكفار قريش ان يصيبهم مثل ما اصابهم ولقد جاءتهم يعني لاهل تلك القرى رسلهم بالبينات يعني جاءتهم بالمعجزات الباهرات والبراهين الدالة على صدقهم فما كانوا ليومنوا بما كذبوا من قبل اختلف العلما اهل التفسير في معنى ذلك فقيل معناه فما كان هولا المشركين الذين اهلكناهم من اهل القرى ليومنوا عند ارسالنا اليهم رسلهم بما كذبوا من قبل وهو يوم اخذ ميثاقهم حين اخرجهم من ظهر ادم عليه السلام فاقروا باللسان واضمروا التكذيب وهذا معنى قول ابن عباس والسدي قال السدي امنوا كرها يوم اخذ الميثاق وقال مجاهد فما كانوا لو احييناهم بعد اهلاكهم ومعاينتهم العذاب ليومنوا بما كذبوا من قبل هلاكهم وقيل معناه فما كانوا ليومنوا عند مجي الرسل بما سبق لهم في علم الله انهم يكذبون به حين اخرجهم من صلب ادم عليه السلام قال ابي بن كعب كان سبق لهم في علمه يوم اقروا له بالميثاق انهم لا يومنون وقال الربيع بن انس يحق على العباد ان ياخذوا من العلم ما ابداه لهم ربهم وان لا ياتوا ولو علم ما اخفى الله عنهم فان علمه نافذ فيما كان وفيما يكون وفي ذلك قال تعالى ولقد جاءتهم رسلهم بالبينات فما كانوا ليومنوا بما كذبوا من قبل كذلك يطبع الله على قلوب الكافرين قال نفذ علمه فيهم ايهم المطيع من العاصي حيث خلقهم من صلب ادم عليه السلام قال الطبري واولى الاقوال بالصواب قول ابي بن كعب والربيع بن انس وذلك ان من سبق في علم الله انه لا يومن به فلا يومن ابدا وقد كان سبق في علم الله لمن هلك من الامم الذين قص خبرهم في هذه السورة انهم لا يومنون ابدا فاخبر عنهم انهم لم يكونوا ليومنوا بما هم به مكذبون في سابق علمه قبل الرسل عند مجيئهم اليهم كذلك يطبع الله على قلوب الكافرين

يعني كما طبع الله على قلوب كفار الامم الخالية واهلكهم كذلك يطبع الله على قلوب الكافرين
الذين كتب عليهم انهم لا يومنوا به من قومك **وما وجدنا لاكثرهم من عهد** يعني وما وجدنا لاكثر
الامم الخالية والقرون الماضية الذين قصصنا خبرهم عليك يا محمد من وفا بالعهد الذي عهدناه
اليهم واوصيناهم به يوم اخذ الميثاق قال ابن عباس انما اهلك الله اهل القرى لانهم لم يكونوا
حفظوا ما وصاهم به **وان وجدنا اكثرهم لفاسقين** اي ما وجدنا اكثرهم الا فاسقين
خارجين عن طاعتنا وامرنا وقوله عز وجل **ثم بعثنا من بعدهم** يعني ثم بعثنا من بعد الانبيا
الذين تقدم ذكرهم وهم نوح وهود وصالح ولوط وشعيب عليهم السلام **موسى باياتنا**
يعني بحججنا وادلتنا الدالة على صدقه مثل اليد والعصا ونحو ذلك من الايات التي جا بها
موسى عليه السلام **الى فرعون وملايه** قيل ان كل من ملك مصر كان يسمى فرعون في ذلك الزمان
مثل ما كان يسمى ملك الفرس كسرى وملك الروم قيصر وملك الحبشة النجاشي وكان اسم
فرعون الذي ارسل اليه موسى عليه السلام الوليد بن مصعب بن الريان وكان ملك القبط
والملا اشراف قومه وانما خصوا بالذكر لانه اذا امن الاشراف امن الاتباع **فظلموا بها** يعني
فجحدوا بها لان الظلم وضع الشي في غير موضعه ولما كانت هذه الايات معجزات ظاهرة
قاهرة ثم كفروا بها فوضعوا الكفر موضع الايمان **فانظر كيف كان عاقبة المفسدين** اي
انظر يا محمد بعين العقل والبصيرة كيف فعلنا بهم وكيف اهلكناهم **وقال موسى يا فرعون
اني رسول من رب العالمين** يعني ان موسى عليه السلام لما دخل على فرعون دعاه الى الله والى الايمان
وقال له اني رسول يعني مرسل اليك والى قومك من رب العالمين يعني ان الله الذي خلق الخلق وهو
سيدهم ومالكهم هو الذي ارسلني اليك **حقيق** اي واجب **على ان لا اقول على الله الا الحق** يعني
انى رسول والرسول لا يقول على الله الا الحق في وصفه وتنزيهه وتوحيده وانه لا اله غيره
قد جيتكم ببينة من ربكم ببرهان على صدقي فيما ادعي من الرسالة والمراد ببينة معجزة
وهي العصا واليد البيضا ثم ان موسى عليه السلام لما فرغ من تبليغ رسالته رتب على ذلك
الحكم فقال موسى **فارسل معي بني اسرايل** يعني خل عنهم واطلقهم من اسرك وكان فرعون قد
استعبد بني اسرايل واستعملهم في الاعمال الشاقة **قال** فرعون **ان كنت جيت باية فات
بها ان كنت من الصادقين** يعني ان فرعون قال لموسى عليه السلام بعد تبليغ الرسالة
ان كنت جيت من عند من ارسلك ببينة تدل على صدقك فاتني بها واحضرها عندي ليصح
دعواك ويثبت صدقك فيما قلت **فالقى عصاه فاذا هي ثعبان مبين** اي بين والثعبان الذكر
من الحيات ووصفه هنا بانه ثعبان والثعبان من الحيات والجمع بين هذين الوصفين بانها
كانت في عظم الجثة كالثعبان العظيم وفي خفة الحركة كالحية الصغيرة وهي الجان قال
ابن عباس والسدي انه لما القى العصا صارت حية عظيمة صفرا شعرا فاتحة فاها بين لحييها

ثمانون ذراعا وارتفعت من الارض بقدر ميل وقامت على ذنبها واضعة لحيها الاسفل
في الارض ولحيها الاعلى على سور القصر وتوجهت نحو فرعون لتاخذه فوثب فرعون
عن سريره هاربا واحدث وقيل انه احدث في ذلك اليوم اربعمائة مرة وقيل انها
اخذت قبة فرعون بين انيابها وحملت على الناس فانهزموا وصاحوا وقتل بعضهم
بعضا فمات منهم في ذلك اليوم خمسة وعشرون الفا ودخل فرعون البيت وصاح
يا موسى انشدك بالذي ارسلك ان تاخذها وانا اومن بك وارسل معك بني اسرايل
فعادت في يده عصى كما كانت وفي كون الثعبان مبين وجوه الاول انه تميز وبان
ذلك عما عملته السحرة من التمويه والتلبيس وبذلك تتميز معجزات الانبيا من تمويه السحرة
وتخيلهم الوجه الثاني انهم شاهدوا العصا قد انقلبت حية ولم يشتبه ذلك عليهم فلذلك
قال ثعبان مبين اي بين الوجه الثالث ان ذلك الثعبان لما كان معجزة لموسى عليه السلام
كانه ابان صدق قول موسى في انه رسول من رب العالمين وقوله تعالى **ونزع يده** النزع في
اللغة عبارة عن اخراج الشي عن مكانه والمعنى انه اخرج يده من جيبه او من تحت جناحه
فاذا هي بيضا للناظرين قال ابن عباس وغيره اخرج يده من جيبه فراها بيضا من غير سو
يعني من غير برص وقيل ان موسى ادخل يده تحت جيبه ثم نزعها منه وقيل اخرج يده من
تحت ابطه فاذا هي بيضا لها شعاع غلب نور الشمس وكان موسى عليه السلام ادم اللون ثم
ردها الى جيبه ثم اخرجها فاذا هي كما كانت ولما كان البياض المفرط عيب في الجسد وهو البرص
قال الله تعالى في اية اخرى بيضا من غير سو يعني من غير برص والمعنى فاذا هي بيضا للناظرين ولا
تكون بيضا للنظارة الا اذا كان بياضها بياضا عجيبا خارجا عن العادة يتعجب منه **فصل**
في بيان المعجزة وكونها دليلا على صدق الرسول اعلم ان الله تبارك وتعالى كان قادرا على
خلق المعرفة والايمان في قلب عباده ابتدا من غير واسطة ولكن ارسل اليهم رسلا تعرفهم معالم
دينه وجميع تكليفاته وذلك الرسول واسطة بين الله عز وجل وبين عباده يبلغهم كلامه
ويعرفهم احكامه وجايز ان يكون ذلك الواسطة من غير البشر كالملايكة مع الانبيا وجايز
ان يكون الواسطة من جنس البشر كالانبيا مع اممهم ولا مانع لهذا من جهة العقل واذا جاز
هذا في دليل العقل وقد جات الرسل عليهم الصلاة والسلام بمعجزات دلت على صدقهم فوجب
تصديقهم في جميع ما اتوا به لان المعجز مع التحدي من النبي قايم مقام قول الله عز وجل صدق
عبدي فاطيعوه واتبعوه ولان معجز النبي شاهد على صدقه فيما يقوله وسميت المعجزة
معجزة لان الخلق عجزوا عن الاتيان بمثلها وهي على ضربين فضرب منهما هو على نوع قدرة البشر
ولكن عجزوا عنه فتعجيزهم عنه دل على انه من فعل الله ودل على صدق نبيه صلى الله عليه وسلم
كتمني الموت في قوله فتمنوا الموت ان كنتم صادقين فلما صرفوا عن تمنيه مع قدرتهم عليه

علم انه من عند الله ودل على صدق النبي صلى الله عليه وسلم الضرب الثاني ما هو خارج عن قدرة
البشر كاحيا الموتى وقلب العصا حية واخراج ناقة من صخرة وكلام الشجر والجماد والحيوان ونبع الما
من بين الاصابع وغير ذلك من المعجزات التي يعجز البشر عن مثلها فاذا اتى النبي صلى الله عليه وسلم بشي
من تلك المعجزات الخارقة للعادات علم ان ذلك من عند الله عز وجل هو الذي اظهر ذلك المعجز على يد نبيه
ليكون حجة له على صدقه فيما يخبر به عن الله عز وجل وقد ثبت بدليل العقل والبرهان القاطع ان الله
تعالى قادر على خلق الاشيا وابداعها من غير اصل سبق لها واخراجها من العدم الى الوجود وانه
قادر على قلب الاعيان وخوارق العادات والله اعلم قوله تعالى قال الملا من قوم فرعون ان هذا يعني موسى
لساحر عليم يعنون انه ياخذ باعين الناس حتى يخيل لهم ان العصا صارت حية ويرى الشي بخلاف ما هو
عليه كما اراهم يده بيضا وهو ادم اللون وانما قالوا ذلك لان السحر كان هو الغالب في ذلك الزمان
فلما اتى بما يعجز عنه غيره قالوا انه لساحر عليم فان قلت قد اخبر الله في هذه السورة ان هذا الكلام
من قول الملا من قوم فرعون وقال في سورة الشعرا وقال اي فرعون للملا حوله ان هذا لساحر عليم فكيف الجمع بينهما
قلت لا يمتنع ان يكون قاله فرعون اولا ثم انهم قالوه بعده فاخبر الله عنهم هنا واخبر عن فرعون في سورة
الشعرا وقيل يحتمل ان فرعون قال هذا القول ثم ان الملا من قومه وهم خاصته سمعوه منه ثم انهم بلغوه
الى العامة فاخبر الله عز وجل هنا عن الملا واخبر هناك عن فرعون وقوله يريد ان يخرجكم من ارضكم
يعني يريد موسى ان يخرجكم ايها القبط من ارض مصر فماذا تامرون قال فاي شي تشيرون ان نفعل به
قيل ان قوله فماذا تامرون من قول الملا كان كلام فرعون تم عند قوله يريد ان يخرجكم من ارضكم فقال
الملا مجيبين لفرعون فماذا تامرون وانما خاطبوه بلفظ الجمع وهو واحد على عادة الملوك في التعظيم
والتفخيم والمعنى فماذا تامرون ان نفعل بهم والقول الاول اصح لسياق الاية التي بعدها وهو قوله تعالى
قالوا ارجئه واخاه يعني اخر امرهما ولا تعجل فيه فتصير عجلتك عليك لا لك والارجا التاخير في
اللغة وقيل معنى ارجئه احبسه واخاه وهذا القول ضعيف لان الارجا في اللغة هو التاخير لا الحبس
ولان فرعون ما كان يقدر على حبس موسى بعدما راى من امر العصا ما راى وارسل في المداين جمع مدينة
واشتقاقها من مدن بالمكان اذا اقام فيه يعني مداين صعيد مصر حاشرين يعني رجالا يحشرون اليك
السحرة من جميع مداين الصعيد والمعنى انهم قالوا لفرعون ارسل الى هذه المداين رجالا من اعوانك
وهم الشرط يحشرون اليك من فيها من السحرة وكان روسا السحرة باقصى مداين الصعيد فان غلبهم
موسى صدقناه واتبعناه وان غلبوه علمنا انه ساحر ياتوك يعني الشرط بكل ساحر وقرى سحار والفرق
بين الساحر والسحار ان الساحر هو المبتدي في صناعة السحر فيتعلم ولا يعلم والسحار هو الماهر الذي يتعلم
منه السحر وقيل الساحر من يكون سحره وقتا دون وقت والسحار الذي يديم سحره ويعمله في كل وقت
عليم يعني ماهرا بصناعة السحر وقال ابن عباس وابن اسحاق والسدي ان فرعون لما راى من سلطان الله في قدرته
في العصى قال انا لا نغالب موسى الا بمن هو منه فاتخذ غلمانا من بني اسرايل وبعث بهم الى مداين يقال لها الفرما

يعلمونهم

يعلمونهم السحر فعلموهم سحرا كثيرا ووعد فرعون موسى موعدا ثم بعث الى السحرة
فجاوا ومعهم معلمهم فقال فرعون للمعلم ماذا صنعت قال علمتهم سحرا لا يطيقه سحر
اهل الارض الا ان يكون امرا من السما فانه لا طاقة لهم به ثم بعث فرعون في مملكته فلم
يترك ساحرا الا اتي به واختلفوا في عدد السحرة الذين جمعهم فرعون فقال مقاتل كانوا
اثنين وسبعين اثنان منهم من القبط وهما روسا القوم وسبعون من بني اسرايل وقال الكلبي
كان الذي يعلمونهم رجلين مجوسيين من اهل نينوى وكانوا سبعين غير رييسهم وقال
كعب الاحبار كانوا اثني عشر الفا وقال محمد بن اسحاق كانوا خمسة عشر الفا وقال عكرمة سبعين
الفا وقال محمد بن المنكدر كانوا ثمانين الفا وقال السدي كانوا بضعا وثمانين الفا وقيل رييس القوم
شمعون وقيل يوحنا قوله عز وجل وجا السحرة فرعون يعني لما اجتمعوا وجاوا الى فرعون
قالوا ان لنا لاجرا يعني جعلا وعطا تكرمنا به ان كنا نحن الغالبين يعني لموسى قال الامام فخر
الدين وللقايل ان يقول كان حق الكلام ان يقال وجا السحرة فرعون فقالوا بالفا وجوابه انه هو
على تقدير سايل ما قالوا اذ جاوا فاجيب بقوله قالوا ان لنا لاجرا ان كنا نحن الغالبين قال
نعم يعني قال لهم فرعون لكم الاجر والعطا وانكم اذا لمن المقربين يعني ولكم المنزلة الرفيعة عندي
مع الاجر والمعنى ان فرعون قال للسحرة اني لا اقتصر بكم على الاجر بل ازيدكم عليه وتلك الزيادة
اني اجعلكم من المقربين عندي قال الكلبي تكونون اول من يدخل علي واخر من يخرج من عندي
قالوا يعني السحرة ياموسى اما ان تلقي يعني عصاك واما ان نكون نحن الملقين يعني عصينا
وحبالنا في هذه الاية دقيقة لطيفة وهي ان السحرة راعوا مع موسى حسن الادب حيث قدموه
على انفسهم في الالقا الا جرم ان الله عز وجل عوضهم حيث تادبوا مع نبيه موسى صلى الله عليه
وسلم ان من الله عليهم بالايمان والهداية ولما راعوا الادب اولا واظهروا ما يدل على رغبتهم في
ذلك قال يعني قال لهم موسى القوا يعني انتم فقدمهم على نفسه في الالقا فان قلت كيف جاز
لموسى ان يامرهم بالالقا وقد علم انه سحر وفعل السحر كفر قلت ذكر العلما عنه اجوبة احدها ان
معناه ان كنتم محقين في فعلكم فالقوا والا فلا تلقوا الجواب الثاني انما امرهم بالالقا
لتظهر معجزته لانه اذا لم يلقوا حبالهم وعصيهم لم تظهر معجزة موسى في عصاه الجواب
الثالث ان موسى علم انه لا بد ان يلقوا تلك الحبال والعصي وانما وقع التخيير في التقديم
والتاخير فاذن لهم في التقديم لتظهر معجزته ايضا بغلبهم لانه لو التقى اولا لم يكن له غلب وظهور
عليهم فلهذا المعنى امرهم بالالقا اولا فلما القوا يعني حبالهم وعصيهم سحروا اعين الناس يعني
صرفوا اعين الناس عن ادراك حقيقة ما فعلوه من التمويه والتخييل وهذا هو السحر وهذا هو
الفرق بين السحر الذي هو فعل البشر وبين معجزة الانبيا التي هي فعل الله وذلك لان السحر قلب
الاعين وصرفها عن ادراك ذلك الشي والمعجزة قلب نفس الشي وحقيقته كقلب عصى موسى عليه

السلام حية تسعى **واسترهبوهم** يعني ارهبوهم وافزعوهم بما فعلوه من السحر وهو قوله تعالى **وجاوا** يعني السحرة **بسحر عظيم** وذلك انهم القوا حبالا غلاظا وخشبا طوالا فاذا هي حيات كامثال الجبال قد ملات الوادي يركب بعضها بعضا ويقال انهم طلوا تلك الحبال بالزيبق وجعلوا داخل تلك العصي زيبقا ايضا والقوها على الارض فلما اثر حر الشمس فيها تحركت والتوى بعضها على بعض حتى يخيل للناس انها حيات ويقال ان الارض كانت سعتها ميلا في ميل فصارت كلها حيات وافاعي ففزع الناس من ذلك واوجس في نفسه خيفة موسى وهذه الخيفة لم تحصل لموسى عليه السلام لاجل سحرهم لانه عليه السلام كان على ثقة ويقين من الله انهم لن يغلبوه وهو غالبهم وكان عالما بان ما اتوا به على وجه المعارضة لمعجزته فهو من باب السحر والتخييل وذلك باطل ومع هذا الجزم يمتنع حصول الخوف لموسى من ذلك بل كان خوفه عليه السلام لاجل فزع الناس واضطرابهم مما راوا من امر تلك الحيات فخاف موسى عليه السلام ان يتفرقوا قبل ظهور معجزته وحجته فلذلك اوجس في نفسه خيفة موسى قوله تعالى **واوحينا الى موسى ان الق عصاك** يعني فالقاها **فاذا هي تلقف** تبتلع **ما يافكون** يعني ما يكذبون فيه من السحر لان اصل الافك قلب الشي عن وجهه ومنه قيل للكذاب افاك لانه يقلب الكلام عن وجهه الصحيح الى الباطل قال المفسرون اوحى الله عز وجل الى موسى ان لا تخف والق عصاك فالقاها فصارت حية عظيمة حتى سدت الافق قال ابن زيد كان اجتماعهم بالاسكندرية فيقال بلغ ذنب الحية من وراء البحر ثم فتحت فاها ثمانين ذراعا فاذا هي تلقف يعني تبتلع كل شي اتوا به من السحر فكانت تبتلع حبالهم وعصيهم واحدا واحدا حتى ابتلعت الكل وقصدت القوم الذين حضروا ذلك المجمع ففزعوا ووقع الزحام عليهم فمات من ذلك الزحام خمسة وعشرون الفا ثم اخذها موسى فصارت في يده عصى كما كانت اولا فلما راى السحرة ذلك عرفوا انه من امر السما وليس بسحر وعرفوا ان ذلك ليس من قدرة البشر وقوتهم فعند ذلك خروا سجدا وقالوا امنا برب العالمين وذلك قوله تعالى **فوقع الحق** يعني فظهر الحق الذي جا به موسى **وبطل ما كانوا يعملون** يعني من السحر وذلك ان السحرة قالوا لو كان ما صنع موسى سحرا لبقيت حبالنا وعصينا فلما فقدت وتلاشت في عصى موسى علموا ان ذلك من امر الله وقدرته **فغلبوا هنالك** يعني فعند ذلك غلب فرعون وسحرته وجموعه **وانقلبوا صاغرين** يعني ورجعوا ذليلين مقهورين **والقي السحرة ساجدين** يعني ان السحرة لما عاينوا من عظيم قدرة الله ما عاينوا وليس في قدرتهم مقابلته بسحر خروا لله ساجدين وذلك ان الله عز وجل الهمهم معرفته والايمان به فقالوا امنا برب العالمين فقال فرعون اياي تعنون قالوا بل رب موسى وهارون قال مقاتل قال موسى لكبير السحرة تومن بي ان غلبتك فقال لاتين بسحر لا يغلبه سحر ولين غلبتني لاومنن بك وقيل ان الحبال والعصي التي كانت مع السحرة كانت حمل ثلاثمائة بعير فلما ابتلعتها عصى موسى كلها قال

بعضهم

بعضهم لبعض هذا امر خارج عن حد السحر وما هو الا من امر السما فامنوا وصدقوا فان قلت كان يجب ان ياتوا بالايمان قبل السجود فما فايدة تقديم السجود على الايمان قلت لما قذف الله عز وجل في قلوبهم الايمان والمعرفة خروا سجدا لله تعالى شكرا على ما هداهم اليه والهمهم به من الايمان بالله وتصديق رسوله ثم اظهروا بعد ذلك ايمانهم وقيل لما راوا من عظيم قدرة الله وسلطانه في امر الثعبان وانه ليس يقدر على ذلك احد من البشر وزالت كل شبهة كانت في قلوبهم بادروا الى السجود لله تعظيما لشانه لما راوا من عظيم قدرته ثم انهم اظهروا الايمان باللسان قال ابن عباس لما رات السحرة ما رات عرفت ان ذلك من امر السما وليس بسحر خروا سجدا **قالوا امنا برب العالمين رب موسى وهارون** قوله عز وجل **قال فرعون امنتم به قبل ان اذن لكم** يعني قال فرعون للسحرة امنتم بموسى وصدقتموه قبل ان امركم بذلك واذن لكم فيه **ان هذا لمكر مكرتموه في المدينة** يعني ان هذا الصنع صنعتموه انتم وموسى في مدينة مصر قبل خروجكم الى هذا الموضع وذلك ان فرعون راى موسى يحدث كبير السحرة فظن فرعون ان موسى وكبير السحرة قد تواطا عليه وعلى اهل مصر وهو قوله **لتخرجوا منها اهلها** وتستولوا عليها انتم **فسوف تعلمون** فيه وعيد وتهديد يعني فسوف تعلمون ما افعل بكم ثم فسر ذلك الوعيد فقال **لاقطعن ايديكم وارجلكم من خلاف** وهو ان يقطع احدى اليدين واحدى الرجلين فيخالف بينهما في القطع **ثم لاصلبنكم اجمعين** يعني على شاطي نيل مصر قال ابن عباس اول من صلب واول من قطع الايدي والارجل فرعون **قالوا** يعني مجيبين لفرعون حين وعدهم بالقتل **انا الى ربنا منقلبون** يعني انا الى ربنا راجعون واليه صايرون في الاخرة **وما تنقم منا** يعني وما تكره منا وما تطعن علينا وقال عطا معناه وما لنا عندك من ذنب تعيبنا عليه **الا ان امنا بايات ربنا لما جاتنا** ثم فزعوا الى الله تعالى وسالوه الصبر على تعذيب فرعون اياهم فقالوا **ربنا افرغ علينا صبرا** اي اصبب علينا صبرا كاملا تاما ولهذا اتى بلفظ التنكير يعني صبرا واي صبر عظيم **وتوفنا مسلمين** يعني واقبضنا على دين الاسلام وهو دين خليلك ابراهيم عليه السلام قال ابن عباس كانوا في اول النهار سحرة وفي اخر النهار شهدا قال الكلبي ان فرعون قطع ايديهم وارجلهم وصلبهم وقال غيره انه لم يقدر عليهم لقوله تعالى لا يصلون اليكما باياتنا انتما ومن اتبعكما الغالبون قوله تعالى **وقال الملا من قوم فرعون اتذر موسى وقومه** يعني وقال جماعة من اشراف قوم فرعون لفرعون اتدع موسى وقومه من بني اسرايل **ليفسدوا في الارض** يعني ارض مصر واراد بالافساد فيها انهم يامرونهم بمخالفة فرعون وهو قوله **ويذرك والهتك** يعني ويتركك ويترك الهتك فلا يعبدك ولا يعبدها قال ابن عباس كانت لفرعون بقرة وكان يعبدها وكان اذا راى بقرة حسنة امرهم بعبادتها ولذلك اخرج لهم السامري عجلا وقال السدي كان لفرعون قد اتخذ لقومه اصناما وكان يامرهم بعبادتها وقال لهم انا ربكم ورب هذه الاصنام وذلك قوله انا ربكم الاعلى والاقرب

انه يقال ان فرعون كان دهريا منكرا لوجود الصانع وكان يقول مدبر هذا العالم السفلي
الكواكب فاتخذ اصناما على صورة الكواكب وكان يعبدها ويامر بعبادتها وكان يقول
في نفسه انه هو المطاع والمخدوم في الارض فلهذا قال انا ربكم الاعلى وقرا ابن مسعود وابن
عباس والشعبي والضحاك ويذرك والهتك بكسر الالف ومعناه ويذرك وعبادتك
فلا يعبدك لان فرعون كان يُعبد ولا يَعبد وقيل اراد بالالهة الشمس والكواكب لانه
كان يعبدها قال الشاعر تروحنا من اللعباء قصرا فاعجلنا الالهة ان تؤوبا اراد بالالهة
الشمس **قال** يعني فرعون مجيبا لقومه حين قالوا له اتذر موسى وقومه **سنقتل ابناءهم**
ونستحيي نساءهم يعني نتركهن احياء وذلك ان قوم فرعون لما ارادوا حمل فرعون على قتل موسى
وقومه وحبس موسى وانزال العذاب بقومه ولم يقدر فرعون ان يفعل بموسى عليه السلام
شيئا مما ارادوا بل لقوة موسى بما معه من المعجزة عدل الى قومه فقال سنقتل ابناءهم ونستحيي
نساءهم وقال ابن عباس كان قد ترك القتل في بني اسرائيل بعدما ولد موسى فلما جاءهم موسى
بالرسالة وكان من امره ما كان قال فرعون اعيدوا عليهم القتل فاعادوا القتل على بني اسرائيل
والمعنى ان فرعون قال انما يتقوى موسى بقومه فنحن نسعى في تقليل عدد قومه بالقتل لتقل
شوكته ثم بين فرعون انه قادر على ذلك بقوله **وانا فوقهم قاهرون** يعني بالغلبة والقدرة
عليهم ولما نزل ببني اسرائيل ما نزل شكوا الى موسى ما نزل بهم **قال موسى لقومه** يعني لما شكوا
اليه **استعينوا بالله واصبروا** يعني استعينوا بالله على فرعون وقومه فيما نزل بكم من البلا
فان الله هو الكافي لكم واصبروا على ما نالكم من المكاره في انفسكم وابنائكم **ان الارض لله**
يعني ارض مصر وان كانت الارض كلها لله **يورثها من يشاء من عباده** وهذا اطماع من موسى
لبني اسرائيل ان يهلك فرعون وقومه ويملك بنو اسرائيل ارضهم وبلادهم بعد اهلاكهم وهو
قوله **والعاقبة للمتقين** يعني ان النصر والظفر للمتقين على عدوهم وقيل اراد الجنة يعني ان
عاقبة المتقين الصابرين الى الجنة **قالوا اوذينا من قبل ان تاتينا ومن بعد ما جئتنا** قال ابن
عباس لما امنت السحرة تبع موسى ستمائة الف من بني اسرائيل والمعنى ان بني اسرائيل لما سمعوا
ما قال فرعون وعدهم به من القتل مرة ثانية قالوا لموسى قد اوذينا من قبل ان تاتينا يعني
بالرسالة وذلك ان بني اسرائيل كانوا مستضعفين في يد فرعون وقومه وكان يستعملهم
في الاعمال الشاقة الى نصف النهار فلما جاء موسى بالرسالة وجرى له ما جرى شدد فرعون
في استعمالهم فكان يستعملهم جميع النهار واعاد القتل عليهم فقالوا اوذينا من بعد ما جئتنا
يعني بالرسالة وظاهر هذا الكلام موهم بان بني اسرائيل كرهوا مجيء موسى بالرسالة وذلك
كفر والجواب عن هذا الايهام ان موسى عليه السلام كان قد وعدهم بزوال ما كانوا فيه من
الشدة والمشقة فظنوا ان ذلك يكون على الفور فلما راوا قد ازدادت الشدة عليهم قالوا اوذينا

من قبل

من قبل ان تاتينا ومن بعد ما جئتنا فمتى ما يكون ما وعدتنا به من زوال ما نحن فيه **فقال**
موسى مجيبا لهم **عسى ربكم ان يهلك عدوكم** يعني فرعون وقومه **ويستخلفكم في الارض** يعني
ويجعلكم تخلفونهم في ارضهم بعد هلاكهم **فينظر كيف تعملون** يعني فيرى ربكم كيف تعملون
من بعدهم قال الزجاج فيرى ذلك بوقوع ذلك منهم لان الله تعالى لا يجازيهم بما يعلمه منهم
انما يجازيهم على ما يقع من العمل منهم قوله عز وجل **ولقد اخذنا ال فرعون بالسنين** يعني
بالجدب والقحط تقول العرب مستهم السنة بمعنى اخذهم الجدب في السنة ويقال اسنتوا
كما يقال اجدبوا قال الشاعر ورجال مكة مسنتون عجاف ومنه قوله صلى الله عليه وسلم
اللهم اجعلها عليهم سنين كسني يوسف ومعنى الاية ولقد اخذنا ال فرعون بالجدب
والقحط والجوع سنة بعد سنة **ونقص من الثمرات** يعني وتلاف الغلات بالافات قال
قتادة اما السنون فلاهل البوادي واما نقص الثمرات فلاهل الامصار **لعلهم يذكرون**
يعني لعلهم يتيقظون فيرجعوا عما هم فيه من الكفر والمعاصي وذلك لان الشدة ترقق القلوب
وترغب فيما عند الله عز وجل من الخير ثم بين الله تعالى انهم عند نزول تلك المحن عليهم والشدة
لم يزدادوا الا تمردا وكفرا فقال تعالى **فاذا جاءتهم الحسنة** يعني الغيث والخصب والسعة
والعافية والسلامة من الافات **قالوا لنا هذه** اي نحن مستحقون لها ونحن اهلها على العادة
التي جرت لنا في سعة الارزاق وصحة الابدان ولم يروا ذلك من فضل الله عليهم فيشكروه على
انعامه **وان تصبهم سيئة** يعني القحط والجدب والمرض والبلاء وراوا ما يكرهون في انفسهم
يطيروا يعني يتشاءموا واصله يتطيروا والتطير التشاؤم في قول جميع المفسرين **بموسى ومن
معه** يعني انهم قالوا ما اصابنا بلاء الا حين رايناهم وما ذلك الا بشوم موسى وقومه
قال سعيد بن جبير ومحمد بن المنكدر كان ملك فرعون اربعمائة سنة وعاش ستمائة سنة
وعشرين سنة لم ير مكروها قط ولو كان حصل له في تلك المدة جوع يوم او حمى ليلة او وجع
ساعة لما ادعى الربوبية قط **الا انما طائرهم عند الله** يعني ان ما يصيبهم من الخير والجدب
والخير والشر كله من الله قال ابن عباس طائرهم ما قضي لهم وقدر عليهم من عند الله وفي رواية
عنه شومهم عند الله ومعناه انما جاءهم بكفرهم بالله وقيل الشوم العظيم هو الذي لهم عند
الله من عذاب النار **ولكن اكثرهم لا يعلمون** يعني ان ما اصابهم من عند الله تعالى وانما قال
اكثرهم لا يعلمون لان اكثر الخلق يضيفون الحوادث الى الاسباب ولا يضيفونها الى القضاء
والقدر **وقالوا** يعني قوم فرعون وهم القبط لموسى عليه السلام **مهما تاتنا به من اية** يعني من عند
ربك فهي عندنا سحر وهو قولهم **لتسحرنا بها** يعني لتصرفنا عما نحن عليه من الدين **فما نحن لك
بمؤمنين** يعني بمصدقين وكان موسى عليه السلام رجلا حديدا مستجاب الدعوة فدعا عليهم
فاستجاب الله دعاءه فقال تعالى فارسلنا عليهم الطوفان قال ابن عباس وسعيد بن جبير وقتادة

ومحمد بن اسحاق دخل كلام بعضهم في بعض قالوا لما امنت السحرة ورجع فرعون مغلوبًا ابى هو وقومه الا الاقامة على الكفر والتمادي في الشر فتابع الله عز وجل عليهم بالايات فاخذهم اولا بالسنين وهو القحط ونقص الثمرات واراهم قبل ذلك من المعجزات اليد والعصى فلم يومنوا فدعا عليهم موسى وقال يا رب ان عبدك فرعون علا في الارض وبغى وعتا وان قومه قد نقضوا العهد رب فخذهم بعقوبة تجعلها عليهم نقمة ولقومي عظة ولمن بعدهم اية وعبرة فبعث الله عليهم الطوفان وهو الما فارسل الله عليهم المطر من السما وبيوت بني اسرايل وبيوت القبط مختلطة مشتبكة فامتلات بيوت القبط حتى قاموا في الما الى تراقيهم ومن جلس منهم غرق ولم يدخل من ذلك الما في بيوت بني اسرايل شي وركد الما على ارضهم فلم يقدروا على التحرك ولا يعملوا شيًا ودام ذلك الما عليهم سبعة ايام من السبت الى السبت وقال مجاهد وعطا الطوفان الموت وقال وهب الطوفان الطاعون بلغة اهل اليمن وقال ابو قلابة الطوفان الجدري وهم اول من عذبوا به ثم بقي في الارض وقال مقاتل الطوفان الما طغى فوق حروثهم وفي رواية ابن عباس ان الطوفان امر من امر الله عز وجل طاف بهم فعند ذلك قالوا لموسى ادع لنا ربك يكشف عنا عذاب المطر فنحن نومن بك ونرسل معك بني اسرايل فدعا موسى عليه السلام ربه فرفع عنهم الطوفان وانبت الله لهم تلك السنة شيًا لم ينبته قبل ذلك من الكلا والزرع والثمر واخصبت بلادهم فقالوا ما كان هذا الما الا نعمة علينا فلم يومنوا واقاموا شهرًا في عافية فبعث الله عليهم الجراد فاكل عامة زرعهم وثمارهم وورق الشجر حتى اكل الابواب وسقوف البيوت والخشب والثياب والامتعة حتى كل مسامير الحديد التي في الابواب وغيرها وابتلى الجراد بالجوع فكان لا يشبع وامتلات دور القبط ولم يصب بني اسرايل من ذلك شي فعجبوا وضجوا وقالوا يا موسى ادع لنا ربك لين كشف عنا الرجز لنومنن لك واعطوه عهد الله وميثاقه بذلك فدعا موسى ربه عز وجل فكشف الله عنهم الجراد بعدما اقام عليهم سبعة ايام من السبت الى السبت وفي الخبر مكتوب على صدر كل جرادة جند الله الاعظم ويقال ان موسى عليه السلام خرج الى الفضا نحو المشرق والمغرب فرجع الجراد من حيث جا وكان قد بقي من زروعهم وثمارهم بقية فقالوا قد بقي لنا ما هو كافينا فما نحن بتاركي ديننا فلم يومنوا ولم يفوا بما عاهدوا عليه وعادوا الى اعمالهم الخبيثة فاقاموا شهرًا في عافية ثم بعث الله عز وجل عليهم القمل واختلفوا فيه فروى سعيد بن جبير عن ابن عباس ان القمل هو السوس الذي يخرج من الحنطة وقال مجاهد وقتادة والسدي والكلبي الدبا وهو صغار الجراد الذي لا اجنحة له وقال ابو عبيدة هو الحمنان وهو ضرب من القراد وقال عطا الخراساني هو القمل نفسه وكان الحسن يقرا بفتح القاف وسكون الميم قال اصحاب الاخبار امر الله عز وجل موسى عليه السلام فمشى الى كثيب رمل اعفر بقرية من قرى مصر تسمى عين الشمس فمشى الى ذلك الكثيب فضربه بعصاه فانهال عليهم القمل فتتبع ما بقي من حروثهم وزروعهم وثمارهم فاكلها كلها

وحكى

ولحس الارض وكان يدخل تحت ثوب احدهم وجلده فيعضه فاذا اكل احدهم طعامًا امتلا قملا قال سعيد بن المسيب القمل السوس الذي يخرج من الحبوب وكان الرجل منهم يخرج بعشرة اجربة الى الرحا فلا يرد منها ثلاثة اقفزة فلم يصابوا ببلا كان عليهم اشد من القمل واخذت اشعارهم وابشارهم وحواجبهم واجفان عيونهم ولزم جلودهم كانه الجدري عليهم ومنعهم النوم والقرار فصرخوا بموسى انا نتوب فادع لنا ربك يكشف عنا هذا البلا فدعا موسى ربه فرفع الله عنهم القمل بعدما اقام عليهم سبعة ايام من السبت الى السبت فنكثوا بعد ذلك ورجعوا الى اخبث ما كانوا عليه من الاعمال الخبيثة وقالوا ما كنا قط احق ان نستيقن انه ساحر منا اليوم يجعل الرمل دواب فدعا موسى عليهم بعدما اقاموا شهرًا في عافية فارسل الله عليهم الضفادع فامتلات بيوتهم وافنيتهم واطعمتهم وانيتهم فلا يكشف احد انا ولا طعامًا الا وجد فيه الضفادع وكان الرجل منهم يجلس في الضفادع فتبلغ الى حلقه فاذا اراد ان يتكلم يثب الضفدع فيدخل في فيه وكانت تثب في قدورهم فتفسد عليهم طعامهم وتطفي نيرانهم وكان احدهم اذا اضطجع ركبته الضفادع حتى يكونوا عليه ركاما فلا يستطيع ان ينقلب الى شقه الاخر وان اراد ان ياكل سبقته الضفدع الى فيه ولا يعجن احدهم عجينًا الا امتلا ضفادع ولا يفتح قدرا الا امتلات ضفادع فلقوا من ذلك بلا شديدا وروى عكرمة عن ابن عباس قال كانت الضفادع برية فلما ارسلها الله عز وجل على ال فرعون سمعت واطاعت وجعلت تقذف بانفسها في القدور وهي تغلي على النار وفي التنانير وهي تفور فاثابها الله عز وجل بحسن طاعتها برد الما فلما راوا ذلك بكوا وشكوا الى موسى ما يلقوه من الضفادع وقالوا هذه المرة نتوب ولا نعود فاخذ موسى عليهم العهد والمواثيق ثم دعا الله عز وجل فكشف عنهم الضفادع بعدما اقامت سبعًا من السبت الى السبت فاقاموا شهرًا في عافية ثم نقضوا العهد وعادوا الى كفرهم فدعا عليهم موسى فارسل الله عز وجل عليهم الدم فسال النيل عليهم دمًا وصارت مياههم كلها دمًا وكل ما يستقون من الابار والانهار وجدوه دمًا عبيطا فشكوا ذلك الى فرعون وقالوا ليس لنا شراب الا الدم فقال سحركم فقالوا من اين سحرنا ونحن لا نجد في اوعيتنا شيًا من الما الا دما عبيطا فكان فرعون يجمع بين القبطي والاسرايلي على انا واحد فيكون ما يلي الاسرايلي ما وما يلي القبطي دمًا ويقومان للجرة فيها الما فيخرج للقبطي دمًا وللاسرايلي ما حتى ان المراة من ال فرعون تاتي الى المراة من بني اسرايل حين جهدهم العطش فتقول لها اسقيني من مايك فتصب لها من قربتها فيصير في الانا دمًا حتى كانت تقول اجعليه في فيك ثم مجيه في فمي فتفعل ذلك فيصير دمًا ثم ان فرعون اعتراه العطش حتى انه ليضطر الى مضغ الاشجار الرطبة فاذا مضغها صار ما وها دمًا فمكثوا على ذلك

سبعة ايام لا يشربون الا الدم وقال زيد بن اسلم ان الدم الذي سلط الله عز وجل عليهم
كان الرعاف فاتوا موسى وشكوا اليه ما يلقون وقالوا ادع لنا ربك يكشف عنا هذا الدم
فنحن نؤمن بك ونرسل معك بني اسرائيل فدعا موسى ربه فكشف ذلك فلم يؤمنوا فذلك قوله تعالى
فارسلنا عليهم الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم آيات مفصلات يعني يتبع بعضها
بعضا وتفصيلها ان كل عذاب كان يقيم عليهم اسبوعا وبين كل عذابين مدة شهر فاستكبروا
يعني عن الايمان فلم يؤمنوا وكانوا قوما مجرمين يعني آل فرعون قوله تعالى ولما وقع عليهم
الرجز يعني ولما نزل بهم العذاب الذي ذكره في الآية المتقدمة من الطوفان وما بعده وقال
سعيد بن جبير الرجز الطاعون وهو العذاب السادس بعد الآيات الخمس التي تقدمت فنزل
بهم الطاعون حتى مات منهم في يوم واحد سبعون الفا فامسوا وهم لا يتدافنون وعن
اسامة بن زيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الطاعون رجز ارسل على طائفة من بني
اسرائيل وعلى من كان قبلكم فاذا سمعتم به بارض فلا تقدموا عليه واذا وقع بارض وانتم بها
فلا تخرجوا فرارا منه وقوله تعالى قالوا ادع لنا ربك بما عهد عندك يعني بما اوصاك وقيل بما
نبّاك وقيل بما عهد عندك من اجابة دعوتك لئن كشفت عنا الرجز يعني العذاب الذي وقع
بنا لنؤمنن لك ولنرسلن معك بني اسرائيل يعني لنصدقن بما جئت به ولنخلين بني اسرائيل يذهبوا
حيث شاؤوا فلما كشفنا عنهم الرجز يعني بدعوة موسى الى اجل هم بالغوه يعني الى الوقت الذي
اجل لهم وهو وقت هلاكهم بالغرق في اليم اذا هم ينكثون يعني اذا هم ينقضون العهد الذي التزموه
فلم يفوا به واعلم ان ما ذكر الله تعالى من هذه الآيات هي معجزات في الحقيقة دالة على صدق
موسى عليه السلام ووجه ذلك ان العذاب كان مختصا بآل فرعون دون بني اسرائيل فاختصاصه
بالقبطي دون الاسرائيلي معجز وكون بني اسرائيل في امان منه وعافية وقوم فرعون في شدة وعذاب
وبلاء مع اتحاد المساكن معجز ايضا فان اعترض معترض وقال ان الله تعالى علم من حال فرعون
انهم لا يؤمنون بتلك المعجزات فما الفائدة في توالها عليهم واظهار الكثير منها فالجواب على
مذهب اهل السنة ان الله تعالى يفعل ما يشا ويحكم ما يريد لا يسال عما يفعل واما قول المعتزلة
في رعاية المصلحة فلعله تعالى علم من قوم فرعون ان بعضهم كان يؤمن بتوالي المعجزات وظهورها
ولهذا السبب والاها عليهم والله اعلم بمراده قوله عز وجل فانتقمنا منهم يعني كافيناهم عقوبة
لهم على سوء صنيعهم واصل الانتقام في اللغة سلب النعمة بالعذاب فاغرقناهم في اليم
والمعنى انه تعالى لما كشف عنهم العذاب مرات فلم يؤمنوا ولم يرجعوا عن كفرهم فلما بلغوا الاجل
الذي اجل لهم انتقم منهم بان اهلكهم بالغرق فذلك قوله تعالى فاغرقناهم في اليم يعني البحر واليم
الذي لا يدرك قعره وقيل هو لجة البحر ومعظم مائه قال الازهري اليم معروف لفظ سرياني
عربية العرب ويقع اسم اليم على البحر المالح والبحر العذب ويدل على ذلك قوله تعالى فاقذفيه في اليم

والمراد به

والمراد به نيل مصر وهو عذب بانهم كذبوا باياتنا يعني اهلكناهم واغرقناهم بسبب
انهم كذبوا باياتنا الدالة على وحدانيتنا وصدق نبينا وكانوا عنها يعني عن آياتنا غافلين
يعني معرضين وقيل كانوا عن حلول النقمة بهم غافلين ولما كان الاعراض عن الآيات وعدم
الالتفات اليها كالغفلة عنها سموا غافلين تجوزا لان الغفلة ليست من فعل الانسان
قوله تعالى واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون يعني ومكنا القوم الذين كانوا
يقهرون ويغلبون على انفسهم وهم ان فرعون وقومه كانوا قد تسلطوا على بني اسرائيل
فقتلوا ابناءهم واستخدموهم فصاروا مستضعفين تحت ايديهم مشارق الارض ومغاربها
يعني ارض الشام ومصر واراد بمشارقها ومغاربها جميع جهاتها ونواحيها وقيل اراد بمشارق
الارض ومغاربها الارض المقدسة وهي بيت المقدس وما يليه من الشرق والغرب وقيل اراد
جميع جهات الارض وهو اختيار الزجاج قال لان داود وسليمان كانا من بني اسرائيل وقد ملكا
الارض وقوله التي باركنا فيها يدل على انها الارض المقدسة يعني باركنا فيها بالثمار والاشجار
والزروع والخصب والسعة وتمت كلمة ربك الحسنى على بني اسرائيل يعني ووفت كلمة الله وهي
وعده بالنصر على عدوهم والتمكين في الارض من بعدهم وقيل كلمة الله هي قوله ونريد ان
نمن على الذين استضعفوا في الارض الآية والحسنى صفة للكلمة وهي تانيث الاحسن وتمامها
انجاز ما وعدهم به من تمكينهم في الارض واهلاك عدوهم بما صبروا يعني انما حصل لهم ذلك
التمام وهو ما انعم الله به عليهم من انجاز وعده لهم بسبب صبرهم على دينه واذى فرعون
لهم ودمرنا يعني واهلكنا والدمار الهلاك باستيصال ما كان يصنع فرعون وقومه في ارض
مصر من العمارات والبنيان وما كانوا يعرشون يسقفون من ذلك البنيان وقال مجاهد ما كانوا
يبنون من البيوت والقصور وقال الحسن ما كانوا يعرشون من الثمار والاعناب قوله عز وجل
وجاوزنا ببني اسرائيل البحر يعني وقطعنا ببني اسرائيل البحر بعد اهلاك فرعون وقومه واغراقهم
فيه يقال جاز الوادي وجاوزه اذا قطعه وخلفه وراءه وقال الكلبي عبر موسى البحر يوم عاشورا
بعد مهلك فرعون وقومه فصامه شكرا لله عز وجل فاتوا على قوم يعكفون على اصنام لهم يعني فمر
بنوا اسرائيل بعد مجاوزة البحر على قوم يعكفون اي يقيمون ويواظبون على اصنام لهم يعني تماثيل
كانوا يعبدونها من دون الله قال ابن جريج كانت تلك الاصنام تماثيل بقر وذلك اول شان
العجل قال قتادة كان اولئك القوم من لخم وكانوا نزولا بالرقة يعني بالرقة ساحل البحر وقيل
كان اولئك الاقوام من الكنعانيين الذين امر موسى عليه السلام بقتالهم قالوا يا موسى اجعل لنا
الها كما لهم آلهة قال انكم قوم تجهلون يعني تجهلون عظمة الله وانه لا يستحق ان يعبد سواه
لاسيما الذي انجاكم من فرعون وقومه فاغرقهم في البحر وانجاكم منه عن ابي واقد الليثي ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم لما خرج الى الغزوة حنين مر بشجرة للمشركين كانوا يعلقون عليها اسلحتهم

نياط لها ذات انواط فقالوا يا رسول الله اجعل لنا ذات انواط كما لهم ذات انواط
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم سبحان الله هذا كما قال قوم موسى اجعل لنا الها كما لهم الهة
والذي نفسي بيده لتركبن سنن من كان قبلكم اخرجه الترمذي وقوله تعالى ان هولاء متبر ما هم
فيه اي مهلك والتتبير الهلاك وباطل ما كانوا يعملون البطلان عبارة عن عدم الشي اما بعدم
ذاته او بعدم فايدته ونفعه والمراد من بطلان عملهم انه لا يعود عليهم من ذلك العمل نفع ولا يدفع
عنهم ضر لانه عمل لغير الله فكان باطلا لا نفع فيه قال اغير الله ابغيكم الها لما قال بنوا اسرايل
لموسى اجعل لنا الها كما لهم الهة حكم عليهم بالجهالة وقال مجيبا لهم على سبيل التعجب والانكار
عليهم اغير الله ابغيكم الها يعني اطلب لكم وابغي لكم الها وهو فضلكم على العالمين والمعنى
ان الاله ليس هو شيا يطلب ويلتمس ويتخير بل الاله هو الذي فضلكم على العالمين لانه القادر
على الانعام والافضال فهذا هو الذي يستحق ان يعبد ويطاع لا عبادة غيره ومعنى
قوله فضلكم على العالمين يعني على عالمي زمانكم وقيل فضلهم بما خصهم به من الايات الباهرة
التي لم تحصل لغيرهم وان كان غيرهم افضل منهم قوله تعالى واذ انجيناكم من ال فرعون
يسومونكم سوء العذاب يقتلون ابناكم ويستحيون نساكم وفي ذلكم بلا من ربكم عظيم
هذه الاية تقدم تفسيرها في سورة البقرة والفايدة في ذكرها في هذا الموضع ان تعالى
هو الذي انعم عليكم بهذه النعم العظيمة فكيف يليق بكم الاشتغال بعبادة غيره حتى
تقولوا اجعل لنا الها كما لهم الهة قوله عز وجل وواعدنا موسى ثلاثين ليلة يعني وواعدنا
موسى لمناجاتنا ثلاثين ليلة وهي ذو القعدة واتممناها بعشر يعني عشر ذي الحجة وهذا
قول ابن عباس ومجاهد قال المفسرون ان موسى عليه السلام وعد بني اسرايل اذا اهلك الله
عدوهم فرعون ان ياتيهم بكتاب من عند الله عز وجل فيه بيان ما ياتون وما يذرون
فلما هلك فرعون سال موسى ربه عز وجل ان ينزل عليه الكتاب الذي وعد به بني اسرايل
فامره ان يصوم ثلاثين يوما فصامها فلما تمت انكر خلوف فمه فتسوك بعود خرنوب
وقيل بل اكل من ورق الشجر فقالت له الملايكة كنا نشم من فيك رايحة المسك فافسدته
بالسواك فامره الله ان يصوم عشر ذي الحجة وقال له اما علمت ان خلوف فم الصايم اطيب
عندي من ريح المسك فكانت فتنة بني اسرايل في تلك العشرة التي زادها الله لموسى
وقيل ان الله امر موسى عليه السلام ان يصوم ثلاثين يوما ويعمل فيها ما يتقرب به ثم كلمه
واعطاه الالواح في العشر الذي زاده فلهذا قال واتممناها بعشر وهذا التفصيل الذي
ذكره هنا هو تفصيل ما اجمله في سورة البقرة وهو قوله تعالى وواعدنا موسى اربعين ليلة
فذكره هناك على الاجمال وذكره هنا على التفصيل وقوله تعالى فتم ميقات ربه اربعين
ليلة يعني فتم الوقت الذي قدره الله لصوم موسى وعبادته اربعين ليلة لان الميقات هو الوقت

الذي

الذي قدر ان يعمل فيه عملا من الاعمال ولهذا قيل مواقيت الحج وقال موسى لاخيه هرون
اخلفني في قومي يعني كن انت خليفتي فيهم من بعدي حتى ارجع اليك واصلح يعني واصلح
امور بني اسرايل واحملهم على عبادة الله تعالى وقال ابن عباس يريد الرفق بهم والاحسان
اليهم ولا تتبع سبيل المفسدين يعني ولا تسلك طريق المفسدين في الارض ولا تطعهم
والمقصود من هذا الامر التاكيد لان هرون عليه السلام لم يكن ممن يتبع سبيل المفسدين
فهو كقوله ولكن ليطمين قلبي وكقولك للقاعد اقعد بمعنى دم على ما انت عليه من القعود وقوله
تعالى ولما جا موسى لميقاتنا يعني للوقت الذي وقتناه ان ياتي فيه لمناجاتنا وهو قوله
وكلمه ربه وفي الاية دليل على ان الله عز وجل كلم موسى عليه السلام واختلف الناس في كلام
الله تعالى فقال الزمخشري كلمه ربه من غير واسطة كما يكلم الملك وتكليمه ان يخلق الكلام
منطوقا به في بعض الاجرام كما خلقه مخطوطا في الالواح هذا كلامه وهذا مذهب المعتزلة
ولا شك في بطلانه وفساده لان الشجرة او ذلك الجرم لا يقول انني انا الله لا اله الا انا فاعبدني
واقم الصلاة لذكري فثبت بذلك بطلان ما قالوه وذهب الحنابلة ومن وافقهم الى ان كلام
الله حروف واصوات متقطعة وانه قديم وذهب جمهور المتكلمين الى ان كلام الله تعالى
صفة مغايرة لهذه الحروف والاصوات وتلك الصفة قديمة ازلية والقايلون بهذا القول
قالوا ان موسى عليه السلام سمع تلك الصفة الازلية الحقيقية قالوا كما انه لا يبعد روية
ذاته وليست جسما ولا عرضا كذلك لا يبعد سماع كلامه مع ان كلامه ليس بصوت ولا حرف
ومذهب اهل السنة وجمهور العلما من السلف والخلف ان الله تعالى متكلم بكلام قديم
وسكتوا عن الخوض في تاويله وحقيقته قال اهل التفسير والاخبار لما جا موسى عليه
السلام لميقات ربه فطهر وطهر ثيابه وصام ثم اتى طور سينا وفي القصة ان الله تعالى
انزل ظلة تغشت الجبل على اربع فراسخ من كل ناحية وطرد عنه الشيطان وهوام الارض
ونحى عنه الملكين وكشط له السما فراى الملايكة قياما في الهوى وراى العرش بارزا وادناه ربه
حتى سمع صريف القلم على الالواح وكلمه الله تبارك وتعالى وناجاه واسمعه كلامه وكان جبريل
عليه السلام معه فلم يسمع ما كلم الله تعالى به موسى فاستحلى كلام ربه عز وجل واشتاق الى روية
فقال رب ارني انظر اليك قال الزجاج فيه اختصار تقديره ارني نفسك انظر اليك وقال
ابن عباس معناه اعطني انظر اليك وانما سال موسى عليه السلام الروية مع علمه بان الله تعالى
لا يرى في الدنيا لما هاج به من الشوق وفاض عليه من انوار الجلال واستغرق في بحر المحبة
فعند ذلك سال الروية وقيل انما سال الروية ظنا منه بانه تعالى يرى في الدنيا فقال الله
لن تراني يعني انه ليس لبشر ان يراني في الدنيا ولا يطيق النظر الي في الدنيا ومن نظر الي في الدنيا
مات فقال موسى عليه السلام سمعت كلامك فاشتقت النظر اليك ولان انظر اليك ثم اموت

احب الى من ان اعيش ولا اراك وقال العبدى لما كلم الله تعالى موسى عليه السلام غاص عدو الله
ابليس الخبيث فى الارض حتى خرج من بين قدمى موسى فوسوس اليه ان مكلمك شيطان فعند
ذلك سال موسى الروية فقال رب ارنى انظر اليك قال يعنى قال الله تبارك تعالى لموسى لن ترانى فصل
وقد تمسك من نفى الروية من اهل البدع والخوارج والمعتزلة وبعض المرجية بظاهر هذه الاية
وهو قوله تعالى لن ترانى قالوا ولن تكون للتابيد والدوام ولا حجة لهم فى ذلك ولا دليل ولا يشهد
لهم فى ذلك كتاب ولا سنة وما قالوه فى ان لن للتابيد خطا بين ودعوى على اهل اللغة اذ ليس
يشهد لما قالوه نص عن اهل اللغة والعربية ولم يقل به احد منهم ويدل على صحة ذلك قوله تعالى
فى صفة اليهود ولن يتمنوه ابدا مع انهم يتمنون الموت يوم القيمة يدل عليه قوله ونادوا يا مالك
ليقض علينا ربك وقوله يا ليتها كانت القاضية فان قالوا ان لن معناها تاكيد النفى كلا التى تنفى
فى المستقبل قلنا ان صح هذا التاويل فيكون معنى لن ترانى محمولا على الدنيا اى لن ترانى فى الدنيا جمعا
بين دلايل الكتاب والسنة فانه قد ثبت فى الحديث الصحيح ان المومنين يرون ربهم عز وجل يوم
القيامة فى الدار الاخرة وايضا فان موسى عليه السلام كان عارفا بالله وبما يجب ويجوز ويمتنع
على الله عز وجل وفى الاية دليل على انه سال الروية ولو كانت الروية ممتنعة على الله تعالى
لما سالها موسى وحيث سالها علمنا ان الروية جايزة على الله تعالى وايضا فان الله عز وجل
علق رويته على امر جايز والمعلق على الجايز جايز فيلزم من ذلك كون الروية فى نفسها جايزة
وانما قلنا ذلك لانه تعالى علقه وبينه على استقرار الجبل وهو قوله تعالى ولكن انظر الى
الجبل فان استقر مكانه فسوف ترانى امر جايز الوجود فى نفسه واذا كان كذلك ثبت ان رويته
جايزة الوجود لان استقرار الجبل غير مستحيل عند التجلى اذا جعل الله قوة على ذلك
والمعلق بما لا يستحيل لا يكون محالا والله اعلم بمراده قال وهب ومحمد بن اسحاق لما سال موسى عليه
السلام ربه عز وجل الروية ارسل الله الضباب والصواعق والرعد والبرق والظلمة حتى
احاطت بالجبل الذى عليه موسى اربع فراسخ من كل جانب وامر الله اهل السموات ان يعترضوا
على موسى عليه السلام فمرت به ملايكة السما الدنيا كثيران البقر تنبع افواههم بالتسبيح
والتقديس باصوات عظيمة كصوت الرعد الشديد فقال موسى رب انى كنت عن هذا غنيا
ثم امر الله تعالى ملايكة السما الثانية ان اهبطوا على موسى فاعترضوا عليه فهبطوا عليه
امثال الاسود لهم لجب بالتسبيح والتقديس ففزع العبد الضعيف موسى بن عمران مما
راى وسمع واقشعرت كل شعرة فى راسه وبدنه ثم قال لقد ندمت على مسالتى فهل ينجينى من
مكانى الذى انا فيه شى فقال له خير الملايكة وراسهم يا موسى اصبر لما سالت فقليل من كثير
انا ما رايت ثم امر الله ملايكة السما الثالثة ان اهبطوا على موسى فاعترضوا عليه امثال
النسور لهم قصف ورجف ولجب شديد وافواههم تنبع بالتسبيح والتقديس لهم جلب كلجب

الجيش العظيم الوانهم كلهب النار ففزع موسى واشتد فزعه وايس من الحياة فقال له خير الملايكة
وراسهم مكانك يا ابن عمران حتى ترى ما لا تصبر عليه ثم امر الله ملايكة السما الرابعة ان اهبطوا
على موسى فاعترضوا عليه فهبطوا عليه لا يشبههم شى من الذين مروا قبلهم الوانهم كلهب
النار وساير خلقهم كالثلج الابيض اصواتهم عالية بالتسبيح والتقديس لا يقاربهم شى من اصوات
الذين مروا به قبلهم فاصطكت ركبتاه وارتعد قلبه واشتد بكاوه فقال له خير الملايكة وراسهم
يا ابن عمران اصبر لما سالت فقليل من كثير ما رايت ثم امر الله تعالى ملايكة السما الخامسة ان اهبطوا
على موسى فاعترضوا عليه فهبطوا عليه لهم سبعة الوان فلم يستطع موسى ان يتبعهم بصره
ولم ير مثلهم ولم يسمع مثل اصواتهم فامتلا جوفه خوفا واشتد حزنه وكثر بكاوه فقال له خير الملايكة
وراسهم يا ابن عمران مكانك حتى ترى بعض ما لا تصبر عليه ثم امر الله تعالى ملايكة السما السادسة
ان اهبطوا على موسى فهبطوا عليه وفى يد كل واحد منهم مثل النخلة العظيمة الطويلة نارا اشد
ضوا من الشمس ولباسهم كلهب النار اذا سبحوا وقدسوا جاوبهم من كان قبلهم من الملايكة كلهم
يقولون بشدة اصواتهم سبوح قدوس رب العزة ابدا لا يموت فى راس كل ملك منهم اربعة اوجه
فلما راهم موسى رفع صوته يسبح معهم وهو يبكى ويقول يا رب اذكرنى ولا تنس عبدك فلا ادرى انفلت
مما انا فيه ام لا ان خرجت احترقت وان اقمت مت فقال له كبير الملايكة وراسهم قد اوشكت يا ابن
عمران ان يشتد خوفك وينخلع قلبك فاصبر للذى سالت ثم امر الله تعالى ان يحمل عرشه فى ملايكة
السما السابعة فلما بدا نور العرش انصدع الجبل من عظمة الرب سبحانه وتعالى ورفعت الملايكة
اصواتهم جميعا يقولون سبحان الملك القدوس رب العزة ابدا لا يموت فارتج الجبل لشدة اصواتهم واندك
كل شجرة كانت فيه وخر العبد الضعيف موسى صعقا على وجهه ليس معه روحه فارسل الله
تعالى برحمته الروح فتغشاه وقلب عليه الحجر الذى كان جلس عليه موسى فصار عليه كهيئة القبة لئلا
يحترق موسى واقامه الروح مثل الام فلما افاق موسى قام يسبح ويقول امنت بك وصدقت انه لا يراك
احد فيحيى ومن نظر الى ملايكتك انخلع قلبه فما اعظمك واعظم ملايكتك انت رب الارباب
وملك الملوك واله العظيم لا يعدلك شى ولا يقوم لك شى رب تبت اليك الحمد لك لا شريك لك
ما اعظمك وما اجلك يا رب العالمين فذلك قوله تعالى فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا قال ابن عباس
ظهر نور ربه للجبل فصار ترابا واسم الجبل زبير وقال الضحاك اظهر الله عز وجل من نور الحجب
مثل منخر الثور وقال عبد الله بن سلام وكعب الاحبار ما تجلى للجبل من عظمة الله الا مثل سم الخياط
حتى صار دكا وقال السدى ما تجلى الا قدر الخنصر يدل عليه ما روى ثابت عن انس ان النبى صلى الله عليه وسلم
قرا هذه الاية وقال هكذا ووضع الابهام على المفصل الاعلى من الخنصر فساخ الجبل ذكره البغوى
هكذا بغير سند واخرجه الترمذى ايضا عن انس ان النبى صلى الله عليه وسلم قرا هذه الاية فلما
تجلى ربه للجبل جعله دكا قال حماد هكذا وامسك سليمان بطرف ابهامه على انملة اصبعه اليمنى

فساخ الجبل وخر موسى صعقا قال الترمذي حديث حسن صحيح غريب لا نعرفه الا من حديث
حماد بن سلمة ويروى عن سهل بن سعد الساعدي ان الله اظهر من سبعين الف حجاب نورا قدر
الدرهم فجعل الجبل دكا يعني مستويا بالارض وقال ابن عباس جعله ترابا وقال سفيان ساخ الجبل
حتى وقع في البحر فهو يذهب فيه وقال عطية العوفي صار رملا هايلا وقال الكلبي جعله دكا يعني كسر
جبالا صغارا وقيل انه صار لعظمة الله تعالى ستة اجبل فوقع ثلاثة بالمدينة وهي احد وورقان ورضوى
ووقع ثلاثة بمكة وهي ثور وثبير وحرا وقوله تعالى وخر موسى صعقا قال ابن عباس والحسن
يعني مغشيا عليه وقال قتادة يعني ميتا والاول اصح لقوله فلما افاق والميت لا افاقة له انما يقال
افاق من غشيه قال الكلبي صعق موسى يوم الخميس وهو يوم عرفة واعطي التوراة يوم الجمعة
يوم النحر وقال الواقدي لما خر موسى صعقا قالت ملايكة السموات ما لابن عمران وسوال الروية
وفي بعض الكتب ان ملايكة السموات اتوا موسى وهو في غشيه فجعلوا يركلونه ويقولون يا ابن النسا
الحيض اطمعت في روية رب العزة فلما افاق يعني من غشيته ورجع عقله اليه وعرف انه سال امرا عظيما
لا ينبغي له قال سبحانك يعني تنزيها لك من النقايص كلها تبت اليك يعني من مسلتي الروية بغير اذنك
وقيل من سوال الروية في الدنيا وقيل لما كانت الروية مخصوصة بمحمد صلى الله عليه وسلم فمنعها
قال سبحانك تبت اليك يعني من سوالي ما ليس لي وقيل لما سال الروية ومنعها قال تبت اليك
يعني من هذا السوال وحسنات الابرار سيات المقربين وانا اول المومنين يعني بانك لا ترى في
الدنيا وقيل وانا اول المومنين يعني من بني اسرايل بقي في الاية سوالات الاول الروية عين النظر
فكيف قال ارني انظر اليك وعلى هذا يكون التقدير ارني حتى اراك والجواب ان معنى قوله ارني اجعلني
متمكنا من رويتك حتى انظر اليك واراك السوال الثاني كيف قال لن تراني ولم يقل لن تنظر الي حتى يكون
مطابقا لقوله انظر اليك والجواب ان النظر لما كان مقدمة الروية كان المقصود هو الروية
لا النظر الذي لا روية معه السوال الثالث كيف اتصل الاستدراك من قوله ولكن انظر الى
الجبل بما قبله والجواب ان المقصود منه تعظيم امر الروية وان احدا لا يقوى على روية الله تعالى الا من
قواه الله بمعونته وتاييده الا ترى انه لما ظهر اثر التجلي للجبل اندك وتقطع فهذا هو المراد من هذا
لانه يدل على تعظيم امر الروية والله اعلم بمراده قوله عز وجل قال يا موسى اني اصطفيتك على الناس
برسالاتي وبكلامي يعني قال الله تعالى لموسى يا موسى اخترتك واتخذتك صفوة والاصطفا
استخلاص الصفوة والاجتبا والمعنى اني فضلتك واجتبيتك على الناس وفي هذا تسلية لموسى
عليه السلام عن منع الروية حين طلبها لان الله تعالى عدد عليه نعمه التي انعم بها عليه وامره ان
يشتغل بشكرها كانه قال له ان كنت منعت من الروية التي طلبت فقد اعطيتك من النعم العظيمة
كذا وكذا فلا يضيقن صدرك بسبب منع الروية وانظر الى سائر انواع النعم التي خصصتك بها
ومن الاصطفا على الناس برسالاتي وبكلامي يعني من غير واسطة لان غيره من الرسل سمع كلام الله

تعالى

تعالى بواسطة الملك فان قلت كيف قال اصطفيتك على الناس برسالاتي مع ان كثيرا من الانبيا
قد ساواه في الرسالة قلت ذكر العلما من هذا السوال جوابين احدهما ذكره البغوي فقال لما لم
تكن الرسالة على العموم في حق الناس كافة استقام قوله اصطفيتك على الناس وان شاركه فيه غيره
كما يقول الرجل للرجل خصصتك بمشورتي وان كان قد شاور غيره اذ لم تكن المشورة على العموم
فيكون مستقيما وفي هذا الجواب نظر لان من جملة من اصطفاه الله برسالته محمدا صلى الله عليه
وسلم وهو افضل من موسى عليه السلام فلا يستقيم هذا الجواب الجواب الثاني ذكره الامام فخر
الدين الرازي فقال ان الله تعالى بين انه خصه بمجموع امرين وهما الرسالة مع الكلام بغير واسطة
وهذا المجموع ما حصل لغيره فثبت انه انما حصل التخصيص هاهنا لانه سمع ذلك
الكلام بغير واسطة وانما كان الكلام بغير واسطة سببا لمزيد الشرف بنا على العرف الظاهر
لان من سمع كلام الملك المعظم من فيه كان اعلا واشرف ممن سمعه بواسطة الحجاب والنواب
وهذا الجواب فيه نظر ايضا لان محمدا صلى الله عليه وسلم اصطفاه برسالته وكلمه ليلة المعراج
بغير واسطة وفرض عليه وعلى امته الصلوات وخاطبه بيا محمد يدل عليه قوله فاوحى الى عبده
ما اوحى ورفعه الى حيث سمع صريف الاقلام وهذا كله يدل على مزيد الفضل والشرف على موسى
وغيره من الانبيا فلا يستقيم هذا الجواب ايضا والذي يعتمد في الجواب عن هذا السوال ان الله
اصطفى موسى عليه السلام برسالته وبكلامه على الناس الذين كانوا في زمانه وذلك لانه لم يكن في
ذلك الوقت اعلا منصبا ولا اشرف ولا افضل منه وهو صاحب الشريعة وعليه نزلت التوراة
فدل ذلك على انه اصطفاه على ناس زمانه كما اصطفى قومه على عالمي زمانهم وهو قوله تعالى
يا بني اسرايل اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم واني فضلتكم على العالمين قال المفسرون يعني على عالمي
زمانهم وقوله تعالى فخذ ما اتيتك يعني ما فضلتك وكرمتك به وكن من الشاكرين يعني على انعامي
عليك وفي القصة ان موسى عليه السلام كان بعد ما كلمه ربه لا يستطيع احد ان ينظر اليه
لما غشي وجهه من النور ولم يزل على وجهه برقع حتى مات وقالت له زوجته انا لم اراك منذ
كلمك ربك فكشف لها عن وجهه فاخذها مثل شعاع الشمس فوضعت يدها على وجهها
وخرت ساجدة وقالت ادع الله ان يجعلني زوجتك في الجنة قال ذلك لك ان لم تتزوجي بعدي
فان المراة لاخر ازواجها قوله تعالى وكتبنا له في الالواح قال ابن عباس يريد الواح التوراة والمعنى
وكتبنا لموسى في الواح التوراة قال البغوي وفي الحديث كانت من سدر الجنة طول اللوح اثنى عشر
ذراعا وجا في الحديث خلق الله ادم بيده وكتب التوراة بيده وغرس شجرة طوبى بيده وقال
الحسن كانت الالواح من خشب وقال الكلبي من زبرجدة خضرا وقال سعيد بن جبير من ياقوتة
حمرا وقال ابن جريج من زمرد امر الله جبريل حتى جا بها من جنة عدن وكتبها بالقلم الذي كتب به الذكر
واستمد من نهر النور وقال الربيع بن انس كانت الالواح من برد وقال وهب امره الله بقطع الالواح من

صخرة صماء لينها الله فقطعها بيده ثم شقها باصبعه وسمع موسى صرير القلم بالكلمات العشرة
وكان ذلك في اول يوم من ذي الحجة وكان طول الالواح عشرة اذرع على طول موسى وقيل ان موسى خر
صعقا يوم عرفة واعطاه الله تعالى التوراة يوم النحر وهذا اقرب الى الصحيح واختلفوا في
عدد الالواح فروي عن ابن عباس انها كانت سبعة الواح وروي عنه انها لوحان واختاره الفرا
قال وانما جمعت على عادة العرب اطلاق الجمع على الاثنين وقال وهب كانت عشرة الواح وقال مقاتل
كانت تسعة وقال الربيع بن انس نزلت التوراة وهي وقر سبعين بعيرا يقرا الجزء منها في سنة
ولم يقراها الا اربعة نفر موسى ويوشع بن نون وعزير وعيسى عليهم السلام والمراد بقوله لم
يقراها يعني لم يحفظها ويقراها عن ظهر قلب الا هولا الاربعة وقال الحسن هذه الاية في التوراة
بالغاية يعني قوله وكتبنا له في الالواح من كل شيء يعني يحتاج اليه من امر ونهي موعظة يعني نهيا
عن الجهل وحقيقة الموعظة التذكير والتحذير مما يخاف عاقبته وتفصيلا لكل شيء يعني وتبيينا
لكل شيء من الامر والنهي والحلال والحرام والحدود والاحكام مما يحتاج اليه من امور الدين روى الطبري
بسنده عن وهب بن منبه قال كتب له يعني في التوراة لا تشرك بي شيئا من اهل السما ولا من اهل
الارض فان كل ذلك خلقي ولا تحلف باسمي كاذبا فان من حلف باسمي كاذبا فلا ازكيه ووقر والديك
وروى البغوي باسناد الثعلبي عن كعب الاحبار ان موسى عليه السلام نظر في التوراة فقال اني اجد
امة خير الامم اخرجت للناس يامرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويومنون بالكتاب الاول والكتاب
الاخر ويقاتلون اهل الضلالة حتى يقاتلون الاعور الدجال رب اجعلهم امتي قال هي امة محمد
يا موسى فقال رب اني اجد امة هم الحمادون رعاة الشمس المحكمون اذا ارادوا امرا قالوا نفعل ان
ان شا الله فاجعلهم امتي قال هي امة محمد قال رب اني اجد امة ياكلون كفاراتهم وصدقاتهم وكان
الاولون يحرقون صدقاتهم بالنار وهم المستجيبون والمستجاب لهم الشافعون المشفوع لهم فاجعلهم
امتي قال هي امة محمد صلى الله عليه وسلم فقال يا رب اني اجد امة اذا اشرف احدهم على شرف كبر الله
واذا هبط واديا حمد الله الصعيد لهم طهور والارض لهم مسجد حيثما كانوا يتطهرون من الجنابة
طهورهم بالصعيد كطهورهم بالما حيث لا يجدون الما غر محجلون من اثار الوضو فاجعلهم امتي
قال هي امة محمد قال رب اني اجد امة اذا هم احدهم بحسنة ولم يعملها كتبت له حسنة بمثلها وان عملها
كتبت بعشر امثالها الى سبعماية ضعف فاجعلهم امتي قال هي امة محمد قال رب اني اجد امة مرحومة
ضعفا يرثون الكتاب الذين اصطفيتهم فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات
فلا اجد احدا منهم الا مرحوما فاجعلهم امتي قال هي امة محمد قال رب اني اجد امة مصاحفهم
في صدورهم يلبسون ثياب اهل الجنة يصفون في صلاتهم صفوف الملايكة اصواتهم في مساجدهم
كدوي النحل لا يدخل النار احد منهم ابدا الا من برى الحسنات مثل ما برى الحجر من ورق الشجر فاجعلهم امتي
قال هي امة محمد فلما عجب موسى من الخير الذي اعطاه الله محمدا وامته قال يا ليتني من اصحاب محمد فاوحى

الله

الله اليه ثلاث ايات يرضيه بهن يا موسى اني اصطفيتك على الناس برسالاتي وبكلامي
الى قوله ساوريكم دار الفاسقين ومن قوم موسى امة يهدون بالحق وبه يعدلون قال
فرضي موسى كل الرضى وقوله تعالى فخذها بقوة يعني وقلنا لموسى اذ كتبنا له في الالواح
من كل شيء خذها بجد واجتهاد وقيل معناه فخذها بقوة قلب وصحة عزيمة ونية صادقة
لان من اخذ شيئا بضعف نية اداه الى الفتور وامر قومك ياخذوا باحسنها قال
ابن عباس يحلوا حلالها ويحرموا حرامها ويتدبروا امثالها ويعملوا بمحكمها ويقفوا عند
متشابهها وكان موسى اشد عبادة من قومه فامر بما لم يومروا به وقيل ظاهر قوله وامر
قومك ياخذوا باحسنها يدل على ان بين التكليفين فرقا ليكون في هذا الفصل فايدة
وهي ان التكليف كان على موسى اشد لانه تعالى لم يرخص له ما رخص لغيره من قومه
فان قلت ظاهر الاية ياخذوا باحسنها يدل على ان فيها ما ليس بحسن وذلك لم يقل به احد
فما معنى قوله ياخذوا باحسنها قلت ان التكليف كله حسن وبعضه احسن كالقصاص
حسن والعفو عنه احسن وكالانتصار حسن والصبر احسن منه فامروا ان ياخذوا بالاشد
على انفسهم ليكون ذلك اعظم في الثواب فهو كقوله اتبعوا احسن ما انزل اليكم من ربكم
وكقوله الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه وقيل ان الحسن يدخل تحته الواجب
والمندوب والمباح والاحسن الاخذ بالاشد والاشق على النفس وقيل معناه باحسنها
بحسنها وكلها حسن وقوله تعالى ساوريكم دار الفاسقين قال مجاهد يعني مصيرهم في
الاخرة وقال الحسن وعطا يريد جهنم يحذركم ان تكونوا مثلهم وقال قتادة سادخلكم الشام
فاوريكم منازل القرون الماضية الذين خالفوا الله لتعتبروا بها وقال عطية العوفي يعني دار
فرعون وقومه وهي مصر وقال السدي يعني منازل الكفار وقال الكلبي هي منازل عاد وثمود
والقرون الذين هلكوا فكانوا يمرون عليهم اذا سافروا قوله عز وجل ساصرف عن اياتي الذين
يتكبرون في الارض بغير الحق وان يروا كل اية لا يومنوا بها قال ابن عباس يريد الذين يتجبرون
على عبادي ويحاربون اوليايي ساصرفهم عن قبول اياتي والتصديق بها حتى يومنوا بي عوقبوا
بحرمان الهداية لعنادهم عن الحق وقال سفيان بن عيينة سامنعهم فهم القران وقيل معناه
ساصرفهم عن التفكر في خلق السموات والارض وما فيهما من الايات والعبر وقيل حكم الاية
لاهل مصر خاصة واراد بالايات الايات التسع التي اعطاها الله موسى والاكثرون على ان
الاية عامة وفيها دليل لمذهب اهل السنة على ان الله تعالى يهدي من يشا ويضل من يشا ويصرف
عن اياته وقبول الحق من يشا ويوفق للتفكر في اياته وقبول الحق من يشا لانه القادر على ما يشا
لا يسال عما يفعل وهم يسالون ومعنى الذين يتكبرون انهم يرون انهم افضل الخلق وان لهم من الحق
ما ليس لغيرهم والتكبر على هذه الصفة لا يكون الا لله عز وجل لانه هو الذي له القدرة والفضل

الذي ليس لاحد سواه فالتكبر في صفة الله عز وجل صفة مدح وفي صفة المخلوق صفة ذم
في حق جميع العباد وقوله يتكبرون من الكبر لا من التكبر اي يفعلون التكبر ويرون انهم افضل من
غيرهم فلذلك يتكبرون في الارض بغير الحق بل بالباطل وان يروا سبيل الرشد يعني طريق
الحق والهدى والسداد والصواب لا يتخذوه سبيلا يعني لا يختاروه لانفسهم طريقا يسلكونه
الى الهداية وان يروا سبيل الغي يعني طريق الضلالة يتخذوه سبيلا ذلك بانهم كذبوا باياتنا
يعني ذلك الذي اختاروه لانفسهم من ترك الرشد واتباع الغي بسبب انهم كذبوا بايات الله
الدالة على توحيده وكانوا عنها غافلين يعني عن التفكر فيها والاتعاظ بها والذين كذبوا
باياتنا ولقاء الاخرة يعني ولقاء الدار الاخرة التي فيها الثواب والعقاب حبطت اعمالهم
يعني بطلت وصارت كان لم تكن والمعنى انه قد يكون في الذين يكذبون بايات الله من يعمل البر
والاحسان والخير فبين الله تعالى بهذه الاية ان ذلك ليس ينفعهم مع كفرهم وتكذيبهم بايات
الله وانكارهم الدار الاخرة والبعث هل يجزون الا ما كانوا يعملون يعني هل يجزون في العقبى
الا جزاء العمل الذي كانوا يعملونه في الدنيا قوله تعالى واتخذ قوم موسى من بعده يعني من بعد
انطلاق موسى الى الجبل لمناجاة ربه من حليهم يعني التي استعاروها من قوم فرعون وذلك
ان بني اسرائيل كان لهم عيد فاستعاروا من القبط الحلي ليتزينوا به في عيدهم فبقي عندهم الى
ان اهلك الله فرعون وقومه فبقي الحلي لبني اسرائيل ملكا لهم فلذلك قال تعالى من حليهم فلما ابطا
موسى عليهم جمع السامري ذلك الحلي وكان رجلا مطاعا في بني اسرائيل فلذلك قال تعالى واتخذ
قوم موسى من بعده والمتخذ هو واحد فنسب الفعل الى الكل لانه كان برضا منهم فكانهم اجمعوا
عليه وكان السامري رجلا صائغا فصاغ لهم عجلا جسدا من ذلك الحلي وهو الذهب والفضة
والقى في ذلك العجل من تراب اثر فرس جبريل فتحول عجلا جسدا لحما ودما له خوار وهو صوت البقر
وهذا معنى قول ابن عباس والحسن وقتادة وجمهور اهل التفسير وقيل كان جسدا لا روح فيه وكان
يسمع منه صوت وقيل ان ذلك الصوت حفيف الريح وذلك انه جعله مجوفا ووضع في جوفه انابيب
على وضع مخصوص فاذا هبت الريح دخلت في تلك الانابيب يسمع لها صوت كصوت البقرة والقول
الاول اصح انه كان يخور وقيل انه خار مرة واحدة وقيل انه كان يخور كثيرا وكلما خار سجدوا واذا
سكت رفعوا رؤسهم قال وهب كان يسمع منه الخوار ولا يتحرك وقال السدي كان يخور ويمشي الم يروا
يعني الذين عبدوا العجل قيل ان بني اسرائيل كلهم عبدوا العجل الا هارون عليه السلام بدليل قوله
واتخذ قوم موسى وهذا يفيد العموم وقيل ان بعضهم عبد العجل وهو الصحيح واجيب عن قوله
واتخذ قوم موسى انه خرج على الاغلب وكذا قوله الم يروا انه يعني العجل الذي عبدوه لا يكلمهم ولا
يهديهم سبيلا يعني ان هذا العجل لا يمكنه ان يتكلم بصواب ولا يهدي الى رشد ولا يقدر على ذلك
ومن كان كذلك كان جمادا او حيوانا ناقصا عاجزا وعلى كلا التقديرين لا يصلح لان يعبد اتخذوه

وكانوا ظالمين يعني لانفسهم حيث اعرضوا عن عبادة الله الذي يضر وينفع واشتغلوا بعبادة
العجل الذي لا يضر ولا ينفع ولا يتكلم ولا يهديهم الى رشد وصواب قوله عز وجل ولما سقط في ايديهم
يعني ولما ندموا على عبادة العجل تقول العرب لكل نادم على امر قد سقط في يده وذلك لان من شان من
اشتد ندمه على امر ان يعض يده ثم يضرب على فخذه فتصير يده مسقوطا فيها لان السقوط عبارة عن
النزول من اعلى الى اسفل ورأوا انهم قد ضلوا يعني وتيقنوا انهم على الضلالة في عبادتهم العجل قالوا
لئن لم يرحمنا ربنا ويغفر لنا يعني يتب علينا ويتجاوز عنا لنكونن من الخاسرين يعني الذين خسروا
انفسهم بوضعهم العبادة في غير موضعها وهذا كلام من اعترف بعظيم ما اقدم عليه من الذنب وندم
على ما صدر منه ورغب الى الله تعالى في اقالة عثرته واعترافهم على انفسهم بالخسران ان لم يغفر لهم
ربهم ويرحمهم وهذا كلام التائب النادم على ما فرط منه وانما قالوا ذلك لما رجع موسى عليه السلام اليهم
وهو قوله تعالى ولما رجع موسى الى قومه غضبان اسفا يعني ولما رجع موسى من مناجاة ربه الى قومه من
بني اسرائيل رجع غضبان اسفا لان الله كان قد اخبره انه قد فتن قومه وان السامري قد اضلهم فكان موسى
في حال رجوعه غضبان اسفا قال ابو الدرداء الاسف اشد الغضب وقال ابن عباس والسدي الاسف
الحزين والاسيف الحزين قال الواحدي والقولان متقاربان لان الغضب من الحزن والحزن من الغضب فاذا
جاءك ما تكره ممن هو دونك غضبت واذا جاءك ممن هو فوقك حزنت فتسمى احدى هاتين الحالتين حزنا والاخرى
غضبا فعلى هذا كان موسى عليه السلام غضبان على قومه لاجل عبادتهم العجل اسفا حزينا لان الله فتنهم
وان الله تعالى كان قد اعلمه بذلك فحزن لاجل ذلك قال يعني موسى بئسما خلفتموني من بعدي اي بئس
الفعل فعلتم بعد فراقي اياكم وهذا الخطاب يحتمل ان يكون لعبدة العجل من السامري واتباعه او لهارون
والمؤمنين من بني اسرائيل فعلى الاحتمال الاول فانه خطاب لعباد العجل والمعنى بئسما خلفتموني حيث
عبدتم العجل وتركتم عبادة الله وعلى الاحتمال الثاني وهو ان يكون الخطاب لهارون ومن معه من المؤمنين
يكون المعنى بئسما خلفتموني حيث لم تمنعوهم من عبادة غير الله وقد رايتم مني الامر بتوحيد الله واخلاص
العبادة له ونفي الشركاء عنه وحمل بني اسرائيل على ذلك ومن حق الخلفاء ان يسيروا بسيرة مستخلفيهم
وقوله اعجلتم امر ربكم معنى العجلة التقدم بالشيء قبل وقته ولذلك صارت مذمومة والسرعة غير مذمومة
لان معناها عمل الشيء في اول وقته ولقائل ان يقول لو كانت العجلة مذمومة لم يقل موسى عليه السلام
وعجلت اليك رب لترضى ومعنى الاية اعجلتم ميعاد ربكم فلم تصبروا له وقال الحسن اعجلتم وعد ربكم
الذي وعدكم من الاربعين وذلك انهم قدروا انه اذ لم يات على راس الثلاثين فقد مات وقيل معناه
اعجلتم سخط ربكم بعبادة العجل وقال الكلبي معناه اعجلتم بعبادة العجل قبل ان ياتيكم امر ربكم
ولما ذكر الله ان موسى رجع الى قومه غضبان ذكر بعده ما اوجبه الغضب فقال تعالى والقى الالواح يعني
التي فيها التوراة وكان حاملا لها فالقاها من شدة الغضب قالت الرواة واصحاب الاخبار كانت
التوراة سبعة اسباع فلما القى موسى الالواح تكسرت فرفع منها ستة اسباع وبقي سبع واحد

فرفع منها ما كان من اخبار الغيب وبقي ما فيه المواعظ والاحكام والحلال والحرام وروي
ان الله تعالى اخبر موسى بفتنة قومه وعرف موسى ان ما اخبره الله به حق وصدق
ومع ذلك لم يلق التوراة من يده فلما رجع الى قومه وعاين ذلك وشاهده القى التوراة
وهذا كما قيل ليس الخبر كالمعاينة واخذ براس اخيه يجره اليه قيل انه اخذ بشعر راسه
ولحيته من شدة غضبه وقال ابن الانباري لما رجع موسى ووجد قومه مقيمين على المعصية
اكبر ذلك واستعظمه فاقبل على اخيه هارون يلومه وهد يده الى راسه لشدة موجدته
عليه اذ لم يلحق به فيعرفه خبر بني اسرايل فيرجع وينلا قامهم فاعلمه هارون انه انما اقام
بين ظهريهم خوفا على نفسه من القتل وهو قوله تعالى قال يعني هارون ابن ام انما قال
هارون لموسى ابن ام وان كانا لاب وام ليرفقه ويستعطفه عليه ان القوم يعني الذين
عبدوا العجل استضعفوني استذلوني وقهروني وكادوا يقتلونني اي وقاربوا وهموا
ان يقتلونني فلا تشمت بي الاعدا اصل الشماتة الفرح ببلية من تعاديه ويعاديك يقال
شمت فلان بفلان اذا سر بمكروه نزل به والمعنى لا تسر الاعدا بما تنال مني من مكروه ولا تجعلني
مع القوم الظالمين يعني الذين عبدوا العجل قال رب اغفر لي يعني ان موسى عليه السلام
لما تبين له عذر اخيه هارون قال رب اغفر لي ما صنعت الى اخي هارون يريد ما اظهر من
الموجدة عليه من وقت الغضب ولاخي يعني واغفر لاخي هارون اذ كان وقع منه تقصير
في الانكار على عبدة العجل وادخلنا يعني جميعا في رحمتك يعني في سعة رحمتك وانت ارحم
الراحمين وهذا فيه دليل على الترغيب في الدعا لان من هو ارحم الراحمين يومل منه الرحمة
وفيه تقوية لطمع الداعي في نجاح طلبته ان الذين اتخذوا العجل يعني الها عبدوه من دون الله
سينالهم غضب من ربهم وذلة في الحياة الدنيا يعني سينالهم عقوبة من ربهم وهوان بسبب
كفرهم وعبادتهم العجل وذلك في عاجل الحياة الدنيا ثم للمفسرين في هذه الاية قولان احدهما
ان المراد بالذين اتخذوا العجل باشروا عبادته وعلى هذا القول ففي الاية سوال وهو ان اوليك
الاقوام الذين اتخذوا العجل تابوا الى الله بقتلهم انفسهم كما امرهم الله فتاب عليهم فكيف ينالهم
الغضب والذلة مع التوبة والجواب ان ذلك الغضب انما حصل لهم في الدنيا وهو نفس القتل
فكان ذلك القتل غضبا عليهم والمراد بالذلة هو استسلامهم انفسهم للقتل واعترافهم على
انفسهم بالضلال والخطا فان قلت السين في قوله سينالهم للاستقبال فكيف تكون للماضي
قلت هذا الكلام انما هو خبر عما اخبر الله به موسى عليه السلام حين اخبره بافتتان قومه
واتخاذهم العجل ثم اخبره الله في ذلك الوقت انه سينالهم غضب من ربهم وذلة فكان هذا
الكلام سابقا لوقوعه وهو القتل الذي امرهم الله به بعد ذلك وقال ابن جريج في هذه الاية ان
هذا الغضب والذلة لمن مات منهم على الكفر بعبادة العجل ولمن فر من القتل وهذا الذي قاله

ابن جريج

ابن جريج وان كان له وجه لكن اكثر المفسرين على خلافه القول الثاني ان المراد بالذين
اتخذوا العجل اليهود الذين كانوا في زمن النبي صلى الله عليه وسلم قال ابن عباس هم الذين
ادركوا النبي صلى الله عليه وسلم وابا وهم هم الذين عبدوا العجل واراد بالغضب عذاب
الاخرة وبالذلة في الدنيا الجزية وقال عطية العوفي سينالهم لاولاد الذين عبدوا العجل
وهم الذين كانوا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم واراد بالغضب والذلة ما اصاب
بني النضير وبني قريظة من القتل والجلا وعلى هذا القول ففي تقدير الاية وجهان
الاول ان العرب تعير الابنا بقبايح افعال الابا كما يفعل ذلك في المناقب فيقول
للابنا فعلتم كذا وفعلتم كذا وانما فعل ذلك من مضى من ابايهم فكذلك هاهنا وصف
اليهود الذين كانوا في زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم بانهم اتخذوا العجل وان كان
اباوهم فعلوا ذلك ثم حكم على اليهود الذين كانوا في زمنه بانهم سينالهم غضب من ربهم
في الاخرة وذلة في الحياة الدنيا الوجه الثاني ان تكون الاية من باب حذف المضاف والمعنى
ان الذين اتخذوا العجل وباشروا عبادته سينال اولادهم ثم حذف المضاف لدلالة الكلام
عليه وقوله تعالى وكذلك نجزي المفترين يعني وكما جزينا هولا الذين اتخذوا العجل الها
كذلك نجزي كل من افترى على الله كذبا وعبد غيره قال ابو قلابة هي والله جزا كل مفتر
الى يوم القيامة ان يذله الله وقال سفيان بن عيينة هذا في كل مبتدع الى يوم القيامة
وقال مالك بن انس ما من مبتدع الا وهو يجد فوق راسه ذلة ثم قرا هذه الاية قال والمبتدع
مفتر في دين الله والذين عملوا السيات يعني عملوا الاعمال السيئة ويدخل في ذلك كل ذنب
كبير وصغير حتى الكفر فما دونه ثم تابوا من بعدها يعني ثم رجعوا الى الله من بعد اعمالهم
السيئة وامنوا يعني وصدقوا بالله تعالى وانه يقبل توبة التايب ويغفر الذنوب ان ربك
يا محمد او يا ايها الانسان التايب من بعدها يعني من بعد توبتهم لغفور رحيم يعني انه تعالى
يغفر الذنوب ويرحم التايبين وفي الاية دليل على ان السيات باسرها صغيرها وكبيرها
مشتركة في التوبة وان الله تعالى يغفرها جميعا بفضله ورحمته وتقدير الاية ان من اتى بجميع
السيات ثم تاب الى الله واخلص التوبة فان الله يغفرها له ويقبل توبته وهذا من اعظم البشاير
للمذنبين التايبين قوله تعالى ولما سكت عن موسى الغضب يعني سكن لان السكوت اصله الامساك
عن الشي ولما كان السكوت بمعنى السكون استعير في سكوت الغضب لان الغضب لا يتكلم لكنه لما
كان بفورته دالا على ما في نفس الغضب كان بمنزلة الناطق فاذا سكنت تلك الفورة كان بمنزلة الساكت
عما كان متكلما به وقيل معناه ولما سكت موسى عن الغضب فهو من المقلوب كما تقول ادخلت القلنسوة
في راسي والمعنى ادخلت راسي في القلنسوة والقول الاول اصح لانه قول اهل اللغة والتفسير
اخذ الالواح يعني التي القاها قال الامام فخر الدين وظاهر هذا يدل على ان الالواح لم تتكسر ولم

يرفع من التوراة شيء وفي نسختها النسخ عبارة عن النقل والتحويل فاذا انتسخت كتابا من كتاب حرفا بحرف فقد نسخت ذلك الكتاب فهو نقلك ما في الاصل الى الفرع فعلى هذا قيل اراد بها الالواح لانها نسخت من اللوح المحفوظ وقيل المراد بها النسخة المكتتبة من الالواح التي اخذها موسى بعدما تكسرت وقال ابن عباس وعمرو بن دينار لما القى موسى الالواح فتكسرت صام اربعين يوما فردت عليه في لوحين وفيها ما في الاولى بعينه فتكون نسختها وعلى قول من قال ان الالواح لم تتكسر واخذها موسى بعينها بعدما القاها يكون معنى وفي نسختها المكتوب فيها هدى ورحمة قال ابن عباس يعني هدى من الضلالة ورحمة من العذاب للذين هم لربهم يرهبون يعني للخائفين من ربهم قوله عز وجل واختار موسى قومه سبعين رجلا لميقاتنا الاختيار افتعال من لفظ الخيار يقال اختار الشيء اذا اخذ خيره وخياره والمعنى واختار موسى من قومه فحذف كلمة من وذلك سائغ في العربية لدلالة الكلام عليه قال اصحاب الاخبار ان موسى عليه السلام اختار من كل سبط من قومه ستة نفر فكانوا اثنين وسبعين فقال ليتخلف منكم رجلان فتشاحوا فقال لمن قعد منكم اجر مثل من خرج فقعد يوشع بن نون وكالب بن يوقنا وقيل انه لم يجد الا ستين شيخا فاوحى الله اليه ان يختار من الشباب عشرا فاختارهم فاصبحوا شيوخا فامرهم ان يصوموا ويتطهروا ويطهروا ثيابهم ثم ذهب بهم الى ميقات ربه واختلف اهل التفسير في ذلك الميقات فقيل انه الميقات الذي كلمه فيه ربه وسال فيه الرؤية وذلك انه لما خرج الى طور سيناء اخذ معه هولاء السبعين فلما دنا موسى من الجبل وقع عليه عمود من الغمام حتى احاط بالجبل كله ودخل موسى فيه وقال للقوم ادنوا فدنوا حتى دخلوا في الغمام ووقعوا سجدا وسمعوا الله وهو يكلم موسى يامره وينهاه افعل كذا لا تفعل كذا فلما انكشف الغمام اقبلوا على موسى وقالوا لن نومن لك حتى نرى الله جهرة فاخذتهم الصاعقة وهي المراد من الرجفة المذكورة في هذه الاية وقال السدي ان الله امر موسى ان ياتيه في ناس من بني اسرايل يعتذرون اليه من عبادة العجل ووعدهم موعدا فاختار موسى من قومه سبعين رجلا ثم ذهب بهم الى ميقات ربه ليعتذروا فلما اتوا ذلك المكان قالوا لن نومن لك يا موسى حتى نرى الله جهرة فانك قد كلمته فارناه فاخذتهم الصاعقة فماتوا فقام موسى يبكي ويدعو الله ويقول رب ماذا اقول لبني اسرايل اذا اتيتهم وقد اهلكت خيارهم رب لو شيت اهلكتهم من قبل واياي وقال محمد بن اسحاق اختار موسى من بني اسرايل سبعين رجلا الخير فالخير وقال انطلقوا الى الله فتوبوا اليه مما صنعتم واسالوه التوبة على من تركتم وراكم من قومكم صوموا وتطهروا وطهروا ثيابكم فخرج بهم الى طور سيناء لميقات وقته له ربه وكان لا ياتيه الا باذن منه وعلم فقال السبعون فيما ذكر لي حين فعلوا ما امرهم به وخرجوا معه للقاء ربه لموسى اطلب لنا نسمع كلام ربنا فقال افعل فلما دنا موسى من الجبل وقع عليه عمود الغمام حتى غشي الجبل كله ودنا موسى فدخل فيه وقال للقوم ادنوا فكان موسى اذا كلمه ربه وقع

على جبهته نور ساطع لا يستطيع احد من بني ادم ان ينظر اليه فضرب دونه بالحجاب ودنا القوم حتى دخلوا في الغمام ووقعوا سجودا فسمعوه وهو يكلم موسى يامره وينهاه افعل ولا تفعل فلما فرغ اليه من امره انكشف عن موسى الغمام فاقبل اليهم فقالوا له لن نومن لك حتى نرى الله جهرة فاخذتهم الرجفة وهي الصاعقة فماتوا جميعا فقام موسى يناشد ربه ويدعوه ويرغب اليه ويقول رب لو شيت اهلكتهم من قبل واياي وقال ابن عباس كان الله امر موسى ان يختار من قومه سبعين رجلا فاختار سبعين رجلا فبرز بهم ليدعوا ربه فكان فيما دعوا الله ان قالوا اللهم اعطنا ما لم تعطه احدا من قبلنا ولا تعطه احدا بعدنا فكره الله ذلك من دعايهم فاخذتهم الرجفة قال رب لو شيت اهلكتهم من قبل واياي قيل انما اخذتهم الرجفة من اجل انهم ادعوا على موسى انه قتل هارون قال علي بن ابي طالب انطلق موسى وهارون الى سفح جبل فنام هارون فتوفاه الله فلما رجع موسى الى بني اسرايل قالوا له انت قتلته حسدتنا على خلقه ولينه وكان هارون حسن الخلق محببا في بني اسرايل فقال لهم موسى اختاروا من شيتم فاختاروا سبعين رجلا فلما انتهوا اليه قالوا يا هارون من قتلك قال ما قتلني احد ولكن الله توفاني فاخذتهم الرجفة فجعل موسى يرجع يمينا وشمالا ويقول يا رب لو شيت اهلكتهم من قبل واياي الاية قال فاحياهم الله عز وجل وقيل انما اخذتهم الرجفة لتركهم فراق عبدة العجل لا انهم كانوا من عبدته قال ابن عباس انما تناولتهم الرجفة لانهم لم يزايلوا القوم حين نصبوا العجل وقد كرهوا ان يجامعوهم عليه قال ابن جريج فلما خرجوا ودعوا الله اماتهم ثم احياهم وقال مجاهد واختار موسى قومه سبعين رجلا لميقاتنا والميقات الموعد فلما اخذتهم الرجفة بعد ان خرج موسى بالسبعين من قومه يدعون الله ويسالونه ان يكشف عنهم البلا فلم يستجب لهم علم موسى انهم قد اصابوا من المعصية ما اصاب قومهم وقال محمد بن كعب القرظي لم يستجب لهم من اجل انهم لم ينهوهم عن المنكر ولم يامروهم بالمعروف فاخذتهم الرجفة فماتوا ثم احياهم الله وقوله تعالى فلما اخذتهم الرجفة اصل الرجفة الاضطراب الشديد الذي يحصل معه التغير او الهلاك ولهذا اختلفوا في تلك الرجفة التي حصلت لهولاء هل كان معها موت ام لا فمعظم الروايات التي تقدمت انهم ماتوا بسبب تلك الرجفة وقال وهب بن منبه لم تكن تلك الرجفة موتا ولكن القوم لما راوا تلك الهيبة اخذتهم الرعدة وقلقوا ورجفوا حتى كادت ان تبين مفاصلهم فلما راى موسى ذلك رحمهم وخاف عليهم الموت واشتد عليه فقدهم وكانوا له وزرا على الخير سامعين مطيعين فعند ذلك دعا موسى وبكى وناشد ربه فكشف الله عنهم تلك الرجفة فاطمانوا وسمعوا كلام الله فذلك قوله تعالى فلما اخذتهم الرجفة قال يعني موسى رب اي يا رب لو شيت اهلكتهم من قبل اي من قبل عبادتهم العجل واياي وذلك انه خاف ان يتهمه بنو اسرايل على السبعين اذا رجع اليهم ولم يكونوا معه ولم يصدقوه بانهم ماتوا فقال رب لو شيت اهلكتهم من قبل يعني قبل خروجهم الى الميقات واياي معهم فكانوا

بنوا اسرايل يعابون ذلك ولا ينهون أتهلكنا بما فعل السفهاء منا قال الفرا
ظن موسى انهم هلكوا باتخاذ اصحاب العجل العجل فقال اتهلكنا بما فعل السفهاء منا
يعني عبدة العجل وانما اهلكوا بسبب مسالتهم الروية وهو قولهم ارنا الله
جهرة وهذا قول الكلبي وجماعة وقال جماعة من اهل العلم لا يجوز ان يظن موسى
ان الله تعالى يهلك قومًا بذنوب غيرهم ولكن أتهلكنا بما فعل السفهاء منا استفهام
بمعنى الجحد اي لست تفعل ذلك وهذا قول ابن الانباري وقال المبرد هذا استفهام
استعطاف اي لا تهلكنا ان هي الا فتنتك قال الواحدي الكناية في هي تعود الى الفتنة
كما تقول ان هو الا زيد والمعنى ان تلك الفتنة التي وقع فيها السفهاء لم تكن الا فتنتك
اي اختبارك وابتلاوك وهذا تاكيد لقوله أتهلكنا بما فعل السفهاء منا لان معناه
لا تهلكنا بفعلهم فان تلك الفتنة كانت اختبارا منك وابتلا اضللت بها قومًا فافتتنوا
وهديت قومًا فعصمتهم حتى ثبتوا على دينك وهو المراد من قوله تضل بها من تشا
وتهدي من تشا قال الواحدي وهذه الاية من الحجج الظاهرة على القدرية التي لا يبقى لهم
معها عذر انت ولينا يعني انت يا ربنا ناصرنا وحافظنا وهذا يفيد الحصر اي لا ولي لنا
ولا ناصر لنا حافظ الا انت فاغفر لنا سال موسى عليه السلام لنفسه ولقومه الغفران
اما لنفسه فلقوله ان هي الا فتنتك وهذا فيه اقدام على الحضرة المقدسة واما لقومه
فلقولهم ارنا الله جهرة وفي هذا اقدام على الحضرة المقدسة فلهذا السبب سال موسى
الغفران له ولقومه وارحمنا اي واشملنا برحمتك التي وسعت كل شي وانت خير الغافرين
يعني ان كل من سواك انما يغفر الذنب طلبًا للثنا الجميل او لدفع ضرر واما انت يا رب
فتغفر ذنوب عبادك لا لطلب عوض ولا غرض بل لمحض الفضل والكرم فانت خير
الغافرين قوله تعالى واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة وفي الاخرة يعني قال موسى في دعايه
واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة اي واجعلنا ممن كتب له حسنة وهي ثواب الاعمال الصالحة
وفي الاخرة اي واكتب لنا في الاخرة مغفرة لذنوبنا انا هدنا اليك قال ابن عباس معناه انا
تبنا اليك وهذا قول جميع المفسرين واصل الهود الرجوع برفق قال بعضهم وبه سميت
اليهود وكان اسم مدح قبل نسخ شريعتهم فلما نسخت شريعتهم صار اسم ذم وهو لازم لهم
قال يعني قال الله عز وجل لموسى عليه السلام عذابي اصيب به من اشا يعني من خلقي فليس لاحد
علي اعتراض لان الكل ملكي وعبيدي ومن تصرف في خالص ملكه فليس لاحد عليه اعتراض ورحمتي
وسعت كل شي يعني ان رحمته سبحانه وتعالى عمت خلقه كلهم وقال بعضهم هذا من العام
اريد به الخاص فرحمة الله عمت البر والفاجر في الدنيا وهي للمومنين خاصة في الاخرة وقيل
للمومنين خاصة في الدنيا والاخرة ولكن الكافر يرزق ويدفع عنه ببركة المومن لسعة رحمة الله

له فاذا كان يوم القيامة وجبت للمومنين خاصة قال جماعة من المفسرين لما نزلت ورحمتي
وسعت كل شي تطاول ابليس اليها وقال انا من ذلك الشي فنزعها الله من ابليس فقال تعالى
فساكتبها للذين يتقون ويوتون الزكاة والذين هم باياتنا يومنون فايس ابليس منها وقالت
اليهود نحن نتقي ونوتي الزكاة ونومن بايات ربنا فنزعها الله من اليهود واثبتها لهذه الامة
فقال الذين يتبعون الرسول النبي الامي الاية وقال نوف البكالي لما اختار موسى من قومه
سبعين رجلا قال الله تعالى لموسى اجعل لك الارض مسجدًا وطهورا تصلون حيث ادركتم
الصلاة الا عند مرحاض او حمام او قبر واجعل السكينة في قلوبكم واجعلكم تقرون التوراة
عن ظهر قلوبكم يقروها الرجل والمراة والحر والعبد والصغير والكبير فقال موسى ذلك لقومه
فقالوا لا نريد ان نصلي الا في الكنايس ولا نستطيع حمل السكينة في قلوبنا ولا نستطيع ان نقرا
التوراة عن ظهر قلوبنا ولا نريد ان نقراها الا نظرا قال الله تعالى فساكتبها للذين يتقون الى قوله
اوليك هم المفلحون فجعلها الله لهذه الامة فقال موسى رب اجعلني نبيهم قال نبيهم منهم قال
اجعلني منهم قال انك لن تدركهم قال موسى يا رب اتيتك بوفد بني اسرايل فجعلت وفادتنا لغيرنا
فانزل الله ومن قوم موسى امة يهدون بالحق وبه يعدلون فرضي موسى اما التفسير فقوله للذين يتقون
يعني الشرك وسائر ما نهوا عنه لان جميع التكاليف محصورة في نوعين الاول التروك وهي الاشيا التي
يجب على الانسان تركها والاحتراز عنها ولا يقرب بها واليه الاشارة بقوله للذين يتقون والثاني الافعال
المامور بها وتلك الاعمال بدنية او قلبية اما البدنية فاليها الاشارة بقوله ويوتون الزكاة
وهذه وان كانت في حق المال لكن يختص البدن باخراجها واما الاعمال القلبية فالايمان والمعرفة
واليه الاشارة بقوله والذين هم باياتنا يومنون قوله عز وجل الذين يتبعون الرسول النبي الامي
ذكر الامام فخر الدين الرازي في معنى هذه التبعية وجهين احدهما ان المراد بذلك ان يتبعوه باعتقاد
نبوته من حيث وجد واصفته في التوراة اذ لا يجوز ان لا يتبعوه في شرايعه قبل ان يبعث الى الخلق
قال وفي قوله والانجيل ان المراد وسيجدونه مكتوبًا في الانجيل لانه من المحال ان يجدوه فيه قبل ما انزل
الله الانجيل الوجه الثاني ان المراد من لحق من بني اسرايل زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم فبين
تعالى ان هولا اللاحقين لا يكتب لهم رحمة الاخرة الا اذا اتبعوه قال وهذا القول اقرب لان اتباعه
قبل ان يبعث لا يمكن فبين بهذه الاية ان هذه الرحمة لا يفوز بها من بني اسرايل الا من اتقى واتى الزكاة
وامن بالايات في زمن موسى ومن كانت هذه صفته في ايام رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان مع
ذلك متبعًا للنبي صلى الله عليه وسلم في شرايعه فعلى هذين الوجهين يكون المراد بقوله الذين يتبعون الرسول
من بني اسرايل خاصة وجمهور المفسرين على خلاف ذلك فانهم قالوا المراد بهم جميع امته الذين امنوا به واتبعوه
سوا كان من بني اسرايل او غيرهم واجمع المفسرون على ان المراد بقوله الذين يتبعون الرسول محمد صلى الله عليه
وسلم وصفه بكونه رسولا لانه الواسطة بين الله وبين خلقه المبلغ رسالاته واوامره ونواهيه وشرايعه

اليهم ثم وصفه بكونه نبيا وهذا ايضا من اعلى المراتب واشرفها وذلك يدل على انه رفيع القدر والدرجة عند الله المخبر عنه ثم وصفه بالامي قال ابن عباس هو نبيكم صلى الله عليه وسلم كان اميا لا يكتب ولا يقرا ولا يحسب قال الزجاج في معنى الامي هو الذي على صفة امة العرب لان العرب كان اكثرهم لا يكتب ولا يقرا ولا يحسب فالنبي صلى الله عليه وسلم كان كذلك فلهذا وصفه الله تعالى بكونه اميا وصح في الحديث انه صلى الله عليه وسلم كان اميا فهو من اكبر معجزاته واعظمها وبيانه انه صلى الله عليه وسلم اتى بهذا الكتاب العظيم الذي اعجز الخلايق فصاحة وبلاغة وكان يقراه عليهم بالليل والنهار من غير زيادة فيه ولا نقصان منه ولا تغيير فدل ذلك على معجزته وهو قوله تعالى سنقريك فلا تنسى وقيل انه لو كان يحسن الكتابة ثم انه اتى بهذا القران العظيم لكان متهما فيه لاحتمال انه كتبه ونقله عن غيره فلما كان اميا واتى بهذا الكتاب العظيم الذي فيه علم الاولين والاخرين والمغيبات دل ذلك على كونه معجزة له صلى الله عليه وسلم وايضا فان الكتابة تعين الانسان على الاشتغال بالعلوم وتحصيلها ثم انه اتى بهذه الشريعة والاداب الحسنة مع علوم كثيرة وحقايق دقيقة من غير مطالعة كتب ولا اشتغال على احد دل ذلك على كونه معجزة له صلى الله عليه وسلم وقيل في معنى الامي الذي هو منسوب الى امه كانه لم يخرج بعد عن ما ولدته امه وقيل سمي اميا لانه منسوب الى ام القرى وهي مكة وقوله تعالى الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل يعني يجدون صفته ونعته ونبوته مكتوبة عندهم يعرفها علماوهم واحبارهم ولكنهم كتموا ذلك وبدلوه وغيروه حسدا منهم له وخوفا على زوال رياستهم وقد حصل لهم ما كانوا يخافونه فقد زالت رياستهم ووقعوا في الذل والهوان خ عن عطا بن يسار قال لقيت عبد الله بن عمرو بن العاص فقلت اخبرني عن صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم في التوراة فقال اجل انه لموصوف في بعض صفاته في القران يا ايها النبي انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وحرزا للاميين انت عبدي ورسولي سميتك المتوكل ليس بفظ ولا غليظ ولا سخاب في الاسواق ولا يدفع بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويغفر ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجا بان يقولوا لا اله الا الله ويفتح بها اعينا عميا واذانا صما وقلوبا غلفا شرح غريب الفاظه الفظ السيئ الخلق والغليظ الجافي القاسي وقوله سخاب يقال سخاب بالسين والصاد وهو الكثير الصياح في الاسواق والاعوجاج ضد الاستقامة واراد بالملة العوجا الكفر والقلب الاغلف الذي لا يصل اليه شي ينفعه شبهه بالاغلف كانه في غلاف وروى البغوي بسنده عن كعب الاحبار قال اني اجد في التوراة مكتوبا محمد رسول الله لا فظ ولا غليظ ولا سخاب في الاسواق ولا يجزي بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويصفح امته الحامدون يحمدون الله في كل منزلة ويكبرونه على كل نجد ياترزون على انصافهم ويوضون اطرافهم صفهم في الصلاة وصفهم في القتال سوا مناديهم ينادي في جوف السما لهم في جوف الليل دوي كدوي النحل مولده بمكة ومهاجره بطيبة وملكه بالشام وقوله يامرهم بالمعروف يعني بالايمان

وتوحيد الله

٤٥

وتوحيد الله وينهاهم عن المنكر يعني عن الشرك بالله وقيل المعروف ما عرف في الشريعة والسنة والمنكر ما لا يعرف في شريعة ولا سنة وقال عطا يامرهم بالمعروف بخلع الانداد ومكارم الاخلاق وصلة الارحام وينهاهم عن المنكر عن عبادة الاوثان وقطع الارحام ويحل لهم الطيبات يعني بذلك ما كان محرما عليهم في التوراة من الطيبات وهو لحوم الابل وشحم الغنم والمعز والبقر وقيل هو ما كانوا يحرمونه على انفسهم في الجاهلية من البحاير والسوايب والوصايل والحامي وقيل هي المستلذات التي تستطيبها الانفس ويحرم عليهم الخبايث قال ابن عباس يريد الميتة والدم ولحم الخنزير وقيل هو كل ما يستخبثه الطبع وتستقذره النفس فان الاصل في المضار الحرمة الا ما له دليل متصل بالحل ويضع عنهم اصرهم يعني ثقلهم واصل الاصر الثقل الذي يامر صاحبه يحبسه عن الحركة لثقله والمراد بالاصر هنا العهد والميثاق الذي اخذ على بني اسرايل ان يعملوا بما في التوراة من الاحكام وكانت تلك شديدة والاغلال التي كانت عليهم يعني ويضع الاثقال والشدايد التي كانت عليهم في الدين والشريعة وذلك مثل قتل النفس في التوراة وقطع الاعضا الخاطية وقرض النجاسة عن البدن والثوب بالمقراض وتعيين القصاص في القتل وتحريم اخذ الدية وترك العمل في السبت وان صلاتهم لا تجوز الا في الكنايس وتتبع العروق من اللحم وغير ذلك من الشدايد التي كانت على بني اسرايل شبهت بالاغلال مجازا لان التحريم يمنع من الفعل كما ان الغل يمنع من الفعل وقيل شبهت بالاغلال التي تجمع اليد الى العنق كما ان اليد لا تمتد مع وجود الغل فكذلك لا تمتد الى الحرام التي نهيت عنه وكانت هذه الاثقال في شريعة موسى عليه السلام فلما جا محمد صلى الله عليه وسلم نسخ ذلك كله ويدل عليه قوله صلى الله عليه وسلم بعثت بالحنيفية السهلة السمحة فالذين امنوا به يعني بمحمد صلى الله عليه وسلم وعزروه يعني وقروه وعظموه واصل التعزير المنع والنصرة وتعزير النبي تعظيمه واجلاله ودفع الاعدا عنه وهو قوله ونصروه يعني على اعدايه واتبعوا النور الذي انزل معه يعني القران سمي القران نورا لان به يستنير قلب المومن فيخرج به من ظلمات الشك والجهالة الى ضيا اليقين والعلم اوليك هم المفلحون يعني هم الناجون الفايزون بالهداية قوله تعالى قل يا ايها الناس اني رسول الله اليكم جميعا الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم اي قل يا محمد للناس اني رسول الله اليكم جميعا لا الى بعضكم دون بعض ففي الاية دليل على عموم رسالته الى كافة الخلق لان قوله يا ايها الناس خطاب عام يدخل فيه جميع الناس ثم امره الله عز وجل ان يقول اني رسول الله اليكم جميعا وهذا يقتضي كونه مبعوثا الى جميع الناس ق عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اعطيت خمسا لم يعطهن احد قبلي كان كل نبي يبعث الى قومه خاصا وبعثت الى كل احمر واسود واحلت لي الغنايم ولم تحل لاحد قبلي وجعلت لي الارض طيبة وطهورا ومسجدا فايما رجل ادركته الصلاة صلى حيث كان ونصرت بالرعب على العدو بين

يدي مسيرة شهر واعطيت الشفاعة وفي رواية اعطيت خمسًا لم يعطهن احد من الانبيا
قبلي نصرت بالرعب مسيرة شهر وجعلت لي الارض مسجدًا وطهورًا فايما رجل من امتي ادركته
الصلاة فليصل واحلت لي الغنايم ولم تحل لاحد قبلي واعطيت الشفاعة وكان النبي يبعث
الى قومه خاصة وبعثت الى الناس عامة وقوله في الرواية الاولى وبعثت الى كل احمر واسود
قيل اراد بالاحمر العجم وبالاسود العرب وقيل اراد بالاحمر الانس وبالاسود الجن فعلى هذا
تكون رسالته صلى الله عليه وسلم عامة الى كافة الخلق من الانس والجن م عن ابي هريرة ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال فضلت على الانبيا بست اعطيت جوامع الكلم ونصرت بالرعب
واحلت لي الغنايم وجعلت لي الارض مسجدا وطهورا وارسلت الى الخلق كافة وختم بي
النبيون وقوله تعالى الذي له ملك السموات والارض لما امر الله عز وجل رسوله محمدا صلى الله
عليه وسلم بان يقول يا ايها الناس اني رسول الله اليكم اردفه بما يدل على صحة دعواه يعني
ان الذي له ملك السموات والارض وهو مدبرهما ومالك امرهما هو الذي ارسلني اليكم وامرني
ان اقول لكم اني رسول الله اليكم جميعًا لا اله الا هو يحيي ويميت وصف الله نفسه بالالهية
وانه لا شريك له فيهما وانه القادر على احيا خلقه واماتتهم ومن كان كذلك فهو القادر على
ارسال الرسل الى خلقه فامنوا بالله ورسوله لما امر رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم بان يقول
للناس اني رسول الله اليكم جميعًا امر الله جميع خلقه بالايمان به وبرسوله وذلك لان الايمان
بالله هو الاصل والايمان برسوله فرع عليه فلهذا ابدا بالايمان بالله ثم ثنى بالايمان برسوله
فقال فامنوا بالله ورسوله ثم وصفه فقال تعالى النبي الامي وتقدم معناهما الذي يؤمن
بالله وكلماته قال قتادة يعني اياته وهي القران وقال مجاهد والسدي اراد بكلماته عيسى ابن
مريم لانه خلق بقوله كن فكان وقيل هو على العموم يعني يؤمن بجميع كلمات الله تعالى واتبعوه
يعني واقتدوا به ايها الناس فيما يامركم به وينهاكم عنه وقيل المتابعة على قسمين متابعة في
الاقوال ومتابعة في الافعال اما المتابعة في الاقوال بان يمتثل التابع جميع ما يامر به المتبوع
على طريقة الامر والنهي والترغيب والترهيب واما المتابعة في الافعال فما يقتدى به في جميع
افعاله واداب الا ما خص به رسول الله صلى الله عليه وسلم وثبت له دليل انه من خصايصه
فلا متابعة فيه وقوله تعالى لعلكم تهتدون يعني لكي تهتدوا وترشدوا وتصيبوا الحق والصواب
في متابعتكم اياه قوله عز وجل ومن قوم موسى يعني من بني اسرايل امة اي جماعة يهدون
بالحق يعني يهتدون بالحق ويستقيمون عليه ويعملون به ويرشدون اليه وبه يعدلون يعني
وبالحق يحكمون وبالعدل ياخذون ويعطون وينصفون واختلفوا في هولاء من هم فقيل هم
الذين اسلموا من بني اسرايل مثل عبد الله بن سلام واصحابه فانهم امنوا بموسى والتوراة وامنوا
بمحمد صلى الله عليه وسلم والقران واعترض على هذا بانهم كانوا قليلين ولفظ الاية يقتضي الكثرة

واجب

واجيب عنه بانهم لما كانوا مخلصين في الدين جاز اطلاق لفظ الامة عليهم كما في قوله
ان ابراهيم كان امة وقيل هم بقوا على الدين الحق الذي جاء به موسى عليه السلام قبل التحريف
والتبديل ودعوا الناس اليه وقال السدي وابن جريج وجماعة من المفسرين ان بني اسرايل لما
قتلوا انبياءهم وكفروا وكانوا اثني عشر سبطا تبرا سبط منهم مما صنعوا واعتذروا وسالوا
الله ان يفرق بينهم وان يبعدهم عنهم ففتح الله لهم نفقا في الارض فساروا فيه حتى خرجوا من
ورا الصين فهم هنالك حنفا مسلمون مستقبلون قبلتنا قال ابن جريج قال ابن عباس ساروا
في السرب سنة ونصفا رواه الطبري وحكى البغوي عن الكلبي والضحاك والربيع قالوا هم
قوم خلف الصين باقصى الشرق على نهر يجري الرمل يسمى نهر اردان ليس لاحد منهم مال دون
صاحبه يمطرون بالليل ويصحون بالنهار ويزرعون ولا يصل اليهم احد منا وهم على الحق وذكر
لنا ان جبريل ذهب بالنبي صلى الله عليه وسلم ليلة اسري به فكلمهم فقال لهم جبريل هل تعرفون
من تكلمون قالوا لا فقال هذا محمد النبي الامي فامنوا به وقالوا يا رسول الله ان موسى اوصانا
ان من ادرك منكم احمد فليقرا مني عليه السلام فرد رسول الله صلى الله عليه وسلم على موسى وعليهم
السلام واقراهم عشر سور من القران نزلت عليه بمكة وامرهم بالصلاة والزكاة وامرهم ان
يقيموا مكانهم وكانوا يسبتون فامرهم ان يجمعوا ويتركوا السبت وهذه الحكاية ضعيفة
من وجوه الاول قولهم ان احدا منا لا يصل اليهم واذا كان الامر كذلك فمن الذي وصل خبرهم
الينا الوجه الثاني قولهم ان جبريل ذهب بالنبي صلى الله عليه وسلم اليهم ليلة اسري به وهذا
لم يرد بنقل صحيح ولا رواه احد من ايمة الحديث ولا يلتفت الى قول الاخباريين والقصاص في
ذلك الوجه الثالث قولهم انهم بلغوا النبي صلى الله عليه وسلم سلام موسى وقد صح في
حديث المعراج انه سلم عليه في السما السادسة وايضا قولهم اقراهم عشر سور وقد نزل
عليه بمكة اكثر من ذلك وكان فرض الزكاة بالمدينة فكيف يامرهم بها قبل فرضيتها فاذا ثبت
بما ذكرناه بطلان هذه الرواية فالمختار في تفسير هذه الاية انها اما ان تكون نزلت في قوم
كانوا مستمسكين بدين موسى قبل التبديل والتغيير ثم ماتوا وهم على ذلك واما ان تكون
نزلت فيمن اسلم من اليهود على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم كعبد الله واصحابه والله اعلم
بمراده قوله تعالى وقطعناهم يعني وفرقنا بني اسرايل اثنتي عشرة اسباطا يعني من اولاد يعقوب
لان يعقوب هو اسرايل واولاده الاسباط وكانوا اثني عشر ولدا امما يعني جماعات وقبايل
واوحينا الى موسى اذ استسقاه قومه يعني في التيه ان اضرب بعصاك الحجر فانبجست يعني
انفجرت وقيل عرقت وهو الانبجاس منه اي من الحجر اثنتا عشرة عينا يعني لكل سبط عين قد علم
كل اناس مشربهم يعني لا يدخل سبط على سبط في مشربهم وظللنا عليهم الغمام يعني في التيه يقيهم
حر الشمس وانزلنا عليهم المن هو الترنجبين والسلوى جنس من الطير جعل الله عز وجل ذلك طعاما

لهم في التيه كلوا من طيبات ما رزقناكم اي وقلنا كلوا وما ظلمونا ولكن كانوا انفسهم يظلمون
في الكلام حذف ترك تقديره ذكره للاستغنا عنه ودلالة الكلام عليه تقديره كلوا من طيبات
ما رزقناكم فابجوا ذلك وسأموه وقالوا لن نصبر على طعام واحد وسألوه غيره لان المكلف اذا امر
بشي فتركه وعدل عنه الى غيره يكون عاصيا بفعله ذلك فلهذا قال وما ظلمونا يعني وما ادخلوا علينا
في ملكنا وسلطاننا نقصا بمسألتهم ما سألوا ولكن كانوا انفسهم يظلمون يعني بمخالفتهم ما امروا
به وقد تقدم بسط الكلام على تفسير هذه الاية في سورة البقرة وقوله تعالى واذ قيل لهم اي واذكر
يا محمد لقومك اذ قيل لهم يعني لبني اسرايل اسكنوا هذه القرية يعني بيت المقدس وقال في سورة
البقرة ادخلوا هذه القرية ولا منافاة بينهما لان كل ساكن في موضع لا بد له من الدخول اليه
وكلوا منها حيث شئتم يعني وكلوا من ثمار القرية وزروعها وحبوبها وبقولها حيث شئتم
واين شئتم قال في البقرة فكلوا بالفا وهنا بالواو والفرق بينهما ان الدخول حالة مقتضية للاكل
عقيب الدخول فحسن دخول الفا في التي هي للتعقيب ولما كانت السكنى حالة استمرار حسن دخول
الواو وعقيب السكنى فيكون الاكل حاصلا متى شاوا وانما قال في سورة البقرة رغدا ولم يقله هنا
لان الاكل عقيب الدخول الذ واكمل فاما الاكل مع السكنى والاستمرار فليس كذلك فحسن دخول
لفظة رغدا هناك بخلاف هنا وقولوا حطة اي حط عنا ذنوبنا وادخلوا الباب سجدا
وقال في سورة البقرة عكس هذا اللفظ ولا منافاة في ذلك لان المقصود من ذلك تعظيم
امر الله واظهار الخضوع والخشوع له فلم يتفاوت الحال بحسب التقديم والتاخير نغفر لكم
خطاياكم يعني نغفر لكم ذنوبكم ولا نواخذكم بها وانما قال هنا خطيئاتكم وفي البقرة خطاياكم
لان المقصود غفران ذنوبكم سوا كانت قليلة او كثيرة اذا اتوا بالدعا والتضرع سنزيد
المحسنين وقال في سورة البقرة وسنزيد بالواو ومعناه انه وعد بشيئين بالغفران
وبالزيادة للمحسنين من الثواب واسقاط الواو لا يخل بذلك المعنى لانه استينا فمرتب
على تقدير قول القايل وماذا بعد الغفران فقيل له سنزيد المحسنين فبدل الذين ظلموا
منهم قولا غير الذي قيل لهم يعني فغير الذين ظلموا انفسهم بمخالفة امر الله من بني اسرايل فقالوا
غير الذي قيل لهم وامروا به وذلك انهم امروا ان يقولوا حطة فقالوا حنطة في شعيرة فكان
ذلك تبديلهم وتغييرهم فارسلنا عليهم رجزا من السما يعني بعثنا عليهم من السما عذابا
اهلكهم ولا منافاة بين قوله هنا ارسلنا وبين قوله في البقرة انزلنا لانهما لا يكونان الا من اعلى
الى اسفل وقيل بينهما فرق وهو ان الانزال لا يشعر بالكثرة والارسال يشعر بذلك فكانه
تعالى بدا بانزال العذاب قليلا ثم ارسله عليهم كثيرا بما كانوا يظلمون يعني ان ارسال العذاب
عليهم بسبب ظلمهم ومخالفتهم امر الله وقال في البقرة بما كانوا يفسقون والجمع بينهما انهم لما
ظلموا انفسهم بما غيروا وبدلوا فسقوا بذلك وخرجوا عن طاعة الله تعالى وقد تقدمت

هذه القصة ايضا في تفسير سورة البقرة قوله عز وجل واسألهم عن القرية التي كانت
حاضرة البحر الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم اي سل يا محمد هولا اليهود الذين هم جيرانك
عن حال اهل القرية وهذا السوال سوال توبيخ وتقريع لا سوال استعلام لانه صلى الله
عليه وسلم كان قد علم حال هذه القرية بوحي الله عز وجل واخباره اياه عن حالهم وانما المقصود
من هذا السوال تقريرا عند اليهود واقدامهم على الكفر والمعاصي قديما وان اصرارهم على
الكفر بمحمد صلى الله عليه وسلم وانكار نبوته ومعجزاته ليس شيئا قد حدث الان في زمانه
بل اصرارهم على الكفر كان حاصلا في اسلافهم في قديم الزمان وفي الاخبار بهذه القصة معجزة
للنبي صلى الله عليه وسلم لانه كان اميا لم يقرا الكتب القديمة ولم يعرف اخبار الاولين ثم اخبرهم
بما جرى لاسلافهم في قديم الزمان وانهم بسبب مخالفتهم امر الله عز وجل مسخوا قردة واختلفوا
في هذه القرية فقال ابن عباس هي ايلة بين مصر والمدينة والعرب تسمي المدينة قرية وقال
الزهري هي طبرية الشام وفي رواية عن ابن عباس قال هي مدين وقال وهب هي مقنا بين مدين
وعينونا التي كانت حاضرة البحر يعني عن القرية التي كانت على ساحل البحر وقريبة منه
اذ يعدون في السبت يعني يتجاوزون حد الله وما امرهم به من تعظيمه فخالفوا امر الله وصادوا
فيه السمك اذ تاتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرعا يعني ظاهرة على الما كثيرة وقال الضحاك
تاتيهم متتابعة يتبع بعضها بعضا وقيل كانت تاتيهم يوم السبت مثل الكباش السمان
البيض ويوم لا يسبتون لا تاتيهم يعني الحيتان كذلك نبلوهم يعني مثل هذا الاختبار
الشديد نختبرهم ونحن اعلم بحالهم بما كانوا يفسقون يعني ان ذلك الابتلا والاختبار بسبب
فسقهم وخروجهم عن طاعة الله وما امروا به قال اهل التفسير ان اليهود امروا بيوم الجمعة
فتركوه واختاروا السبت فابتلوا به وهو ان الله امرهم بتعظيمه ونهاهم عن العمل فيه وحرم
عليهم فيه الصيد فلما اراد الله ان يبتليهم كانت الحيتان تظهر لهم في يوم السبت ينظرون
اليها في البحر فاذا انقضى السبت ذهبت فلم تر الى السبت المقبل بلا ابتلوا به فوسوس اليهم
الشيطان وقال ان الله لم ينهكم عن الاصطياد انما نهاكم عن الاكل فاصطادوا وقيل انه وسوس
اليهم انكم انما نهيتم عن الاخذ فاتخذوا حياضا على ساحل البحر وسوقوا اليها الحيتان
يوم السبت فاذا كان يوم الاحد اخذوها ففعلوا ذلك زمانا ثم انهم تجروا على السبت
وقالوا ما نرى السبت الا قد حل لنا فاصطادوا واكلوا وباعوا فصار اهل القرية احزابا
ثلاثا وكانوا نحو من سبعين الفا فثلث نهوا عن الاصطياد وثلث سكتوا ولم ينهوا وقالوا
للناهين لم تعظون قوما الله مهلكهم وثلث هم اصحاب الخطيئة الذين خالفوا امر الله واصطادوا
وباعوا واكلوا فلما لم ينتهوا عما هم فيه من المعصية قال الناهون لا نساكنكم في قرية واحدة فقسموا
القرية بينهم بجدار للناهين باب يدخلون ويخرجون به وللعاصين باب ولعنهم داود عليه

السلام وكانوا في زمنه فاصبح الناهون ذات يوم ولم يخرج من المعتدين احد فقالوا ان لهم شانا
لعل الخمر قد غلبتهم فعلوا على الجدار الذي بينهم فاذا هم قد مسخوا قردة ففتحوا عليهم الباب
ودخلوا اليهم فصارت القردة يعرفون انسابهم من الناس ولم يعرف الناس انسابهم من القردة فجعلت
القردة تاتي انسابها من الناس فتشم ثيابهم وتبكي فيقول لهم اهلوهم الم ننهكم فتقول القردة براسها
نعم فنجا الناهون وهلك سائرهم فذلك قوله تعالى واذ قالت امة منهم لم تعظون قوما الله
مهلكهم واختلفوا في القائلين هذه المقالة فقال بعض المفسرين ان اهل القرية افترقوا ثلاث
فرق فرقة اعتدت واصابت الخطيئة وفرقة نهتهم عن ذلك الفعل وفرقة امسكت عن
الصيد وسكتت عن موعظة المعتدين وقالوا للناهين لم تعظون قوما الله مهلكهم او معذبهم
عذابا شديدا يعني انهم لاموهم على موعظة قوم يعلمون انهم غير متعظين ولا منزجرين فقالت
الفرقة الناهية للذين لاموهم قالوا معذرة الى ربكم يعني ان موعظتنا اياهم معذرة الى ربكم لان
الامر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب علينا فموعظتنا لهولاء عذر لنا عند الله ولعلهم يتقون
اي وجائز عندنا ان ينتفعوا بالموعظة فيتقوا الله ويتركوا ما هم فيه من الصيد وقال
بعضهم ان اهل القرية كانوا فرقتين فرقة نهت وزجرت عن السوء وفرقة عملت بالسوء فعلى هذا
يكون الذين قالوا لم تعظون قوما الله مهلكهم الفرقة المعتدية وذلك ان الفرقة الناهية قالوا
للفرقة المعتدية انتهوا قبل ان ينزل بكم عذابا شديدا ان لم تنتهوا عما انتم فيه فقالت لهم
الفرقة المعتدية لم تعظون قوما الله مهلكهم او معذبهم عذابا شديدا والمعنى فلم تعظوننا
وقد علمتم ان الله مهلكنا او منزل بنا عذابه والقول الاول اصح لانهم لو كانوا فرقتين لكان قولهم
معذرة الى ربكم خطابا من الناهية للمعتدية وقوله تعالى فلما نسوا ما ذكروا به اي فلما تركوا ما
وعظوا به انجينا الذين ينهون عن السوء وهم الفرقة الناهية واخذنا الذين ظلموا يعني الفرقة
المعتدية العاصية بعذاب بئيس اي شديد وجيع من الباس وهو الشدة بما كانوا يفسقون يعني
انما اخذناهم بالعذاب بسبب فسقهم واعتدائهم وخروجهم عن طاعتنا روى عكرمة عن
ابن عباس قال اسمع الله عز وجل يقول انجينا الذين ينهون عن السوء واخذنا الذين ظلموا بعذاب
بئيس فلا ادري ما فعلت الفرقة الساكتة وجعل يبكي قال عكرمة فقلت له جعلني الله فداك
الا تراهم قد انكروا وكرهوا ما هم عليه وقالوا لم تعظون قوما الله مهلكهم وان لم يقل الله
انجيتهم لم يقل اهلكتهم قال فاعجبه قولي ورضي به وامر لي ببردين فكسانيهما وقال نجت
الساكتة وقال يمان بن رباب نجت الطائفتان الذين قالوا لم تعظون والذين قالوا معذرة
واهلك الله الذين اخذوا الحيتان وهذا قول الحسن وقال ابن زيد نجت الناهية وهلكت
الفرقتان وهذه اشد اية في ترك النهي عن المنكر وقوله تعالى فلما عتوا عما نهوا عنه قال ابن عباس
ابوا ان يرجعوا عن المعصية والعتو عبارة عن الاباء والعصيان والمعنى فلما عتوا عن ترك ما نهوا

عنه وتمردوا في العصيان من اعتدائهم في السبت واستحلالهم ما حرم الله عليهم من صيد السمك
في يوم السبت واكله قلنا لهم كونوا قردة خاسئين يعني صاغرين مبعدين من كل خير قال
قتادة لما عتوا عما نهوا عنه مسخهم فصيرهم قردة تتعاوى بعد ما كانوا رجالا ونساء وقال
ابن عباس جعل الله منهم القردة والخنازير فزعم ان شباب القوم صاروا قردة وان المشيخة
صاروا خنازير وقيل انهم بقوا ثلاثة ايام ينظر الناس اليهم ثم هلكوا جميعا قوله تعالى واذ تاذن
ربك الخطاب فيه للنبي صلى الله عليه وسلم ومعنى تاذن اذن والايذان الاعلام يعني اعلم ربك
وقيل معناه قال ربك وقيل حكم ربك وقيل تاذن ربك بمعنى اقسم ربك لان اللام في قوله
ليبعثن جواب القسم لان قوله واذ تاذن جار مجرى القسم لكونه جزما وجواب القسم ليبعثن
عليهم واختلفوا في الضمير في عليهم الى من يرجع فقيل يقتضي ان يكون راجعا الى قوله فلما عتوا عما
نهوا عنه قلنا لهم كونوا قردة خاسئين لكن قد علم ان الذين مسخوا لم يبق منهم احد فيحتمل ان
يكون المراد الذين بقوا منهم فالحقوا الذل بهم وقيل ان المراد سائر اليهود من بعدهم لان الذين بقوا من
اهل القرية كانوا صالحين والذي بعثه الله على اليهود هو بخت نصر وسنجاريب وملوك الروم
فساموهم سوء العذاب وقيل المراد بقوله ليبعثن عليهم اليهود الذين كانوا في زمان رسول الله
صلى الله عليه وسلم والذي بعثه الله عليهم هو رسول الله صلى الله عليه وسلم وامته فالزم من لم
يسلم منهم الصغار والذلة والجزية لازمة لليهود الى يوم القيامة واورد على هذا بان في اخر
الزمان يكون لهم عزة وذلك عند خروج الدجال لان اليهود اتباعه واشياعه واجيب عنه بان
ذلك العز الذي يحصل لهم هو في نفسه غاية الذلة لانهم يدعون الالهية للدجال فيزدادون كفرا
الى كفرهم فاذا اهلك الدجال اهلكهم المسلمون وقتلوهم جميعا فذلك هو الذلة والصغار المشار
اليه بقوله ليبعثن عليهم الى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب وهنا نص في ان هذا العذاب
انما يحصل لهم في الدنيا مستمرا عليهم الى يوم القيامة ولهذا فسر هذا العذاب بالاهانة والذلة واخذ
الجزية منهم فاذا افضوا الى الاخرة كان عذابهم اشد واعظم وهو قوله تعالى ان ربك لسريع العقاب
يعني لمن اقام على الكفر فيه دليل على انه يجمع لهم مع ذلة الدنيا عذاب الاخرة فيكون العذاب مستمرا
عليهم في الدنيا والاخرة ثم ختم الاية بقوله تعالى وانه لغفور رحيم يعني لمن امن منهم ورجع عن الكفر
واليهودية ودخل في دين الاسلام قوله عز وجل وقطعناهم في الارض امما يعني وفرقنا بني اسرائيل
في الارض جماعات متفرقة فلا تجد بلدا الا وفيه من اليهود طائفة وجماعة قال ابن عباس في كل
ارض تدخلها قوم من اليهود منهم الصالحون يعني من هولاء الذين وصفهم الله من بني اسرائيل صالحون
وهم من امن بالله ورسوله وثبت على دينه قبل مبعث عيسى عليه السلام وانما وصفهم بذلك قبل ارتدادهم
عن دينهم وكفرهم بربهم ذكره الطبري ولم يذكر غيره وروى البغوي وغيره من المفسرين عن ابن
عباس ومجاهد ان المراد بالصالحين الذين ادركوا النبي صلى الله عليه وسلم من اليهود وامنوا به والصحيح

ما ذكره الطبري يدل عليه قوله بعده فخلف من بعدهم خلف والخلف انما كان بعد هولا
الذين وصفهم بالصلاح من بني اسرايل وقوله ومنهم دون ذلك يعني الذين كفروا من بني
اسرايل وبدلوا وغيروا وبلوناهم يعني جميعا الصالح وغيره وهو بلوى اختبار وامتحان
بالحسنات يعني الخصب والعافيه والسيات يعني الجدب والشدة لعلهم يرجعون
يعني لكي يرجعون الى طاعة ربهم ويتوبون اليه قال اهل المعاني كل واحد من الحسنات
والسيات اذا اقترنا بالنعم والشدة تدعوا الى طاعة الله تعالى اما النعمة فيزداد عليها
شكرا فيرغب في الطاعة واما الشدة فيخاف سو عاقبتها فيرهبها قوله تعالى فخلف
من بعدهم يعني من بعد هولا الذين وصفناهم خلف يعني خلف سو يعني حدث من
بعدهم وتبدل منهم بدل سو يقال منه هو خلف صدق بفتح اللام وخلف سو بسكونها
فاكثر ما يقال بالمدح بفتح اللام وفي الذم بسكونها وقد تحرك في الذم وتسكن في المدح
قال حسان بن ثابت في المدح * لنا القدم الاولى اليك وخلفنا * لاولنا في طاعة الله تابع فسكن
اللام في قوله وخلفنا وهو يريد المدح وقال لبيد في الذم * ذهب الذين يعاش في اكنافهم
وبقيت في خلف كجلد الاجرب * فسكن اللام وهو يريد الذم واصله من الفساد يقال
خلف اللبن اذا فسد وتغير في السقا ويقال للردي من القول خلف وخلف الشي تغير
ومنه خلوف فم الصايم والمعنى جا من بعد هولا الذين وصفناهم خلف والخلف القرن
الذي يجي بعد قرن كان قبله ورثوا الكتاب يعني انتقل اليهم الكتاب عن ابايهم والمراد
بالكتاب التوراة ياخذون عرض هذا الادنى العرض بالفتح جميع متاع الدنيا كما يقال الدنيا
عرض حاضر ياكل منها البر والفاجر والعرض بسكون الرا جميع المال سوى الدراهم والدنانير
والمعنى انهم كانوا ياخذون الرشى في الاحكام وعلى تبديل الكلام وتغييره وذلك الذي
ياخذونه من حطام الدنيا هو الشي التافه الخسيس الحقير لان الدنيا باسرها فانية حقيرة
والراغب فيها احقر منها فاليهود ورثوا التوراة وعلموا ما فيها وضيعوا العمل بما فيها
وتركوه واخذوا الرشى في الاحكام ويعلمون انه حرام ثم انهم مع اقدامهم على هذا الذنب
العظيم واصرارهم عليه يقولون سيغفر لنا يعني ذنوبنا فيتمنون على الله الاماني الباطلة
الكاذبة عن شداد بن اوس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الكيس من دان نفسه وعمل
لما بعد الموت والعاجز من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله اخرجه الترمذي وقال في قوله
صلى الله عليه وسلم دان نفسه حاسبها في الدنيا قبل ان يحاسب يوم القيمة وموضع الاستشهاد
من الحديث على الاية قوله وتمنى على الله لان اليهود كانوا يقدمون على الذنوب ويقولون سيغفر
لنا وهذا هو التمني بعينه وقوله تعالى وان ياتهم عرض مثله ياخذوه وهذا اخبار عن
حرصهم على الدنيا واصرارهم على الذنوب والمعنى انهم اذا اتاهم شي من الدنيا اخذوه حلالا

كان او حراما ويتمنون على الله المغفرة وان وجدوا من الغد مثله اخذوه قال السدي كانت
بنو اسرايل لا يستقضون قاضيا الا ارتشى في الحكم فيقال له ما لك ترتشي فيقول سيغفر لي
فيطعن عليه الاخرون فاذا مات او نزع من الحكم وجعل مكانه اخر ممن كان يطعن عليه ارتشى ايضا
يقول الله عز وجل وان ياتي الاخرين عرض الدنيا ياخذوه الم يوخذ عليهم ميثاق الكتاب
يعني الم يوخذ على هولا المرتشين في احكامهم العهود والمواثيق في الكتاب وهو التوراة
ان لا يقولوا على الله الا الحق يعني انا اخذنا عليهم الميثاق على ان يقولوا الحق فقالوا الباطل وخالفوا
امر الله وهو قولهم سيغفر لنا والمراد من هذا التوبيخ والتقريع لليهود في ادعايهم على الله الباطل
قال ابن عباس هو ما يوجبون على الله من غفران ذنوبهم التي لا يزالون يعودون فيها ولا يتوبون
منها ودرسوا ما فيه يعني ما في الكتاب والمعنى انهم ذاكرون لما اخذ عليهم من العهود والمواثيق
في الكتاب لانهم دارسون له لم يتركوه ولكن درسوه وضيعوا العمل والدار الاخرة يعني وما في
الدار الاخرة مما اعد الله لاوليايه واهل طاعته العاملين بما امرهم الله به في كتابه ولم يغيروا ولم
يبدلوا ولم يرتشوا في الاحكام خير للذين يتقون يعني يتقون الله ويخافون عقابه افلا يعقلون
يعني افلا يعقل هولا الذين يرضون بعرض الدنيا ان ما في الاخرة خير وابقى لانها دار المتقين
والذين يمسكون بالكتاب يقال مسكت بالشي وتمسكت به واستمسكت به وامتسكت به والمراد
بالتمسك بالكتاب العمل بما فيه واحلال حلاله وتحريم حرامه واقامة حدوده والتمسك باحكامه
نزلت هذه الاية في حق الذين اسلموا من اهل الكتاب مثل عبد الله بن سلام واصحابه لانهم تمسكوا
بالكتاب الاول ولم يحرفوه ولم يغيروه فاداهم ذلك التمسك الى الايمان بالكتاب الثاني وهو القران
واقاموا الصلاة يعني وداوموا على اقامتها في مواقيتها وانما افردها بالذكر وان كانت الصلاة
داخلة في التمسك بالكتاب تنبيها على عظم قدرها وانها من اعظم العبادات بعد الايمان
بالله وبرسوله انا لا نضيع اجر المصلحين قوله عز وجل واذ نتقنا الجبل فوقهم كانه ظلة يعني واذكر
يا محمد اذ قلعنا الجبل فرفعناه فوق بني اسرايل كانه ظلة يعني جعلناه فوقهم كالظلة والظلة
كلما على الانسان كالسقف ونحوه وظنوا يعني وايقنوا انه واقع بهم يعني الجبل خذوا يعني وقلنا لهم
خذوا واضمار القول كثير في القران وكلام العرب ما اتيناكم يعني التوراة بقوة يعني بجد واجتهاد
واذكروا ما فيه يعني واعملوا بما فيه من الاحكام لعلكم تتقون قال اصحاب الاخبار ان بني اسرايل لما ابوا
ان يقبلوا احكام التوراة لما فيها من التكاليف الشاقة امر الله جبريل فرفع جبلا عظيما حتى صار
على روسهم كالظلة فلما نظروا الى الجبل فوق روسهم خروا ساجدين فسجد كل واحد على خده
وحاجبه الايسر وجعل ينظر بعينه اليمنى الى الجبل خوفا ان يسقط عليه ولذلك لا تسجد اليهود الا على
شق وجوههم اليسرى قوله تعالى واذ اخذ ربك من بني ادم من ظهورهم ذريتهم واشهدهم
على انفسهم الست بربكم قالوا بلى الاية عن مسلم بن يسار الجهني ان عمر بن الخطاب سيل عن قوله

تعالى واذا اخذ ربك من بني ادم من ظهورهم ذرياتهم الاية قال سيل عنها رسول الله صلى
الله عليه وسلم فقال ان الله تبارك وتعالى خلق ادم ثم مسح ظهره بيمينه فاستخرج منه ذرية فقال
خلقت هولا للنار وبعمل اهل النار يعملون فقال رجل يا رسول الله ففيم العمل فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى اذا خلق العبد للجنة استعمله بعمل اهل الجنة حتى يموت على عمل من اعمال
اهل الجنة فيدخل الجنة واذا خلق العبد للنار استعمله بعمل اهل النار حتى يموت على عمل من اعمال اهل النار
فيدخل النار اخرجه مالك في الموطا وابو داود والترمذي وقال حديث حسن ومسلم بن يسار لم يسمع
من عمر وقد ذكر بعضهم في هذا الاسناد بين مسلم بن يسار وعمر رجلا قلت ذكر الطبري في بعض طرق
هذا الحديث الرجل فقال عن مسلم بن يسار عن نعيم بن ربيعة عن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم بنحوه وعن ابي
هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما خلق الله ادم مسح ظهره فسقط من ظهره كل نسمة هو
خالقها من ذريته الى يوم القيمة وجعل بين عيني كل انسان وبيصا من نور ثم عرضهم على ادم فقال
اي رب من هولا قال هولا ذريتك فراى رجلا منهم فاعجبه وبيص ما بين عينيه فقال يا رب من هذا
قال داود فقال رب كم جعلت عمره قال ستين سنة قال يا رب زده من عمري اربعين سنة قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم فلما انقضى عمر ادم الا اربعين جاه ملك الموت فقال ادم اولم يبق من عمري اربعين
قال اولم تعطها ابنك داود فجحد ادم فجحدت ذريته ونسي ادم فاكل من الشجرة فنسيت ذريته
وخطي فخطيت ذريته اخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح فاما تفسير الاية فقوله تعالى
واذ اخذ ربك يعني واذكر يا محمد اذ اخذ ربك من بني ادم من ظهورهم يعني من ظهور بني ادم وانما لم يذكر
ظهر ادم وان كان الله اخرج جميع الذرية من ظهره لان الله تعالى اخرج ذرية ادم بعضهم من ظهر بعض
على نحو ما يتوالد الابنا من الابا فلذلك قال تعالى من بني ادم من ظهورهم فاستغنى عن ذكر ظهر ادم
عليه السلام لما علم انهم كلهم بنوا ادم واخرجوا من ظهره فترك ذكر ظهر ادم استغنا ثم للعلما في
تفسير هذه الاية مذهبان احدهما وهو مذهب اهل التفسير والاثر ظاهر ما جات به الروايات
عن السلف فيما روي عن ابن عباس من طرق كثيرة وروايات مختلفة رواها عنه الطبري باسانيده فمنها
عن سعيد بن جبير عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اخذ الله الميثاق من ظهر ادم بنعمان
يعني عرفة فاخرج من صلبه كل ذرية ذراها فنثرهم بين يديه كالذر ثم كلمهم قبلا وقال الست بربكم
قالوا بلى شهدنا ان يقولوا يوم القيمة انا كنا عن هذا غافلين وعن ابن عباس في هذه قال مسح ربك ظهر
ادم فخرجت كل نسمة هو خالقها الى يوم القيمة بنعمان هذا الذي وراء عرفة واخذ ميثاقهم الست بربكم
قالوا بلى شهدنا وعن ابن عباس ايضا قال ان اول ما اهبط الله ادم الى الارض اهبطه بدهنا ارض الهند
فمسح ظهره فاخرج منه كل نسمة هو باريها الى يوم القيمة ثم اخذ عليهم الميثاق واشهدهم على
انفسهم الست بربكم قالوا بلى شهدنا ان يقولوا يوم القيمة انا كنا عن هذا غافلين زاد في رواية
عنه فجف القلم بما هو كاين الى يوم القيامة وفي رواية عنه قال لما خلق الله ادم اخذ ميثاقه انه ربه

وكتب

وكتب رزقه واجله ومصايبه واستخرج ذريته كالذر وكتب اجالهم وارزاقهم ومصايبهم وفي
رواية عنه قال ان الله عز وجل مسح صلب ادم واستخرج كل نسمة هو خالقها الى يوم القيمة فاخذ
منهم الميثاق ان يعبدوه ولا يشركوا به شيا وتكفل لهم بالارزاق ثم اعادها في صلبه فلن تقوم الساعة
حتى يولد كل من اعطي الميثاق يوميذ فمن ادرك منهم الميثاق الاخر فوفى به نفعه الميثاق الاول ومن ادرك
الميثاق الاخر فلم يف به لم ينفعه الاول ومن مات صغيرا قبل ان يدرك الميثاق الاخر مات على الميثاق
الاول على الفطرة وروى الطبري بسنده عن عبد الله بن عمرو قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اخذوا
من ظهره كما يوخذ بالمشط من الراس فقال لهم الست بربكم قالوا بلى قالت الملايكة شهدنا
ان يقولوا يوم القيمة انا كنا عن هذا غافلين وقال ابن عباس اخرج ذرية ادم من ظهره
فكلمهم الله وانطقهم فقال الست بربكم قالوا بلى ثم اعادها في صلبه فليس احد من الخلق
الا وقد تكلم فقال ربي الله وان القيامة لن تقوم حتى يولد من كان يوميذ اشهد على نفسه
وقال السدي اخرج الله ادم من الجنة ولم يهبطه من السما ثم انه مسح صفحة ظهره اليمنى
فاخرج منه كهيئة الذر بيضا فقال ادخلوا الجنة برحمتي ثم مسح صفحة ظهره اليسرى
فاخرج منه كهيئة الذر سودا فقال ادخلوا النار ولا ابالي فذلك حين يقول اصحاب
اليمين واصحاب الشمال ثم اخذ منهم الميثاق فقال الست بربكم قالوا بلى فاعطاه طايفة
طايعين وطايفة كارهين على وجه التقية زاد في رواية وذلك حين يقول وله اسلم
من في السموات والارض طوعا وكرها وقال محمد بن كعب القرظي اقرت له بالايمان والمعرفة
الارواح قبل خلق اجسادها وقال مقاتل مسح صفحة ظهر ادم اليمنى فاخرج منها ذرية
بيضا كهيئة الذر يتحركون ثم مسح صفحة ظهره اليسرى فاخرج منها ذرية سودا كهيئة الذر
يتحركون فقال يا ادم هولا ذريتك ثم قال لهم الست بربكم قالوا بلى فقال للبيض هولا في الجنة
برحمتي وهم اصحاب اليمين وقال للسود هولا في النار ولا ابالي وهم اصحاب الشمال ثم اعادهم
جميعا في صلب ادم فاهل القبور محبوسون حتى يخرج اهل الميثاق جميعا وروى ان الله تعالى
قال لهم جميعا اعلموا انه لا اله لكم غيري وانا ربكم لا رب لكم غيري فلا تشركوا بي شيا فاني
سانتقم ممن اشرك بي ولم يومن بي واني مرسل اليكم رسلا يذكرونكم عهدي وميثاقي ومنزل عليكم
كتبا فتكلموا جميعا وقالوا شهدنا انك ربنا لا رب لنا غيرك فاخذ بذلك ميثاقهم ثم
كتب اجالهم وارزاقهم ومصايبهم فنظر اليهم ادم عليه السلام فراى منهم الغني والفقير وحسن
الصورة ودون ذلك فقال رب هلا سويت بينهم فقال اني احب ان اشكر فلما قررهم
بتوحيده واشهد بعضهم على بعض اعادهم الى صلبه فلا تقوم الساعة حتى يولد كل من اخذ
منه الميثاق وقال الزجاج وجايز ان يكون الله تعالى جعل لامثال الذر عقلا وفهما تعقل به كما قال
في النملة قالت نملة يا ايها النمل ادخلوا مساكنكم وكما قال وسخرنا مع داود الجبال يسبحن والطير

وقال ابن الانباري مذهب اصحاب الحديث وكبرا اهل العلم في هذه الاية ان الله تعالى
اخرج ذرية ادم من صلبه واصلاب اولاده وهم صور الذر واخذ عليهم الميثاق انه
خالقهم وانهم مصنوعه فاعترفوا بذلك وقبلوه وذلك بعد ان ركب فيهم عقولا عرفوا
بها ما عرض عليهم كما جعل للجبال العقول حتى خوطبوا بقوله يا جبال اوبي معه وكما جعل
للبعير عقلا حتى سجد للنبي صلى الله عليه وسلم وكذلك للشجرة حتى سمعت لامره وانقادت
ومعنى قوله الست بربكم على هذا التفسير قال الله للذرية الست بربكم فهو ايجاب للربوبية
عليهم قالوا بلى يعني قالت الذرية بل انت ربنا فهو جواب منهم له واقرار منهم له بالربوبية
واعتراف على انفسهم بالعبودية شهدنا قولان احدهما انهم لما اقروا له بالربوبية قال
الله عز وجل للملايكة اشهدوا قالوا شهدنا على اقرارهم فعلى هذا القول يحسن الوقف
على قوله تعالى بلى لان كلام الذرية تم وانقطع وقوله شهدنا كلام مستانف والقول الثاني
ان قوله شهدنا من كلام الذرية والمعنى شهدنا على انفسنا بهذا الاقرار وعلى هذا لا يحسن
الوقف على بلى لتعلقه بما بعده وقوله تعالى ان يقولوا قرى بالتا على خطاب الذرية معناه
لئلا تقولوا ايها الذرية يوم القيمة انا كنا عن هذا يعني الميثاق غافلين وقرى ان يقولوا
بالياء على الغيبة ومعناه لئلا يقولوا اي الذرية انا كنا عن هذا غافلين والمذهب الثاني في
معنى هذه الاية وهو مذهب اهل الكلام والنظر انه تعالى اخرج الذرية وانشاهم بعد ان
كانوا نطفا في اصلاب الاباوهم اولاد بني ادم فاخرج الذرية الى الدنيا على ترتيبهم في
الوجود واشهدهم على انفسهم بما ركب فيهم من العقول واراهم من عجايب خلقه وغرايب
صنعه ودلايل وحدانيته فبهذا الاشهاد صاروا كانهم قالوا بلى واشهدهم على انفسهم
انه ربهم وذلك بما ظهر لهم من دلايل اياته وبراهينه التي تضطرهم الى ان يعلموا انه خالقهم
وبارئهم وربهم ونافذ الحكم فيهم فلما عرفوا ذلك دعاهم ذلك الى التصديق بوحدانيته وربوبيته
قالوا بلى شهدنا على انفسنا انك انت ربنا وخالقنا فعلى هذا القول يكون قولهم بلى شهدنا
على انفسنا على المجاز لا على الحقيقة وهذا النوع من المجاز والاستعارة مشهور في كلام
العرب فكل من بلغ وعقل فقد اخذ عليه الميثاق بما جعل فيه من السبب الذي به يوخذ الميثاق
وهو العقل والتكليف فيكون معنى الاية واذ ياخذ ربك من بني ادم ويشهدهم على انفسهم
بما ركب فيهم من العقل الذي يكون به الفهم والتكليف ويترتب على صاحبه الثواب والعقاب
يوم القيامة فان قلت فما المختار من هذين المذهبين في تفسير هذه الاية قلت المذهب الاول
هو المختار لانه مذهب جمهور المفسرين من السلف وورود الحديث بذلك عن النبي صلى الله عليه
وسلم فان قلت اذا كان المختار في تفسير هذه الاية هو مذهب السلف في ذلك وان الله تعالى
اخرج الذرية من ظهر ادم لاخذ الميثاق عليهم كما ورد في الحديث ايضا فكيف يحمل تفسير الفاظ

هذه

هذه الاية على هذا القول قلت قد صح الحديث بان الله مسح ظهر ادم فاخرج ذريته
واخذ عليهم الميثاق ولا منافاة بين الاية والحديث كما تقدم في تفسير الفاظ الاية من ان
الله اخرج ذرية ادم من ظهره على سبيل التوالد بعضهم من بعض كما في الخارج وكلهم
باجمعهم من ظهر ادم الذي هو اصلهم فبهذا الطريق امكن الجمع بين الاية والحديث اذ ليس
في معنى الفاظ الاية ما يدل على بطلان ذلك ونفيه وقد ورد الحديث بثبوت ذلك وصحته
فوجب المصير اليه والاخذ به جمعا بين الاية والحديث وحكى الواحدي عن صاحب النظم
انه قال ليس بين قوله صلى الله عليه وسلم ان الله مسح ظهر ادم فاخرج منه ذريته وبين الاية
اختلاف بحمد الله لانه تعالى اذا اخرجهم من ظهر ادم فقد اخرجهم من ظهور ذريته لان
ذرية ادم كذرية بعضهم من بعض قال وحصل الفايدة بهذا الفصل انه تعالى اثبت الحجة
على كل منفوس ممن بلغ ومن لم يبلغ بالميثاق الذي اخذه عليهم وزاد على من بلغ منهم الحجة
بالايات والدلايل التي نصبها بالرسل المنفذة اليهم مبشرين ومنذرين وبالمواعظ وقال غيره
فايدة اخذ الميثاق عليهم في القدم ان من مات منهم صغيرا ادخل الجنة باقراره بالميثاق الاول
وهذا على قول من يقول ان اطفال المشركين يدخلون الجنة اذا ماتوا صغارا فاما من لم يحكم لهم
بالجنة فانه يقول من كان من اهل الشقاوة من الذرية السودا وانما اقروا بالمعرفة كرها
فلم يغن عنهم ذلك شيا ومن بلغ وعقل لم يغن عنه اقراره بالميثاق الاول شيا حتى يومن
ويصدق عند بلوغه وعقله بان الله ربه وخالقه ويصدق رسله فيما جاوا به من عنده
وانما فعل ذلك لئلا يقول الكفار انا كنا عن هذا الميثاق او الايمان بان الله ربنا غافلين او لئلا
يقول الخلف منهم انما اشرك اباونا ونحن نسير على اثارهم ظنا منهم ان الحق ما كانوا عليه فان قلت
ذلك الميثاق لا يذكره احد اليوم فكيف يكون حجة اليوم او فكيف يذكرونه يوم القيمة حتى يحتج
عليهم به قلت لما اخرج الذرية من صلب ادم ركب فيهم العقول واخذ عليهم الميثاق فلما اعيدوا
الى صلب ادم بطل ما ركب فيهم فتوالدوا ناسين لذلك الميثاق لاقتضا الحكمة الالهية نسيانهم
له ثم ابتدأهم بالخطاب على السنة الرسل واصحاب الشرايع فقام ذلك مقام الذكر اذ الدار
دار تكليف وامتحان ولو لم ينسوه لانتفت المحنة والابتلا والتكليف فقامت الحجة عليهم
لامداده بالرسل واعلامهم بجريان اخذ الميثاق عليهم وبذلك قامت الحجة عليهم ايضا يوم
القيامة لاخبار الرسل اياهم بذلك الميثاق في الدنيا فمن انكره كان معاندا ناقضا للعهد
ولزمته الحجة ولا تسقط الحجة عنهم بنسيانهم وعدم حفظهم بعد اخبار الصادق صاحب
الشرع والمعجزات الباهرات وقوله تعالى او يقولوا يعني الذرية انما اشرك اباونا من قبل يعني انما
اخذت الميثاق عليهم لئلا يقول المشركون انما اشرك اباونا من قبل وكنا ذرية من بعدهم يعني وكنا
اتباعا لهم فاقتدينا بهم في الشرك افتهلكنا يعني افتعذبنا بما فعل المبطلون قال المفسرون هذا

قطع لعذر الكفار فلا يستطيع احد من الذرية ان يقول يوم القيمة انما اشرك اباونا من قبلنا
ونقضوا العهد والميثاق وكنا نحن الذرية من بعدهم فقلدناهم واقتدينا بهم وكنا في غفلة عن
هذا الميثاق فلا ذنب لنا فلا يمكنهم ان يحتجوا بمثل هذا وقد اخذ عليهم جميعا الميثاق وجاتهم
الرسل وذكروهم به وثبتت الحجة عليهم بذلك يوم القيمة واما الذين حملوا معنى الاية على ان المراد
منه مجرد نصب الدلايل وهو مذهب اهل النظر قالوا معناه ان الله نصب هذه الدلايل واظهرها
للعقول لئلا يقولوا انما اشركنا على سبيل التقليد لابائنا لان نصب ادلة التوحيد قايم معهم
فلا عذر لهم في الاعراض عنه والاقبال على تقليد الابا في الشرك وقوله تعالى **وكذلك نفصل**
الايات يعني ليتدبرها العباد فيرجعوا الى الحق والايمان ويعرضوا عن الباطل والكفر وهو المراد
من قوله **ولعلهم يرجعون** يعني من الشرك الى التوحيد وقيل معناه ولعلهم يرجعون الى الميثاق
الاول فيذكرونه ويعملون بموجبه ومقتضاه قوله عز وجل **واتل عليهم** يعني واقرا على قومك
يا محمد **نبا** يعني خبر **الذي اتيناه اياتنا** اختلفوا فيه فقال ابن عباس هو بلعام بن باعورا
وقال مجاهد بلعام بن باعر وقال عبد الله بن مسعود هو بلعم بن ابر وقال عطية قال ابن عباس انه
كان من بني اسرايل وفي رواية اخرى عنه انه كان من الكنعانيين من بلد الجبارين وقال مقاتل
هو من مدينة البلقا وكانت قصته على ما ذكره ابن عباس ومحمد بن اسحاق والسدي وغيرهم من
اصحاب الاخبار والسير قالوا ان موسى عليه السلام لما قصد حرب الجبارين نزل ارض كنعان
من ارض الشام اتى قوم بلعام وكان عنده اسم الله الاعظم فقالوا ان موسى رجل وان معه جنودا
كثيرة وانه قد جا يخرجنا من بلادنا ويقتلنا ويحلها لبني اسرايل وانت رجل مجاب الدعوة فاخرج
وادع الله ان يردهم عنا فقال ويلكم نبي الله ومعه الملايكة والمومنون فكيف ادعوا عليهم
وانا اعلم من الله ما اعلم واني ان فعلت هذا ذهبت دنياي واخرتي فراجعوه والحوا عليه
فقال حتى اوامر ربي وكان لا يدعو حتى يوامر ربه في المنام فاتي في المنام فقيل له لا تدع عليهم
فاهدوا له هدية فقبلها وراجعوه فقال حتى اوامر ربي فوامر فلم يجي اليه فيه شي فقال قد وامرت
ربي فلم يجي شي فقالوا له لو كره ربك ان تدعو عليهم لنهاك كما نهاك اول مرة فلم يزالوا يتضرعون
اليه حتى فتنوه فافتتن فركب اتانا له متوجها الى جبل يطلعه على عسكر بني اسرايل يقال لذلك
الجبل جبل حسبان فلما سار عليها غير بعيد ربضت فنزل عنها وضربها فقامت فركبها فلم
تسر به كثيرا حتى ربضت فضربها فقامت فركبها فلم تسر به كثيرا حتى ربضت فضربها حتى اذلقها
فاذن الله عز وجل لها في الكلام وانطقها له فكلمته حجة عليه فقالت ويحك يا بلعام اين
تذهب الا ترى الملايكة امامي يردوني عن وجهي هذا ويحك اتذهب الى نبي الله والمومنين فتدعو
عليهم فلم ينزع فخلى الله سبيل الاتان فانطلقت به حتى اذا اشرفت به على جبل حسبان ومعه
قومه فجعل يدعو عليهم فلم يدع عليهم بشي الا صرف الله به لسانه الى قومه ولا يدعو لقومه بخير

الاصرف

الاصرف به لسانه الى بني اسرايل فقال له قومه يا بلعام اتدري ما تصنع انما تدعو لهم وتدعو
علينا فقال لهم هذا ما لا املكه هذا شي قد غلب الله عليه واندلع لسانه فوقع على صدره فقال
لقومه قد ذهبت مني الدنيا والاخرة ولم يبق لي الا المكر والحيلة فسامكر لكم واحتال لكم قال
جملوا النسا وزينوهن واعطوهن السلع ثم ارسلوهن الى عسكر بني اسرايل يبيعنها عليهم
ومروهن الا تمنع امراة نفسها من رجل اراده فانه ان زنى رجل منهم بواحدة منكم كفيتموهم
ففعلوا ذلك فلما دخل النسا العسكر مرت امراة من الكنعانيين اسمها كستي بنت صور على رجل
من عظما بني اسرايل يقال له زمري بن شلوم وكان راس سبط شمعون بن يعقوب فقام الى المراة واخذ
بيدها حين اعجبه جمالها ثم اقبل بها حتى وقف على موسى عليه السلام وقال اني لاظنك انك
تقول هذه حرام عليك فقال اجل هي حرام عليك لا تقربها قال والله انا لا نطيعك في هذا
ثم قام دخل بها الى قبته فوقع عليها فارسل الله عز وجل الطاعون على بني اسرايل في ذلك
الوقت وكان فنحاص بن العيزار بن هارون وهو صاحب امر موسى وكان رجلا قد اعطي بسطة
في الخلق وقوة البطش وكان غايبا حين صنع زمري بن شلوم ما صنع فجا والطاعون يجوس في
بني اسرايل فاخبر الخبر فاخذ حربته وكانت من حديد كلها ثم دخل عليهما القبة وهما متضاجعان
فطعنهما بحربته فانتظمهما ثم خرج بهما وهو رافعهما الى السما وقد اخذ الحربة بذراعه واعتمد
بمرفقه على خاصرته واسند الحربة الى لحيته وكان بكر العيزار وجعل يقول اللهم هكذا نفعل بمن
عصاك ورفع الطاعون عن بني اسرايل فحسب من مات منهم في ذلك الطاعون فيما بين ان اصاب
ذلك الرجل المراة الى ان قتله فنحاص فوجدوا قد هلك سبعون الفا في ساعة واحدة من
النهار فمن هنالك يعطي بنو اسرايل ولد فنحاص من كل ذبيحة يذبحونها القبة والذراع واللحي
لاعتماده بالحربة على خاصرته واخذه اياها بذراعه واسناده اياها الى لحيته ويعطونهم البكر
من كل اموالهم لانه كان بكر العيزار وفي بلعام انزل الله عز وجل واتل عليهم نبا الذي اتيناه اياتنا الاية
وقال مقاتل ان ملك البلقا قال لبلعام ادع الله على موسى فقال بلعام انه من اهل ديني ولا ادعو
عليه فنصب له خشبة ليصلبه عليها فلما راى ذلك خرج على اتان له ليدعو على موسى فلما
عاين عسكرهم قامت به الاتان ووقفت فضربها فقالت لم تضربني فاني مامورة وهذه نار امامي
قد منعتني ان امشي فرجع الى الملك فاخبره بذلك فقال لتدعون عليه او لاصلبنك فدعا على موسى
بالاسم الاعظم ان لا يدخل المدينة فاستجيب له ووقع موسى ومن معه من بني اسرايل في التيه
بدعا بلعام عليه فقال موسى يا رب باي ذنب وقعت في التيه قال بدعا بلعام قال فكما سمعت
دعاه علي فاسمع دعاي عليه فدعا موسى عليه ان ينزع عنه الاسم الاعظم والايمان فنزع الله
منه المعرفة وسلخه منها فخرجت من صدره حمامة بيضا فذلك قوله تعالى اتيناه اياتنا فانسلخ
منها قلت هذه القصة ذكرها جماعة من المفسرين وفيها ان موسى دعا على بلعام بان ينزع عنه

الاسم الاعظم والايمان فان قلت كيف يجوز لموسى عليه السلام مع علو منصبه في النبوة
ان يدعو على انسان بالكفر بعد الايمان او يرضى له بذلك قلت الجواب من وجوه احدها منع
صحة هذه القصة لانها من الاسرايليات ولا يلتفت الى ما سطره اهل الاخبار اذا خالف
الاصول الوجه الثاني ان سبب وقوع بني اسرايل في التيه هو عبادتهم العجل او قولهم لموسى
عليه السلام اجعل لنا الها فكان ذلك سبب وقوعهم في التيه لا دعا بلعام عليهم الوجه
الثالث على تقدير صحة هذه القصة وان موسى عليه السلام دعا على بلعام ان موسى عليه
السلام لم يدع عليه الا بعد ان ثبت عنده ان بلعام كفر وارتد عن الايمان بدعايه على موسى
وايثاره الحياة الدنيا فدعا عليه مقابلة لدعايه عليه والله اعلم بحقيقة ذلك كله هو
والمقصود من ذلك تنزيه منصب النبوة عما ينقله اصحاب الاخبار في كتبهم من غير نظر فيه
ولا بحث عن معناه وقال عبد الله بن عمرو بن العاص وابن المسيب وزيد بن اسلم نزلت هذه
الاية في امية بن ابي الصلت الثقفي وكانت قصته انه كان قد قرا الكتب المتقدمة وعلم ان
الله تعالى مرسل رسولا فرجا ان يكون هو ذلك الرسول فلما ارسل محمد صلى الله عليه وسلم
وشرفه الله بالنبوة حسده وكذبه وكان امية صاحب شعر وحكمة ومواعظ حسنة
فقصد بعض الملوك فلما رجع مر على قتلى بدر فسال عنهم فقيل له قتلهم محمد فقال لو كان
نبيا ما قتل اقرباه فلما مات امية اتت اخته فارعة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسالها
رسول الله صلى الله عليه وسلم عن وفاة اخيها فقالت بينا هو راقد اتاه اثنان فكشطا سقف
البيت ونزلا فقعد احدهما عند راسه والاخر عند رجليه فقال الذي عند رجليه للذي
عند راسه اوعى قال وعى قال ازكى قال ابى قالت فسالته عن ذلك فقال خير اريد بي فصرف
عني ثم غشي عليه فلما افاق من غشيته قال • كل عيش وان تطاول دهرا • صاير مرة الى ان
يزولا • ليتني كنت قبل ما قد بدا لي • في قلال الجبال ارعى الوعولا • ان يوم الحساب يوم عظيم •
شاب فيه الصغير يوما ثقيلا • ثم قال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم انشديني من شعر
اخيك فانشدته بعض قصايده فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم امن شعر اخيك وكفر قلبه
فانزل الله عز وجل واتل عليهم نبا الذي اتيناه اياتنا فانسلخ منها الاية وفي رواية عن ابن عباس
انها نزلت في البسوس وهو رجل من بني اسرايل وكان قد اعطي ثلاث دعوات مستجابات
وكانت له امراة له منها اولاد فقالت له اجعل لي منها دعوة فقال لك منها واحدة فما تريدين
قالت ادع الله ان يجعلني اجمل امراة في بني اسرايل فدعا لها فصارت اجمل النسا فلما علمت انه
لم يكن في بني اسرايل مثلها رغبت عنه فغضب فدعا عليها فصارت كلبة نباحة فذهبت فيها
دعوتان فجا بنوها الى ابيهم وقالوا ليس على هذا الامر قرار قد صارت امنا كلبة نباحة والناس
يعيرونا بذلك فادع الله ان يردها الى حالها الاول فدعا الله فعادت كما كانت فذهبت

فيها الدعوات جميعا والقول الاول اشهر وقال الحسن وابن كيسان نزلت في
منافقي اهل الكتاب الذين كانوا يعرفون النبي صلى الله عليه وسلم ونعته وصفته كما يعرفون
ابناهم ثم انكروه وقال قتادة هذا مثل ضربه لمن عرض عليه الهدى فلم يقبله وقوله
تعالى اتيناه اياتنا قال ابن عباس كان يعلم اسم الله الاكبر وقال ابن زيد كان لا يسال
الله شيا الا اعطاه وقال السدي كان يعلم اسم الله الاعظم وفي رواية اخرى عن ابن
عباس انه اوتي كتابا وقيل ان الله اتاه حججه وادلته وهي الايات التي اوتيها **فانسلخ منها**
يعني فخرج من الايات التي كان الله اتاه اياها كما تنسلخ الحية من جلدها وقال ابن عباس
نزع منه العلم **فاتبعه الشيطان** يعني لحقه وادركه وصيره الشيطان لنفسه تابعا
يعني من الهالكين الضالين بما خالف ربه واطاع هواه وشيطانه قوله تعالى **ولو شينا
لرفعناه بها** يعني رفعنا درجته ومنزلته بتلك الايات التي اوتيها وقال ابن عباس
لرفعناه بعلمه بها وقال مجاهد وعطا معناه ولو شينا لرفعنا عنه الكفر وعصمناه
بالايات **ولكنه اخلد الى الارض** يعني ولكنه سكن الى الدنيا ومال اليها ورضي بها واصله
من الخلود وهو الدوام والمقام والارض هنا عبارة عن الدنيا لان الارض عبارة عن المفاوز
والقفار وفيها المدن والضياع والمعادن والنبات ومنها يستخرج ما يعاش به في الدنيا
فالدنيا كلها هي الارض **واتبع هواه** يعني انه اعرض عن التمسك بما اتاه الله من الايات
واتبع الهوى فخسر دنياه واخرته ووقع في هاوية الردى والهلاك وهذه الاية من اشد
الايات على العلما الذين يريدون بعلمهم الدنيا وشهوات النفس ويتبعون الهوى وذلك لان
الله عز وجل خص هذا باياته وحكمته وعلمه اسمه الاعظم وجعل دعاه مستجابا ثم انه
لما اتبع هواه وركن الى الدنيا ورضي بها عوضا عن الاخرة فنزع منه ما كان اعطيه
وانسلخ من الدين فخسر الدنيا والاخرة ومن الذي يسلم من الميل الى الدنيا واتباع الهوى الا من
عصمه الله بالورع وثبته بالعلم وبصره بعيوب نفسه عن كعب بن مالك الانصاري
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ذيبان جايعان ارسلا في غنم بافسد لها من حرص
المرء على المال والشرف لدينه اخرجه الترمذي ثم ضرب الله عز وجل مثلا لهذا الرجل
الذي اتاه اياته فانسلخ منها واتبع هواه فقال تعالى **فمثله كمثل الكلب ان تحمل عليه يلهث
او تتركه يلهث** يقال لهث الكلب يلهث اذا ادلع لسانه من العطش وشدة الحر وعند الاعيا
والتعب وهذا مثل ضربه الله عز وجل لمن اتاه اياته وحكمته فتركها وعدل عنها واتبع
هواه وترك اخرته واثر دنياه باخس الحيوانات وهو الكلب في اخس احواله وهي اللهث لان
الكلب في حال لهثه لا يقدر على نفع نفسه ولا ضرها كذلك العالم الذي يتبع هواه لا يقدر
على نفع نفسه ولا ضرها في الاخرة لان التمثيل به على انه يلهث على كل حال ان حملت عليه او تركته

كان لاهثا وذلك عادة منه وطبيعة وهو مواظبته على اللهث دايما فكذلك من اتاه
الله العلم والدين واغناه عن التعرض لحطام الدنيا الخسيسة ثم انه مال اليها وطلبها
كانت حالته كحال الكلب اللاهث وقيل ان العالم اذا توصل به الى طلب الدنيا فانه يظهر
علومه عند اهلها ويدلع لسانه في تقرير تلك العلوم وبيانها وذلك لاجل ما يحصل
عنده من حرارة الحرص وشدة العطش الى الفوز بمطلوبه من الدنيا فكانت حالته شبيهة
بحالة الكلب الذي ادلع لسانه من اللهث في غير حاجة ولا ضرورة ومعنى ان تحمل عليه
يلهث او تتركه يلهث اي ان شددت عليه واهجته لهث وتركته على حاله لهث لان اللهث
طبيعة اصلية فيه فكذلك حال الحريص على الدنيا ان وعظته فهو حريص لا يقبل الوعظ
ولا ينجع فيه وان تركته ولم تعظه فهو حريص ايضا لان الحرص على طلب الدنيا صار طبيعة
له لازمة كما ان اللهث طبيعة لازمة للكلب **ذلك مثل القوم الذين كذبوا باياتنا** يعني
ان المثل الذي ضربناه للذي اتيناه اياتنا فانسلخ منها مثل القوم الذين كذبوا باياتنا
فعم بهذا المثل جميع من كذب بايات الله وجحدها فوجه التمثيل بينهم وبين الكلب
اللاهث انهم اذا جاءتهم الرسل ليهدوهم فلم يهتدوا وان تركوا فلم يهتدوا ايضا بل
هم ضالون في كل حال ثم قال تعالى **فاقصص القصص** وهذا خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم
يعني فاقصص القصص يا محمد على قومك اخبار من كفر بايات الله **لعلهم يتفكرون**
يعني فيتعظون وقيل هذا المثل لكفار مكة وذلك انهم كانوا يتمنون هاديا يهديهم
ويدعوهم الى طاعة الله فلما جاءهم محمد صلى الله عليه وسلم يدعوهم الى الله والى طاعته
وهم يعرفونه ويعرفون صدقه فكذبوه ولم يقبلوا منه ثم قال تعالى **ساء مثلا القوم الذين
كذبوا باياتنا** يعني بيس مثلا مثل القوم الذين كذبوا باياتنا **وانفسهم كانوا يظلمون** يعني
بتكذيبهم باياتنا قوله عز وجل **من يهد الله فهو المهتدي** يعني من يرشده الله الى دينه فهو المهتدي
ومن يضلل يعني ومن يتول اضلاله **فاولئك هم الخاسرون** يعني في الاخرة وفي الاية دليل على ان
الله تعالى هو الهادي المضل **ولقد ذرانا** يعني خلقنا **لجهنم كثيرا من الجن والانس** اخبر الله انه
خلق كثيرا من الجن والانس للنار وهم الذين حقت عليهم الكلمة الازلية بالشقاوة ومن خلقه الله
للنار فلا حيلة له في الخلاص منها واستدل البغوي على صحة هذا التاويل بما رواه عن عايشة
قالت دعي رسول الله صلى الله عليه وسلم الى جنازة صبي من الانصار فقلت يا رسول الله طوبى لهذا
عصفور من عصافير الجنة لم يعمل السوء ولم يدركه فقال او غير ذلك يا عايشة ان الله خلق للجنة
اهلا خلقهم لها وهم في اصلاب ابائهم وخلق للنار اهلا خلقهم لها وهم في اصلاب ابائهم
اخرجه مسلم قال الشيخ محيي الدين النواوي في شرح مسلم اجمع من يعتد به من علماء المسلمين ان من
مات من اطفال المسلمين فهو من اهل الجنة لانه ليس مكلفا وتوقف فيهم بعض من لا يعتد به لحديث

عايشة هذا واجاب العلماء عنه بانه لعله صلى الله عليه وسلم نهاها عن المسارعة الى القطع
من غير ان يكون عندها دليل قاطع كما انكر على سعد بن ابي وقاص اعطه اني لاراه مومنا فقال
او مسلما الحديث ويحتمل انه صلى الله عليه وسلم قال هذا قبل ان يعلم ان اطفال المسلمين في الجنة
فلما علم قال ذلك واما اطفال المشركين ففيهم ثلاث مذاهب قال الاكثرون هم في النار تبعا
لابائهم وتوقف طائفة فيهم والثالث وهو الصحيح الذي ذهب اليه المحققون انهم من اهل
الجنة ويستدل له باشياء منها حديث ابراهيم الخليل صلى الله عليه وسلم حين راه النبي صلى الله
عليه وسلم في الجنة وحوله اولاد الناس قالوا يا رسول الله واولاد المشركين قال واولاد المشركين
رواه البخاري في صحيحه ومنها قوله تعالى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا ولا يتوجه على
المولود التكليف ولا يلزمه قبول قول الرسول حتى يبلغ وهذا متفق عليه والله اعلم وفي الاية
دليل وحجة واضحة لمذهب اهل السنة في ان الله خالق العباد جميعها خيرها وشرها لان الله
بين بصريح اللفظ انه خلق كثيرا من الجن والانس للنار ولا مزيد على بيان الله عز وجل لان العاقل
لا يختار لنفسه دخول النار فلما عمل بما يوجب عليه دخول النار وهو الله عز وجل وقيل اللام
في لجهنم للعاقبة اي عاقبتهم جهنم ثم وصفهم فقال تعالى **لهم قلوب لا يفقهون بها** يعني لا يفهمون
بها ولا يعقلون لها واصل الفقه في اللغة الفهم والعلم بالشيء ثم صار علما على اسم العلم
في الدين لشرفه على غيره من العلوم يقال فقه الرجل يفقه فهو فقيه اذا فهم ومعنى الاية لهم
قلوب لا يتفكرون بها في ايات الله ولا يتدبرونها ولا يعلمون بها الخير والهدى لاعراضهم
عن الحق وتركهم قبوله **ولهم اعين لا يبصرون بها** يعني لا يبصرون بها طريق الحق والهدى ولا ينظرون
بها في ايات الله وادلة توحيده **ولهم اذان لا يسمعون بها** يعني لا يسمعون ايات القران ومواعظه
فيعتبرون بها قال اهل المعاني ان الكفار لهم قلوب يفقهون بها مصالحهم المتعلقة بالدنيا
ولهم اعين يبصرون بها المرئيات واذان يسمعون بها الكلمات وهذا لا يشك فيه ولما وصفهم
الله عز وجل بانهم لا يفقهون ولا يبصرون ولا يسمعون مع وجود هذه الحواس المدركة علم بذلك
ان المراد بذلك يرجع الى مصالح الدين وما فيه نفعهم في الاخرة وحاصل هذا الكلام انهم
مع وجود هذه الحواس لا ينتفعون بها فيما ينفعهم في امور الدين والعرب تقول مثل ذلك
لمن ترك استعمال بعض جوارحه فيما لا يصلح له ومنه قول الشاعر وعوراء الكلام صممت عنها
واني ان اشاء بها سميع فانه اثبت له صمما مع وجود السمع قال مجاهد لهم قلوب لا يفقهون
بها شيئا من امر الاخرة ولهم اعين لا يبصرون بها الهدى ولهم اذان لا يسمعون بها الحق ثم ضرب
لهم مثلا فقال تعالى **اولئك كالانعام** يعني ان الذين ذرانهم لجهنم وهم الذين حقت عليهم الكلمة
الازلية انهم كالانعام وهي البهائم التي لا تفهم ولا تعقل وذلك لان الانسان وساير الحيوانات
مشارك في هذه الحواس الثلاث التي هي القلب والبصر والسمع وانما فضل الانسان على ساير الحيوانات

بالعقل والادراك والفهم المودي الى معرفة الحق من الباطل والخير والشر فاذا كان
الكافر لا يعرف ذلك ولا يدركه فلا فرق بينه وبين الانعام التي لا تدرك شيا ثم قال
تعالى بل هم اضل يعني بل ان الكفار اضل من الانعام لان الانعام تعرف ما يضرها وما ينفعها
والكافر لا يعرف ذلك فصار اضل من الانعام ولان الانعام لم تعط القوة العقلية والانسان
قد اعطيها فاذا لم يستعمل العقل فيما ينفعه صار اخس حالا من الحيوان وقيل ان الانعام مطيعة
لله عز وجل والكافر غير مطيع لله عز وجل فصار الانعام افضل منه ثم قال الله تعالى اولئك هم
الغافلون يعني عن ضرب هذه الامثال لهم قوله تعالى ولله الاسما الحسنى قال مقاتل ان رجلا دعا الله
في صلاته ودعا الرحمن فقال بعض مشركي مكة قال ابن الجوزي هو ابو جهل ان محمدا واصحابه يزعمون
انهم يعبدون ربا واحدا فما بال هذا يدعوا اثنين فانزل الله هذه الاية ولله الاسما الحسنى والحسنى
تانيث الاحسن ومعنى الاية ان اسما الله المقدسة كلها حسنى وليس المراد ان فيها ما ليس بحسن
والمعنى ان الاسما الحسنى ليست الا لله لان هذا اللفظ يفيد الحصر وقيل ان الاسما الفاظ دالة على
معاني فهي انما تحسن بحسن معانيها ولا معنى للحسن في حق الله تبارك وتعالى الا ذكره بصفات الكمال
ونعوت الجلال وهي محصورة في نوعين احدهما عدم افتقاره الى غيره والثاني افتقار غيره
اليه وانه هو المسمى بالاسما الحسنى ق عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لله تسعة
وتسعين اسما من حفظها دخل الجنة والله وتر يحب الوتر وفي رواية من احصاها وفي رواية
اخرى ان لله تسعة وتسعين اسما مائة الا واحدا لا يحفظها احد الا دخل الجنة وهو وتر يحب
الوتر وقال البخاري احصاها حفظها وفي رواية الترمذي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لله
تسعة وتسعين اسما من احصاها دخل الجنة هو الله الذي لا اله الا هو الرحمن الرحيم
الملك القدوس السلام المومن المهيمن العزيز الجبار المتكبر الخالق البارئ المصور
الغفار القهار الوهاب الرزاق الفتاح العليم القابض الباسط الخافض الرافع
المعز المذل السميع البصير الحكم العدل اللطيف الخبير الحليم العظيم الغفور
الشكور العلي الكبير الحفيظ المقيت الحسيب الجليل الكريم الرقيب المجيب الواسع
الحكيم الودود المجيد الباعث الشهيد الحق الوكيل القوي المتين الولي الحميد
المحصي المبدئ المعيد المحيي المميت الحي القيوم الواجد الماجد الواحد الصمد
القادر المقتدر المقدم المؤخر الاول الاخر الظاهر الباطن الوالي المتعالي
البر التواب المنتقم العفو الرءوف مالك الملك ذو الجلال والاكرام المقسط الجامع
الغني المغني المانع الضار النافع النور الهادي البديع الباقي الوارث الرشيد
الصبور قال الترمذي حدثنا به غير واحد عن صفوان بن صالح ولا نعرفه الا من حديث صفوان
ابن صالح وهو ثقة عند اهل الحديث قال وقد روي هذا الحديث من غير وجه عن ابي هريرة

عن النبي صلى الله عليه وسلم ولا نعلم في كثير من الروايات ذكر الاسما التي في هذا الحديث قال
ابن الاثير وفي رواية ذكرها رزين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم تلا قوله ولله الاسما الحسنى فادعوه
بها وذروا الذين يلحدون في اسمائه سيجزون ما كانوا يعملون فقال ان لله تبارك وتعالى تسعة وتسعين
اسما الحديث قال الشيخ محيي الدين النواوي رحمه الله اتفق العلما على ان هذا الحديث ليس فيه حصر
لاسمايه سبحانه وتعالى وليس معناه انه ليس له اسما غير هذه التسعة والتسعين وانما المقصود من الحديث
ان هذه التسعة والتسعين اسما من احصاها دخل الجنة فالمراد الاخبار عن دخول الجنة باحصايها
لا الاخبار بحصر الاسما ولهذا جا في الحديث اسالك بكل اسم سميت به نفسك واستاثرت به
في علم الغيب عندك وقد ذكر الحافظ ابو بكر بن العربي المالكي ان لله الف اسم قال ابن العربي وهذا
قليل وقوله صلى الله عليه وسلم من احصاها دخل الجنة تقدم فيه قول البخاري ان معناه حفظها وهو
قول اكثر المحققين ويعضده الرواية الاخرى من حفظها دخل الجنة وقيل المراد من الاحصا العد
اي عدها في الدعا بها وقيل معناه من اطاقها واحسن المراعاة لها والمحافظة على ما تقتضيه
وصدق بمعانيها وعمل بمقتضاها دخل الجنة وقيل معناه احصاها احضر بباله عند ذكرها
معناها وتفكر في مدلولها معتبرا متدبرا ذاكرا راغبا راهبا معظما لها ولمسماها ومقدسا
لذات الله سبحانه وتعالى وانه يخطر بباله عند ذكر كل اسم الوصف الدال عليه وقوله ان الله وتر يحب
الوتر الوتر الفرد ومعناه في وصف الله تعالى انه الواحد الذي لا شريك له ولا نظير وفيه تفضيل
الوتر في الاعمال لان اكثر الطاعات وتر وفيه دليل على ان اشهر اسمايه سبحانه وتعالى الله لاضافة الاسما
اليه فيقال الرءوف والكريم واللطيف من اسما الله ولا يقال من اسما الرءوف والكريم واللطيف الله
وقيل ان لفظة الله هو الاسم الاعظم قال ابو القاسم القشيري فيه دليل على ان الاسم هو المسمى اذ لو
كان غيره لكانت الاسما لفظ الجمع وهي تفيد الثلاثة فما فوقها فثبت ان اسما الله كثيرة ولا شك ان الله
واحد فلزم القطع بان الاسم غير المسمى وايضا قوله ولله الاسما الحسنى يقتضي اضافة الاسما الى الله
واضافة الشي الى نفسه محال وقال غيره الاسم عبارة عن اللفظ الدال على الشي المسمى به فهو غيره
وقال اهل اللغة انما جعل الاسم تنويها على المعنى لان المعنى تحت الاسم والتسمية غير الاسم
لان التسمية عبارة عن تعيين اللفظ المعين لتعريف ذات الشي والاسم عبارة عن تلك اللفظة
المعينة والفرق ظاهر قال العلما وكما يجب تنزيه الله عن جميع النقايص فكذلك يجب تنزيه اسمايه
ايضا وقوله تعالى فادعوه بها يعني ادعوا الله باسمايه التي سمى بها نفسه او سماه بها رسوله
ففيه دليل على ان اسما الله تعالى توقيفية لا اصطلاحية ومما يدل على صحة هذا القول ويوكده انه
يجوز ان يقال يا جواد ولا يجوز ان يقال يا سخي ويجوز ان يقال يا عالم ولا يجوز ان يقال يا عاقل
ويجوز ان يقال يا حكيم ولا يجوز ان يقال يا طبيب وللدعا شرايط منها ان يعرف الداعي معاني الاسما
التي يدعو بها ويستحضر في قلبه عظمة المدعو سبحانه وتعالى ويخلص النية في دعايه مع كثرة التعظيم

والتمجيد والتقديس لله تعالى ويعزم المسئلة مع رجا الاجابة ويعترف لله عز وجل بالربوبية
وعلى نفسه بالعبودية فاذا فعل العبد ذلك عظم موقع الدعا وكان له اثر عظيم وذروا الذين
يلحدون في اسمايه معنى الالحاد في اللغة الميل عن القصد والعدول عن الاستقامة وقال ابن السكيت
الملحد العادل عن الحق المدخل فيه ما ليس منه يقال الحد في الدين ولحد اذا عدل عنه ومال الى غيره
قال المحققون الالحاد يقع في اسما الله على وجوه احدها اطلاق اسما الله عز وجل على غيره وذلك ان
المشركين سموا اصنامهم بالالهة واشتقوا لها اسما من اسما الله فسموا اللات والعزى ومناة
واشتقاق اللات من الاله والعزى من العزيز ومناة من المنان وهذا معنى قول ابن عباس ومجاهد
الوجه الثاني هو قول اهل المعاني ان الالحاد في اسما الله هو تسميته بما لم يسم به نفسه ولم يرد
فيه نص من كتاب ولا سنة لان اسما الله كلها توقيفية كما تقدم فلا يجوز فيها غير ما ورد في الشرع
بل يدعو الله باسمايه التي وردت في الكتاب والسنة على وجه التعظيم الوجه الثالث مراعاة
حسن الادب في الدعا فلا يجوز ان يقال يا ضار يا مانع يا خالق القردة على الانفراد بل يقال يا ضار
يا نافع يا خالق الخلق الوجه الرابع ان لا يسمي الله العبد باسم لا يعرف معناه فانه ربما سماه
باسم لا يليق اطلاقه على جلال الله سبحانه وتعالى ولا يجوز ان يسمى به لما فيه من الغرابة وقوله تعالى
سيجزون ما كانوا يعملون يعني في الاخرة ففيه وعيد وتهديد لمن الحد في اسما الله عز وجل قوله
عز وجل وممن خلقنا امة يعني جماعة وعصابة يهدون بالحق وبه يعدلون قال ابن عباس يريد امة
محمد صلى الله عليه وسلم وهم المهاجرون والانصار والتابعون لهم باحسان قال قتادة بلغنا ان النبي صلى
الله عليه وسلم كان اذا قرا هذه الاية قال هذه لكم وقد اعطى القوم بين ايديكم مثلها ومن قوم موسى امة
يهدون بالحق وبه يعدلون ق عن معاوية قال وهو يخطب سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
لا يزال من امتي امة قايمة بامر الله لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى ياتي امر الله وهم على ذلك وفي الاية
دليل على انه لا يخلو زمان من قيام بالحق ويعمل به ويهدي اليه والذين كذبوا باياتنا يريد به جميع المكذبين
بايات الله وهم الكفار وقيل المراد بهم اهل مكة والاول اولى لان صيغة العموم تتناول الكل الا ما دل
الدليل على خروجه منه سنستدرجهم من حيث لا يعلمون قال الازهري سناخذهم قليلا من حيث
لا يحتسبون وذلك ان الله تعالى يفتح عليهم من النعيم ما يغتبطون به ويركنون اليه ثم ياخذهم على
غرتهم اغفل ما يكونون وقيل معناه سنقربهم الى ما يهلكهم ويضاعف عقابهم من حيث لا يعلمون ما يراد
بهم لانهم كانوا اذا اتوا بجرم او اقدموا على ذنب فتح الله عليهم من ابواب الخير والنعمة في الدنيا فيزدادوا
بذلك تماديا في الغي والضلال ويتدرجون في الذنوب والمعاصي فياخذهم الله اخذة واحدة
اغفل ما يكونون عليه وقال الضحاك معناه كلما جددوا معصية جددنا نعمة وقال الكلبي نزين
اعمالهم ثم نهلكهم بها وقال سفيان الثوري نسبغ عليهم النعم ثم نسلبهم الشكر وروي ان عمر بن
الخطاب لما حمل اليه كنوز كسرى قال اللهم اني اعوذ بك ان اكون مستدرجا فاني سمعتك تقول سنستدرجهم

من حيث لا يعلمون قال اهل المعاني الاستدراج ان يندرج الشي الى الشي في خفية قليلا قليلا
ومنه درج الصبي اذا قارب بين خطاه في المشي ومنه درج الكتاب اذا طواه شيا بعد شي واملي لهم
يعني وامهلهم واطيل مدة اعمارهم والاملا في اللغة الامهال واطالة المدة والمعنى اني اطيل مدة
اعمارهم ليتمادوا في الكفر والمعاصي ولا اعاجلهم بالعقوبة ولا افتح لهم باب التوبة ان كيدي متين
يعني ان اخذي شديد والمتين من كل شي هو القوي الشديد وقال ابن عباس معناه ان مكري شديد
قال المفسرون نزلت هذه الاية في المستهزيين من قريش وذلك ان الله تعالى امهلهم ثم قتلهم في ليلة
واحدة وفي هذه الاية دليل على مسيلة القضا والقدر وان الله تعالى يفعل ما يشا ويحكم ما يريد
لا يسال عما يفعل وهم يسالون قوله تعالى اولم يتفكروا ما بصاحبهم يعني محمدا صلى الله
عليه وسلم من جنة يعني من جنون قال قتادة ذكر لنا ان نبي الله صلى الله عليه وسلم قام على
الصفا ليلا فجعل يدعو قريشا فخذا فخذا يا بني فلان يا بني فلان اني لكم نذير مبين وكان
يحذرهم باس الله ووقايعه فقال قايلهم ان صاحبكم هذا لمجنون بات يصوت الى الصباح فانزل
الله عز وجل اولم يتفكروا والتفكر التامل واعمال الخاطر في عاقبة الامر والمعنى اولم يتفكروا
فيعلموا ما بصاحبهم يعني محمدا صلى الله عليه وسلم من جنة والجنة حالة من الجنون وادخال
لفظة من في قوله من جنة توجب ان لا يكون به نوع من انواع الجنون وانما نسبوه الى الجنون
وهو بري منه لانهم راوا انه صلى الله عليه وسلم خالفهم في الاقوال والافعال لانه كان معرضا
عن الدنيا ولذاتها مقبلا على الاخرة ونعيمها مشتغلا بالدعا الى الله عز وجل وانذارهم
باسه ونقمته ليلا ونهارا من غير ملال ولا ضجر فعند ذلك نسبوه الى الجنون فبراه الله من
الجنون وقال تعالى ان هو يعني ما هو الا نذير مبين ثم حثهم على النظر المودي الى العلم بالوحدانية
فقال تعالى اولم ينظروا يعني نظر اعتبار واستدلال في ملكوت السموات والارض وما خلق
الله من شي والمقصود التنبيه على ان الدلالة على الوحدانية ووجود الصانع القديم
غير مقصورة على ملك السموات والارض بل كل شي خلقه الله وبراه فيه دليل على وحدانية
الله تعالى واثار قدرته كما قال الشاعر وفي كل شي له اية تدل على انه واحد وان عسى ان يكون
قد اقترب اجلهم والمعنى ولعل اجلهم قد اقترب فيموتوا على الكفر قبل ان يومنوا فيصيروا الى
النار واذا كان الامر كذلك وجب على العاقل المبادرة الى التفكر والاعتبار والنظر المودي الى
الفوز بالنعيم المقيم فباي حديث بعده اي بعد القران يومنون يعني يصدقون والمعنى فباي كتاب
بعد الكتاب الذي جا به محمد صلى الله عليه وسلم يصدقون وليس بعد محمد نبي ولا بعد كتابه كتاب
لانه خاتم الانبيا وكتابه خاتم الكتب لانقطاع الوحي بعد محمد صلى الله عليه وسلم ثم ذكر علة اعراضهم
عن الايمان فقال تعالى من يضلل الله فلا هادي له يعني ان اعراض هولا عن الايمان لاضلال الله اياهم
ولو هداهم لامنوا ويذرهم في طغيانهم يعمهون يعني ويتركهم في ضلالتهم وتماديهم في الكفر يترددون

متحيرين لا يهتدون سبيلا قوله عز وجل يسالونك عن الساعة ايان مرساها قال قتادة قالت
قريش لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان بيننا وبينك قرابة فاسر الينا متى الساعة فانزل الله
هذه الاية وقال ابن عباس قال جبل بن ابي قشير وسمول بن زيد وهما من اليهود لرسول الله صلى الله
عليه وسلم يا محمد اخبرنا متى الساعة ان كنت نبيا كما تقول فانا نعلم متى هي فانزل الله عز وجل يسالونك
يا محمد عن الساعة يعني عن خبر القيامة سميت ساعة لانها تقوم في ساعة غفلة وبغتة ولان
حساب الخلايق ينقضي فيها في ساعة واحدة ايان سوال استفهام عن الوقت الذي تقوم فيه
الساعة ومعناه متى مرساها قال ابن عباس يعني منتهاها متى وقوعها قال والساعة الوقت
الذي يموت الخلايق فيه واصل الارسا الثبات يقال رسا يرسو اذا ثبت قل اي قل لهم يا محمد
انما علمها عند ربي اي لا يعلم الوقت الذي تقوم فيه الا الله استاثر الله بعلمها فلم يطلع عليه احدا
ومنه حديث الايمان والاسلام والاحسان وسوال جبريل النبي صلى الله عليه وسلم قال فاخبرني
عن الساعة قال ما المسول عنها باعلم من السايل قال المحققون وسبب اخفا علم الساعة ووقت
قيامها عن العباد ليكونوا على خوف وحذر منها لانهم اذا لم يعلموا متى يكون ذلك الوقت كانوا
على وجل وخوف واشفاق منها فيكون ذلك ادعى لهم الى الطاعة والتوبة وازجر لهم عن المعصية
لا يجليها لوقتها الا هو قال مجاهد لا ياتي بها الا هو وقال السدي لا يرسلها لوقتها الا هو والتجلية
اظهار الشي بعد خفايه والمعنى لا يظهرها لوقتها المعين الا الله ولا يقدر على ذلك غيره ثقلت في
السموات والارض يعني ثقل امرها وخفي علمها على اهل السموات والارض وكل شي خفي فهو ثقيل
شديد وقال الحسن اذا جات ثقلت وعظمت على اهل السموات والارض وانما ثقلت عليهم لان
فيها فناهم وموتهم وذلك ثقيل على القلوب لا تاتيكم الا بغتة يعني فجاة على حين غفلة من الخلق
ق عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ولتقومن الساعة وقد نشر الرجلان ثوبهما
بينهما فلا يتبايعانه [ولا يطويانه] ولتقومن الساعة وقد انصرف الرجل بلبن لقحته فلا يطعمه ولتقومن الساعة
وهو يليط حوضه فلا يسقي فيه ولتقومن الساعة وقد رفع اكلته الى فيه فلا يطعمها اللقحة
بفتح اللام وكسرها الناقة القريبة العهد بالنتاج قوله يليط حوضه ويروى يلوط حوضه يعني
يطينه ويصلحه يقال لاط حوضه يليطه ويلوطه اذا طينه واصله من اللصوق والاكلة
بضم الهمزة اللقمة وقوله تعالى يسالونك كانك حفي عنها يعني يسالك قومك عن الساعة كانك
حفي بهم يعني بار بهم شفيق عليهم فعلى هذا القول فيه تقديم وتاخير تقديره يسالونك عنها
كانك حفي بهم قال ابن عباس يقول كان بينك وبينهم مودة وكانك صديق لهم قال ابن عباس لما
سال الناس محمدا صلى الله عليه وسلم عن الساعة سالوه سوال قوم كانهم يرون ان محمدا صلى الله عليه وسلم
حفي بهم فاوحى الله عز وجل اليه انما علمها عنده استاثر بعلمها فلم يطلع عليه ملكا ولا رسولا
وقيل معناه يسالونك عنها كانك حفي بها اي عالم بها من قولهم احفيت في المسلة اذا بالغت في

السوال عنها حتى علمتها قل يعني قل يا محمد انما علمها عند الله يعني استاثر الله بعلمها فلا يعلم متى
الساعة الا الله عز وجل فان قلت قوله يسالونك عن الساعة ايان مرساها وقوله ثانيا يسالونك
كانك حفي عنها فيه تكرار قلت ليس فيه تكرار لان السوال الاول سوال عن وقت قيام الساعة
والسوال الثاني سوال عن احوالها من ثقلها وشدايدها فلم يلزم التكرار فان قلت عبر عن
الجواب في السوال الاول بقوله علمها عند ربي وعن الجواب في السوال الثاني بقوله علمها عند الله
فهل من فرق بين الصورتين في الجوابين قلت فيه فرق لطيف وهو انه لما كان السوال الاول
واقعا عن وقت قيام الساعة عبر عن الجواب فيه بقوله علم وقت قيامها عند ربي ولما كان
السوال الثاني واقعا عن احوالها وشدايدها وثقلها عبر عن الجواب فيه بقوله علم ذلك
عند الله لانه اعظم الاسما ولكن اكثر الناس لا يعلمون يعني لا يعلمون ان علمها عند الله وانه
استاثر بعلم ذلك حتى يسالوا عنه وقيل ولكن اكثر الناس لا يعلمون السبب الذي من اجله اخفي
علم وقت قيامها المغيب عن الخلق قوله تعالى قل لا املك لنفسي نفعا ولا ضرا قال ابن عباس
ان اهل مكة قالوا يا محمد الا يخبرك ربك بالسعر الرخيص قبل ان يغلو فنشتريه فنربح فيه عند
الغلا وبالارض التي يريد ان تجدب فنرحل عنها الى ما قد اخصبت فانزل الله قل لا املك اي قل
يا محمد لا املك ولا اقدر لنفسي نفعا اي اجتلاب نفع بان اربح فيما اشتريه ولا ضرا يعني ولا اقدر
ان ادفع ضرا نزل بها بان ارتحل الى الارض الخصبة واترك الجدبة الا ما شا الله يعني ان املكه
واقدر عليه ولو كنت اعلم الغيب لاستكثرت من الخير يعني ولو كنت اعلم وقت الخصب والجدب
لاستكثرت من المال وما مسني السو يعني الضر والفقر والجوع وقال ابن جريج معنى لا املك
لنفسي نفعا ولا ضرا من الهدى والضلالة ولو كنت اعلم الغيب يريد وقت الموت لاستكثرت
من الخير يعني من العمل الصالح وقيل ان اهل مكة لما سالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الساعة
انزل الله الاية الاولى ومعناه انا لا ادعي علم الغيب حتى اخبركم عن وقت قيام الساعة وذلك
لما طالبوه بالاخبار عن الغيوب فذكر ان قدرته قاصرة عن علم الغيب فان قلت قد اخبر
صلى الله عليه وسلم عن المغيبات وقد جات احاديث في الصحيح بذلك وهو من اعظم معجزاته
صلى الله عليه وسلم فكيف الجمع بينه وبين قوله ولو كنت اعلم الغيب لاستكثرت من الخير قلت
يحتمل ان يكون قاله صلى الله عليه وسلم على سبيل التواضع والادب والمعنى لا اعلم الغيب الا ان
يطلعني الله عليه ويقدره لي ويحتمل ان يكون قال ذلك قبل ان يطلعه الله عز وجل على الغيب
فلما اطلعه الله اخبر به كما قال فلا يظهر على غيبه احدا الا من ارتضى من رسول او يكون خرج
مخرج الجواب عن سوالهم ثم بعد ذلك اظهره الله تعالى على اشيا من المغيبات فاخبر عنها
ليكون ذلك معجزة له ودلالة على صحة نبوته صلى الله عليه وسلم وقوله وما مسني السو يعني الجنون
وذلك انهم نسبوه الى الجنون وقيل معناه ولو كنت اعلم الغيب لاستكثرت من تحصيل الخير واحترزت

عن الشر حتى اصبر بحيث لا يمسني السو وقيل معناه ولو كنت اعلم الغيب لاعلمتكم بوقت
قيام الساعة حتى تؤمنوا وما مسني السو يعني قولكم لو كنت نبيا لعلمت متى تقوم الساعة
ان انا الا نذير يعني ما انا الا رسول ارسلني الله اليكم انذركم واخوفكم عقابه ان لم تؤمنوا
وبشير يعني وابشركم بثوابه لقوم يؤمنون يعني يصدقون قوله عز وجل هو الذي خلقكم من
نفس واحدة يعني ادم عليه السلام وجعل منها زوجها يعني وخلق منها زوجها حوا بالمد
وقد تقدم كيفية خلق حوا من ضلع ادم في اول سورة النسا ليسكن يعني ليانس بها ويأوي
اليها فلما تغشاها يعني واقعها وجامعها كنى به عن الجماع احسن كناية لان الغشيان اتيان
الرجل المراة وقد غشيها وتغشاها اذا علاها وتجللها حملت حملا خفيفا يعني النطفة
والمني لان اول ما تحمل النطفة وهي خفيفة عليها فمرت به يعني انها استمرت بذلك الحمل فقامت
وقعدت وهو خفيف عليها فلما اثقلت يعني صارت الى حال الثقل وكبر ذلك الحمل ودنت ولادتها
دعوا الله ربهما يعني ان ادم وحوا دعوا الله ربهما لئن اتيتنا صالحا يعني لئن اعطيتنا بشرا سويا
مثلنا لنكونن من الشاكرين يعني لك على انعامك علينا قال المفسرون لما اهبط ادم وحوا الى الارض
القيت الشهوة في نفس ادم فاصاب حوا فحملت من ساعتها فلما ثقل الحمل وكبر الولد اتاها ابليس
فقال لها ما الذي في بطنك قالت ما ادري قال اني اخاف ان يكون بهيمة او كلبا او خنزيرا او نحو
في الارض الا بهيمة او نحوها قالت اني اخاف بعض ذلك قال وما يدريك من اين يخرج امن دبرك
او فيك او يشق بطنك فيقتلك فخافت حوا من ذلك وذكرته لادم فلم يزالا في غم من ذلك
ثم عاد اليها ابليس فقال لها اني من الله بمنزلة فان دعوت الله ان يجعله خلقا سويا مثلك ويسهل
عليك خروجه تسميه عبد الحارث وكان اسم ابليس في الملايكة الحارث فذكرت ذلك حوا لادم
فقال لعله صاحبنا الذي قد علمت فعاودها ابليس فلم يزل بهما حتى غرهما فلما ولدت سمياه عبد
الحارث وقال ابن عباس كانت حوا تلد لادم فتسميه عبد الله وعبيد الله وعبد الرحمن فيصيبهم
الموت فاتاهما ابليس فقال ان سركما ان يعيش لكما ولد فسمياه عبد الحارث فولدت فسمياه عبد
الحارث فعاش عن سمرة بن جندب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما حملت حوا طاف بها
ابليس وكان لا يعيش لها ولد فقال سميه عبد الحارث فسمته فعاش وكان ذلك من وحي الشيطان
وامره اخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب لا نعرفه الا من حديث عمر بن ابراهيم عن
قتادة وقال وقد رواه بعضهم ولم يرفعه وقوله وذلك وحي الشيطان يعني من وسوسته
وحديثه كما جا انه خدعهما مرتين مرة في الجنة ومرة في الارض قال ابن عباس لما ولد له اول ولد
اتاه ابليس فقال اني سانصح لك في شان ولدك هذا اسمه عبد الحارث وكان اسمه في السما الحارث
فقال ادم اعوذ بالله من طاعتك اني اطعتك في اكل الشجرة فاخرجتني من الجنة فلن اطيعك فمات
ولده ثم ولد له بعد ذلك ولد اخر فقال اطعني والا مات كما مات الاول فعصاه فمات ولده

فقال

فقال لا ازال اقتلهم حتى تسميه عبد الحارث فلم يزل به حتى سماه عبد الحارث فذلك قوله
عز وجل فلما اتاهما صالحا جعلا له شركا فيما اتاهما قال ابن عباس اشركه في طاعته في غير
عبادة ولم يشرك بالله ولكن اطاعه وقال قتادة اشركا في الاسم ولم يشركا في العبادة وقال
عكرمة ما اشرك ادم ولا حوا وكان لا يعيش لهما ولد فاتاهما الشيطان فقال ان سركما ان يعيش
لكما ولد فسمياه عبد الحارث فهو قوله جعلا له شركا فيما اتاهما قرى شركا بكسر الشين مع التنوين
ومعناه شركة وقال ابو عبيدة معناه حظا ونصيبا وقرى شركا بضم الشين مع المد جمع شريك
يعني ابليس عبر عن الواحد بلفظ الجمع يعني جعلا له شريكا اذ سميا ولدهما عبد الحارث
قال العلما ولم يكن ذلك شركا في العبادة ولا ان الحارث رب لهما لان ادم عليه السلام كان نبيا
معصوما من الشرك ولكن قصدا بتسميتهما الولد بعبد الحرث ان الحرث كان سبب نجاة الولد
وسلامته وسلامة امه وقد يطلق اسم العبد على من لا يراد به انه مملوك كما قال الشاعر
واني لعبد الضيف ما دام ثاويا ٭ اخبر عن نفسه انه عبد الضيف ما اقام عنده مع بقاء
الحرية عليه وانما اراد بالعبودية خدمة الضيف والقيام بواجب حقوقه كما يقوم العبد
بواجب حقوق سيده وقد يطلق اسم الرب بغير الالف واللام على غير الله كقول يوسف عليه
السلام لعزيز مصر انه ربي احسن مثواي اراد به التربية ولم يرد به انه ربه ومعبوده فكذلك
هذا وانما اخبر عن ادم بقوله جعلا له شركا فيما اتاهما لان حسنات الابرار سيات المقربين
ولان منصب النبوة اشرف المناصب واعلاها فعاتبه الله على ذلك لانه نظر الى السبب
ولم ينظر الى المسبب فالله اعلم بمراده واسرار كتابه قال العلما وعلى هذا تقديم الكلام عند قوله
فيما اتاهما ثم ابتدا في الخبر عن الكفار بقوله فتعالى الله عما يشركون نزه نفسه سبحانه وتعالى
عن اشراك المشركين من اهل مكة وغيرهم وهذا على العموم ولو اراد ادم وحوا لقال فتعالى الله عما
يشركان على التثنية لا على الجمع وقال بعض اهل المعاني ولو اريد به ما سبق من معنى الاية فتستقيم
ايضا من حيث انه كان الاولى بهما ان لا يفعلا ما اتيا به من الاشراك في التسمية فكان الاولى ان
يسمياه عبد الله لا عبد الحارث وفي معنى الاية قول اخر وهو انه راجع الى جميع المشركين من
ذرية ادم وهو قول الحسن وعكرمة ومعناه وجعل اولادهما له شركا فحذف ذكر الاولاد
واقامهما مقامهم كما اضاف فعل الابا الى الابنا بقوله ثم اتخذتم العجل واذ قتلتم نفسا فعير
به اليهود الذين كانوا موجودين زمن النبي صلى الله عليه وسلم وكان ذلك من فعل ابايهم وقال
عكرمة خاطب كل واحد من الخلق بقوله هو الذي خلقكم من نفس واحدة اي خلق كل واحد
من ابيه وجعل منها زوجها اي وجعل من جنسها زوجها ادمية مثله وهذا قول حسن الا
ان القول الاول اصح لانه قول السلف مثل ابن عباس ومجاهد وسعيد بن المسيب وغيرهم من
المفسرين وورد الحديث بذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم وقيل هم اليهود والنصارى رزقهم الله

اولادا يعبدوهم وينصروهم وقال ابن كيسان هم الكفار سموا اولادهم بعبد العزى وعبد
شمس وعبد الدار ونحو ذلك وقوله تعالى ايشركون قرئ بالتاء على خطاب الكفار وقرئ بالياء على
الغيبة ما لا يخلق شيئا يعني ابليس والاصنام وهم يخلقون اي وهم مخلوقون فان قلت كيف
وحد يخلق ثم جمع فقال وهم يخلقون قلت ان لفظة ما تقع على الواحد والاثنين والجمع
فهي من صيغ الوحدان بحسب ظاهر اللفظ وجمع قوله وهم يخلقون رعاية لجانب المعنى فان قلت
كيف جمع بالواو والنون لمن لا يعقل وهو جمع من يعقل من الناس قلت لما اعتقد عابدوا الاصنام
انها تعقل وتميز ورد هذا الجمع بناء على ما يعتقدونه ويتصورونه وقوله تعالى ولا يستطيعون
لهم نصرا يعني ان الاصنام لا تقدر على نصر من اطاعها وعبدها ولا نصر من عصاها والنصر
المعونة على الاعداء والمعنى ان المعبود الذي يجب عبادته يكون قادرا على ايصال النفع ودفع الضر
وهذه الاصنام ليست كذلك فكيف يليق بالعاقل ان يعبدها ثم قال تعالى ولا انفسهم ينصرون
يعني ولا يقدرون على ان يدفعوا عن انفسهم مكروها فان من اراد كسرها قدر عليه وهي لا تقدر
على دفعه عنها ثم خاطب المومنين فقال تعالى فان تدعوهم الى الهدى يعني وان تدعوا ايها
المومنون المشركين الى الهدى لا يتبعوكم لان الله تعالى حكم عليهم بالضلالة فلا يقبلوا الهداية
سواء عليكم ادعوتموهم الى الدين والهداية ام انتم صامتون اي ساكتون عن دعائهم فهم في كلا
الحالين لا يومنون وقيل ان الله تعالى لما بين في الاية المتقدمة عجز الاصنام بين في هذه الاية
انه لا علم لها بشيء البتة والمعنى ان هذه الاصنام التي يعبدها المشركون معلوم من حالها
انها لا تضر ولا تنفع ولا تسمع لمن دعاها الى خير وهدى ثم قوى هذا المعنى بقوله سواء عليكم
ادعوتموهم ام انتم صامتون وذلك ان المشركين كانوا اذا وقعوا في شدة وبلاء تضرعوا الى الاصنام
فاذا لم يكن لهم الى الاصنام حاجة سكتوا وصمتوا فقيل لهم لا فرق بين دعائكم الاصنام او سكوتكم
عنها فانها عاجزة في كل حال قوله تعالى ان الذين تدعون من دون الله عباد امثالكم يعني ان الاصنام
التي يعبدها هولاء المشركون انما هي مملوكة لله امثالهم وقيل انها مسخرة مذللة مثل ما انتم
مسخرون مذللون وقال مقاتل في قوله عباد امثالكم انها الملايكة والخطاب مع قوم كانوا
يعبدون الملايكة والقول الاول اصح وفيه سوال وهو انه وصفها بانها عباد مع انها جماد
والجواب ان المشركين لما ادعوا ان الاصنام تضر وتنفع وجب ان يعتقدوا كونها عاقلة فاهمة
فوردت هذه الالفاظ على وفق معتقدهم تبكيتا لهم وتوبيخا ولذلك قال فادعوهم فليستجيبوا
لكم ان كنتم صادقين في كونها الهة وجواب اخر وهو ان هذا اللفظ انما ورد في معرض الاستهزاء
بالمشركين والمعنى ان قصارى هذه الاصنام التي تعبد وانها احياء عاقلة على معتقدكم فهم عباد
الله امثالكم ولا فضل لهم عليكم فلم عبدتموهم وجعلتموهم الهة وجعلتم انفسكم لهم عبيدا
ثم وصفهم بالعجز فقال تعالى الهم ارجل يمشون بها ام لهم ايد يبطشون بها ام لهم اعين يبصرون

لها

بها ام لهم اذان يسمعون بها يعني ان قدرة الانسان المخلوق انما تكون بهذه الجوارح الاربعة
فانها الات يستعين بها في اموره والاصنام ليس لها من هذه الاعضاء والجوارح شيء فهم
مفضلون عليهم بهذه الاعضاء لان الرجل الماشية افضل من الرجل العاجزة عن المشي
وكذلك اليد الباطشة افضل من اليد العاجزة عن البطش والعين البصيرة افضل من العين
العاجزة عن الادراك والاذن السامعة افضل من الاذن العاجزة عن السمع فظهر بهذا البيان
ان الانسان افضل من هذه الاصنام العاجزة بكثير بل لا فضل لها البتة لانها حجارة وجماد
لا تضر ولا تنفع واذا كان الامر كذلك فكيف يليق بالانسان العاقل الافضل ان يشتغل
بعبادة الاخس الادون الارذل الذي لا فضل له البتة ولا يضر ولا ينفع فامتنع بهذه الحجة
كون الاصنام الهة ثم قال تعالى قل ادعوا شركاءكم اي قل يا محمد لهولاء المشركين ادعوا شركاءكم
هذه الاصنام التي تعبدونها حتى يتبين عجزها ثم كيدون يعني انتم وشركاوكم وهذا
متصل بما قبله في استعمال الحجة عليهم لانهم لما فزعوا الى عبادة من لا يملك ضرا ولا نفعا
قيل لمحمد صلى الله عليه وسلم قل ان معبودي يملك الضر والنفع فلو اجتهدتم في كيدي لم تصلوا
الى ضري لان الله يدفع عني وقال الحسن كانوا يخوفونه بالهتهم فقال الله تعالى قل ادعوا شركاءكم
ثم كيدوني فلا تنظرون اي لا تمهلوني واعجلوا في كيدكم انتم وشركاوكم ان وليي الله يعني الذي
يتولى حفظي ونصري عليكم هو الله الذي نزل الكتاب يعني القران والمعنى انما ايدني بانزال الكتاب
علي كذلك يتولى حفظي ونصري وهو يتولى الصالحين يعني يتولاهم بنصره وحفظه فلا يضرهم
عداوة من عاداهم من المشركين وغيرهم ممن اراد بهم سوء وكادهم بشر قال ابن عباس يريد بالصالحين
الذين لا يعدلون بالله شيئا ولا يعصونه وفي هذا مدح للصالحين لان من تولاه الله يحفظه
فلا يضره شيء قوله عز وجل والذين تدعون من دونه لا يستطيعون نصركم ولا انفسهم ينصرون
هذه الاية قد تقدم تفسيرها والفايدة في تكريرها ان الاية الاولى مذكورة على جهة التقريع
والتوبيخ وهذه الاية مذكورة على جهة الفرق بين من تجوز له العبادة وهو الله الذي يتولى
الصالحين بنصره وحفظه وهذه الاصنام ليست كذلك فلا تكون معبودة وقوله تعالى
وان تدعوهم الى الهدى لا يسمعوا وتراهم ينظرون اليك وهم لا يبصرون قال الحسن المراد
بهذا المشركين ومعناه وان تدعوا ايها المومنون المشركين الى الهدى لا يسمعوا دعاكم
لان اذانهم قد صمت عن سماع الحق وتراهم ينظرون اليك يا محمد وهم لا يبصرون يعني ببصاير
قلوبهم وذهب اكثر المفسرين الى ان هذه الاية ايضا واردة في صفات الاصنام لانها جماد
لا تضر ولا تنفع ولا تسمع ولا تبصر قوله تعالى خذ العفو العفو هنا الفضل وما جاء بلا كلفة
والمعنى اقبل الميسور من اخلاق الناس ولا تستقص عليهم فيستقصوا عليك فيتولد منه العداوة
والبغضاء وقال مجاهد يعني خذ العفو من اخلاق الناس واعمالهم من غير تجسيس وذلك مثل قبول

الاعتذار منهم وترك البحث عن الاشيا والعفو والمساهلة في كل شي خ عن عبد الله بن الزبير
قال لما نزلت خذ العفو وامر بالعرف الا في اخلاق الناس وفي رواية قال امر الله نبيه صلى الله عليه وسلم
ان ياخذ العفو من الاخلاق الناس عن ابي جامع الاصول وفي الجمع بين الصحيحين للحميدي قال امر الله
نبيه صلى الله عليه وسلم ان ياخذ العفو من اقوال الناس او كما قال وقال ابن عباس يعني خذ ما عفا لك
من اموالهم فما اتوك به من شي فخذه وكان هذا قبل ان تنزل براة بفرايض الصدقات وتفصيلها وما
انتهت اليه وقال السدي خذ العفو اي الفضل من المال نسختها اية الزكاة وقال الضحاك خذ ما عفا
من اموالهم وهذا قبل ان تفرض الصدقة المفروضة **وامر بالعرف** يعني وامر بكل ما امرك الله به
وهو كلما عرفته بالوحي من الله عز وجل وكلما يعرفه الشارع وقال عطا وامر بقول لا اله الا الله
واعرض عن الجاهلين امر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم ان يصفح عن الجاهلين وهذا قبل ان يومر
بقتال الكفار فلما امر بقتالهم صار الامر بالاعراض عنهم منسوخا باية القتال قال بعضهم اول
هذه الاية واخرها منسوخ ووسطها محكم يريد بنسخ اولها اخذ الفضل من الاموال فنسخ بفرض
الزكاة والامر بالمعروف محكم والاعراض عن الجاهلين منسوخ باية القتال وروي انه لما نزلت
هذه الاية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لجبريل ما هذا قال لا ادري حتى اسال ثم رجع فقال
ان ربك يامرك ان تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتعفو عمن ظلمك ذكره البغوي بغير سند
وقال جعفر الصادق امر الله عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم بمكارم الاخلاق وليس في القران
اية اجمع لمكارم الاخلاق من هذه عن عايشة قالت لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم فاحشا
ولا متفحشا ولا سخابا في الاسواق ولا يجزي بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويصفح وروى البغوي
بسنده عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله بعثني لتمام مكارم الاخلاق وتمام
محاسن الافعال قوله عز وجل **واما ينزغنك من الشيطان نزغ** قال ابن زيد لما نزل قوله خذ العفو
وامر بالعرف واعرض عن الجاهلين قال النبي صلى الله عليه وسلم فكيف بالغضب يا رب فانزل
الله واما ينزغنك من الشيطان نزغ **فاستعذ بالله انه سميع عليم** ونزغ الشيطان عبارة
عن وساوسه ونخسه في القلب وقيل النزغ الانزعاج واكثر ما يكون عند الغضب واصله
الانزعاج بالحركة الى الشر والافساد يقال نزغت بين القوم اذا افسدت بينهم وقال الزجاج
النزغ ادنى حركة تكون من الشيطان ادنى وسوسة والمعنى واما يصيبنك يا محمد ويعرض لك
من الشيطان وسوسة او نخسة فاستعذ بالله يعني فاستجر بالله والجا اليه في دفعه عنك
انه سميع يعني لدعايك عليم بحالك وقيل ان الشيطان يجد مجالا في حمل الانسان على ما لا ينبغي
في حالة الغضب والغيظ فامر الله بالالتجا اليه والتعوذ به في تلك الحالة فهي تجري مجرى العلاج
لذلك المرض فصل واحتج الطاعنون في عصمة الانبيا بهذه الاية فقالوا لو كان النبي معصوما
لم يكن للشيطان عليه سبيل حتى ينزغ في قلبه ويحتاج الى الاستعاذة والجواب عنه من وجوه الاول

انّ معنى

ان معنى الكلام ان حصل في قلبك نزغ من الشيطان فاستعذ بالله وانه لم يحصل ذلك له
البتة فهو كقوله لين اشركت وهو بري من الشرك البتة الوجه الثاني على تقدير انه لو حصل
وسوسة من الشيطان لكن الله عز وجل قد عصم نبيه صلى الله عليه وسلم عن قبولها وثباتها في قلبه
م عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما منكم من احد الا وقد وكل به
قرينه من الجن وقرينه من الملايكة قالوا واياك يا رسول الله قال واياي الا ان الله اعانني
عليه فاسلم فلا يامرني الا بخير قال الشيخ محيي الدين النواوي يروى فاسلم بفتح الميم وضمها
فمن رفع قال معناه فاسلم انا من شره ومن فتنته ومن فتح قال معناه ان القرين اسلم من
الاسلام يعني صار مومنا لا يامرني الا بخير قال الخطابي الصحيح المختار الرفع ورجح القاضي
عياض الفتح قال الشيخ وهو المختار لقوله فلا يامرني الا بخير قال القاضي عياض واعلم ان الامة
مجمعة على عصمة النبي صلى الله عليه وسلم من الشيطان في جسمه وخاطره ولسانه وفي هذا
الحديث اشارة الى التحذير من فتنة القرين ووسوسته واغوايه اعلمنا انه معنا لنحترز
منه بحسب الامكان والله اعلم الوجه الثالث يحتمل ان يكون الخطاب للنبي صلى الله عليه
وسلم والمراد به غيره ومعناه واما ينزغنك ايها الانسان من الشيطان نزغ فاستعذ
بالله فهو كقوله فاذا قرات القران فاستعذ بالله قوله تعالى **ان الذين اتقوا اذا مسهم
طايف** وقرى طيف **من الشيطان** وهما لغتان ومعناه الشي يلم بالانسان وقيل بينهما
فرق فالطايف ما يطوف حول الانسان والطيف الوسوسة وقيل الطايف ما طاف به
من وسوسة الشيطان والطيف اللمم والمس وقال الازهري الطيف في كلام العرب الجنون
وقيل للغضب طيف لان الغضبان يشبه المجنون وقيل سمي الجنون والغضب والوسوسة
طيفا لانه لمة من الشيطان يشبه لمة الخيال فذكر في الاية الاولى النزغ وهو اخف من الطيف
المذكور في هذه الاية لان حالة الشيطان مع الانبيا اضعف من حاله مع غيرهم **تذكروا**
يعني عرفوا ما حصل لهم من وسوسة الشيطان وكيده قال سعيد بن جبير هو الرجل يغضب
الغضب فيذكر الله فيكظم غضبه وقال مجاهد هو الرجل يلم بالذنب فيذكر الله فيقوم ويدعه
فاذا هم مبصرون يعني انهم يبصرون مواقع الخطايا بالتذكر والتفكر وقال السدي اذا زلوا
تابوا وقال مقاتل اذا اصابه نزغ من الشيطان تذكر وعرف انه معصية فابصر ونزع عن
مخالفة الله عز وجل **واخوانهم** يعني واخوان الشياطين من المشركين **يمدونهم** اي يمد وهم
الشياطين **في الغي** قال الكلبي لكل كافر اخ من الشياطين يمدونهم اي يطيلون لهم في الاغوا
حتى يستمروا عليه وقيل يزيدونهم في الضلالة **ثم لا يقصرون** يعني لا يكفون عن الضلالة
ولا يتركونها وهذا بخلاف حال المومنين المتقين لان المومن اذا اصابه طيف من الشيطان
تذكر وعرف ذلك فنزع عنه وتاب واستغفر والكافر مستمر في ضلالته لا يتذكر ولا يرعوي

وقال ابن عباس لا الانس لا يقصرون عما يعملون من السيئات ولا الشياطين يمسكون عنهم فعلى هذا القول يحمل قوله لا يقصرون على فعل الانس والشياطين جميعا قوله عز وجل **واذا لم تاتهم باية** يعني واذا لم تات المشركين يا محمد باية ومعجزة بامره **قالوا** يعني قال المشركون **لولا اجتبيتها** يعني افتعلتها وانشاتها من قبل نفسك واختيارك تقول العرب اجتبيت الكلام اذا اختلقته وافتعلته وقال الكلبي كان اهل مكة يسالون النبي صلى الله عليه وسلم الايات تعنتا فاذا تاخرت اتهموه وقالوا لولا اجتبيتها يعني هلا احدثتها وانشاتها من عندك **قل** اي قل يا محمد لهولا المشركين الذين سالوا الايات **انما اتبع ما يوحى الي من ربي** يعني القران الذي انزله علي وليس لي ان اقترح الايات والمعجزات **هذا بصاير من ربكم** يعني هذا القران فيه حجج وبرهان واصل البصاير الابصار وهو ظهور الشي حتى يبصره الانسان ولما كان القران سببا لبصاير العقول في دلايل التوحيد والنبوة والمعاد اطلق عليه اسم البصيرة فهو من باب تسمية السبب باسم المسبب **وهدى** يعني وهو هدى **ورحمة** من الله **لقوم يومنون** وهنا لطيفة وهي الفرق بين هذه المراتب الثلاث وذلك ان الناس متفاوتون في درجات العلوم فمنهم من بلغ الغاية في علم التوحيد حتى صار كالمشاهد وهم اصحاب عين اليقين ومنهم من بلغ درجة الاستدلال والنظر وهم اصحاب علم اليقين ومنهم المسلم المستسلم وهم عامة المومنين وهم اصحاب حق اليقين فالقران في حق الاولين وهم السابقون بصاير وفي حق القسم الثاني وهم المستدلون هدى وفي حق القسم الثالث وهم عامة المومنين رحمة قوله تعالى **واذا قري القران فاستمعوا له وانصتوا** لما ذكر الله تعالى عظم شان القران بقوله هذا بصاير من ربكم وهدى ورحمة اتبعه بما يجب من تعظيم شانه عند قراته فقال تعالى واذا قري عليكم ايها المومنون القران فاستمعوا له يعني اصغوا اليه باسماعكم لتفهموا معانيه وتتدبروا مواعظه وانصتوا يعني عند قراته والانصات السكوت للاستماع يقال نصت وانصت وانتصت بمعنى واحد واختلف العلما في الحال التي امر الله عز وجل بالاستماع لقاري القران والانصات له اذا قرا لان قوله فاستمعوا له وانصتوا امر وظاهر الامر للوجوب فمقتضاه ان يكون الاستماع والسكوت واجبين وللعلما في ذلك اقوال القول الاول وهو قول الحسن واهل الظاهر انه تجري هذه الاية على العموم ففي اي وقت واي موضع قري القران يجب على كل احد الاستماع له والسكوت والقول الثاني انها نزلت في تحريم الكلام في الصلاة روي عن ابي هريرة انهم كانوا يتكلمون في الصلاة بحوايجهم فامروا بالسكوت والاستماع لقراة القران وقال عبد الله كنا يسلم بعضنا على بعض في الصلاة سلام على فلان وسلام على فلان فجا القران واذا قري القران فاستمعوا له وانصتوا القول الثالث انها نزلت في ترك الجهر بالقراة خلف الامام روي عن ابي هريرة قال نزلت هذه الاية في رفع الاصوات وهم خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن ابن مسعود انه سمع ناسا يقرون مع الامام فلما انصرف قال اما آن لكم

اذ

ان تفقهوا واذا قري القران فاستمعوا له وانصتوا كما امركم الله وقال الكلبي كانوا يرفعون يرفعون اصواتهم في الصلاة حين يسمعون ذكر الجنة والنار القول الرابع انها نزلت في السكوت عند الخطبة يوم الجمعة وهو قول سعيد بن جبير ومجاهد وعطا قال مجاهد الانصات للامام يوم الجمعة وقال عطا وجب الصموت في اثنتين عند الرجل يقرا القران وعند الامام وهو يخطب وهذا القول قد اختاره جماعة وفيه بعد لان الاية مكية والخطبة انما وجبت بالمدينة واتفقوا على انه يجب الانصات حال الخطبة بدليل السنة وهو ما روي عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا قلت لصاحبك انصت والامام يخطب يوم الجمعة فقد لغوت اخرجاه في الصحيحين واختلف العلما في القراة خلف الامام فذهب جماعة الى ايجابها سوا جهر الامام بالقراة او اسر يروي ذلك عن عمر وعثمان وعلي وابن مسعود ومعاذ وهو قول الاوزاعي واليه ذهب الشافعي وذهب قوم الى انه يقرا فيما اسر الامام فيه القراة ولا يقرا اذا جهر يروى عن ابن عمر وهو قول عروة بن الزبير والقاسم بن محمد وبه قال الزهري ومالك وابن المبارك واحمد واسحاق وذهب قوم الى انه لا يقرا سوا اسر الامام او جهر يروى ذلك عن جابر واليه ذهب اصحاب الراي حجة من لا يرى القراة خلف الامام ظاهر هذه الاية وحجة من قال يقرا في السرية دون الجهرية قال ان الاية تدل على الامر بالاستماع لقراة القران ودلت السنة على وجوب القراة خلف الامام فحملنا مدلول الاية على الصلاة الجهرية وحملنا مدلول السنة على الصلاة السرية جمعا بين دلايل الكتاب والسنة وحجة من اوجب القراة خلف الامام في الصلاة السرية والجهرية قال الاية واردة في غير الفاتحة لان دلايل السنة قد دلت على وجوب قراة الفاتحة خلف الامام ولم يفرق بين السرية والجهرية قالوا واذا قرا الفاتحة خلف الامام تتبع سكتاته ولا ينازعه في القراة ولا يجهر بالقراة خلفه ويدل عليه ما روي عن عبادة بن الصامت قال صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الصبح فثقلت عليه القراة فلما انصرف قال اراكم تقرون ورا امامكم قال قلنا يا رسول الله اي والله قال لا تفعلوا الا بام القران فانه لا صلاة لمن لم يقرا بها اخرجه الترمذي بطوله واخرجاه في الصحيحين اقصر منه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا صلاة لمن لم يقرا بفاتحة الكتاب م عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى صلاة لم يقرا فيها بفاتحة الكتاب فهي خداج يقولها ثلاثا غير تمام فقيل لابي هريرة انا نكون ورا الامام قال اقرا بها في نفسك وذكر الحديث وقوله تعالى **لعلكم ترحمون** يعني لكي يرحمكم ربكم باتباعكم ما امركم به من اوامره وفرايضه قوله عز وجل **واذكر ربك في نفسك** الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم ويدخل فيه غيره من امته لانه عام لساير المكلفين قال ابن عباس يعني بالذكر القراة في الصلاة يريد تقرا سرا في نفسك والفايدة فيه ان انتفاع

الانسان بالذكر انما يكمل اذا وقع الذكر بهذه الصفة لان ذكر النفس اقرب الى الاخلاص وابعد
عن الريا وقيل المراد بالذكر في النفس ان يستحضر في قلبه عظمة المذكور جل جلاله واذا كان الذكر
باللسان عاريا عن ذكر القلب كان عديم الفايدة لان فايدة الذكر حضور القلب واستشعار
عظمة المذكور تعالى تضرعا يقال ضرع الرجل يضرع ضراعة اذا خضع وذل واستكان لغيره
وخيفة ودون الجهر من القول يعني خوفا والمعنى يتضرع الى ويخاف من عذابي وقال مجاهد وابن
جريج امروا ان يذكروه في الصدور بالتضرع والاستكانة دون رفع الصوت في الدعاء وههنا
لطيفة وهي ان قوله تعالى واذكر ربك في نفسك فيه اشعار بقرب العبد من الله عز وجل
وهو مقام الرجا لان لفظ الرب مشعر بالتربية والرحمة والفضل والاحسان فاذا تذكر
العبد انعام الله عليه واحسانه اليه فعند ذلك يقوى مقام الرجا ثم اتبعه بقوله تضرعا
وخيفة وهذا مقام الخوف فاذا حصل في قلب العبد داعية الخوف والرجا قوي ايمانه
والمستحب ان يكون الخوف اغلب على العبد في حال صحته وقوته فاذا اقارب الموت ودنا اخر اجله
فيستحب ان يغلب رجاوه على خوفه عن انس بن مالك ان النبي صلى الله عليه وسلم دخل على شاب
وهو في الموت فقال كيف تجدك فقال ارجو الله يا رسول الله واني اخاف ذنوبي فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم لا يجتمعان في قلب عبد في مثل هذا الموطن الا اعطاه الله ما يرجو منه وامنه
مما يخاف اخرجه الترمذي وقوله تعالى بالغدو جمع غدوة والاصال جمع اصيل وهو ما بين صلاة
العصر الى المغرب والمعنى اذكر ربك بالبكر والعشيات وانما خص هذين الوقتين بالذكر لان الانسان
يقوم بالغداة من النوم الذي هو اخو الموت فاستحب له ان يستقبل حالة الانتباه من النوم وهو
وقت الحياة من موت النوم بالذكر ليكون اول اعماله ذكر الله عز وجل واما وقت الاصال وهو
اخر النهار فان الانسان يريد ان يستقبل النوم الذي هو اخو الموت فيستحب له ان يستقبله
بالذكر لانها حالة تشبه الموت ولعله لا يقوم من تلك النومة فيكون موته على ذكر الله عز وجل
وهو المراد من قوله تعالى ولا تكن من الغافلين يعني عما يقربك الى الله عز وجل وقيل ان اعمال العباد
تصعد اول النهار واخره فيصعد عمل الليل عند صلاة الفجر ويصعد عمل النهار بعد العصر
الى المغرب فاستحب له الذكر في هذين الوقتين ليكون ابتدا عمله بالذكر واختتامه بالذكر وقيل لما
كانت الصلاة بعد صلاة الصبح وبعد صلاة العصر مكروهة استحب للعبد ان يذكر الله
في هذين الوقتين ليكون في جميع اوقاته مشتغلا بما يقرب الى الله عز وجل من صلاة او ذكر قوله
عز وجل ان الذين عند ربك يعني الملايكة المقربين لما امر الله عز وجل رسوله والمومنين بالذكر في
حالة التضرع والخوف اخبر ان الملايكة الذين عنده مع علو مرتبتهم وشرفهم وعصمتهم لا يستكبرون
عن عبادته وطاعته لانهم عبيده خاضعون لعظمته وكبريايه عز وجل ويسبحونه يعني وينزهونه
عن جميع النقايص ويقولون سبحان الله ربنا وله يسجدون لا لغيره فان قلت التسبيح والسجود

داخلان في قوله لا يستكبرون عن عبادته لانهما من جملة العبادة فكيف افردهما بالذكر
قلت اخبر الله عز وجل عن حال الملايكة انهم خاضعون لعظمته لا يستكبرون عن عبادته
ثم اخبر عن صفة عبادتهم وانهم يسبحونه وله يسجدون ولما كانت الاعمال تنقسم
الى قسمين اعمال القلوب واعمال الجوارح فاعمال القلوب هي تنزيه الله عن كل سوء
وهو الاعتقاد القلبي عبر عنه بقوله ويسبحونه وعبر عن اعمال الجوارح بقوله
وله يسجدون وهذه السجدة من عزايم سجود القران فيستحب للقاري والمستمع
ان يسجد عند قوله وله يسجدون ليوافق الملايكة المقربين في عبادتهم ق عن عبد الله
ابن عمر ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يقرا القران فيقرا سورة فيها سجدة فيسجد
ونسجد معه حتى ما يجد بعضنا موضعا لمكان جبهته في غير وقت صلاة م عن
ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قرا ابن ادم السجدة فسجد
اعتزل الشيطان يبكي يقول يا ويلتا امر ابن ادم بالسجود فسجد فله الجنة وامرت
بالسجود فابيت فلي النار م عن ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول عليك بكثرة السجود لله فانك لا تسجد لله سجدة
الا رفعك الله بها درجة وحط عنك بها خطيية والله اعلم باسراره كتابه تفسير
سورة الانفال مدنية كلها الا سبع ايات منها نزلت بمكة وهي من قوله تعالى واذ يمكر
بك الذين كفروا الى اخر سبع ايات والاصح انها نزلت بالمدينة وان كانت الواقعة
مكية وهي خمس وسبعون اية والف وخمس وسبعون كلمة وخمسة الاف وثمانون حرفا
بسم الله الرحمن الرحيم يسالونك عن الانفال ق عن سعيد بن جبير قال قلت لابن
عباس سورة الانفال قال نزلت في بدر واختلف اهل التفسير في سبب نزولها فقال
ابن عباس لما كان يوم بدر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صنع كذا وكذا فله كذا
وكذا ومن اتى مكان كذا وكذا فله كذا وكذا ومن قتل قتيلا فله كذا فتسارع الشباب
وبقيت الشيوخ تحت الرايات فلما فتح الله عليهم جاوا يطلبون ما جعل لهم النبي
صلى الله عليه وسلم فقال لهم الاشياخ لا تذهبون به دوننا ولا تستاثرون به علينا فانا
كنا ردا لكم ولو انكشفتم لانكشفتم الينا فتنازعوا فانزل الله عز وجل يسالونك عن الانفال
الاية قال اهل التفسير وقام ابو اليسر بن عمرو الانصاري اخو بني سلمة فقال يا رسول
الله انك وعدت من قتل قتيلا فله كذا وانا قد قتلنا سبعين واسرنا سبعين فقام
سعد بن معاذ فقال والله ما منعنا ان نطلب ما يطلب هولاء زهادة في الاجر ولا جبن
عن العدو ولكن كرهنا ان نعري مصافك فتعطف عليه خيل من المشركين فيصيبونك
فاعرض عنهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال سعد يا رسول الله ان الناس كثير والغنيمة

دون ذلك فان نعط هولا الذين ذكرت لا يبقى لاصحابك شي فنزلت هذه الاية يسالونك
عن الانفال وقال محمد بن اسحاق امر رسول الله صلى الله عليه وسلم بما في العسكر فجمع فاختلف
المسلمون فيه فقال من جمعه هو لنا وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم نفل كل امري ما اصاب
وقال الذين كانوا يقاتلون العدو لولا نحن ما اصبتموه وقال الذين يحرسون رسول الله
صلى الله عليه وسلم لقد كنا نقدر ان نقاتل العدو ولكنا خفنا على رسول الله صلى الله عليه
وسلم غرة العدو فقمنا دونه فما انتم باحق منا فنزلت هذه الاية وروى مكحول عن ابي امامة
الباهلي قال سالت عبادة بن الصامت عن الانفال فقال فينا معشر اصحاب بدر نزلت حين
اختلفنا في النفل وساءت فيه اخلاقنا فنزعه الله من ايدينا وجعله الى رسول الله صلى
الله عليه وسلم فقسمه رسول الله صلى الله عليه وسلم بيننا بَوَا يقول على استوا وكان فيه
تقوى الله وطاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم واصلاح ذات البين وعن سعد بن ابي وقاص
قال لما كان يوم بدر جيت بسيف فقلت يا رسول الله صلى الله عليك وسلم ان الله قد شفى
صدري من المشركين او نحو هذا هب لي هذا السيف فقال هذا ليس لي ولا لك فقلت عسى
ان يعطى هذا من لا يبلى بلاي فجاني الرسول فقال انك سالتني وليس لي وقد صار لي وانه قد صار
لي فهو لك فنزلت يسالونك عن الانفال الاية اخرجه ابو داود والترمذي وقال حديث
حسن صحيح واخرجه مسلم في جملة حديث طويل يتضمن فضايل سعد ولفظ مسلم فيه
قال اصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم غنيمة عظيمة فاذا فيها سيف فاخذته فاتيت به
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت نفلني هذا السيف فانا من قد علمت حاله فقال رده
حيث اخذته فانطلقت حتى اردت ان القيه في القبض لامتني نفسي فرجعت اليه فقلت اعطنيه
قال فشد علي صوته رده من حيث اخذته فانزل الله عز وجل يسالونك عن الانفال وقال
ابن عباس كانت المغانم لرسول الله صلى الله عليه وسلم خاصة ليس لاحد فيها شي وما اصاب
سرايا المسلمين من شي اتوه به فمن حبس منه ابرة او سلكا فهو غلول واما التفسير فقوله تعالى
يسالونك عن الانفال استفتا يعني يسالك اصحابك يا محمد عن حكم الانفال وعلمها وهو
سوال استفتا لا سوال طلب وقال الضحاك وعكرمة هو سوال طلب وقوله عن الانفال اي من
الانفال وعن بمعنى من وقيل عن صلة اي يسالونك الانفال والانفال هي الغنايم في قول ابن
عباس وعكرمة ومجاهد وقتادة واصله الزيادة سميت الغنايم انفالا لانها زيادة من الله
عز وجل لهذه الامة على الخصوص واكثر المفسرين على انها نزلت في غنايم بدر وقال عطا هي ما شذ
من المشركين الى المسلمين بغير قتال من عبد او امة او متاع فهو للنبي صلى الله عليه وسلم يصنع فيه
ما يشا قل الانفال لله والرسول اي قل لهم يا محمد ان الانفال حكمها لله ورسوله يقسمانها كيف شا
واختلف العلما في حكم هذه الاية فقال مجاهد وعكرمة والسدي هذه الاية منسوخة

نسخها

نسخها الله بقوله واعلموا انما غنمتم من شي فان لله خمسه وللرسول الاية كانت الغنايم لرسول
الله صلى الله عليه وسلم يقسمها كيف شا ولمن شا ثم نسخها الله بالخمس وقال بعضهم هذه الاية
ناسخة من وجه منسوخة من وجه وذلك ان الغنايم كانت حراما على الامم الذين من قبلنا
في شرايع انبيايهم فاباحها الله لهذه الامة بهذه الاية وجعلها ناسخة لشرع من قبلنا ثم
نسخت باية الخمس وقال عبد الرحمن بن زيد انها محكمة وهي احدى الروايات عن ابن عباس
ومعنى الاية على هذا القول قل الانفال لله وللرسول يضعها حيث امره الله وقد بين الله مصارفها
في قوله واعلموا انما غنمتم من شي فان لله خمسه وللرسول الاية وصح من حديث ابن عمر قال بعثنا
رسول الله صلى الله عليه وسلم في سرية فغنمنا ابلا فاصاب كل واحد منا اثني عشر بعيرا ونفلنا
بعيرا بعيرا اخرجاه في الصحيحين فعلى هذا تكون الاية محكمة وللامام ان ينفل من شا من
الجيش ما شا قبل التخميس فاتقوا الله يعني اتقوا الله بطاعته واتقوا المخالفة واتركوا المنازعة
والمخاصمة في الغنايم واصلحوا ذات بينكم اي اصلحوا الحال فيما بينكم بترك المنازعة والمخالفة
وتسليم امر الغنايم الى الله ورسوله واطيعوا الله ورسوله فيما يامرانكم به وينهيانكم عنه
ان كنتم مومنين يعني ان كنتم مصدقين بوعد الله ووعيده قوله تعالى انما المومنون الذين اذا ذكر
الله وجلت قلوبهم لما امر الله تعالى بطاعته وطاعة رسوله في الاية المتقدمة ثم قال بعده
ان كنتم مومنين لان الايمان يستلزم الطاعة بين في هذه الاية صفات المومنين واحوالهم فقال
تعالى انما المومنون ولفظة انما تفيد الحصر والمعنى ليس المومنون الذين يخالفون الله ورسوله
انما المومنون الصادقون في ايمانهم الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم اي خضعت وخافت
ورقت قلوبهم وقيل اذا خوفوا بالله انقادوا خوفا من عقابه وقال اهل الحقايق الخوف
على قسمين خوف عقاب وهو خوف العصاة وخوف الهيبة والعظمة وهو خوف الخواص
لانهم يعلمون عظمة الله عز وجل فيخافونه اشد خوف واما العصاة فيخافون عقابه
فالمومن اذا ذكر الله وجل قلبه وخاف على قدر مرتبته في ذكر الله عز وجل فان قلت انه
تعالى قال في هذه الاية وجلت قلوبهم بمعنى خافت وقال في اية اخرى وتطمين قلوبهم
بذكر الله فكيف الجمع بينهما قلت لا منافاة بين هاتين الحالتين لان الوجل هو خوف العقاب
والاطمينان انما يكون من ثلج اليقين وشرح الصدر بنور المعرفة والتوحيد وهذا مقام الخوف
والرجا وقد جمعا في اية واحدة وهي قوله تعالى تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم
تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله والمعنى انه تقشعر جلودهم من خوف عقاب الله ثم تلين
جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله والمعنى انه تقشعر جلودهم من خوف عقاب الله ثم تلين جلودهم
وقلوبهم عند ذكر رحمته ورجايهم به وهذا حاصل في قلب المومن ثم قال تعالى واذا تليت
عليهم اياته زادتهم ايمانا يعني واذا قري عليهم ايات القران زادتهم تصديقا قال ابن عباس

والمعنى انه كلما جاءهم شي من عند الله امنوا به فيزدادوا بذلك ايمانا وتصديقا لان زيادة الايمان
بزيادة التصديق وذلك على وجهين الوجه الاول وهو الذي عليه عامة اهل العلم على ما حكاه
الواحدي ان كل من كانت الدلايل عنده اكثر واقوى كان ايمانه ازيد لان عند حصول كثرة الدلايل وقوتها
يزول الشك ويقوى اليقين فتكون معرفته بالله اقوى فيزداد ايمانه الوجه الثاني وهو انهم يصدقون بكل
ما يتلى عليهم من عند الله ولما كانت التكاليف متوالية في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم فكلما تجدد
تكليف صدقوا به فيزدادوا بذلك الاقرار تصديقا وايمانا ومن المعلوم ان من صدق انسانا في
شيئين كان اكثر ممن يصدقه في شي واحد فقوله تعالى واذا تليت عليهم اياته زادتهم ايمانا
معناه انه كلما سمعوا اية جديدة اتوا باقرار جديد وتصديق جديد فكان ذلك زيادة في ايمانهم
واختلف الناس في ان الايمان هل يقبل الزيادة والنقص ام لا فالذين قالوا ان الايمان عبارة عن
التصديق القلبي قالوا لا يقبل الزيادة لاجماع اهل اللغة على ان الايمان هو التصديق والاعتقاد
بالقلب وذلك لا يقبل الزيادة ومن قال ان الايمان عبارة عن مجموع امور ثلاثة وهي التصديق
بالقلب والاقرار باللسان والعمل بالجوارح والاركان فقد استدل على ذلك بهذه من وجهين
احدهما ان قوله زادتهم ايمانا صريح في ان الايمان يقبل الزيادة ولو كان عبارة عن التصديق بالقلب
فقط لما قبل الزيادة واذا قبل الزيادة فقد قبل النقص الوجه الثاني انه ذكر في هذه الاية اوصافا
متعددة من احوال المومنين ثم قال تعالى بعد ذلك اوليك هم المومنون حقا وذلك يدل على ان تلك
الاوصاف داخلة في مسمى الايمان وروي عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الايمان بضع
وسبعون شعبة اعلاها شهادة ان لا اله الا الله وادناها اماطة الاذى عن الطريق والحيا
شعبة من الايمان اخرجاه في الصحيحين ففي هذا الحديث دليل على ان الايمان على وادنى واذا كان
كذلك كان قابلا للزيادة والنقص قال عمير بن حبيب وكانت له صحبة ان للايمان زيادة ونقصانا
قيل فما زيادته قال اذا ذكرنا الله وحمدناه فذلك زيادته واذا سهونا وغفلنا فذلك نقصانه
وكتب عمر بن عبد العزيز الى عدي بن عدي ان للايمان فرايض وشرايط وشرايع وحدودا وسننا فمن استكملها
فقد استكمل الايمان ومن لم يستكملها لم يستكمل الايمان وقوله تعالى **وعلى ربهم يتوكلون** معناه يفوضون
جميع امورهم اليه ولا يرجون غيره ولا يخافون سواه واعلم ان المومن اذا كان واثقا بوعد الله ووعيده
كان من المتوكلين عليه لا على غيره وهي درجة عالية ومرتبة شريفة لان الانسان يصير بحيث لا يبقى له
اعتماد في شي من اموره الا على الله عز وجل واعلم ان هذه المراتب الثلاث اعني الوجل عند ذكر الله
وزيادة الايمان عند تلاوة القران والتوكل على الله من اعمال القلوب فلما ذكر الله تعالى هذه الصفات
الثلاث اتبعها بصفتين من اعمال الجوارح فقال تعالى **الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون**
يعني يقيمون الصلاة المفروضة بحدودها واركانها في اوقاتها وينفقون اموالهم فيما امرهم الله
من الانفاق فيه ويدخل فيه النفقة في الزكاة وفي الحج والجهاد وغير ذلك من الانفاق في انواع البر

والقربات

والقربات ثم قال تعالى **اوليك** يعني من هذه صفته **هم المومنون حقا** يعني يقينا لا شك في ايمانهم قال
ابن عباس برئوا من الكفر وقال قتادة استحقوا الايمان واحقه الله لهم وفيه دليل على انه لا يجوز ان يصف
احد نفسه بكونه مومنا حقا لان الله انما وصف بذلك اقواما مخصوصين على اوصاف مخصوصة
وعلى كل احد لا يتحقق وجود تلك الاوصاف فيه وهذا يتعلق بمسيلة اصولية وهي ان العلما اتفقوا
على انه يجوز للرجل ان يقول انا مومن واختلفوا في انه هل يجوز له ان يقول انا مومن حقا ام لا فقال
اصحاب ابي حنيفة الاولى ان يقول انا مومن حقا ولا يقول انا مومن ان شا الله واستدلوا على صحة هذا
القول بوجوه الاول ان المتحرك لا يجوز ان يقول انا متحرك ان شا الله وكذا القول في القايم والقاعد
فكذلك هذه المسيلة يجب فيها ان يكون المومن مومنا حقا ولا يجوز ان يقول انا مومن ان شا الله
الوجه الثاني انه تعالى قال اوليك هم المومنون حقا فقد حكم لهم بكونهم مومنين حقا وفي
قوله انا مومن ان شا الله تشكيك فيما قطع الله لهم به وذلك لا يجوز وقال اصحاب الشافعي الاولى ان يقول
الرجل انا مومن ان شا الله واحتجوا لصحة هذا القول بوجوه الاول ان الايمان عندهم عبارة عن الاعتقاد
والاقرار والعمل وكون الانسان اتيا بالاعمال الصالحة المقبولة امر مشكوك فيه والشك في احد اجزا
الماهية يوجب الشك في الماهية فيجب ان يقول انا مومن ان شا الله وان كان اعتقاده واقراره صحيحا
وعند اصحاب ابي حنيفة ان الايمان عبارة عن الاعتقاد فيخرج العمل عن مسمى الايمان فلم يلزم حصول
الشك الوجه الثاني ان قولنا انا مومن ان شا الله ليس هو على سبيل الشك ولكن اذا قال الرجل انا مومن
فقد مدح نفسه باعظم المدايح فربما حصل له بذلك العجب فاذا قال ان شا الله ذلك زال
العجب وحصل له الانكسار وروي ان ابا حنيفة قال لقتادة لم تستثني في ايمانك فقال قتادة
اتباعا لابراهيم عليه السلام في قوله والذي اطمع ان يغفر لي خطيئتي يوم الدين فقال ابو حنيفة
هلا اقتديت به في قوله اولم تومن قال بلى فانقطع قتادة قال بعضهم كان لقتادة ان يقول ان ابراهيم
قال بعد قوله بلى ولكن ليطمين قلبي فطلب مزيد الطمانينة الوجه الثالث ان الله تعالى ذكر في اول
الاية انما المومنون ولفظة انما تفيد الحصر يعني انما المومنون الذين هم كذا وكذا وذكر بعد ذلك اوصافا
خمسة وهي الخوف من الله والاخلاص لله والتوكل على الله والاتيان بالصلاة كما امر الله وايتا الزكاة
كذلك ثم بعد ذلك قال اوليك هم المومنون حقا يعني ان من اتى بمجموع هذه الاوصاف كان مومنا
حقا ولا يمكن ان يقطع بحصول هذه الصفات له فكان الاولى له ان يقول انا مومن ان شا الله قال
ابن ابي نجيح سال رجل الحسن فقال امومن انت فقال الحسن ان كنت سالتني عن الايمان بالله وملايكته
وكتبه ورسله واليوم الاخر والجنة والنار والبعث والحساب فانا بها مومن وان كنت سالتني عن قوله
انما المومنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم الاية فلا ادري انا منهم ام لا قال علقمة كنا في سفر
فلقينا قوما فقلنا من القوم فقالوا نحن المومنون حقا فلم ندر ما نجيبهم حتى لقينا عبد الله بن
مسعود فاخبرناه بما قالوا قال فما رددتم عليهم قلنا لم نرد عليهم شيا قال هلا قلتم اهم من اهل الجنة

انتم ان المومنين هم اهل الجنة وقال سفيان الثوري من زعم انه مومن حقا عند الله ثم لم
يشهد انه في الجنة فقد امن بنصف الاية دون النصف الاخر الوجه الرابع ان قولنا انا مومن ان
شا الله للتبرك لا للشك فهو كقوله صلى الله عليه وسلم وانا ان شا الله بكم لاحقون مع العلم القطع
انه لاحق باهل القبور الوجه الخامس ان المومن لا يكون مومنا حقا الا اذا ختم له بالايمان ومات
عليه وهذا لا يحصل الا عند الموت فلهذا السبب حسن ان يقال انا مومن ان شا الله فالمراد من
هذا الاستثنا الخاتمة واجاب اصحاب هذا القول وهم اصحاب الشافعي عن استدلال اصحاب
ابي حنيفة بقولهم ان المتحرك لا يجوز ان يقول انا متحرك ان شا الله ان الفرق بين وصف الانسان
بكونه مومنا وبين وصفه بكونه متحركا ان الايمان يتوقف حاله على الخاتمة والحركة فعل يقيني فحصل
الفرق بينهما والجواب عن الوجه الثاني وهو قوله انه تعالى قال اولئك هم المومنون حقا فقد حكم
لهم بكونهم مومنين حقا انه تعالى حكم للموصوفين بتلك الصفات المذكورة في الاية بكونهم مومنين
حقا اذا اتوا بتلك الاوصاف الخمسة وهذا لا يقدر عليه احد انه ياتي بتلك الاوصاف على الحقيقة
ونحن نقول ايضا ان من اتى بتلك الاوصاف على الحقيقة كان مومنا حقا ولكن لا يقدر على ذلك احد
والله اعلم وقوله تعالى لهم درجات عند ربهم يعني لهم مراتب بعضها اعلى من بعض لان المومنين تتفاوت
احوالهم في الاخذ بتلك الاوصاف المذكورة فلهذا تفاوتت مراتبهم في الجنة لان درجات الجنة على
قدر الاعمال قال عطا درجات الجنة يرتقوا فوقها باعمالهم وقال الربيع بن انس سبعون درجة
ما بين كل درجتين حضر الفرس المضمر سبعون سنة وعن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان في الجنة مائة درجة ما بين كل درجتين مائة عام اخرجه الترمذي وله عن ابي سعيد ان النبي
صلى الله عليه وسلم قال ان في الجنة مائة درجة لو ان العالمين اجتمعوا في احداهن لوسعتهم ومغفرة
يعني ولهم مغفرة لذنوبهم ورزق كريم يعني اعد لهم في الجنة وصفه بكونه كريما لانه منافع حاصلة
لهم دائمة عليهم مقرونة بالاكرام والتعظيم قوله تعالى كما اخرجك ربك من بيتك بالحق اختلفوا
في الجالب لهذه الكاف ما هو فقال المبرد تقديره قل الانفال لله والرسول وان كرهوا كما اخرجك
ربك من بيتك بالحق وان كرهوا وقيل معناه امض لامر ربك في الانفال وان كرهوا كما مضيت لامر
ربك في الخروج من البيت لطلب العير وهم كارهون وقيل معناه فاتقوا الله واصلحوا ذات بينكم
فان ذلك خير لكم كما ان اخراج محمد صلى الله عليه وسلم من بيته بالحق هو خير لكم وان كرهه فريق منكم
وقيل هو راجع الى قوله لهم درجات عند ربهم تقديره وعد الله المومنين بالدرجات حق حتى ينجزه
الله تعالى كما اخرجك ربك من بيتك بالحق وانجز الوعد بالنصر والظفر وقيل هي متعلقة بما بعدها
تقديره كما اخرجك ربك من بيتك بالحق على كره فريق منهم كذلك يكرهون القتال ويجادلونك فيه
وقيل الكاف بمعنى على اي امض على الذي اخرجك ربك من بيتك فانه حق وقيل الكاف بمعنى القسم
تقديره والذي اخرجك من بيتك بالحق وجوابه يجادلونك في الحق وقيل الكاف بمعنى اذ تقديره واذكر

يا محمد

يا محمد اذ اخرجك ربك من بيتك بالحق وقيل المراد بهذا الاخراج اخراجه من مكة الى المدينة
للهجرة وقال جمهور المفسرين المراد بهذا الاخراج هو خروجه من المدينة الى بدر ومعناه كما امرك
ربك بالخروج من بيتك بالمدينة بالحق يعني بالوحي لطلب المشركين وان فريقا من المومنين لكارهون
يعني للقتال وانما كرهوه لقلة عددهم وقلة سلاحهم وكثرة عدوهم وكثرة سلاحهم يجادلونك
في الحق وذلك ان المومنين لما ايقنوا بالقتال كرهوا ذلك وقالوا لو علمنا انا نلقى العدو فنستعد
لقتالهم وانما خرجنا لطلب العير فذلك جدالهم بعد ما تبين لهم يعني تبين لهم انك لا تصنع شيئا
الا بامر ربك وتبين لهم صدقك في الوعد كانما يساقون الى الموت يعني لشدة كراهتهم القتال وهم
ينظرون يعني الى الموت شبه حالهم في فرط فزعهم بحال من يجر الى القتل ويساق الى الموت وهو ينظر اليه
ويعلم انه اتيه قوله عز وجل واذ يعدكم الله احدى الطائفتين يعني الفرقتين فرقة ابي سفيان مع
العير وفرقة ابي جهل مع النفير انها لكم يعني احدى الفرقتين لكم قال ابن عباس وعروة بن الزبير
ومحمد بن اسحاق والسدي اقبل ابو سفيان بن حرب من الشام في عير قريش في اربعين راكبا من كبار
قريش منهم عمرو بن العاص ومخرمة بن نوفل الزهري ومعهم تجارة كثيرة وهي اللطيمة يريد اللطيمة
الجمال التي تحمل العطر والبز غير الميرة حتى اذا كانوا قريبا من بدر بلغ النبي صلى الله عليه وسلم خبرهم
فندب اصحابه اليهم واخبرهم بكثرة المال وقلة العدو وقال هذه عير قريش فيها اموالهم فاخرجوا
اليها لعل الله ان ينفلكموها فانتدب الناس فخف بعضهم وثقل بعضهم وذلك انهم لم يظنوا ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم يلقى حربا فلما سمع ابو سفيان بمسير رسول الله صلى الله عليه وسلم اليه
استاجر ضمضم بن عمرو الغفاري فبعثه الى مكة وامره ان ياتي قريشا يستنفرهم ويخبرهم ان
محمدا واصحابه قد عرضوا لعيرهم فخرج ضمضم سريعا الى مكة وكانت عاتكة بنت عبد المطلب
قد رات رويا قبل قدوم ضمضم مكة بثلاث ليال افزعتها فبعثت الى اخيها العباس بن عبد
المطلب فقالت يا اخي والله لقد رايت الليلة رويا افظعتني وخشيت ان يدخل على قومك
منها شر ومصيبة فقال لها وما رايت قالت رايت راكبا اقبل على بعير له حتى وقف بالابطح ثم
صرخ باعلا صوته الا انفروا يا ال غدر لمصارعكم في ثلاث فارى الناس قد اجتمعوا اليه ثم دخل
المسجد يتبعونه فبينما هم حوله اذ مثل به بعيره على ظهر الكعبة فصرخ مثلها باعلا صوته
الا فانفروا يا ال غدر الى مصارعكم في ثلاث ثم مثل به بعيره على راس ابي قبيس فصرخ مثلها
ثم اخذ صخرة فارسلها فاقبلت تهوي حتى اذا كانت باسفل الجبل ارفضت فما بقي بيت
من بيوت مكة ولا دار من دورها الا ودخل منها فلقة فقال العباس والله ان هذه لرويا
فاكتميها ولا تذكريها لاحد ثم خرج العباس فلقي الوليد بن عتبة وكان صديقا للعباس فذكر
رويا عاتكة له واستكتمه اياها فذكرها الوليد لابيه عتبة ففشى الحديث حتى تحدثت به
قريش بمكة قال العباس فغدوت اطوف بالبيت وابو جهل بن هشام في نفر من قريش يتحدثون برويا

عاتكة فغدوت اطوف فلما راني ابو جهل قال يا ابا الفضل اذا فرغت من طوافك اقبل الينا
قال العباس فلما فرغت من طوافي اقبلت اليهم حتى جلست معهم فقال ابو جهل يا بني عبد المطلب
متى حدثت هذه النبية فيكم قلت وما ذاك قال الرويا التي رايتها عاتكة قلت وما رات قال
يا بني عبد المطلب اما رضيتم ان يتنبا رجالكم حتى تتنبا نساوكم لقد زعمت عاتكة في روياها
انه قال انفروا في ثلاث فسنتربص بكم هذه الثلاث فان يك ما قالت حقا فسيكون وان
تمض الثلاث ولم يكن من ذلك شي نكتب عليكم كتابا بانكم اكذب اهل بيت في العرب قال
العباس فوالله ما كان مني اليه من كبير شي الا اني جحدت ذلك وانكرت ان تكون عاتكة رات شيا
ثم تفرقنا فلما امسيت لم تبق امراة من بني عبد المطلب الا اتتني فقلن اقررتم لهذا الفاسق
الخبيث ان يقع في رجالكم حتى تنا ول النسا وانت تسمع ولم يكن عندك غيرة لشي مما سمعت فاني قلت
قد والله فعلت ما كان مني اليه من شي وايم الله لاتعرضن له فان عاد لاكفينه قال فغدوت في اليوم الثالث
من رويا عاتكة وانا حديد مغضب ارى اني قد فاتني شي احب ان ادركه منه قال فدخلت المسجد فرايته
فوالله اني لامشي نحوه اتعرضه ليعود لبعض ما قال فاقع به وكان ابو جهل رجلا خفيفا حديد الوجه
حديد اللسان حديد النظر اذ خرج نحو باب المسجد يشتد قال العباس فقلت في نفسي ما له لعنه
الله اكل هذا فرقا مني ان اشاتمه قال واذا هو قد سمع ما لم اسمع سمع صوت ضمضم بن عمرو وهو
يصرخ ببطن الوادي واقفا على بعيره وقد جدع بعيره وحول رحله وشق قميصه وهو يقول
يا معشر قريش اللطيمة اللطيمة هذه اموالكم مع ابي سفيان وقد عرض لها محمد في اصحابه ولا
ارى ان تدركوها الغوث الغوث قال فشغلني عنه وشغله عني ما جا من الامر قال فتجهز الناس سراعا
ولم يتخلف من اشراف قريش احد الا ان ابا لهب قد تخلف وبعث مكانه العاص بن هشام بن المغيرة
فلما اجتمعت قريش للمسير ذكرت الذي بينها وبين بكر بن عبد مناف بن كنانة من الحرب فقالوا
نخشى ان ياتونا من خلفنا فكاد ذلك ان يثنيهم فتبدا لهم ابليس في صورة سراقة بن مالك
ابن جعشم وكان من اشراف بني بكر فقال انا جار لكم من ان تاتيكم كنانة من خلفكم بشي تكرهونه
فخرجت قريش سراعا وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في اصحابه لليال مضت من شهر
رمضان حتى بلغ واديا يقال له ذفران فاتاه الخبر عن مسير قريش ليمنعوا عن عيرهم فسار رسول
الله صلى الله عليه وسلم حتى اذا كان بالروحا اخذ عينا للقوم فاخبره بخبرهم وبعث رسول الله
صلى الله عليه وسلم عينا من جهينة حليفا للانصار يدعا اريقط فاتاه بخبر القوم وسبقت
العير رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزل جبريل عليه السلام وقال ان الله وعدكم احدى
الطايفتين انها لكم اما العير واما قريش وكانت العير احب اليهم فاستشار رسول
الله صلى الله عليه وسلم اصحابه في طلب العير وحرب النفير فقام ابو بكر فقال واحسن وقام
عمر فقال واحسن ثم قام المقداد بن عمرو فقال يا رسول الله امض لما امرك الله فنحن معك والله

ما نقول

ما نقول كما قالت بنوا اسرايل لموسى اذهب انت وربك فقاتلا انا هاهنا قاعدون ولكن
نقول اذهب انت وربك فقاتلا انا معكما مقاتلون فوالذي بعثك بالحق لو سرت بنا
الى برك الغماد يعني مدينة الحبشة لجالدنا معك من دونه حتى تبلغه فقال له رسول الله
له خيرا ودعا له بخير ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اشيروا علي ايها الناس وانما
يريد الانصار وذلك انهم عدد الناس وانهم حين بايعوه بالعقبة قالوا يا رسول الله انا
برا من ذمامك حتى تصل الى دارنا فاذا وصلت الينا فانت في ذمامنا نمنعك مما نمنع
منه ابناانا ونساانا فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتخوف ان لا تكون الانصار ترى
عليها نصرته الا من دهمه بالمدينة من عدوه وان ليس عليهم ان يسيروا معه الى عدوه من
بلادهم فلما قال ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له سعد بن معاذ والله لكانك
تريدنا يا رسول الله قال اجل قال فقد امنا بك وصدقناك وشهدنا ان ما جيت به هو الحق واعطيناك
على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة فامض يا رسول الله لما اردت فوالذي
بعثك لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ما يتخلف منا احد وما نكره
ان تلقى بنا عدونا وعدوك انا لصبر عند الحرب صدق في اللقا ولعل الله عز وجل ان يريك
منا ما تقر به عينك فسر بنا على بركة الله فسر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقول سعد
ونشطه ذلك فقال سيروا على بركة الله وابشروا فان الله عز وجل قد وعدني احدى
الطايفتين والله لكاني انظر الى مصارع القوم م عن انس بن مالك ان عمر بن الخطاب حدثه
عن اهل بدر قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يرينا مصارع اهل بدر بالامس يقول
هذا مصرع فلان غدا ان شا الله تعالى وهذا مصرع فلان غدا ان شا الله تعالى قال عمر فوالذي
بعثه بالحق ما اخطاوا الحدود التي حدها رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فجعلوا
في بير بعضهم على بعض فانطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى انتهى اليهم فقال يا فلان
ابن فلان ويا فلان بن فلان هل وجدتم ما وعدكم الله ورسوله حقا فاني قد وجدت ما وعدني
الله حقا فقال عمر يا رسول الله كيف تكلم اجسادا لا ارواح فيها فقال ما انتم باسمع لما
اقول منهم غير انهم لا يستطيعون ان يردوا علي شيا فذلك قوله تعالى واذ يعدكم الله
احدى الطايفتين يعني طايفة ابي سفيان مع العير وطايفة ابي جهل مع النفير وتودون
اي تريدون وتتمنون ان غير ذات الشوكة تكون لكم والمعنى وتتمنون ان العير التي ليس فيها
قتال ولا شوكة تكون لكم والشوكة الشدة والقوة ويقال السلاح ويريد الله ان يحق الحق
اي يظهر الحق ويعليه بكلماته يعني بامره اياكم بالقتال وقيل بعداته التي سبقت لكم من اظهار
الدين واعزازه ويقطع دابر الكافرين اي ويستاصلهم حتى لا يبقى منهم احد ليحق الحق يعني ليثبت
الاسلام ويبطل الباطل يعني ويفني الكفر ولو كره المجرمون يعني المشركين وفي الاية سوالان

وهو انه قوله يريد الله ان يحق الحق ثم قال بعده ليحق الحق وهذا تكرير فما معناه والجواب
انه ليس فيه تكرير لان المراد بالاول تثبيت ما وعد في هذه الواقعة من النصر والظفر بالاعدا
والمراد بالثاني نصرة القران والدين واظهار هذه الشريعة لان الذي وقع يوم بدر من نصر المومنين
مع قلتهم وقهر الكافرين مع كثرتهم كان سببا لاعزاز الدين وقوته ولهذا السبب قرنه بقوله
ويبطل الباطل يعني الذي هو الشرك السوال الثاني الحق حق لذاته والباطل باطل لذاته فما المراد
من تحقيق الحق وابطال الباطل والجواب ان المراد من تحقيق الحق كون ذلك الحق حقا والمراد من ابطال
الباطل اظهار كون ذلك الباطل باطلا وذلك باظهار دلايل الحق وتقويته وقمع رؤسا الباطل
وقهرهم قوله عز وجل اذ تستغيثون ربكم اي واذكر يا محمد اذ تستجيرون ربكم من عدوكم
وتطلبون منه الغوث والنصر وفي المستغيثين قولان احدهما انه رسول الله صلى الله عليه وسلم
وحده وانما ذكره بلفظ الجمع على سبيل التعظيم له م عن ابن عباس قال حدثني عمر بن الخطاب
قال لما كان يوم بدر نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المشركين وهم الف واصحابه ثلاثمائة
وبضعة عشر رجلا فاستقبل نبي الله صلى الله عليه وسلم القبلة ثم مد يده فجعل يهتف بربه
يقول اللهم انجز لي ما وعدتني اللهم اتني ما وعدتني اللهم ان تهلك هذه العصابة من اهل
الاسلام لا تعبد في الارض فما زال يهتف بربه مادا يديه حتى سقط رداوه عن منكبيه فاتاه
ابو بكر فاخذ رداه فالقاه على منكبيه ثم التزمه من وراية وقال يا نبي الله كفاك مناشدتك
ربك فانه سينجز لك ما وعدك فانزل الله عز وجل اذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم اني ممدكم
بالف من الملايكة مردفين فامده الله بالملايكة قال سماك فحدثني ابن عباس قال بينما رجل من المسلمين
يوميذ يشتد في اثر رجل من المشركين امامه اذ سمع ضربة بالسوط فوقه وصوت الفارس يقول اقدم
حيزوم اذ نظر الى المشرك امامه خر مستلقيا فنظر اليه فاذا قد حطم انفه وشق وجهه كضربة السوط
فاخضر ذلك اجمع فجا الانصاري فحدث بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم قال صدقت ذلك من مدد
السما الثالثة فقتلوا يوميذ سبعين واسروا سبعين وقوله تعالى فاستجاب لكم يعني فاجاب دعاكم
اني ممدكم اصله باني ممدكم اي مرسل اليكم مددا وردا لكم بالف من الملايكة مردفين يعني يردف بعضهم
بعضا بمعنى يتبع بعضهم بعضا روي انه نزل جبريل عليه السلام في خمسماية وميكايل عليه السلام
في خمسماية في صور الرجال على خيل بلق عليهم ثياب بيض وعمايم بيض قد ارخوها بين اكتافهم
وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم لما ناشد ربه وقال ابو بكر ان الله منجز لك ما وعدك خفق رسول
الله صلى الله عليه وسلم خفقة وهو في العريش ثم انتبه فقال يا ابا بكر اتاك نصر الله هذا جبريل
اخذ بعنان فرسه يقوده على ثناياه النقع خ عن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال يوم بدر
هذا جبريل اخذ براس فرسه عليه اداة الحرب يعني آلة الحرب قال ابن عباس كان سيما الملايكة
يوم بدر عمايم بيض ويوم حنين عمايم خضر ولم تقاتل الملايكة في يوم سوى يوم بدر من الايام

وكانوا

وكانوا يكونون فيما سواه عددا ومددا وروي عن ابي اسيد مالك بن ربيعة وكان قد شهد بدرا
انه قال بعدما ذهب بصره لو كنت معكم اليوم ببدر ومعي بصري لاريتكم الشعب الذي خرجت منه
الملايكة وقد تقدم الكلام في سورة ال عمران هل قاتلت الملايكة ام لا والصحيح انهم قاتلوا يوم بدر
لما تقدم من حديث ابن عباس في الذي ضربه بالسوط فحطم انفه وشق وجهه وكانوا فيما سوى
يوم بدر مددا وعونا وقيل انهم لم يقاتلوا وانما نزلوا ليكثروا سواد المسلمين ويثبتوهم ويدل
عليه قوله تعالى وما جعله الله الا بشرى يعني وما جعل الله الارداف بالملايكة الا بشرى ولتطمين
قلوبكم وهذا يحقق انهم انما نزلوا لذلك لا للقتال والصحيح هو الاول وانهم قاتلوا يوم بدر ولم يقاتلوا
فيما سواه من الايام وقوله وما النصر الا من عند الله يعني ان الله هو ينصركم ايها المومنون فثقوا بنصره
ولا تتكلوا على قوتكم وشدة باسكم وفيه تنبيه على ان الواجب على العبد المسلم ان لا يتوكل الا
على الله تعالى في جميع احواله ولا يثق بغيره فان الله تعالى بيده النصر والاعانة ان الله عزيز يعني
انه تعالى قوي منيع لا يقهره شي ولا يغلبه غالب بل هو يقهر كل شي ويغلبه حكيم يعني في تدبيره
ونصره ينصر من يشا ويخذل من يشا من عباده قوله تعالى اذ يغشاكم النعاس امنة منه اي واذكروا
اذ يلقي عليكم النعاس وهو النوم الخفيف امنة منه اي امانا من الله لكم من عدوكم ان يغلبكم قال عبد الله
ابن مسعود النعاس في القتال امنة من الله وفي الصلاة من الشيطان والفايدة في كون النعاس امنة
في القتال ان الخايف على نفسه لا ياخذه النوم فصار حصول النوم وقت الخوف الشديد دليلا
على الامن وازالة الخوف وقيل انهم لما خافوا على انفسهم لكثرة عدوهم وعددهم وقلة المسلمين
وقلة عددهم وعددهم وعطشوا عطشا شديدا القى عليهم النوم حتى حصلت لهم الراحة وزال
عنهم الكلال والعطش وتمكنوا من قتال عدوهم وكان ذلك النوم نعمة في حقهم لانه كان خفيفا بحيث
لو قصدهم العدو لعرفوا وصوله اليهم وقدروا على دفعه عنهم وقيل في كون هذا النوم كان امنة
من الله انه وقع عليهم النعاس دفعة واحدة فناموا كلهم مع كثرتهم وحصول النعاس لهذا
الجمع العظيم مع وجود الخوف الشديد امر خارج عن العادة فلهذا السبب قيل ان ذلك
النعاس كان في حكم المعجزة لانه امر خارق للعادة وقوله تعالى وينزل عليكم من السما ما
يعني المطر ليطهركم به وذلك ان المسلمين نزلوا يوم بدر على كثيب رمل اعفر تسوخ فيه الاقدام
وحوافر الدواب وكان المشركون قد سبقوهم الى ما بدر فنزلوا عليه واصبح المسلمون على
غير ما وبعضهم محدث وبعضهم جنب واصابهم العطش فوسوس اليهم الشيطان وقال
تزعمون انكم على الحق وفيكم نبي الله وانتم اوليا الله وقد غلبكم المشركون على الما وانتم تصلون
محدثين ومجنبين فكيف ترجوا ان تظهروا على عدوكم فانزل الله مطرا سال منه الوادي فشرب
منه المومنون واغتسلوا وتوضوا وسقوا الركاب وملوا الاسقية واطفا الغبار ولبد
الارض حتى ثبتت عليها الاقدام وزالت عنهم وسوسة الشيطان وطابت نفسهم

وعظمت النعمة من الله عليهم بذلك وكان دليلا على حصول النصر والظفر فذلك قوله تعالى
وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به يعني من الاحداث والجنابة ويذهب عنكم رجز
الشيطان يعني وسوسته التي القاها في قلوبكم وليربط على قلوبكم يعني بالصبر واليقين
والربط في اللغة الشد وكل من صبر على امر فقد ربط عليه قال الواحدي ويشبه ان يكون لفظة
على صلة والمعنى وليربط قلوبكم بالصبر وما اوقع فيها من اليقين وقيل ان لفظة على ليس بصلة لانها
تفيد الاستعلاء فيكون المعنى ان القلوب امتلات من ذلك الربط حتى كانه علا عليها وارتفع
فوقها ويثبت به الاقدام يعني ان ذلك المطر لبد الارض وقوى الرمل حتى تثبت عليه الاقدام
وحوافر الدواب وقيل المراد به تثبيت الاقدام بالصبر وقوة القلب لان من يكون ضعيف
القلب لا يثبت قدمه بل يفر ويهرب عند اللقاء وقوله تعالى اذ يوحي ربك الى الملائكة اني معكم
يعني ان الله تعالى اوحى الى الملائكة الذين امد بهم النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه اني معكم
بالنصر والمعونة فثبتوا الذين امنوا اي قووا قلوبهم واختلفوا في كيفية هذه التقوية والتثبيت
فقيل كما ان للشيطان قوة في القاء الوسوسة في قلب ابن ادم فكذلك للملك قوة في القاء الالهام
في قلب ابن ادم بالخير ويسمى ما يلقي الشيطان وسوسة وما يلقي الملك لمة والهاما فهذا هو
التثبيت وقيل ان ذلك التثبيت هو حضورهم معهم القتال ومعونتهم لهم اي ثبتوهم
بقتالكم معهم للمشركين وقيل معناه بشروهم بالنصر والظفر فكان الملك يمشي في صورة رجل
امام الصف ويقول ابشروا فان الله ناصركم عليهم سالقي في قلوب الذين كفروا الرعب يعني
الخوف وكان ذلك نعمة من الله على المومنين حيث القى الرعب والخوف في قلوب الكافرين
فاضربوا فوق الاعناق قيل هو خطاب مع المومنين فيكون منقطعا عما قبله وقيل هو خطاب
مع الملائكة فيكون متصلا بما قبله قال ابن الانباري ما كانت الملائكة تعرف تقاتل بني ادم
فعلمهم الله ذلك بقوله فاضربوا فوق الاعناق وقال عكرمة يعني الراس لانها فوق الاعناق وقال
الضحاك فاضربوا الاعناق وفوق صلة وقيل معناه فاضربوا على الاعناق فتكون فوق بمعنى
على واضربوا منهم كل بنان يعني كل مفصل وقال ابن عباس يعني الاطراف وهي جمع بنانة وهي اطراف
اصابع اليدين فسميت بذلك لان بها اصلاح الاحوال التي يمكن الانسان ان يبينها بما يريد ان
يعمل بيديه وانما خصت بالذكر من دون سائر الاطراف لاجل ان الانسان بها يقاتل وبها
يمسك السلاح في الحرب وقيل انه تعالى امرهم بضرب اعلا الجسد وهو الرؤس وهو اشرف
الاعضاء وبضرب البنان وهو اضعف الاعضاء فيدخل في ذلك كل عضو في الجسد وقيل
امرهم بضرب الراس وفيه هلاك الانسان وبضرب البنان وفيه تعطيل حركة الانسان عن
الحرب لان بالبنان يتمكن من مسك السلاح وحمله والضرب به فاذا قطع بنانه تعطل
عن ذلك كله روي عن ابي داود المازني وكان شهد بدرا قال اني لاتبع رجلا من المشركين من

المشركين

المشركين لاضربه اذ وقع راسه قبل ان يصل اليه سيفي فعرفت انه قد قتله غيري وعن سهل
ابن حنيف قال لقد رايتنا يوم بدر وان احدنا ليشير بسيفه الى المشرك فيقع راسه عن جسده
قبل ان يصل اليه السيف روى عكرمة عن ابي رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كنت
غلاما للعباس بن عبد المطلب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان الاسلام قد دخل علينا
اهل البيت فاسلمت ام الفضل واسلمت وكان العباس يهاب قومه ويكره خلافهم وكان يكتم
اسلامه وكان ذا مال كثير متفرق في قومه وكان عدو الله ابو لهب قد تخلف عن بدر وبعث مكانه
العاص بن هشام بن المغيرة فلما جا الخبر عن مقتل اصحاب بدر كبته الله واخزاه ووجدنا
في انفسنا قوة وعزا قال ابو رافع وكنت رجلا ضعيفا وكنت اعمل القداح وانحتها في
حجرة زمزم فوالله اني لجالس انحت القداح وعندي ام الفضل جالسة اذ اقبل الفاسق ابو لهب
يجر رجليه حتى جلس على طنب الحجرة فكان ظهره الى ظهري فبينما هو جالس اذ قال الناس هذا ابو سفيان
الحارث بن عبد المطلب قد قدم فقال ابو لهب لي يا ابن اخي فعندك الخبر اليقين فجلس اليه والناس
قيام عليه فقال ابو لهب يا ابن اخي اخبرني كيف كانت احوال الناس قال لا شي والله ان كان
الا ان لقيناهم فمنحناهم اكتافنا يقتلوننا ويأسروننا كيف شاوا وايم الله قالت الناس لقينا
رجالا بيضا على خيل بلق بين السما والارض والله ما تليق شيا ولا يقوم لها شي قال ابو رافع
فرفعت طرف الحجرة بيدي وقلت تلك والله الملائكة فرفع ابو لهب يده فضرب وجهي ضربة شديدة
فثاورته فاحتملني فضرب بي الارض ثم برك على صدري وكنت رجلا ضعيفا فقامت اليه ام الفضل
بعمود من عمد الحجرة فضربته به ضربة فلقت راسه شجة منكرة وقالت تستضعفه ان غاب عنه
سيده فقام موليا ذليلا والله ما عاش الا سبع ليال حتى رماه الله بالعدسة فقتلته وروى
مقسم عن ابن عباس قال كان الذي اسر العباس ابو اليسر كعب بن عمرو اخو بني سلمة وكان ابو اليسر
رجلا مجموعا وكان العباس رجلا جسيما فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابي اليسر كيف اسرت العباس
قال يا رسول الله لقد اعانني عليه رجل ما رايته قبل ذلك ولا بعده هيئته كذا وكذا فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم لقد اعانك عليه ملك كريم وكانت وقعة بدر في صبيحة يوم الجمعة السابع
عشر من رمضان في السنة الثانية من الهجرة النبوية وقوله تعالى ذلك يعني الذي وقع من القتل والاسر
يوم بدر بانهم شاقوا الله ورسوله يعني بانهم خالفوا الله ورسوله والمشاقة المخالفة واصلها
المجانبة كانهم صاروا في شق وجانب عن شق المومنين وجانبهم وهذا مجاز معناه انهم شاقوا اوليا الله
وهم المومنون وشاقوا دين الله ثم قال تعالى ومن يشاقق الله ورسوله فان الله شديد العقاب
يعني ان الذي نزل بهم في ذلك اليوم من القتل والاسر شي قليل فيما اعد الله لهم من العقاب يوم القيمة
ثم قال تعالى ذلكم اشارة الى القتل والاسر الذي نزل بهم فذوقوه يعني عاجلا في الدنيا لان ذلك
يسير بالاضافة الى المؤجل الذي اعد الله لهم في الاخرة من العذاب وهو قوله وان للكافرين عذاب النار

يعني في الآخرة عن ابن عباس قال لما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من بدر قيل له عليك
العير ليس دونها شيء قال فناداه العباس من وثاقه لا يصلح لك لان الله وعدك احدى
الطائفتين وقد اعطاك ما وعدك قال صدقت اخرجه الترمذي وقال حديث حسن
قوله عز وجل **يا ايها الذين امنوا اذا لقيتم الذين كفروا زحفا** يعني مجتمعين متزاحفين
بعضكم الى بعض والتزاحف التداني في القتال واصل الزحف مشي مع جر الرجل كانبعاث
الصبي قبل ان يمشي وسمي مشي الطائفتين بعضهم الى بعض في القتال زحفا لانه تمشي كل
طائفة الى صاحبتها مشيا رويدا وذلك قبل التداني للقتال وقال ثعلب الزحف المشي قليلا
قليلا الى الشيء **فلا تولوهم الادبار** يعني فلا تولوهم ظهوركم منهزمين منهم فان المنهزم
يولي ظهره ودبره **ومن يولهم يومئذ دبره** يعني ومن ينهزم دبره يوم الحرب والقتال **الا
متحرفا لقتال** يعني الا منعطفا الى القتال يوري عدوه من نفسه الانهزام وقصده طلب الكرة
على العدو والعود اليه وهو احد ابواب الحرب وخدعها ومكايدها **او متحيزا الى فئة** يعني
او منضما او صائرا الى جماعة من المومنين يريدون العود الى القتال **فقد باء بغضب من الله** يعني
من انهزم من المسلمين وقت الحرب الا في هاتين الحالتين وهي التحرف للقتال والتحيز الى فئة من
المسلمين فقد رجع بغضب من الله **وماواه جهنم وبئس المصير** فصل في حكم هذه الاية
اختلف العلماء في ذلك فقال ابو سعيد الخدري هذا في اهل بدر خاصة لانه ما كان يجوز لهم
الانهزام يوم بدر لان النبي صلى الله عليه وسلم كان معهم ولم يكن لهم فئة يتحيزون اليها دون النبي
صلى الله عليه وسلم ولو انحازوا انحازوا الى المشركين ولانه اول غزاة غزاها رسول الله صلى الله
عليه وسلم بنفسه والمسلمون معه فشدد الله عليهم امر الانهزام وحرمه عليهم يوم بدر
فاما بعد ذلك اليوم فان المسلمين بعضهم فئة بعض فيكون الفار متحيزا الى فئة فلا يكون
فراره كبيرة وهذا قول الحسن وقتادة والضحاك قال يزيد بن ابي حبيب اوجب الله النار
لمن فر يوم بدر فلما كان يوم احد قال تعالى انما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا ولقد عفا
الله عنهم ثم كان يوم حنين بعده فقال تعالى ثم وليتم مدبرين ثم يتوب الله من بعد ذلك
على من يشاء وقال عبد الله بن عمر كنا في جيش بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فحاص الناس
حيصة فانهزمنا فقلنا يا رسول الله نحن الفرارون قال بل انتم الكرارون انا فئة من المسلمين
قوله فحاص الناس حيصة يعني جالوا جولة يطلبون الفرار من العدو والمحيص المهرب وقال
محمد بن سيرين لما قتل ابو عبيد جاء الخبر الى عمر بن الخطاب فقال لو انحاز الي كنت له فئة انا فئة
كل مسلم وقال بعضهم حكم الاية عام في حق كل من ولى ظهره منهزما بدليل قوله يا ايها الذين
امنوا وهذا خطاب عام فيتناول جميع الصور وان كانت الاية نزلت في غزاة بدر لكن العبرة
بعموم اللفظ لا بخصوص السبب وجاء في الحديث من الكبائر الفرار من الزحف وقال عطاء بن ابي رباح

هذه

هذه الاية منسوخة بقوله الان خفف الله عنكم فليس لقوم ان يفروا من مثليهم فنسخت
بذلك الا في هذه العدة وعلى هذا اكثر اهل العلم ان المسلمين اذا كانوا على الشطر من عدوهم
لا يجوز لهم ان يفروا منهم ويولوا ظهورهم وان كان العدو اكثر من المثلين جاز لهم ان يفروا
منهم ويولوا ظهورهم وان كان العدو اكثر من المسلمين جاز لهم ان يفروا منهم قال ابن عباس
من فر من ثلاثة لم يفر ومن فر من اثنين فقد فر قوله تعالى **فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم** قال
مجاهد سبب نزول هذه الاية انهم لما انصرفوا عن قتال اهل بدر كان الرجل يقول انا قتلت
فلانا ويقول الاخر انا قتلت فلانا فنزلت هذه الاية ومعناه فلم تقتلوهم بقوتكم ولكن
الله قتلهم يعني بنصره اياكم وتقويتكم عليهم وقيل معناه ولكن الله قتلهم بامداده اياكم
بالملائكة قال الزمخشري الفاء في قوله فلم تقتلوهم جواب شرط محذوف تقديره وان افتخرتم
بقتلهم فلم تقتلوهم انتم ولكن الله قتلهم **وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى** قال اهل التفسير
والمغازي لما ندب رسول الله صلى الله عليه وسلم انطلقوا حتى نزلوا بدرا ووردت عليهم روايا
قريش وفيهم اسلم غلام اسود لبني الحجاج وابو يسار غلام لبني العاص بن سعد فاخذوهما
واتوا بهما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم اين قريش قالا
هم وراء الكثيب الذي ترى بالعدوة القصوى والكثيب العقنقل فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم كم القوم قالا كثير قال ما عددهم قالا لا ندري قال كم ينحرون كل يوم قالا يوما عشرة ويوما
تسعة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم القوم ما بين التسعمائة الى الالف ثم قال لهما فمن فيهم
من اشراف قريش قالا عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة وابو البختري بن هشام وحكيم
ابن حزام والحارث بن عامر وطعمة بن عدي والنضر بن الحارث وابو جهل بن هشام وامية بن
خلف ونبيه ومنبه ابنا الحجاج وسهيل بن عمرو فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه
مكة قد القت اليكم افلاذ كبدها فلما اقبلت قريش وراها رسول الله صلى الله عليه وسلم تصوب
من العقنقل وهو الكثيب نزل وجاء الى الوادي قال اللهم هذه قريش قد اقبلت بخيلائها
وفخرها تحادك وتكذب رسولك اللهم فنصرك الذي وعدتني فاتاه جبريل عليه السلام فقال له
خذ قبضة من تراب فارمهم به فلما التقى الجمعان تناول رسول الله صلى الله عليه وسلم كفا من
الحصباء عليه تراب فرمى به وجوه القوم وقال شاهت الوجوه يعني قبحت الوجوه فلم يبق
مشرك الا ودخل في عينيه وفمه ومنخريه من ذلك التراب شيء فانهزموا وتبعهم المومنون
يقتلونهم وياسرونهم وقال قتادة وابن زيد ذكر لنا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اخذ يوم
بدر ثلاث حصيات فرمى بحصاة في ميمنة القوم وبحصاة في ميسرة القوم وبحصاة بين اظهرهم
وقال شاهت الوجوه فانهزموا فذلك قوله عز وجل وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى اذ ليس في
وسع احد من البشر ان يرمي كفا من حصى في وجوه جيش فلا يبقى فيهم عين الا وقد دخل فيها منه

من ذلك شئ فصورة الرمي صدرت من رسول الله صلى الله عليه وسلم وتاثيرها صدر من الله
عز وجل فلهذا المعنى صح النفي والاثبات وقيل في معنى الاية وما بلغت اذ رميت ولكن الله
بلغ رميك وقيل وما رميت بالرعب في قلوبهم اذ رميت بحصايك ولكن الله رمى بالرعب في
قلوبهم حتى انهزموا **وليبلي المومنين منه بلاء حسنا** يعني ولينعم على المومنين نعمة عظيمة بالنصر
والغنيمة والاجر والثواب وهذا اجماع المفسرين ان البلاء هنا بمعنى النعمة **ان الله سميع**
يعني لدعائكم **عليم** باحوالكم وقوله تعالى **ذلكم** يعني الذي ذكرت من امر القتل والرمي والبلاء الحسن
من الظفر بهم والنصر عليهم فعلنا ذلك الذي فعلنا **وان الله** يعني واعلموا ان الله مع ذلك **موهن**
اي مضعف **كيد الكافرين** يعني مكرهم وكيدهم قوله عز وجل **ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح**
هذا خطاب مع المشركين الذين قاتلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر وذلك ان ابا جهل
قال يوم بدر لما التقى الجمعان اللهم ايّنا كان افجر يعني نفسه ومحمدا صلى الله عليه وسلم قاطعا للرحم
فاحنه اليوم وقيل انه قال اللهم ايّنا كان خيرا عندك فانصره وقيل قال اللهم انصر اهدى
الفريقين وخير الفريقين وافضل الجمعين اللهم من كان افجر واقطع لرحمه فاحنه اليوم فانزل
الله ان تستفتحوا ومعنى الاية ان تستحكموا الله على اقطع الحزبين للرحم واظلم الفيئتين
فنصر المظلوم على الظالم فقد جاءكم الفتح يعني جاءكم حكم الله بنصره المظلوم على الظالم والمحق
على المبطل والمقطوع على القاطع ق عن عبد الرحمن بن عوف قال اني لواقف في الصف يوم بدر
فنظرت عن يميني وعن شمالي فاذا انا بغلامين من الانصار حديثة اسنانهما فتمنيت ان اكون بين
اضلع منهما فغمزني احدهما فقال اي عم هل تعرف ابا جهل قلت نعم فما حاجتك اليه يا ابن اخي
قال اخبرت انه يسب رسول الله صلى الله عليه وسلم فوالذي نفسي بيده لئن رايته لا يفارق سوادي
سواده حتى يموت الاعجل منا فتعجبت لذلك قال وغمزني الاخر فقال لي مثلها فلم انشب ان نظرت
الى ابي جهل يجول في الناس فقلت الا تريان هذا صاحبكما الذي تسالاني عنه قال فابتدراه
بسيفيهما فضرباه حتى قتلاه ثم انصرفا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبراه فقال ايكما
قتله فقال كل واحد منهما انا قتلته فقال هل مسحتما سيفيكما فقالا لا فنظر رسول الله صلى
الله عليه وسلم الى السيفين فقال كلاكما قتله وقضى رسول الله صلى الله عليه وسلم بسلبه لمعاذ بن عمرو
ابن الجموح والرجلان معاذ بن عمرو بن الجموح ومعاذ بن عفراء ق عن انس بن مالك قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم من ينظر لنا ما صنع ابو جهل فانطلق ابن مسعود فوجده قد ضربه ابنا عفراء
حتى برد قال فاخذ بلحيته فقال انت ابو جهل وفي كتاب البخاري انت ابا جهل هكذا قال انس
فقال وهل فوق رجل قتلتموه او قال قتله قومه وفي رواية فقال ابو جهل فلو غير اكار قتلني
عن عبد الله بن مسعود قال مررت فاذا ابو جهل صريع قد ضربت رجله فقلت يا عدو الله يا ابا
جهل قد اخزى الله الاخر قال ولا هابه عند ذلك فقال ابعد من رجل قتله قومه فضربته

فاحذله بعلم

حتى برد اخرجه ابو داود واخرجه البخاري مختصرا قال انه اتى ابا جهل يوم بدر وبه رمق فقال
هل اعمد من رجل قتلتموه وقال عكرمة قال المشركون والله لا نعرف ما جاء به محمد فافتح بيننا وبينه
بالحق فانزل الله عز وجل ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح يعني ان تستقضوا فقد جاءكم القضاء وقال
السدي والكلبي كان المشركون لما خرجوا الى النبي صلى الله عليه وسلم من مكة اخذوا باستار الكعبة
وقالوا اللهم انصر اعلى الجندين واهدى الفيئتين واكرم الحزبين وافضل الدينين ففيه نزلت ان تستفتحوا
فقد جاءكم الفتح يعني ان تستنصروا فقد جاءكم النصر وهو على ما سالوه فكان النصر لاهدى الفيئتين
وهم اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم وقال محمد بن اسحاق حدثني محمد بن عبد الله بن ابي بكر قال قال
معاذ بن عمرو بن الجموح لما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من عدوه امر بابي جهل بن هشام ان يلتمس
في القتلى وقال اللهم لا يعجزك فلما سمعتها جعلته من شاني فعمدت نحوه فضربته ضربة طرحت قدمه
بنصف ساقه قال وضربني ابنه عكرمة على عاتقي فطرح يدي فتعلقت بجلدة من جنبي واجهضني
القتال عنه فلقد قاتلت عامة يومي واني لاسحبها خلفي فلما اذتني جعلت عليها قدمي ثم
تمطيت بها حتى طرحتها ثم مر بابي جهل وهو عقير معوذ بن عفراء فضربه حتى اثبته وتركه
وبه رمق ثم مر به عبد الله بن مسعود قال عبد الله وجدته باخر رمق فعرفته فوضعت رجلي على عنقه
ثم قلت هل اخزاك الله يا عدو الله قال وبماذا اخزاني اعمد من رجل قتلتموه اخبرني لمن الدبرة قلت لله
ولرسوله وروي عن ابن مسعود انه قال قال لي ابو جهل لقد ارتقيت يا رويعي مرتقا صعبا ثم احتززت
راسه ثم جيت به رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله هذا راس عدو الله ابي جهل
فقال الله الذي لا اله غيره فقلت نعم والذي لا اله غيره ثم القيته بين يدي رسول الله صلى الله
عليه وسلم فحمد الله وقال ابي بن كعب هذا خطاب لاصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله
عز وجل للمسلمين ان تستفتحوا اي تستنصروا فقد جاءكم الفتح اي النصر خ عن خباب بن الارت
قال شكونا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو متوسد بردة له في ظل الكعبة فقلنا الا تستنصر لنا
الا تدعو لنا فقال قد كان من قبلكم يوخذ الرجل فيحفر له في الارض فيجعل فيها ثم يوتى بالمنشار
فيوضع على راسه فيجعل نصفين ويمشط بامشاط الحديد ما دون لحمه وعظمه ما يصده ذلك
عن دينه والله ليتمن الله هذا الامر حتى يسير الراكب من صنعا الى حضرموت لا يخاف الا الله
والذيب على غنمه ولكنكم تستعجلون قلت استدل البغوي بهذا الحديث على ما قرره ابي بن
كعب للاية وفيه نظر لان هذه الواقعة المذكورة في الحديث كانت بمكة والاية مدنية فلا تعلق
للحديث بتفسير الاية والله اعلم ولكن النبي صلى الله عليه وسلم لما دعا الله ببدر وسال له انجاز ما وعده
من احدى الطايفتين والح في الدعا والمسالة حتى سقط رداوه قال الله تعالى مجيبا له ان تستفتحوا
يعني تطلبوا النصر وانجاز ما وعدكم به فقد جاءكم الفتح يعني فقد حصل لكم ما طلبتم فاشكروا الله
على ما انعم به عليكم من اجابة دعايكم وانجاز ما وعدكم وهذا القول اولى لان قوله فقد جاءكم لا يليق الا

بالمومنين وهذا اذا فسرنا الفتح بالنصر والظفر على الاعدا اما اذا فسرنا بالقضا والحكم لم يمتنع ان
يراد به الكفار اما قوله تعالى وان تنتهوا فهو خير لكم هذا خطاب للكفار يعني وان تنتهوا عن قتال
محمد صلى الله عليه وسلم وعن تكذيبه فهو خير لكم في الدين والدنيا اما في الدين بان تومنوا به وتكفوا عنه
فيحصل لكم بذلك الفوز بالثواب والخلاص من العقاب واما في الدنيا فهو الخلاص من القتل والاسر
وان تعودوا نعد يعني وان تعودوا الى القتال لمحمد صلى الله عليه وسلم نعد بتسليطه عليكم ونصره عليكم
ولن تغني عنكم فيتكم يعني جماعتكم شيئا يعني لا تغني عنكم شيئا ولو كثرت يعني جماعتكم وان الله
مع المومنين يعني بالنصر لهم عليكم يا معشر الكفار قوله تعالى يا ايها الذين امنوا اطيعوا الله ورسوله
يعني في امر الجهاد لان فيه بذل المال والنفس ولا تولوا عنه يعني عن الرسول صلى الله عليه وسلم
لان التولي لا يصح الا في حق الرسول صلى الله عليه وسلم لا في حق الله والمعنى لا تعرضوا عنه وعن معونته
ونصرته في الجهاد وانتم تسمعون يعني القران يتلى عليكم ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا بالسنتهم
وهم لا يسمعون يعني وهم لا يتعظون ولا ينتفعون بما سمعوا من القران والمواعظ وهذه صفة المنافقين
ان شر الدواب عند الله يعني ان شر من دب على وجه الارض من خلق الله عند الله الصم عن سماع الحق
البكم عن النطق به فلا يقولونه الذين لا يعقلون يعني لا يفهمون عن الله امره ونهيه ولا يعقلونه وانما
سماهم دواب لقلة انتفاعهم بعقولهم قال ابن عباس هم نفر من بني عبد الدار بن قصي كانوا يقولون نحن
صم بكم عمي عما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم فقتلوا جميعا يوم احد وكانوا اصحاب اللوا ولم يسلم
منهم الا رجلان مصعب بن عمير وسويط بن حرملة ولو علم الله فيهم خيرا لاسمعهم يعني سماع تفهم
وانتفاع وقبول للحق ومعنى ولو علم الله قال الامام فخر الدين ان كان ما كان حاصلا فيجب ان يعلمه
الله فعدم علم الله بوجوده من لوازم عدمه وتقدير الكلام لو حصل فيهم خير لاسمعهم الله الحجج
والمواعظ سماع تعليم وتفهم ولو اسمعهم يعني بعد ان علم انه لا خير فيهم لم ينتفعوا بما يسمعون من
المواعظ والدلايل لقوله تعالى وهم معرضون يعني ولتولوا عن سماع الحق وهم معرضون عنه لعنادهم
وجحودهم الحق بعد ظهوره وقيل انهم كانوا يقولون للنبي صلى الله عليه وسلم احي لنا قصيا فانه كان
شيخا مباركا حتى يشهد لك بالنبوة فنومن لك فقال الله تعالى ولو احيي لهم قصيا وسمعوا كلامه
لتولوا عنه وهم معرضون قوله عز وجل يا ايها الذين امنوا استجيبوا لله وللرسول يعني اجيبوهما
بالطاعة والانقياد لامرهما اذا دعاكم يعني الرسول صلى الله عليه وسلم انما وحد الضمير في قوله اذا دعاكم
لان استجابة الرسول صلى الله عليه وسلم استجابة لله تعالى وانما يذكر احدهما مع الاخر للتوكيد واستدل
اكثر الفقها بهذه الاية على ان ظاهر الامر للوجوب لان كل من امره الله ورسوله صلى الله عليه وسلم
بفعل فقد دعاه اليه وهذه الاية تدل على انه لا بد من الاجابة في كل ما دعا الله ورسوله اليه خ عن
ابي سعيد بن المعلى قال كنت اصلي في المسجد فدعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم اجبه ثم اتيته
فقلت يا رسول الله اني كنت اصلي فقال الم يقل الله استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم ثم ذكر الحديث

عن

عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج على ابي بن كعب وهو يصلي فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم يا ابي فالتفت ابي فلم يجبه وصلى ابي وخفف ثم انصرف الى رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقال السلام عليك يا رسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليك السلام ما منعك
يا ابي ان تجيبني اذ دعوتك فقال يا رسول الله اني كنت في الصلاة قال افلم تجد فيما اوحى الله الي استجيبوا
لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم قال بلى ولا اعود ان شا الله تعالى وذكر الحديث اخرجه الترمذي
وقال حديث حسن صحيح قيل هذه الاجابة مختصة بالنبي صلى الله عليه وسلم فعلى هذا الى لا حد
ان يقطع صلاته لدعا احد اخر وقيل لو دعا احدا لامر مهم لا يحتمل التاخير فله ان يقطع صلاته
وقوله تعالى لما يحييكم يعني اذا دعاكم الى ما فيه حياتكم قال السدي هو الايمان لان الكافر ميت
فيحيى بالايمان وقال قتادة هو القران لانه حياة القلوب وفيه النجاة والعصمة في الدارين وقال
مجاهد هو الحق وقال محمد بن اسحاق هو الجهاد لان الله اعز به بعد الذل وقيل هي الشهادة لان الشهدا
احيا عند ربهم يرزقون واعلموا ان الله يحول بين المرء وقلبه قال ابن عباس يحول بين المومن وبين الكفر
ومعاصي الله ويحول بين الكافر وبين الايمان وطاعة الله وهذا قول سعيد بن جبير والضحاك ومجاهد
وقال السدي يحول بين الانسان وقلبه فلا يستطيع ان يومن او يكفر الا باذنه وقد دلت البراهين
العقلية على هذا القول لان احوال القلوب اعتقادات ودواعي وتلك الاعتقادات والدواعي لا بد ان
تتقدمها الارادة وتلك الارادة لا بد لها من فاعل مختار وهو الله تعالى فثبت بذلك ان المتصرف في
القلب كيف شا هو الله تعالى م عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
ان قلوب بني ادم بين اصبعين من اصابع الرحمن كقلب واحد يصرفه حيث شا ثم قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم اللهم مصرف القلوب ثبت قلوبنا على طاعتك عن انس بن مالك قال كان رسول الله صلى الله
عليه وسلم يكثر ان يقول يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك فقلنا يا رسول الله قد امنا بك وبما
جيت به فهل تخاف علينا قال نعم ان القلوب بين اصبعين من اصابع الرحمن يقلبها كيف شا
اخرجه الترمذي وهذا الحديث من احاديث الصفات فيجب على المرء المسلم ان يمره على ما جا مع
الاعتقاد بالجزم بتنزيه الله تعالى عن الجارحة والجسم وقيل في معنى الاية ان الله عز وجل
يحول بين المرء وقلبه حتى لا يدري ما يصنع ولا يعقل شيئا وقيل ان القوم لما دعوا الى القتال
والجهاد وكانوا في غاية الضعف والقلة خافت قلوبهم وضاقت صدورهم فقيل لهم قاتلوا في
سبيل الله واعلموا ان الله يحول بين المرء وقلبه فيبدل الخوف امنا والجبن جراة وقوله تعالى وانه
اليه تحشرون يعني في الاخرة فيجزي كل عامل بعمله فيثيب المحسن ويعاقب العاصي قوله تعالى واتقوا
فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة لما اخبر الله عز وجل انه يحول بين المرء وقلبه حذر من
وقوع الفتن والمعنى واحذروا فتنة ان نزلت بكم لم تقتصر على الظالم خاصة بل تتعدى اليكم جميعا
وتصل الى الصالح والطالح واراد بالفتنة الابتلا والاختبار وقيل تقديره واتقوا فتنة ان لم

تتقوها اصابتكم جميعا الظالم وغير الظالم قال الحسن نزلت هذه الاية في علي وعمار
وطلحة والزبير قال الزبير لقد قرانا هذه الاية زمانا وما ارانا من اهلها فاذا نحن المعنيون
بها يعني ما كان منهم يوم الجمل قال السدي ومقاتل والضحاك وقتادة هذا في قوم مخصوصين
من اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم اصابتهم الفتنة يوم الجمل وقال ابن عباس امر الله عز وجل
المومنين الا يقروا المنكر بين اظهرهم فيعمهم الله بعذاب فيصيب الظالم وغير الظالم روى
البغوي بسنده عن عدي بن عدي الكندي قال حدثني مولى لنا انه سمع جدي يقول سمعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله لا يعذب العامة بعمل الخاصة حتى يروا المنكر بين ظهرانيهم
وهم قادرون على ان ينكروه فلا ينكروه فاذا فعلوا ذلك عذب الله العامة والخاصة
والذي ذكره ابن الاثير في جامع الاصول عن عرس بن عميرة الكندي ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال اذا عملت الخطيئة في الارض كان من شهدها فانكرها كمن غاب عنها ومن غاب عنها فرضيها
كان كمن شهدها اخرجه ابو داود وعن جرير بن عبد الله قال سمعت رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقول ما من رجل يكون في قوم يعمل فيهم بالمعاصي يقدرون على ان يغيروا عليه ولم
يغيروا الا اصابهم الله منه بعقاب قبل ان يموتوا اخرجه ابو داود وقال ابن زيد اراد بالفتنة
افتراق الكلمة ومخالفة بعضهم بعضا ق عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ستكون فتن القاعد فيها خير من القايم والقايم فيها خير من الماشي والماشي خير من الساعي
من تشرف لها تستشرفه ومن وجد ملجا ومعاذا فليعذ به فان قلت ظاهر قوله تعالى واتقوا
فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة يشمل الظالم وغير الظالم كما تقدم تفسيره فكيف
يليق برحمة الله وكرمه ان توصل الفتنة الى من لم يذنب قلت انه تعالى مالك الملك وخالق
الخلق وهم عبيده وفي ملكه يتصرف فيهم كيف شا لا يسال عما يفعل وهم يسالون فيحسن ذلك
منه على سبيل المالكية او لانه تعالى علم اشتمال ذلك على انواع من انواع المصلحة والله اعلم بمراده
وقوله تعالى واعلموا ان الله شديد العقاب فيه تحذير ووعيد لمن واقع الفتنة التي حذره الله
منها وقوله عز وجل واذكروا اذ انتم قليل مستضعفون في الارض لما امر الله المومنين بطاعة
الله وطاعة رسوله وحذرهم الفتنة وذكرهم نعمته عليهم فقال تعالى واذكروا يا معشر المومنين
المهاجرين اذ انتم قليل يعني في العدد مستضعفون في الارض يعني في ارض مكة في ابتدا
الاسلام تخافون ان يتخطفكم الناس يعني كفار مكة وقال عكرمة كفار العرب وقال وهب بن منبه
يعني فارس والروم فاواكم يعني الى المدينة وايدكم بنصره يعني وقواكم بالانصار وقال الكلبي
وقواكم يوم بدر بالملايكة ورزقكم من الطيبات يعني الغنايم احلها لكم ولم يحلها لاحد
قبلكم لعلكم تشكرون يعني تشكرون الله على نعمه عليكم قوله تعالى يا ايها الذين امنوا لا تخونوا
الله والرسول قال الزهري والكلبي نزلت هذه الاية في ابي لبابة هارون بن عبد المنذر الانصاري

جامع

من بني

من بني عوف بن مالك وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حاصر يهود قريظة احدى
وعشرين ليلة فسالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلح على ما صالح عليه اخوانهم بني
النضير على ان يسيروا الى اخوانهم الى اذرعات واريحا من ارض الشام فابى رسول الله صلى الله
عليه وسلم ان يعطيهم ذلك الا ان ينزلوا على حكم سعد بن معاذ فابوا وقالوا ارسل الينا ابا لبابة
ابن عبد المنذر وكان مناصحا لهم لان ماله وولده وعياله كان عندهم فبعثه رسول الله صلى
الله عليه وسلم فاتاهم فقالوا يا ابا لبابة ما ترى انزل على حكم سعد بن معاذ فاشار ابو
لبابة بيده الى حلقه يعني انه الذبح فلا تفعلوا قال ابو لبابة والله ما زالت قدماي عن مكانهما
حتى عرفت اني قد خنت الله ورسوله ثم انطلق على وجهه ولم يات رسول الله صلى الله عليه
وسلم وشد نفسه على سارية من سواري المسجد وقال والله لا اذوق طعاما ولا شرابا
حتى اموت او يتوب الله علي فلما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم خبره قال اما لو جاني
لاستغفرت له فاما اذ فعل ما فعل فاني لا اطلقه حتى يتوب الله عليه فمكث سبعة ايام
لا يذوق طعاما ولا شرابا حتى خر مغشيا عليه ثم تاب الله عليه فقيل يا ابا لبابة قد تيب
عليك فقال والله لا احل نفسي حتى يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذي يحلني فحله
بيده ثم قال ابو لبابة ان من تمام توبتي ان اهجر دار قومي التي اصبت فيها الذنب وان انخلع
من مالي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يجزيك الثلث ان تصدق به ونزل فيه يا ايها
الذين امنوا لا تخونوا الله والرسول وقال السدي كانوا يسمعون الشي من النبي صلى الله عليه
وسلم فيفشونه حتى يبلغ المشركين فنزلت هذه الاية وقال جابر بن عبد الله ان ابا سفيان
خرج من مكة فاتى جبريل النبي صلى الله عليه وسلم فقال ان ابا سفيان في مكان كذا وكذا فقال النبي
صلى الله عليه وسلم لاصحابه ان ابا سفيان في موضع كذا وكذا فاخرجوا اليه واكتموا قال
فكتب رجل من المنافقين اليه ان محمدا يريدكم فخذوا حذركم فانزل الله لا تخونوا الله والرسول
وتخونوا اماناتكم ومعنى الاية لا تخونوا الله والرسول ولا تخونوا اماناتكم وانتم تعلمون
انها امانة وقيل معناه وانتم تعلمون انما فعلتم من الاساة الى الخلق خيانة واصل الخيانة
من الخون وهو النقص لان من خان شيا فقد انقصه والخيانة ضد الامانة وقيل في معنى الاية
لا تخونوا الله والرسول فانكم اذا فعلتم ذلك فقد خنتم اماناتكم وقال ابن عباس معناه
لا تخونوا الله بترك فرايضه ولا تخونوا الرسول بترك سنته ولا تخونوا اماناتكم قال ابن
عباس هي ما يخفى عن اعين الناس من فرايض الله تعالى والاعمال التي ايتمن عليها العباد وقال
قتادة اعلموا ان دين الله امانة فادوا الى الله ما ايتمنكم عليه من فرايضه وحدوده ومن
كانت عليه امانة فليودها الى من ايتمنه عليها ومنه الحديث عن ابي هريرة قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم اد الامانة الى من ايتمنك ولا تخن من خانك اخرجه ابو داود والترمذي

وقال حديث حسن غريب وقوله عز وجل واعلموا انما اموالكم واولادكم فتنة قيل هذا انما نزل في ابي لبابة وذلك لان امواله واولاده كانت في بني قريظة فلذلك قال ما قال خوفا عليهم وقيل انه عام في جميع الناس وذلك انه لما كان الاقدام على الخيانة في الامانة بسبب حب المال والولد نبه الله تعالى بقوله واعلموا انما اموالكم واولادكم فتنة على انه يجب على العاقل ان يحذر من المضار المتولدة من حب المال والولد لان ذلك يشغل القلب ويصيره محجوبا عن خدمة المولى وهذا من اعظم الفتن روى البغوي بسنده عن عايشة ان النبي صلى الله عليه وسلم اتي بصبي فقبله وقال اما انهم مبخلة مجبنة وانهم لمن ريحان الله واخرج الترمذي عن عمر بن عبد العزيز قال زعمت المراة الصالحة خولة بنت حكيم قالت خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم وهو محتضن احد ابني بنته وهو يقول انكم لتبخلون وتجبنون وتجهلون وانكم لمن ريحان الله قال الترمذي لا نعرف لعمر بن عبد العزيز سماعا عن خولة قوله لمن ريحان الله اي لمن رزق الله والريحان الرزق وقوله تعالى وان الله عنده اجر عظيم يعني لمن ادى الامانة ولم يخن وفيه تنبيه على ان سعادة الاخرة وهو ثواب الله افضل من سعادة الدنيا وهو المال والولد قوله عز وجل يا ايها الذين امنوا ان تتقوا الله يعني بطاعته وترك معاصيه يجعل لكم فرقانا يعني يجعل لكم نورا وتوفيقا في قلوبكم تفرقون به بين الحق والباطل والفرقان اصله الفرق بين الشيئين لكنه ابلغ من اصله لانه يستعمل في الفرق بين الحق والباطل والحجة والشبهة قال مجاهد يجعل لكم مخرجا في الدنيا والاخرة وقال مقاتل مخرجا في الدين من الشبهات وقال عكرمة نجاة اي يفرق بينكم وبين ما تخافون وقال محمد بن اسحاق فصلا بين الحق والباطل يظهر الله به حقكم ويطفي بطلان من خالفكم وقيل يفرق بينكم وبين الكفار بان يظهر دينكم ويعليه ويبطل الكفر ويوهنه ويكفر عنكم سياتكم ويمحو عنكم ما سلف من ذنوبكم ويغفر لكم ويستر عليكم بان لا يفضحكم في الدنيا ولا في الاخرة والله ذو الفضل العظيم لانه هو الذي يفعل ذلك بكم فله الفضل العظيم عليكم وعلى غيركم من خلقه ومن كان كذلك فانه اذا وعد بشي وفى به وقيل انه يتفضل على الطايعين بقبول الطاعات ويتفضل على العاصين بغفران السيات وقيل معناه ان بيده الفضل العظيم فلا يطلب من عند غيره قوله تعالى واذ يمكر بك الذين كفروا لما ذكر الله تعالى المومنين نعمه عليهم بقوله واذكروا اذ انتم قليل ذكر نبيه صلى الله عليه وسلم نعمه عليه فيما جرى عليه بمكة من قومه لان هذه السورة مدنية وهذه الواقعة كانت بمكة قبل ان يهاجر الى المدينة والمعنى واذكر يا محمد اذ يمكر بك الذين كفروا وكان هذا المكر على ما ذكره ابن عباس وغيره من اهل التفسير قالوا جميعا ان قريشا فرقوا لما اسلمت الانصار ان يتفاقم امر رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان روسهم عتبة وشيبة ابنا ربيعة وابو جهل وابو سفيان

وطعيمة

وطعيمة بن عدي والنضر بن الحارث وابو البختري بن هشام وزمعة بن الاسود وحكيم بن حزام ونبيه ومنبه ابنا الحجاج وامية بن خلف واعترضهم ابليس في صورة شيخ فلما راوه قالوا له من انت قال انا شيخ من نجد سمعت باجتماعكم فاردت ان احضركم ولن تعدموا مني رايا ونصحا فقالوا ادخل فدخل فقال ابو البختري اما انا فارى ان تاخذوا محمدا وتحبسوه في بيت مقيدا وتشدوا وثاقه وتسدوا باب البيت غير كوة تلقون منها طعامه وشرابه وتتربصون به ريب المنون حتى يهلك كما هلك من قبله من الشعرا فصرخ عدو الله ابليس وهو الشيخ النجدي وقال بيس الراي رايتم لين حبستموه ليخرجن امره من وراء الباب الذي اغلقتم دونه الى اصحابه فيوشك ان يثبوا عليكم فيقاتلوكم وياخذوه من ايديكم فقالوا صدق الشيخ النجدي فقام هشام بن عمرو من بني عامر بن لوي فقال اما انا فارى ان تحملوه على بعير وتخرجوه من بين اظهركم فلا يضركم ما صنع واين وقع اذا غاب عنكم واسترحتم منه فقال ابليس ما هذا لكم براي تعمدون الى رجل قد افسد سفهاكم فتخرجوه الى غيركم فيفسدهم الم تروا الى حلاوة منطقه وطلاقة لسانه واخذ القلوب بما تسمع من حديثه والله لين فعلتم ذلك يذهب ويستميل قلوب قوم اخرين ثم يسير بهم اليكم فيخرجكم من بلادكم فقالوا صدق الشيخ النجدي فقال ابو جهل والله لاشيرن عليكم براي ما ارى غيره اني ارى ان تاخذوا من كل بطن من قريش شابا نسيبا وسيطا فتيا ثم يعطى كل فتى سيفا صارما ثم يضربوه جميعا ضربة رجل واحد فاذا قتلوه تفرق دمه في القبايل كلها ولا اظن هذا الحي من بني هاشم يقوون على حرب قريش كلها وانهم اذا راوا ذلك قالوا العقل فتودي قريش ديته فقال ابليس اللعين صدق هذا الفتى هو اجودكم رايا والقول ما قال لا ارى غيره فتفرقوا على قول ابي جهل وهم مجمعين عليه فاتى جبريل صلى الله عليه وسلم النبي صلى الله عليه وسلم فاخبره بذلك وامره ان لا يبيت في مضجعه الذي كان يبيت فيه واذن الله عز وجل له عند ذلك بالخروج الى المدينة فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم علي بن ابي طالب ان يبيت في مضجعه وقال له تسج ببردي فانه لن يخلص اليك منهم امر تكرهه ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخذ قبضة من تراب واخذ الله عز وجل ابصارهم عنه فخرج وجعل ينثر التراب على روسهم وهو يقرا انا جعلنا في اعناقهم اغلالا الى قوله فهم لا يبصرون ومضى الى الغار من ثور هو وابو بكر وخلف عليا بمكة حتى يودي عنه الودايع التي قبلها وكانت الودايع توضع عنده لصدقه وامانته قالوا وبات المشركون يحرسون عليا وهو على فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم يحسبون انه النبي صلى الله عليه وسلم فلما اصبحوا ثاروا اليه ليقتلوه فراوا عليا فقالوا له اين صاحبك قال لا ادري فاقتفوا اثره وارسلوا في طلبه فلما بلغوا الغار راوا على بابه نسج العنكبوت فقالوا لو دخله لم يكن لنسج العنكبوت على بابه اثر فمكث في الغار ثلاثا ثم خرج الى المدينة فذلك قوله تعالى واذ يمكر بك الذين كفروا والمكر احتيال في خفية ليثبتوك اي ليحبسوك ويوثقوك لان كل من شد شيا واوثقه فقد اثبته لانه لا يقدر على الحركة او يقتلوك يعني كما اشار عليهم ابو جهل او يخرجوك يعني

من مكة ويمكرون يعني ويحتالون ويدبرون في أمرك ويمكر الله يعني ويجازيهم الله جزاء مكرهم فسمى الجزاء
مكراً لأنه في مقابلته وقيل معناه ويعاملهم الله معاملة مكرهم والمكر هو التدبير وهو من الله التدبير
بالحق والمعنى أنهم احتالوا في إبطال أمر محمد صلى الله عليه وسلم والله تعالى أظهره وقواه ونصره فضاع
فعلهم وتدبيرهم وظهر فعل الله وتدبيره والله خير الماكرين فإن قلت كيف قال الله والله خير الماكرين
ولا خير في مكرهم قلت يحتمل أن يكون المراد والله أقوى الماكرين فوضع خير موضع أقوى وفيه تنبيه
على أن كل مكر يبطل بفعل الله وقيل يحتمل أن يكون المراد أن مكرهم فيه خير بزعمهم فقال تعالى في
مقابلته والله خير الماكرين وقيل ليس المراد التفضيل بل إن فعل الله خير مطلقاً قوله عز وجل
وإذا تتلى عليهم آياتنا قالوا قد سمعنا لو نشاء لقلنا مثل هذا نزلت في النضر بن الحارث بن علقمة من بني
عبد الدار وذلك أنه كان يختلف إلى أرض فارس والحيرة فيسمع أخبارهم عن رستم واسفنديار وأحاديث العجم
وكان يمر بالعباد من اليهود والنصارى فيراهم يقرؤون التوراة والإنجيل ويركعون ويسجدون ويبكون
فلما جاء مكة وجد النبي صلى الله عليه وسلم قد أوحي إليه وهو يقرأ ويصلي فقال النضر بن الحارث قد سمعنا
يعني مثل هذا الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم لو نشاء لقلنا مثل هذا فذمهم الله بدفعهم الحق الذي بينه
فيه بادعائهم الباطل بقولهم لو نشاء لقلنا مثل هذا بعد التحدي وإبان عجزهم عن ذلك ولو قدروا ما تخلفوا
عنه وهم أهل الفصاحة وفرسان البلاغة فبان بذلك كذبهم في قولهم لو نشاء لقلنا مثل هذا إن هذا
إلا أساطير الأولين يعني أخبار الماضين قوله تعالى وإذ قالوا اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر
علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم نزلت في النضر بن الحارث أيضاً قال ابن عباس لما قص رسول الله
صلى الله عليه وسلم شأن القرون الماضية قال النضر بن الحارث لو شئت لقلت مثل هذا فقال له عثمان
ابن مظعون اتق الله فإن محمداً صلى الله عليه وسلم يقول الحق قال وأنا أقول الحق قال فإن محمداً صلى الله عليه وسلم
يقول لا إله إلا الله قال وأنا أقول لا إله إلا الله ولكن هذه بنات الله يعني الأصنام ثم قال اللهم إن
كان هذا هو الحق يعني القرآن الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم وقيل يعني إن كان الذي يقوله محمد صلى
الله عليه وسلم من أمر التوحيد وادعاء النبوة وغير ذلك هو الحق فأمطر علينا حجارة من السماء يعني كما
أمطرتها على قوم لوط أو ائتنا بعذاب أليم يعني مثل ما عذبت به الأمم الماضية وفي النضر بن الحارث
نزل سأل سائل بعذاب واقع قال عطاء لقد نزل في النضر بضع عشرة آية فحاق به ما سأل من العذاب
يوم بدر قال سعيد بن جبير قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر ثلاثة من قريش صبراً طعيمة
ابن عدي وعقبة بن أبي معيط والنضر بن الحارث وروى أنس بن مالك أن الذي قال ذلك أبو جهل ق وعن أنس
قال قال أبو جهل اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء الآية فنزلت وما
كان الله ليعذبهم وأنت فيهم الآية فلما أخرجوه نزلت وما لهم ألا يعذبهم الله وهم يصدون عن
المسجد الحرام قوله عز وجل وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم اختلفوا في معنى هذه الآية فقال محمد بن
إسحاق هذه الآية متصلة بما قبلها وهي حكاية عن المشركين وذلك أنهم قالوا إن الله لا يعذبنا ونحن

نستغفر ولا يعذب أمة ونبيها معها فقال الله عز وجل لنبيه صلى الله عليه وسلم يذكر
جهالتهم وغرتهم واستفتاحهم على أنفسهم وإذ قالوا اللهم إن كان هذا هو الحق الآية وما
كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون ثم قال تعالى رداً عليهم
وما لهم ألا يعذبهم الله وإن كنت بين أظهرهم وإن كانوا يستغفرون وهم يصدون عن المسجد الحرام
وقال آخرون هذا كلام مستأنف يقول الله عز وجل إخباراً عن نفسه تعالى وتقدس وما كان الله
ليعذبهم وأنت فيهم واختلفوا في معناه فقال الضحاك وجماعة تأويلها وما كان الله ليعذبهم وأنت
يا محمد مقيم فيهم بين أظهرهم قالوا نزلت هذه الآية على النبي صلى الله عليه وسلم وهو مقيم بمكة ثم لما
خرج منها بقيت بقية من المسلمين يستغفرون فأنزل الله وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون
ثم لما خرج أولئك المسلمون من بين أظهر الكافرين أذن الله في فتح مكة فهو العذاب الذي
وعدهم وقال ابن عباس لم يعذب الله قرية حتى يخرج نبيها منها والذين آمنوا معه ويلحق بحيث أمر
فقال الله وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم مقيم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون يعني المسلمين
فلما خرجوا قال الله لهم وما لهم ألا يعذبهم الله وقال بعضهم هذا الاستغفار راجع إلى المشركين
وذلك أنهم كانوا يقولون بعد فراغهم من الطواف غفرانك غفرانك وقال يزيد بن رومان قالت
قريش اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء فلما أمسوا ندموا على ما قالوا
فقالوا غفرانك اللهم فقال تعالى وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون وقال قتادة والسدي معناه
وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون أي لو استغفروا ولكن لم يكونوا يستغفرون ولو أقروا بالذنب
واستغفروا لكانوا مؤمنين وقيل هذا دعاء لهم إلى الإسلام والاستغفار بهذه الكلمة كالرجل يقول
لعبده لا أعاقبك وأنت تطيعني أي أطعني حتى لا أعاقبك وقال مجاهد وعكرمة وهم يستغفرون
أي يسلمون يعني لو أسلموا لما عذبوا وقال ابن عباس وفيهم من سبق له من الله العناية أنه يؤمن ويستغفر
مثل أبي سفيان بن حرب وصفوان بن أمية وعكرمة بن أبي جهل وسهيل بن عمرو وحكيم بن حزام وغيرهم وقال
مجاهد وهم يستغفرون أي وفي أصلابهم من يستغفر وقيل في معنى الآية أن الكفار لما بالغوا وقالوا
إن كان محمد محقاً في قوله فأمطر علينا حجارة من السماء فأخبر الله أن محمداً محق في قوله وأنه مع ذلك
لا يمطر على أعدائه ومنكري نبوته حجارة من السماء ما دام بين أظهرهم وذلك تعظيماً له صلى الله عليه وسلم
وأورد على هذا أنه لما كان إقامته مانعاً من نزول العذاب بهم فكيف قال في غير هذه الآية قاتلوهم
يعذبهم الله بأيديكم فالجواب أن المراد من العذاب الأول هو عذاب الاستئصال والمراد من العذاب
الثاني وهو قوله يعذبهم الله بأيديكم هو عذاب القتل والسبي والأسر وذلك دون عذاب الاستئصال
قال أهل المعاني دلت هذه الآية على أن الاستغفار أمان وسلامة من العذاب عن أبي موسى الأشعري
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنزل الله علي أمانين لأمتي وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم
وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون فإذا مضيت تركت فيهم الاستغفار إلى يوم القيامة أخرجه

الترمذي وقوله تعالى وما لهم الا يعذبهم الله يعني اي شي يمنعهم من ان يعذبهم يعني بعد خروجك
من بين اظهرهم لانه تعالى بين في الاية الاولى انه لا يعذبهم وهو مقيم فيهم وبين في هذه الاية
انه معذبهم ثم اختلفوا في هذا العذاب فقيل هو القتل والاسر يوم بدر وقيل اراد به عذاب
الاخرة وقيل اراد بالعذاب الاول عذاب الاستيصال واراد بالعذاب الثاني بهذه الاية العذاب
بالسيف وقيل اراد بالعذاب الاول عذاب الدنيا وبهذا العذاب عذاب الاخرة وقال الحسن الاية
الاولى وهو قوله وما كان الله ليعذبهم منسوخة بقوله وما لهم الا يعذبهم الله وفيه بعد لان الاخبار
لا يدخلها النسخ ثم بين ما لاجله يعذبهم فقال تعالى وهم يصدون عن المسجد الحرام يعني وهم يمنعون
المومنين عن الطواف بالبيت وذلك حين صدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه عن البيت الحرام
عام الحديبية وما كانوا اولياءه قال الحسن كان المشركون يقولون نحن اوليا المسجد الحرام فرد الله عليهم
بقوله وما كانوا اولياءه يعني ليسوا اوليا المسجد الحرام ان اولياؤه الا المتقون يعني المومنين يتقون الشرك
ولكن اكثرهم يعني المشركين لا يعلمون ذلك قوله تعالى وما كان صلاتهم عند البيت الا مكاء وتصدية لما ذكر
الله عز وجل ان الكفار ليسوا اوليا البيت الحرام ذكر عقبه السبب في ذلك وهو ان صلاتهم عنده كانت
مكا وتصدية والمكا في اللغة الصفير يقال مكا الطير يمكو اذا صفر والمكا اسم طير ابيض يكون بالحجاز
له صفير وقيل هو طاير يالف الريف سمي بذلك لكثرة مكايه يعني صفيره والتصدية التصفيق
وفي اصله واشتقاقه قولان احدهما انه من الصدى وهو الصوت الذي يرجع من الجبل كالمجيب للمتكلم
ولا يرجع قوله الى شي الثاني قال ابو عبيدة اصله تصدد فابدلت الدال الواحدة يا قال الازهري والمكا
والتصدية ليسا بصلاة ولكن الله اخبر انهم جعلوا مكان الصلاة التي امروا بها المكا والتصدية
قال حسان بن ثابت صلاتهم التصدي والمكا قال ابن عباس كانت قريش يطوفون بالبيت وهم عراة
يصفرون ويصفقون وقال مجاهد كان نفر من بني عبد الدار يعارضون النبي صلى الله عليه وسلم
في الطواف ويستهزون به ويدخلون اصابعهم في افواههم ويصفقون فالمكا جعل الاصابع في الشدق
والتصدية الصفير وقال جعفر بن ربيعة سالت ابا سلمة عبد الرحمن عن قوله الا مكا وتصدية
فجمع كفيه ثم نفخ فيهما صفيرا وقال مقاتل كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا دخل المسجد قام رجلان
عن يمينه يصفران ورجلان عن يساره يصفقان ليخلطوا على النبي صلى الله عليه وسلم صلاته
وهم من عبد الدار فعلى قول ابن عباس كان المكا والتصدية نوع عبادة لهم وعلى قول غيره كان نوع
اذى للنبي صلى الله عليه وسلم وقول ابن عباس اصح لان الله سمى ذلك صلاة فان قلت كيف سماها صلاة
وليس ذلك من جنس الصلاة قلت انهم كانوا يعتقدون ذلك المكا والتصدية صلاة فخرج ذلك على
حسب معتقدهم وفيه وجه اخر وهو ان من كان المكا والتصدية صلاته فلا صلاة له فهو كقول
العرب من كان السخا عيبه فلا عيب له وقال سعيد بن جبير التصدية صدهم المومنين عن المسجد
الحرام وعن الدين والصلاة فعلى هذا التصدية من الصد وهو المنع وقوله تعالى فذوقوا العذاب

يعني عذاب القتل والاسر في الدنيا وقيل يقال لهم في الاخرة فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون
يعني بسبب كفركم في الدنيا قوله عز وجل ان الذين كفروا ينفقون اموالهم ليصدوا عن سبيل الله لما
ذكر الله عبادة الكفار البدنية وهي المكا والتصدية ذكر عقيبه عبادتهم المالية التي لا تجدي
لهم في الاخرة قال الكلبي ومقاتل نزلت في المطعمين يوم بدر وكانوا اثني عشر رجلا ابو جهل
ابن هشام وعتبة وشيبة ابنا ربيعة بن عبد شمس ونبيه ومنبه ابنا الحجاج وابو البختري بن
هشام والنضر بن الحارث وحكيم بن حزام وابي بن خلف وزمعة بن الاسود والحارث بن عامر بن
نوفل والعباس بن عبد المطلب وكلهم من قريش فكان يطعم كل واحد منهم الجيش في كل يوم عشر جزر
اسلم من هولا العباس بن عبد المطلب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وحكيم بن حزام وقال الحكم
ابن عيينة نزلت في ابي سفيان بن حرب حين انفق على المشركين يوم احد اربعين اوقية كل اوقية
اثنان واربعون مثقالا وقال ابن ابزى استاجر ابو سفيان يوم احد الفين ليقاتل بهم رسول الله
صلى الله عليه وسلم سوى من استجاش من العرب وقيل استاجر يوم احد الفين من الاحابيش من
كنانة فقاتل بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل لما اصيب من اصيب من قريش يوم بدر ورجع
ابو سفيان بعيره الى مكة مشى عبد الله بن ابي ربيعة وعكرمة بن ابي جهل وصفوان بن امية في رجال
من قريش قد اصيب اباوهم وابناوهم واخوانهم يوم بدر فكلموا ابا سفيان بن حرب ومن كانت
له في تلك العير من قريش تجارة فقالوا يا معشر قريش ان محمدا قد وتركم وقتل خياركم فاعينونا بهذا
المال على حربه لعلنا ندرك منه ثارا بمن اصيب منا ففيهم نزلت ان الذين كفروا ينفقون اموالهم
ليصدوا عن سبيل الله اي ليصرفوا الناس عن الايمان بالله ورسوله وقيل ينفقون اموالهم على امثالهم
من المشركين ليتقووا بها على قتال رسول الله صلى الله عليه وسلم والمومنين فسينفقونها يعني اموالهم
في ذلك الوجه ثم تكون عليهم حسرة يعني ما انفقوا من اموالهم تكون عليهم حسرة وندامة يوم
القيامة لان اموالهم تذهب ويغلبون ولا يظفرون بما ياملون ثم يغلبون يعني منهم لان منهم
من اسلم ولهذا قال والذين كفروا يعني من المنفقين اموالهم والذين كفروا الى جهنم يحشرون يعني يساقون
الى النار ليميز الله الخبيث من الطيب يعني ليفرق الله بين فريق الكفار وهم الفريق الخبيث وبين فريق
المومنين وهم الفريق الطيب وهذا معنى قول ابن عباس فانه قال ليميز اهل السعادة من اهل الشقاوة
وقال ليميز العمل الخبيث من العمل الطيب فيجازي على العمل الخبيث النار وعلى العمل الطيب الجنة
وقيل المراد به انفاق الكفار في سبيل الشيطان وانفاق المومنين في سبيل الله ويجعل الخبيث بعضه
على بعض يعني بعضه فوق بعض فيركمه جميعا يعني فيجمعه جميعا ويضم بعضه الى بعض حتى
يتراكم فيجعله في جهنم يعني الخبيث اوليك اشارة الى المنفقين في سبيل الشيطان او الى الخبيث
هم الخاسرون يعني انهم خسروا الدنيا والاخرة لانهم اشتروا باموالهم عقاب الاخرة قوله تعالى قل
يعني قل يا محمد للذين كفروا ان ينتهوا يعني عن الشرك يغفر لهم ما قد سلف يعني ما قد مضى من كفرهم

وذنوبهم قبل الاسلام وان يعودوا فقد مضت سنة الاولين يعني في اهلاك اعدايه ونصر
اوليايه ومعنى الاية ان هولا الكفار ان انتهوا عن الكفر ودخلوا في الاسلام والتزموا شرايعه
غفر الله لهم ما قد سلف من كفرهم وشركهم وان عادوا الى الكفر واصروا عليه فقد مضت سنة
الاولين باهلاك اعدايه ونصر انبيايه واوليايه واجمع العلما على ان الاسلام يجب ما قبله واذا
اسلم الكافر لم يلزمه شي من قضا العبادات البدنية والمالية وهو ساعة اسلامه كيوم ولدته امه
يعني بذلك انه ليس عليه ذنب قال يحيى بن معاذ الرازي توحيد من لم يعجز عن هدم ما قبله من كفر
ارجوا ان لا يعجز عن هدم ما بعده من ذنب وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة قال ابن عباس يعني حتى لا يكون
شرك وقال الحسن حتى لا يكون بلا ويكون الدين كله لله يعني تكون الطاعة والعبادة كلها لله خالصة
دون غيره وقال قتادة حتى يقال لا اله الا الله عليها قاتل نبي الله صلى الله عليه وسلم واليها دعا
وقال محمد بن اسحاق في قوله وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله يعني لا يفتن مومن
عن دينه ويكون التوحيد لله خالصا ليس فيه شرك ويخلع ما دونه من الانداد والشركا
فان انتهوا يعني عن الشرك وافتان المومنين وايذايهم فان الله بما يعملون بصير يعني فان الله لا يخفى
عليه شي من اعمال العباد ودنياتهم حتى يوصل اليهم ثوابهم وان تولوا يعني وان اعرضوا عن الايمان
واصروا على الكفر وعادوا الى قتال المومنين وايذايهم فاعلموا يعني يا المومنون ان الله مولاكم
يعني ان الله وليكم وناصركم عليهم وحافظكم نعم المولى ونعم النصير يعني ان الله هو نعم المولى
ونعم النصير قوله عز وجل واعلموا انما غنمتم من شي فان لله خمسه وللرسول الغنم الفوز بالشي
يقال غنم يغنم غنما فهو غانم واختلف العلما هل الغنيمة والفي اسمان لمسمى واحد ام مختلفا
في التسمية فقال عطا بن السايب الغنيمة ما ظهر المسلمون عليه من اموال المشركين فاخذوه
عنوة واما الارض فهي في وقال سفيان الثوري الغنيمة ما اصاب المسلمون من مال الكفار
عنوة بقتال ففيه الخمس واربعة اخماس لمن شهد الوقعة والفي ما صولحوا عليه بغير قتال فليس فيه
خمس فهو لمن سمى الله وقيل الغنيمة ما اخذ من اموال الكفار عنوة عن قهر وغلبة والفي ما لم يوجف
عليه بخيل ولا ركاب كالعشور والجزية واموال الصلح والمهادنة وقيل ان الفي والغنيمة معناهما
واحد وهما اسمان لشي واحد والصحيح انهما يختلفان فالفي ما اخذ من اموال الكفار بغير ايجاف
خيل ولا ركاب والغنيمة ما اخذ من اموالهم على سبيل القهر والغلبة بايجاف خيل وركاب
فذكر الله في هذه الاية حكم الغنيمة فقال تعالى واعلموا انما غنمتم من شي يعني من اي شي
كان حتى الخيط والمخيط فان لله خمسه وللرسول فذكر اكثر المفسرين والفقها ان قوله لله افتتاح
كلام على سبيل التبرك وانما اضافه الى نفسه تعالى لانه هو الحاكم فيه فيقسمه كيف شا وليس
المراد منه ان سهما منه لله مفردا لان الدنيا والاخرة كلها لله وهذا قول الحسن وقتادة وعطا
وابراهيم النخعي قالوا سهم الله وسهم رسوله واحد والغنيمة تقسم خمسة اخماس اربعة اخماسها

لمن قاتل عليها واحرزها والخمس الباقي لخمسة اصناف كما ذكر الله عز وجل للرسول ولذي القربى
واليتامى والمساكين وابن السبيل وقال ابو العالية يقسم خمس الخمس على ستة اسهم سهم لله
عز وجل فيصرف الى الكعبة والقول الاول اصح ان خمس الغنيمة يقسم على خمسة اسهم سهم
لرسول الله صلى الله عليه وسلم كان له في حياته واليوم هو لمصالح المسلمين وما فيه قوة الاسلام
وهذا قول الشافعي واحمد وروى الاعمش عن ابراهيم قال كان ابو بكر وعمر رضي الله عنهما
يجعلان سهم النبي صلى الله عليه وسلم في الكراع والسلاح وقال قتادة هو للخليفة وقال ابو حنيفة
سهم النبي صلى الله عليه وسلم بعد موته مردود في الخمس فيقسم الخمس على اربعة اصناف المذكورين
في الاية وهم ذووا القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل فقوله تعالى ولذي القربى يعني ان سهما
من خمس الخمس لذوي القربى وهم اقارب رسول الله صلى الله عليه وسلم واختلفوا فيهم فقال قوم هم
جميع قريش وقال قوم هم الذين لا تحل لهم الصدقة وقال مجاهد وعلي بن الحسين هم بنوا هاشم
وقال الشافعي رحمه الله هم بنوا هاشم وبنوا المطلب وليس لبني عبد شمس ولا لبني نوفل منه شي
وان كانوا اخوة ويدل عليه ما روي عن جبير بن مطعم قال مشيت انا وعثمان بن عفان الى النبي
صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله صلى الله عليك وسلم اعطيت بني المطلب وتركتنا ونحن وهم
بمنزلة واحدة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما بنو المطلب وبنو هاشم شي واحد وفي رواية
اعطيت بني المطلب من خمس الخمس وتركتنا وفي رواية قال جبير ولم يقسم النبي صلى الله عليه وسلم
لبني عبد شمس ولا لبني نوفل شيا اخرجه البخاري وفي رواية ابي داود ان جبير بن مطعم جا هو
وعثمان بن عفان يكلمان رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما قسم من الخمس في بني هاشم وبني المطلب
فقلت يا رسول الله قسمت لاخواننا بني المطلب ولم تعطنا شيا وقرابتنا وقرابتهم واحدة فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم انما بنو هاشم وبنو المطلب شي واحد وفي رواية النساي قال لما
كان يوم خيبر وضع رسول الله صلى الله عليه وسلم سهم ذي القربى في بني هاشم وبني المطلب
وترك بني نوفل وبني عبد شمس فانطلقت انا وعثمان بن عفان حتى اتينا النبي صلى الله عليه
وسلم فقلنا يا رسول الله هولا بنو هاشم لا ننكر فضلهم للموضع الذي وضعك الله به منهم
فما بال اخواننا بني المطلب اعطيتهم وتركتنا وقرابتنا واحدة فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم انا وبنو المطلب لا نفترق في جاهلية ولا اسلام وانما نحن وهم شي واحد وشبك بين اصابعه
واختلف اهل العلم في سهم ذوي القربى هل هو ثابت اليوم ام لا فذهب اكثرهم الى انه ثابت
فيعطى فقراوهم واغنياوهم من خمس الخمس للذكر مثل حظ الانثيين وهو قول مالك والشافعي
وذهب ابو حنيفة واصحاب الراي الى انه غير ثابت قالوا سهم النبي صلى الله عليه وسلم وسهم ذوي
القربى مردود في الخمس فيقسم خمس الغنيمة على ثلاثة اصناف اليتامى والمساكين وابن السبيل فيصرف
الى فقرا ذوي القربى مع هذه الاصناف دون اغنيايهم وحجة الجمهور ان الكتاب والسنة يدلان

على ثبوت سهم ذوي القربى وكذا الخلفاء بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا يعطون ذوي
القربى ولا يفضل فقير على غني لان النبي صلى الله عليه وسلم اعطى العباس بن عبد المطلب مع
كثرة ماله وكذا الخلفاء بعده كانوا يعطونه والحقه الشافعي بالميراث الذي يستحق باسم
القرابة غير انهم يعطون القريب والبعيد قال ويفضل الذكر على الانثى فيعطى الذكر سهمين
والانثى سهما وقوله تعالى واليتامى جمع يتيم يعني ويعطى من خمس الخمس لليتامى واليتيم الذي له
سهم في الخمس هو الصغير المسلم الذي لا اب له فيعطى مع الحاجة اليه والمساكين وهم اهل
الفاقة والحاجة من المسلمين وابن السبيل وهو المسافر البعيد عن ماله فيعطى من خمس الخمس
مع الحاجة اليه فهذا مصرف خمس الغنيمة وتقسم اربعة اخماسها الباقية بين الغانمين
الذين شهدوا الوقعة وحازوا الغنيمة فيعطى للفارس ثلاثة اسهم سهم له وسهمان لفرسه
ويعطى الراجل سهما واحدا لما روي عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قسم في النفل
للفرس سهمين وللرجل سهما وفي رواية نحوه باسقاط لفظ النفل اخرجه البخاري ومسلم
وفي رواية ابي داود ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اسهم للرجل ولفرسه ثلاثة اسهم
سهما له وسهمين لفرسه وبهذا القول اكثر اهل العلم واليه ذهب الثوري والاوزاعي ومالك
وابن المبارك والشافعي واحمد واسحق وقال ابو حنيفة للفارس سهمان وللراجل سهم
ويرضخ للعبيد والنسوان والصبيان اذا حضروا القتال ويقسم العقار الذي استولى عليه
المسلمون كالمنقول وعند ابي حنيفة يتخير الامام في العقار بين ان يقسمه بينهم وبين ان
يجعله وقفا على المصالح وظاهر الاية يدل على انه لا فرق بين العقار والمنقول ومن
قتل مشركا من المسلمين في القتال يستحق سلبه من راس الغنيمة لما روي عن ابي قتادة ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قتل قتيلا له عليه بينة فله سلبه اخرجه الترمذي
واخرجه البخاري ومسلم في حديث طويل والسلب كلما يكون على المقتول من ملبوس وسلاح
والفرس الذي كان راكبه ويجوز للامام ان ينفل بعض الجيش من الغنيمة لزيادة عناء وبلاء
يكون منهم في الحرب يخصهم به من بين سائر الجيش ثم يجعلهم اسوة الجماعة في سهام الغنيمة
ق عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان ينفل بعض من يبعث من السرايا لانفسهم خاصة
سوى عامة الجيش عن حبيب بن مسلمة الفهري قال شهدت رسول الله صلى الله عليه وسلم نفل
الربع في البداءة والثلث في الرجعة اخرجه ابو داود واختلف العلماء في ان النفل من اين يعطى
فقال قوم من خمس الخمس من سهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قول سعيد بن المسيب وبه قال
الشافعي وهذا معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم فيما رواه عبادة بن الصامت قال اخذ
رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم خيبر وبرة من جنب بعير فقال ايها الناس انه لا يحل لي مما
افاء الله عليكم قدر هذه الا الخمس والخمس مردود عليكم اخرجه النسائي وقال قوم هو من الاربعة

الاخماس بعد افراز الخمس كسهام الغزاة وهو قول احمد واسحاق وذهب قوم الى النفل من راس
الغنيمة قبل التخميس كالسلب للقاتل واما الفيء وهو ما اصاب به المسلمون من اموال الكفار بغير
ايجاف خيل ولا ركاب بان صالحهم على مال يؤدونه وكذلك الجزية وما اخذ من اموالهم اذا
دخلوا دار الاسلام للتجارة او يموت منهم احد في دار الاسلام ولا وارث له فهذا كله فيء ومال
الفيء كان خالصا لرسول الله صلى الله عليه وسلم في مدة حياته قال عمر ان الله قد خص لرسوله
صلى الله عليه وسلم في هذا الفيء بشيء لم يخص به احدا غيره ثم قرا عمر ما افاء الله على رسوله منهم الاية
فكانت هذه لرسول الله صلى الله عليه وسلم خالصة وكان ينفق على اهله وعياله نفقة
سنتهم من هذا المال واختلف اهل العلم في مصرف الفيء بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال قوم هو للائمة بعده وللشافعي فيه قولان احدهما انه للمقاتلة الذين اثبتت اسماؤهم
في ديوان الجهاد لانهم هم القائمون مقام النبي صلى الله عليه وسلم في ارهاب العدو والقول الثاني
انه لمصالح المسلمين ويبدا بالمقاتلة فيعطون منه كفايتهم ثم بالاهم فالاهم من المصالح واختلف
اهل العلم في تخميس الفيء فذهب الشافعي الى انه يخمس وخمسه لاهل الخمس من الغنيمة على خمسة
اسهم واربعة اخماسه للمقاتلة وللمصالح وذهب الاكثرون الى انه لا يخمس بل يصرف جميعه مصرفا
واحدا ولجميع المسلمين فيه حق عن مالك بن اوس قال ذكر عمر يوما الفيء فقال ما انا احق بهذا الفيء
منكم وما احد منا احق به من الاخر الا انا على منازلنا من كتاب الله وقسمة رسول الله صلى الله
عليه وسلم الرجل وقدمه والرجل وبلاؤه والرجل وعياله والرجل وحاجته اخرجه ابو داود
واخرج البغوي بسنده عنه انه سمع عمر بن الخطاب يقول ما على وجه الارض مسلم الا له في هذا
الفيء حق الا ما ملكت ايمانكم وقوله تعالى ان كنتم امنتم بالله يعني واعلموا ايها المومنون ان خمس
الغنيمة مصروف الى من ذكر في هذه الاية من الاصناف فاقطعوا عنه اطماعكم واقنعوا باربعة
اخماس الغنيمة ان كنتم امنتم بالله وصدقتم بوحدانيته وما انزلنا على عبدنا يعني وامنتم
بالمنزل على عبدنا محمد صلى الله عليه وسلم وهذه اضافة تشريف وتعظيم للنبي صلى الله عليه وسلم
والذي انزله على عبده محمد صلى الله عليه وسلم يسالونك عن الانفال الاية يوم الفرقان يعني يوم
بدر قال ابن عباس يوم الفرقان يوم بدر فرق الله عز وجل فيه بين الحق والباطل يوم التقى الجمعان
يعني جمع المومنين وجمع الكافرين وهو يوم بدر قال عروة بن الزبير يوم الفرقان يوم فرق الله بين
الحق والباطل وهو يوم بدر وهو اول مشهد شهده رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان راس المشركين
عتبة بن ربيعة فالتقوا يوم الجمعة لتسع عشرة او لسبع عشرة من رمضان واصحاب رسول الله صلى الله
عليه وسلم يومئذ ثلاثمائة وبضعة عشر رجلا والمشركون ما بين الالف والتسعمائة فهزم الله المشركين
وقتل منهم زيادة على سبعين واسر منهم مثل ذلك والله على كل شيء قدير يعني على نصركم ايها المومنون
مع قلتكم وكثرة اعدائكم قوله تعالى اذ انتم اي واذكروا نعمة الله عليكم يا معشر المسلمين اذ انتم

بالعدوة الدنيا يعني بشفير الوادي الادنى من المدينة والدنيا تانيث الادنى وهم يعني
المشركين بالعدوة القصوى يعني بشفير الوادي الاقصى من المدينة مما يلي مكة والقصوى تانيث
الاقصى والركب اسفل منكم يعني ابا سفيان واصحابه وهم عير قريش التي خرجوا لاجلها وكانوا
في موضع اسفل من موضع المومنين الى ساحل البحر على ثلاثة اميال من بدر ولو تواعدتم يعني انتم
والمشركون لاختلفتم في الميعاد وذلك ان المسلمين خرجوا للعير وخرج الكفار ليمنعوها من المسلمين
فالتقوا على غير ميعاد والمعنى ولو تواعدتم انتم والكفار على القتال لاختلفتم انتم وهم لقلتكم وكثرة
عدوكم ولكن يعني ولكن الله جمعكم على غير ميعاد ليقضي الله امرا كان مفعولا يعني من نصر اوليايه
واعزاز دينه واهلاك اعدايه واعداء دينه ليهلك من هلك عن بينة يعني ليموت من مات عن بينة
راها وعبرة عاينها وحجة قامت عليه ويحيى من حي عن بينة يعني ويعيش من عاش عن بينة راها
وعبرة شاهدها وحجة قامت عليه وقال محمد بن اسحاق معناه ليكفر من كفر بعد حجة قامت عليه
ويومن من امن على مثل ذلك لان الهلاك هو الكفر والحياة هو الايمان ونحوه قال قتادة ليضل من
ضل على بينة ويهتدي من اهتدى على بينة وان الله لسميع عليم يعني يسمع دعاكم ويعلم نياتكم
ولا يخفى عليه خافية قوله عز وجل واذ يريكهم الله يعني واذكر يا محمد نعمة الله عليك اذ يريك المشركين
في منامك يعني في نومك قليلا قال مجاهد اراهم الله في منامه قليلا فاخبر النبي صلى الله عليه وسلم
بذلك وكان تثبيتا وقال محمد بن اسحاق فكان ما اراه الله من ذلك نعمة من نعمه عليهم يشجعهم بها
على عدوهم فكفت بها عنهم ما تخوف عليهم من ضعفهم لعلمه بما فيهم وقيل لما ارى الله النبي صلى الله
عليه وسلم كفار قريش في منامه قليلا فاخبر بذلك اصحابه فقالوا رويا النبي صلى الله عليه وسلم حق
فصار ذلك سببا لجراتهم على عدوهم وقوة لقلوبهم وقال الحسن ان هذه الاراة كانت في اليقظة
والمراد من المنام العين لانها موضع النوم ولو اراكهم كثيرا لفشلتم يعني لجبنتم والفشل ضعف مع
جبن والمعنى ولو اراكهم كثيرا فذكرت ذلك لاصحابك لفشلوا وجبنوا عنهم ولتنازعتم في الامر يعني
اختلفتم في امر الاقدام عليهم والاحجام عنهم وقيل معنى التنازع في الامر هو الاختلاف الذي يكون
معه مخاصمة ومجادلة ومجاذبة كل واحد الى ناحية والمعنى لاضطرب امركم واختلفت كلمتكم ولكن
الله سلم يعني ولكن الله سلمكم من التنازع والمخالفة فيما بينكم وقيل معناه ولكن الله سلمكم
من الهزيمة والفشل انه عليم بذات الصدور يعني انه تعالى يعلم ما يحصل في الصدور من الجراة
والجبن والصبر والجزع وقال ابن عباس معناه انه عليم بما في صدوركم من الحب لله عز وجل واذ يريكموهم
اذ التقيتم في اعينكم قليلا يعني ان الله تعالى قلل عدد المشركين في اعين المومنين يوم بدر حتى
التقوا في القتال ليتاكد في اليقظة ما راه النبي صلى الله عليه وسلم في منامه واخبر به اصحابه
قال ابن مسعود لقد قللوا في اعيننا حتى قلت لرجل الى جنبي تراهم سبعين قال اراهم ماية فاسرنا رجلا
منهم فقلنا كم كنتم قال الفا ويقللكم في اعينهم يعني ويقللكم يا معشر المومنين في اعين المشركين

قال السدي قال ناس من المشركين ان العير قد انصرفت فارجعوا فقال ابو جهل الان اذ برز لكم محمد
واصحابه فلا ترجعوا حتى تستاصلوهم انما محمد واصحابه اكلة جزور يعني لقلتهم في عينه ثم قال فلا
تقتلوهم واربطوهم في الحبال يقوله من القدرة على نفسه والحكمة في تقليل المشركين في اعين المومنين
تصديق رويا النبي صلى الله عليه وسلم وتقوى بذلك قلوب المومنين وتزداد جراتهم عليهم ولا يجبنوا
عند قتالهم والحكمة في تقليل المومنين في اعين المشركين لئلا يهربوا واذا استقلوا عدد المسلمين
لم يبالغوا في الاستعداد والتاهب لقتالهم فيكون ذلك سببا لظهور المومنين عليهم فان قلت
كيف يمكن تقليل الكثير وتكثير القليل قلت ذلك ممكن في القدرة الالهية فان الله تعالى على ما يشا
قدير ويكون ذلك معجزة للنبي صلى الله عليه وسلم والمعجزة هي من خوارق العادات فلا ينكر ذلك ليقضي
الله امرا كان مفعولا يعني امرا كاينا من اعلا كلمة الاسلام ونصر اهله واذلال كلمة الشرك وخذلان
اهله فان قلت قد قال في الاية المتقدمة ولكن ليقضي الله امرا كان مفعولا وقال في هذه الاية ليقضي
الله امرا كان مفعولا فما معنى هذا التكرار قلت المقصود من ذكره في الاية المتقدمة ليحصل استيلا
المومنين على المشركين على وجه القهر والغلبة ليكون ذلك معجزة دالة على صدق رسول الله صلى الله
عليه وسلم والمقصود من ذكره في هذه الاية لانه تعالى قلل عدد الفريقين في اعين بعضهم بعضا
للحكمة التي قضاها فلذلك قال ليقضي الله امرا كان مفعولا والى الله ترجع الامور يعني في الاخرة
فيجازي كل عامل على قدر عمله فالمحسن باحسانه والمسي باساته وبعفو قوله تعالى يا ايها الذين
امنوا اذا لقيتم فية يعني جماعة كافرة فاثبتوا يعني لقتالهم وهو ان يوطنوا انفسهم على لقاء
العدو وقتاله ولا يحدثوها بالتولي واذكروا الله كثيرا يعني كونوا ذاكرين الله عند لقاء عدوكم ذكرا
كثيرا بقلوبكم والسنتكم امر الله عباده المومنين واولياءه الصالحين بان يذكروه في شد الاحوال
وذلك عند لقاء العدو وقتاله وفيه تنبيه على ان الانسان لا يجوز ان يخلو قلبه ولسانه عن
ذكر الله وقيل المراد من هذا الذكر هو الدعا بالنصر على العدو وذلك لا يحصل الا بمعونة الله تعالى
فامر الله عباده ان يسالوه النصر على العدو وعند اللقاء ثم قال تعالى لعلكم تفلحون يعني وكونوا
على رجا الفلاح والنصر والظفر فان قلت ظاهر الاية يوجب الثبات على كل حال وذلك يوهم انها
ناسخة لاية التحرف والتحيز قلت المراد من الثبات هو الثبات عند المحاربة والمقاتلة في الجملة
واية التحرف والتحيز لا تقدح في حصول هذا الثبات في المحاربة بل كان الثبات في المقصود
لا يحصل الا بذلك التحرف والتحيز ثم قال تعالى موكدا لذلك واطيعوا الله ورسوله يعني في
امر الجهاد والثبات عند لقاء العدو ولا تنازعوا فتفشلوا يعني ولا تختلفوا فان التنازع
والاختلاف يوجب الفشل والضعف والجبن وقوله تعالى وتذهب ريحكم يعني قوتكم وقال
مجاهد نصرتكم قال وذهبت ريح اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم حين نازعوه يوم احد وقال
السدي جراتكم وحدكم وقال مقاتل حدتكم وقال الاخفش وابو عبيدة دولتكم والريح هنا

كناية عن نفاذ الامر وجريانه على المراد تقول العرب هبت ريح فلان اذا اقبل امره على ما يريد
وقال قتادة وابن زيد هي ريح النصر ولم يكن نصر قط الا بريح يبعثها الله تضرب وجوه العدو
ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم نصرت بالصبا واهلكت عاد بالدبور وعن النعمان بن مقرن
قال شهدت رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان اذا لم يقاتل من اول النهار اخر القتال حتى تزول
الشمس وتهب الرياح وينزل النصر اخرجه ابو داود وقوله تعالى واصبروا يعني عند لقاء عدوكم
ولا تنهزموا عنهم ان الله مع الصابرين يعني بالنصر والمعونة ق عن عبد الله بن ابي اوفى ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم في بعض ايامه التي لقي فيها العدو وانتظر حتى اذا مالت الشمس قام فيهم
فقال يا ايها الناس لا تتمنوا لقاء العدو واسالوا الله العافية فاذا لقيتموهم فاصبروا واعلموا ان الجنة
تحت ظلال السيوف ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم منزل الكتاب ومجري السحاب وهازم
الاحزاب اهزمهم وانصرنا عليهم ق عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تتمنوا
لقاء العدو فاذا لقيتموهم فاصبروا قوله عز وجل ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بطرا يعني
فخرا واشرا وقيل البطر الطغيان في النعمة وذلك ان النعم اذا كثرت من الله على العبد فان صرفها
في المفاخرة على الاقران وكاثر بها ابناء الزمان وانفقها في غير طاعة الرحمن فذلك هو البطر في
النعمة وان صرفها في طاعة الله وابتغاء مرضاته فذلك شكرها وهذا معنى قول الزجاج البطر
الطغيان في النعمة وترك شكرها ورئاء الناس الرياء اظهار الجميل ليراه الناس مع ابطان القبيح
والفرق بين الرياء والنفاق ان النفاق اظهار الايمان مع ابطان الكفر والرياء اظهار الطاعة
مع ابطان المعصية ويصدون عن سبيل الله يعني ويمنعون الناس عن الدخول في دين الله نزلت
هذه الاية في كفار قريش حين خرجوا الى بدر ولهم فخر وبغي فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم اللهم هذه قريش قد اقبلت بخيلائها وفخرها تحادك وتكذب رسولك اللهم فنصرك الذي
وعدتني به قال ابن عباس ان ابا سفيان لما راى انه قد احرز عيره ارسل الى قريش انكم انما خرجتم
لتمنعوا عيركم ورجالكم واموالكم فقد نجاها الله فارجعوا فقال ابو جهل والله لا نرجع حتى
نرد بدرا وكان بدر موسما من مواسم العرب يجتمع لهم بها سوق في كل عام قال فنقيم عليه
ثلاثا وننحر الجزور ونطعم الطعام ونسقي الخمور وتعزف علينا القيان وتسمع بنا العرب فلا يزالون
يهابوننا ابدا فامضوا اذ عيره فقال فلما وافوا بدرا سقوا كوس الحمام عوضا عن الخمر وناحت عليهم
النوائح مكان القيان فنهى الله عباده المؤمنين ان يكونوا مثلهم والمعنى لا يكونن امركم ايها المؤمنون
رياء وسمعة ولا لالتماس ما عند الناس ولكن اخلصوا لله عز وجل النية وقاتلوا حسبة في نصر دينكم
وموازرة نبيكم صلى الله عليه وسلم ولا تعملوا الا لذلك ولا تطلبوا غيره وقوله والله بما يعملون محيط
فيه وعيد وتهديد يعني ان الله تعالى عالم بجميع الاشياء لا يخفى عن علمه شيء لانه محيط باعمال العباد
كلها فيجازي المحسن ويعاقب المسيئين قوله تعالى واذ زين لهم الشيطان اعمالهم يعني اذكروا ايها

المومنون نعمة الله عليكم اذ زين الشيطان يريد ابليس للمشركين اعمالهم الخبيثة وقال لا غالب
لكم اليوم من الناس واني جار لكم قال بعضهم كان تزيينه وسوسة القاها في قلوبهم من غير ان
يتحول في صورة غير صورته وقال جمهور المفسرين تصور ابليس في صورة سراقة بن مالك بن جعشم
وكان تزيينه ان قريشا لما اجتمعت على المسير الى بدر ذكرت الذي بينها وبين بني بكر بن الحارث
من الحروب فكاد ذلك ان يثنيهم فتبدى لهم ابليس في صورة سراقة بن مالك بن جعشم المدلجي
وكان من اشراف بني كنانة فقال انا جار لكم من ان ياتيكم من كنانة شيء تكرهونه فخرجوا
سراعا وقال ابن عباس جاء ابليس يوم بدر في جند من الشياطين معه رايته في صورة رجل
من رجال بني مدلج سراقة بن مالك بن جعشم فقال الشيطان للمشركين لا غالب لكم اليوم من
الناس واني جار لكم فلما اصطف الناس اخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم قبضة من التراب
فرمى بها في وجوه المشركين فولوا مدبرين واقبل جبريل عليه السلام الى ابليس لعنه الله
فلما راه وكانت يده في يد رجل من المشركين انتزع ابليس يده ثم ولى مدبرا وشيعته فقال
الرجل يا سراقة اتزعم انك جار لنا فقال اني ارى ما لا ترون اني اخاف الله والله شديد العقاب
وذلك حين راى الملائكة وقوله اني جار لكم يعني مجير لكم من كنانة فلما تراءت الفئتان اي التقى
الجمعان راى ابليس الملائكة قد نزلوا من السماء علم عدو الله ابليس انه لا طاقة له بهم نكص على
عقبيه وقال اني بريء منكم يعني رجع القهقرى وولى مدبرا هاربا على قفاه وقال الكلبي لما
التقى الجمعان كان ابليس في صف المشركين على صورة سراقة بن مالك بن جعشم وهو اخذ بيد
الحارث بن هشام فنكص عدو الله ابليس على عقبيه فقال له الحارث افرارا من غير قتال وجعل
يمسكه فدفع في صدره وانطلق فانهزم الناس فلما قدموا مكة قالوا هزم الناس سراقة فبلغ
ذلك سراقة فقال بلغني انكم تقولون اني هزمت الناس فوالله ما شعرت بمسيركم حتى بلغني
هزيمتكم فقالوا اما اتيتنا في يوم كذا وكذا فحلف لهم فلما اسلموا علموا ان ذلك كان شيطانا
قال الحسن في قوله اني ارى ما لا ترون قال راى ابليس جبريل عليه السلام معتجرا ببرد يمشي بين يدي
النبي صلى الله عليه وسلم وفي يده اللجام يقود الفرس ما ركب وقال قتادة قال ابليس اني ارى
ما لا ترون وصدق وقال اني اخاف الله وكذب ما به مخافة الله ولكن علم انه لا قوة له ولا
منعة فاوردهم واسلمهم وتلك عادة عدو الله ابليس لمن اطاعه اذا التقى الحق والباطل
اسلمهم وتبرا منهم وقيل انه خاف ان يهلك فيمن هلك وقيل خاف ان ياخذه جبريل
فيعرف حاله فلا يطيعوه وقيل معناه اني اخاف الله اعلم صدق وعده لاوليائه لانه
كان على ثقة من امره وقيل لما راى الملائكة قد نزلت من السماء خاف ان تكون القيامة
والله شديد العقاب قيل معناه اني اخاف الله لانه شديد العقاب فعلى هذا يكون من
تمام قول ابليس وقيل تم كلامه عند قوله اني اخاف الله وقوله والله شديد العقاب ابتدا

كلام يقول الله والله شديد العقاب لمن خاف الله وكفر به عن طلحة بن عبيد الله بن كريز
أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما رؤي الشيطان يوماً هو فيه أصغر ولا أدحر ولا أحقر
ولا أغيظ منه في يوم عرفة وما ذاك إلا لما يرى من تنزل الرحمة وتجاوز الله عن الذنوب العظام
إلا ما رؤي يوم بدر فإنه قد رأى جبريل يزع الملائكة أخرجه مالك في الموطأ قوله ولا أدحر
هو بالدال والحاء المهملتين من الدحور وهو الإبعاد والطرد مع الإهانة وقوله يزع الملائكة
أي يكفهم ويحبسهم لئلا يتقدم بعضهم على بعض والوازع هو الذي يتقدم ويتأخر في الصف
ليصلحه فإن قلت كيف يقدر إبليس على أن يتصور بصورة البشر وإذا تشكل بصورة البشر
فكيف يسمى شيطاناً قلت إن الله عز وجل أعطاه قوة وأقدره على ذلك كما أعطى الملائكة
قوة وأقدرهم على أن يتشكلوا بصورة البشر لكن النفس الباطنة لم تتغير فلم يلزم من تغير
الصورة تغير الحقيقة قوله عز وجل **إذ يقول المنافقون** يعني من أهل المدينة **والذين في**
قلوبهم مرض أي شك وارتياب هم قوم من أهل مكة تكلموا بالإسلام ولم يقو الإسلام في
قلوبهم ولم يتمكن فلما خرج كفار قريش إلى حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم خرجوا معهم
إلى بدر فلما نظروا إلى قلة المسلمين ارتابوا وارتدوا وقالوا **غر هؤلاء دينهم** يعني أن هؤلاء
نفر قليلون يقاتلون أضعافهم فقد غرهم دينهم الإسلام على ذلك وحملهم على قتل أنفسهم
رجاء الثواب في الآخرة فقتلوا جميعاً يوم بدر وقال مجاهد إن فئة من قريش وهم قيس بن
الوليد بن المغيرة وأبو قيس بن الفاكه بن المغيرة والحارث بن زمعة بن الأسود بن المطلب وعلي بن
أمية بن خلف والعاص بن منبه بن الحجاج خرجوا مع قريش من مكة وهم على الارتياب
فحبسهم ارتيابهم فلما رأوا قلة أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا غر هؤلاء دينهم
ثم قال تعالى **ومن يتوكل على الله** يعني ومن يسلم أمره إلى الله ويثق بفضله ويعول على إحسانه
فإن الله حافظه وناصره لأنه **عزيز** لا يغلبه شيء **حكيم** يعني فيما قضى وحكم فيوصل الثواب
إلى أوليائه والعقاب إلى أعدائه قوله تعالى **ولو ترى إذ يتوفى الذين كفروا الملائكة** يعني ولو عاينت
يا محمد وشاهدت إذ تقبض الملائكة أرواح الذين كفروا عند الموت لرأيت أمراً عظيماً ومنظراً
فظيعاً وعذاباً شديداً ينالهم في ذلك الوقت **يضربون وجوههم وأدبارهم** اختلفوا في وقت
هذا الضرب فقيل هو عند الموت تضرب الملائكة وجوه الكفار وأدبارهم بسياط من نار
وقيل إن الذين قتلوا يوم بدر من المشركين كانت الملائكة تضرب وجوههم وأدبارهم وقال
ابن عباس كان المشركون إذا أقبلوا بوجوههم إلى المسلمين ضربت الملائكة وجوههم بالسيوف
وإذا ولوا أدبارهم ضربت الملائكة أدبارهم وقال ابن جريج يريد ما أقبل من أجسادهم وأدبر
يعني يضربون جميع أجسادهم **وذوقوا عذاب الحريق** يعني وتقول لهم الملائكة عند القتل ذوقوا
عذاب الحريق قيل كان مع الملائكة مقامع من حديد محمية بالنار يضربون بها الكفار فتلتهب

النار في جراحاتهم وقال ابن عباس تقول لهم الملائكة ذلك بعد الموت وقال الحسن هذا يوم
القيامة تقول لهم الزبانية ذوقوا عذاب الحريق **ذلك** يعني الذي نزل بكم من القتل والضرب والحريق
بما قدمت أيديكم يعني إنما حصل لكم ذلك بسبب ما كسبت أيديكم من الكفر والمعاصي فإن قلت اليد
ليست محلاً للكفر وإنما محله القلب لأن الكفر اعتقاد والاعتقاد محله القلب وظاهر الآية
يقتضي أن فاعل هذا الكفر هي اليد وذلك ممتنع قلت اليد هنا عبارة عن القدرة لأن اليد آلة
العمل والقدرة هي المؤثرة في العمل فاليد كناية عن القدرة وقوله **وأن الله ليس بظلام للعبيد**
يعني أنه تعالى لا يعذب أحداً من خلقه إلا بجرم اجترمه لأنه لا يظلم أحداً من خلقه وإنما نفى الله
الظلم عن نفسه مع أنه يعذب الكافر على كفره والعاصي على عصيانه لأنه متصرف في ملكه كيف
شاء ومن كان كذلك استحال نسبة الظلم إليه فلا يتوهم متوهم أنه تعالى مع خلقه كفر الكافر
وتعذيبه عليه ظالم فلهذا قال الله تعالى وأن الله ليس بظلام للعبيد لأنهم في ملكه وتحت قدرته فهو
يتصرف فيهم كيف شاء **كدأب آل فرعون** يعني أن عادة هؤلاء الكفار في كفرهم كعادة آل فرعون في
كفرهم فجوزي هؤلاء بالقتل والأسر يوم بدر كما جوزي آل فرعون بالإغراق وأصل الدأب في اللغة
إدامة العمل يقال فلان يدأب في كذا إذا داوم عليه ويتعب نفسه فيه ثم سميت العادة دأباً لأن
الإنسان يداوم على عادته ويواظب عليها قال ابن عباس معناه أن آل فرعون أيقنوا أن موسى عليه
السلام نبي من الله تعالى فكذبوه فكذلك هؤلاء لما جاءهم محمد صلى الله عليه وسلم بالصدق فكذبوه
فأنزل بهم عقوبته كما أنزل بآل فرعون **والذين من قبلهم** يعني من قبل آل فرعون **كفروا بآيات الله** يعني أن
عادة الأمم السالفة هو كفرهم بآيات الله **فأخذهم الله بذنوبهم** يعني بسبب كفرهم وذنوبهم **إن الله**
قوي في أخذه وانتقامه ممن كفر به وكذب رسله **شديد العقاب** يعني لمن كفر به وكذب رسله **ذلك بأن**
الله لم يك مغيراً نعمة أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم يعني أن الله تعالى أنعم على أهل مكة
بأن أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف وبعث إليهم محمداً صلى الله عليه وسلم فقابلوا هذه النعم بأن
تركوا شكرها وكذبوا رسوله محمداً صلى الله عليه وسلم وغيروا ما بأنفسهم فسلبهم الله تعالى النعمة
وأخذهم بالعقاب قال السدي نعمة الله محمد صلى الله عليه وسلم أنعم بها على قريش فكفروا به وكذبوه
فنقله الله إلى الأنصار **وأن الله سميع** يعني لأقوال خلقه لا يخفى عليه شيء من كلامهم **عليم**
يعني بما قصدوه من خير أو شر فيجازي كل واحد على عمله **كدأب آل فرعون** يعني أن هؤلاء
الكفار الذين قتلوا يوم بدر غيروا نعمة الله عليهم كصنيع آل فرعون **والذين من قبلهم كذبوا**
بآيات ربهم فأهلكناهم بذنوبهم يعني أهلكنا بعضهم بالرجفة وبعضهم بالخسف وبعضهم
بالحجارة وبعضهم بالريح وبعضهم بالمسخ كذلك أهلكنا كفار قريش بالسيف **وأغرقنا آل**
فرعون وكل كانوا ظالمين يعني الأولين والآخرين فإن قلت ما الفائدة في هذه الآية مرة ثانية
قلت فيها فوائد منها أن الكلام الثاني يجري مجرى التفصيل للكلام الأول لأن الآية الأولى

فيها ذكر اخذهم وفي الاية الثانية ذكر اغراقهم فذلك تفسير الاول الفايدة الثانية انه
ذكر في الاية الاولى انهم كفروا بايات الله وفي الاية الثانية انهم كذبوا بايات ربهم ففي
الاية الاولى اشارة الى انهم انكروا ايات الله وجحدوها وفي الثانية اشارة الى انهم كذبوا
بها مع جحودهم لها وكفرهم بها الفايدة الثالثة ان تكرير هذه القصة للتاكيد وفي قوله
كذبوا بايات ربهم زيادة دلالة على كفران النعم وجحود الحق وفي ذكر الاغراق بيان للاخذ
بالذنوب قوله تعالى ان شر الدواب عند الله يعني في علمه وحكمه الذين كفروا فهم لا يومنون يعني
ان شر الدواب من الانس الكفار المصرين على الكفر نزلت في يهود بني قريظة رهط كعب بن الاشرف
الذين عاهدت منهم قيل من صلة يعني الذين عاهدتهم وقيل هي للتبعيض لان المعاهدة مع بعض
القوم وهم الروسا والاشراف ثم ينقضون عهدهم في كل مرة قال المفسرون ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم كان عاهد يهود بني قريظة ان لا يحاربوه ولا يعاونوا عليه فنقضوا العهد واعانوا
مشركي مكة بالسلاح على قتال رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه ثم قالوا نسينا واخطانا
فعاهدهم الثانية فنقضوا العهد ايضا وما لوا الكفار على رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم
الخندق وركب كعب بن الاشرف الى مكة فوافقهم على مخالفة رسول الله صلى الله عليه وسلم
وهم لا يتقون يعني انهم لا يخافون الله في نقض العهد لان عادة من رجع الى دين وعقل وحزم
ان يتقي نقض العهد حتى يسكن الناس الى قوله ويثقون بكلامه فبين الله عز وجل ان من جمع بين
الكفر ونقض العهد انه من شر الدواب فاما تثقفنهم في الحرب يعني فاما تجدن هولا الذين
نقضوا عهدك وتظفر بهم في الحرب فشرد بهم من خلفهم قال ابن عباس معناه فنكل بهم من وراهم
وقال سعيد بن جبير انذر بهم من خلفهم واصل التشريد في اللغة التفريق مع اضطراب ومعنى الاية
انك اذا ظفرت بهولا الكفار الذين نقضوا العهد فافعل بهم فعلا من القتل والتنكيل تفرق به
جمع كل ناقض للعهد حتى يخافك من وراهم من اهل مكة واليمن لعلهم يذكرون يعني لعل ذلك
النكال يمنعهم من نقض العهد واما تخافن يعني واما تعلمن يا محمد من قوم يعني معاهدين خيانة
يعني نقضا للعهد بما يظهر لك منهم من اثار الغدر كما ظهر من بني قريظة والنضير فانبذ اي
فاطرح اليهم يعني عهدهم وارم به اليهم على سوا يعني على طريق ظاهر مستو يعني اعلمهم قبل حربك
اياهم انك قد فسخت العهد بينك وبينهم حتى تكون انت وهم في العلم بنقض العهد سوا فلا
يتوهموا انك نقضت العهد او لا تنصب الحرب معهم ان الله لا يحب الخاينين يعني في نقض العهود
عن سليم بن عامر رجل من حمير قال كان بين معاوية وبين الروم عهد وكان يسير نحو بلادهم
ليغزو حتى اذا انقضى العهد غزاهم فجاء رجل على فرس او برذون وهو يقول الله اكبر الله اكبر
وفا لا غدر فاذا هو عمرو بن عبسة فارسل اليه معاوية فساله فقال سمعت رسول الله صلى
الله عليه وسلم يقول من كان بينه وبين قوم عهد فلا يشد عقدة ولا يحلها حتى ينقضي امدها

اونبنذ

او ينبذ اليهم على سوا فرجع معاوية اخرجه ابو داود واخرجه الترمذي عن سليم بن
عامر نفسه بلا زيادة رجل من حمير وعنده الله اكبر مرة واحدة وفيه جا على دابة او فرس
واما حكم الاية فقال اهل العلم اذا ظهرت اثار نقض العهد ممن هادنهم الامام من
المشركين بامر ظاهر مستفيض استغنى الامام عن نبذ العهد واعلامهم بالحرب وان ظهرت
الخيانة بامارات تلوح وتتضح له من غير امر مستفيض فح يجب على الامام ان ينبذ اليهم العهد
ويعلمهم بالحرب وذلك لان قريظة كانوا قد عاهدوا النبي صلى الله عليه وسلم ثم اجابوا ابا سفيان
ومن معه من المشركين الى مظاهرتهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فحصل لرسول الله صلى الله
عليه وسلم خوف الغدر به واصحابه فههنا يجب على الامام ان ينبذ اليهم على سوا ويعلمهم بالحرب
واما اذا ظهر نقض العهد ظهورا مقطوعا به فلا حاجة للامام الى نبذ العهد بل يفعل كما فعل
رسول الله صلى الله عليه وسلم باهل مكة لما نقضوا العهد بقتل خزاعة وهم في ذمة النبي صلى الله
عليه وسلم فلم يرعهم الا وجيش رسول الله صلى الله عليه وسلم بمر الظهران وذلك على اربع فراسخ من
مكة وقوله تعالى ولا تحسبن قرى بالتا على الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمعنى ولا تحسبن يا محمد
الذين كفروا سبقوا يعني فاتوا وانهزموا يوم بدر وقرى باليا على الغيبة ومعناه ولا يحسبن
الذين كفروا ان سبقوا يعني خلصوا من القتل والاسر يوم بدر انهم لا يعجزون يعني انهم بهذا السبق
لا يعجزون الله من الانتقام منهم اما في الدنيا بالقتل واما في الاخرة بعذاب النار وفيه تسلية
للنبي صلى الله عليه وسلم فيمن فاته من المشركين ولم ينتقم منهم فاعلمه الله انهم لا يعجزونه قوله عز وجل
واعدوا لهم ما استطعتم من قوة الاعداد اتخاذ الشي لوقت الحاجة اليه وفي المراد بالقوة اقوال
احدها انها جميع انواع الاسلحة والالات التي تكون لكم قوة في الحرب على قتال عدوكم الثاني انها
الحصون والمعاقل الثالث الرمي وقد جاءت مفسرة عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما رواه عقبة بن عامر
قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على المنبر يقول واعدوا لهم ما استطعتم من قوة الا ان
القوة الرمي ثلاثا اخرجه مسلم خ عن ابي اسيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر حين
صففنا لقريش اذا اكثبوكم يعني غشوكم وفي رواية اكثروكم فارموهم واستبقوا نبلكم وفي رواية
اذا اكثبوكم فعليكم بالنبل م عن عقبة بن عامر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ستفتح عليكم
الروم ويكفيكم الله فلا يعجز احدكم ان يلهو باسهمه م عن فقيم اللخمي قال قلت لعقبة بن عامر تختلف
بين هذين الغرضين وانت شيخ ويشق عليك فقال عقبة لولا كلام سمعته من رسول الله صلى الله
عليه وسلم لم اعانه قال قلت وما ذاك قال سمعته يقول من تعلم الرمي ثم تركه فليس منا او فقد عصى
عن ابي نجيح السلمي قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من بلغ بسهم فهو له درجة في الجنة
فبلغت يومئذ ستة عشر سهما قال وسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من رمى بسهم في
سبيل الله فهو عدل محرر اخرجه النسائي والترمذي بمعناه وعنده قال عدل رقبة محررة واخرجه

ابو داود ايضا عن عقبة بن عامر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله عز وجل ليدخل
بالسهم الواحد ثلاثة نفر الجنة صانعه يحتسب في عمله الخير والرامي به والممد به وفي رواية ومنبله
فارموا واركبوا وان ترموا احب الي من ان تركبوا كل لهو باطل ليس من اللهو محمود الا ثلاثة تاديب
الرجل فرسه وملاعبته اهله ورميه بقوسه اي نبله فانهن من الحق ومن ترك الرمي بعد ما علمه رغبة عنه
فانها نعمة تركها او كفرها اخرجه ابو داود وخرجه الترمذي مختصرا الى نبله خ عن سلمة بن الاكوع
قال مر النبي صلى الله عليه وسلم على نفر من اسلم ينتضلون بالسيوف فقال النبي صلى الله عليه وسلم ارموا بني
اسماعيل فان اباكم كان راميا ارموا وانا مع بني فلان فامسك احد الفريقين بايديهم فقال النبي صلى
الله عليه وسلم ارموا وانا معكم كلكم القول الرابع ان المراد بالقوة جميع ما يتقوى به في الحرب على العدو
فكل ما هو آلة يستعان بها في الجهاد فهو من جملة القوة المامور باستعدادها وقوله صلى الله عليه وسلم
الا ان القوة الرمي لا ينفي كون غير الرمي من القوة فهو كقوله صلى الله عليه وسلم الحج عرفة وقوله الندم توبة
فهذا لا ينفي اعتبار غيره بل يدل على ان هذا المذكور من افضل المقصود واجله فكذا ها هنا يحمل معنى
الاية على استعداد القتال في الحرب وجهاد العدو بجميع ما يمكن من الالات كالرمي بالنبل والنشاب
والسيف والدرع وتعليم الفروسية كل ذلك مامور به الا انه من فروض الكفايات وقوله تعالى **ومن
رباط الخيل** يعني اقتناها وربطها للغزو في سبيل الله والربط شد الفرس وغيره بالمكان للحفظ
وسمي المكان الذي يخص باقامة حفظها فيه رباطا والمرابطة اقامة المسلمين بالثغور للحراسة فيها
وربط الخيل للجهاد من اعظم ما يستعان به روي ان رجلا قال لابن سيرين ان فلانا اوصى بثلث
ماله للحصون فقال ابن سيرين يشترى به الخيل وتربط في سبيل الله وقال عكرمة القوة الحصون ومن
رباط الخيل يعني الاناث ووجه هذا ان العرب تربط الاناث من الخيل بالافنية للنسل وروي ان
خالد بن الوليد كان لا يركب في القتال الا الاناث لقلة صهيلها وعن ابن محيريز قال كانت الصحابة
يستحبون ذكور الخيل عند الصفوف واناث الخيل عند البيات والغارات وقيل ربط الفحول اولى من
الاناث لانها اقوى على الكر والفر والعدو فكانت المحاربة عليها اولى من الاناث وقيل ان لفظ الخيل عام
فيتناول الفحول والاناث فاي ذلك ربط بنية الغزاة كان في سبيل الله ق عن عروة بن الجعد البارقي ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الخيل معقود في نواصيها الخير الى يوم القيامة الاجر والغنيمة ق
عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الخيل في نواصيها الخير الى يوم القيمة خ عن ابي هريرة ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال من احتبس فرسا في سبيل الله ايمانا بالله وتصديقا بوعده فان شبعه وريه
وروثه وبوله في ميزانه يوم القيامة يعني حسنات م عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
الخيل ثلاثة هي لرجل اجر ولرجل ستر وعلى رجل وزر فاما الذي هي له اجر فرجل ربطها في سبيل الله زاد
في رواية لاهل الاسلام فاطال لها في مرج او روضة فما اصابت في طيلها ذلك من المرج او الروضة كانت
له حسنات ولو انها قطعت طيلها فاستنت شرفا او شرفين كانت له اثارها وارواثها حسنات ولو انها

مرت بنهر فشربت منه ولم يرد ان يسقيها كان له ذلك حسنات فهي لذلك الرجل اجر ورجل ربطها تغنيا
وتعففا ولم ينس حق الله في رقابها ولا ظهورها فهي لذلك الرجل ستر ورجل ربطها فخرا ورياء ونواء لاهل
الاسلام فهي على ذلك وزر وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الحمر فقال ما انزل علي فيها شيء الا هذه الاية
الجامعة الفاذة فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره الطيل الحبل الذي يشد به الفرس وقت
الرعي والاستنان الجري والشرف الشوط الذي تجري فيه الفرس وقوله تغنيا يعني استغناء بها عن الطلب لما في ايدي
الناس اما حق ظهورها فهو ان يحمل عليها منقطعا الى اهله واما حق رقابها فقيل اراد بها الاحسان اليها
وقيل اراد به الحمل عليها فعبر بالرقبة عن الذات وقوله ونواء لاهل الاسلام النواء المعاداة يقال ناوات
الرجل مناواة اذا عاديته وقوله تعالى **ترهبون به عدو الله وعدوكم** يعني تخوفون بتلك القوة وبذلك الرباط
عدو الله وعدوكم يعني الكفار من اهل مكة وغيرهم وقال ابن عباس تخزون به عدو الله وعدوكم وذلك لان
الكفار اذا علموا ان المسلمين متاهبين للجهاد مستعدين له متمكنين بجميع الاسلحة والات الحرب واعداد
الخيل مربوطة للجهاد خافوهم فلا يقصدون دخول دار الاسلام بل يصير ذلك سببا لدخول الكفار في
الاسلام او بذل الجزية للمسلمين وقوله تعالى **واخرين من دونهم** يعني وترهبون اخرين من دونهم اختلف
العلماء فيهم فقال مجاهد هم بنو قريظة وقال السدي هم فارس وقال ابن زيد هم المنافقون لقوله تعالى
لا تعلمونهم لانهم معكم يقولون بالسنتهم لا اله الا الله **الله يعلمهم** يعني انهم منافقون ورد على هذا
القول ان المنافقين لا يقاتلون لاظهارهم كلمة الاسلام فكيف يخوفون باعداد القوة ورباط الخيل واجيب
عن هذا الايراد ان المنافقين اذا شاهدوا قوة المسلمين وكثرة الاتهم واسلحتهم كان ذلك مما يخوفهم ويحزنهم
فكان ذلك ارهابهم وقال الحسن هم كفار الجن وصحح هذا القول الطبري قال لان الله تعالى قال لا تعلمونهم
ولا شك ان المومنين كانوا عالمين بعداوة قريظة وفارس لعلمهم بانهم مشركون ولانهم حرب للمومنين اما الجن
فلا يعلمونهم الله يعلمهم يعني يعلم احوالهم واماكنهم دونكم ويعضد هذا القول ما روي ان النبي صلى الله
عليه وسلم قال هم الجن وان الشيطان لا يخبل احدا في داره فرس عتيق ذكر هذا الحديث ابن الجوزي وغيره
من المفسرين بغير اسناد وقال الحسن صهيل الخيل يرهب الجن وقوله تعالى **وما تنفقوا من شيء في سبيل الله**
قيل اراد به نفقة الجهاد والغزو وقيل هو عام في كل وجوه الخير والطاعة فيدخل فيه نفقة الجهاد وغيره
يوف اليكم اجره يعني في الاخرة ويعجل لكم عوضه في الدنيا **وانتم لا تظلمون** يعني وانتم لا تنقصون
من ثواب اعمالكم شيئا قوله تعالى **وان جنحوا للسلم فاجنح لها** لما امر الله عباده المومنين باعداد القوة وما
يرهب العدو امرهم بعد ذلك ان يقبلوا منهم الصلح ان مالوا اليه وسالوه فقال تعالى وان جنحوا يعني
مالوا الى السلم يعني المصالحة فاقبلوا منهم الصلح وهو قوله فاجنح لها اي مل اليها اي الى المصالحة روي
عن الحسن وقتادة ان هذه الاية منسوخة باية السيف وقيل انها غير منسوخة لكنها تتضمن الامر
بالصلح اذا كان فيه مصلحة ظاهرة فان راى الامام ان يصالح اعداءه من الكفار وفيه قوة فلا يجوز ان
يهادنهم سنة كاملة وان كانت القوة للمشركين جاز ان يهادنهم عشر سنين ولا يجوز الزيادة عليها اقتداء

برسول الله صلى الله عليه وسلم فانه صالح اهل مكة عشر سنين ثم انهم نقضوا العهد قبل انقضا
المدة وقوله تعالى وتوكل على الله يعني فوض امرك الى الله فيما عقدته معهم ليكون عونا لك في جميع
احوالك انه هو السميع يعني لاقوالهم العليم باحوالهم قوله عز وجل وان يريدوا ان يخدعوك يعني يغدروا
بك قال مجاهد يعني بني قريظة والمعنى وان ارادوا باظهار الصلح خديعتك لتكف عنهم
فان حسبك الله يعني فان الله كافيك بنصره ومعونته هو الذي ايدك بنصره يعني هو قواك واعانك
بنصره يوم بدر وفي سائر ايامك وبالمؤمنين يعني وايدك بالمؤمنين يعني الانصار فان قلت اذا
كان الله قد ايده بنصره فاي حاجة الى نصر المؤمنين حتى يقول وبالمؤمنين قلت التاييد والنصر
من الله عز وجل وحده لكنه يكون باسباب باطنة غير معلومة وباسباب ظاهرة معلومة
فاما الذي يكون بالاسباب الظاهرة فهو المراد بقوله وبالمؤمنين لان اسبابه ظاهرة بوسائط
وهم المؤمنون والله تعالى هو مسبب الاسباب وهو الذي اقامهم لنصره ثم بين كيف ايده بالمؤمنين
فقال تعالى والف بين قلوبهم لو انفقت ما في الارض جميعا ما الفت بين قلوبهم ولكن الله الف بينهم
وذلك ان العرب كان فيهم من الحمية الشديدة والانفة العظيمة والانفس القوية والعصبية
والانطواء على الضغينة في ادنى شيء حتى لو ان رجلا من قبيلة لطم لطمة واحدة قاتل عنه اهل
قبيلته حتى يدركوا ثارهم ولا يكاد يأتلف منهم قلبان فلما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم
وامنوا به واتبعوه انقلبت تلك الحالة فائتلفت قلوبهم واجتمعت كلمتهم وزالت حمية الجاهلية
من قلوبهم وابدلت تلك الضغائن والتحاسد بالمودة والمحبة لله وفي الله واتفقوا على الطاعة
وصاروا انصارا لرسول الله صلى الله عليه وسلم واعوانا يقاتلون عنه ويحمونه وهم الاوس والخزرج
وكان بينهم في الجاهلية حروب عظيمة ومعاداة شديدة ثم زالت تلك الحروب وحصلت الالفة
والمحبة وهذا مما لا يقدر عليه الا الله عز وجل وصار ذلك معجزة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ظاهرة
باهرة دالة على صدقه ومنه قوله صلى الله عليه وسلم يا معشر الانصار الم اجدكم ضلالا فهداكم الله
وكنتم متفرقين فالفكم الله بي وعالة فاغناكم الله بي وفي الاية دليل على ان القلوب بيد الله يصرفها
كيف شاء واراد وذلك لان تلك الالفة والمحبة انما حصلت بسبب الايمان واتباع الرسول صلى الله
عليه وسلم ثم انه تعالى ختم هذه بقوله انه عزيز حكيم يعني قادر قاهر يمكنه التصرف في القلوب فيقلبها
من العداوة الى المحبة ومن النفرة الى الالفة وكل ذلك على وجه الحكمة والصواب قوله تعالى يا ايها النبي
حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين روى سعيد بن جبير عن ابن عباس ان هذه الاية نزلت في اسلام عمر
ابن الخطاب قال سعيد بن جبير اسلم مع النبي صلى الله عليه وسلم ثلاثة وثلاثون رجلا وست نسوة
ثم اسلم عمر فنزلت هذه الاية فعلى هذا القول تكون الاية مكية كتبت في سورة مدنية بامر رسول الله صلى
الله عليه وسلم وقيل انها نزلت بالبيداء في غزوة بدر قبل القتال فعلى هذا القول المراد بقوله ومن اتبعك
من المؤمنين الانصار والاية نزلت بالمدينة وقيل اراد جميع المهاجرين والانصار ومعنى الاية يا ايها

النبي حسبك الله وحسب من اتبعك من المؤمنين وقيل معناه حسبك الله ومتبوعك من المؤمنين
قوله تعالى يا ايها النبي حرض المؤمنين على القتال يعني حثهم على قتال عدوهم والتحريض في اللغة
الحث على الشيء بكثرة التزيين وتسهيل الخطب فيه كانه في الاصل ازالة الحرض وهو الهلاك ان يكن
منكم عشرون يعني رجلا صابرون يعني عند اللقاء محتسبين انفسهم يغلبوا مائتين يعني من عدوهم
وظاهر لفظ الاية خبر ومعناه الامر فكانه قال ان يكن منكم عشرون فليصبروا وليجتهدوا في قتال
عدوهم حتى يغلبوا مائتين ويدل على ان المراد بهذا الخبر الامر قوله الان خفف الله عنكم لان النسخ لا يدخل
على الاخبار انما يدخل على الامر فدل ذلك على ان الله تعالى اوجب على المؤمنين هذا الحكم وانما حسن
هذا التكليف لان الله وعدهم بالنصر ومن تكفل الله له بالنصر سهل عليه الثبات مع الاعداء وان
يكن منكم مائة يعني صابرة يغلبوا الفا من الذين كفروا وحاصله وجوب ثبات الواحد من المؤمنين
في مقابلة العشرة من الكفار ذلك بانهم قوم لا يفقهون يعني ان المشركين لا يقاتلون لطلب ثواب وخوف
عقاب انما يقاتلون حمية فاذا صدقتموهم في القتال فانهم لا يثبتون معكم الان خفف الله عنكم وعلم
ان فيكم ضعفا فان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين وان يكن منكم الف يغلبوا الفين باذن الله خ عن
ابن عباس قال لما نزلت ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين كتب عليهم ان لا يفر واحد من عشرة
ولا عشرون من مائتين ثم نزلت الان خفف الله عنكم الاية فكتب ان لا يفر مائة من مائتين وفي رواية اخرى
عنه قال لما نزلت ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين شق ذلك على المسلمين فنزلت الان خفف
الله عنكم الاية فلما خفف الله عنهم من العدة نقص عنهم من الصبر بقدر ما خفف عنهم فظاهر هذا
ان قوله الان خفف الله عنكم ناسخ لما تقدم في الاية الاولى وكان هذا الامر يوم بدر فرض الله تعالى
على الرجل الواحد من المؤمنين قتال عشرة من الكافرين فثقل ذلك على المؤمنين فنزل الان خفف الله
عنكم ايها المؤمنون وعلم ان فيكم ضعفا يعني في قتال الواحد للعشرة فان يكن منكم مائة صابرة
محتسبة يغلبوا مائتين وان يكن منكم الف يغلبوا الفين باذن الله فرد الله من العشرة الى الاثنين
فاذا كان المسلمون على قدر النصف من عدوهم لا يجوز لهم ان يفروا وايما رجل فر من ثلاثة فلم يفر
ومن فر من اثنين فقد فر والله مع الصابرين يعني بالنصر والمعونة قال سفيان قال ابن شبرمة وارى الامر
بالمعروف والنهي عن المنكر مثل ذلك قوله تعالى ما كان لنبي ان يكون له اسرى م عن عبد الله بن مسعود قال
لما كان يوم بدر وجيء بالاسرى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما تقولون في هؤلاء فقال ابو بكر يا رسول
الله قومك واهلك استبقهم واستان بهم لعل الله ان يتوب عليهم وخذ منهم فدية تكون لنا قوة على الكفار
وقال عمر يا رسول الله كذبوك واخرجوك قدمهم نضرب اعناقهم مكن عليا من عقيل فيضرب عنقه
ومكني من فلان نسيب لعمر فاضرب عنقه فان هؤلاء ائمة الكفر وقال عبد الله بن رواحة يا رسول الله
انظر واديا كثير الحطب فادخلهم فيه ثم اضرمه عليهم نارا فقال له العباس قطعت رحمك فسكت رسول
الله صلى الله عليه وسلم فلم يجبهم ثم دخل فقال ناس ياخذ بقول ابي بكر وقال ناس ياخذ بقول عمر وقال

ناس يا خذ بقول ابن رواحة ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان الله ليلين قلوب رجال
حتى تكون الين من اللين ويشد قلوب رجال حتى تكون اشد من الحجارة وان مثلك يا ابا بكر مثل ابراهيم
قال فمن تبعني فانه مني ومن عصاني فانك غفور رحيم ومثلك يا ابا بكر مثل عيسى قال ان تعذبهم فانهم
عبادك وان تغفر لهم فانك انت العزيز الحكيم ومثلك يا عمر مثل نوح قال رب لا تذر على الارض من
الكافرين ديارا ومثلك كمثل موسى قال ربنا اطمس على اموالهم واشدد على قلوبهم الاية ثم قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم انتم عالة فلا يفلتن احد منهم الا بفدا او ضرب عنق قال عبد الله بن مسعود الا سهيل
ابن بيضا فانه سمعته يذكر الاسلام فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فما رايتني في يوم اخوف
ان تقع علي الحجارة من السما من ذلك اليوم حتى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا سهيل بن بيضا
قال ابن عباس قال عمر بن الخطاب فهوي رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قال ابو بكر ولم يهو ما قلت واخذ
منهم الفدا فلما كان من الغد جيت فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو بكر قاعدين يبكيان قلت
يا رسول الله اخبرني من اي شي تبكي انت وصاحبك فان وجدت بكا بكيت وان لم اجد بكا تباكيت
لبكايكما فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ابكي للذي عرض على اصحابك من اخذهم الفدا لقد عرض
علي عذابهم ادنى من هذه الشجرة لشجرة قريبة من نبي الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله عز وجل
ما كان لنبي ان يكون له اسرى حتى يثخن في الارض الاية اخرج هذا الحديث الترمذي مختصرا
وقال في الحديث قصة وهي هذه القصة التي ذكرها البغوي واخرج مسلم في افراده من حديث
عمر بن الخطاب قال ابن عباس لما اسروا الاسارى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابي بكر وعمر ما ترون
في هولا الاسارى فقال ابو بكر يا رسول الله هم بنو العم والعشيرة ارى ان تاخذ منهم فدية لنا قوة على
الكفار فعسى الله ان يهديهم الى الاسلام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ترى يا ابن الخطاب
قال قلت لا والله يا رسول الله ما ارى الذي راى ابو بكر ولكني ارى ان تمكنا فنضرب اعناقهم فتمكن عليا
من عقيل فيضرب عنقه وتمكني من فلان نسيبا لعمر فاضرب عنقه فان هولا ايمة الكفر وصناديده
فهوي رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قال ابو بكر ولم يهو ما قلت فلما كان من الغد جيت فاذا رسول
الله صلى الله عليه وسلم وابو بكر قاعدين يبكيان فقلت يا رسول الله اخبرني من اي شي تبكي انت وصاحبك
فان وجدت بكا بكيت وان لم اجد بكا تباكيت لبكايكما فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ابكي للذي عرض
على اصحابك من اخذهم الفدا لقد عرض علي عذابهم ادنى من هذه الشجرة لشجرة قريبة من نبي الله صلى
الله عليه وسلم وانزل الله عز وجل ما كان لنبي ان يكون له اسرى حتى يثخن في الارض الى قوله فكلوا مما
غنمتم حلالا طيبا فاحل الله الغنيمة لهم ذكره الحميدي في مسند عمر بن الخطاب من افراد مسلم بزيادة فيه
اما تفسير الاية فقوله تعالى ما كان لنبي ان يكون له اسرى يعني ما كان ينبغي ولا يجب لنبي وقال ابو عبيده
معناه لم يكن لنبي ذلك فلا يكون لك يا محمد والمعنى ما كان لنبي ان يحبس كافرا قدر عليه وصار في يده
اسيرا للفدا والمن والاسرى جمع اسير واسارى جمع الجمع **حتى يثخن في الارض** الاثخان في كل شي عبارة

عن قوته وشدته يقال اثخنه المرض اذا اشتدت قوته عليه والمعنى حتى يبالغ في قتل
المشركين ويغلبهم ويقهرهم فاذا حصل ذلك فله ان يقدم على الاسرى فياسر الاسارى
تريدون عرض الدنيا الخطاب لاصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يعني تريدون ايها المومنون
عرض الدنيا باخذكم الفدا من المشركين وانما سمي منافع الدنيا عرضا لانه لا ثبات لها ولا دوام
فكانها تعرض ثم تزول بخلاف منافع الاخرة فانها دايمة لا انقطاع لها وقوله تعالى
والله يريد الاخرة يعني انه تعالى يريد لكم ثواب الاخرة بقهركم المشركين ونصركم الدين لانها
دايمة بلا زوال ولا انقطاع **والله عزيز** لا يقهر ولا يغلب **حكيم** يعني في تدبير مصالح عباده
قال ابن عباس كان ذلك يوم بدر والمسلمون يوميذ قليل فلما كثروا واشتد سلطانهم انزل الله في
الاسارى فاما منا بعد واما فدا فجعل الله نبيه صلى الله عليه وسلم والمومنون بالخيار ان شاوا
قتلوهم وان شاوا استعبدوهم وان شاوا فادوهم وان شاوا اعتقوهم قال الامام فخر
الدين ان هذا الكلام يوهم ان قوله فاما منا بعد واما فدا مزيل لحكم الاية التي نحن
في تفسيرها وليس الامر كذلك لان كلتا الايتين متوافقتان وكلاهما يدلان على انه لا بد
من تقديم الاثخان ثم بعده اخذ الفدا قال العلما كان الفدا لكل اسير اربعين اوقية
والاوقية اربعون درهما فيكون مجموع ذلك الف وستماية درهم وقال قتادة كان الفدا
يوميذ لكل اسير اربعة الاف **فصل** فقد استدل بهذه الاية من يقدح في عصمة
الانبيا وبيانه من وجوه الاول ان قوله ما كان لنبي ان يكون له اسرى صريح في النهي عن اخذ
الاسارى وقد وجد ذلك يوم بدر الوجه الثاني ان الله امر النبي صلى الله عليه وسلم
وقومه بقتل المشركين يوم بدر فلما لم يقتلوهم بل اسروهم دل ذلك على صدور الذنب منهم
الوجه الثالث ان النبي صلى الله عليه وسلم حكم باخذ الفدا وهو محرم وذلك ذنب الوجه
الرابع ان النبي صلى الله عليه وسلم وابا بكر قعدا يبكيان لاجل اخذ الفدا وخوف العذاب
وقرب نزوله والجواب على الوجه الاول ان قوله تعالى ما كان لنبي ان يكون له اسرى حتى
يثخن في الارض يدل على انه كان له الاسر مشروعا ولكن بشرط الاثخان في الارض وقد
حصل لان الصحابة قتلوا يوم بدر سبعين رجلا من عظما المشركين وصناديدهم واسروا
سبعين وليس من شرط الاثخان في الارض قتل جميع الناس فدلت الاية على جواز الاسر
بعد الاثخان وقد حصل والجواب عن الوجه الثاني ان الامر بالقتل انما كان مختصا بالصحابة
لاجماع المسلمين ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يوم بمباشرة قتال الكفار بنفسه واذا ثبت ان
الامر بالقتل كان مختصا بالصحابة كان الذنب صادرا منهم لا من النبي صلى الله عليه وسلم والجواب
عن الوجه الثالث وهو ان النبي صلى الله عليه وسلم حكم باخذ الفدا وهو محرم فنقول لا نسلم ان
اخذ الفدا كان محرما واما قوله تعالى تريدون عرض الدنيا والله يريد الاخرة ففيه عتاب لطيف

لغرض اخذ الفدا من الاسارى والمبادرة اليه ولا يدل ايضا على تحريم الفدا اذ لو كان حراما
في علم الله لمنعهم من اخذه مطلقا والجواب عن الوجه الرابع وهو ان النبي صلى الله عليه وسلم
وابا بكر قعدا يبكيان يحتمل ان يكون لاجل ان بعض الصحابة لما خالفوا الامر بالقتل واشتغلوا
بالاسر استوجبوا بذلك الفعل العذاب فبكى النبي صلى الله عليه وسلم خوفا واشفاقا من
نزول العذاب عليهم بسبب ذلك الفعل وهو الاسر واخذ الفدا والله اعلم قوله عز وجل
لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما اخذتم عذاب عظيم قال ابن عباس كانت الغنايم محرمة
على الانبيا والامم وكانوا اذا اصابوا مغنما جعلوه للقربان فكانت النار تنزل من السما فتاكله
فلما كان يوم بدر اسرع المومنون في اخذ الغنايم والفدا فانزل الله لولا كتاب من الله سبق
يعني لولا قضا من الله سبق في اللوح المحفوظ بانه يحل لكم الغنايم لمسكم فيما اخذتم عذاب
عظيم وقال الحسن ومجاهد وسعيد بن جبير لولا كتاب من الله سبق انه لا يعذب احدا من
شهد بدرا مع النبي صلى الله عليه وسلم وقال ابن جريج لولا كتاب من الله سبق انه لا يضل قوما
بعد اذ هداهم حتى يبين لهم ما يتقون وانه لا ياخذ قوما بجهالة لمسكم يعني لاصابكم بسبب
ما اخذتم من الفدا قبل ان تومروا به عذاب عظيم قال محمد بن اسحاق لم يكن من المومنين احد
حضر بدرا الا واحب الغنايم الا عمر بن الخطاب فانه اشار على رسول الله صلى الله عليه وسلم
بقتل الاسرى وسعد بن معاذ فانه قال يا رسول الله كان الاثخان في القتل احب الي من استبقا
الرجال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو نزل عذاب من السما ما نجا منه غير عمر وسعد بن
معاذ وقوله تعالى فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا يعني فقد احللت لكم الغنايم واخذ الفدا
فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا وروي انه لما نزلت هذه الاية الاولى كف اصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم ايديهم عما اخذوا من الفدا فنزلت فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا فاحل الله
الغنايم بهذه الاية لهذه الامة وكانت قبل ذلك حراما على ساير الامم الماضية صح من
حديث جابر بن عبد الله ان النبي صلى الله عليه وسلم قال واحلت لي الغنايم ولم تحل لاحد
قبلي وعن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لم تحل الغنايم لاحد قبلنا ثم احل
الله لنا الغنايم ذلك بان الله راى ضعفنا وعجزنا فاحلها لنا وقوله تعالى واتقوا الله ان
الله غفور رحيم يعني خافوا الله ان تعودوا وان تفعلوا شيا من قبل انفسكم قبل ان تومروا
به واعلموا ان الله قد غفر لكم ما قدمتم عليه من هذا الذنب ورحمكم وقيل في قوله واتقوا الله
اشارة الى المستقبل وقوله ان الله غفور رحيم اشارة الى الحالة الماضية قوله تعالى يا ايها
النبي قل لمن في ايديكم نزلت في العباس بن عبد المطلب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان احد
العشرة الذين ضمنوا ان يطعموا الناس الذين خرجوا من مكة الى بدر وكان قد خرج ومعه عشرون
اوقية من ذهب ليطعم بها اذا جات نوبته فكان يوم الوقعة ببدر نوبته فارادوا ان يطعم

ذلك اليوم فاقتتلوا فلم يطعم شيا وبقيت العشرون اوقية معه فلما اسر اخذت منه فكلم
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يحسب العشرين اوقية من فدايه فابى رسول الله صلى الله عليه
وسلم وقال اما شي خرجت به تستعين به علينا فلا اتركه لك وكلف فدا ابني اخيه عقيل
ابن ابي طالب ونوفل بن الحارث فقال العباس يا محمد تتركني اتكفف قريشا ما بقيت فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم فاين الذهب الذي دفنته ام الفضل وقت خروجك من مكة وقلت
لها اني لا ادري ما يصيبني في وجهي هذا فان حدث بي حدث فهذا لك ولعبد الله ولعبيد الله
وللفضل وقثم يعني بنيه فقال العباس وما يدريك يا ابن اخي قال اخبرني به ربي فقال العباس
اشهد انك لصادق واشهد ان لا اله الا الله وانك عبده ورسوله لم يطلع عليه احد الا الله وامر
ابني اخيه عقيل ونوفل بن الحارث فاسلما فذلك قوله تعالى يا ايها النبي قل لمن في ايديكم من الاسارى
يعني الذين اسرتموهم واخذتم منهم الفدا ان يعلم الله في قلوبكم خيرا يعني ايمانا وتصديقا يوتكم خيرا
مما اخذ منكم يعني من الفدا ويغفر لكم يعني ما سلف منكم قبل الايمان والله غفور يعني لمن امن وتاب
من كفره ومعاصيه رحيم يعني باهل طاعته قال العباس فابدلني الله خيرا مما اخذ مني عشرين عبدا
كلهم تاجر يضرب بالمال الكثير ادناهم يضرب بعشرين الف درهم مكان العشرين اوقية واعطاني زمزم
وما احب ان لي بها جميع اموال اهل مكة وانا انتظر المغفرة من ربي عز وجل وقوله تعالى وان يريدوا
يعني الاسرى خيانتك يعني ان يكفروا بك فقد خانوا الله يعني فقد كفروا بالله من قبل وقيل معناه
وان ينقضوا العهد ويرجعوا الى الكفر فقد خانوا الله بذلك فامكن يعني فامكن المومنين منهم
ببدر حتى قتلوا منهم واسروا منهم وهذا نهاية الامكان وفيه بشارة للنبي صلى الله عليه وسلم بانه
يتمكن من كل احد يخونه او ينقض عهده والله عليم يعني بما في بواطنهم وضمايرهم من ايمان وتصديق
وخيانة ونقض عهد حكيم يعني حكم بانه يجازي كلا بعمله الخير بالثواب والشر بالعقاب قوله عز
وجل ان الذين امنوا وهاجروا وجاهدوا باموالهم وانفسهم في سبيل الله يعني ان الذين امنوا
بالله ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم وصدقوا بما جاءهم به وهاجروا يعني وهاجروا ديارهم
وقومهم في ذات الله عز وجل وابتغا رضوانه وهم المهاجرون الاولون وجاهدوا يعني وبذلوا
انفسهم في سبيل الله يعني طاعة الله وابتغا رضوانه والذين اووا ونصروا يعني اووا رسول
الله صلى الله عليه وسلم ومن معه من اصحابه من المهاجرين واسكنوهم منازلهم ونصروا رسول الله
صلى الله عليه وسلم وهم الانصار اوليك يعني المهاجرين والانصار بعضهم اوليا بعض يعني في
العون والنصرة دون اقربايهم من الكفار وقال ابن عباس في الميراث وكانوا يتوارثون بالهجرة فكان
المهاجرون والانصار يتوارثون دون ذوي قرابايهم وذوي ارحامهم وكان من امن ولم يهاجر لا يرث من قريبه
المهاجر حتى كان فتح مكة وانقطعت الهجرة فتوارثوا بالارحام حيث ما كانوا وصار ذلك منسوخا
بقوله واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض في كتاب الله وقوله تعالى والذين امنوا ولم يهاجروا يعني

امنوا واقاموا بمكة ما لكم من ولايتهم من شيء يعني من الميراث حتى يهاجروا يعني
الى المدينة وان استنصروكم في الدين يعني ان استنصركم الذين امنوا ولم يهاجروا فعليكم النصر
يعني فعليكم نصرهم واعانتهم الا على قوم بينكم وبينهم ميثاق اي عهد فلا تنصروهم عليهم
والله بما تعملون بصير والذين كفروا بعضهم اولياء بعض يعني في النصر والمعونة وذلك ان
كفار قريش كانوا معادين لليهود فلما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم تعاونوا عليه جميعا
قال ابن عباس يعني في الميراث وهو ان يرث الكفار بعضهم من بعض الا تفعلوه تكن فتنة في الارض
وفساد كبير قال ابن عباس الا تاخذوا في الميراث بما امرتكم به وقال ابن جريج الا تتعاونوا
وتتناصروا وقال ابن اسحاق جعل الله المهاجرين والانصار اهل ولاية في الدين دون من
سواهم وجعل الكافرين بعضهم اولياء بعض ثم قال تعالى الا تفعلوه وهو ان يتولى المومن
الكافر دون المومنين تكن فتنة في الارض وفساد كبير في الارض فالفتنة في الارض هي قوة
الكفار والفساد الكبير هو ضعف المسلمين والذين امنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل
الله والذين اووا ونصروا اولئك هم المومنون حقا يعني لا شك في ايمانهم ولا ريب لانهم
حققوا ايمانهم بالهجرة والجهاد وبذل النفس والمال في نصر الدين لهم مغفرة يعني لذنوبهم
ورزق كريم يعني في الجنة فان قلت ما معنى هذا التكرار قلت ليس فيه تكرار لانه تعالى ذكر
في الاية الاولى حكم ولاية المهاجرين والانصار بعضهم بعضا ثم ذكر في هذه الاية ما من به
عليهم من المغفرة والرزق الكريم وقيل ان اعادة الشيء مرة بعد اخرى يدل على مزيد الاهتمام به
فلما ذكرهم اولا ثم عاد الى ذكرهم ثانيا دل ذلك على تعظيم شانهم وعلو درجاتهم وهذا هو
الشرف العظيم لانه تعالى ذكر في هذه الاية من وجوه المدح ثلاثة انواع احدها قوله اولئك
هم المومنون وهذا يفيد الحصر وقوله تعالى حقا يفيد المبالغة في وصفهم بكونهم محقين في طريق
الدين وتحقيق هذا القول ان من فارق اهله وداره التي نشا فيها وبذل النفس والمال كان مومنا حقا
النوع الثاني قوله تعالى لهم مغفرة وتنكير لفظ المغفرة يدل على ان لهم مغفرة واي مغفرة لا ينالها
غيرهم والمعنى لهم مغفرة تامة كاملة ساترة لجميع ذنوبهم النوع الثالث قوله تعالى ورزق
كريم فكل شيء شرف وعظم في بابه قيل له كريم والمعنى ان لهم في الجنة رزق لا يلحقهم به غضاضة
ولا تعب وقيل ان المهاجرين كانوا على طبقات فمنهم من هاجر اولا الى المدينة وهم المهاجرون
الاولون ومنهم من هاجر الى ارض الحبشة ثم هاجر الى المدينة فهم اصحاب الهجرتين ومنهم
من هاجر بعد صلح الحديبية وقبل فتح مكة فذكر الله في الاولة اصحاب الهجرة الاولى وذكر
في الثانية اصحاب الهجرة الثانية والله اعلم بمراده وقوله تعالى والذين امنوا من بعد وهاجروا
وجاهدوا معكم اختلفوا في قوله من بعد فقيل من بعد صلح الحديبية وهي الهجرة الثانية
وقيل من بعد نزول هذه الاية وقيل من بعد غزوة بدر والاصح ان المراد به اهل الهجرة الثانية

لانها بعد الهجرة الاولى لان الهجرة انقطعت بعد فتح مكة لانها صارت دار اسلام بعد الفتح
ويدل عليه قوله صلى الله عليه وسلم لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية اخرجاه في الصحيحين
وقال الحسن الهجرة غير منقطعة ويجاب عن هذا بان المراد منه الهجرة المخصوصة من مكة الى المدينة
فاما من كان من المومنين في بلد يخاف على اظهار دينه من كثرة الكفار وجب عليه ان يهاجر الى بلد
لا يخاف فيه على اظهار دينه وقوله تعالى فاولئك منكم يعني انهم منكم وانتم منهم لكن فيه دليل
على ان مرتبة المهاجرين الاولين اشرف واعظم من مرتبة المهاجرين المتاخرين بالهجرة لان الله تعالى
الحق المهاجرين المتاخرين بالمهاجرين السابقين وجعلهم منهم وذلك معرض المدح والشرف ولولا
ان المهاجرين الاولين افضل واشرف لما صح هذا الالحاق وقوله واولوا الارحام بعضهم اولى
ببعض في كتاب الله قال ابن عباس كانوا يتوارثون بالهجرة والاخاء حتى نزلت هذه الاية واولوا
الارحام بعضهم اولى ببعض في الميراث فبين بهذه الاية ان سبب القرابة اقوى واولى من سبب
الهجرة والاخاء ونسخ بهذه الاية ذلك التوارث وقوله في كتاب الله يعني في حكم الله وقيل اراد
به في اللوح المحفوظ وقيل اراد به القران وهي ان قسمة المواريث مذكورة في سورة النسا
من كتاب الله وهو القران وتمسك اصحاب ابي حنيفة بهذه الاية في توريث ذوي الارحام واجاب
عنه الشافعي بانه لما قال في كتاب الله كان معناه في حكم الله الذي بينه في سورة النسا
فصارت هذه الاية مقيدة بالاحكام التي ذكرها في سورة النسا من قسمة المواريث واعطا
اهل الفروض فروضهم وما بقي فللعصبات وقوله تعالى ان الله بكل شيء عليم يعني انه تعالى
عالم بكل شيء لا يخفى عليه خافية والله اعلم بمراده واسرار كتابه تفسير سورة التوبة وهي
مدنية باجماعهم قال ابن الجوزي سوى ايتين في اخرها لقد جاءكم رسول من انفسكم فانها نزلت
بمكة وهي مائة وتسع وعشرون اية وقيل مائة وثلاثون اية وهي اربعة الاف وثمان وسبعون
كلمة وعشرة الاف واربعمائة وثمان وثمانون حرفا ولهذه السورة اسما عشرة التوبة وسورة براة
وهذان الاسمان مشهوران وهي المقشقشة قاله ابن عمر سميت بذلك لانها تقشقش من النفاق
اي تبرئ منه وهي المبعثرة لانها تبعثر عن اخبار المنافقين وتبحث عنها وتثيرها والفاضحة
قاله ابن عباس لانها فضحت المنافقين وسورة العذاب قاله حذيفة وهي المخزية لان فيها
خزي المنافقين وهي المدمدمة سميت بذلك لان فيها هلاك المنافقين وهي المشردة لانها تشرد
جميع المنافقين وفرقتهم وهي المثيرة لانها اثارت مخازي المنافقين وكشفت عن احوالهم وهتكت
استارهم عن سعيد بن جبير قال قلت لابن عباس سورة التوبة فقال بل هي الفاضحة ما زالت
تقول ومنهم ومنهم حتى ظنوا انه لا يبقى احد الا ذكر فيها قال قلت سورة الانفال قال نزلت
في بدر قال قلت سورة الحشر قال بل سورة بني النضير اخرجاه في الصحيحين فصل في
بيان سبب ترك كتابة التسمية في اول هذه السورة عن ابن عباس قال قلت لعثمان ما حملكم على

عمدتم الى الانفال وهي من المثاني والى براة وهي من المئين فقرنتم بينهما ولم تكتبوا سطر بسم الله الرحمن الرحيم
ووضعتموها في السبع الطول ما حملكم على ذلك قال عثمان كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مما ياتي عليه
الزمان وهو ينزل عليه السور ذوات العدد وكان اذا نزل عليه شي دعا بعض من كان يكتب فيقول ضعوا هولا
الايات في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا واذا نزلت عليه الاية يقول ضعوا هذه في السورة التي يذكر فيها كذا
وكذا وكانت الانفال من اوايل ما نزل بالمدينة وكانت براة من اخر القران نزولا وكانت قصتها شبيهة بقصتها
وظننت انها منها وقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يبين لنا انها منها من اجل ذلك قرنت بينهما
ولم اكتب بسم الله الرحمن الرحيم ووضعتها في السبع الطول اخرجه ابو داود والترمذي وقال حديث حسن
قال الزجاج والشبه الذي بينهما ان في الانفال ذكر العهود وفي براة نقضها وكان قتادة يقول هما سورة
واحدة وقال محمد بن الحنفية قلت لابي يعني علي بن ابي طالب لم لا تكتبوا في براة بسم الله الرحمن الرحيم
قال يا بني ان براة نزلت بالسيف وان بسم الله الرحمن الرحيم امان وسيل سفيان بن عيينة عن هذا
فقال لان التسمية رحمة والرحمة امان وهذه السورة نزلت في المنافقين وقال المبرد لم تفتتح هذه السورة
بيسم الله الرحمن الرحيم لان التسمية افتتاح للخير واول هذه السورة وعيد ونقض عهود فلذلك لم
تفتتح بالتسمية وسيل ابي بن كعب عن هذا فقال انها نزلت في اخر القران وكان رسول الله صلى الله
عليه وسلم يامر في كل سورة بكتابة بسم الله الرحمن الرحيم ولم يامر في براة بذلك فضمت الى الانفال
لشبهها بها وقيل ان الصحابة اختلفوا في ان سورة الانفال وسورة براة هل هما سورة واحدة
ام سورتان فقال بعضهم سورة واحدة لانهما نزلتا في القتال ومجموعهما مايتان وخمس ايات فكانت
هي السورة السابعة من السبع الطول وقال بعضهم هما سورتان فلما حصل هذا الاختلاف بين الصحابة
تركوا بينهما فرجة تنبيها على قول من يقول انهما سورتان ولم يكتبوا بسم الله الرحمن الرحيم تنبيها على قول من
يقول هما سورة واحدة اما التفسير فقوله تعالى براة من الله ورسوله يعني هذه براة واصل البراة في اللغة
العصمة يقال بريت من فلان ابرا براة اي انقطعت بيننا العصمة ولم يبق بيننا علقة وقيل معناها التباعد
مما تكره مجاورته قال المفسرون لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى تبوك فكان المنافقون يرجفون
الاراجيف وجعل المشركون ينقضون عهودا كانت بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم فامر الله
عز وجل بنقض عهودهم وذلك قوله تعالى واما تخافن من قوم خيانة الاية ففعل رسول الله صلى
الله عليه وسلم ما امر به ونبذ اليهم عهودهم قال الزجاج اي قد بري الله ورسوله من اعطايهم العهود
والوفا بها اذا نكثوا الى الذين عاهدتم من المشركين الخطاب مع اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وان كان
النبي صلى الله عليه وسلم هو الذي عاهدهم وعاقدهم الا انه هو عاقدهم واصحابه بذلك راضون فكانهم
هم عقدوا وعاهدوهم وقوله تعالى فسيحوا في الارض اي فسيروا في الارض مقبلين ومدبرين امنين
غير خايفين احدا من المسلمين واصل السياحة الضرب في الارض والاتساع فيها والبعد عن مواضع
العمارة قال ابن الانباري قوله فسيحوا فيه مضمر اي قل لهم سيحوا وليس هذا من باب الامر بل المقصود منه

الاباحة والاطلاق والاعلام بحصول الامان وزوال الخوف يعني سيحوا في الارض وانتم امنون
من القتل والقتال اربعة اشهر يعني مدة اربعة اشهر واختلف العلما في هذا التاجيل وفي هولا الذين
بري الله ورسوله من العهود التي كانت بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال مجاهد هذا التاجيل
من الله للمشركين فمن كانت مدة عهده اقل من اربعة اشهر رفعه الى اربعة اشهر ومن كانت مدته اكثر
حطه الى الاربعة اشهر ومن كان عهده بغير اجل محدود حده باربعة اشهر ثم هو بعد ذلك حرب لله
ولرسوله يقتل حيث ادرك ويوسر الا ان يتوب ويرجع الى الايمان وقيل ان المقصود من هذا التاجيل ان
يتفكروا ويحتاطوا لانفسهم ويعلموا انه ليس لهم بعد هذه المدة الا الاسلام او القتل فيصير هذا داعيا
الى الدخول في الاسلام ولئلا ينسب المسلمون الى الغدر ونكث العهد وكان ابتدا هذا الاجل يوم الحج الاكبر
وانقضاوه الى عشر من ربيع الاخر فاما من لم يكن له عهد فانما اجله انسلاخ الاشهر الحرم وذلك خمسون يوما
وقال الزهري الاشهر الاربعة شوال وذو القعدة وذو الحجة والمحرم لان هذه الاية نزلت في شوال والقول
الاول اصوب وعليه الاكثرون وقال الكلبي انما كانت الاربعة اشهر لمن كان له عهد دون الاربعة اشهر فاتم
له الاربعة اشهر فاما من كان عهده اكثر من اربعة اشهر فهذا امر باتمام عهده بقوله فاتموا اليهم عهدهم الى مدتهم
وقيل كان ابتداوها في العاشر من ذي القعدة واخرها العاشر من ربيع الاول لان الحج في تلك السنة كان في العاشر
من ذي القعدة بسبب النسي ثم صار في السنة المقبلة في العاشر من ذي الحجة وفيها حج رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقال ان الزمان قد استدار الحديث وقال الحسن امر الله عز وجل رسوله صلى الله عليه وسلم بقتال من
قاتله من المشركين فقال تعالى قاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم فكان لا يقاتل الا من قاتله ثم امره بقتال
المشركين والبراة منهم واجلهم اربعة اشهر فلم يكن لاحد منهم اجل اكثر من اربعة اشهر لا من كان له عهد
قبل البراة ولا من لم يكن له عهد فكان الاجل لجميعهم اربعة اشهر واحل دما جميعهم من اهل العهود وغيرهم
بعد انقضا الاجل وقال محمد بن اسحاق ومجاهد وغيرهما نزلت في اهل مكة وذلك ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم عاهد قريشا عام الحديبية على ان يضعوا الحرب عشر سنين يامن فيها الناس ودخلت خزاعة
في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ودخل بنو بكر في عهد قريش ثم عدت بنو بكر على خزاعة ونقضوا عهدهم
خرج عمرو بن سالم الخزاعي حتى وقف على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لاهم اني ناشد محمدا
حلف ابينا وابيه الاتلدا كنت لنا ابا وكنا ولدا ثمت اسلمنا ولم ننزع يدا فانصر هداك الله
نصرا عتدا وادع عباد الله ياتوا مددا فيهم رسول الله قد تجردا في فيلق كالبحر يجري مزبدا ابيض
مثل الشمس يسمو صعدا ان سيم خسفا وجهه تربدا ان قريشا اخلفوك الموعدا ونقضوا ميثاقك
الموكدا وزعموا ان لست تدعو احدا وهم اذل واقل عددا هم بيتونا بالحطيم هجدا وقتلونا ركعا
وسجدا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا نصرت ان لم انصركم وتجهز الى مكة ففتحها سنة ثمان
من الهجرة فلما كان سنة تسع اراد رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يحج فقيل له المشركون يحضرون ويطوفون
بالبيت عراة فبعث ابا بكر تلك السنة اميرا على الموسم ليقيم للناس الحج وبعث معه اربعين اية من سورة براة

ليقراها على اهل الموسم ثم بعث بعده عليًا على ناقته العضبا ليقرا على الناس صدر براة وامره ان
يوذن بمكة ومنى وعرفة ان قد بريت ذمة الله وذمة رسوله صلى الله عليه وسلم من كل مشرك ولا يطوف
بالبيت عريان فرجع ابو بكر فقال يا رسول الله بابي انت وامي انزل في شاني شي فقال لا ولكن لا ينبغي لاحد
ان يبلغ هذا الا رجل من اهلي اما ترضى يا ابا بكر انك كنت معي في الغار وانك معي على الحوض قال بلى يا رسول
الله فسار ابو بكر اميرًا على الحاج وعلي بن ابي طالب يوذن ببراة فلما كان قبل التروية بيوم قام ابو بكر
فخطب الناس وحدثهم عن مناسكهم واقام للناس الحج والعرب في تلك السنة على منازلهم التي كانوا عليها
في الجاهلية من امر الحج حتى اذا كان يوم النحر قام علي بن ابي طالب فاذن في الناس بالذي امر به وقرا عليهم
اول سورة براة وقال زيد بن يثيع سالنا عليا باي شي بعثت في الحجة قال بعثت باربع لا يطوف بالبيت
عريان ومن كان بينه وبين النبي صلى الله عليه وسلم عهد فهو الى مدته ومن لم يكن له عهد فاجله اربعة
اشهر ولا يدخل الجنة الا نفس مومنة ولا يجتمع المشركون والمسلمون بعد عامهم هذا في حج ثم حج رسول الله
صلى الله عليه وسلم سنة عشر حجة الوداع **ق** عن ابي هريرة ان ابا بكر بعثه في الحجة التي امره رسول الله صلى
الله عليه وسلم عليها قبل حجة الوداع في رهط يوذنون في الناس يوم النحر ان لا يحج بعد العام مشرك
ولا يطوف بالبيت عريان وفي رواية ثم اردف النبي صلى الله عليه وسلم بعلي بن ابي طالب فامره ان يوذن
ببراة قال ابو هريرة فاذن معنا في اهل منى ببراة ان لا يحج البيت بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان
وفي رواية ويوم الحج الاكبر يوم النحر والحج الاكبر الحج وانما قيل الحج الاكبر من اجل قول الناس للعمرة الحج
الاصغر قال فنبذ ابو بكر الى الناس في ذلك فلم يحج في العام القابل الذي حج فيه النبي صلى الله عليه وسلم حجة
الوداع مشرك وانزل الله في العام الذي نبذ فيه ابو بكر الى المشركين يا ايها الذين امنوا انما المشركون نجس
فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا وان خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله فصل قد
يتوهم متوهم ان في بعث علي بن ابي طالب بقراة اول براة عزل ابي بكر عن الامارة وتفضيله على ابي بكر
وذلك جهل من هذا المتوهم ويدل على ان [illegible] لم يزل اميرًا على الموسم في تلك السنة اول حديث
ابي هريرة المتقدم ان ابا بكر بعثه في رهط يوذنون في الناس الحديث وفي لفظ ابي داود والنساي قال
بعثني ابو بكر فيمن يوذن يوم النحر بمنى ان لا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان فقوله
بعثني ابو بكر فيه دليل على ان ابا بكر كان هو الامير على الناس وهو الذي اقام للناس حجهم وعلمهم
مناسكهم واجاب العلما عن بعثة رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا ليوذن في الناس ببراة بان عادة
العرب جرت ان لا يتولى تقرير العهد ونقضه الا سيد القبيلة وكبيرها او رجل من اقاربه وكان علي بن
ابي طالب اقرب الى النبي صلى الله عليه وسلم من ابي بكر لانه ابن عمه ومن رهطه فبعثه النبي صلى الله عليه وسلم
ليوذن عنه ببراة ازاحة لهذه العلة لئلا يقولوا على خلاف ما نعرفه من عادتنا في عقد العهود
ونقضها وقيل لما خص ابا بكر بتوليته على الموسم خص عليا بتبليغ هذه الرسالة تطييبا لقلبه
ورعاية لجانبه وقيل انما بعث عليا في هذه الرسالة حتى يصلي خلف ابي بكر ويكون جاريا مجرى

التنبيه

التنبيه على امامة ابي بكر بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم لان النبي صلى الله عليه وسلم
بعث ابا بكر اميرا على الحاج وولاه الموسم وبعث عليا خلفه ليقرا على الناس براة فكان
ابو بكر الامام وعلي الموتم وكان ابو بكر الخطيب وعلي المستمع وكان ابو بكر المتولي امر الموسم
والامير على الناس ولم يكن ذلك لعلي فدل ذلك على تقدم ابي بكر على علي وفضله عليه والله اعلم
وقوله تعالى **واعلموا انكم غير معجزي الله** يعني ان هذا الامهال ليس لعجز عنكم ولكن لمصلحة
ولطف بكم ليتوب تايب وقيل معناه فسيحوا في الارض اربعة اشهر عالمين انكم لا تعجزون الله
بل هو يعجزكم وياخذكم لانكم في ملكه وقبضته وتحت قهره وسلطانه وقيل معناه انما
امهلكم هذه المدة لانه لا يخاف الفوت ولا يعجزه شي **وان الله مخزي الكافرين** يعني بالقتل
والعذاب في الاخرة قوله عز وجل **واذان من الله ورسوله** الاذان في اللغة الاعلام ومنه الاذان
للصلاة لانه اعلام بدخول وقتها والمعنى واعلام صادر من الله ورسوله واصل **الى الناس يوم
الحج الاكبر** اختلفوا في يوم الحج الاكبر فروى عكرمة عن ابن عباس انه يوم عرفة ويروى عن ابن عمر
وابن الزبير وهو قول عطا وطاوس ومجاهد وسعيد بن المسيب وعن علي بن ابي طالب قال
سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن يوم الحج الاكبر فقال يوم النحر اخرجه الترمذي
وقال ويروى موقوفا عليه وهو اصح وعن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم وقف يوم النحر
بين الجمرات في الحجة التي حج فيها فقال اي يوم هذا فقالوا يوم النحر فقال هذا يوم الحج الاكبر
اخرجه ابو داود ويروى ذلك عن عبد الله بن ابي اوفى والمغيرة بن شعبة وهو قول الشعبي
والنخعي وسعيد بن جبير والسدي وروى ابن جريج عن مجاهد ان يوم الحج الاكبر حين الحج ايام
منى كلها وكان سفيان الثوري يقول يوم الحج الاكبر ايام منى كلها لان اليوم قد يطلق ويراد به
الحين والزمان كقولك يوم صفين ويوم الجمل لان الحروب دايمة في هذه الايام ويطلق عليها
يوم واحد وقال عبد الله بن الحارث بن نوفل يوم الحج الاكبر الذي حج فيه رسول الله صلى الله
عليه وسلم وهو قول ابن سيرين لانه اجتمع حج المسلمين وعيد اليهود وعيد النصارى وعيد
المشركين ولم يجتمع مثل ذلك قبله ولا بعده فعظم ذلك عند المسلمين والكافرين واختلفوا لم
سمي الحج الاكبر فقال مجاهد الحج الاكبر القران لانه قرن بين الحج والعمرة وقيل الحج الاكبر
لاجتماع اعياد جميع الملل في ذلك اليوم وقال الزهري والشعبي وعطا الحج الاكبر الحج والحج
الاصغر العمرة وانما قيل لها الاصغر لنقصان احكامها عن الحج وقيل سمي الحج الاكبر لموافقة حجة
رسول الله صلى الله عليه وسلم حجة الوداع وكان ذلك اليوم يوم الجمعة وودع الناس فيه
وخطبهم وعلمهم مناسكهم وذكر في خطبته ان الزمان قد استدار وابطل النسي وجميع احكام
الجاهلية وقوله تعالى **ان الله بري من المشركين ورسوله** فيه حذف والتقدير واذان من الله
ورسوله بان الله بري من المشركين وانما حذفت الباء لدلالة الكلام عليه وفي رفع رسوله وجوه

الاول انه رفع بالابتدا وخبره مضمر التقدير ان الله بري من المشركين ورسوله ايضا بري الثاني
تقديره بري الله ورسوله من المشركين الثالث ان الله في محل الرفع بالابتدا وبري خبره ورسوله
عطف على المبتدا الاول فان قلت لا فرق بين قوله براة من الله ورسوله الى الذين عاهدتم من
المشركين وبين قوله ان الله بري من المشركين ورسوله فما فايدة هذا التكرار قلت المقصود من
الاية الاولى البراة من العهد ومن الاية الثانية البراة التي هي نقيض الموالاة الجارية مجرى
الزجر والوعيد والذي يدل على صحة هذا الفرق انه قال في الاولى براة من الله ورسوله الى بمعنى
برى اليهم وفي الثانية بري منهم وقوله تعالى فان تبتم يعني فان رجعتم عن شرككم وكفركم فهو
خير لكم يعني من الاقامة على الشرك وهذا ترغيب من الله في التوبة والاقلاع عن الشرك الموجب
لدخول النار وان توليتم يعني اعرضتم عن الايمان والتوبة من الشرك فاعلموا انكم غير معجزي الله
فيه وعيد عظيم واعلام لهم بان الله تعالى قادر على انزال العذاب بهم وهو قوله وبشر الذين
كفروا بعذاب اليم يعني في الاخرة ولفظ البشارة هنا انما ورد على سبيل الاستهزا كما يقال
تحيتهم الضرب واكرامهم الشتم قوله تعالى الا الذين عاهدتم من المشركين هذا الاستثنا راجع
الى قوله تعالى براة من الله ورسوله الى الذين عاهدتم من المشركين الا من عهد الذين عاهدتم
من المشركين وهم بنو ضمرة حي من كنانة امر الله رسوله صلى الله عليه وسلم باتمام عهدهم الى مدتهم
وكان قد بقي من مدتهم تسعة اشهر وكان السبب فيه انهم لم ينقضوا العهد وهو قوله ثم لم
ينقصوكم شيا يعني من عهودهم الذي عاهدتموهم عليها ولم يظاهروا يعني ولم يعاونوا
عليكم احدا من عدوكم وقال صاحب الكشاف وجهه ان يكون مستثنى من قوله فسيحوا في
الارض لان الكلام خطاب للمسلمين ومعناه براة من الله ورسوله الى الذين عاهدتم من المشركين
فقولوا لهم سيحوا في الارض الا الذين عاهدتم منهم ثم لم ينقصوكم فاتموا اليهم عهدهم
والاستثنا بمعنى الاستدراك كانه قيل بعد ان امروا في الناكثين ولكن الذين لم ينكثوا
فاتموا اليهم عهدهم ولا تجروهم مجراهم ولا تجعلوا الوافي كالغادر ان الله يحب المتقين
يعني ان قضية التقوى تقتضي ان لا يسوى بين القبيلين يعني الوافي بالعهد والناكث له والغادر فيه
قوله عز وجل فاذا انسلخ الاشهر الحرم يعني فاذا انقضت الاشهر الحرم ومضت وهي رجب
وذو القعدة وذو الحجة والمحرم وقال مجاهد ومحمد بن اسحاق هي شهور العهد سميت حرما لحرمة
نقض العهد فيها فمن كان له عهد فعهده اربعة اشهر ومن لا عهد له فاجله الى انقضا المحرم وذلك
خمسون يوما وقيل انما قيل لها حرم لان الله حرم على المومنين دما المشركين والتعرض لهم فان قلت
على هذا القول هذه المدة وهي الخمسون يوما بعض الاشهر الحرم والله تعالى يقول فاذا انسلخ الاشهر
الحرم قلت لما كان هذا القدر من الاشهر الحرم متصلا بما مضى اطلق عليه اسم الجمع والمعنى فاذا مضت
المدة المضروبة التي يكون معها انسلاخ الاشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم يعني في

الحل والحرم وهذا امر اطلاق يعني اقتلوهم في اي وقت واي مكان وجدتموهم وخذوهم يعني
واسروهم واحصروهم اي احبسوهم وقال ابن عباس يريد ان تحصنوا فاحصروهم وامنعوهم
من الخروج وقيل امنعوهم من دخول مكة والتصرف في بلاد الاسلام واقعدوا لهم كل مرصد يعني في كل
طريق والمرصد الموضع الذي يقعد فيه للعدو من رصدت الشي ارصده اذا ترقبته والمعنى كونوا لهم
رصدا حتى تاخذوهم من اي وجه توجهوا وقيل معناه اقعدوا لهم بطريق مكة حتى لا يدخلوها
فان تابوا يعني من الشرك ورجعوا الى الايمان واقاموا الصلاة يعني واتموا اركان الصلاة المفروضة
واتوا الزكاة الواجبة عليهم طيبة بها انفسهم فخلوا سبيلهم يعني الى الدخول الى مكة والتصرف
في بلادهم ان الله غفور يعني لمن تاب ورجع من الشرك الى الايمان ومن المعصية الى الطاعة رحيم يعني
باوليايه واهل طاعته وقال الحسين بن الفضل نسخت هذه الاية كل اية فيها ذكر الاعراض عن المشركين
والصبر على اذى الاعدا قوله تعالى وان احد من المشركين استجارك فاجره حتى يسمع كلام الله يعني وان
استامنك يا محمد احد من المشركين الذين امرتك بقتالهم وقتلهم بعد انسلاخ الاشهر الحرم ليسمع كلام الله
الذي انزل عليك وهو القران فاجره حتى يسمع كلام الله ويعرف ما له من الثواب ان امن وما عليه من
العقاب ان اصر على الشرك ثم ابلغه مامنه يعني ان لم يسلم ابلغه الى الموضع الذي يامن فيه وهو دار قومه
وان قاتلك بعد ذلك وقدرت عليه فاقتله ذلك بانهم قوم لا يعلمون اي لا يعلمون دين الله وتوحيده
فهم يحتاجون الى سماع كلام الله عز وجل قال الحسن هذه الاية محكمة الى يوم القيامة كيف يكون للمشركين
عهد عند الله وعند رسوله هذا على وجه التعجب ومعناه الجحد اي لا يكون لهم عهد عند الله ولا عند رسوله
وهم يغدرون وينقضون العهد ثم استثنى فقال تعالى الا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام قال ابن
عباس هم قريش وقال قتادة هم اهل مكة الذين عاهدهم رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية
وقال السدي ومحمد بن عباد ومحمد بن اسحاق هم بنو جذيمة وبنو الديل قبايل من بني بكر الذين كانوا دخلوا
في عهد قريش وعقدهم يوم الحديبية وقال مجاهد اهل العهد من خزاعة فما استقاموا لكم يعني بعد العهد
فاستقيموا لهم يعني ما اقاموا على العهد ثم انهم لم يستقيموا ونقضوا العهد واعانوا بني بكر على خزاعة
فضرب لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد الفتح اربعة اشهر يختارون من امرهم اما ان يسلموا واما ان
يلحقوا باي بلاد شاوا فاسلموا بعد الاربعة اشهر والصواب من ذلك قول من قال انهم من قبايل بني بكر وهم
جذيمة وبنو مدلج من ضمرة وانما كان الصواب هذا القول لان هذه الايات نزلت بعد نقض قريش العهد
وذلك قبل فتح مكة لان بعد الفتح كيف يقول لشي قد مضى فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم وانما هم الذين
قال الله فيهم الا الذين عاهدتم من المشركين ثم لم ينقصوكم شيا كما نقضكم قريش ولم يظاهروا عليكم
احدا كما ظاهرت قريش بني بكر على خزاعة وهم حلفا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله تعالى
ان الله يحب المتقين يعني انه تعالى يحب الذين يوفون بالعهد اذا عاهدوا ويتقون نقضه كيف وان
يظهروا عليكم قيل هذا مردود على الاية الاولى تقديره كيف يكون لهم عهد وان يظهروا عليكم لا يرقبوا

فيكم الا ولا ذمة قال الاخفش معناه كيف لا تقتلونهم وهم ان يظهروا عليكم اى يظفروا بكم
ويغلبوكم ويعلوا عليكم لا يرقبوا اى لا يحفظوا وقيل معناه لا ينتظروا وقيل معناه لا يراعوا
فيكم الا قال ابن عباس قرابة وقيل حلفا وهذا بمعنى قول ابن عباس ايضا وقال قتادة الال الحلف
وقال السدى هو العهد وكذلك الذمة وانما كرره للتاكيد ولاختلاف اللفظين وقال ابو مجلز ومجاهد
الال هو الله ومنه قول ابي بكر الصديق لما سمع كلام مسيلمة الكذاب ان هذا الكلام لم يخرج من ال يعني
من الله وعلى هذا القول يكون معنى الاية لا يرقبون الله فيكم ولا يحفظونه ولا يراعونه ولا ذمة يعني
ولا يحفظون عهدا يرضونكم بافواههم وتابى قلوبهم يعني يطيعونكم بالسنتهم بخلاف ما في قلوبهم
واكثرهم فاسقون فان قلت ان الموصوفين بهذه الصفة كفار والكفر اخبث واقبح من الفسق
فكيف وصفهم بالفسق في معرض الذم وما الفايدة في قوله واكثرهم فاسقون مع ان الكفار
كلهم فاسقون قلت قد يكون الكافر عدلا في دينه وقد يكون فاسقا خبيث الفسق في دينه فالمراد
بوصفهم بكونهم فاسقين لانهم نقضوا العهد وبالغوا في العداوة فوصفهم بكونهم فاسقين مع كونهم
فيكون ابلغ في الذم وانما قال اكثرهم ولم يقل كلهم فاسقين لان منهم من وفى بالعهد ولم ينقضه
واكثرهم نقضوا العهد فلهذا قال تعالى واكثرهم فاسقون وقوله تعالى اشتروا بايات الله ثمنا
قليلا يعني استبدلوا بايات القران والايمان بها عرضا قليلا من متاع الدنيا وذلك انهم لما نقضوا
العهد الذي كان بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم بسبب اكلة اطعمهم ابو سفيان بن حرب ذمهم
الله بذلك قال مجاهد اطعم ابو سفيان حلفاه وترك حلفا رسول الله صلى الله عليه وسلم فصدوا
عن سبيله يعني ومنعوا الناس عن الدخول في دين الله قال ابن عباس وذلك ان اهل الطايف امدوهم
بالاموال ليقووهم على حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم انهم ساء ما كانوا يعملون يعني من الشرك
ونقضهم العهد ومنعهم الناس عن الدخول في دين الاسلام لا يرقبون في مومن الا ولا ذمة يعني ان
هولا المشركين لا يراعون في مومن عهدا ولا ذمة اذا قدروا عليه قتلوه فلا تبقوا انتم عليهم كما لم يبقوا
عليكم اذا ظهروا عليكم واولئك هم المعتدون يعني في نقض العهد قوله عز وجل فان تابوا يعني فان
رجعوا عن الشرك الى الايمان وعن نقض العهد الى الوفى به واقاموا الصلاة يعني المفروضة عليهم
بجميع حدودها واركانها واتوا الزكاة يعني وبذلوا الزكاة المفروضة عليهم طيبة بها
انفسهم فاخوانكم في الدين يعني اذا فعلوا فهم اخوانكم لهم ما لكم وعليهم ما عليكم ونفصل الايات
لقوم يعلمون يعني ونبين حجج ادلتنا ونوضح بيان اياتنا لمن يعلم ذلك ويفهمه قال ابن عباس حرمت هذه
الاية دما اهل القبلة وقال ابن مسعود امرتم بالصلاة والزكاة فمن لم يزك فلا صلاة له وقال ابن
زيد افترضت الزكاة والصلاة جميعا لم يفرق بينهما وابى ان تقبل الصلاة الا بالزكاة وقال يرحم
الله ابا بكر ما كان افقهه يعني بذلك ما ذكره ابو بكر في حق من منع الزكاة وهو قوله والله لا افرق بين شيين
جمع الله بينهما يعني الصلاة والزكاة خ عن ابي هريرة قال لما توفي النبي صلى الله عليه وسلم واستخلف

ابو بكر وكفر من كفر من العرب قال عمر بن الخطاب لابي بكر كيف تقاتل الناس وقد قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم امرت ان اقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله فمن قال لا اله الا الله فقد عصم
مني ماله ونفسه الا بحقه وحسابه على الله عز وجل فقال ابو بكر والله لاقاتلن من فرق
بين الصلاة والزكاة فان الزكاة حق المال والله لو منعوني عناقا كانوا يودونها وفي رواية عقالا
كانوا يودونه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم على منعها فقال عمر فوالله ما هو الا ان
رايت ان الله شرح صدر ابي بكر للقتال فعرفت انه الحق عن انس قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم من صلى صلاتنا واستقبل قبلتنا واكل ذبيحتنا فذلك المسلم الذي له ذمة الله وذمة
رسوله وقوله عز وجل وان نكثوا ايمانهم يعني وان نقضوا عهودهم من بعد عهدهم يعني من بعد
ما عاهدوكم عليه ان لا يقاتلوكم ولا يظاهروا عليكم احدا من اعدايكم وطعنوا في دينكم يعني
وعابوا دينكم الذي انتم عليه وقدحوا فيه وثلبوه وفي هذا دليل على ان الذمي اذا طعن في دين
الاسلام وعابه ظاهرا لا يبقى له عهد والمراد بهولا الذين نقضوا العهد كفار قريش وهو قوله فقاتلوا
ايمة الكفر يعني روس المشركين وقادتهم قال ابن عباس نزلت في ابي سفيان بن حرب والحرث بن هشام
وسهيل بن عمرو وابي جهل وابنه عكرمة وساير روسا قريش وهم الذين نقضوا عهدهم
وهموا باخراج الرسول وقيل اراد جميع الكفار وانما ذكر الايمة لانهم الروسا والقادة فهي
قتالهم قتال الاتباع وقال مجاهد هم فارس والروم وقال حذيفة بن اليمان ما قوتل اهل هذه
الاية بعد ولم يات اهلها ولعل حذيفة اراد بذلك الذين يظهرون مع الدجال من اليهود فانهم
ايمة الكفر في ذلك الزمان والله اعلم بمراد حذيفة وقوله تعالى انهم لا ايمان لهم جمع يمين اي لا عهد
لهم وقيل معناه انهم لا وفا لهم بالعهد وقرى لا ايمان لهم بكسر الهمزة ومعناه لا دين لهم ولا
تصديق وقيل هو من الامان اي قتلوهم حيث وجدتموهم ولا تومنوهم لعلهم ينتهون اي لكي
ينتهوا عن الطعن في دينكم ويرجعوا عن الكفر الى الايمان ثم حض المومنين على جهاد الكفار وبين
السبب في ذلك فقال تعالى الا تقاتلون قوما نكثوا ايمانهم يعني نقضوا عهودهم وهم الذين نقضوا
عهد الصلح بالحديبية واعانوا بني بكر على خزاعة وهموا باخراج الرسول يعني من مكة حين اجتمعوا
في دار الندوة وهم بدوكم يعني بالقتال اول مرة يعني يوم بدر وذلك انهم قالوا لا ننصرف حتى نستاصل
محمدا صلى الله عليه وسلم واصحابه وقيل اراد به انهم بدوا بقتال خزاعة حلفا رسول الله صلى الله عليه وسلم
اتخشونهم يعني اتخافونهم ايها المومنون فتتركون قتالهم فالله احق ان تخشوه يعني في ترك القتال ان
كنتم مومنين يعني ان كنتم مصدقين بوعد الله ووعيده قوله تعالى قاتلوهم يعذبهم الله بايديكم
يريد بالتعذيب القتل يعني يقتلهم الله بايديكم فان قلت كيف الجمع بين قوله يعذبهم الله بايديكم
وبين قوله وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم قلت المراد بقوله وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم
عذاب الاستيصال يعني وما كان الله ليستاصلهم بالعذاب جميعا وانت فيهم والمراد بقوله

قاتلوهم يعني الذين نقضوا وبدوا بالقتال فامر الله نبيه صلى الله عليه وسلم
والمومنين بقتال من قاتلهم ونقض عهدهم والفرق بين العذابين ان عذاب الاستيصال
يتعدى الى المذنب وغير المذنب والى المخالف والموافق وعذاب القتل لا يتعدى
الا الى المذنب المخالف وقوله تعالى ويخزهم يعني ويذلهم بالقهر والاسر وينزل بهم الذل
والهوان وينصركم عليهم يعني بان يظفركم بهم ويشف صدور قوم مومنين يعني
ويبرى داء قلوبهم مما كانوا ينالونه من الاذى منهم ومن المعلوم ان من طال تاذيه
من خصمه ثم مكنه الله منه فانه يفرح بذلك ويعظم سروره ويصير ذلك سببا
لقوة اليقين وثبات العزيمة قال مجاهد والسدي اراد صدور خزاعة حلفا رسول
الله صلى الله عليه وسلم حيث اعانت قريش بني بكر على خزاعة حتى فتكوا فيهم ثم شفى الله
صدور خزاعة من بني بكر حتى اخذوا ثارهم منهم بالنبي صلى الله عليه وسلم واصحابه
ويذهب غيظ قلوبهم يعني ويذهب وجد قلوبهم بما نالوه من بني بكر روي ان النبي صلى
الله عليه وسلم قال يوم فتح مكة ارفعوا السيف الا خزاعة من بني بكر الى العصر ذكره البغوي
بغير سند ثم قال تعالى ويتوب الله على من يشا وهذا كلام مستانف ليس له تعلق بالاول
والمعنى ويهدي الله من يشا الى الاسلام فيمن عليه بالتوبة عن الشرك والكفر ويهديه الى
الاسلام كما فعل بابي سفيان بن حرب وعكرمة بن ابي جهل وسهيل بن عمير فهولا كانوا
من ايمة الكفر ورؤسا المشركين ثم من الله عليهم بالاسلام يوم فتح مكة فاسلموا والله عليم
يعني بسراير عباده ومن سبقت له العناية الازلية بالسعادة فيتوب عليه ويهديه
الى الاسلام حكيم يعني في جميع افعاله قوله عز وجل ام حسبتم ان تتركوا هذا من الاستفهام
المعترض في وسط الكلام ولذلك ادخلت فيه ام لتفرق بينه وبين الاستفهام المبتدا
والمعنى اظننتم ايها المومنون ان تتركوا فلا تومروا بالجهاد ولا تمتحنوا ليظهر الصادق
من الكاذب ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم يعني بالعلم المعلوم لان وجود الشي يلزمه
معلوم الوجود عند الله لا جرم جعل علم الله بوجوده كناية عن وجوده قال الامام فخر
الدين الرازي ونقل الواحدي عن الزجاج اي العلم الذي يجازي عليه لانه انما يجازي على المعلوم
ولم يتخذوا من دون الله ولا رسوله ولا المومنين وليجة قال الفرا الوليجة البطانة من
المشركين يتخذونهم يفشون اليهم اسرارهم وقال قتادة وليجة يعني خيانة وقال الضحاك
خديعة وقال عطا اوليا يعني لا تتخذوا المشركين اوليا من دون الله ورسوله والمومنين
وقال ابو عبيدة كل شي ادخلته في شي ليس منه فهو وليجة والرجل يكون في القوم وليس
منهم وليجة من الولوج فوليجة الرجل من يختصه بدخيلة امره دون الناس وقال الراغب
الوليجة كلما يتخذه الانسان معتمدا عليه وليس من قولهم فلان وليجة في القوم اذا دخل فيهم

وليس

وليس منهم والمقصود من هذا نهي المومنين من موالاة المشركين وان يفشوا اليهم اسرارهم
والله خبير بما يعملون يعني موالاة المشركين واخلاص العمل لله وحده قوله تعالى ما كان للمشركين
ان يعمروا مسجد الله يعني به المسجد الحرام وقرى مساجد الله على الجمع والمراد المسجد الحرام
ايضا وانما ذكره بلفظ الجمع لانه قبلة المساجد كلها وسبب نزول هذه الاية ان جماعة
من رؤسا كفار قريش اسروا يوم بدر ومنهم العباس بن عبد المطلب عم رسول الله صلى
الله عليه وسلم فاقبل عليهم نفر من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يعيرونهم بالشرك
وجعل علي بن ابي طالب يوبخ العباس بسبب قتال رسول الله صلى الله عليه وسلم وقطيعة
الرحم فقال العباس ما لكم تذكرون مساوينا وتكتمون محاسننا فقيل له وهل لكم محاسن
قال نعم نحن افضل منكم نحن نعمر المسجد الحرام ونحجب الكعبة ونسقي الحجيج ونفك العاني
يعني الاسير فنزلت هذه الاية ما كان للمشركين اي ما ينبغي للمشركين ان يعمروا مساجد الله
او جب الله على المسلمين منعهم من ذلك لان المساجد انما تعمر لعبادة الله تعالى وحده فمن كان
كافرا بالله فليس له ان يعمر مساجد الله واختلفوا في العمارة على قولين احدهما ان المراد بالعمارة
العمارة المعروفة من بنا المساجد وتشييدها ومرمتها عند خرابها فيمنع منه الكافر حتى
لو وصى ببنا مسجد لم تقبل وصيته والقول الثاني ان المراد بالعمارة دخول المسجد والقعود
فيه فيمنع الكافر من دخول المسجد بغير اذن مسلم حتى لو دخل بغير اذن مسلم عزر وان
دخل باذن لم يعزر ويدل على جواز دخول الكافر المسجد بالاذن ان النبي صلى الله عليه وسلم
شد ثمامة بن اثال الى سارية من سواري المسجد وهو كافر والاولى تعظيم المساجد ومنعهم من
دخولها وقوله تعالى شاهدين على انفسهم بالكفر يعني لا يدخلون المساجد في حال كونهم شاهدين
وقيل تقديره وهم شاهدون فلما حذفت وهم نصب قال ابن عباس شهادتهم على انفسهم
بالكفر سجودهم للاصنام وذلك ان كفار قريش كانوا قد نصبوا اصنامهم خارج البيت
الحرام عند القواعد وكانوا يطوفون بالبيت عراة كلما طافوا طوفة سجدوا للاصنام فلم
يزدادوا بذلك من الله الا بعدا وقال الحسن انهم لم يقولوا نحن كفار ولكن كلامهم بالكفر
شهادة عليهم بالكفر وقال السدي شهادتهم على انفسهم بالكفر هو ان النصراني يسيل
من انت فيقول نصراني واليهودي يقول يهودي والمشرك يقول مشرك وقال ابن عباس في رواية
عنه شاهدين على رسولهم بالكفر لانه من انفسهم اوليك حبطت اعمالهم يعني الاعمال التي
عملوها في حال الكفر من اعمال البر مثل قرى الضيف وسقي الحاج وفك العاني لانها لم
تكن لله فلم يكن لها ثبات مع الكفر وفي النار هم خالدون يعني من مات منهم على كفره قوله
عز وجل انما يعمر مساجد الله من امن بالله واليوم الاخر لما بين الله عز وجل ان الكافر
ليس له ان يعمر مساجد الله بين في هذه الاية من هو المستحق لعمارة المساجد وهو من امن

بالله فان الايمان شرط في من يعمر المسجد لان المسجد عبارة عن الموضع الذي يعبد الله فيه فمن لم
يكن مومنا بالله امتنع ان يعمر موضعا يعبد الله فيه والبيوم الاخر يعني وامن باليوم الاخر
وانه حق كاين لان عمارة المسجد لاجل عبادة الله وجزا اجره انما يكون في الاخرة فمن انكر الاخرة
لم يعبد الله ولم يعمر له مسجدا فان قلت لم لم يذكر الايمان برسول الله مع ان الايمان به شرط في صحة
الايمان قلت ان الايمان برسول الله صلى الله عليه وسلم داخل في الايمان بالله فان من امن بالله
واليوم الاخر فقد امن برسول الله لانه من جهته عرف الايمان بالله واليوم الاخر لانه هو
الداعي الى ذلك وقيل ان المشركين كانوا يقولون ان محمدا انما ادعى النبوة طلبا للرياسة والملك
فاخبر الله عز وجل ان محمدا صلى الله عليه وسلم انما دعا الى الايمان بالله واليوم الاخر لا لطلب
الرياسة والملك فلذلك قال انما يعمر مساجد الله من امن بالله واليوم الاخر وترك ذكر الايمان
بالنبي صلعم وقيل انه تعالى ذكر بعد الايمان بالله واليوم الاخر واقام الصلاة واتى الزكاة وكان ذلك
مما جا به رسول الله صلى الله عليه وسلم فمن اقام الصلاة واتى الزكاة فقد امن برسول الله
صلى الله عليه وسلم واعلم ان الاعتبار باقامة الصلاة وايتا الزكاة في عمارة المساجد ان الانسان
اذا عمر المسجد لازمه لاقامة الصلاة فيه ولا يشتغل بعمارة المساجد الا اذا كان مؤديا للزكاة
لان الزكاة واجبة وعمارة المساجد نافلة ولا يشتغل الانسان بالنافلة الا بعد كمال الفريضة
الواجبة عليه وقوله تعالى ولم يخش الا الله يعني ولم يخف في الدين غير الله ولم يترك امر الله
لخشية الناس فعسى اوليك ان يكونوا من المهتدين وعسى من الله واجب يعني واوليك هم المهتدون
المتمسكون بطاعة الله التي تودي الى الجنة عن ابي سعيد الخدري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال اذا رايتم الرجل يعتاد المسجد فاشهدوا له بالايمان فان الله عز وجل يقول انما يعمر مساجد الله
من امن بالله واليوم الاخر الاية اخرجه الترمذي وقال حديث حسن ق عن ابي هريرة عن النبي صلى
الله عليه وسلم قال من غدا الى المسجد او راح اعد الله له في الجنة نزلا كلما غدا او راح النزل ما يهيا
للضيف عند نزوله بالقوم ق عن عثمان بن عفان قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
من بنى مسجدا يبتغي به وجه الله بنى الله له بيتا في الجنة وفي رواية بنى الله له في الجنة مثله وعن
انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من بنى لله مسجدا صغيرا كان او كبيرا بنى الله له بيتا في
الجنة اخرجه الترمذي عن عمرو بن عبسة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من بنى لله مسجدا
ليذكر الله فيه بنى الله له بيتا في الجنة اخرجه النساي قوله تعالى اجعلتم سقاية الحاج وعمارة
المسجد الحرام الاية م عن النعمان بن بشير قال كنت عند منبر النبي صلى الله عليه وسلم فقال رجل
ما ابالي ان لا اعمل عملا بعد الاسلام الا ان اعمر المسجد الحرام وقال الاخر الجهاد في سبيل الله
افضل مما قلتم فزجرهم عمر وقال لا ترفعوا اصواتكم عند منبر النبي صلى الله عليه وسلم وهو يوم
الجمعة ولكن اذا صليت الجمعة دخلت فاستفتيته فيما اختلفتم فيه فانزل الله عز وجل اجعلتم

سقاية

سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن امن بالله واليوم الاخر الى اخرها وقال ابن عباس قال العباس
حين اسر يوم بدر لين كنتم سبقتمونا بالاسلام والهجرة والجهاد لقد كنا نعمر المسجد الحرام ونسقي
الحاج فانزل الله هذه الاية واخبر ان عمارتهم المسجد الحرام وقيامهم على السقاية لا ينفعهم
مع الشرك بالله وان الايمان والجهاد مع نبيه خير مما هم عليه وقال الحسن والشعبي ومحمد بن كعب
القرظي نزلت في علي بن ابي طالب والعباس بن عبد المطلب وطلحة بن ابي شيبة افتخروا فقال طلحة
انا صاحب البيت بيدي مفاتيحه وقال العباس وانا صاحب السقاية والقيام عليها وقال علي ما ادري
ما تقولون لقد صليت الى القبلة ستة اشهر قبل الناس وانا صاحب الجهاد فانزل الله هذه الاية
اجعلتم سقاية الحاج والسقاية مصدر كالرعاية والحماية وهي سقي الحاج وكان العباس بن عبد
المطلب بيده سقاية الحاج وكان يليها في الجاهلية فلما جا الاسلام واسلم العباس اقره رسول الله
صلى الله عليه وسلم على ذلك وعمارة المسجد الحرام يعني بناءه وتشييده ومرمته كمن امن بالله واليوم
الاخر فيه حذف تقديره كايمان من امن بالله واليوم الاخر وجاهد في سبيل الله اي وكجهاد من
جاهد في سبيل الله وقيل السقاية والعمارة بمعنى الساقي والعامر تقديره اجعلتم ساقي الحج
وعامر المسجد الحرام كمن امن بالله واليوم الاخر وجاهد في سبيل الله لا يستوون عند الله يعني
لا يستوي حال هولا الذين امنوا بالله وجاهدوا في سبيل الله بحال من سقى الحاج وعمر المسجد الحرام
وهو مقيم على شركه وكفره لان الله لا يقبل عملا الا مع الايمان به والله لا يهدي القوم الظالمين
خ عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم جا الى السقاية فاستسقى فقال العباس يا فضل
اذهب الى امك فاتِ رسول الله صلى الله عليه وسلم بشراب من عندها فقال اسقني فقال يا رسول الله انهم
يجعلون ايديهم فيه قال اسقني فشرب منه ثم اتى زمزم وهم يسقون ويعملون فيها فقال اعملوا
فانكم على عمل صالح ثم قال لولا ان تغلبوا لنزلت حتى اضع الحبل على هذه يعني عاتقه م عن بكر
ابن عبد الله المزني قال كنت جالسا مع ابن عباس عند الكعبة فاتاه اعرابي فقال ما لي ارى بني عمكم
يسقون العسل واللبن وانتم تسقون النبيذ امن حاجة بكم ام من بخل فقال ابن عباس الحمد لله ما بنا
من حاجة ولا بخل قدم النبي صلى الله عليه وسلم وخلفه اسامة فاستسقى فاتيناه باناء من نبيذ فشرب
وسقى فضله اسامة فقال احسنتم واجملتم كذا فاصنعوا فلا نريد تغيير ما امر به رسول الله
صلى الله عليه وسلم النبيذ ثم ينقع في الما غدوة ويشرب عشا او ينقع عشا ويشرب غدوة وهذا
حلال فانه غير مسكر وهو حلو قوله عز وجل الذين امنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله باموالهم
وانفسهم اعظم درجة عند الله يعني ان من كان موصوفا بهذه الصفات يعني الايمان والهجرة
والجهاد في سبيل الله بالمال والنفس كان اعظم درجة عند الله ممن افتخر بالسقاية وعمارة المسجد
الحرام وانما لم يذكر القسم المرجوح لبيان فضل القسم الراجح على الاطلاق على من سواهم والمراد
بالدرجة المنزلة والرفعة عند الله في الاخرة واوليك يعني من هذه صفته هم الفايزون يعني بسعادة

الدنيا والاخرة يبشرهم ربهم يعني يخبرهم ربهم والبشارة الخبر السار الذي يفرح الانسان عند سماعه وتستنير بشرة وجهه عند سماع ذلك الخبر السار ثم ذكر ذلك الذي بشرهم به فقال تعالى برحمة منه ورضوان وهذا اعظم البشارات لان الرحمة والرضوان من الله عز وجل على العبد نهاية مقصوده وجنات لهم فيها نعيم مقيم يعني ان نعيم الجنة دايم غير منقطع ابدا خالدين فيها يعني في الجنات وفي النعيم ابدا يعني لا انقطاع له ان الله عنده اجر عظيم يعني لمن عمل بطاعته وجاهد في سبيله قوله تعالى يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا اباءكم واخوانكم اوليا قال مجاهد هذه الاية متصلة بما قبلها نزلت في قصة العباس وطلحة وامتناعهما من الهجرة وقال ابن عباس لما امر النبي صلى الله عليه وسلم الناس بالهجرة الى المدينة فمنهم من تعلق به اهله واولاده يقولون ننشدك بالله ان تضيعنا فيرق لهم فيقيم عليهم ويدع الهجرة فانزل الله هذه الاية وقال مقاتل نزلت في التسعة الذين ارتدوا عن الاسلام ولحقوا بمكة فنهى الله المومنين عن موالاتهم وانزل يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا اباءكم واخوانكم اوليا يعني بطانة واصدقا تفشون اليهم اسراركم وتوثرون المقام معهم على الهجرة قال بعضهم حمل هذه الاية على ترك الهجرة مشكل لان هذه السورة نزلت بعد الفتح وهي من اخر القران نزولا والاقرب ان يقال ان الله تعالى لما امر المومنين بالتبري من المشركين قالوا كيف يمكن ان يقاطع الرجل اباه واخاه وابنه فذكر الله ان مقاطعة الرجل اهله واقاربه في الدين واجبة فالمومن لا يوالي الكافر وان كان اباه واخاه وابنه وهو قوله تعالى ان استحبوا الكفر على الايمان يعني ان اختاروا الكفر واقاموا عليه وتركوا الايمان بالله ورسوله ومن يتولهم منكم فاوليك هم الظالمون يعني ومن يختار المقام معهم على الهجرة والجهاد فقد ظلم نفسه بمخالفة امر الله واختيار الكفار على المومنين ولما نزلت هذه الاية قال الذين اسلموا ولم يهاجروا ان نحن هاجرنا ضاعت اموالنا وذهبت تجارتنا وخربت دورنا وقطعنا ارحامنا فانزل الله تعالى قل اي قل يا محمد لهولا الذين قالوا هذه المقالة ان كان اباوكم وابناوكم واخوانكم وازواجكم وعشيرتكم وقرى على الجمع نعم وعشيراتكم العشيرة هم الادنون من اهل الانسان الذين يعاشرونه دون غيرهم واموال اقترفتموها يعني اكتسبتموها وتجارة تخشون كسادها يعني بفراقكم لها ومساكن ترضونها يعني تستوطنونها راضين بسكناها احب اليكم من الله ورسوله يعني احب اليكم من الهجرة الى الله ورسوله وجهاد في سبيله فبين الله تعالى انه يجب تحمل المضار في الدنيا ليبقى الدين سليما واخبر ان كانت رعاية هذه المصالح الدنيوية عندكم اولى من طاعة الله وطاعة رسوله فتربصوا اي فانتظروا حتى ياتي الله بامره يعني بقضايه وهذا امر تهديد وتخويف وقال مجاهد ومقاتل يعني فتح مكة والله لا يهدي القوم الفاسقين يعني الخارجين عن طاعته وفي هذه دليل على انه اذا وقع تعارض بين مصالح الدين ومصالح الدنيا وجب على المسلم ترجيح مصالح الدين على مصالح الدنيا قوله عز وجل لقد نصركم الله النصر المعونة على الاعدا باظهار المسلمين عليهم في مواطن كثيرة يعني اماكن كثيرة والمراد به غزوات رسول

الله صلى الله عليه وسلم وسراياه وبعوثه وكانت غزوات رسول الله صلى الله عليه وسلم على ما ذكر في الصحيحين من حديث زيد بن ارقم تسع عشرة غزوة زاد بريدة في حديثه قاتل في ثمان منهن ويقال ان جميع غزواته وسراياه وبعوثه سبعون وقيل ثمانون وهو قوله تعالى لقد نصركم الله في مواطن كثيرة ويوم حنين يعني ونصركم الله يوم حنين ايضا فاعلم الله انه هو الذي يتولى نصر المومنين في كل موقف وحنين موطن بينه وبين مكة بضعة عشر ميلا وقال عروة هو الى جنب ذي المجاز وكانت قصة حنين على ما نقله الرواة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم فتح مكة وقد بقيت عليه ايام من شهر رمضان ثم خرج الى حنين لقتال هوازن وثقيف في اثني عشر الفا عشرة الاف من المهاجرين والانصار والفان من الطلقا وقال عطا كانوا ستة عشر الفا وقال الكلبي كانوا عشرة الاف وكانوا يومئذ اكثر ما كانوا قط وكان المشركون اربعة الاف من هوازن وثقيف وكان على هوازن مالك بن عوف النصري وعلى ثقيف كنانة بن عبد ياليل فلما التقى الجمعان قال رجل من الانصار يقال له سلمة بن سلامة بن وقش لن نغلب اليوم عن قلة فساء رسول الله صلى الله عليه وسلم كلامه ووكلوا الى كلمة الرجل وفي رواية فلم يرض الله قوله ووكلهم الى انفسهم وذكر ابن الجوزي عن سعيد بن المسيب ان القايل لذلك ابو بكر الصديق وحكى ابن جرير الطبري ان القايل لذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم واسناد هذه الكلمة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه بعد لانه صلى الله عليه وسلم كان في جميع احواله متوكلا على الله عز وجل لا يلتفت الى كثرة عدد ولا الى غيره بل نظره الى ما ياتي من عند الله عز وجل من النصر والمعونة قالوا فلما التقى الجمعان اقتتلوا قتالا شديدا فانهزم المشركون وخلوا عن الذراري ثم تنادوا يا حماة السواد اذكروا الفضايح فتراجعوا وانكشف المسلمون قال قتادة ذكر لنا ان الطلقا انجفلوا يومئذ بالناس فلما انجفل القوم هربوا ق عن ابي اسحاق قال جا رجل الى البرا فقال اكنتم وليتم يوم حنين يا ابا عمارة فقال اشهد على نبي الله صلى الله عليه وسلم ما ولى ولكنه انطلق اخفا من الناس وحسر الى هذا الحي من هوازن وهم قوم رماة فرموهم برشق من نبل كانها رجل من جراد فانكشفوا فاقبل القوم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو سفيان بن الحرث يقود به بغلته فنزل ودعا واستنصر وهو يقول انا النبي لا كذب انا ابن عبد المطلب اللهم انزل نصرك زاد ابو خيثمة ثم صفهم قال البرا كنا والله اذا احمر الباس نتقي به وان الشجاع منا الذي يحاذي به يعني النبي صلى الله عليه وسلم ولمسلم عن ابي اسحاق قال قال رجل للبرا ابن عازب يا ابا عمارة فررتم يوم حنين قال لا والله ما ولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكنه خرج شبان اصحابه واخفاوهم حسرا ليس عليهم سلاح او كثير سلاح فلقوا قوما رماة لا يكاد يسقط لهم سهم جمع هوازن وبني نصر فرشقوهم رشقا ما يكادون يخطيون فاقبلوا هناك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ورسول الله صلى الله عليه وسلم على بغلته البيضا وابو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب يقود به فنزل واستنصر وقال انا النبي لا كذب انا ابن عبد المطلب ثم صفهم وروى شعبة عن ابي اسحاق قال قال البرا

ان هوازن كانوا قوما رماة ولما لقيناهم حملنا عليهم فانهزموا فاقبل المسلمون على الغنايم فاستقبلونا
بالسهام فاما رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يغير قوله ولكنه انطلق اخفا من الناس
الاخفا جمع خفيف وهم المسرعون من الناس الذين ليس لهم ما يعوقهم والحرجم حاسر
وهو الذي لا درع له يقال اذا رمى القوم بارسهم الى جهة واحدة رمينا رشقا والرجل
من الجراد القطعة الكبيرة منه وقوله كنا اذا احمر الباس يعني اذا اشتد الحرب والباس
بالبا الموحدة من تحت الشدة والخوف وقال الكلبي كان حول رسول الله صلى الله عليه وسلم
ثلثماية من المسلمين وانهزم ساير الناس وقال غيره لم يبق مع النبي صلى الله عليه وسلم يومئذ
غير عمه العباس بن عبد المطلب وابن عمه ابو سفيان بن الحارث وايمن بن ام ايمن قتل يوم حنين
بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا ايمن اخو اسامة بن زيد لامه امهما بركة مولاة
رسول الله صلى الله عليه وسلم وحاضنته م عن العباس بن عبد المطلب قال شهدت مع رسول
الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين فلزمت انا وابو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب رسول الله
صلى الله عليه وسلم فلم نفارقه ورسول الله صلى الله عليه وسلم على بغلة له بيضا اهداها له فروة
ابن نفاثة الجذامي فلما التقى المسلمون والكفار ولى المسلمون مدبرين فطفق المسلمون رسول الله
صلى الله عليه وسلم يركض بغلته قبل الكفار قال العباس وانا اخذ بلجام بغلة رسول الله صلى الله
عليه وسلم اكفها ارادة ان لا تسرع وابو سفيان اخذ بركاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم اي عباس نادا اصحاب السمرة فقال العباس وكان رجلا صيتا
فقلت باعلا صوتي اين اصحاب السمرة قال فوالله لكان عطفتهم حين سمعوا صوتي عطفة البقرة
على اولادها فقالوا لبيك يا لبيك قال فاقتتلوا والكفار والدعوة في الانصار يقولون يا معشر
الانصار يا معشر الانصار ثم قصرت الدعوة على بني الحارث بن الخزرج فنظر رسول الله صلى الله
عليه وسلم وهو على بغلته كالمتطاول عليها الى قتالهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا
حين حمي الوطيس قال ثم اخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم حصيات فرمى بهن وجوه الكفار
ثم قال انهزموا ورب محمد قال فذهبت انظر فاذا القتال على هيئته فيما ارى قال فوالله ما هو الا ان
رماهم بحصياته فما زلت ارى حدهم كليلا وامرهم مدبرا قوله حمي الوطيس اي اشتد الحرب قال
الخطابي هذه الكلمة لم تسمع قبل ان يقولها النبي صلى الله عليه وسلم من العرب وهي مما اقتضبه
وانشاه والوطيس في اللغة التنور وقوله حدهم كليلا يعني لا يقطع شيا وعن سلمة بن الاكوع
قال غزونا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حنينا قال فلما غشوا رسول الله صلى الله عليه وسلم نزل
عن بغلته ثم قبض قبضة من تراب الارض ثم استقبل به وجوههم وقال شاهت الوجوه فما خلق الله
منهم انسانا الا ملا عينيه ترابا بتلك القبضة فولوا مدبرين فهزمهم الله وقسم غنايمهم بين المسلمين
اخرجه مسلم بزيادة فيه قال سعيد بن جبير امد الله نبيه صلى الله عليه وسلم بخمسة الاف من

الملايكة

الملايكه مسومين وروي ان رجلا من بني نصر يقال له شجرة قال للمومنين بعد القتال اين الخيل البلق
والرجال عليهم ثياب بيض ما كنا نراهم فيكم الا كهيئة الشامة وما كان قتلنا الا بايديهم
فاخبر بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال تلك الملايكة وروي ان رجلا من المشركين
قال يوم حنين لما التقينا واصحاب محمد لم يقفوا لنا حلب شاة ان كشفناهم فبينما نحن نسوقهم حتى
انتهينا الى صاحب البغلة البيضا فاذا هو رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فتلقانا عنده
رجال بيض الوجوه حسان الوجوه فقالوا لنا شاهت الوجوه ارجعوا فانهزمنا وركبوا اكتافنا
فكانت اياها واختلفوا هل قاتلت الملايكة يوم حنين على قولين والصحيح انها لم تقاتل الا
يوم بدر وانما كانت الملايكة يوم حنين مددا او عونا وذكر البغوي ان الزهري قال بلغني ان
شيبة بن عثمان قال استدبرت رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين وانا اريد قتله بطلحة بن
عثمان وعثمان بن ابي طلحة وكانا قد قتلا يوم احد فاطلع الله رسول الله صلى الله عليه وسلم
على ما في نفسي فالتفت الي وضرب في صدري وقال اعيذك بالله يا شيبة فارتعدت فرايصي
فنظرت اليه وهو احب الي من سمعي وبصري فقلت اشهد انك رسول الله صلى الله عليه وسلم قد اطلعك
الله على ما في نفسي فلما هزم الله المشركين وولوا مدبرين انطلقوا حتى اتوا اوطاس وبها عيالهم
واموالهم فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا من الاشعريين يقال له ابو عامر وامره
على الجيش فسار الى اوطاس فاقتتلوا بها وقتل دريد بن الصمة وهزم الله المشركين وسبى
المسلمون عيال المشركين وهرب اميرهم مالك بن عوف النصري فاتى الطايف فتحصن بها واخذ ماله
واهله فيمن اخذ وقتل ابو عامر امير المسلمين قال الزهري اخبرني سعيد بن المسيب انهم اصابوا
يومئذ ستة الاف سبي ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اتى الطايف فحاصرهم بقية
ذلك الشهر فلما دخل ذو القعدة وهو شهر حرام انصرف عنهم واتى الجعرانة فاحرم منها بعمرة
وقسم بها غنايم حنين واوطاس وتالف ناسا منهم ابو سفيان بن حرب والحارث بن هشام وسهيل
ابن عمرو والاقرع بن حابس فاعطاهم ق وعن انس بن مالك ان ناسا من الانصار قالوا يوم حنين
حين افا الله على رسوله من اموال هوازن ما افا فطفق رسول الله صلى الله عليه وسلم يعطي رجالا
من قريش الماية من الابل فقالوا يغفر الله لرسول الله صلى الله عليه وسلم يعطي قريشا ويتركنا
وسيوفنا تقطر من دمايهم قال انس فحدث بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم من قولهم فارسل
الى الانصار فجمعهم في قبة من ادم ولم يدع معهم غيرهم فلما اجتمعوا جاءهم رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال حديث بلغني عنكم فقال له فقها الانصار اما ذووا راينا يا رسول الله لم يقولوا
شيا واما اناس منا حديثة اسنانهم فقالوا يغفر الله لرسول الله يعطي قريشا ويتركنا وسيوفنا
تقطر من دمايهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فاني اعطي رجالا حديثي عهد بكفر اتالفهم اما ترضون
ان يذهب الناس بالاموال وترجعون الى رحالكم برسول الله صلى الله عليه وسلم فوالله ما تنقلبون

خير مما ينقلبون به قالوا بلى يا رسول الله قد رضينا قال فانكم ستجدون بعدي اثرة شديدة
فاصبروا حتى تلقوا الله ورسوله على الحوض قالوا سنصبر زاد في رواية قال انس فلم نصبر (ق) عن عبد الله
ابن زيد بن عاصم قال لما افاء الله على رسوله صلى الله عليه وسلم يوم حنين قسم في الناس في المؤلفة
قلوبهم ولم يعط الانصار شيئا فكانهم وجدوا اذ لم يصبهم ما اصاب الناس فخطبهم فقال
يا معشر الانصار الم اجدكم ضلالا فهداكم الله بي وكنتم متفرقين فالفكم الله بي وعالة فاغناكم الله
بي كلما قال شيئا قالوا الله ورسوله امن قال ما يمنعكم ان تجيبوا رسول الله كلما قال شيئا قالوا الله ورسوله
امن قال لو شئتم قلتم جئتنا كذا وكذا اترضون ان يذهب الناس بالشاة والبعير وتذهبون بالنبي الى
رحالكم لولا الهجرة لكنت امرا من الانصار ولو سلك الناس واديا او شعبا لسلكت وادي الانصار وشعبهم
الانصار شعار والناس دثار (م) عن رافع بن خديج قال اعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم ابا سفيان
ابن حرب وصفوان بن امية وعيينة بن حصن والاقرع بن حابس كل انسان مائة من الابل واعطى عباس
ابن مرداس دون ذلك فقال عباس بن مرداس ⁕ اتجعل نهبي ونهب العبيد ⁕ بين عيينة والاقرع ⁕
فما كان حصن ولا حابس ⁕ يفوقان مرداس في مجمع ⁕ وما كنت دون امرئ منهما ⁕ ومن تخفض اليوم لا يرفع
قال فاتم له رسول الله صلى الله عليه وسلم مائة (خ) عن المسور ومروان ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قام
حين جاءه وفد هوازن مسلمين فسالوه ان يرد عليهم اموالهم وسبيهم فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان معي من ترون واحب الحديث الي اصدقه فاختاروا احدى الطائفتين اما المال واما السبي وقد كنت
استانيت بكم وفي رواية وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم انتظرهم بضع عشرة ليلة حين قفل
من الطائف فلما تبين لهم ان النبي صلى الله عليه وسلم غير راد عليهم الا احدى الطائفتين قالوا انا نختار
سبينا فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم في الناس فاثنى على الله بما هو اهله ثم قال اما بعد فان اخوانكم هؤلاء
جاءوا تائبين واني قد رايت ان ارد اليهم سبيهم فمن احب منكم ان يطيب ذلك فليفعل فقال الناس
قد طيبنا ذلك لهم يا رسول الله فقال لهم في ذلك انا لا ندري من اذن منكم ممن لم ياذن فارجعوا حتى
يرفع الينا عرفاؤكم امركم فرجع الناس فكلمهم عرفاؤهم ثم رجعوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبروه
انهم قد طيبوا واذنوا فهذا الذي بلغنا من سبي هوازن وانزل الله عز وجل في قصة حنين لقد نصركم الله في
مواطن كثيرة **ويوم حنين اذ اعجبتكم كثرتكم** يعني حتى قلتم لن نغلب اليوم عن قلة **فلم تغن عنكم** اي كثرتكم
شيئا يعني ان الظفر بالعدو ليس بكثرة العدد ولكن انما يكون بنصر الله ومعونته **وضاقت عليكم الارض**
بما رحبت يعني بسعتها وفضائها **ثم وليتم مدبرين** يعني منهزمين **ثم انزل الله سكينته** يعني بعد الهزيمة
والسكينة والطمانينة والامنة وهي فعيلة من السكون وذلك ان الانسان اذا خاف رجف فؤاده فلا
يزال متحركا واذا امن سكن فؤاده وثبت فلما كان الامن موجبا للسكون جعل لفظ السكينة كناية عن الامن وقوله
تعالى **على رسوله وعلى المؤمنين** انما كان انزال السكينة على المؤمنين لان الرسول صلى الله عليه وسلم كان ساكن
القلب ليس عنده اضطراب كما حصل للمؤمنين من الهزيمة والاضطراب في هذه الواقعة ثم من الله عليهم

بانزال السكينة عليهم حتى رجعوا الى قتال عدوهم بعد الهزيمة ورسول الله صلى الله عليه وسلم ثابت لم
يفر **وانزل جنودا لم تروها** يعني الملائكة لتثبيت المؤمنين وتشجيعهم وتخذيل المشركين وتجبينهم
لا للقتال لان الملائكة لم تقاتل الا يوم بدر **وعذب الذين كفروا** يعني بالقتل والاسر وسبي العيال
وسلب الاموال **وذلك جزاء الكافرين** يعني في الدنيا ثم اذا افضوا الى الاخرة كان لهم عذاب اشد من ذلك
العذاب واعظم **ثم يتوب الله من بعد ذلك على من يشاء** يعني فيهديه الى الاسلام كما فعل بمن بقي من هوازن
حيث اسلموا وقدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم تائبين فمن عليهم واطلق سبيهم **والله غفور** لمن تاب
رحيم بعباده ⁕ قوله تعالى **يا ايها الذين امنوا انما المشركون نجس** قيل اراد بالمشركين عبدة الاصنام دون غيرهم
من اصناف الكفار وقيل بل اراد جميع اصناف الكفار عبدة الاصنام وغيرهم من اليهود والنصارى والنجس الشيء
القذر من الناس وغيرهم وقيل النجس الخبيث واراد بهذه النجاسة نجاسة الحكم لا نجاسة العين سموا
نجسا على الذم لان الغتها لا تنفقوا على طهارة ابدانهم وقيل هم انجاس العين كالكلب والخنزير حتى قال الحسن بن
صالح من مس مشركا فليتوضا ويروى هذا عن الزيدية من الشيعة والقول الاول اصح وقال قتادة سماهم نجسا
لانهم يجنبون فلا يغتسلون ويحدثون فلا يتوضؤون **فلا يقربوا المسجد الحرام** والمراد منعهم من دخول
الحرم لانهم اذا دخلوا الحرم فقد قربوا من المسجد الحرام ويؤكد هذا قوله سبحان الذي اسرى بعبده
ليلا من المسجد الحرام اراد به الحرم لانه اسري به صلى الله عليه وسلم من بيت ام هانئ قال العلماء وجملة بلاد
الاسلام في حق الكفار ثلاثة اقسام احدها الحرم فلا يجوز لكافر ان يدخله بحال ذميا كان او مستامنا
لظاهر هذه الاية وبه قال الشافعي واحمد ومالك فلو جاء رسول من دار الكفر والامام في الحرم فلا ياذن
له في دخول الحرم بل يخرج اليه بنفسه او يبعث اليه من يسمع رسالته خارج الحرم وجوز ابو حنيفة
واهل الكوفة للمعاهد دخول الحرم القسم الثاني من بلاد الاسلام الحجاز وحده ما بين اليمامة وبين
اليمن وبين نجد والمدينة الشريفة قيل نصفها تهامي ونصفها حجازي وقيل كلها حجازي وقال ابن الكلبي
حد الحجاز ما بين جبلي طي وطريق العراق سمي حجازا لانه حجز بين تهامة ونجد وقيل لانه حجز بين
نجد والسراة وقيل لانه حجز بين نجد وتهامة والشام قال الحربي وتبوك من الحجاز فيجوز للكفار
دخول ارض الحجاز بالاذن ولكن لا يقيم فيها اكثر من مقام المسافر وهو ثلاثة ايام (م) عن عمر
انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لاخرجن اليهود والنصارى من جزيرة العرب فلا اترك فيها
الا مسلما زاد في رواية لغير مسلم واوصى فقال اخرجوا المشركين من جزيرة العرب فلم يتفرغ لذلك
ابو بكر واجلاهم عمر في خلافته واجل لمن يقدم تاجرا ثلاثا عن ابن شهاب ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال لا يجتمع دينان في جزيرة العرب اخرجه مالك في الموطا مرسلا (م) عن جابر قال سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الشيطان قد يئس ان يعبده المصلون في جزيرة العرب
ولكن في التحريش بينهم قال سعيد بن عبد العزيز جزيرة العرب ما بين الوادي الى اقصى اليمن الى تخوم
العراق الى البحر وقال غيره حد جزيرة العرب من اقصى عدن ابين الى ريف العراق في الطول ومن جدة وما

والاها من ساحل البحر الى اطراف الشام عرضا والقسم الثالث ساير بلاد الاسلام فيجوز
للكافر ان يقيم فيها بعهد وامان وذمة ولكن لا يدخلون المساجد الا باذن مسلم وقوله تعالى
بعد عامهم هذا يعني العام الذي حج فيه ابو بكر الصديق بالناس ونادى علي ببراءة وان لا يحج بعد
العام مشرك وهو سنة تسع من الهجرة وان خفتم عيلة يعني فقرا وفاقة وذلك ان اهل مكة كانت
معايشهم من التجارات وكان المشركون يجلبون الى مكة الطعام ويتجرون فلما منعوا من دخول الحرم
خاف اهل مكة الفقر وضيق العيش فذكروا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله عز وجل
وان خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله قال عكرمة فاغناهم الله بان انزل المطر مدرارا
وكثر خيرهم وقال مقاتل اسلم اهل جدة وصنعا وجرش من اليمن وجلبوا الميرة الكثيرة
الى مكة فكفاهم الله ما كانوا يخافون وقال الضحاك وقتادة عوضهم الله منها الجزية فاغناهم بها
ان شا قيل انما شرط المشية في الغنى المطلوب ليكون الانسان دايم التضرع والابتهال الى الله في
طلب الخيرات ودفع الافات وان يقطع العبد امله من كل احد الا من الله عز وجل فانه هو القادر على كل
شي وقيل ان المقصود من ذكر هذا الشرط تعليم رعاية الادب كما في قوله لتدخلن المسجد الحرام ان شا
الله ان الله عليم يعني بما يصلحكم حكيم يعني انه تعالى لا يفعل شيا الا عن حكمة وصواب
فمن حكمته ان منع المشركين من دخول الحرم واوجب الجزية والذل والصغار على اهل الكتاب فقال تعالى
قاتلوا الذين لا يومنون بالله ولا باليوم الاخر قال مجاهد نزلت الاية حين امر النبي صلى الله عليه وسلم
بقتال الروم فغزا بعد نزولها غزوة تبوك وقال الكلبي نزلت في قريظة والنضير من اليهود فصالحهم
فكانت اول جزية اصابها اهل الاسلام واول ذل اصاب اهل الكتاب بايدي المسلمين وهذا خطاب
للنبي صلى الله عليه وسلم واصحابه المومنين والمعنى قاتلوا ايها المومنون القوم الذين لا يومنون
بالله ولا باليوم الاخر فان قلت اليهود والنصارى يزعمون انهم يومنون بالله واليوم الاخر فكيف
اخبر الله عنهم انهم لا يومنون بالله ولا باليوم الاخر قلت ان ايمانهم بالله ليس كايمان المومنين وذلك
ان اليهود يعتقدون التجسيم والتشبيه والنصارى يعتقدون الحلول ومن اعتقد ذلك فليس يومن
بالله وقيل من اعتقد ان العزير ابن الله وان المسيح ابن الله فليس يومن بالله بل هو مشرك بالله
وقيل من كذب رسولا من رسل الله فليس يومن بالله واليهود والنصارى يكذبون اكثر الانبيا
فليسوا بمومنين بالله واما ايمانهم باليوم الاخر فليس كايمان المومنين وذلك انهم يعتقدون
بعثة الارواح دون الاجساد ويعتقدون ان اهل الجنة لا ياكلون فيها ولا يشربون ولا ينكحون
ومن اعتقد ذلك فليس ايمانه كايمان المومنين وان زعم انه مومن وقوله تعالى ولا يحرمون ما حرم
الله ورسوله يعني ولا يحرمون الخمر والخنزير وقيل معناه انهم لا يحرمون ما حرم الله في القران
ولا ما حرم رسوله في السنة وقيل معناه لا يعملون بما في التوراة والانجيل بل حرفوها واتوا باحكام
من قبل انفسهم ولا يدينون دين الحق يعني ولا يعتقدون صحة الاسلام الذي هو دين الحق وقيل الحق هو الله تعالى

ومعناه ولا يدينون دين الله ودينه الاسلام بدليل قوله ان الدين عند الله الاسلام وقيل معناه
ولا يدينون دين اهل الحق وهم المسلمون ولا يطيعون الله كطاعتهم من الذين اوتوا الكتاب يعني اعطوا
الكتاب وهم اليهود والنصارى حتى يعطوا الجزية وهي ما يعطي المعاهد من اهل الكتاب على عهده وهي الخراج
المضروب على رقابهم سميت جزية للاجتزاء بها في حقن دمايهم عن يد يعني قهر وغلبة يقال لكل من اعطى
شيا كرها من غير طيب نفس اعطى عن يد قال ابن عباس يعطونها بايديهم ولا يرسلون بها على يد غيرهم
وقيل يعطونها نقدا لا نسية وقيل يعطونها مع اقرارهم بانعام المسلمين عليهم بقبولها وهم صاغرون
من الصغار وهو الذل والاهانة يعني يعطون الجزية وهم اذلا مقهورون وقال عكرمة يعطون الجزية
وهم قيام والقابض جالس وقال ابن عباس توخذ الجزية من احدهم ويوطا عنقه وقال الكلبي اذا اعطى
يصفع قفاه وقيل هو ان يوخذ بلحيته ويضرب في لهزمته ويقال له اد حق الله يا عدو الله وقال
الشافعي الصغار هو جريان احكام المسلمين عليهم فصل في بيان حكم الاية اجمعت على جواز
اخذ الجزية من اهل الكتاب وهم اليهود والنصارى اذا لم يكونوا عربا واختلفوا في الكتابي العربي
وفي غير اهل الكتاب من كفار العجم فذهب الشافعي الى ان الجزية على الاديان لا على الانساب فتوخذ من
اهل الكتاب عربا كانوا او عجما ولا توخذ من عبدة الاوثان بحال واحتج بما روي عن انس ان النبي صلى
الله عليه وسلم بعث خالد بن الوليد الى اكيدر دومة فاخذه فاتوا به فحقن دمه وصالحه على الجزية اخرجه
ابو داود وقال الشافعي وهو رجل من العرب يقال انه من غسان واخذ من اهل ذمة اليمن وعامتهم عرب
وذهب مالك والاوزاعي الى ان الجزية توخذ من جميع الكفار الا المرتد وقال ابو حنيفة توخذ من اهل
الكتاب على العموم وتوخذ من مشركي العجم ولا توخذ من مشركي العرب وقال ابو يوسف لا توخذ من
العرب كتابيا كان او مشركا وتوخذ من العجمي كتابيا كان او مشركا واما المجوس فاتفقت الصحابة
على جواز اخذ الجزية منهم ويدل عليه ما روي عن بجالة بن عبدة ويقال عبدة لم يكن عمر اخذ الجزية
من المجوس حتى شهد عبد الرحمن بن عوف ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اخذها من مجوس هجر
اخرجه البخاري عن جعفر بن محمد عن ابيه ان عمر بن الخطاب ذكر المجوس فقال ما ادري كيف اصنع
في امرهم فقال عبد الرحمن بن عوف اشهد لسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول سنوا بهم سنة
اهل الكتاب اخرجه مالك في الموطا عن ابن شهاب قال بلغني ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اخذ
الجزية من مجوس البحرين وان عمر اخذها من مجوس فارس وان عثمان بن عفان اخذها من البربر اخرجه مالك
في الموطا وفي امتناع عمر عن اخذ الجزية من المجوس حتى شهد عبد الرحمن ان النبي صلى الله عليه وسلم اخذها
منهم دليل على ان راي الصحابة كان على انها لا توخذ من كل مشرك وانما توخذ من اهل الكتاب واختلفوا
في ان المجوس هل هم من اهل الكتاب فروي عن علي بن ابي طالب انه قال كان لهم كتاب يدرسونه فاصبحوا وقد
اسري على كتابهم فرفع من بين اظهرهم واتفقوا على تحريم ذبايحهم ومناكحتهم بخلاف اهل الكتاب
واما من دخل في دين اليهود والنصارى من غيرهم من المشركين نظر فان كان قد دخلوا فيه قبل النسخ والتبديل

يقرون بالجزية وتحل مناكحتهم وذبايحهم وان دخلوا في دينهم بعد النسخ بمجي محمد صلى الله عليه وسلم
ونسخ شريعتهم بشريعته فلا يقرون بالجزية ولا تحل ذبايحهم ومناكحتهم ومن شككنا في امرهم انهم هل
دخلوا فيه بعد النسخ او قبله يقرون بالجزية تغليبا لحقن الدم ولا تحل ذبايحهم ومناكحتهم تغليبا للتحريم
فمنهم نصارى العرب من تنوخ وبهرا وبني تغلب اقرهم عمر بالجزية وقال لا تحل لنا ذبايحهم واما الصابية
والسامرة فسبيلهم سبيل اهل الكتاب فهم في اهل الكتاب كاهل البدع في المسلمين واما قدر الجزية
فاقلها دينار ولا يجوز ان ينقص عنه ويقبل الدينار من الغني والفقير والمتوسط ويدل عليه ما روي
عن معاذ بن جبل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما وجهه الى اليمن امره ان ياخذ من كل حالم يعني
محتلم دينارا او عدله من المعافري ثياب تكون باليمن اخرجه ابو داود فالنبي صلى الله عليه وسلم امره
ان ياخذ من كل محتلم وهو البالغ دينارا ولم يفرق بين الغني والفقير والمتوسط وفيه دليل على انه
لا توخذ الجزية من الصبيان والنسا وانما توخذ من الاحرار البالغين وذهب قوم الى ان على كل موسر اربعة
دنانير وعلى كل متوسط دينارين وعلى كل فقير دينارا وهو قول اصحاب الراي ويدل عليه ما روي عن
اسلم ان عمر بن الخطاب ضرب الجزية على اهل الذهب اربعة دنانير وعلى اهل الورق اربعين درهما مع
ذلك ارزاق المسلمين وضيافة ثلاثة ايام اخرجه مالك في الموطا قال اصحاب الشافعي اقل الجزية دينار
لا يزيد على الدينار الا بالتراضي فاذا رضي اهل الذمة بالزيادة ضربنا على المتوسط دينارين وعلى الغني
اربعة دنانير قال العلما انما اقر اهل الكتاب على دينهم الباطل بخلاف اهل الشرك حرمة لابايهم الذين
انقرضوا على الدين من شريعة التوراة والانجيل قبل النسخ والتبديل وايضا فان بايديهم كتبا قديمة فربما تفكروا
فيها فيعرفون صدق محمد صلى الله عليه وسلم وصحة نبوته فامهلوا لهذا المعنى وليس المقصود من اخذ الجزية
من اهل الكتاب اقرارهم على كفرهم بل المقصود من ذلك حقن دمايهم وامهالهم رجا ان يعرفوا الحق فيرجعوا
اليه بان يومنوا ويصدقوا اذا راوا محاسن الاسلام وقوة دلايله وكثرة الداخلين فيه قوله عز وجل وقالت
اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بافواههم الاية لما ذكر الله تعالى في الاية
المتقدمة ان اليهود والنصارى لا يومنون بالله ولا يدينون دين الحق بينه في هذه الاية واخبر عنهم
انهم اثبتوا لله ولدا ومن جوز ذلك على الله فقد اشرك به لانه لا فرق بين من يعبد صنما وبين من يعبد
المسيح فعرفه بان بهذا انهم لا يومنون بالله ولا يدينون دين الحق وقد تقدم سبب اخذ الجزية
منهم وابقايهم على هذا الشرك وهو حرمة الكتب القديمة التي بايديهم ولعلهم يتفكرون فيها ويعرفون
الحق فيرجعون اليه روى سعيد بن جبير وعكرمة عن ابن عباس قال اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم جماعة
من اليهود سلام بن مشكم والنعمان بن اوفى وشاس بن قيس ومالك بن الصيف فقالوا كيف نتبعك وقد تركت
قبلتنا وانت لا تزعم ان عزيرا ابن الله فانزل الله هذه الاية وقال عبيد بن عمير انما قال هذه المقالة
رجل واحد من اليهود اسمه فنحاص بن عازورا وهو الذي قال ان الله فقير ونحن اغنيا فعلى هذين القولين
القايل لهذه المقالة جماعة من اليهود او واحد وانما نسب ذلك الى اليهود في وقالت اليهود جريا على

عادة العرب في ايقاع اسم الجماعة على الواحد تقول العرب فلان يركب الخيل وانما يركب فرسا واحدا
منها وتقول العرب فلان يجالس الملوك ولعله لم يجالس الا واحدا منهم وروى عطية العوفي عن ابن عباس
انه قال انما قالت اليهود ذلك من اجل ان عزيرا كان فيهم وكانت التوراة عندهم والتابوت فيهم فاضاعوا
التوراة وعملوا بغير الحق فرفع الله عنهم التابوت وانساهم التوراة ونسخها من صدورهم فدعا الله عزير
وابتهل اليه ان يرد اليه التوراة فبينما هو يصلي مبتهلا الى الله عز وجل نزل نور من السما فدخل جوفه فعادت
اليه فاذن في قومه وقال يا قوم قد اتاني الله التوراة وردها الي فعلقوا به يعلمهم ثم مكثوا ما شا الله
ثم ان التابوت نزل بعد ذهابه منهم فلما راوا التابوت عرضوا ما كان يعلمهم عزير على ما في التابوت
فوجدوه مثله فقالوا ما اوتي عزير هذا الا انه ابن الله وقال الكلبي ان بخت نصر لما غزا بيت المقدس
وظهر على بني اسرايل وقتل من قرا التوراة وكان عزير اذ ذاك صغيرا فلم يقتله لصغره فلما رجع بنو اسرايل
الى بيت المقدس وليس فيهم من يقرا التوراة بعث الله عزيرا ليجدد لهم التوراة ويكون لهم اية بعد
ما اماته الله ماية سنة قال فاتاه ملك باناء فيه ما فشرب منه فمثلت التوراة في صدره فلما اتاهم قال
انا عزير فكذبوه وقالوا ان كنت كما تزعم فامل علينا التوراة فكتبها لهم من صدره ثم ان رجلا منهم
قال ان ابي حدثني عن جدي ان التوراة جعلت في خابية ودفنت في كرم فانطلقوا معه حتى اخرجوها
فعارضوها بما كتب لهم عزير فلم يجدوه غادر حرفا فقالوا ان الله لم يقذف التوراة في قلب عزير الا
انه ابنه فعند ذلك قالت اليهود عزير ابن الله فعلى هذين القولين ان هذا القول كان فاشيا في اليهود
جميعا ثم انه انقطع ودرس فاخبر الله عنهم واظهره عليهم ولا عبرة بانكار اليهود ذلك فان خبر الله
عز وجل اصدق واثبت من انكارهم واما قول النصارى المسيح ابن الله فكان السبب فيه انهم كانوا على
الدين الحق بعد رفع عيسى عليه السلام احدى وثمانين سنة يصلون الى القبلة ويصومون رمضان حتى
وقع بينهم وبين اليهود حرب وكان في اليهود رجل شجاع يقال له بولص فقتل جماعة من اصحاب عيسى
عليه السلام ثم قال بولص لليهود ان كان الحق مع عيسى فقد كفرنا والنار مصيرنا فنحن مغبونون ان
دخلنا النار ودخلوا الجنة فاني ساحتال واضلهم حتى يدخلوا النار معنا ثم انه عمد الى فرس كان
يقاتل عليه فعرقبه واظهر الندامة والتوبة ووضع التراب على راسه ثم انه اتى الى النصارى فقالوا له
من انت قال انا عدوكم بولص قد نوديت من السما انه ليست لك توبة حتى تتنصر وقد تبت واتيتكم
فادخلوه الكنيسة ونصروه ودخل بيتا فيها لم يخرج منه سنة حتى تعلم الانجيل ثم خرج وقال
قد نوديت ان الله قبل توبتك فصدقوه واحبوه وعلا شانه فيهم ثم انه عمد الى ثلاثة رجال اسم الواحد
نسطور والاخر يعقوب والاخر ملكا فعلم نسطور ان عيسى ومريم والاله ثلاثة وعلم يعقوب ان
عيسى ليس بانسان ولكنه ابن الله وعلم ملكا ان عيسى هو الله لم يزل ولا يزال فلما استمكن ذلك فيهم
دعا كل واحد منهم في الخلوة وقال له انت خالصتي وادع الناس الى ما علمتك وامره ان يذهب
الى ناحية من البلاد ثم قال لهم اني رايت عيسى في المنام وقد رضي عني وقال لكل واحد منهم اني ساذبح

نفسي تقربًا الى عيسى ثم ذهب الى المذبح فذبح نفسه وتفرق اوليك الثلاثة فذهب
واحد الى الروم وواحد الى بيت المقدس والاخر الى ناحية اخرى واظهر كل واحد منهم
مقالته ودعا الناس اليها فتبعه على ذلك طوايف من الناس فتفرقوا واختلفوا ووقع
القتال فكان ذلك سبب قولهم المسيح ابن الله وقال الامام فخر الدين بعد ان حكى هذه الحكاية
والاقرب الذي ان يقال لعله ورد لفظ الابن في الانجيل على سبيل التشريف كما ورد لفظ الخليل
في حق ابراهيم على سبيل التشريف فبالغوا وفسروا لفظ الابن بالبنوة الحقيقية والجهال قبلوا
ذلك منهم وفشى هذا المذهب الفاسد في اتباع عيسى عليه السلام والله اعلم بحقيقة الحال
ذلك قولهم بافواههم يعني انهم يقولون ذلك القول بالسنتهم من غير علم يرجعون اليه قال
اهل المعاني لم يذكر الله قولًا مقرونًا بالافواه والالسن الا كان ذلك القول زورًا وكذبًا لا حقيقة
له يضاهون قال ابن عباس يشابهون والمضاهاة المشابهة وقال مجاهد يواطيون وقال
الحسن يوافقون قول الذين كفروا من قبل قال قتادة والسدي معناه ضاهت النصارى قول
اليهود من قبلهم فقالوا المسيح ابن الله كما قالت اليهود عزير ابن الله وقال مجاهد معناه
يضاهون قول المشركين من قبل لان المشركين كانوا يقولون ان الملايكة بنات الله وقال
الحسن شبه الله كفر اليهود والنصارى بكفر الذين مضوا من الامم الخالية الكافرة وقال
القتبي يريد ان من كان في عصر النبي صلى الله عليه وسلم من اليهود والنصارى يقولون ما قال
اولوهم قاتلهم الله قال ابن عباس لعنهم الله وقال ابن جريج قتلهم الله وقيل ليس هو على تحقيق
المقاتلة ولكنه بمعنى التعجب اي حقا ان يقال لهم هذا القول تعجبًا من بشاعة قولهم كما يقال
لمن فعل فعلا يتعجب منه قاتله الله ما اعجب فعله انى يوفكون يعني انى يصرفون عن الحق بعد
وضوح الدليل واقامة الحجة بان الله واحد احد فجعلوا له ولدا تعالى الله عن ذلك علوا
كبيرًا وهذا التعجب راجع الى الخلق لان الله تعالى لا يتعجب من شي ولكن هذا الخطاب على
عادة العرب في مخاطباتهم فالله تعالى عجب نبيه صلى الله عليه وسلم من تركهم الحق واصرارهم
على الباطل قوله تعالى اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله يعني اتخذ اليهود
والنصارى علماهم وقراهم والاحبار العلما من اليهود والرهبان اصحاب الصوامع من النصارى
اربابا من دون الله يعني انهم اطاعوهم في معصية الله تعالى وذلك انهم احلوا لهم اشيا
وحرموا عليهم اشيا من قبل انفسهم فاطاعوهم فيها فاتخذوهم كالارباب لا انهم عبدوهم
واعتقدوا فيهم الالهية عن عدي بن حاتم قال اتيت النبي صلى الله عليه وسلم وفي عنقي صليب
من ذهب فقال يا عدي اطرح عنك هذا الوثن وسمعته يقرا في سورة براة اتخذوا احبارهم
ورهبانهم اربابا من دون الله قال اما انهم لم يكونوا يعبدونهم ولكنهم كانوا اذا احلوا
لهم شيًا استحلوه واذا حرموا عليهم شيًا حرموه اخرجه الترمذي وقال حديث غريب قال

عبد الله بن المبارك وهل بدل الدين الا الملوك واحبار سو ورهبانها والمسيح بن مريم
يعني اتخذوه الها وذلك لما اعتقدوا فيه من البنوة والحلول اعتقدوا فيه الالهية وما امروا
يعني وما امروا في الكتب الالهية المنزلة عليهم وعلى السنة انبيايهم الا ليعبدوا الها واحدًا
لانه سبحانه هو المستحق للعبادة لا غيره لا اله الا هو سبحانه عما يشركون اي تعالى الله وتنزه
عن ان يكون له شريك في العبادة والاحكام وان يكون له شريك في الالهية يستحق التعظيم والاجلال
يريدون يعني يريد روسا اليهود والنصارى ان يطفيوا نور الله بافواههم يعني يريد هولا
ابطال دين الله الذي جا به محمد صلى الله عليه وسلم بتكذيبهم اياه وقيل المراد من النور الدلايل
الدالة على صحة نبوته صلى الله عليه وسلم وهي امور احدها المعجزات الباهرات الخارقة للعادة
التي ظهرت على يده صلى الله عليه وسلم الدالة على صدقه وثانيها القران العظيم الذي نزل عليه
من عند الله فهو معجزة له باقية على الابد الدال على صدقه وثالثها ان دينه الذي امر به وهو دين
الاسلام ليس فيه شي سوى تعظيم الله والثنا عليه والانقياد لامره ونهيه واتباع طاعته
والامر بعبادته والتبري من كل معبود سواه فهذه امور نيرة ودلايل واضحة في صحة نبوة محمد
صلى الله عليه وسلم فمن اراد ابطال ذلك بكذب وتزوير فقد خاب سعيه وبطل عمله ثم
ان الله تعالى وعد نبيه محمدًا صلى الله عليه وسلم بمزيد النصر واعلا الكلمة واظهار الدين بقوله
ويابى الله الا ان يتم نوره ولو كره الكافرون يعني ويابى الله الا ان يعلي دينه ويظهر كلمته
ويتم الحق الذي بعث به رسوله محمد صلى الله عليه وسلم ولو كره ذلك الكافرون قوله عز وجل
هو الذي ارسل رسوله يعني ان الله الذي يابى الا ان يتم نوره هو الذي ارسل رسوله محمدا
صلى الله عليه وسلم بالهدى يعني بالقران الذي نزله عليه وجعله هاديًا اليه ودين الحق
يعني دين الاسلام ليظهره يعني ليعليه على الدين كله يعني على ساير الاديان وقال ابن عباس
الها في ليظهره عايدة الى الرسول صلى الله عليه وسلم والمعنى ليعلمه شرايع الدين كلها ويظهره
عليها حتى لا يخفى عليه شي منها وقال غيره من المفسرين الها راجعة الى الدين الحق والمعنى
ليظهر دين الاسلام على الاديان كلها وهو ان لا يعبد الله الا به وقال ابو هريرة والضحاك
وذلك عند نزول عيسى عليه السلام فلا يبقى اهل دين الا دخلوا في الاسلام ويدل على صحة
هذا التاويل ما روي عن ابي هريرة في حديث نزول عيسى عليه السلام قال النبي صلى الله عليه
وسلم ويهلك في زمانه الملل كلها الا الاسلام عن المقداد قال سمعت رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقول لا يبقى على وجه الارض بيت مدر ولا وبر الا ادخله الله كلمة الاسلام اما بعز
عزيز او بذل ذليل اما يعزهم فيجعلهم من اهله فيعزوا به واما ان يذلهم فيدينون له اخرجه
البغوي بغير سند م عن عايشة قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا يذهب
الليل والنهار حتى تعبد اللات والعزى فقلت يا رسول الله ان كنت لاظن حين انزل الله تعالى

هو الذي ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ان ذلك تام قال انه سيكون ذلك
ما شاء الله ثم يبعث الله ريحا طيبة فتوفى كل من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من ايمان فيبقى من
لا خير فيه فيرجعون الى دين ابائهم قال الشافعي فقد اظهر الله رسوله صلى الله عليه وسلم على الاديان
بان ابان لكل من سمعه انه الحق وما خالفه من الاديان باطل قال واظهره بان جماع الشرك دينان
دين اهل الكتاب ودين الاميين فقهر رسول الله صلى الله عليه وسلم الاميين حتى دانوا بالاسلام
طوعا وكرها وقتل اهل الكتاب وسبى حتى دان بعضهم بالاسلام واعطى بعضهم الجزية صاغرين
وجرى عليهم حكمه فهذا هو ظهوره على الدين كله ولو كره المشركون قوله تعالى يا ايها الذين
امنوا ان كثيرا من الاحبار والرهبان قد تقدم معنى الاحبار والرهبان وان الاحبار من اليهود
والرهبان من النصارى وفي قوله ان كثيرا دليل على الاقل من الاحبار والرهبان لم ياكلوا اموال
الناس بالباطل ولعلهم الذين كانوا قبل بعث النبي صلى الله عليه وسلم وعبر عن اخذ الاموال بالاكل
في قوله تعالى ليا كلون اموال الناس بالباطل لان المقصود الاعظم من جميع المال الاكل فسمى الشيء
باسم ما هو اعظم مقاصده واختلفوا في السبب الذي من اجله اكلوا اموال الناس بالباطل فقيل انهم كانوا
ياخذون الرشا من سفلتهم في تخفيف الشرايع والمسامحة في الاحكام وقيل انهم كانوا يكتبون بايديهم
كتبا يحرفونها ويبدلونها ويقولون هذه من عند الله وياخذون بها ثمنا قليلا وهي الماكل التي
كانوا يصيبونها من سفلتهم على تغيير نعت النبي صلى الله عليه وسلم وصفته من كتبهم لانهم كانوا
يخافون لو امنوا به وصدقوه لذهبت عنهم تلك الماكل وقيل ان التوراة كانت مشتملة على
ايات دالة على بعثة النبي صلى الله عليه وسلم فكان الاحبار والرهبان يذكرون في تاويلها
وجوها فاسدة باطلة ويحرفون معانيها طلبا للرياسة واخذ الاموال ومنع الناس عن
الايمان وذلك قوله تعالى ويصدون عن سبيل الله يعني ويمنعون الناس عن الايمان بمحمد صلى الله
عليه وسلم والدخول في دين الاسلام والذين يكنزون الذهب والفضة اصل الكنز في اللغة جعل
المال بعضه على بعض وحفظه ومال مكنوز اي مجموع واختلفوا في المراد بهولاء الذين ذمهم
الله بسبب كنزهم الذهب والفضة فقيل هم اهل الكتاب قاله معاوية بن ابي سفيان لان الله تعالى
وصفهم بالحرص الشديد على اخذ اموال الناس بالباطل ثم وصفهم بالبخل الشديد وهو جمع المال
ومنع اخراج الحقوق الواجبة منه وقال ابن عباس والسدي نزلت في مانعي الزكاة من المسلمين وذلك
انه لما ذكر قبح طريقة الاحبار والرهبان في الحرص على اخذ الاموال بالباطل حذر المسلمين من ذلك
وذكر وعيد من جمع المال ومنع حقوق الله منه وقال ابو ذر نزلت في اهل الكتاب وفي المسلمين ووجه
هذا القول ان الله وصف اهل الكتاب بالحرص على اخذ المال بالباطل ثم ذكر بعده وعيد من جمع
المال ومنع الحقوق الواجبة فيه سوا كان من اهل الكتاب ومن المسلمين خ عن زيد بن وهب قال
مررت بالربذة فاذا انا بابي ذر فقلت ما انزلك على هذا المنزل قال كنت في الشام فاختلفت انا ومعاوية

في هذه الاية والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فقال معاوية نزلت في
اهل الكتاب فقلت نزلت فينا وفيهم فكان بيني وبينه في ذلك كلام فكتب الى عثمان يشكوني ان اقدم
المدينة فقدمتها فكثر على الناس حتى كانهم لم يروني قبل ذلك فذكرت ذلك لعثمان فقال ان شئت فتنحيت
فكنت قريبا فذاك الذي انزلني هذا المنزل ولو امروا علي حبشيا لسمعت واطعت واختلف العلماء في معنى
الكنز فقيل هو مال وجبت فيه الزكاة فلم تؤد زكاته روي عن ابن عمر ان قال له اعرابي اخبرني عن قول الله
عز وجل والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب اليم قال ابن عمر
من كنزها فلم يؤد زكاتها فويل له هذا كان قبل ان تنزل الزكاة فلما نزلت جعلها الله طهرا للاموال اخرجه
البخاري وفي رواية مالك عن عبد الله بن دينار قال سمعت عبد الله بن عمر وهو يسال عن الكنز ما هو فقال
هو المال الذي لا تؤدى منه الزكاة ورواه الطبري بسنده عن ابن عمر قال كل مال اديت زكاته فليس
بكنز وان كان مدفونا وكل مال لم تؤد زكاته فهو الكنز الذي ذكره الله في القران يكوى به صاحبه
وان لم يكن مدفونا وروي عن علي بن ابي طالب قال اربعة الاف فما دونها نفقة وما فوقها الكنز وقيل
الكنز كل ما فضل من المال عن حاجة صاحبه اليه روى الطبري بسنده عن ابي امامة قال توفي رجل
من اهل الصفة فوجد في مئزره دينار فقال النبي صلى الله عليه وسلم كية ثم توفي اخر فوجد في مئزره
ديناران فقال النبي صلى الله عليه وسلم كيتان كان هذا في اول الاسلام قبل ان تفرض الزكاة فكان
يجب على كل من فضل معه شيء من المال اخراجه لاحتياج غيره اليه فلما فرضت الزكاة نسخ ذلك
الحكم عن ابن عباس قال لما نزلت هذه الاية والذين يكنزون الذهب والفضة كبر ذلك على المسلمين
فقال عمر انا افرج عنكم فانطلق فقال يا نبي الله انه كبر على اصحابك هذه الاية فقال ان الله لم يفرض
الزكاة الا ليطيب ما بقي من اموالكم وانما فرض المواريث وذكر كلمة لتكون لمن بعدكم قال فكبر عمر ثم قال له
الا اخبرك بخير ما يكنز المرء المراة الصالحة اذا نظر اليها سرته واذا امرها اطاعته واذا غاب عنها حفظته
اخرجه ابو داود وعن ثوبان قال لما نزلت والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله
كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في اسفاره فقال بعض اصحابه انزلت في الذهب والفضة
فلو علمنا اي المال خير اتخذناه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم افضله لسان ذاكر وقلب شاكر
وزوجة صالحة تعين المومن على ايمانه اخرجه الترمذي وقال حديث حسن والصحيح من هذه
الاقوال القول الاول وهو ما ذكرنا عن ابن عمر ان كل مال اديت زكاته فليس بكنز ولا يحرم على صاحبه
اكتنازه وان كثر وان كل ما لم تؤد زكاته فصاحبه معاقب عليه وان قل اذا كان مما تجب فيه الزكاة
ويستحق على منع الزكاة الوعيد من الله الا ان يتفضل الله عز وجل عليه بعفوه وغفرانه ويدل
على ذلك ما روي عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من صاحب ذهب ولا فضة
لا يودي منها حقها الا اذا كان يوم القيامة صفحت له صفائح من نار فاحمي عليها في نار جهنم فتكوى
بها جبهته وجنبه وظهره كلما بردت اعيدت له في يوم كان مقداره خمسين الف سنة حتى يقضي الله

بين العباد فيرى سبيله اما الى الجنة واما الى النار قيل يا رسول الله فالابل قال ولا صاحب ابل لا يؤدي
منها حقها ومن حقها حلبها يوم وردها الا اذا كان يوم القيامة بطح لها بقاع قرقر اوفر ما كانت
لا يفقد منها فصيلا واحدا تطؤه باخفافها وتعضه بافواهها كلما مر عليه اولاها رد عليه اخراها
في يوم كان مقداره خمسين الف سنة حتى يقضى الله بين العباد فيرى سبيله اما الى الجنة واما الى النار
قيل يا رسول الله فالبقر والغنم قال ولا صاحب بقر ولا غنم لا يؤدي حقها الا اذا كان يوم القيامة
بطح لها بقاع قرقر لا يفقد منها شيا ليس فيها عقصا ولا جلحا ولا عضبا تنطحه بقرونها وتطؤه
باظلافها كلما مر عليه اولاها رد عليه اخراها في يوم كان مقداره خمسين الف سنة حتى يقضى الله بين
العباد فيرى سبيله اما الى الجنة واما الى النار اخرجه مسلم بزيادة فيه قوله كلما بردت اعيدت له
هكذا هو في بعض نسخ صحيح مسلم ردت بضم الرا وفي بعضها بردت بالبا وهذا هو الصواب والرواية
الاولى هي رواية الجمهور وقوله حلبها هو بفتح اللام على المشهور وحكي اسكانها وهو ضعيف قوله بقاع
قرقر هو المستوي من الارض الواسع الاملس والعقصا هي الشاة الملتوية القرنين وانما استثناها لانها
لا تؤلم بنطحها وكذا الجلحا هي الشاة التي لا قرن لها وكذا العضبا وهي الشاة المكسورة القرن
خ عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من اتاه الله مالا فلم يؤد زكاته مثل له ماله
شجاعا اقرع له زبيبتان يطوقه يوم القيمة ثم ياخذ بلهزمتيه يعني شدقيه ثم يقول انا مالك
انا كنزك ثم تلا ولا يحسبن الذين يبخلون بما اتاهم الله من فضله هو خيرا لهم الاية الشجاع الحية
والاقرع صفة له لطول العمر لان من طال عمره تمزق شعره وذهب وهي صفة اخبث الحيات
والزبيبتان هما الزبدتان في الشدقين واللهزمتان عظمان ناتيان في اللحيين تحت الاذنين وقوله تعالى
ولا ينفقونها في سبيل الله يعني ولا يؤدون زكاتها وانما قال ولا ينفقونها ولم يقل ينفقونهما
لانه رد الكناية الى المال المكنوز وهي اعيان الذهب والفضة وقيل رد الكناية الى الفضة لانها
اغلب اموال الناس فبشرهم بعذاب اليم يعني للكافرين الذين لا يؤدون زكاة اموالهم ق عن ابي ذر قال
انتهيت الى النبي صلى الله عليه وسلم وهو جالس في ظل الكعبة فلما راني قال هم الاخسرون ورب الكعبة
قال فجيت حتى جلست فلم اتقار حتى قمت فقلت يا رسول الله فداك ابي وامي من هم قال هم الاكثرون
اموالا الا من قال هكذا وهكذا وهكذا من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله وقليل ما هم
ما من صاحب ابل ولا بقر ولا غنم لا يؤدي زكاتها الا جات يوم القيامة اعظم ما كانت واسمنه
تنطحه بقرونها وتطؤه باظلافها كلما نفدت اخراها عادت عليه اولاها حتى يقضى بين الناس
هذا لفظ مسلم وفرقه البخاري في موضعين وقوله تعالى يوم يحمى عليها يعني على الكنوز فتدخل
النار فيوقد عليها حتى تنبيض من شدة الحرارة في نار جهنم فتكوى بها جباههم يعني بالكنوز جباه
كانزيها وجنوبهم وظهورهم قال ابن مسعود لا يوضع دينار على دينار ولا درهم على درهم
ولكن يوسع جلده حتى يوضع كل دينار ودرهم في موضع على حدته قال بعض العلما انما خص

هذه الاعضا بالكي من بين ساير الاعضا لان الغني صاحب المال اذا اتاه السايل فطلب
منه شيا فتبدو امنه اثار الكراهة والمنع فعند ذلك يقطب وجهه ويكلح ويجمع اسارير
وجهه فيتجعد جبينه ثم ان كرر السايل الطلب ناى بجانبه عنه ومال عن جهته وتركه
جانبا ثم ان كرر الطلب والح في السوال ولاه ظهره واعرض عنه واستقبل جهة اخرى
وهي النهاية في الرد والغاية في المنع الدال على كراهة العطا والبذل وهذا داب مانعي البر
والاحسان وعادة البخلا فلذلك خص هذه الاعضا الثلاثة بالكي يوم القيمة وهو قوله تعالى
هذا ما كنزتم لانفسكم اي يقال لهم ذلك يوم القيمة فذوقوا ما كنتم تكنزون اي فذوقوا
عذاب ما كنزتم في الدنيا من الاموال ومنعتم حق الله منها ق عن الاحنف بن قيس قال قدمت
المدينة فبينا انا في حلقة فيها ملا من قريش اذ جا رجل خشن الثياب خشن الجسد خشن الوجه
فقام عليهم فقال بشر الكافرين برضف يحمى عليه في نار جهنم فيوضع على حلمة ثدي
احدهم حتى يخرج من نغض كتفيه ويوضع على نغض كتفيه حتى يخرج من حلمة ثدييه يتزلزل
قال فوضع القوم رؤوسهم فما رايت احدا منهم رجع اليه شيا قال فادبر فاتبعته حتى
جلس الى سارية فقلت ما رايت هولا الا كرهوا ما قلت لهم فقال ان هولا لا يعقلون شيا
هذا لفظ مسلم وفيه زيادة لم اذكرها وزاد البخاري فقلت من هذا قالوا ابو ذر قال فقمت
اليه فقلت ما شي سمعتك تقول قبل فقال ما قلت الا شيا سمعته من نبيهم صلى الله عليه وسلم
ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا وهي المحرم وصفر وربيع الاول وربيع الاخر
وجمادى الاول وجمادى الاخر ورجب وشعبان ورمضان وشوال وذو القعدة وذو الحجة
وهذه شهور السنة القمرية التي هي مبنية على سير القمر في المنازل وهي شهور العرب التي
يعتد بها المسلمون في صيامهم ومواقيت حجهم واعيادهم وساير امورهم واحكامهم وايام هذه
الشهور ثلثماية وخمسة وخمسون يوما والسنة الشمسية عبارة عن دور الشمس في الفلك
دورة تامة وهي ثلثماية وخمسة وستون يوما وربع يوم فتنقص السنة الهلالية عن السنة
الشمسية عشرة ايام فبسبب هذا النقصان تدور السنة الهلالية فيقع الصوم والحج تارة
في الشتا وتارة في الصيف قال المفسرون وسبب نزول هذه الاية من اجل النسي الذي كانت
العرب تفعله في الجاهلية فكان يقع حجهم تارة في وقته وتارة في المحرم وتارة في صفر وتارة
في غيره من الشهور فاعلم الله عز وجل ان عدد شهور سنة المسلمين التي يعتدوا بها اثنى
عشر شهرا على منازل القمر وسيره فيها وهو قوله تعالى ان عدة الشهور عند الله يعني في
علمه وحكمه اثني عشر شهرا في كتاب الله يعني في اللوح المحفوظ الذي كتب فيه جميع احوال
الخلق وما ياتون وما يذرون وقيل اراد بكتاب الله القران لان فيه ايات تدل على الحساب ومنازل
القمر وقيل اراد بكتاب الله الحكم الذي اوجبه وامر عباده بالاخذ به يوم خلق السموات والارض

يعني ان هذا الحكم حكم به وقضاه يوم خلق السموات والارض ان السنة اثنى عشر شهرا منها يعني
من الشهور اربعة حرم وهي رجب فرد وذو القعدة وذو الحجة والمحرم ثلاثة متواليات وانما سميت
حرما لان العرب في الجاهلية كانت تعظمها وتحرم فيها القتال حتى لو ان احدهم لقي قاتل ابيه وابنه
واخيه في هذه الاشهر لم يهجه ولما جا الاسلام لم يزدها الا حرمة وتعظيما ولان الحسنات والطاعات
فيها تتضاعف وكذلك السيات اشد من غيرها فلا يجوز انتهاك حرمة الاشهر الحرم ذلك الدين القيم
يعني ذلك الحساب المستقيم والعدد الصحيح المستوي فالدين هنا بمعنى الحساب ومنه قوله صلى الله عليه
وسلم الكيس من دان نفسه يعني حاسب نفسه وعمل لما بعد الموت وقيل اراد بالدين القيم الحكم الذي
لا يغير ولا يبدل والقيم هنا بمعنى الدايم الذي لا يزول فالواجب على المسلمين الاخذ بهذا الحساب
والعدد في صومهم وحجهم واعيادهم وبياعاتهم واخذ ديونهم وغير ذلك من ساير احكام المسلمين
المرتبة على الشهور ق عن ابي بكرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق
السموات والارض السنة اثنا عشر شهرا منها اربعة حرم ثلاثة متواليات ذو القعدة وذو الحجة
والمحرم ورجب مضر الذي بين جمادي وشعبان اي شهر هذا قلنا الله ورسوله اعلم فسكت حتى ظننا انه
سيسميه بغير اسمه فقال اليس ذي الحجة قلنا بلى قال اي بلد هذا قلنا الله ورسوله اعلم فسكت حتى
ظننا انه سيسميه بغير اسمه قال اليس البلد الحرام قلنا بلى قال فاي يوم هذا قلنا الله ورسوله اعلم فسكت
حتى ظننا انه سيسميه بغير اسمه فقال اليس يوم النحر قلنا بلى قال فان دماكم واموالكم واعراضكم عليكم حرام
كحرمة يومكم هذا في بلدكم هذا في شهركم هذا وستلقون ربكم فيسالكم عن اعمالكم الا فلا ترجعوا بعدي
كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض الا ليبلغ الشاهد الغايب فلعل من يبلغه ان يكون اوعى له من بعض من سمعه
ثم قال الا هل بلغت الا هل بلغت قلنا نعم قال اللهم اشهد وقوله تعالى فلا تظلموا فيهن انفسكم
قيل الكناية في فيهن ترجع الى جميع الاشهر اي لا تظلموا انفسكم في جميع اشهر السنة بفعل المعاصي
وترك الطاعات لان المقصود منع الانسان من الاقدام على المعاصي والفساد مطلقا في جميع الاوقات
الى الممات وقيل ان الكناية ترجع الى الاشهر الحرم وهو قول اكثر المفسرين وقال قتادة العمل الصالح اعظم
اجرا في الاشهر الحرم والظلم فيهن اعظم فيما سواهن وان كان الظلم على كل حال عظيما وقال ابن عباس لا تظلموا
فيهن انفسكم يريد استحلال الحرام والغارة فيهن وقال محمد بن اسحاق بن يسار لا تجعلوا حلالها حراما ولا
حرامها حلالا كفعل اهل الشرك وهو النسي وقيل ان النفس مجبولة بطبعها على الظلم والفساد والامتناع
عنه على الاطلاق شاق على النفس لا جرم ان خص بعض الاوقات بمزيد التعظيم والاحترام ليمتنع
الانسان في تلك الاوقات من فعل الظلم والقبايح والمنكرات فربما تركها في باقي الاوقات فتصير هذه
الاوقات الشريفة والاشهر المحرمة المعظمة سببا لترك الظلم وفعل المعاصي في غيرها من الاشهر
وهذا وجه الحكمة في تخصيص بعض الاشهر بمزيد التشريف والتعظيم وكذلك الامكنة ايضا وقوله
تعالى وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة يعني قاتلوا المشركين باجمعكم مجتمعين على قتالهم كما

انهم

انهم يقاتلونكم على هذه الصفة والمعنى تعاونوا وتناصروا على قتالهم ولا تخاذلوا ولا تدابروا
ولا تتقاتلوا ولا تجبنوا عن قتالهم وكونوا عباد الله مجتمعين متوافقين في مقابلة اعدايكم من
المشركين واختلف العلما في تحريم القتال في الاشهر الحرم فقال قوم كان كبيرا حراما ثم نسخ بقوله
وقاتلوا المشركين كافة يعني في الاشهر الحرم وفي غيرهن وهذا قول قتادة وعطا الخراساني والزهري
وسفيان الثوري قالوا لان النبي صلى الله عليه وسلم غزا هوازن بحنين وثقيفا بالطايف وحاصرهم
في شوال وبعض ذي القعدة وقال اخرون انه غير منسوخ قال ابن جريج حلف بالله عطا بن ابي
رباح ما يحل للناس ان يغزوا في الحرم ولا في الاشهر الحرم وما نسخت الا ان يقاتلوا فيها واعلموا ان الله مع
المتقين يعني بالنصر والمعونة على اعدايهم قوله تعالى انما النسي زيادة في الكفر النسي في اللغة عبارة
عن التاخير في الوقت ومنه النسية في البيع ومعنى النسي المذكور في الاية هو تاخير شهر حرام الى
شهر اخر وذلك ان العرب في الجاهلية كانت تعتقد حرمة الاشهر الحرم وتعظيمها وكان ذلك مما تمسكت به
من ملة ابراهيم صلى الله عليه وسلم وكان عامة معايش العرب من الصيد والغارة فكان يشق عليهم الكف
عن ذلك ثلاثة اشهر متوالية وربما وقعت حروب في بعض الاشهر الحرم فكانوا يكرهون
تاخير حربهم الى الاشهر الحلال فنسوا يعني اخروا تحريم شهر الى شهر اخر فكانوا يوخرون تحريم المحرم
الى صفر فيستحلون المحرم ويحرمون صفر فاذا احتاجوا الى تاخير تحريم صفر اخروه الى ربيع الاول
فكانوا يصنعون هكذا يوخرون شهرا بعد شهر حتى استدار التحريم على السنة كلها وكانوا
يحجون في كل شهر عامين فحجوا في ذي الحجة عامين ثم حجوا في المحرم عامين ثم حجوا في صفر عامين
وكذلك باقي شهور السنة فوافقت حجة ابي بكر في السنة التاسعة قبل حجة الوداع في السنة الثامنة
من ذي القعدة ثم حج رسول الله صلى الله عليه وسلم في العام المقبل حجة الوداع فوافق حجه في شهر ذي الحجة
وهو شهر الحج المشروع فوقف بعرفة في اليوم التاسع وخطب الناس في اليوم العاشر بمنى واعلمهم
ان اشهر النسي قد تناسخت باستدارة الزمان وعاد الامر الى ما وضع الله عليه حساب الاشهر
يوم خلق السموات والارض وهو قوله صلى الله عليه وسلم ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق
السموات والارض الحديث المتقدم وامرهم بالمحافظة على ذلك لئلا يتبدل في مستانف الايام
واختلفوا في اول من نسا النسي فقال ابن عباس والضحاك وقتادة ومجاهد اول من نسا بنو مالك بن
كنانة وكان يليه ابو ثمامة جنادة بن عوف بن امية الكناني وقال الكلبي اول من فعل ذلك رجل
من بني كنانة يقال له نعيم بن ثعلبة وكان يكون على الناس في الموسم فاذا هم الناس بالصدر قام فخطب
الناس فيقول لا مرد لما قضيت انا الذي لا اعاب ولا اجاب فيقول له المشركون لبيك ثم يسالونه
ان ينسيهم شهرا يغيرون فيه فيقول ان صفرا في هذا العام حرام فاذا قال ذلك حلوا الاوتار
ونزعوا الاسنة والازجة من الرماح وان قال حلال عقدوا الاوتار وشدوا الازجة وركبوا الاسنة في الرماح
واغاروا وكان من بعد نعيم بن ثعلبة رجل يقال له جنادة بن عوف وهو الذي ادرك النبي صلى الله عليه وسلم

قال عبد الرحمن بن زيد بن اسلم هو رجل من بني كنانة يقال له القلمس قال شاعرهم وفينا ناسئ الشهر القلمس وكانوا يفعلون ذلك اذا اجتمعت العرب في الموسم وروى جويبر عن الضحاك عن ابن عباس ان اول من سن النسئ عمرو بن لحي بن قمعة بن خندف والذي صح من حديث ابي هريرة وعايشة ان عمرو بن لحي اول من سيب السوايب وقال النبي صلى الله عليه وسلم رايت عمرو بن لحي يجر قصبه في النار فهذا ما ورد في تفسير النسئ الذي ذكره الله في قوله انما النسئ زيادة في الكفر يعني زيادة كفر على كفرهم وسبب هذه الزيادة انهم امروا بايقاع كل فعل في وقته من الاشهر الحرم ثم انهم بسبب اغراضهم الفاسدة اخروه الى وقت اخر بسبب ذلك النسئ فاوقعوه في غير وقته من الاشهر الحرم فكان ذلك الفعل زيادة في كفرهم يضل به الذين كفروا قرئ يضل بفتح اليا وكسر الضاد ومعناه يضل بالنسئ الذين كفروا اتباعهم من الناس وهم ايضا ضلال في انفسهم وقرئ يضل بضم اليا وفتح الضاد ومعناه ان كبارهم اضلوهم وحملوهم عليه وقرئ يضل به الذين كفروا بضم اليا وكسر الضاد ومعناه يضل الله به الذين كفروا واتباعهم ويضل به الشيطان الذين كفروا بتزيين ذلك لهم وقيل معناه يضل به الذين كفروا تابعيهم والاخذين بافعالهم وهذا الوجه اقوى الوجهين في تفسير قراة من قرا يضل بضم اليا وكسر الضاد يحلونه عاما ويحرمونه عاما يعني يحلون ذلك الانسا عاما ويحرمونه عاما والمعنى يحلون الشهر المحرم عاما فيجعلونه حلا لا ليغيروا فيه ويحرمونه عاما فيجعلونه محرما فلا يغيروا فيه ليواطؤا يعني ليوافقوا عدة ما حرم الله يعني انهم ما احلوا شهرا من الحرم الا حرموا شهرا مكانه من الحلال ولم يحرموا شهرا من الحلال الا احلوا مكانه شهرا من الحرم لاجل ان يكون عدد الاشهر الحرم اربعة كما حرم الله فيكون ذلك موافقة في العدد لا في الحكم فذلك قوله تعالى فيحلوا ما حرم الله زين لهم سوء اعمالهم قال ابن عباس زين لهم الشيطان هذا الحرام والله لا يهدي القوم الكافرين يعني انه تعالى لا يرشد من هو كافر اثيم لما سبق له في الازل انه من اهل النار قوله عز وجل يا ايها الذين امنوا ما لكم اذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثاقلتم الى الارض نزلت هذه الاية في الحث على غزوة تبوك وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم لما رجع من الطايف امر بالجهاد لغزوة الروم وكان ذلك في ذلك عسرة من الناس وشدة من الحر حين طاب الظلال ولم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد غزوة الا ورى بغيرها حتى كانت غزوة تبوك فغزاها رسول الله صلى الله عليه وسلم في حر شديد واستقبل سفرا بعيدا ومفازا وعددا كثيرا فجلى للمسلمين امرهم ليتاهبوا اهبة غزوهم فشق عليهم الخروج وتثاقلوا فانزل الله عز وجل هذه الاية يا ايها الذين امنوا ما لكم اذا قيل لكم يعني قال لكم رسول الله صلى الله عليه وسلم انفروا في سبيل الله اي اخرجوا الى الجهاد يقال استنفر الامام الناس اذا حثهم على الخروج الى الجهاد ودعاهم اليه ومنه قوله صلى الله عليه وسلم واذا استنفرتم فانفروا والاسم النفير اثاقلتم اي تثاقلتم وتباطاتم عن الخروج الى الغزو الى الارض يعني ولزمتم ارضكم ومساكنكم وانما استثقل ذلك الغزو لشدة الزمان وضيق الوقت وشدة الحر وبعد المسافة والحاجة الى كثرة

الاستعداد من العدد والزاد وكان ذلك الوقت وقت ادراك ثمار المدينة وطيب ظلالها وكان العدو كثيرا فاستثقل الناس تلك الغزوة فعاتبهم الله بقوله ارضيتم بالحيوة الدنيا من الاخرة يعني ارضيتم بخفض العيش وزهرة الدنيا ودعتها من نعيم الاخرة فما متاع الحياة الدنيا في الاخرة الا قليل يعني ان لذات الدنيا ونعيمها فان زايل منقرض عن قليل ونعيم الاخرة باق على الابد فلهذا السبب كان متاع الدنيا قليلا بالنسبة الى نعيم الاخرة وفي الاية دليل على وجوب الجهاد في كل حال وفي كل وقت لان الله تعالى نص على ان تثاقلهم عن الجهاد امر منكر فلو لم يكن الجهاد واجبا لما عاتبهم على ذلك التثاقل ويوكد هذا الوعيد المذكور في الاية الاتية وهو قوله تعالى الا تنفروا يعني ان لم تنفروا ايها المومنون الى من استنفركم رسول الله صلى الله عليه وسلم يعذبكم الله عذابا اليما يعني في الاخرة لان العذاب الاليم لا يكون الا في الاخرة وقيل ان المراد به احتباس المطر في الدنيا قال نجدة بن نفيع سالت ابن عباس عن هذه الاية فقال استنفر رسول الله صلى الله عليه وسلم حيا من احيا العرب فتثاقلوا فامسك الله تعالى عنهم المطر فكان ذلك عذابهم ويستبدل قوما غيركم يعني خيرا منكم واطوع قال سعيد بن جبير هم ابنا فارس وقيل هم اهل اليمن وفيه تنبيه على ان الله عز وجل قد تكفل بنصرة نبيه صلى الله عليه وسلم واعزاز دينه فان سارعوا معه الى الخروج الى حيث استنفروا حصلت النصرة بهم ووقع اجرهم على الله عز وجل وان تثاقلوا وتخلفوا عنه حصلت النصرة بغيرهم وحصلت العتبى لهم ولكيلا يتوهموا ان اعزاز رسول الله صلى الله عليه وسلم ونصرته لا يحصل الا بهم وهو قوله تعالى ولا تضروه شيئا قيل الضمير راجع الى الله تعالى يعني ولا تضروا الله شيئا لانه غني عن العالمين وانما تضرون انفسكم بترككم الجهاد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل الضمير راجع الى رسول الله يعني ولا تضروا محمدا صلى الله عليه وسلم شيئا فان الله ناصره على اعدايه ولا يخذله والله على كل شيء قدير يعني انه تعالى قادر على كل شيء فهو ينصر نبيه ويعز دينه قال الحسن وعكرمة هذه الاية منسوخة بقوله وما كان المومنون لينفروا كافة وقال الجمهور هذه الاية محكمة لانها خطاب لقوم استنفرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم ينفروا كما ينقل عن ابن عباس وعلى هذا التقدير فلا نسخ قوله عز وجل الا تنصروه فقد نصره الله يعني الا تنصروا محمدا صلى الله عليه وسلم ايها المومنون هذا خطاب لمن تثاقل عن الخروج معه الى تبوك فاعلم الله عز وجل انه هو المتكفل بنصر رسوله صلى الله عليه وسلم واعزاز دينه واعلا كلمته اعانوه او لم يعينوه وانه قد نصره عند قلة الاوليا وكثرة الاعدا فكيف به اليوم وهو في كثرة من العدد والعدد اذ اخرجه الذين كفروا يعني انه تعالى نصره في الوقت الذي اخرجه كفار مكة من مكة حين مكروا به وارادوا قتله ثاني اثنين اذ هما في الغار يعني هو احد اثنين وهما رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو بكر في الغار والغار نقب عظيم يكون في الجبل وهذا الغار هو في ثور وهو قريب من مكة اذ يقول لصاحبه لا تحزن يعني يقول رسول الله لابي بكر الصديق لا تحزن وذلك ان ابا بكر خاف من الطلب ان يعلموا

بكاؤهم فجزع من ذلك فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تحزن ان الله معنا يعني بالنصر
والمعونة قال الشعبي عاتب الله عز وجل اهل الارض جميعا في هذه الاية غير ابي بكر وقال الحسن
ابن الفضل من قال ان ابا بكر لم يكن صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو كافر لانكاره نص
القران وفي سائر الصحابة اذا انكر يكون مبتدعا ولا يكون كافرا عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال لابي بكر انت صاحبي على الحوض وصاحبي في الغار اخرجه الترمذي وقال حديث
حسن غريب ق عن ابي بكر الصديق قال نظرت الى اقدام المشركين ونحن في الغار وهم على رؤوسنا
فقلت يا رسول الله لو ان احدهم نظر الى قدميه ابصرنا تحت قدميه فقال يا ابا بكر ما ظنك
باثنين الله ثالثهما قال الشيخ محيي الدين النواوي معناه ثالثهما بالنصر والمعونة والحفظ والتسديد
وهو داخل في قوله تعالى ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون وفيه بيان عظيم توكل
النبي صلى الله عليه وسلم حتى في هذا المقام وفيه فضيلة لابي بكر وهو من اجل مناقبه والفضيلة
من اوجه منها اللفظ الدال على ان الله ثالثهما ومنها بذله نفسه ومفارقته اهله وماله
ورياسته في طاعة الله وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم وملازمته النبي صلى الله عليه وسلم
ومعاداة الناس فيه ومنها جعله نفسه وقاية عنه وغير ذلك روي عن عمر بن الخطاب انه
ذكر عنده ابو بكر فقال وددت ان عملي كله مثل عمله يوما واحدا من ايامه وليلة واحدة من لياليه
اما الليلة فليلة سار مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الغار فلما انتهينا اليه قال والله لا تدخله
حتى ادخل قبلك فان كان فيه شيء اصابني دونك فدخل فكسحه ووجد في جانبه ثقبا
فشق ازاره وسدها به وبقي منها ثقبان فالقمهما رجليه ثم قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم
ادخل فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم ووضع راسه في حجره ونام فلدغ ابو بكر في رجليه
من الجحر ولم يتحرك مخافة ان ينتبه رسول الله صلى الله عليه وسلم فسقطت دموعه على وجه رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقال ما لك يا ابا بكر قال لدغت فداك ابي وامي فتفل عليه رسول الله
صلى الله عليه وسلم فذهب ما يجده ثم انتقض عليه وكان سبب موته واما يومه فلما قبض
رسول الله صلى الله عليه وسلم ارتدت العرب وقالوا لا نؤدي الزكاة فقال لو منعوني عقالا لا
جاهدتهم عليه فقلت يا خليفة رسول الله تالف الناس وارفق بهم فقال لي اجبار في الجاهلية
وخوار في الاسلام انه قد انقطع الوحي وتم الدين اينقص وانا حي اخرجه في جامع الاصول
ولم يرقم عليه علامة لاحد قال البغوي وروي انه حين انطلق مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى
الغار جعل يمشي ساعة بين يديه وساعة خلفه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ما لك
يا ابا بكر فقال اذكر الطلب فامشي خلفك ثم اذكر الرصد فامشي بين يديك فلما انتهينا الى الغار
قال مكانك يا رسول الله حتى استبرئ الغار فدخل فاستبراه ثم قال انزل يا رسول الله فنزل وقال
له ان اقتل فانا رجل واحد من المسلمين وان قتلت هلكت الامة ذكر شيئا في حديث الهجرة وهو من

افراد البخاري عن عائشة قالت لم اعقل ابوي قط الا وهما يدينان الدين ولم يمر علينا
يوم الا ياتينا فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم طرفي النهار بكرة وعشية فلما ابتلي
المسلمون خرج ابو بكر مهاجرا نحو ارض الحبشة حتى اذا بلغ برك الغماد لقيه ابن الدغنة
وهو سيد القارة فقال اين تريد يا ابا بكر فقال ابو بكر اخرجني قومي فاريد ان اسيح في الارض
فاعبد ربي فقال ابن الدغنة فان مثلك يا ابا بكر لا يخرج ولا يخرج انك تكسب المعدوم
وتصل الرحم وتحمل الكل وتقري الضيف وتعين على نوائب الحق فانا لك جار فارجع
واعبد ربك ببلدك فرجع وارتحل معه ابن الدغنة فطاف ابن الدغنة في اشراف كفار
قريش فقال ان ابا بكر لا يخرج مثله اتخرجون رجلا يكسب المعدوم ويصل الرحم ويحمل الكل ويقري
الضيف ويعين على نوائب الحق فلم تكذب قريش بجوار ابن الدغنة وفي رواية فانفذت
قريش جوار ابن الدغنة وامنوا ابا بكر وقالوا لابن الدغنة مر ابا بكر فليعبد
ربه في داره وليصل فيها وليقرا ما شاء ولا يؤذينا بذلك ولا يستعلن فانا نخشى ان يفتن
نساءنا وابناءنا فقال ذلك ابن الدغنة لابي بكر فلبث ابو بكر بذلك يعبد ربه في داره ولا
يستعلن بصلاته ولا يقرا في غير داره ثم بدا لابي بكر فابتنى مسجدا بفناء داره وكان
يصلي فيه فيتقصف عليه نساء المشركين وابناؤهم يعجبون منه وينظرون اليه وكان ابو بكر رجلا
بكاء لا يملك عينيه اذا قرا القران فافزع ذلك اشراف قريش من المشركين فارسلوا الى ابن الدغنة
فقدم عليهم فقالوا انا كنا اجرنا ابا بكر بجوارك على ان يعبد ربه في داره فقد جاوز ذلك
فابتنى مسجدا بفناء داره فاعلن بالصلاة والقراءة وانا قد خشينا ان يفتن نساءنا وابناءنا
فانهه فان احب ان يقتصر على ان يعبد ربه في داره فعل وان ابى الا ان يعلن بذلك فسله
ان يرد اليك ذمتك فانا قد كرهنا ان نخفرك ولسنا مقرين لابي بكر الاستعلان قالت
عائشة فاتى ابن الدغنة الى ابي بكر فقال قد علمت الذي عاهدت لك عليه فاما ان تقتصر واما
ان ترجع الي ذمتي فاني لا احب ان تسمع العرب اني اخفرت في رجل عقدت له فقال ابو بكر فاني
ارد اليك جوارك وارضى بجوار الله والنبي صلى الله عليه وسلم يومئذ بمكة فقال النبي صلى الله
عليه وسلم للمسلمين اني اريت دار هجرتكم سبخة ذات نخل بين لابتين وهما الحرتان فهاجر
من هاجر قبل المدينة ورجع عامة من كان بارض الحبشة الى المدينة وتجهز ابو بكر قبل
المدينة فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم على رسلك فاني ارجو ان يؤذن لي فقال ابو بكر
وهل ترجو ذلك بابي انت وامي قال نعم فحبس ابو بكر نفسه على رسول الله صلى الله عليه وسلم
وعلف راحلتين كانتا عنده من ورق السمر وهو الخبط اربعة اشهر قال ابن شهاب قال عروة
قالت عائشة فبينا نحن يوما جلوس في بيت ابي بكر في نحر الظهيرة قال قائل هذا رسول الله
صلى الله عليه وسلم متقنعا في ساعة لم يكن ياتينا فيها فقال ابو بكر فدا له ابي وامي والله ما جاء به

في هذه الساعة الا امر قالت فجا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستاذن فاذن له فدخل فقال
النبي صلى الله عليه وسلم لابي بكر اخرج من عندك فقال ابو بكر انما هم اهلك بابي انت وامي يا رسول
الله قال فاني قد اذن لي في الخروج قال ابو بكر الصحابة بابي انت يا رسول الله فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم نعم قال ابو بكر فخذ بابي انت يا رسول الله احدى راحلتي هاتين فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم بالثمن قالت فجهزناهما احث الجهاز ووضعنا لهما سفرة في جراب
فقطعت اسما بنت ابي بكر قطعة من نطاقها فربطت به على فم الجراب فبذلك سميت ذات
النطاقين قالت ثم لحق رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو بكر بغار في جبل ثور فمكثا فيه
ثلاث ليال يبيت عندهما عبد الرحمن بن ابي بكر وهو غلام شاب ثقف لقن فيدلج من
عندهما بسحر فيصبح مع قريش بمكة كبايت فلا يسمع امرا يكادان به الا وعاه حتى ياتيهما
بخبر ذلك حين يختلط الظلام ويرعى عليهما عامر بن فهيرة مولى ابي بكر منحة من غنم فيريحها
عليهما حين تذهب ساعة من العشا فيبيتان في رسل حتى ينعق بها عامر بن فهيرة بغلس
يفعل ذلك كل ليلة من تلك الليالي الثلاث واستاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم
وابو بكر رجلا من بني الديل وهو من بني عبد بن عدي هاديا خريتا والخريت الماهر بالهداية
وقد غمس حلفا في ال العاص بن وايل السهمي وهو على دين كفار قريش فامناه فدفعا اليه
راحلتيهما وواعداه غار ثور بعد ثلاث ليال فاتاهما صبح ثلاث فارتحلا وانطلق معهما
عامر بن فهيرة والدليل الديلي فاخذ بهم طريق السواحل وفي رواية طريق الساحل قال
ابن شهاب فاخبرني عبد الرحمن بن مالك المدلجي وهو ابن اخي سراقة بن جعشم ان اباه اخبره
انه سمع سراقة بن جعشم يقول جانا رسل كفار قريش يجعلون في رسول الله صلى الله عليه وسلم
وابي بكر دية كل واحد منهما لمن قتله او اسره فبينا انا جالس في مجلس من مجالس قومي بني مدلج
اقبل رجل منهم حتى قام علينا ونحن جلوس فقال يا سراقة اني قد رايت انفا اسودة بالساحل
اراها محمدا واصحابه قال سراقة فعرفت انهم هم فقلت له انهم ليسوا بهم ولكن رايت فلانا
وفلانا انطلقوا باعيننا ثم لبثت في المجلس ساعة ثم قمت فدخلت فامرت جاريتي ان تخرج
بفرسي وهي من وراء اكمة فتحبسها علي واخذت رمحي فخرجت به من ظهر البيت فخططت بزجه
الارض وخفضت عاليه حتى اتيت فرسي فركبتها فرفعتها تقرب حتى دنوت منهم فعثرت بي
فرسي فخررت عنها فقمت فاهويت بيدي الى كنانتي فاستخرجت منها الازلام فاستقسمت
بها اضرهم ام لا فخرج الذي اكره فركبت فرسي وعصيت الازلام تقرب بي حتى اذا سمعت
قراة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو لا يلتفت وابو بكر يكثر الالتفات ساخت يدا فرسي
في الارض حتى بلغتا الركبتين فخررت عنها ثم زجرتها فنهضت فلم تكد تخرج يديها فلما
استوت قايمة اذا لاثر يديها غبار ساطع في السما مثل الدخان فاستقسمت بالازلام فخرج

الذي

الذي اكره فناديتهم بالامان فوقفوا فركبت فرسي حتى جيتهم ووقع في نفسي حين لقيت
ما لقيت من الحبس عنهم ان سيظهر امر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت له ان قومك قد
جعلوا فيك الدية واخبرتهم ما يريد الناس بهم وعرضت عليهم الزاد والمتاع فلم يرزاني ولم
يسالاني الا ان قال اخف عنا ما استطعت فسالته ان يكتب لي كتاب امن فامر عامر بن فهيرة
فكتب لي رقعة من ادم ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ابن شهاب قال عروة بن الزبير
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لقي الزبير في ركب من المسلمين كانوا تجارا قافلين من الشام
فكسى الزبير رسول الله صلى الله عليه وسلم وابا بكر ثياب بياض وسمع المسلمون بالمدينة بمخرج
رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة فكانوا يغدون كل غداة الى الحرة فينتظرونه حتى يردهم
حر الظهيرة فانقلبوا يوما بعدما اطالوا انتظارهم فلما اووا الى بيوتهم اوفى رجل
من يهود على اطم من اطامهم لامر ينظر اليه فبصر برسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه
مبيضين يزول بهم السراب فلم يملك اليهودي ان قال باعلى صوته يا معشر العرب هذا جدكم الذي
تنتظرونه فثار المسلمون الى السلاح فتلقوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بظهر الحرة فعدل بهم
ذات اليمين حتى نزل بهم في بني عمرو بن عوف وذلك يوم الاثنين من شهر ربيع الاول فقام ابو بكر
للناس وجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم صامتا فطفق من جا من الانصار ممن لم ير رسول الله
يحيي ابا بكر حتى اصابت الشمس رسول الله صلى الله عليه وسلم فاقبل ابو بكر حتى ظلل عليه بردايه
فعرف الناس رسول الله صلى الله عليه وسلم عند ذلك فلبث رسول الله صلى الله عليه وسلم في بني
عمرو بن عوف بضع عشرة ليلة واسس المسجد الذي اسس على التقوى وصلى فيه رسول الله صلى
الله عليه وسلم ثم ركب راحلته فسار يمشي معه الناس حتى بركت عند مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم
بالمدينة وهو يصلي فيه يوميذ رجال من المسلمين وكان مربدا للتمر لسهل وسهيل غلامين يتيمين
في حجر اسعد بن زرارة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين بركت راحلته هذا ان شا الله المنزل
ثم دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم الغلامين فساومهما بالمربد ليتخذه مسجدا فقالا لا بل نهبه لك
يا رسول الله ثم بناه مسجدا فطفق رسول الله صلى الله عليه وسلم ينقل معهم اللبن في بنيانه ويقول
وهو ينقل اللبن هذا الحمال لا حمال خيبر هذا ابر ربنا واطهر ويقول اللهم ان الاجر اجر الاخرة
فارحم الانصار والمهاجرة فتمثل بشعر رجل من المهاجرين لم يسم لي قال ابن شهاب ولم يبلغنا في
الاحاديث ان رسول الله صلى الله عليه وسلم تمثل ببيت شعر تام غير هذه الابيات اخرجه
البخاري بطرفه شرح غريب الفاظ الحديث قولها لم اعقل ابوي الا وهما يدينان الدين يعني انهما
كانا ينقادان الى الطاعة وبرك الغماد بفتح البا من برك وكسر الغين المعجمة اسم موضع بينه وبين
مكة خمس ليال مما يلي ساحل البحر الى المدينة من بلاد غفار وقيل هو قليب ما لبني ثعلبة قوله تكسب
المعدوم فيه قولان احدهما انه لقوة سعده وحظه من الدنيا لا يتعذر عليه كسب شي حتى المعدوم

الذي يتعذر كسبه على غيره والقول الثاني انه يملك الشي المعدوم المتعذر لمن لا يقدر عليه فغيبه وصفه بالاحسان والكرم والكل ما يشتمل جملة من حقوق الناس وصلة الارحام والقيام بامر العيال وقرى الضيف ونوايب الحق ما ينوب الانسان من المغارم وقضا الحقوق لمن يقصده انا اللذ جار اي حام وناصر ومدافع عنك والاستعلان والاعلان اظهار المخفي وقوله تقصف النسا عليه يعني ازدحموا عليه والذمة العهد والامان واحتارها نقضها واللابة الجبل والحرة الارض التي تعلوها حجارة سود يقال افعل الشي على رسلك بكسر الرا اي على هينتك والراحلة البعير القوي على الحمل والسير والظهيرة وقت شدة الحر والنطاق حبل او نحوه تشد به المراة وسطها وترفع ثوبها من تحته فتقطع طرفا من اعلاه الى اسفله ليلا يصل الى الارض وقولها ثقف لقن يقال ثقف الرجل ثقافة اذا صار حاذقا فطنا واللقن السريع الفهم والادلاج بتخفيف الدال سير اول الليل وبتشديدها سير اخره والمنيحة الشاة ذات اللبن والرسل بكسر الرا وسكون السين هو اللبن يقال نعق الراعي بالغنم اذا دعاها لتجتمع عليه والغلس ظلام اخر الليل والخريت تقدم شرحه في الحديث وهو الماهر بالهداية واراد بهداية الطريق فهو الدليل وقد غمس حلفا يقال غمس فلان حلفا في ال فلان اذا اخذ بنصيب من عهدهم وحلفهم والاسودة الاشخاص والاكمة التل المرتفع من الارض يقال قرب الفرس يقرب تقريبا اذا عدا عدوا دون الاسراع والكنانة الجعبة التي تجعل فيها السهام والازلام القداح التي كانوا يستقسمون بها عند طلب الحوايج كالفال والقتا الغبار يقال ما رزات فلانا شيا اي ما اصبت منه شيا والمراد انهم لم ياخذوا منه شيا وقوله اوفى اي ارتفعوا اطلع والاطم البنا المرتفع كالحصن وقوله مبيضين هو بكسر اليا اي هم ذووا ثياب بيض والمربد الموضع يوضع فيه التمر كالبيدر وقوله هذا الحمال هو بالحا المهملة يعني هذا الحمل والمحمول من اللبن ابر عند الله واطهر وابقى ذخرا وادوم منفعة في الاخرة لا حمال خيبر يعني ما يحمل من خيبر من التمر والزبيب والطعام المحمول منها والمعنى ان ذلك الحمل الذي نحمله من اللبن لاجل عمارة المسجد افضل عند الله مما يحمل من خيبر وقد روي هذا الجمال بالجيم من الجمال والرواية الاولى اشهر واكثر والله اعلم قال الزهري لما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو بكر الغار ارسل الله تعالى زوجا من حمام حتى باضتا في اسفل النقب ونسجت العنكبوت بيتا وقيل انبت ثمامة على فم الغار وقال النبي صلى الله عليه وسلم اللهم اعم ابصارهم فجعل الطلب يضربون يمينا وشمالا حول الغار يقولون لو دخلا هذا الغار لتكسر بيض الحمام وتفسخ بيت العنكبوت ووجدت في بعض التفاسير شعرا فقد نسبه الى ابي بكر الصديق وهو قوله

قال النبي ولم يجزع يوقرني • ونحن في سدف في ظلمة الغار •
لا تخش شيا فان الله ثالثنا • وقد تكفل لي منه باظهار •
وانما كيد من تخشى بوادره • كيد الشياطين قد كادت لكفار •
والله مهلكهم طرا بما صنعوا • وجاعل المنتهى منهم الى النار •

قوله تعالى **فانزل الله سكينته عليه** يعني فانزل الله الطمانينة والسكون على رسوله محمد صلى الله

عليه وسلم وقال ابن عباس على ابي بكر لان النبي صلى الله عليه وسلم كانت عليه السكينة من قبل ذلك

فصل في الوجوه المستنبطة من هذه الاية الدالة على فضل ابي بكر الصديق منها ان النبي صلى الله عليه وسلم لما اختفى في الغار من الكفار كان مطلعا على باطن ابي بكر الصديق في سره واعلانه وانه من المومنين الصادقين الصديقين المخلصين فاختار صحبته في ذلك المكان المخوف لعلمه بحاله ومنها ان هذه المعجزة كانت باذن الله تعالى فخص الله بصحبة نبيه صلى الله عليه وسلم ابا بكر دون غيره من اهله وعشيرته وهذا التخصيص يدل على شرف ابي بكر وفضله على غيره ومنها ان الله عاتب اهل الارض بقوله الا تنصروه فقد نصره الله سوى ابي بكر الصديق وهذا دليل على فضله ومنها ان ابا بكر لم يتخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر ولا حضر بل كان ملازما له وهذا دليل على صدق محبته وصحة صحبته له ومنها مواساته للنبي صلى الله عليه وسلم في الغار وبذل نفسه له وفي هذا دليل على فضله ومنها ان الله تعالى جعله ثاني رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله ثاني اثنين اذ هما في الغار وفي هذا نهاية الفضيلة لابي بكر وقد ذكر بعض العلما ان ابا بكر كان ثاني رسول الله صلى الله عليه وسلم في اكثر الاحوال فمنها ان النبي صلى الله عليه وسلم دعا الخلق الى الايمان بالله فكان ابو بكر اول من امن ثم دعا ابو بكر الى الايمان بالله ورسوله فاستجاب له عثمان وطلحة والزبير فامنوا على يدي ابي بكر ثم جاء بهم الى النبي صلى الله عليه وسلم ومنها ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يقف في موقف من غزواته الا وابو بكر معه في ذلك الموقف ومنها انه لما مرض صلى الله عليه وسلم قام مقامه في الامامة فكان ثانيه ومنها انه ثانيه في تربته وفي هذا دليل على فضل ابي بكر ومنها ان الله تعالى نص على صحبة ابي بكر دون غيره بقوله اذ يقول لصاحبه لا تحزن ومنها ان الله تعالى كان ثالثهما ومن كان الله معه دل على فضله وشرفه على غيره ومنها انزال السكينة على ابي بكر واختصاصه بها دليل على فضله والله اعلم وقوله تعالى **وايده بجنود لم تروها** يعني وايد النبي صلى الله عليه وسلم بانزال الملايكة ليصرفوا وجوه الكفار وابصارهم عن رويته وقيل القوا الرعب في قلوب الكفار حتى رجعوا وقال مجاهد والكلبي اعانه بالملايكة يوم بدر فاخبر الله تعالى انه نصره وصرف عنه كيد الاعدا وهو في الغار في حال القلة والخوف ثم نصره بالملايكة يوم بدر **وجعل كلمة الذين كفروا السفلى** يعني كلمة الشرك فهي سفلى الى يوم القيامة **وكلمة الله هي العليا** قال ابن عباس هي قول لا اله الا الله فهي باقية الى يوم القيامة عالية وقيل ان كلمة الذين كفروا هي ما كانوا قدروا فيما بينهم من الكيد بالنبي صلى الله عليه وسلم ليقتلوه وكلمة الله هي ما وعده بالنصر والظفر بهم فكان ما وعده الله تعالى حقا وصدقا **والله عزيز حكيم** قوله تعالى **انفروا خفافا وثقالا** يعني انفروا على الصفة التي يخف عليكم الجهاد وعلى الصفة التي يثقل عليكم وهذان الوصفان يدخل تحتهما اقسام كثيرة فلهذا اختلفت عبارات المفسرين فيهما فقال الحسن والضحاك ومجاهد وقتادة وعكرمة يعني شبابا وشيوخا وقال ابن عباس نشاطا وغير نشاط وقال عطية العوفي ركبانا ومشاة وقال ابو صالح خفافا من المال يعني فقرا وثقالا يعني

اغنيا وقال ابن زيد الخفيف الذي لا ضيعة له والثقيل الذي له الضيعة يكره ان يدع
ضيعته ويروى عن ابن عباس قال خفافا اهل الميسرة من المال وثقالا اهل العسرة وقيل خفافا
يعني من السلاح مقلين منه وثقالا يعني مستكثرين منه وقيل مشاغيل وغير مشاغيل وقيل اصحا
ومرضى وقيل عزابا ومتاهلين وقيل خفافا من الحاشية والاتباع وثقالا مستكثرين منهم
وقيل خفافا يعني مسرعين في الخروج الى الغزو ساعة سماع النفير وثقالا يعني بعد التروي
فيه والاستعداد له والصحيح ان هذا عام لان هذه الاحوال كلها داخلة تحت قوله تعالى انفروا
خفافا وثقالا يعني على اي حال كنتم فيها فان قلت فعلى هذا يلزم الجهاد لكل احد حتى المريض
والزمن والفقير وليس الامر كذلك فما معنى هذا الامر قلت من العلما من حمله على الوجوب
ثم انه نسخ قال ابن عباس نسخت هذه الاية بقوله وما كان المومنون لينفروا كافة الاية
وقال السدي نسخت بقوله ليس على الضعفا ولا على المرضى الاية ومنهم من حمل هذا الامر على
الندب قال مجاهد ان ابا ايوب الانصاري شهد بدرا والمشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
ولم يتخلف عن غزوة غزاها المسلمون بعده فقيل له في ذلك فقال سمعت الله عز وجل يقول
انفروا خفافا وثقالا ولا اجدني الا خفيفا او ثقيلا وقال الزهري خرج سعيد بن المسيب
وقد ذهبت احدى عينيه فقيل له انك عليل صاحب ضر فقال استنفر الله الخفيف والثقيل
فان لم يمكني الحرب كثرت السواد وحفظت المتاع وقال صفوان بن عمرو كنت واليا على حمص
فلقيت شيخا قد سقط حاجباه على عينيه من اهل دمشق على راحلته يريد الغزو فقلت
يا عم انت معذور عند الله فرفع حاجبيه وقال يا ابن اخي استنفرنا الله خفافا وثقالا الا انه
من يحبه يبتليه والصحيح هو القول الاول وانها منسوخة ولان الجهاد من فروض الكفايات
ويدل عليه ان هذه الايات نزلت في غزوة تبوك وان النبي صلى الله عليه وسلم خلف في المدينة في تلك
الغزاة النسا وبعض الرجال فدل ذلك على ان الجهاد من فروض الكفايات ليس على الاعيان والله
اعلم وقوله تعالى **وجاهدوا باموالكم وانفسكم في سبيل الله** فيه قولان الاول ان الجهاد انما
يجب على من له مال يتقوى به على تحصيل الات الجهاد ونفس سليمة قوية صالحة للجهاد فيجب
عليه فرض الجهاد والقول الثاني ان من كان له مال وهو عاجز ومقعد او ضعيف لا يصلح
للحرب فعليه الجهاد بماله بان يعطيه غيره ممن يصلح للجهاد فيغزو بماله فيكون مجاهدا بماله
دون نفسه **ذلكم** يعني ذلكم الجهاد **خير لكم** يعني من القعود والتثاقل عنه وقيل معناه ان الجهاد
خير لكم حاصل لكم ثوابه **ان كنتم تعلمون** يعني ان ثواب الجهاد خير لكم من القعود عنه ثم نزل في
المنافقين الذين تخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك قوله عز وجل **لو كان عرضا
قريبا** فيه اضمار تقديره لو كان ما تدعوهم اليه عرضا يعني غنيمة سهلة قريبة التناول
والعرض ما عرض لك من منافع الدنيا ومتاعها يقال الدنيا عرض حاضر ياكل منه البر والفاجر

وسفرا

وسفرا قاصدا يعني سهلا قريبا **لاتبعوك** يعني لخرجوا معك **ولكن بعدت عليهم الشقة** يعني المسافة
والشقة السفر البعيد لانه يشق على الانسان سلوكها ومعنى الاية لو كان العرض قريبا
والغنيمة سهلة والسفر قاصدا لاتبعوك طمعا في تلك المنافع التي تحصل لهم ولكن لما كان
السفر بعيدا وكانوا يستعظمون غزو الروم لا جرم انهم تخلفوا لهذا السبب ثم اخبر الله تعالى
عنهم انه اذا رجع من هذا الجهاد انهم يحلفون بالله وهو قوله **وسيحلفون بالله** يعني المنافقين
الذين تخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذه الغزاة **لو استطعنا لخرجنا معكم** يعني
الى هذه الغزوة **يهلكون انفسهم** يعني بسبب هذه الايمان الكاذبة والنفاق وفيه دليل على
ان الايمان الكاذبة تهلك صاحبها **والله يعلم انهم لكاذبون** يعني في ايمانهم وايمانهم وهو
قولهم لو استطعنا لخرجنا معكم لانهم كانوا مستطيعين الخروج قوله عز وجل **عفا الله عنك
لم اذنت لهم** قال الطبري هذا عتاب من الله عز وجل عاتب الله نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم
اي في اذنه لمن اذن له في التخلف عنه من المنافقين حين شخص الى تبوك لغزو الروم والمعنى عفا
الله عنك يا محمد ما كان منك في اذنك لهولا المنافقين الذين استاذنوك في ترك الخروج معك
الى تبوك قال عمرو بن ميمون اثنتان فعلهما رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يومر فيهما بشي
اذنه للمنافقين واخذه الفدا من اسارى بدر فعاتبه الله كما تسمعون وقال سفيان بن عيينة
انظروا الى هذا اللطف بداه بالعفو قبل ان يعيره بالذنب **فصل** استدل بهذه الاية
من يرى جواز صدور الذنوب من الانبيا وبيانه من وجهين احدهما انه تعالى قال عفا الله عنك
والعفو يستدعي سابقة الذنب الوجه الثاني انه تعالى قال لم اذنت لهم وهذا استفهام
معناه الانكار والجواب عن الاول انا لا نسلم ان قوله عفا الله عنك يوجب صدور الذنب بل
نقول ان ذلك يدل على المبالغة في التعظيم والتوقير فهو كما يقول الرجل لغيره اذا كان معظما
له عفا الله عنك ما صنعت في امري رضي الله عنك ما جوابك عن كلامي وعافاك الله وغفر لك
كل هذه الالفاظ في ابتدا الكلام وافتتاحه تدل على تعظيم المخاطب به قال علي بن الجهم
يخاطب المتوكل • عفا الله عنك الا حرمة • تجود بعفوك يا ابن العلا • الم تر عبدا عدا طوره
ومولى عفا ورشيدا هدى • اقلني اقالك من لم يزل • يقيك ويصرف عنك الردى • والجواب عن الثاني
انه لا يجوز ان يكون المراد من قوله لم اذنت لهم الانكار عليه وبيانه اما ان يكون قد صدر عنه ذنب
في هذه الواقعة او لا فان كان قد صدر عنه ذنب فذكر الذنب بعد العفو لا يليق فقوله عفا الله
عنك يدل على حصول العفو وبعد حصول العفو يستحيل ان يتوجه الانكار عليه وان لم يكن قد صدر
عنه ذنب امتنع الانكار عليه فثبت بهذا ان هذا الانكار ممتنع في حقه صلى الله عليه وسلم وقال القاضي
عياض مما يجب ان يُعلم في الشفا في الجواب عن قوله عفا الله عنك لم اذنت لهم فانه امر لم يتقدم للنبي صلى الله
عليه وسلم فيه من الله تعالى نهي فيعد معصية ولا عده الله تعالى عليه معصية بل لم يعده اهل العلم معاتبة

وغلطوا الى من ذهب الى ذلك قال نفطويه وقد حاشاه الله من ذلك بل كان مخيرا في امرين
قالوا وقد كان له ان يفعل ما يشا فيما لم ينزل عليه فيه وحي فكيف وقد قال الله له فاذن
لمن شئت منهم فلما اذن لهم اعلمه الله بما لم يطلع عليه من سرهم انه لو لم ياذن لهم لقعدوا
وانه لا حرج عليه فيما فعل وليس عفا هنا بمعنى غفر بل كما قال النبي صلى الله عليه وسلم
عفا الله لكم عن صدقة الخيل والرقيق ولم تجب عليهم قط اي لم يلزمكم ذلك ونحوه للقشيري
قال وانما يقول العفو لا يكون الا عن ذنب من لم يعرف كلام العرب قال ومعنى عفا الله عنك
اي لم يلزمك ذنبا قال الداودي انها تكرمة وقال مكي هو استفتاح كلام مثل اصلحك
الله واعزك وحكى السمرقندي ان معناه عافاك الله وقيل معناه ادام الله لك العفو لم
اذنت لهم يعني في التخلف عنك وهذا محمول على ترك الاولى والاكمل لا سيما وهذه كانت من
جنس ما يتعلق بالحروب ومصالح الدنيا حتى يتبين لك الذين صدقوا يعني في اعذارهم
وتعلم الكاذبين يعني فيما يعتذرون به قال ابن عباس لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم
يعرف المنافقين يومئذ حتى نزلت براة قوله تعالى لا يستاذنك الذين يومنون بالله واليوم
الاخر ان يجاهدوا باموالهم وانفسهم اي في ان يجاهدوا وانما حسن هذا الحذف لظهوره
والله عليم بالمتقين يعني الذين يتقون مخالفته ويسارعون الى طاعته انما يستاذنك
يعني في التخلف عن الجهاد معك يا محمد من غير عذر الذين لا يومنون بالله واليوم الاخر وهم
المنافقون لقوله وارتابت قلوبهم يعني شكت قلوبهم في الايمان وانما اضاف الشك والارتياب
الى القلب لانه محل المعرفة والايمان ايضا فاذا دخله الشك كان ذلك نفاقهم فهم في ريبهم
يترددون يعني ان المنافقين متحيرين لا مع الكفار ولا مع المومنين وقد اختلف علما الناسخ
والمنسوخ في هذه الايات فقيل انها منسوخة بالاية التي في سورة النور وهي قوله
تعالى ان الذين يستاذنونك اولئك الذين يومنون بالله ورسوله فاذا استاذنوك لبعض
شانهم فاذن لمن شئت منهم واستغفر لهم الله وقيل انها محكمات كلها ووجه الجمع بين
هذه الايات ان المومنين كانوا يسارعون الى طاعة الله وجهاد عدوهم من غير استيذان
فاذا عرض لاحدهم عذر استاذن في التخلف فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم مخيرا في
الاذن لهم بقوله تعالى فاذن لمن شئت منهم واما المنافقون فكانوا يستاذنون في التخلف
من غير عذر فعيرهم الله بهذا الاستيذان لكونه بغير عذر ولو ارادوا الخروج يعني الى الغزو
معكم لاعدوا له عدة لتهيوا له باعداد الات السفر والات القتال من الكراع والسلاح ولكن
كره الله انبعاثهم يعني خروجهم الى الغزو معكم فثبطهم يعني منعهم وحبسهم عن الخروج
معكم والمعنى ان الله تعالى كره خروج المنافقين مع النبي صلى الله عليه وسلم فصرفهم عنه وها هنا
يتوجه سوال وهو ان خروج المنافقين مع النبي صلى الله عليه وسلم اما ان يكون فيه مصلحة

او مفسدة فان كان فيه مصلحة فلم قال ولكن كره الله انبعاثهم فثبطهم وان كان فيه
مفسدة فلم عاتب نبيه صلى الله عليه وسلم في اذنه لهم بالقعود والجواب عن هذا السوال
ان خروجهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم كان فيه مفسدة عظيمة بدليل انه تعالى اخبر
بتلك المفسدة بقوله لو خرجوا فيكم ما زادوكم الا خبالا بقي فلم عاتب الله رسوله صلى الله
عليه وسلم بقوله لم اذنت لهم فنقول انه صلى الله عليه وسلم اذن لهم قبل تمام الفحص واكمال
التامل والتدبر في حالهم فلهذا السبب قال تعالى لم اذنت لهم وقيل انما عاتبه لاجل انه
اذن لهم قبل ان يوحى اليه في امرهم بالقعود وقيل اقعدوا مع القاعدين معناه انهم لما
استاذنوا في القعود قيل لهم اقعدوا مع القاعدين وهم النسا والصبيان والمرضى واهل
الاعذار ثم اختلفوا في القايل من هو فقيل قاله بعضهم لبعض اقعدوا مع القاعدين
وقيل القايل هو رسول الله صلى الله عليه وسلم وانما قال ذلك لهم على سبيل الغضب لما استاذنوه
في القعود فقال لهم اقعدوا مع القاعدين فاغتنموا ذلك وقعدوا وقيل ان القايل لذلك هو الله
تعالى بان القى في قلوبهم القعود لما كره انبعاثهم مع المسلمين الى الجهاد ثم بين تعالى ما في
خروجهم من المفاسد فقال تعالى لو خرجوا فيكم ما زادوكم الا خبالا يعني لو خرج هولا المنافقون
معكم الى الغزو ما زادوكم الا فسادا وشرا واصل الخبال الاضطراب ومرض يوثر في العقل
كالجنون قال بعض النحاة هذا من الاستثنا المنقطع والمعنى لو خرجوا فيكم ما زادوكم
قوة لكن خبالا والمراد به هنا الافساد وايقاع الجبن والفشل بين المومنين بتهويل
الامر وشدة السفر وكثرة العدو وقوتهم ولاوضعوا خلالكم يعني ولاسرعوا فيكم وساروا
بينكم بالقا النميمة والاحاديث الكاذبة فيكم يبغونكم الفتنة يعني يطلبون لكم ما تفتنون
به وذلك انهم يقولون للمومنين لقد جمع كذا وكذا ولا طاقة لكم به وانكم ستهزمون منهم
وسيظهرون عليكم ونحو ذلك من الاحاديث الكاذبة التي تجبن وقيل معناه يطلبون
العيب والشر وفيكم سماعون لهم قال مجاهد يعني وفيكم عيون لهم يودون اليهم اخباركم وما
يسمعون منكم وهم الجواسيس وقال قتادة وفيكم مطيعون لهم يسمعون كلام المنافقين
ويطيعونهم وذلك بانهم يلقون اليهم انواعا من الشبهات الموجبة لضعف القلب فيقبلونها
منهم فان قلت كيف يجوز ان يكون في المومنين المخلصين من يسمع ويطيع للمنافقين
قلت يحتمل ان يكون لبعض المومنين لهم اقارب من كبار المنافقين ورؤسايهم فاذا قالوا قولا
ربما اثر ذلك القول في قلوب ضعفة المومنين في بعض الاحوال والله عليم بالظالمين
وهذا وعيد وتهديد للمنافقين الذين يلقون الفتن والشبهات بين المومنين وقوله تعالى
لقد ابتغوا الفتنة من قبل يعني لقد طلبوا صد اصحابك يا محمد عن الدين وردهم الى الكفر
وتخذيل الناس عنكم مثل هذا اليوم كما فعل عبد الله بن ابي ابن سلول يوم احد حين انصرف

باصحابه عنكم وقلبوا لك الامور يعني واجالوا فيك وفي امرك وفي ابطال دينك الراي وبالغوا
في تخذيل الناس عنك وقصدهم تشتيت امرك حتى جاء الحق يعني النصر والظفر وظهر امر الله وهم
كارهون يعني ذلك قوله عز وجل ومنهم من يقول ائذن لي ولا تفتني نزلت في الجد بن قيس وكان من
المنافقين وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم لما تجهز الى غزوة تبوك قال للجد بن قيس يا ابا وهب
هل لك في جلاد بني الاصفر يعني الروم تتخذ منهم سراري ووصفا فقال الجد يا رسول الله
لقد عرف قومي اني رجل مغرم بالنساء واني اخشى ان رايت بنات بني الاصفر ان لا اصبر عنهن
ائذن لي في القعود ولا تفتني بهن واعينك بمالي قال ابن عباس اعتل الجد بن قيس ولم يكن له
علة الا النفاق فاعرض عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال قد اذنت لك فانزل الله
عز وجل فيه ومنهم يعني ومن المنافقين من يقول ائذن لي يعني في التخلف والقعود في المدينة
ولا تفتني يعني ببنات بني الاصفر وهم الروم الا في الفتنة سقطوا يعني انهم وقعوا في
الفتنة العظيمة وهي النفاق ومخالفة رسول الله صلى الله عليه وسلم والقعود عنه
وان جهنم لمحيطة بالكافرين يعني يوم القيامة تحيط بهم وتجمعهم فيها قوله تعالى ان تصبك
حسنة تسوهم يعني ان تصبك يا محمد حسنة من نصر وغنيمة تحزن المنافقين وان تصبك
مصيبة يعني من هزيمة او شدة يقولوا يعني المنافقين قد اخذنا امرنا يعني اخذنا امرنا
بالجد والحزم في القعود عن الغزو من قبل يعني من قبل هذه المصيبة ويتولوا وهم فرحون يعني
مسرورون بما نالك من المصيبة وسلامتهم منها قل لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا يعني قل يا محمد
لهولاء الذين يفرحون بما يصيبك من المصايب والمكروه لن يصيبنا الا ما قدره الله لنا وعلينا
وكتبه في اللوح المحفوظ لان القلم جف بما هو كائن الى يوم القيامة من خير وشر فلا يقدر احد ان
يدفع عن نفسه مكروها نزل به او يجلب لنفسه نفعا اراده ما لم يقدر عليه هو مولانا يعني
ان الله هو ناصرنا وحافظنا وهو اولى بنا من انفسنا في الموت والحياة وعلى الله فليتوكل المومنون
يعني في جميع امورهم قل هل تربصون بنا يعني قل يا محمد لهولاء المنافقين هل تنتظرون بنا ايها
المنافقون الا احدى الحسنيين يعني اما النصر والغنيمة واما الشهادة والمغفرة وذلك ان
المسلم اذا ذهب الى الغزو والجهاد في سبيل الله اما ان يغلب عدوه فيفوز بالنصر والغنيمة
والاجر العظيم في الاخرة واما ان يقتل في سبيل الله فتحصل له الشهادة وهي الغاية القصوى
ويدل على ذلك ما روي عن ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال تكفل الله وفي
رواية تضمن الله لمن خرج في سبيله لا يخرجه الا جهاد في سبيلي وايمان بي وتصديق برسلي
فهو علي ضامن ان ادخله الجنة او ارجعه الى مسكنه الذي خرج منه نائلا ما نال من اجر او غنيمة
اخرجاه في الصحيحين وقوله تعالى ونحن نتربص بكم يعني ونحن ننتظر بكم احدى السوءتين ان يصيبكم
الله بعذاب من عنده يعني فيهلككم كما اهلك من كان قبلكم من الامم الخالية او بايدينا يعني او

يصيبكم

يصيبكم بايدي المومنين بان نظفر بكم ويظهرنا عليكم فتربصوا انا معكم متربصون قال الحسن
فتربصوا مواعيد الشيطان انا متربصون مواعيد الله من اظهار دينه واستيصال من خالفه قل انفقوا
طوعا او كرها نزلت في الجد بن قيس المنافق وذلك انه استاذن رسول الله صلى الله عليه وسلم في القعود عنه
وقال انا اعطيكم مالي فانزل الله ردا عليه قل اي قل يا محمد لهذا المنافق وامثاله في النفاق انفقوا
طوعا او كرها يعني انفقوا طايعين من قبل انفسكم او مكرهين بالانفاق بالزام الله ورسوله اياكم
بالانفاق لن يتقبل منكم لان هذا الانفاق انما وقع لغير الله وهذه الاية وان كانت خاصة في انفاق
المنافقين فهي عامة في حق كل من انفق ماله لغير وجه الله بل انفقه رياء وسمعة فانه لا يتقبل منه ثم علل
سبب منع القبول بقوله انكم اي لانكم كنتم قوما فاسقين والمراد بالفسق هنا الكفر ويدل عليه قوله وما منعهم
ان تقبل منهم نفقاتهم الا انهم كفروا بالله وبرسوله اي المانع من قبول نفقاتهم هو كفرهم بالله ورسوله ولا ياتون
الصلاة الا وهم كسالى جمع كسلان يعني متثاقلين في الاتيان الى الصلاة وذلك لانهم لا يرجون على فعلها
ثوابا ولا يخافون على تركها عقابا ولذلك ذمهم مع فعلها ولا ينفقون الا وهم كارهون لانهم كانوا
يعتقدون الانفاق في سبيل الله مغرما ومنع ذلك الانفاق مغنما فلا تعجبك يا محمد اموالهم ولا اولادهم
وهذا الخطاب وان كان مختصا بالنبي صلى الله عليه وسلم الا ان المراد به جميع المومنين والمعنى فلا تعجبوا باموال
المنافقين واولادهم والاعجاب السرور بالشيء مع نوع من الافتخار به مع الاعتقاد انه ليس لغيره مثله
وهذا يدل على استغراق النفس بذلك الشيء ويكون سبب انقطاعه عن الله عز وجل فينبغي للانسان الا
يعجب بشيء من امور الدنيا ولذا نهى فان العبد اذا كان من الله عز وجل في استدراج كثر ماله وولده فيكثر
اعجابه بماله وولده فيبطر ويكفر نعمة الله عليه ولهذا قال تعالى انما يريد الله ليعذبهم بها في الحيوة الدنيا
فان قلت كيف يكون المال والولد عذابا في الدنيا وفيهما اللذة والسرور في الدنيا قلت قال مجاهد وقتادة
في الاية تقديم وتاخير تقديرها فلا تعجبك اموالهم ولا اولادهم في الحياة الدنيا انما يريد الله ليعذبهم
بها في الاخرة وقيل ان سبب كون المال والولد عذابا في الدنيا هو ما يحصل من المتاعب والمشاق في تحصيلهما
فاذا حصلا ازداد التعب وتحمل المشاق في حفظهما ويزداد الحزن والغم بسبب المصايب الواقعة فيهما
فعلى هذا القول لا حاجة الى التقديم والتاخير في نظم الاية واورد على هذا القول بان هذا التعذيب
حاصل لكل احد من بني ادم مومنهم وكافرهم فما فايدة تخصيص المنافقين بهذا التعذيب في
الدنيا واجيب عن هذا الايراد بان المنافقين مخصوصون بزيادة من هذا العذاب وهو ان المومن قد
علم انه مخلوق للاخرة وانه يثاب بالمصايب الحاصلة له في الدنيا فلم يكن المال والولد في حقه عذابا
في الدنيا واما المنافق فانه لا يعتقد كون الاخرة وان ليس له فيها ثواب فيبقى ما يحصل له في الدنيا من التعب
والشدة والغم والحزن على المال والولد عذابا عليه في الدنيا فثبت بهذا الاعتبار ان المال والولد
عذاب على المنافقين في الدنيا دون المومن وقيل ان تعذيبهم بها في الدنيا اخذ الزكاة منهم والنفقة
في سبيل الله غير مثابين على ذلك وربما قتل الولد في الغزو فلا يثاب المنافق على قتل ولده ونهاب ماله

وقيل يعذبهم بالتعب في جمعه وحفظه والكره في انفاقه والحسرة على تخليفه عند من لا يحمده ثم تقدم في الاخرة على ملك لا يعذره وتزهق انفسهم يعني وتخرج انفسهم وهم كافرون يعني المنافقين والمعنى انهم يموتون على الكفر فيكون عاقبتهم بعد عذاب الدنيا عذاب الاخرة قوله عز وجل ويحلفون بالله يعني المنافقين انهم لمنكم يعني على دينكم وملتكم وما هم منكم يعني انهم كاذبون في ايمانهم ولكنهم قوم يفرقون يعني انهم يخافون ان يظهروا على ما هم عليه من النفاق لو يجدون ملجأ يعني حرزا او حصنا ومعقلا يلجاون اليه وقيل لو وجدوا مهربا لهربوا اليه وقيل لو يجدون قوما يامنون عندهم على انفسهم منكم لصاروا اليهم ولفارقوكم او مغارات يعني غيرانا في الجبال جمع مغارة وهي الموضع الذي يغور فيه الانسان اي يستتر او مدخلا يعني موضع دخول يدخلون فيه وهو السرب في الارض كنفق اليربوع وقال الحسن وجها يدخلونه على خلاف رسول الله صلى الله عليه وسلم لولوا اليه والمعنى انهم لو وجدوا مكانا بهذه الصفة او على احد هذه الوجوه الثلاثة وهي شر الامكنة واضيقها لولوا اليه اي لرجعوا اليه وتحرزوا فيه وهم يجمحون يعني وهم يسرعون الى ذلك المكان والمعنى ان المنافقين لشدة بغضهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمومنين لو قدروا ان يهربوا منكم الى احد هذه الامكنة لصاروا اليه لشدة بغضهم اياكم قوله تعالى ومنهم من يلمزك في الصدقات نزلت في ذي الخويصرة التميمي واسمه حرقوص بن زهير وهو اصل الخوارج ق عن ابي سعيد الخدري قال بينما نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقسم قسما اتاه ذو الخويصرة رجل من بني تميم فقال يا رسول الله اعدل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ويلك من يعدل اذا لم اعدل وفي رواية قد خبت وقد خسرت ان لم اعدل فقال عمر بن الخطاب ايذن لي فيه فاضرب عنقه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم دعه فان له اصحابا يحقر احدكم صلاته مع صلاتهم وصيامه مع صيامهم زاد في رواية يقرون القران لا يجاوز تراقيهم يمرقون من الدين وفي رواية من الاسلام كما يمرق السهم من الرمية وقال الكلبي قال رجل من المنافقين يقال له ابو الجواظ لم تقسم بالسوية فنزلت هذه الاية وقال قتادة ذكر لنا ان رجلا من اهل البادية حديث عهد باعرابية اتى النبي صلى الله عليه وسلم وهو يقسم ذهبا وفضة فقال يا محمد والله لئن كان الله امرك ان تعدل لما عدلت فقال نبي الله صلى الله عليه وسلم ويلك فمن ذا يعدل عليك بعدي وقال ابن زيد قال المنافقون والله لا يعطيها محمد الا من احب ولا يوثر بها الا من هواه فانزل الله تعالى ومنهم من يلمزك في الصدقات يعني ومن المنافقين من يعيبك في قسم الصدقات وفي تفريقها ويطعن عليك في امرها يقال همزه ولمزه بمعنى واحد اي عابه فان اعطوا منها يعني من الصدقات رضوا يعني رضوا عنك في قسمها وان لم يعطوا منها اذا هم يسخطون يعني وان لم تعطهم منها عابوا عليك وسخطوا ولو انهم رضوا يعني ولو ان المنافقين الذين عابوا عليك رضوا بما قسم الله لهم وقنعوا ما اتاهم

الله ورسوله وقالوا حسبنا الله اي كافينا الله سيوتينا الله من فضله ورسوله يعني ما نحتاج اليه انا الى الله راغبون يعني في ان يوسع علينا من فضله فيغنينا عن الصدقة وعن غيرها من اموال الناس وجواب لو محذوف تقديره لكان خيرا لهم واعود عليهم قوله عز وجل انما الصدقات للفقراء والمساكين الاية اعلم ان المنافقين لما لمزوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وعابوه في قسم الصدقات بين الله عز وجل في هذه الاية ان المستحقين للصدقات هولاء الثمانية ومصرفها اليهم ولا تعلق لرسول الله صلى الله عليه وسلم منها بشي ولا ياخذ لنفسه منها شيئا فلم يلمزونه ويعيبون عليه فلا مطعن لهم فيه بسبب قسم الصدقات عن زياد بن الحارث الصدائي قال اتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فبايعته فاتاه رجل فقال اعطني من الصدقة فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله لم يرض بحكم نبي ولا غيره في الصدقات حتى حكم فيها هو فجزاها ثمانية اجزا فان كنت من تلك الاجزا اعطيتك حقك اخرجه ابو داود فصل في بيان حكم الاية وفيه مسايل المسالة الاولى في بيان وجه الحكمة في ايجاب الزكاة على الاغنيا وصرفها الى المحتاجين من الناس وذلك من وجوه الوجه الاول ان المال محبوب بالطبع وسببه ان القدرة صفة من صفات الكمال وصفة الكمال محبوبة لذاتها والمال سبب لتحصيل تلك القدرة فكان المال محبوبا بالطبع واذا استغرق القلب في حب المال اشتغل به عن حب الله عز وجل وعن الاشتغال بالطاعات المقربة الى الله عز وجل فاقتضت الحكمة الالهية بايجاب الزكاة في ذلك المال الذي هو سبب البعد عن الله فيصير سببا للقرب من الله عز وجل باخراج الزكاة منه الوجه الثاني ان كثرة المال توجب قسوة القلب وحب الدنيا والميل الى الشهوات ولذاتها فاوجب الله تعالى الزكاة ليقل ذلك المال الذي هو سبب لقساوة القلب الوجه الثالث سبب وجوب الزكاة امتحان العبد المومن لان التكاليف البدنية غير شاقة على العبد واخراج المال مشق على النفس فاوجب الله عز وجل الزكاة على العباد ليمتحن باخراج الزكاة اصحاب الاموال ليتميز بذلك بين المطيع المخرج لها طيبة بها نفسه من العاصي المانع لها الوجه الرابع ان المال مال الله والاغنيا خزان الله والفقرا عيال الله فامر الله تعالى خزانه الذين هم اغنيا بدفع طايفة من ماله الى عياله فيثيب العبد المومن المطيع المسارع الى امتثال الامر المنفق على عياله ويعاقب العبد العاصي المانع لعياله بماله ق عن ابي موسى الاشعري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الخازن المسلم الامين الذي ينفذ وربما قال يعطي ما امر به فيعطيه كاملا موفرا طيبة به نفسه فيدفعه الى الذي امر به احد المتصدقين الوجه الخامس ان الفقرا ربما تعلقت قلوبهم بالاموال التي بايدي الاغنيا فاوجب الله عز وجل نصيبا للفقرا في ذلك المال تطييبا لقلوبهم الوجه السادس ان المال الفاضل عن حاجة الانسان الاصلية اذا امسكه بقي معطلا عن المقصود الذي لاجله خلق المال فامر بدفع الزكاة الى الفقرا حتى لا يصير ذلك المال معطلا بالكلية

المسئلة الثانية تدل على انه لا حق لاحد في الصدقات الا لهولاء الاصناف الثمانية وذلك مجمع
عليه لان كلمة انما تفيد الحصر وذلك لانها مركبة من ان وما فكلمة ان للاثبات وكلمة ما للنفي
فعند اجتماعهما يفيد الحكم المذكور وصرفه عما عداه فدل ذلك على ان الصدقات لا تصرف
الا الى الاصناف الثمانية المسئلة الثالثة في بيان الاصناف الثمانية فالصنف الاول الفقرا
والثاني المساكين وهم المحتاجون الذي لا يفي خرجهم بدخلهم ثم اختلف العلما في الفرق بين
الفقير والمسكين فقال ابن عباس والحسن ومجاهد وعكرمة والزهري الفقير الذي لا يسال والمسكين
السايل قال ابن عمر ليس بفقير من جمع الدرهم الى الدرهم والتمرة الى التمرة ولكن الفقير من انقى
نفسه وثيابه لا يقدر على شي يحسبهم الجاهل اغنيا من التعفف وقال قتادة الفقير المحتاج الزمن
والمسكين الصحيح وقال الشافعي الفقير من لا مال له ولا حرفة تقع منه موقعا زمنا كان او غير زمن
والمسكين من له مال او حرفة ولكن لا تقع منه موقعا للكفاية سايلا كان او غير سايل فالمسكين
عنده احسن حالا من الفقير وقال ابو حنيفة واصحاب الراي الفقير احسن حالا من المسكين
ومن الناس من قال لا فرق بين الفقير والمسكين حجة الشافعي ومن وافقه ان الله تعالى حكم بصرف
الصدقات الى هولا الاصناف الثمانية دفعا لحاجتهم وتحصيلا لمصلحتهم فبدا بالفقرا وانما
يبدا بالاهم فالاهم فلو لم تكن حاجتهم اشد من حاجة المساكين لما بدا بهم واصل الفقير
المكسور الفقار قال لبيد • لما راى لبد النسور تطايرت • رفع القوادم كالفقير الاعزل
قال ابن الاعرابي الفقير في هذا البيت المكسور الفقار فثبت بهذا ان الفقير انما سمي فقيرا
لزمانة وحاجة شديدة وتمنعه الزمانة من التقلب في الكسب ولان النبي صلى الله عليه وسلم
كان يتعوذ من الفقر وقال اللهم احيني مسكينا وامتني مسكينا واحشرني في زمرة المساكين
يوم القيامة رواه الترمذي من حديث انس فلو كان المسكين اسوا حالا من الفقير لما
تعوذ من الفقر وسال المسكنة فثبت بهذا ان المسكين احسن حالا من الفقير ولان الله تعالى
قال اما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر فاثبت لهم ملكا مع اسم المسكنة لان
السفينة من سفن البحر تساوي دنانير كثيرة ولان الغنى والفقر ضدان والمسكنة قسم ثالث
بينهما فثبت بهذا ان الفقير اشد حالا من المسكين وحجة ابي حنيفة ومن وافقه على ان المسكين
اسوا حالا من الفقير قوله او مسكينا ذا متربة وصف المسكين بكونه ذا متربة وهو الذي
لصق جلده بالتراب وهذا يدل على غاية الضر والشدة ولان الله تعالى جعل الكفارات
للمساكين فلو لم يكن المسكين اشد حاجة من غيره لما جعلها له واحتج ايضا بقول الراعي
اما الفقير الذي كانت حلوبته • وفق العيال فلم يترك له سبد • واحتج ايضا بقول الاصمعي
وابي عمرو بن العلا ان الفقير الذي له ما ياكل والمسكين الذي لا شي له وقيل الفقير الذي له
المسكن والخادم والمسكين الذي لا ملك له وقيل ان كل محتاج الى شي فهو مفتقر اليه وان كان غنيا

عن غيره قال الله انتم الفقرا الى الله فاثبت لهم اسم الفقر مع وجدان المال والجواب عن هذه
الحجج اما قوله او مسكينا ذا متربة فهي حجة لمذهب الشافعي لانه قيد المسكين المذكور هنا بكونه
ذا متربة فدل على انه قد يوجد مسكين لا بهذه الصفة والا لم يبق لهذا القيد فايدة
والجواب عن جعل الكفارات للمساكين انه هو الفقير الذي الصق جلده بالتراب من شدة
المسكنة والجواب عن الاستدلال ببيت الراعي انه ذكر الفقير فكل فقير افرد بالاسم جاز
اطلاق المسكين عليه فسقط الاستدلال به واما الروايات المذكورة فهي معارضة بما تقدم
من الروايات عن ابن عباس وغيره من المفسرين وفي الجملة ان الفقر والمسكنة عبارتان عن شدة
الحاجة وضعف الحال فالفقير هو الذي كسرت الحاجة فقار ظهره والمسكين هو الذي ضعفت
نفسه وسكنت عن الحركة في طلب القوت عن عبد الله بن عمرو بن العاص ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال لا تحل الصدقة لغني ولا لذي مرة سوي اخرجه النسائي وابو داود
وله في رواية اخرى ولا لذي مرة قوي عن عبيد الله بن عدي بن الخيار قال اخبرني رجلان انهما
اتيا النبي صلى الله عليه وسلم وهو في حجة الوداع وهو يقسم الصدقة فسالاه منها فرفع فينا النظر
وخفضه فرانا جلدين فقال ان شيتما اعطيتكما ولا حظ فيها لغني ولا لقوي مكتسب اخرجه
ابو داود والنسائي واخرجه الشافعي ولفظه ان رجلين اتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم فسالاه
عن الصدقة فقال ان شيتما اعطيتكما ولا حظ فيها لغني ولا لذي قوة مكتسب واختلف العلما
في حد الغنى الذي يمنع من اخذ الصدقة فقال الاكثرون حده ان يكون عنده ما يكفيه وعياله
سنة وهو قول مالك والشافعي وقال اصحاب الراي حده ان يملك مايتي درهم وقال قوم من
ملك خمسين درهما او قيمتها لا تحل له الصدقة لما روي عن ابن مسعود قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم من سال الناس وله ما يغنيه جا يوم القيامة ومسالته في وجهه خموش
او خدوش او كدوح قيل يا رسول الله وما يغنيه قال خمسون درهما او قيمتها من الذهب اخرجه
ابو داود والترمذي والنسائي وهذا قول الثوري وابن المبارك واحمد واسحاق وقالوا لا يجوز
ان يعطى الرجل اكثر من خمسين درهما من الزكاة وقيل اربعون درهما لما روي عن ابي سعيد
الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سال وله قيمة اوقية فقد الحف اخرجه ابو
داود وكانت الاوقية في ذلك الزمان اربعين درهما الصنف الثالث قوله والعاملين عليها وهم
السعاة الذين يتولون جباية الصدقات وقبضها من اهلها ووضعها في جهتها فيعطون من مال
الصدقات بقدر اجور امثالهم سوا كانوا فقرا او اغنيا وهذا قول ابن عمر وبه قال الشافعي
وقال مجاهد والضحاك يعطون الثمن من الصدقات وظاهر اللفظ مع مجاهد الا ان الشافعي يقول
هو اجرة عمل فيتقدر بقدر العمل والصحيح ان الهاشمي والمطلبي لا يجوز ان يكون عاملا على الصدقات
لما روي عن ابي رافع ان رسول الله صلى الله عليه وسلم استعمل رجلا من بني مخزوم على الصدقة

فاراد ابو رافع ان يتبعه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تحل لنا الصدقة وان موالي
القوم منهم اخرجه الترمذي والنسائي الصنف الرابع قوله تعالى والمؤلفة قلوبهم وهم
قسمان قسم مسلمون وقسم كفار فاما قسم المسلمين فقسمان القسم الاول هم قوم من اشراف العرب
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعطيهم من الصدقات يتالفهم بذلك كما اعطى عيينة بن زيد بن
حصن والاقرع بن حابس والعباس بن مرداس السلمي فهؤلاء اسلموا وكانت نيتهم ضعيفة فكان
رسول الله صلى الله عليه وسلم يعطيهم لتقوى رغبتهم في الاسلام وقوم اسلموا وكانت
نيتهم قوية في الاسلام وهم اشراف قومهم مثل عدي بن حاتم والزبرقان بن بدر فكان رسول الله
صلى الله عليه وسلم يعطيهم تالفا لقومهم وترغيبا لامثالهم في الاسلام فيجوز للامام ان يعطي
امثال هؤلاء من خمس خمس الغنيمة والفيء من سهم رسول الله صلى الله عليه وسلم لان رسول الله صلى الله
عليه وسلم كان يعطيهم من ذلك ومن الصدقات ايضا القسم الثاني من مؤلفة المسلمين وهم قوم من
المسلمين يكونون بازاء قوم كفار في موضع لا تبلغهم جيوش المسلمين الا بكلفة كبيرة ومؤنة عظيمة
وهؤلاء الذين بازائهم من المسلمين لا يجاهدونهم اما لضعف نيتهم او لضعف حالهم فيجوز للامام
ان يعطيهم من سهم الغزاة من مال الصدقة وقيل من سهم المؤلفة قلوبهم ومنهم قوم بازاء
جماعة من مانعي الزكاة فياخذون منهم الزكاة ويحملونها الى الامام فيعطيهم الامام من سهم
المؤلفة من الصدقات وقيل من سهم سبيل الله روي ان عدي بن حاتم جاء ابا بكر بثلثمائة من
الابل من صدقات قومه فاعطاه ابو بكر منها ثلاثين بعيرا اما مؤلفة الكفار فهم قوم يخشى شرهم
او يرجى اسلامهم فيجوز للامام ان يعطي من يخاف شره او يعطيه رجاء اسلامه فقد كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم يعطيهم من خمس الخمس كما اعطى صفوان بن امية لما كان يرى من ميله الى الاسلام
اما اليوم فقد اعز الله الاسلام ولله الحمد على ذلك واغناه عن ان يتالف عليه احد من المشركين
فلا يعطى مشرك تالفا بحال وقد قال بهذا كثير من اهل العلم وراوا ان المؤلفة منقطعة
وسهمهم ساقط يروى ذلك عن ابن عمر وعكرمة وهو قول الشعبي وبه قال مالك والثوري واصحاب
الراي واسحاق بن راهويه وقال قوم سهمهم ثابت لم يسقط يروى ذلك عن الحسن وهو قول
الزهري وابي جعفر محمد بن علي وابي ثور وقال احمد يعطون ان احتاج المسلمون الى ذلك الصنف
الخامس قوله تعالى وفي الرقاب قال الزجاج فيه حذف تقديره وفي فك الرقاب وفي تفسير
الرقاب قول الاول ان سهم الرقاب موضوع في المكاتبين فيدفع اليهم ليعتقوا به وهذا مذهب
الشافعي وهو قول اكثر الفقهاء منهم سعيد بن جبير والنخعي والزهري والليث بن سعد ويدل عليه
ايضا قوله تعالى وآتوهم من مال الله الذي آتاكم القول الثاني وهو مذهب مالك واحمد واسحاق
ان سهم الرقاب موضوع ليعتق الرقاب فيشترى به عبيد ويعتقون ويدل عليه ما روي عن ابن عباس
انه قال لا باس ان يعتق الرجل من الزكاة القول الثالث وهو قول ابي حنيفة واصحابه انه لا يعتق من

الزكاة رقبة كاملة ولكن يعطى منها في عتق رقبة ويعان بها مكاتبا لان قوله وفي الرقاب
يقتضي التبعيض القول الرابع وهو قول الزهري ان سهم الرقاب نصفان نصف للمكاتبين
ونصف يشترى به عبيد ممن صلوا وصاموا وقدم اسلامهم فيعتقون من الزكاة قال
اصحابنا الاحوط في سهم الرقاب ان يدفع الى السيد باذن المكاتب ويدل عليه انه تعالى
اثبت الصدقات للاصناف الاربعة المتقدمة بلام التمليك فقال انما الصدقات للفقراء وقال
في الصنف الخامس وفي الرقاب فلا بد لهذا الفرق من فائدة وهي ان الاصناف الاربعة المتقدم
ذكرها يدفع اليهم نصيبهم من الصدقات فيصرفون ذلك فيما شاؤوا واما الرقاب فيوضع نصيبهم
في تخليص رقابهم من الرق ولا يدفع اليهم ولا يمكنون من التصرف فيه وكذا القول في الغارمين
فيصرف نصيبهم في قضاء ديونهم وفي الغزاة يصرف نصيبهم فيما يحتاجون اليه في الغزو
وكذا في ابن السبيل فيصرف اليه ما يحتاج في سفره الى بلوغ غرضه الصنف السادس قوله تعالى
والغارمين اصل الغرم في اللغة لزوم ما يشق وسمي الدين غرما لكونه شاقا على الانسان
والمراد بالغارمين هنا المدينون وهم قسمان قسم ادانوا لانفسهم في غير معصية فلا يعطون
وقوم ادانوا في المعروف واصلاح ذات البين فيعطون من مال الصدقات ما يقضون به ديونهم
وان كانوا اغنياء لما روي عن عطاء بن يسار ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تحل الصدقة
لغني الا لخمسة لغاز في سبيل الله او لعامل عليها او لغارم او لرجل اشتراها بماله او لرجل
كان له جار مسكين فتصدق على المسكين فاهدى المسكين للغني اخرجه ابو داود مرسلا لان عطاء
لم يدرك النبي صلى الله عليه وسلم ورواه معمر عن زيد بن اسلم عن عطاء بن يسار عن ابي سعيد الخدري
عن النبي صلى الله عليه وسلم متصلا بمعناه اما من كان دينه في معصية فلا يعطى من الصدقات الصنف
السابع قوله تعالى وفي سبيل الله يعني وفي النفقة في سبيل الله واراد به الغزاة فلهم سهم من مال
الصدقات فيعطون اذا ارادوا الخروج الى الغزو ما يستعينون به على امر الجهاد من امر النفقة
والكسوة والسلاح والحمولة فيعطون ذلك وان كانوا اغنياء لما تقدم من حديث عطاء وابي سعيد
الخدري ولا يعطى من سهم سبيل الله لمن اراد الخروج عند اكثر اهل العلم وقال قوم يجوز
ان يصرف سهم سبيل الله الى الحج يروى ذلك عن ابن عباس وهو قول الحسن واليه ذهب احمد بن حنبل
واسحاق بن راهويه وقال بعضهم ان اللفظ عام فلا يجوز قصره على الغزاة فقط ولهذا
اجاز بعض الفقهاء صرف سهم سبيل الله الى جميع وجوه الخير من تكفين الموتى وبناء الجسور
والحصون وعمارة المساجد وغير ذلك قال لان قوله وفي سبيل الله عام في الكل فلا يختص
بصنف دون غيره والقول الاول هو الصحيح لاجماع الجمهور عليه الصنف الثامن قوله وابن السبيل
يعني المسافر من بلد الى بلد والسبيل الطريق وسمي المسافر ابن السبيل لملازمته الطريق قال الشاعر
انا ابن الحرب ربتني وليدا الى ان شبت واكتهلت لداتي فكان يد سفر ابدا ولم يكن له

ما يقطع به مسافة سفره فيعطى من الصدقات ما يكفيه لمونة سفره سوا كان ماله في البلد
الذي يقصده او لم يكن له وقال قتادة ابن السبيل هو الضيف وقال فقها العراق ابن السبيل
هو الحاج المنقطع وقوله تعالى فريضة من الله يعني ان هذه الاحكام التي ذكرها في هذه الاية
فريضة واجبة من الله وقيل فرض الله هذه الاشيا فريضة والله عليم يعني بمصالح خلقه
حكيم يعني بما فرض لهم لا يدخل في حكمه وتدبيره نقص وخلل المسيلة الرابعة في احكام متفرقة
تتعلق بالزكاة اتفق العلما على ان المراد بقوله انما الصدقات للفقرا هي الزكاة المفروضة بدليل
قوله خذ من اموالهم صدقة واختلفوا في كيفية قسمها وفي جواز صرفها كلها الى بعض الاصناف
مع وجود الباقين وهو قول عكرمة واليه ذهب الشافعي قال الشافعي يجب ان يقسم زكاة ماله
على الموجودين من الاصناف الستة الذين سهمانهم ثمانية قسمة على السوا لان سهم المولفة ساقط
وسهم العامل ساقط اذا قسم زكاة نفسه ثم حصة كل صنف من الاصناف الستة لا يجوز ان
تصرف الى اقل من ثلاثة منهم ان وجد منهم ثلاثة او اكثر فلو فاوت بين اوليك الثلاثة
جاز فان لم يجد من بعض الاصناف الا واحدا دفع حصة ذلك الصنف اليه ما لم يخرج عن حد
الاستحقاق فان انتهت حاجته وفضل شي رده الى الباقين وذهب جماعة من العلما الى انه
لو صرف الكل الى صنف واحد من هذه الاصناف او الى واحد منهم جاز لان الله تعالى سمى هذه
الاصناف الثمانية اعلاما منه ان الصدقة لا تخرج عن هذه الثمانية لا ايجابا منه لقسمتها
بينهم جميعا وهذا قول عمر وابن عباس وبه قال سعيد بن جبير وعطا واليه ذهب سفيان
الثوري واصحاب الراي واحمد بن حنبل قال احمد يجوز ان يضعها في صنف واحد وتفريقها اولى
وقال ابراهيم النخعي ان كان المال كثيرا يحتمل الاجزا قسمه على الاصناف الستة وان كان قليلا
وضعه في قسم واحد وقال مالك يتحرى موضع الحاجة منهم ويقدم الاولى فالاولى من اهل
الخلة والحاجة فان راى الخلة في الفقرا في عام قدمهم وان راها في عام في صنف اخر حولها اليهم
وكل من دفع اليه شيا من الصدقة لا يزيد على قدر الاستحقاق فلا يزيد الفقير على قدر غناه
وهو ما يحتاج اليه فان تحصل ادنى اسم الغنى فلا يعطى بعده شي وان كان محترفا لكنه لا يجد
الة حرفته فيعطى قدر ما يحصل به الة حرفته فالاعتبار عند الشافعي ما يدفع الحاجة من
غير حد وقال احمد بن حنبل لا يعطى الفقير اكثر من خمسين درهما وقال ابو حنيفة اكره ان يعطى
رجلا واحدا من الزكاة مايتي درهم فان اعطيته اجزا فان اعطى من يظنه فقيرا فبان انه غني فهل
تجزي فيه قولان ولا يجوز ان يعطي صدقته لمن تلزمه نفقته وبه قال مالك والثوري واحمد وقال
ابو حنيفة والشافعي لا يعطي الوالدين وان علا ولا ولدا وان سفل ولا زوجة ويعطي من عداهم
وتحرم الصدقة على ذوي القربى وهم بنو هاشم وبنو المطلب فلا يدفع اليهم من الزكاة شي لقوله
صلى الله عليه وسلم انا لا تحل لنا الصدقة وقال ابو حنيفة تحرم على بني هاشم ولا تحرم على بني المطلب

دليلنا قوله صلى الله عليه وسلم انا وبنو المطلب شي واحد لم يفارقونا في جاهلية ولا اسلام
وتحرم الصدقة على موالي بني هاشم وبني المطلب لقوله صلى الله عليه وسلم موالي القوم منهم وقال
ما لك لا تخرج الصدقة عن بلد المال الى بلد اخر مع وجود المستحقين في بلد المال فكرهه اكثر
اهل العلم لتعلق قلوب فقرا ذلك البلد به لذلك المال ولقوله صلى الله عليه وسلم لمعاذ واعلمهم
ان الله افترض عليهم صدقة توخذ من اغنيايهم وترد على فقرايهم الحديث بطوله في الصحيحين
واتفقوا على انه اذا نقل المال الى بلد اخر واداه الى فقرا ذلك البلد سقط عنه الفرض الا ما حكي
عن عمر بن عبد العزيز فانه رد صدقة حملت من خراسان الى الشام فردها الى مكانها من خراسان
والله اعلم قوله تعالى ومنهم الذين يوذون النبي ويقولون هو اذن نزلت في جماعة من المنافقين
كانوا يوذون رسول الله صلى الله عليه وسلم ويعيبونه ويقولون ما لا ينبغي فقال بعضهم
لا تفعلوا فانا نخاف ان يبلغه ما تقولون فيقع بنا فقال الجلاس بن سويد وهو من المنافقين
بل نقول له ما شينا ثم ناتيه وننكر ما قلنا ونحلف فيصدقنا فيما نقول فانما محمد اذن اي اذن
سامعة كل ما يقال له ويقبله وقيل معنى هو اذن اي ذو اذن سامعة وقال محمد بن اسحاق
نزلت في رجل من المنافقين يقال له نبتل بن الحارث وكان رجلا ثاير الشعر احمر العينين اسفع
الخد مشوه الخلقة وقد قال فيه النبي صلى الله عليه وسلم من احب ان ينظر الى الشيطان فلينظر
الى نبتل بن الحارث وكان ينم حديث النبي صلى الله عليه وسلم الى المنافقين فقيل له لا تفعل ذلك
فقال انما محمد اذن من حدثه شيا صدقه فنقول له ما شينا ثم ناتيه ونحلف له فيصدقنا فانزل
الله هذه الاية ومقصود المنافقين بقولهم هو اذن انه ليس بعيد غور بل هو سليم سريع الاغترار
بكل ما يسمع فاجاب الله تعالى عنه بقوله قل اذن خير لكم يعني هب انه اذن لكنه اذن خير لكم كقولك
رجل صدق وشاهد عدل والمعنى انه مستمع خير وصلاح لا مستمع شر وفساد وقرئ اذن خير
مرفوعين منونين ومعناه يسمع منكم ويصدقكم خير لكم من ان يكذبكم ولا يقبل قولكم ثم وصفه الله
تعالى بنبيه صلى الله عليه وسلم بقوله يومن بالله ويومن للمومنين يعني انه يصدق المومنين ويقبل قولهم
ولا يقبل قول المنافقين وانما عدى الايمان بالله بالبا والايمان للمومنين باللام لان الايمان بالله
هو نقيض الكفر فلا يتعدى الا بالبا فيقال امنت بالله والايمان للمومنين معناه تصديق المومنين
فيما يقولونه فلا يقال الا باللام ومنه قوله انومن لك وقوله امنتم له ورحمة اي هو رحمة للذين امنوا
منكم وانما قال منكم لان المنافقين كانوا يزعمون انهم مومنين فبين الله تعالى انه رحمة للمومنين
المخلصين لا للمنافقين وقيل في كونه صلى الله عليه وسلم رحمة لانه يجري احكام الناس على الظاهر
ولا ينقب عن احوالهم ولا يهتك اسرارهم والذين يوذون رسول الله لهم عذاب اليم يعني في الاخرة
قوله عز وجل يحلفون بالله لكم ليرضوكم قال قتادة والسدي اجتمع ناس من المنافقين فيهم الجلاس
ابن سويد ووديعة بن ثابت فوقعوا في النبي صلى الله عليه وسلم ثم قالوا ان كان ما يقول محمد حقا

فتحن شر من الحمير وكان عندهم غلام من الانصار واسمه عامر بن قيس فحقروه وقالوا
هذه المقالة فغضب الغلام من قولهم وقال والله ان ما يقول محمد حق وانتم شر من الحمير ثم اتى
النبي صلى الله عليه وسلم واخبره فدعاهم فسألهم فانكروا وحلفوا ان عامرا كذاب وحلف عامر
انهم كذبة فصدقهم النبي صلى الله عليه وسلم فجعل عامر يدعو ويقول اللهم صدق الصادق وكذب
الكاذب فانزل الله هذه الاية وقال مقاتل والكلبي نزلت في رهط من المنافقين تخلفوا عن غزوة
تبوك فلما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم اتوه يعتذرون ويحلفون فانزل الله هذه الاية والمعنى
يحلفون لكم ايها المومنون هولا المنافقون ليرضوكم يعني فيما بلغكم عنهم من اذى رسول الله
صلى الله عليه وسلم **والله ورسوله احق ان يرضوه** اختلفوا في معنى هذا الضمير الى ما يعود
فقيل الضمير عايد على الله تعالى لان في رضى الله رضى رسوله صلى الله عليه وسلم والمعنى والله احق
ان يرضوه بالتوبة والاخلاص وقيل يجوز ان يكون المراد يرضوهما فاكتفى بذكر احدهما عن الاخر
وقيل معناه والله احق ان يرضوه وكذلك رسوله **ان كانوا مومنين** يعني ان كان هولا المنافقين
مصدقين بوعد الله ووعيده في الاخرة قوله تعالى **الم يعلموا** قال اهل المعاني الم يعلم خطاب
لمن علم شيا ثم نسيه او انكره فيقال له الم تعلم انه كان كذا وكذا ولما طال مكث رسول الله صلى
الله عليه وسلم بين اظهر المومنين والمنافقين وعلمهم من احكام الدين ما يحتاجون اليه فخاطب
المنافقين بقوله الم يعلموا يعني من شرايع الدين التي علمهم رسولنا **انه من يحادد الله ورسوله** يعني انه
من يخالف الله ورسوله واصل المحادة في اللغة المخالفة والمجانبة والمعاداة واشتقاقه من الحد
يقال حاد فلان فلانا اذا صار في غير حده وخالفه في امره وقيل معنى يحادد الله ورسوله
اي يحارب الله ورسوله ويعاند الله ورسوله **فان له نار جهنم** اي فحق ان له نار جهنم **خالدا فيها** يعني
على الدوام **ذلك الخزي العظيم** يعني ذلك الخلود في نار جهنم هو الفضيحة العظيمة قوله عز وجل
يحذر المنافقون يعني يخشى المنافقون **ان تنزل عليهم سورة** يعني على المومنين **تنبيهم** يعني تخبر
المومنين **بما في قلوبهم** يعني بما في قلوب المنافقين من الحسد والعداوة للمومنين وذلك ان المنافقين
كانوا فيما بينهم يذكرون المومنين بسو ويسترونه ويخافون الفضيحة ونزول القران في شانهم
قال قتادة وهذه السورة كانت تسمى الفاضحة والمبعثرة والمثيرة يعني انها فضحت المنافقين
وبعثرت عن اخبارهم واثارتها وحفرت عن مخازيهم ومثالبهم وقال ابن عباس انزل الله ذكر سبعين
رجلا من المنافقين باسمايهم واسما ابايهم ثم نسخ ذكر الاسما رحمة منه على المومنين لئلا يعير
بعضهم بعضا لان اولادهم كانوا مومنين **قل استهزءوا** امر تهديد فهو كقوله اعملوا ما شئتم
ان الله مخرج اي مظهر **ما تحذرون** والمعنى ان الله يظهر الى الوجود ما كان المنافقون يسترونه
ويخفونه عن المومنين قال ابن كيسان نزلت هذه الاية في اثني عشر رجلا من المنافقين
وقفوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم على العقبة لما رجع من غزوة تبوك ليفتكوا به اذا علاها

وتنكروا له في ليلة مظلمة فاخبر جبريل رسول الله صلى الله عليه وسلم بما قد اضمروا وامره
ان يرسل اليهم من يضرب وجوه رواحلهم وكان معه عمار بن ياسر يقود ناقة رسول الله
صلى الله عليه وسلم وحذيفة يسوقها فقال لحذيفة اضرب وجوه رواحلهم فضربها
حذيفة حتى نحاهم عن الطريق فلما نزل قال لحذيفة من عرفت من القوم قال لم اعرف منهم احدا
يا رسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فانهم فلان وفلان حتى عدهم كلهم فقال حذيفة
هلا بعثت اليهم من يقتلهم فقال اكره ان تقول العرب لما ظفر بهم اصحابه اقبل يقتلهم بل يكفيناهم
الله بالدبيلة م عن قيس بن عباد قال قلت لعمار ارايتكم قتالكم ارايا رايتموه فان الراي يخطي
ويصيب ام عهدا عهده اليكم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما عهد الينا رسول الله
صلى الله عليه وسلم شيا لم يعهده الى الناس كافة وقال لي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان
في امتي قال شعبة واحسبه قال حدثني حذيفة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان في امتي اثني عشر منافقا لا يدخلون الجنة ولا يجدون ريحها حتى يلج الجمل في سم الخياط
ثمانية منهم تكفيهم الدبيلة سراج من نار يظهر في اكتافهم حتى ينجم من صدورهم قوله تعالى
ولين سالتهم ليقولن انما كنا نخوض ونلعب الاية وسبب نزولها على ما قال زيد بن اسلم ان رجلا
من المنافقين قال لعوف بن مالك في غزوة تبوك ما لقرائنا ارغبنا بطونا واكذبنا السنة واجبننا
عند اللقا فقال له عوف كذبت ولكنك منافق ولاخبرن رسول الله صلى الله عليه وسلم
فذهب عوف الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليخبره فوجد القران قد سبقه قال زيد قال عبد
الله بن عمر فنظرت اليه يعني الى المنافق متعلقا بحقب ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم
تنكبه الحجارة يقول انما كنا نخوض ونلعب فيقول له رسول الله صلى الله عليه وسلم ابالله واياته
ورسوله كنتم تستهزءون ما يزيده وقال محمد بن اسحاق الذي قال هذه المقالة فيما بلغني هو وديعة
ابن ثابت اخو بني امية بن زيد بن عمرو بن عوف وقال قتادة بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يسير
في غزوة تبوك وبين يديه ناس من المنافقين فقالوا يرجو هذا الرجل ان يفتح قصور الشام وحصونها
هيهات هيهات فاطلع الله نبيه صلى الله عليه وسلم على ذلك فقال نبي الله صلى الله عليه وسلم
احبسوا علي الركب فاتاهم فقال قلتم كذا وكذا فقالوا يا نبي الله انما كنا نخوض ونلعب فانزل
الله فيهم ما تسمعون وقال الكلبي ومقاتل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسير في غزوة تبوك
وبين يديه ثلاثة نفر من المنافقين اثنان منهم يستهزءان بالقران والرسول والثالث يضحك قيل
كانوا يقولون ان محمدا يزعم انه يغلب الروم ويفتح مداينهم ما ابعده من ذلك وقيل كانوا يقولون
ان محمدا يزعم انه نزل في اصحابنا قران انما هو قوله وكلامه فاطلع الله نبيه صلى الله عليه وسلم
على ذلك فقال احبسوا علي الركب فدعاهم وقال لهم قلتم كذا وكذا فقالوا انما كنا نخوض ونلعب
ومعنى الاية لين سالتهم يا محمد لهولا المنافقين عما كانوا يقولون فيما بينهم ليقولن انما كنا نخوض ونلعب

يعني كنا نتحدث ونخوض في الكلام كما يفعله الركب يقطعون الطريق بالحديث واللعب
واصل الخوض الدخول في مايع كالماء والطين ثم كثر استعماله حتى صار يستعمل في كل دخول
فيه تلويث واذى **قل** اي قل يا محمد لهولاء المنافقين **ابالله واياته ورسوله كنتم تستهزءون**
فيه توبيخ وتقريع للمنافقين وانكار عليهم والمعنى كيف تقدمون على ايقاع الاستهزاء
بالله يعني بفرايض الله وحدوده واحكامه والمراد باياته كتابه وبرسوله يعني محمدا
صلى الله عليه فيحتمل ان المنافقين لما قالوا كيف يقدر محمد على اخذ حصون الشام قال
بعض المسلمين الله يعينه على ذلك فذكر بعض المنافقين كلاما يشعر بالقدح في قدرة الله
وانما ذكروا ذلك على طريق الاستهزاء قوله عز وجل **لا تعتذروا قد كفرتم بعد ايمانكم** يعني
قل لهولاء المنافقين لا تعتذروا بالباطل ومعنى الاعتذار محو اثر المواخذة من قلب
المعتذر اليه وقيل معنى العذر قطع اللايمة عن الجاني قد كفرتم بعد ايمانكم يعني ان الاستهزاء
بالله كفر والاقدام عليه يوجب الكفر فلهذا قال لا تعتذروا قد كفرتم بعد ايمانكم فان قلت
ان المنافقين لم يكونوا مومنين فكيف قال قد كفرتم بعد ايمانكم قلت معناه اظهرتم الكفر بعد
ما كنتم قد اظهرتم الايمان وذلك ان المنافقين كانوا يكتمون الكفر ويظهرون الايمان فلما
حصل ذلك الاستهزاء منهم وهو كفر قيل لهم قد كفرتم بعد ايمانكم وقيل معناه قد كفرتم
عند المومنين بعد ان كنتم عندهم مومنين وقوله تعالى **ان نعف عن طايفة منكم نعذب طايفة
بانهم كانوا مجرمين** ذكر المفسرون ان الطايفتين كانوا ثلاثة فالواحد طايفة والاثنان طايفة
والعرب توقع لفظ الجمع على الواحد فلهذا اطلق لفظ الطايفة على الواحد قال محمد بن اسحاق
الذي عفي عنه رجل واحد وهو مخشي بن حمير الاشجعي يقال انه هو الذي كان يضحك ولا يخوض
وقيل انه كان يمشي مجانبا لهم وينكر بعض ما يسمع فكان ذنبه اخف فلما نزلت الاية تاب من
نفاقه ورجع الى الاسلام وقال اني لا ازال اسمع اية تقرا اعني بها تقشعر منها الجلود وتجب
منها القلوب اللهم اجعل وفاتي قتلا في سبيلك لا يقول احد انا غسلت انا كفنت انا دفنت فاصيب
يوم اليمامة ولم يعرف احد من المسلمين مصرعه قوله تعالى **المنافقون والمنافقات بعضهم
من بعض** يعني انهم على امر واحد ودين واحد مجتمعون على النفاق والاعمال الخبيثة كما يقول
الانسان لغيره انا منك وانت مني اي امرنا واحد لا مباينة فيه **يامرون بالمنكر** يعني يامر
بعضهم بعضا بالشرك والمعصية وتكذيب الرسول صلى الله عليه وسلم **وينهون عن المعروف**
يعني عن الايمان والطاعة وتصديق الرسول صلى الله عليه وسلم **ويقبضون ايديهم** يعني عن
الانفاق في سبيل الله وفي كل خير **نسوا الله فنسيهم** هذا الكلام لا يمكن اجراوه على ظاهره
لانا لو حملناه على النسيان الحقيقي لم يستحقوا ذما عليه لان النسيان ليس في وسع البشر
دفعه وايضا فان النسيان في حق الله محال فلا بد من التاويل وقد ذكروا فيه وجهين الاول

منها انهم تركوا امره حتى صاروا بمنزلة الناسي له فجازاهم بان صيرهم بمنزلة المنسي من
ثوابه ورحمته فخرج على مزاوجة الكلام فهو كقوله وجزاء سيئة سيئة مثلها الوجه
الثاني ان النسيان ضد الذكر فلما تركوا ذكر الله وعبادته ترك الله ذكرهم في من ذكرهم بالرحمة
والاحسان فجعل النسيان عبارة عن ترك الذكر لان من ترك شيا لم يذكره وقيل لما تركوا
طاعة الله والايمان به تركهم من توفيقه وهدايته في الدنيا ومن رحمته في العقبى **ان المنافقين
هم الفاسقون** يعني هم الخارجون عن الطاعة **وعد الله المنافقين والمنافقات والكفار**
يقال وعده بالخير وعدا ووعده بالشر وعدا فالوعد يكون في الخير والشر **نار جهنم
خالدين فيها** فيه حذف تقديره بان يصلوها خالدين يعني مقيمين فيها **هي حسبهم**
يعني هي كافيتهم جزاء على كفرهم ونفاقهم وتركهم الايمان والطاعة **ولعنهم الله** يعني وابعدهم
من رحمته وطردهم عن بابه **ولهم عذاب مقيم** اي دايم لا ينقطع فان قلت قوله خالدين فيها
يعني ولهم عذاب مقيم وهذا تكرار لما معناه قلت ليس ذلك تكرار ويتبين الفرق من وجهين
الاول ان معناه ولهم نوع اخر من العذاب المقيم سوى الصلي بالنار والتقابل الذي يعود هذا
التاويل مشكل لانه تعالى قال في النار هي حسبهم وذلك يمنع من ضم شي اخر الى عذاب النار
واجيب عن هذا الاشكال بان قوله هي حسبهم في الايلام ولا يمنع ان يحصل نوع اخر من
العذاب من غير جنس النار كالزمهرير ونحوه ويكون ذلك زيادة في عذابهم الوجه الثاني
ان العذاب المقيم هو العذاب المعجل لهم في الدنيا وهو ما يقاسونه من خوف اطلاع المسلمين
عليهم وما هم فيه من النفاق وكشف فضايحهم وهذا هو العذاب المقيم وقوله تعالى **كالذين من
قبلكم** هذا رجوع من الغيبة الى الخطاب والكاف في الذين للتشبيه والمعنى فعلتم كافعال
الذين من قبلكم شبه فعل المنافقين بفعل الكفار الذين كانوا من قبلهم في الامر بالمنكر والنهي
عن المعروف وقبض الايدي عن فعل الخير والطاعة وقيل انه تعالى شبه المنافقين في عدولهم
عن طاعة الله واتباع امره لاجل طلب الدنيا بمن قبلهم من الكفار ثم وصف الكفار بانهم كانوا
اشد من هولاء المنافقين قوة واكثر اموالا واولادا فقال **كانوا اشد منكم قوة** يعني بطشا
ومنعة **واكثر اموالا واولادا فاستمتعوا بخلاقهم** يعني تمتعوا بنصيبهم من الدنيا باتباع
الشهوات ورضوا بها عوضا من الاخرة والخلاق النصيب وهو ما خلق للانسان وقدر له
من خير كما يقال قسم له **فاستمتعتم بخلاقكم** وهذا خطاب للحاضرين يعني فتمتعتم ايها
المنافقون والكافرون بخلاقكم **كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم** فان قلت ما الفايدة في
ذكر الاستمتاع بالخلاق في حق الاولين مرة ثم ذكره في حق المنافقين ثانيا ثم اعاد ذكره في حق
الاولين مرة ثالثة قلت فايدته انه ذمهم الاولين بالاستمتاع بما اوتوا من حظوظ الدنيا وشهواتها
ورضاهم بها وتركوا النظر فيما يصلحهم في الدار الاخرة ثم شبه حال المخاطبين من المنافقين

والكفار بما لحق من تقدمهم ثم رجع الى ذكر حال الاولين ثانيا وهذا كما تريد ان تنكت بعض الظلمة
على قبيح ظلمه فتقول له انت مثل فرعون كان يقتل بغير حق ويعذب بغير جرم وانت تفعل مثل
ما كان يفعل فالتكرير هنا للتاكيد وتقبيح فعلهم وفعل من شابههم في فعلهم وقوله وخضتم
كالذي خاضوا معطوف على ما قبله ومستند اليه يعني وسلكتم في فعلكم مثل ما سلكوا في اتباع
الباطل والكذب على الله وتكذيب رسله والاستهزا بالمومنين اولئك حبطت اعمالهم يعني ان
اعمالهم لا تنفعهم في الدنيا ولا في الاخرة بل يعاقبون عليها واولئك هم الخاسرون والمعنى انه كما
بطلت اعمال الكفار الماضين وخسروا ابطل اعمالكم ايها المنافقون وتخسرون ق عن ابي سعيد
الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لتتبعن سنن الذين من قبلكم شبرا بشبر وذراعا
بذراع حتى لو دخلوا جحر ضب لاتبعتموهم قلنا يا رسول الله اليهود والنصارى قال فمن وقوله
تعالى الم ياتهم رجع من الخطاب الى الغيبة يعني الم يات هولا المنافقين والكفار وهو
استفهام بمعنى التقرير اي قد اتاهم نبا يعني خبر الذين من قبلهم يعني الامم الماضية الذين
خلوا من قبلهم كيف اهلكناهم حين خالفوا امرنا وعصوا رسلنا ثم ذكرهم فقال تعالى قوم نوح
يعني انهم اهلكوا بالطوفان وعاد اهلكوا بالريح العقيم وثمود اهلكوا بالرجفة وقوم ابراهيم
اهلكوا بسبب النعمة وكان هلاك نمرود ببعوضة واصحاب مدين وهم قوم شعيب اهلكوا
بعذاب يوم الظلة والموتفكات يعني المنقلبات التي جعل الله عاليها سافلها وهي مداين
قوم لوط وانما ذكر الله عز وجل هذه الطوايف الستة لان اثارهم باقية وبلادهم بالشام
والعراق واليمن وكل ذلك قريب من ارض العرب فكانوا يمرون عليهم ويعرفون اخبارهم اتتهم
رسلهم بالبينات يعني بالمعجزات الباهرات والحجج الواضحات الدالة على صدقهم فكذبوهم
وخالفوا امرنا كما فعلتم ايها الكفار والمنافقون فاحذروا ان يصيبكم مثل ما اصابهم فتعجل
لكم النقمة كما عجلت لهم فما كان الله ليظلمهم يعني بتعجيل العقوبة لهم ولكن كانوا انفسهم
يظلمون يعني ان الذي استحقوه من العقوبة بسبب ظلمهم انفسهم قوله عز وجل والمومنون
والمومنات بعضهم اوليا بعض لما وصف الله المنافقين بالاعمال الخبيثة والاحوال الفاسدة
ثم ذكر بعده ما اعد لهم من انواع الوعيد في الدنيا والاخرة عقبه بذكر اوصاف المومنين
واعمالهم الحسنة وما اعد لهم من انواع الكرامات والخير في الدنيا والاخرة فقال تعالى والمومنون
والمومنات بعضهم اوليا بعض يعني في الموالاة في الدين واتفاق الكلمة والعون والنصرة فان قلت
انه تعالى قال في وصف المنافقين بعضهم من بعض وقال في وصف المومنين بعضهم اوليا بعض
فما الفايدة في ذلك قلت لما كان نفاق الاتباع وكفرهم انما حصل بتقليد المتبوعين وبالرؤسا
والاكابر وحصل بمقتضى الطبيعة ايضا قال فيهم بعضهم من بعض ولما كانت الموافقة الحاصلة
بين المومنين بتسديد الله وتوفيقه وهدايته لا بمقتضى الطبيعة وهوى النفس وصفهم بان

بعضهم

بعضهم اوليا بعض لظهور الفرق بين الفريقين وظهرت الفايدة وقوله تعالى يامرون بالمعروف
يعني بالايمان بالله ورسوله واتباع امره والمعروف كل ما عرف في الشرع من خير وبر وطاعة وينهون
عن المنكر يعني عن الشرك والمعصية والمنكر كل ما ينكره الشرع وينفر منه الطبع وهذا في مقابلة ما وصف
به المنافقون من ضده ويقيمون الصلاة يعني الصلاة المفروضة ويتمون اركانها وحدودها
ويوتون الزكاة يعني الواجبة عليهم وهو في مقابلة ويقبضون ايديهم ويطيعون الله ورسوله
يعني فيما يامرهم به وهو في مقابلة نسوا الله فنسيهم اولئك يعني المومنين والمومنات الموصوفين
بهذه الصفات سيرحمهم الله لما ذكر الله ما وعد به المنافقين من العذاب في نار جهنم ذكر ما وعد
به المومنين من الرحمة والرضوان وما اعد لهم في الجنان والسين في سيرحمهم الله للمبالغة والتوكيد
ان الله عزيز حكيم وهذا يوجب المبالغة في الترغيب والترهيب لان العزيز هو الذي لا يمتنع عليه
شي اراده فهو قادر على ايصال الرحمة لمن اراد وايصال العقوبة لمن اراد والحكيم هو الذي يدبر عباده
على ما يقتضيه العدل والانصاف وعد الله المومنين والمومنات جنات تجري من تحتها الانهار
خالدين فيها لما ذكر الله في الايات المتقدمة وعيد المنافقين وما اعد لهم في نار جهنم من العذاب
ذكر في هذه الاية ما وعد به المومنين من الخير والثواب والمراد بالجنات التي تجري من تحتها الانهار
البساتين التي يتحير في حسنها الناظر لانه تعالى قال ومساكن طيبة في جنات عدن والمعطوف يجب ان يكون
مغايرا للمعطوف عليه فتكون مساكنهم في جنات عدن ومناظرهم الجنات التي هي البساتين التي يتنزهون
فيها فهذه فايدة المغايرة بين المعطوف والمعطوف عليه والفرق بينهما ومساكن طيبة يعني ومنازل
يسكنونها طيبة في جنات عدن يعني في بساتين خلد واقامة يقال عدن بالمكان اذا اقام به روى
الطبري بسنده عن عمران بن حصين وابي هريرة قالا سيل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذه
الاية ومساكن طيبة في جنات عدن قال قصر من لولوة في ذلك القصر سبعون دارا من ياقوتة
حمرا في كل دار سبعون بيتا من زمردة خضرا في كل بيت سبعون سريرا على كل سرير سبعون
فراشا من كل لون على كل فراش سبعون لونا من طعام في كل بيت سبعون وصيفة ويعطى المومن من
القوة في غداة ما ياتي على ذلك كله اجمع وروى بسنده عن ابي الدردا قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم عدن داره يعني دار الله التي لم ترها عين ولم تخطر على قلب بشر وهي مسكنه ولا يسكنها معه
من بني ادم غير ثلاثة النبيين والصديقين والشهدا يقول الله عز وجل طوبى لمن دخلك هكذا
رواه الطبري فان صحت هذه الرواية فلا بد من تاويلها فقوله عدن داره يعني دار الله وهو من
باب حذف المضاف تقديره عدن دار الله التي اعدها لاوليايه واهل طاعته والمقربين من عباده
عن ابي موسى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال جنتان من فضة ابنيتهما وما فيهما وجنتان من ذهب
ابنيتهما وما فيهما وما بين القوم وبين ان ينظروا الى ربهم الا رداء الكبريا على وجهه في جنة عدن
اخرجه البخاري ومسلم وقال عبد الله بن مسعود عدن بطنان الجنة يعني وسطها وقال عبد الله بن عمرو

ابن العاص ان في الجنة قصرا يقال له عدن حوله البروج والمروج له خمسة آلاف باب
لا يدخله الا نبي او صديق او شهيد وقال عطاء بن السايب عدن نهر في الجنة جنانه على حافتيه
وقال مقاتل والكلبي عدن اعلى درجة في الجنة فيها عين التسنيم والجنان حولها محدقة وهي مغطاة
من حين خلقها الله حتى ينزلها اهلها وهم الانبيا والصديقون والشهدا والصالحون ومن شاء
الله وفيها قصور الدر والياقوت والذهب فتهب ريح طيبة من تحت العرش فيدخل كثبان المسك
الابيض قال الامام فخر الدين حاصل هذا الكلام ان في جنات عدن قولين احدهما انه اسم علم لموضع
معين في الجنة وهذه الاخبار والآثار تقوي هذا القول قال صاحب الكشاف وعدن علم بدليل قوله
جنات عدن التي وعد الرحمن عباده والقول الثاني انه صفة للجنة قال الازهري العدن مأخوذ
من قولك عدن بالمكان اذا اقام به يعدن عدونا فبهذا الاشتقاق قالوا الجنات كلها جنات
عدن وقوله تعالى **ورضوان من الله اكبر** يعني ان رضوان الله الذي ينزله عليهم اكبر من كل ما سلف
ذكره من نعيم الجنة **ذلك هو الفوز العظيم** اشارة الى ما تقدم ذكره من نعيم الجنة والرضوان
ق عن ابي سعيد الخدري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله تبارك وتعالى يقول لاهل الجنة
يا اهل الجنة فيقولون لبيك ربنا وسعديك والخير في يديك فيقول هل رضيتم فيقولون وما لنا
لا نرضى يا ربنا وقد اعطيتنا ما لم تعط احدا من خلقك فيقول الا اعطيكم افضل من ذلك
فيقولون واي شي افضل من ذلك فيقول احل عليكم رضواني فلا اسخط بعده عليكم ابدا
قوله تعالى **يا ايها النبي جاهد الكفار** يعني بالسيف والمحاربة والقتال **والمنافقين** يعني
وجاهد المنافقين واختلفوا في صفة جهاد المنافقين وسبب هذا الاختلاف ان المنافق هو
الذي يبطن الكفر ويظهر الاسلام ولما كان الامر كذلك لم تجز مجاهدته بالسيف والقتال
لاظهار الاسلام فقال ابن عباس امر الله نبيه صلى الله عليه وسلم بجهاد الكفار بالسيف والمنافقين
باللسان واذهاب الرفق عنهم وهذا قول الضحاك ايضا وقال ابن مسعود بيده فان لم يستطع
فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه فان لم يستطع فليكفهر في وجهه وقال الحسن وقتادة باقامة
الحدود عليهم يعني اذا تعاطوا اسبابها وهذا القول فيه بعد لان اقامة الحدود واجبة على من
ليس بمنافق فلا تعلق لاقامة الحدود على المنافق وانما قال الحسن وقتادة ذلك لان غالب من
كان يتعاطى اسباب الحدود فتقام عليهم في زمن النبي صلى الله عليه وسلم المنافقون قال الطبري
واولى الاقوال قول ابن مسعود لان الجهاد عبارة عن بذل الجهد وقد دلت الاية على وجوب جهاد
المنافقين وليس في الاية ذكر كيفية ذلك الجهاد فلا بد من دليل منفصل وقد دلت الدلايل
المنفصلة ان الجهاد مع الكفار انما يكون بالسيف ومع المنافقين باظهار الحجة عليهم تارة وبترك
الرفق بهم تارة وبالانتهار تارة وهذا هو قول ابن مسعود **واغلظ عليهم** يعني اشدد عليهم
بالجهاد والارهاب **وماواهم جهنم وبيس المصير** يعني ان جهنم مسكنهم وبيس المصير مصيرهم

ايها فان قلت كيف ترك النبي صلى الله عليه وسلم المنافقين بين اظهر اصحابه مع علمه بهم وبحالهم
قلت انما امر الله عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم بقتال من اظهر كلمة الكفر واقام على اظهارها
فاما من تكلم بالكفر في السر فاذا اطلع عليه انكره ورجع عليه وقال اني مسلم فانه يحكم باسلامه
في الظاهر في حقن دمه وماله وولده وان كان معتقدا غير ذلك في الباطن لان الله تعالى امر باجراء
الاحكام على الظواهر فلذلك اجرى النبي صلى الله عليه وسلم المنافقين ووكل سرايرهم الى الله تعالى
لانه العالم باحوالهم وهو يجازيهم في الآخرة بما يستحقونه قوله عز وجل **يحلفون بالله ما قالوا
ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد اسلامهم** اختلف المفسرون فيمن نزلت هذه الاية فقال عروة
ابن الزبير نزلت في الجلاس بن سويد اقبل هو وابن امراته مصعب من قبا فقال الجلاس ان كان ما جاء به
محمد حقا لنحن اشر من حمرنا هذه التي نحن عليها فقال مصعب اما والله يا عدو الله لاخبرن رسول
الله صلى الله عليه وسلم بما قلت وخفت ان ينزل في القران او يصيبني قارعة او ان اخلط بخطيئة
فاتيت النبي صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله اقبلت انا والجلاس من قبا فقال كذا وكذا ولولا
مخافة ان اخلط بخطيئة او يصيبني قارعة ما اخبرتك قال فدعا الجلاس فقال له يا جلاس
اقلت ما قال مصعب فحلف ما قال فانزل الله عز وجل يحلفون بالله ما قالوا الاية وروي
عن مجاهد نحوه وقال ابن عباس كان رسول الله صلى الله عليه وسلم جالسا في ظل حجرة فقال انه
سياتيكم انسان فينظر اليكم بعين شيطان فاذا جا فلا تكلموه فلم يلبثوا ان طلع رجل ازرق فدعاه
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال علام تشتمني انت واصحابك فانطلق الرجل فجاء باصحابه
فحلفوا بالله ما قالوا وما فعلوا حتى تجاوز عنهم فانزل الله يحلفون بالله ما قالوا ثم نعتهم
جميعا الى اخر الاية وقال قتادة ذكر لنا ان رجلين اقتتلا احدهما من جهينة والاخر من غفار
وكانت جهينة حلفا الانصار فظهر الغفاري على الجهني فقال عبد الله بن ابي بن سلول للاوس
انصروا اخاكم فوالله ما مثلنا ومثل محمد الا كما قال القايل سمن كلبك ياكلك وقال لين رجعنا الى
المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل فسعى بها رجل من المسلمين الى نبي الله صلى الله عليه وسلم فارسل اليه
فساله فحلف بالله ما قاله فانزل الله هذه الاية هذه روايات الطبري وذكر البغوي عن الكلبي
قال نزلت في الجلاس بن سويد وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خطب ذات يوم بتبوك فذكر
المنافقين وسماهم رجسا وعابهم فقال الجلاس لين كان محمد صادقا لنحن شر من الحمير
فلما انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة اتاه عامر بن قيس فاخبره بما قال الجلاس فقال
الجلاس كذب يا رسول الله علي فامرهما رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يحلفا عند المنبر فقام
الجلاس عند المنبر بعد العصر فحلف بالله الذي لا اله الا هو ما قاله ولقد كذب علي عامر ثم قام
عامر فحلف بالله الذي لا اله الا هو لقد قاله وما كذب عليه ثم رفع عامر يديه الى السما فقال
اللهم انزل على نبيك تصديق الصادق منا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والمومنون امين فنزل

جبريل عليه السلام قبل ان يتفرقا بهذه الاية حتى بلغ فان يتوبوا يك خيرا لهم فقام الجلاس
فقال يا رسول الله اسمع الله قد عرض علي التوبة صدق عامر بن قيس فيما قاله لقد قلته وانا
استغفر الله واتوب اليه فقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك منه ثم تاب وحسنت توبته
فذلك قوله يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد اسلامهم يعني اظهروا
كلمة الكفر بعد اسلامهم وتلك الكلمة هي سب النبي صلى الله عليه وسلم فقيل هي كلمة الجلاس بن
سويد لئن كان محمد صادقا لنحن شر من الحمير وقيل هي كلمة عبد الله بن ابي بن سلول لئن رجعنا الى
المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل وستاتي القصة في موضعها في سورة المنافقين ان شاء الله
تعالى **وهموا بما لم ينالوا** قال مجاهد هم الجلاس بقتل الذي سمع مقالته خشية ان يفشيها عليه
وقيل هم عبد الله بن ابي بن سلول وكان الذي هم به قوله لئن رجعنا الى المدينة فلم ينله وقيل هم
اثنا عشر من المنافقين بقتل رسول الله صلى الله عليه وسلم فوقفوا على العقبة وقت رجوعه من
تبوك ليقتلوه فجاء جبريل عليه السلام فاخبره وامره ان يرسل اليهم من يضرب وجوه رواحلهم
فارسل حذيفة لذلك وقال السدي قال المنافقون اذا رجعنا الى المدينة عقدنا على راس عبد
الله بن ابي بن سلول تاجا فلم يصلوا اليه **وما نقموا الا ان اغناهم الله ورسوله من فضله** يعني وما
انكروا على رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا الا ان اغناهم الله ورسوله من فضله والمعنى ان
المنافقين عملوا بضد الواجب فجعلوا موضع شكر النبي صلى الله عليه وسلم ان نقموا عليه وقيل
انهم بطروا النعمة فنقموا اشرا وبطرا قال ابن قتيبة معناه ليس ينقمون شيئا ولا يعرفون
من الله الا الصنع وهذا كقول الشاعر ٭ ما نقم الناس من امية الا ٭ انهم يحلمون ان غضبوا ٭
وهذا ليس مما ينقم وانما اراد الناس لا ينقمون عليهم شيئا فهو كقول النابغة ٭ ولا عيب فيهم
غير ان سيوفهم ٭ بهن فلول من قراع الكتائب ٭ اي ليس فيهم عيب قال الكلبي كانوا قبل قدوم النبي
صلى الله عليه وسلم المدينة في ضنك من العيش فلما قدم النبي صلى الله عليه وسلم استغنوا بالغنائم
فعلى هذا القول يكون الكلام عاما وقال عروة كان الجلاس قتل له مولى فامر له النبي صلى الله عليه وسلم
بديته فاستغنى وقال قتادة كانت لعبد الله بن ابي دية فاخرجها رسول الله صلى الله عليه وسلم
له وقال عكرمة ان مولى لبني عدي قتل رجلا من الانصار فقضى له النبي صلى الله عليه وسلم بالدية اثني
عشر الفا وفيه نزلت وما نقموا الا ان اغناهم الله ورسوله من فضله **فان يتوبوا يك خيرا لهم** يعني فان
يتوبوا من كفرهم ونفاقهم يكن ذلك خيرا لهم في العاجل والاجل **وان يتولوا** يعني وان يعرضوا عن
الايمان والتوبة ويصروا على النفاق والكفر **يعذبهم الله عذابا اليما في الدنيا** يعني بالخزي والاذلال
والاخرة اي ويعذبهم في الاخرة بالنار **وما لهم في الارض من ولي ولا نصير** يعني وليس لهم احد
يمنعهم من عذاب الله او ينصرهم في الدنيا والاخرة قوله تعالى **ومنهم من عاهد الله لئن اتانا من
فضله لنصدقن** الاية روى البغوي بسند الثعلبي عن ابي امامة الباهلي قال جاء ثعلبة بن حاطب

الانصاري الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ادع الله ان يرزقني مالا فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ويحك يا ثعلبة قليل تؤدي شكره خير من كثير لا تطيقه ثم اتاه
بعد ذلك فقال يا رسول الله ادع الله ان يرزقني مالا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اما لك في
رسول الله اسوة حسنة والذي نفسي بيده لو اردت ان تسير الجبال معي ذهبا وفضة لسارت ثم
اتاه بعد ذلك فقال يا رسول الله ادع الله ان يرزقني مالا والذي بعثك بالحق لئن رزقني الله
مالا لاعطين كل ذي حق حقه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم ارزق ثعلبة مالا قال فاتخذ
غنما فنمت كما ينمي الدود فضاقت عليه المدينة فتنحى عنها ونزل واديا من اوديتها وهي تنمي كما ينمي
الدود فكان يصلي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الظهر والعصر ويصلي في غنمه سائر الصلوات
ثم كثرت ونمت حتى تباعد عن المدينة فصار لا يشهد الا الجمعة ثم كثرت ونمت حتى تباعد عن المدينة
ايضا حتى كان لا يشهد جمعة ولا جماعة فكان اذا كان يوم جمعة خرج يتلقى الناس يسالهم عن الاخبار
فذكره رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم فقال ما فعل ثعلبة فقالوا يا رسول الله اتخذ ثعلبة
غنما ما يسعها واد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ويح ثعلبة يا ويح ثعلبة يا ويح ثعلبة
فانزل الله اية الصدقة فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا من بني سليم ورجلا من جهينة
وكتب لهما اسنان الصدقة وكيف ياخذان فقال لهما امرا على ثعلبة بن حاطب وبرجل من بني سليم
فخذا صدقاتهما فخرجا حتى اتيا ثعلبة فسالاه واقراه كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
ما هذه الا جزية ما هذه الا اخت الجزية انطلقا حتى تفرغا ثم عودا الي فانطلقا وسمع بهما السلمي
فنظر الى خيار اسنان ابله فعزلها للصدقة ثم استقبلهما بها فلما رايا ها قالا ما هذه عليك فقال خذاه
فان نفسي بذلك طيبة فمرا على الناس واخذا الصدقات ثم رجعا الى ثعلبة فقال اروني كتابكما فقراه
ثم قال ما هذه الا جزية ما هذه الا اخت الجزية اذهبا حتى ارى رايي قال فاقبلا فلما راهما
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قبل ان يكلما يا ويح ثعلبة يا ويح ثعلبة ثم دعا للسلمي
بخير فاخبراه بالذي صنع ثعلبة فانزل الله فيه ومنهم من عاهد الله لئن اتانا من فضله لنصدقن
الاية الى قوله وبما كانوا يكذبون وعند رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل من اقارب ثعلبة فسمع ذلك
فخرج حتى اتاه فقال ويحك يا ثعلبة لقد انزل الله فيك كذا وكذا فخرج ثعلبة حتى اتى النبي صلى
الله عليه وسلم فساله ان يقبل منه صدقته فقال ان الله منعني ان اقبل منك صدقتك فجعل يحثي على
راسه التراب فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا عملك قد امرتك فلم تطعني فلما ابى ان يقبض
رسول الله صلى الله عليه وسلم صدقته رجع الى منزله وقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتى ابا بكر فقال
اقبل صدقتي فقال ابو بكر لم يقبلها منك رسول الله صلى الله عليه وسلم فانا لا اقبلها فقبض ابو بكر ولم
يقبلها فلما ولي عمر اتاه فقال اقبل صدقتي فقال لم يقبلها منك رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا ابو بكر
انا لا اقبلها منك فلم يقبلها ثم ولي عثمان فاتاه فلم يقبلها منه وهلك في خلافة عثمان واخرجه الطبري

ايضا باسناده قال بعض العلما انما لم يقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم صدقة ثعلبة لان
الله تعالى منعه من قبولها منه مجازاة له على اخلافه ما عاهد الله عليه واهانة له على قوله انما
هي جزية او اخت الجزية فلما صدر هذا القول منه ردت صدقته عليه اهانة له وليعتبر غيره
به فلا يمتنع من بذل الصدقة عن طيب نفس باخراجها ويرى انها واجبة عليه وانه يثاب على
اخراجها ويعاقب على منعها وقال ابن عباس ان ثعلبة اتى مجلسا من مجالس الانصار فاشهدهم لين
اتاني الله من فضله اتيت منه كل ذي حق حقه وتصدقت منه ووصلت القرابة فمات ابن عم له فورث
منه مالا فلم يف بما عاهد الله عليه فانزل فيه هذه الاية وقال الحسن ومجاهد نزلت في ثعلبة ومعتب
ابن قشير وهما من بني عمرو بن عوف خرجا على ملا فقعود فقالا لين رزقنا الله من فضله لنصدقن فلما
رزقهما الله بخلا به وقال ابن السايب ان حاطب بن ابي بلتعة كان له مال بالشام فابطا عليه فجهد لذلك
جهدا شديدا فحلف بالله لين اتاني الله من فضله يعني ذلك المال لاصدقن منه ولاصلن فلما اتاه
ذلك المال لم يف بما عاهد الله عليه فنزلت هذه الاية وحاصله ان ظاهر الاية يدل على ان بعض
المنافقين عاهد الله لين اتاه من فضله ليصدقن وليفعلن فيه افعال الخير والبر والصلة فلما اتاه
الله من فضله ما سال لم يف بما عاهد الله عليه ومعنى الاية ومن المنافقين من اعطى الله عهدا لين رزقنا
من فضله بان يوسع علينا في الرزق فلنصدقن يعني لنتصدقن من ذلك المال الصدقة **ولنكونن من
الصالحين** يعني ولنعملن في ذلك المال كما يعمله الصلاح باموالهم من صلة الارحام والانفاق في
سبيل الله وجميع وجوه البر واخراج الزكاة وايصالها الى اهلها والصالح ضد
المفسد والمفسد هو الذي يبخل بما يلزمه في حكم الشرع وقيل ان المراد بقوله لنصدقن
اخراج الزكاة الواجبة وقوله ولنكونن من الصالحين اشارة الى كل ما يعمله اهل الصلاح
على الاطلاق من جميع اعمال البر والطاعة **فلما اتاهم من فضله بخلوا به** يعني فلما رزقهم
الله فلم يفعلوا من اعمال البر شيا **وتولوا** يعني عما عاهدوا الله عليه **وهم معرضون** يعني عن
العهد **فاعقبهم نفاقا في قلوبهم** يعني فاعقبهم الله نفاقا بان صيرهم منافقين يقال
اعقبت فلانا ندامة اذا صيرت عاقبة امره ذلك وقيل معناه انه تعالى عاقبهم بنفاق
قلوبهم **الى يوم يلقونه** يعني انه تعالى حرمهم التوبة الى يوم القيامة فيوافونه على النفاق
فيجازيهم عليه **بما اخلفوا الله ما وعدوه** يعني الصدقة والانفاق في سبيله **وبما كانوا
يكذبون** يعني في قولهم لنصدقن ولنكونن من الصالحين عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال اية المنافق ثلاثة اذا حدث كذب واذا وعد اخلف واذا ايتمن خان وعن عبد
الله بن عمرو بن العاص قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اربع من كن فيه كان منافقا خالصا
ومن كانت فيه خلة وفي رواية خصلة منهن كانت فيه خصلة من نفاق حتى يدعها اذا حدث
كذب واذا عاهد غدر واذا وعد اخلف واذا خاصم فجر قال الشيخ محي الدين النواوي هذا

الحديث

الحديث مما عده جماعة من العلماء مشكلا من حيث ان هذه الخصال قد توجد في المسلم
المصدق الذي ليس فيه شك وقد اجمع العلماء على ان من كان مصدقا بقلبه ولسانه وفعل هذه
الخصال لا يحكم عليه بكفر ولا هو منافق مخلد في النار فان اخوة يوسف عليه السلام جمعوا هذه
الخصال وكذا قد توجد لبعض السلف ولبعض العلماء بعض هذا او كله قال الشيخ هذا ليس
بحمد الله اشكال ولكن اختلف العلماء في معناه فالذي قاله المحققون والاكثرون وهو الصحيح
المختار ان معناه ان هذه الخصال خصال النفاق وصاحبها يشبه بالمنافقين في هذه الخصال
ويتخلق باخلاقهم فان النفاق هو اظهار ما يبطن خلافه وهذا موجود في صاحب هذه
الخصال فيكون نفاقه في حق من حدثه ووعده وايتمنه وخاصمه وعاهده من الناس لا انه
منافق في الاسلام فيظهره وهو يبطن الكفر ولم يرد النبي صلى الله عليه وسلم بهذا انه منافق
نفاق الكفار المخلد في الدرك الاسفل من النار وقوله صلى الله عليه وسلم كان منافقا خالصا معناه
كان شديد الشبه بالمنافقين بسبب هذه الخصال قال بعض العلماء وهذا فيمن كانت هذه
الخصال غالبة عليه فاما من ندر ذلك منه فليس فيه لذا خاصا لا انه هذا هو المختار في معنى
الحديث وقال جماعة من العلماء المراد به المنافقون الذين كانوا في زمن النبي صلى الله عليه وسلم
فانهم حدثوا في ايمانهم فكذبوا وايتمنوا على دينهم فخانوا ووعدوا في امر الدين ونصره فاخلفوا
وفجروا في خصوماتهم وهذا قول سعيد بن جبير وعطا بن ابي رباح ورجع اليه الحسن البصري
بعد ان كان على خلافه وهو مروي عن ابن عباس وابن عمر ورواه ايضا عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال القاضي عياض واليه مال اكثر ايمتنا وحكى الخطابي قولا اخر ان معناه التحذير للمسلم ان
يعتاد هذه الخصال وحكى ايضا عن بعضهم ان الحديث ورد في رجل بعينه منافق وكان
النبي صلى الله عليه وسلم لا يواجههم بصريح القول فيقول فلان منافق وانما يشير اشارة
كقوله صلى الله عليه وسلم ما بال اقوام يفعلون كذا والله اعلم وقال الامام فخر الدين الرازي
ظاهر هذه الاية يدل على ان نقض العهد وخلف الوعد يورث النفاق فيجب على المسلم ان
يبالغ في الاحتراز عنه فاذا عاهد امرا فليجتهد بالوفا به وقوله تعالى **الم يعلموا** يعني هولاء
المنافقين **ان الله يعلم سرهم** يعني ما تنطوي عليه صدورهم من النفاق **ونجواهم** يعني ويعلم ما
يفاوض به بعضهم بعضا فيما بينهم والنجوى هو الخفي يكون بين القوم والمعنى انهم يعلمون
ان الله يعلم جميع احوالهم لا يخفى عليه شي منها **وان الله علام الغيوب** وهذا مبالغة في العلم
يعني ان الله عالم بجميع الاشيا فكيف يخفى عليه احوالهم قوله عز وجل **الذين يلمزون المطوعين من
المومنين في الصدقات** الاية ق عن ابي مسعود البدري قال لما نزلت اية الصدقة كنا نحامل
على ظهورنا فجاء رجل فتصدق بشي كثير فقالوا مراي وجاء رجل فتصدق بصاع فقالوا ان الله
لغني عن صاع هذا فنزلت الذين يلمزون المطوعين من المومنين في الصدقات والذين لا يجدون

الا جهدهم الاية قال ابن عباس وغيره من المفسرين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حث على الصدقة
فجا عبد الرحمن بن عوف باربعة الاف درهم وقال يا رسول الله مالي ثمانية الاف جئتك باربعة
الاف فاجعلها في سبيل الله وامسكت اربعة الاف لعيالي فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم بارك
بارك الله لك فيما اعطيت وفيما امسكت فبارك الله في مال عبد الرحمن حتى انه خلف امراتين يوم
مات فبلغ ثمن ماله لهما مائة وستين الف درهم وتصدق يومئذ عاصم بن عدي العجلاني بمائة وسق
من تمر وجا ابو عقيل الانصاري واسمه الحبحاب بصاع من تمر وقال يا رسول الله بت ليلتي اجر بالجرير
الماء حتى نلت صاعين من تمر فامسكت احدهما لعيالي واتيتك بالاخر فامره رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان ينثره في الصدقات فلمزهم المنافقون فقالوا ما اعطى عبد الرحمن وعاصم الا ريا وان الله ورسوله
لغنيان عن صاع ابي عقيل ولكن احب ان يذكر نفسه ليعطى من الصدقة فانزل الله تعالى الذين
يلمزون يعيبون المطوعين يعني المتبرعين من المومنين يعني عبد الرحمن بن عوف وعاصم بن عدي
في الصدقات والتطوع التنفل بما ليس بواجب عليه **والذين لا يجدون الا جهدهم** يعني ابا عقيل
الانصاري والجهد بالضم الطاقة وهي لغة اهل الحجاز وبالفتح لغيرهم وقيل الجهد بالضم الطاقة
وبالفتح المشقة وقد يكون القليل من المال الذي ياتي به فيتصدق به اكثر موقعا عند الله تعالى
من الكثير الذي ياتي به فيتصدق به لان الغني اخرج ذلك المال الكثير عن قدرة وهذا الفقير الذي
اخرج القليل انما اخرجه عن ضعف وجهد وقد يوثر المحتاج الى المال لغيره رجاما عند الله تعالى
كما قال تعالى ويوثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة **فيسخرون منهم** يعني ان المنافقين كانوا
يستهزون بالمومنين في انفاقهم المال في طاعة الله تعالى وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم
ويحكون لهم لقد كان الله عن صدقة هولا غنيا وكانوا يعيرون الفقير الذي يتصدق بالقليل
ويقولون انه لفقره محتاج اليه فكيف يتصدق به وجوابهم ان كل من يرجو ما عند الله من الخير
والثواب يبذل الموجود لينال ذلك الثواب الموعود به وقوله تعالى **سخر الله منهم** يعني ان الله تعالى جازاهم
على سخريتهم ثم وصف ذلك وهو قوله **ولهم عذاب اليم** يعني في الاخرة قوله تعالى **استغفر لهم او لا**
تستغفر لهم ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم قال المفسرون لما نزلت الايات المتقدمة
في المنافقين وبان نفاقهم وظهر للمومنين جاوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يعتذرون اليه
ويقولون استغفر لنا فنزلت استغفر لهم او لا تستغفر لهم وهذا كلام خرج مخرج الامر ومعناه
الخبر تقديره استغفرت لهم يا محمد او لم تستغفر لهم فلن يغفر الله لهم وانما خص السبعين من العدد
في الذكر لان العرب كانت تستكثر السبعين ولهذا كبر رسول الله صلى الله عليه وسلم لما صلى
على عمه حمزة رضي الله عنه سبعين تكبيرة ولان احاد السبعين سبعة وهو عدد شريف
فان السموات سبع والارضين سبع والايام سبع والاقاليم سبع والبحار سبع والنجوم
السيارة سبع فلهذا خص السبعين بالذكر للمبالغة في الياس من طمع المغفرة لهم قال الضحاك لما

نزلت هذه الاية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله قد رخص لي فساريد على السبعين
لعل الله ان يغفر لهم فانزل الله سوا عليهم استغفرت لهم ام لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم
ق عن ابن عمر قال لما توفي عبد الله يعني ابن ابي ابن سلول جا ابنه عبد الله الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فساله ان يعطيه قميصه يكفن فيه اباه ثم ساله ان يصلي عليه فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم
ليصلي عليه فقام عمر فاخذ بثوب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله تصلي عليه وقد
نهاك ربك ان تصلي عليه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما خيرني الله عز وجل فقال استغفر
لهم او لا تستغفر لهم ان تستغفر لهم سبعين مرة وساريده على السبعين قال انه منافق فصلى عليه
رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله عز وجل ولا تصل على احد منهم مات ابدا ولا تقم على قبره
انهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون زاد في رواية فترك الصلاة عليهم وقوله تعالى **ذلك**
بانهم كفروا بالله ورسوله يعني ان هذا الفعل من الله وهو ترك عفوه عنهم وترك المغفرة لهم من اجل
انهم اختاروا الكفر على الايمان بالله ورسوله **والله لا يهدي القوم الفاسقين** يعني والله لا يوفق للايمان به
وبرسوله من اختار الكفر والخروج عن طاعة الله وطاعة رسوله قوله عز وجل **فرح المخلفون بمقعدهم**
خلاف رسول الله يعني فرح المخلفون عن غزوة تبوك والمخلف المتروك بمقعدهم يعني بقعودهم في المدينة
خلاف رسول الله يعني بعده وعلى هذا المعنى خلاف بمعنى خلف وهو اسم للجهة المعينة لان الانسان اذا
توجه الى قدامه فمن تركه خلفه فقد تركه بعده وقيل معناه مخالفة لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين سار
الى تبوك واقاموا بالمدينة لان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان قد امرهم بالخروج الى الجهاد فاختاروا
القعود مخالفة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قوله تعالى **وكرهوا ان يجاهدوا باموالهم وانفسهم في سبيل الله**
والمعنى انهم فرحوا بسبب التخلف وكرهوا الخروج الى الجهاد وذلك ان الانسان يميل بطبعه الى ايثار الراحة
والقعود مع الاهل والولد ويكره اتلاف النفس والمال وهو قوله تعالى **وقالوا لا تنفروا في الحر** وكانت غزوة
تبوك في شدة الحر فاجاب الله عن هذا بقوله **قل نار جهنم اشد حرا لو كانوا يفقهون** يعني قل يا محمد لهولا
الذين اختاروا الراحة والقعود خلافك عن الجهاد في الحر فان نار جهنم التي هي موعدهم في الاخرة هي اشد
حرا من الدنيا لو كانوا يعلمون قال ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم امر الناس ان ينبعثوا معه في ذلك
في الصيف فقال رجال يا رسول الله الحر شديد ولا نستطيع الخروج ولا تنفر في الحر فقال الله عز وجل قل نار
جهنم اشد حرا لو كانوا يفقهون فامر الله بالخروج **فليضحكوا قليلا** يعني فليضحك هولا الذين تخلفوا
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فرحين قليلا في الدنيا الفانية بمقعدهم خلافه **وليبكوا كثيرا** يعني مكان
ضحكهم في الدنيا وهذا وان ورد بصيغة الامر الا ان معناه الاخبار والمعنى انهم وان فرحوا وضحكوا
طول اعمارهم في الدنيا فهو قليل بالنسبة الى بكائهم في الاخرة لان الدنيا فانية والاخرة باقية والمنقطع
الفاني بالنسبة الى الدائم الباقي قليل **جزاء بما كانوا يكسبون** يعني ان ذلك البكاء في الاخرة جزاء لهم على ضحكهم
واعمالهم الخبيثة في الدنيا خ عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو تعلمون ما اعلم لضحكتم

قليلا وليبكوا كثيرا وروى البغوي بسنده عن انس بن مالك قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول يا ايها الناس ابكوا فان لم تستطيعوا ان تبكوا فتباكوا فان اهل النار يبكون في النار حتى تسيل
دموعهم في وجوههم كانها جداول حتى تنقطع الدموع فتسيل الدما فتقرح العيون فلو ان سفنا
اجريت فيها لجرت قوله تعالى فان رجعك الله يعني فان ردك الله يا محمد من غزاتك هذه الى طايفة
منهم يعني الى المتخلفين عنك وانما قال منهم لانه ليس كل من تخلف بالمدينة عن غزوة تبوك كان
منافقا مثل اصحاب الاعذار فاستاذنوك للخروج يعني فاستاذنك المنافقون الذين تخلفوا عنك
وتخلفت نفاقهم في الخروج معك الى غزوة اخرى فقل لن تخرجوا معي ابدا فقل يا محمد لهولاء الذين
طلبوا الخروج وهم مقيمون على نفاقهم لن تخرجوا معي ابدا لا الى غزاة ولا الى سفر ولن تقاتلوا معي عدوا
انكم يعني لانكم رضيتم بالقعود اول مرة يعني انكم رضيتم بالتخلف عن غزاة تبوك فاقعدوا مع الخالفين
يعني مع المتخلفين النسا والصبيان وقيل مع المرضى والزمنى وقال ابن عباس مع الذين تخلفوا بغير عذر
وقيل مع الخالفين يقال لصاحبه خالف اذا كان مخالفا كثير الخلاف وفي الاية دليل على ان الرجل اذا
ظهر منه مكر وخداع وبدعة يجب الانقطاع عنه وترك مصاحبته لانه منع المنافقين من الخروج مع
رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الجهاد مشعر باظهار نفاقهم وذمهم وطردهم وابعادهم لما علم من
مكرهم وخداعهم اذا خرجوا الى الغزوات قوله عز وجل ولا تصل على احد منهم مات ابدا الاية قال
قتادة بعث عبد الله بن ابي بن سلول الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو مريض ليأتيه قال فنهاه
عمر عن ذلك فاتاه نبي الله صلى الله عليه وسلم فلما دخل عليه نبي الله صلى الله عليه وسلم قال اهلكك
حب اليهود فقال يا نبي الله اني لم ابعث اليك لتوبخني ولكن بعثت اليك لتستغفر لي وساله قميصه
ان يكفن فيه فاعطاه اياه واستغفر له رسول الله صلى الله عليه وسلم ونفث في جلده ودلاه في قبره
فانزل الله ولا تصل على احد منهم مات ابدا ولا تقم على قبره الاية خ عن عمر بن الخطاب قال لما مات
عبد الله بن ابي ابن سلول دعي له رسول الله صلى الله عليه وسلم ليصلي عليه فلما قام رسول الله صلى الله
عليه وسلم وثبت اليه فقلت يا رسول الله اتصلي على ابن ابي ابن سلول وقد قال يوم كذا وكذا كذا اعدد عليه
قوله فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال اخر عني يا عمر فلما اكثرت قال اما اني خيرت فاخترت
لو اعلم اني ان زدت على السبعين يغفر له لزدت عليها قال فصلى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم
ثم انصرف فلم يمكث الا يسيرا حتى نزلت الايتان من براة ولا تصل على احد منهم مات ابدا ولا تقم
على قبره الى قوله وهم فاسقون قال فعجبت بعد من جراتي على رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ والله
ورسوله اعلم واخرجه الترمذي وزاد فيه فما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعده على منافق ولا
قام على قبره حتى قبضه الله تعالى ق عن جابر قال اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله بن ابي بعد
ما ادخل حفرته فامر به فاخرج فوضعه على ركبتيه ونفث فيه من ريقه والبسه قميصه فالله اعلم
قال وكان كسا عباسا قميصا قال سفيان وقال ابو هارون وكان على رسول الله صلى الله عليه وسلم قميصان

فقال

فقال له ابن عبد الله يا رسول الله البس عبد الله قميصك الذي يلي جلدك قال سفيان فيرون
ان النبي صلى الله عليه وسلم البس عبد الله قميصه مكافاة لما صنع وفي رواية عن جابر قال لما كان يوم بدر
اتي بالاسارى واتي بالعباس ولم يكن عليه ثوب فنظر النبي صلى الله عليه وسلم له قميصا فوجدوا
قميص عبد الله بن ابي يقدر عليه فكساه النبي صلى الله عليه وسلم اياه فلذلك نزع النبي صلى الله
عليه وسلم قميصه الذي البسه فصل وقد وقع في هذه الاحاديث التي تتضمن قصة موت عبد
الله بن ابي ابن سلول المنافق صورة اختلاف في الروايات ففي حديث ابن عمر المتقدم انه لما توفي
عبد الله بن ابي اتى ابنه عبد الله الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فساله ان يعطيه قميصه
ليكفنه فيه وان يصلي عليه فاعطاه قميصه وصلى عليه وفي حديث عمر بن الخطاب من افراد
البخاري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دعي له ليصلي عليه وفي حديث جابر ان النبي صلى الله عليه
وسلم اتاه بعدما ادخل حفرته فامر به فاخرج فوضعه على ركبتيه ونفث فيه من ريقه والبسه
قميصه ووجه الجمع بين هذه الروايات انه صلى الله عليه وسلم اعطاه قميصه فكفن فيه ثم انه
صلى عليه وليس في حديث جابر ذكر الصلاة عليه فالظاهر والله اعلم انه صلى عليه اولا كما في
حديث عمر وابن عمر ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اتاه ثانيا بعدما ادخل حفرته فاخرجه
منها ونزع عنه القميص الذي اعطاه وكفن فيه لينفث عليه من ريقه ثم انه صلى الله عليه وسلم البسه
قميصه بيده الكريمة فعل هذا كله بعبد الله بن ابي تطييبا لقلب ابنه عبد الله فانه كان صحابيا
صالحا مسلما مخلصا واما قول قتادة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم عاده في مرضه وانه ساله
ان يستغفر له وان يعطيه قميصه وان يصلي عليه فاعطاه قميصه واستغفر له وصلى عليه ونفث في
جلده ودلاه في حفرته فهذه جمل من القول ظاهرها الترتيب وما المراد بهذا الترتيب توفيقا
بين الاحاديث فيكون قوله ونفث في جلده ودلاه في قبره جملة منقطعة عما قبلها يعني انه صلى الله
عليه وسلم فعل ذلك بعدما اعطاه القميص وبعد ان صلى عليه والله اعلم وقال القرطبي في شرح صحيح
مسلم له ان عبد الله بن ابي ابن سلول كان سيد الخزرج في اخر جاهليتهم فلما ظهر النبي صلى الله عليه
وسلم وانصرف اليه الخزرج وغيرهم حسده وباطنه العداوة غير ان الاسلام غلب عليه فنافق
وكان راسا في المنافقين واعظمهم نفاقا واشدهم كفرا وكان المنافقون كثيرا حتى لقد روي عن ابن
عباس انهم كانوا ثلثماية رجل ومايه وسبعين امراة وكان ولده عبد الله يعني ولد عبد الله بن
ابي من فضلاء الصحابة واصدقهم اسلاما واكثرهم عبادة واشرحهم صدرا وكان ابر الناس بابيه
ومع ذلك فقد قال يوما للنبي صلى الله عليه وسلم يا رسول الله انك لتعلم اني من ابر الناس بابي وان امرتني
ان اتيك براسه فعلت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بل نعفو عنه وكان من احرص الناس على
اسلام ابيه وعلى ان ينتفع من بركات النبي صلى الله عليه وسلم بشيء ولذلك لما مات ابوه سال
النبي صلى الله عليه وسلم ان يعطيه قميصه ليكفنه فيه فينال من بركته فاعطاه وساله ان يصلي عليه

فصلى عليه كان ذلك إكراماً لابنه عبد الله واستئلافاً له ولطائفته وقول عمر أتصلي
عليه وقد نهاك الله أن تصلي عليه يحتمل أن يكون قبل نزول ولا تصل على أحد منهم
مات أبداً ويظهر من هذا السياق أن عمر وقع في خاطره أن الله نهاه عن الصلاة عليه
فيكون هذا من قبيل الإلهام والتحديث الذي شهد له به النبي صلى الله عليه وسلم ويحتمل
أن يكون فهمه من سياق قوله استغفر لهم أو لا تستغفر لهم وهذان التأويلان فيهما
بعد قال القرطبي والذي يظهر لي والله أعلم أن البخاري ذكر هذا الحديث من رواية ابن
عباس وساقه سياقة هي أبين من هذه وليس فيها هذا اللفظ فقال عن ابن عباس عن
عمر لما مات عبد الله بن أبي بن سلول دعي له رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما قام رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال عمر وثبت إليه الحديث إلى قوله فصلى عليه ثم انصرف فلم يلبث إلا يسيراً
حتى نزلت عليه الآيتان من براءة قال القرطبي وهذا مساق حسن وتنزيل متقن ليس فيه شيء
من الإشكال المتقدم فهو الأولى وقوله صلى الله عليه وسلم سأزيد على السبعين وعد بالزيادة
وهو مخالف لما في حديث ابن عباس عن عمر فإن فيه لو أعلم أني إن زدت على السبعين غفر له
لزدت وهذا بعيد لذلك الوعد المطلق فإن الأحاديث يفسر بعضها بعضاً ويقيد بعضها
بعضاً فلذلك قال لو أعلم أني إذا زدت على السبعين غفر له لزدت فقد علم أنه لا يغفر له
وقوله صلى الله عليه وسلم إني خيرت مشكل مع قوله تعالى ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا
للمشركين الآية وهذا مفهوم من النهي عن الاستغفار لمن مات كافراً وهو متقدم على الآية التي
فيها التخيير والجواب عن هذا الإشكال أن المنهي عنه استغفار لمن تحقق موته على الكفر
والشرك وأما استغفاره لأولئك المنافقين المخير فيهم فهو قد علم صلى الله عليه وسلم أنه لا يقع
ولا ينفع وغايته إن وقع كان تطييباً لقلوب الأحياء من قراباتهم فانفصل الاستغفار المنهي
عنه من المخير فيه وارتفع الإشكال بحمد الله والله أعلم وقال الشيخ محيي الدين النواوي إنما أعطاه
قميصه ليكفنه فيه تطييباً لقلب ابنه عبد الله فإنه كان صحابياً صالحاً وقد سأل ذلك
فأجابه إليه وقيل بل أعطاه مكافأة لعبد الله بن أبي المنافق الميت لأنه ألبس العباس حين
أسر يوم بدر قميصاً وفي هذا الحديث بيان مكارم أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم فقد علم
ما كان من هذا المنافق من الإيذاء له وقابله بالحسنى وألبسه قميصه كفناً وصلى عليه واستغفر
له قال الله تعالى وإنك لعلى خلق عظيم وقال البغوي قال سفيان بن عيينة كانت له يد عند
رسول الله صلى الله عليه وسلم فأحب أن يكافئه بها ويروى أن النبي صلى الله عليه وسلم كلم
فيما فعل بعبد الله بن أبي فقال صلى الله عليه وسلم وما يغني عنه قميصي وصلاتي من الله
والله إني كنت أرجو أن يسلم به ألف من قومه فيروى أنه أسلم ألف من قومه لما رأوه يتبرك
بقميص النبي صلى الله عليه وسلم وقوله تعالى ولا تقم على قبره يعني لا تقف عليه ولا تتول دفنه

من قولهم

من قولهم قام فلان بأمر فلان إذا كفاه أمره وناب عنه فيه إنهم كفروا بالله ورسوله وماتوا
وهم فاسقون وهذا تعليل لسبب المنع من الصلاة عليه والقيام على قبره ولما نزلت
هذه الآية ما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم على منافق ولا قام على قبره بعدها فإن قلت
الفسق أدنى حالاً من الكفر ولما ذكر في تعليل هذا النهي كونه كافراً دخل تحته الفسق وغيره
فما الفائدة في وصفه بكونه فاسقاً بعدما وصفه بالكفر قلت إن الكافر قد يكون عدلاً في
نفسه بأن يؤدي الأمانة ولا يضمر لأحد سوءاً وقد يكون خبيثاً في نفسه كثير الكذب
والمكر والخداع وإضمار السوء للغير وهذا أمر مستقبح عند كل أحد ولما كان المنافق
بهذه الصفة الخبيثة وصفهم الله تعالى بكونهم فاسقين بعد أن وصفهم بالكفر قوله
تعالى ولا تعجبك أموالهم وأولادهم إنما يريد الله أن يعذبهم بها في الدنيا وتزهق أنفسهم
وهم كافرون الكلام على هذه الآية في مقامين المقام الأول في وجه التكرار والحكمة فيه أن
تجدد النزول له شأن في تقرير ما نزل أولاً وتأكيده وإرادة أن يكون المخاطب به على بال ولا
يغفل عنه ولا ينساه وأن يعتقد أن العمل به مهم وإنما أعيد هذا المعنى لقوته فيما يجب أن يحذر
منه وهو أن أشد الأشياء جذباً للقلوب والخواطر الاشتغال بالأموال والأولاد وما كان كذلك
يجب التحذير منه مرة بعد أخرى وبالجملة فالتكرير يراد به التأكيد والمبالغة في التحذير من ذلك
المعنى الذي وقع للاهتمام به وقيل أيضاً إنما كرر هذا المعنى لأنه أراد بالآية الأولى قوماً من
المنافقين كان لهم أموال وأولاد عند نزولها وبالآية الأخرى أقواماً آخرين منهم المقام الثاني
في وجه بيان ما حصل من التفاوت في الألفاظ في هاتين الآيتين وذلك أنه تعالى قال في الآية
الأولى فلا تعجبك بالفاء وقال هنا ولا تعجبك بالواو والفرق بينهما أنه عطف الآية الأولى على قوله
ولا ينفقون إلا وهم كارهون وصفهم بكونهم كارهين للإنفاق لشدة المحبة للأموال والأولاد
فحسن العطف عليه بالفاء في قوله فلا تعجبك وأما هذه الآية فلا تعلق لها بما قبلها فلهذا أتى بحرف
الواو وقال تعالى في الآية الأولى فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم وأسقط حرف لا هنا فقال
وأولادهم والسبب فيه أن حرف لا دخلت هناك لزيادة التأكيد فيه أعلى أنهم كانوا معجبين
بكثرة الأموال والأولاد وكان إعجابهم بأولادهم أكثر وفي إسقاط حرف لا هنا دليل على أنه
لا تفاوت بين الأمرين وقال تعالى في الآية الأولى إنما يريد الله ليعذبهم بحرف اللام وقال هنا أن
يعذبهم بحرف أن والفائدة فيه التنبيه على أن التعليل في أحكام الله محال وأنه أينما ورد حرف
اللام فمعناه أن كقوله وما أمروا إلا ليعبدوا الله معناه وما أمروا إلا أن يعبدوا الله وقال
تعالى في الآية الأولى في الحياة الدنيا وقال تعالى هنا في الدنيا والفائدة في إسقاط لفظة
الحياة تنبيهاً على أن الحياة الدنيا بلغت في الخسة إلى حيث أنها لا تستحق أن تذكر ولا تسمى
حياة بل يجب الاقتصار عند ذكرها على لفظ الدنيا تنبيهاً على كمال دناءتها فهذه جملة في ذكر

الواردين بهذه الالفاظ والله اعلم بمراده واسرار كتابه قوله عز وجل واذا انزلت سورة يحتمل ان
يراد بالسورة بعضها لان اطلاق لفظ الجمع على البعض جايز ويحتمل ان يراد جميع السورة فعلى هذا
المراد بالسورة سورة براة لانها مشتملة على الامر بالايمان والامر بالجهاد اى بان امنوا بالله وجاهدوا
مع رسوله فان قلت كيف يامرهم بالايمان مع كونهم مومنين فهو من باب تحصيل الحاصل قلت معناه
الامر بالدوام على الايمان والجهاد في المستقبل وقيل ان الامر بالايمان متوجه على كل احد في كل
ساعة وقيل ان هذا الامر وان كان ظاهره العموم لكن المراد به الخصوص وهم المنافقون والمعنى
اخلصوا الايمان بالله وجاهدوا مع رسوله وانما قدم الامر بالايمان على الامر بالجهاد لان الجهاد
بغير ايمان لا يفيد اصلا فكانه قيل للمنافقين الواجب عليكم ان تؤمنوا بالله اولا وتجاهدوا
مع رسوله ثانيا حتى يفيدكم ذلك الجهاد فايدة يرجع عليكم نفعها في الدنيا والاخرة وقوله تعالى
استاذنك اولوا الطول منهم قال ابن عباس يعني اهل الغنى وهم اهل القدرة والثروة والسعة
من المال وقيل هم روسا المنافقين وكبراوهم وفي تخصيص اولي الطول بالذكر قولان احدهما
ان الذم لهم الزم لكونهم قادرين على اهبة السفر والجهاد والقول الثاني انما خص اولي الطول
بالذكر لان العاجز عن السفر والجهاد لا يحتاج الى الاستيذان وقالوا يعني اولوا الطول ذرنا نكن مع
القاعدين يعني في البيوت من النسا والصبيان وقيل مع المرضى والزمنى رضوا بان يكونوا مع
الخوالف قيل الخوالف النسا اللواتي يتخلفن في البيوت فلا يخرجن منها والمعنى رضوا بان يكونوا
في تخلفهم عن الجهاد كالنسا وقيل خوالف جمع خالفة وهم ادنيا الناس وسفلتهم يقال فلان خالفة
قومه اذا كان دونهم وطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون يعني وختم على قلوب هولاء المنافقين
فهم لا يفقهون مراد الله في الامر بالجهاد قوله تعالى لكن الرسول والذين امنوا معه جاهدوا باموالهم وانفسهم
اى ان تخلف هولاء ولم يجاهدوا فقد جاهد من هو خير منهم يعني الرسول والمومنين واوليك لهم الخيرات
منافع الدارين النصر والغنيمة في الدنيا والجنة والكرامة في الاخرة وقيل الحور لقوله فيهن خيرات
حسان هي جمع خيرة واوليك هم المفلحون اى الفايزون بالمطالب قوله تعالى اعد الله لهم جنات
تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ذلك الفوز العظيم بيان لما لهم من الخيرات الاخروية قوله تعالى
وجا المعذرون من الاعراب ليوذن لهم يعني وجا المعتذرون من اعراب البوادي الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم يعتذرون اليه في التخلف عن الغزو معه قال الضحاك هم رهط عامر بن الطفيل جاوا
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم معتذرين اليه دفاعا عن انفسهم فقالوا يا نبي الله ان نحن غزونا
معك تغير اعراب طي على حلايلنا واولادنا ومواشينا فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم قد انباني
الله من اخباركم وسيغني الله عنكم وقيل هم نفر من بني غفار رهط خفاف بن ايما بن رحضة وقيل هم
من اسد وغطفان وقال ابن عباس هم الذين تخلفوا بعذر فاذن لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعنى الاية
وجا المعذرون اي المقصرون يعني انهم قصروا ولم يبالغوا فيما اعتذروا به والمعذر من يرى ان له عذرا

ولا عذر له

ولا عذر له وقيل ان الاصل في هذا اللفظ عند النحاة المعتذرون فادغمت التا في الذال لقرب
مخرجيهما والاعتذار في كلام العرب على قسمين يقال اعتذر اذا كذب في عذره ومنه قوله تعالى
يعتذرون اليكم فرد الله عليهم بقوله قل لا تعتذروا فدل ذلك على فساد عذرهم وكذبهم فيه ويقال
اعتذر اذا اتى بعذر صحيح ومنه قول لبيد ومن يبك حولا كاملا فقد اعتذر يعني فقد جا بعذر
صحيح وقيل هو من التعذير الذي هو التقصير يقال عذر تعذيرا اذا قصر ولم يبالغ فعلى هذا المعنى
يحتمل انهم كانوا صادقين في اعتذارهم وانهم كانوا كاذبين ومن المفسرين من قال انهم كانوا صادقين
بدليل انه تعالى لما ذكرهم قال بعده وقعد الذين كذبوا الله ورسوله فلما فصل بينهم وميزهم عن الكاذبين
دل ذلك على انهم ليسوا كاذبين ويروى عن ابي عمرو بن العلا انه لما قيل له هذا الكلام قال ان اقواما
تكلفوا عذرا بباطل فهم الذين عناهم الله تعالى بقوله وجا المعذرون من الاعراب وتخلف اخرون
لا لعذر ولا لشبهة عذر جراة على الله فهم المراد بقوله وقعد الذين كذبوا الله ورسوله وهم منافقوا
الاعراب الذين ما جاوا وما اعتذروا واظهروا بذلك انهم كذبوا الله ورسوله يعني في ادعايهم الايمان
سيصيب الذين كفروا منهم عذاب اليم يعني في الدنيا بالقتل وفي الاخرة بالنار وانما قال منهم
لانه تعالى علم ان منهم من سيومن ويخلص في ايمانه فاستثناهم الله تعالى من المنافقين الذين اصروا
على الكفر والنفاق وماتوا عليه قوله عز وجل ليس على الضعفا لما ذكر الله تعالى المنافقين الذين تخلفوا
عن الجهاد واعتذروا باعذار باطلة عقبه بذكر اصحاب الاعذار الحقيقية الصحيحة وعذرهم واخبر
ان فرض الجهاد عنهم ساقط فقال تعالى ليس على الضعفا والضعيف هو الصحيح في بدنه العاجز
عن الغزو وتحمل مشاق السفر والجهاد مثل الشيوخ والصبيان والنسا ومن خلق في اصل الخلقة
ضعيفا نحيفا ويدل على ان هولا الاصناف هم الضعفا ان الله تعالى عطف عليهم المرضى فقال
تعالى ولا على المرضى والمعطوف مغاير للمعطوف عليه فاما المرضى فيدخل فيهم اهل العمى والعرج
والزمانة وكل من كان موصوفا بمرض يمنعه من التمكن من الجهاد والسفر للغزو ولا على الذين لا يجدون
ما ينفقون يعني الفقرا العاجزين عن اهبة الغزو والجهاد فلا يجدون الزاد والراحلة والسلاح
ومونة السفر لان العاجز عن نفقة الغزو معذور حرج اى ليس على هولا الاصناف الثلاثة حرج
اي اثم في التخلف عن الغزو وقال الامام فخر الدين الرازي في الاية انه يحرم عليهم لان الواحد
من هولا لو خرج ليعين المجاهدين بمقدار القدرة اما بحفظ متاعهم او بتكثير سوادهم بشرط
الا يجعل نفسه كلا ووبالا عليهم فان ذلك طاعة مقبولة ثم انه تعالى شرط على الضعفا
في جواز التخلف عن الغزو شرطا معينا وهو قوله تعالى اذا نصحوا لله ورسوله ومعناه
انهم اذا اقاموا في البلد واحترزوا عن افشا الاراجيف واثارة الفتن وسعوا في ايصال
الخير الى اهل المجاهدين الذين خرجوا الى الغزو وقاموا بمصالح بيوتهم واخلصوا الايمان
والعمل لله وتابعوا الرسول صلى الله عليه وسلم فان جملة هذه الامور يجري مجرى النصح لله

ورسوله ما على المحسنين من سبيل اي ليس على من احسن فنصح لله ولرسوله في تخلفه عن الجهاد
بعذر قد اباحه الشارع طريق يتطرق عليه فيعاقب عليه والمعنى انه سد باحسانه طريق العقاب
عن نفسه ويستنبط من قوله ما على المحسنين من سبيل ان كل مسلم يشهد ان لا اله الا الله وان
محمدا رسول الله مخلصا من قلبه بان ما عليه سبيل في نفسه وماله الا ما اباحه الشرع بدليل
منفصل والله غفور يعني لمن تخلف عن الجهاد بعذر ظاهر اباحه الشرع رحيم يعني انه تعالى
رحيم بجميع عباده قال قتادة نزلت هذه الاية في عايذ بن عمرو واصحابه وقال الضحاك نزلت
في عبد الله بن ام مكتوم وكان ضرير البصر ولما ذكر الله عز وجل هذه الاقسام الثلاثة من
المعذورين اتبعه بذكر قسم رابع وهو قوله تعالى ولا على الذين اذا ما اتوك يعني ولا حرج ولا اثم
في التخلف عنك على الذين اذا ما اتوك لتحملهم يعني يسالونك الحملان ليبلغوا الى غزو عدوك وعدوهم
والجهاد معك يا محمد قال ابن اسحاق نزلت في البكائين وكانوا سبعة ونقل الطبري عن محمد بن كعب
وغيره قالوا لما جاء ناس من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يستحملونه فقال لا اجد ما احملكم
عليه فانزل الله هذه الاية وهم سبعة نفر من بني عمرو بن عوف سالم بن عمير ومن بني واقف حرمي
ابن عمرو ومن بني مازن بن النجار عبد الرحمن بن كعب يكنى ابا ليلى ومن بني المعلى سلمان بن
صخر ومن بني حارثة عبد الرحمن بن زيد ابو عبلة وهو الذي تصدق بعرضه فقبل الله منه
ذلك ومن بني سلمة عمرو بن عنمة وعبد الله بن عمرو المزني وقال البغوي هم سبعة نفر سموا البكائين
معقل بن يسار وصخر بن خنساء وعبد الله بن كعب الانصاري وعلية بن زيد الانصاري وسالم بن عمير
وثعلبة بن عنمة وعبد الله بن معقل المزني قال اتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا رسول الله ان الله
عز وجل قد ندبنا الى الخروج معك فاحملنا فقال لا اجد ما احملكم عليه وقال مجاهد هم بنو
مقرن من مزينة وكانوا ثلاثة اخوة معقل وسويد والنعمان بنو مقرن وقيل نزلت في العرباض
ابن سارية ويحتمل انها نزلت في كل من ذكر قال ابن عباس سالوه ان يحملهم على الدواب وقيل سالوه
ان يحملهم على الخفاف المرقوعة والنعال المخصوفة فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا اجد ما احملكم
عليه فتولوا وهم يبكون ولذلك سموا البكائين فذلك قوله تعالى قلت لا اجد ما احملكم عليه تولوا
واعينهم تفيض من الدمع حزنا قال صاحب الكشاف هو كقولك تفيض دمعا وهو ابلغ من تفيض
دمعها لان العين جعلت كان كلها دمع فايض ومن للبيان كقولك افديك من رجل الا يجدوا ما ينفقون
يعني على انفسهم في الجهاد انما السبيل لما قال الله تعالى ما على المحسنين من سبيل قال الحق من
يتعذر ولا عذر له انما السبيل يعني انما يتوجه الطريق بالعقوبة على الذين يستاذنونك يا محمد
في التخلف عنك والجهاد معك وهم اغنياء يعني قادرين على الخروج معك رضوا بان يكونوا مع
الخوالف يعني رضوا بالدناءة والضيعة والانتظام في جملة الخوالف وهم النساء والصبيان
والقعود معهم وطبع على قلوبهم يعني ختم عليها فهم لا يعلمون ما في الجهاد من الخير في الدنيا والاخرة

اما في الدنيا فالفوز بالغنيمة والظفر بالعدو واما في الاخرة فالثواب والنعيم الدائم الذي
لا ينقطع قوله تعالى يعتذرون اليكم اذا رجعتم اليهم يعني يعتذر هولاء المنافقون المتخلفون
عنك يا محمد اليك وانما ذكره بلفظ الجمع تعظيما له صلى الله عليه وسلم ويحتمل انهم اعتذروا اليه والى
المومنين فلهذا قال يعتذرون اليكم يعني بالاعتذار الباطلة الكاذبة اذا رجعتم اليهم يعني من سفركم
قل اي قل لهم يا محمد لا تعتذروا قال البغوي روي ان المنافقين الذين تخلفوا عن غزوة تبوك كانوا
بضعة وثمانين فقال الله تعالى قل لا تعتذروا لن نومن لكم يعني لن نصدقكم فيما اعتذرتم به قد نبانا
الله من اخباركم يعني قد اخبرنا الله فيما سلف من اخباركم وسيرى الله عملكم ورسوله يعني في المستانف
اتتوبون من نفاقكم ام تقيمون عليه وقيل يحتمل انهم وعدوا بان ينصروا المومنين في المستقبل
فلهذا قال وسيرى الله عملكم ورسوله هل تفون بما قلتم ام لا ثم تردون الى عالم الغيب والشهادة
فينبئكم يعني فيخبركم بما كنتم تعملون لانه هو المطلع على ما في ضمايركم من الخيانة والكذب واخلاف
الوعد قوله عز وجل سيحلفون بالله لكم اذا انقلبتم اليهم يعني اذا رجعتم من سفركم اليهم يعني الى
المتخلفين بالمدينة من المنافقين لتعرضوا عنهم يعني لتعرضوا عنهم ولا تونبوهم ولا توبخوهم
بسبب تخلفهم فاعرضوا عنهم يعني فدعوهم وما اختاروا لانفسهم من النفاق وقيل يريد ترك
الكلام يعني لا تكلموهم ولا تجالسوهم فلما قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة قال لا تجالسوهم
ولا تكلموهم قال اهل المعاني ان هولاء المنافقين طلبوا اعراض الصفح فاعطوا اعراض المقت ثم ذكر
العلة في سبب الاعراض عنهم فقال تعالى انهم رجس يعني ان بواطنهم خبيثة نجسة واعمالهم
قبيحة وماواهم جهنم يعني في الاخرة جزاء بما كانوا يكسبون من الاعمال الخبيثة في الدنيا قال ابن
عباس نزلت في الجد بن قيس ومعتب بن قشير واصحابهما وكانوا ثمانين رجلا من المنافقين فقال
النبي صلى الله عليه وسلم لا تجالسوهم ولا تكلموهم وقال مقاتل نزلت في عبد الله بن ابي حلف
للنبي صلى الله عليه وسلم بالله الذي لا اله الا هو انه لا يتخلف عنه بعدها وطلب من النبي صلى الله عليه
وسلم ان يرضى عنه فانزل الله عز وجل هذه الاية والتي بعدها يحلفون لكم لترضوا عنهم يعني يحلف
لكم هولاء المنافقون لترضوا عنهم فان ترضوا عنهم يعني فان رضيتم عنهم ايها المومنون بما حلفوا
لكم وقبلتم عذرهم فان الله لا يرضى عن القوم الفاسقين يعني لانه تعالى يعلم ما في قلوبهم من
النفاق والشك فلا يرضى عنهم ابدا قوله تعالى الاعراب اشد كفرا ونفاقا نزلت في سكان البادية
يعني اهل البدو اشد كفرا ونفاقا من اهل الحضر قال اهل اللغة يقال رجل عربي اذا كان نسبه في
العرب وجمعه العرب ورجل اعرابي اذا كان بدويا يطلب مساقط الغيث والكلا وجمع الاعرابي
على الاعراب والاعاريب فمن استوطن القرى والمدن العربية فهم عرب ومن نزل البادية فهم
الاعراب فالاعرابي اذا قيل له يا عربي فرح بذلك والعربي اذا قيل له يا اعرابي غضب والعرب
افضل من الاعراب لان المهاجرين والانصار وعلماء الدين من العرب والسبب في كون الاعراب اشد

كفرا ونفاقا لبعدهم عن مجالسة العلما وسماع القران والسنن والمواعظ وهو قوله تعالى واجدر
يعني واحق واحرى ان لا يعلموا اي بان لا يعلموا احدود ما انزل الله على رسوله يعني الفرايض
والسنن والاحكام والله عليم يعني بما في قلوب عباده حكيم بما فرض من فرايضه واحكامه ومن
الاعراب من يتخذ ما ينفق مغرما يعني لا يرجو على نفاقه ثوابا ولا يخاف على امساكه عقابا انما
ينفق خوفا او ريا والمغرم التزام ما يلزمه والمعنى ان من الاعراب من يعتقد ان الذي ينفقه في سبيل
الله غرامة لانه ينفق ذلك خوفا من المسلمين او مراياة لهم ولم يرد بذلك الانفاق وجه الله وثوابه
ويتربص يعني وينتظر بكم الدواير يعني بالدواير تقلب الزمان وصروفه التي تاتي مرة بالخير ومرة
بالشر قال يمان بن ريا ب يعني تقليب الزمان فيموت الرسول ويظهر المشركون عليهم دايرة السو يعني
بل ينقلب عليهم الزمان ويدور السو والبلا والحزن ولا يرون في محمد صلى الله عليه وسلم واصحابه
ودينه الا ما يسوهم والله سميع يعني لاقوالهم عليم يعني بما يخفون في ضماير هم من النفاق والغش
وارادة السو للمومنين نزلت هذه الاية في اعراب اسد وغطفان وتميم ثم استثنى الله عز وجل فقال
تعالى ومن الاعراب من يومن بالله واليوم الاخر قال مجاهد هم بنو مقرن من مزينة وقال الكلبي
هم اسلم وغفار وجهينة ق عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ارايتم ان كان جهينة
ومزينة واسلم وغفار خيرا من بني تميم وبني اسد وبني عبد الله بن غطفان ومن بني عامر بن
صعصعة فقال رجل خابوا وخسروا قال نعم هم خير من بني تميم وبني اسد وبني عبد الله بن غطفان
ومن بني عامر بن صعصعة وفي رواية ان الاقرع بن حابس قال للنبي صلى الله عليه وسلم انما تابعك سراق
الحجيج من اسلم وغفار ومزينة واحسبه قال وجهينة فقال النبي صلى الله عليه وسلم ارايت ان كان
اسلم وغفار ومزينة واحسبه قال وجهينة خيرا من بني تميم وبني عامر واسد وغطفان قال
خابوا وخسروا قال نعم ق عن ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اسلم سالمها الله وغفار غفر
الله لها زاد مسلم في رواية له اما اني لم اقلها لكن الله قالها ق عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم قريش والانصار وجهينة ومزينة واسلم واشجع وغفار موالي ليس لهم مولى دون الله ورسوله
وقوله تعالى ويتخذ ما ينفق قربات عند الله جمع قربة اي يطلب بما ينفق القربة الى الله وصلوات
الرسول يعني ويرغبون في دعا النبي صلى الله عليه وسلم وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان
يدعو للمتصدقين بالخير والبركة ويستغفر لهم ومنه قوله صلى الله عليه وسلم اللهم صل على ال ابي اوفى
الا انها قربة لهم يحتمل ان يعود الضمير في انها الى صلوات الرسول ويحتمل ان يعود الى الانفاق وكلاهما
قربة لهم عند الله وهذه شهادة من الله تعالى للمومن المتصدق بصحة ما اعتقد من كون نفقته قربات
عند الله ولصلوات الرسول له مقبولة عند الله لان الله اكد ذلك بحرف التنبيه وهو قوله الا وبحرف
التحقيق وهو قوله انها قربة لهم سيدخلهم الله في رحمته وهذه النعمة هي اقصى مراديهم ان الله
غفور للمومنين المنفقين في سبيله رحيم يعني بهم حيث وفقهم لهذه الطاعة قوله عز وجل والسابقون

الاولون من المهاجرين والانصار اختلف العلما في السابقين الاولين فقال سعيد بن المسيب
وقتادة وابن سيرين وجماعة هم الذين صلوا الى القبلتين وقال عطا بن ابي رباح هم اهل بدر
وقال الشعبي هم اهل بيعة الرضوان وكانت بيعة الرضوان بالحديبية وقال محمد بن كعب
القرظي هم جميع الصحابة لانهم حصل لهم السبق بصحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال حميد بن
زياد قلت يوما لمحمد بن كعب القرظي الا تخبرني عن اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما بينهم
واردت الفتن فقال ان الله قد غفر لجميعهم محسنهم ومسيهم واوجب لهم الجنة في كتابه فقلت له
في اي موضع اوجب لهم الجنة فقال سبحان الله الا تقرا والسابقون الاولون الى اخر الاية فاوجب
الله الجنة لجميع اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم زاد في رواية في قوله والذين اتبعوهم باحسان قال
شرط في التابعين شريطة وهي ان يتبعوهم في افعالهم الحسنة دون السيئة قال حميد فكاني لم اقرا
هذه الاية قط واختلف العلما في اول الناس اسلاما بعد اتفاقهم على ان خديجة اول الخلق اسلاما
واول من صلى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال بعض العلما اول من امن بعد خديجة علي بن ابي
طالب وهذا قول جابر بن عبد الله واختلفوا في سنه وقت اسلامه فقيل كان ابن عشر سنين
وقيل اقل من ذلك وقيل اكثر وقيل كان بالغا والصحيح انه لم يكن بالغا وقت اسلامه وقال بعضهم
اول من اسلم بعد خديجة ابو بكر الصديق وهذا قول ابن عباس والنخعي والشعبي وقال الزهري وعروة
ابن الزبير اول من اسلم بعد خديجة زيد بن حارثة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان اسحاق
ابن ابراهيم الحنظلي يجمع بين هذه الروايات فيقول اول من اسلم من الرجال ابو بكر ومن النسا
خديجة ومن الصبيان علي بن ابي طالب ومن العبيد زيد بن حارثة رضي الله عنهم فهولا
الاربعة سباق الخلق الى الاسلام قال ابن اسحاق فلما اسلم ابو بكر اظهر اسلامه ودعا
الناس الى الله والى رسوله وكان رجلا محببا سهلا وكان انسب قريش لقريش واعلمها بما كان
فيها وكان رجلا تاجرا وكان ذا خلق حسن ومعروف وكان رجال قومه ياتونه ويالفونه
لعلمه وحسن مجالسته فجعل يدعو الى الاسلام من يثق به من قومه فاسلم على يديه عثمان بن
عفان والزبير بن العوام وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن ابي وقاص وطلحة بن عبيد الله فجا
بهم الى النبي صلى الله عليه وسلم فاسلموا على يديه وصلوا معه فكان هولا الثمانية النفر اول من
سبق الى الاسلام ثم تتابع الناس بعدهم في الدخول الى الاسلام واما السابقون من الانصار
فهم الذين بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة العقبة وهي الاولى وكانوا ستة نفر سعد
ابن زرارة وعوف بن مالك ورافع بن مالك بن العجلان وقطبة بن عامر وجابر بن عبد الله
ابن رياب ثم اصحاب العقبة الثانية من العام المقبل وكانوا اثني عشر رجلا ثم اصحاب
العقبة الثالثة وكانوا سبعين رجلا منهم البرا بن معرور وعبد الله بن عمرو بن حرام
ابو جابر وسعد بن عبادة وسعد بن الربيع وعبد الله بن رواحة فهولا سباق الانصار ثم

بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم مصعب بن عمير الى اهل المدينة يعلمهم القرآن فاسلم على
يده خلق كثير من الرجال والنساء والصبيان من اهل المدينة وذلك قبل ان يهاجر رسول الله
صلى الله عليه وسلم وقيل ان المراد بالسابقين الاولين من سبق الى الهجرة والنصرة والذي يدل عليه
ان الله تعالى ذكر كونهم سابقين ولم يبين بماذا سبقوا فبقي اللفظ مجملا فلما قال تعالى من
من المهاجرين والانصار وصفهم بكونهم مهاجرين وانصارا فوجب صرف اللفظ المجمل اليه وهو
الهجرة والنصرة وايضا فان الهجرة طاعة عظيمة ومرتبة عالية من حيث ان الهجرة امر شاق
على النفس لمفارقة الوطن والعشيرة وكذلك النصرة فان لها مرتبة عالية ومنقبة شريفة
لانهم نصروا رسول الله صلى الله عليه وسلم على اعدائه وآووه وواسوه وآووا اصحابه وواسوهم
فلذلك اثنى الله عز وجل عليهم ومدحهم فقال تعالى والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار
والذين اتبعوهم باحسان قيل بقية المهاجرين والانصار سوى السابقين الاولين فعلى هذا
القول يكون الجميع من الصحابة وقيل هم الذين سلكوا سبيل المهاجرين والانصار في الايمان
والهجرة والنصرة الى يوم القيامة قال عطاء هم الذين يذكرون المهاجرين والانصار فيترحمون
عليهم ويدعون لهم ويذكرون محاسنهم (ق) عن عمران بن حصين ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم قال عمران فلا ادري اذكر بعد قرنه قرنين او ثلاثا
(ق) عن ابي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تسبوا اصحابي فلو ان احدا وفي رواية احدكم
انفق مثل احد ذهبا ما بلغ مد احدهم ولا نصيفه اراد بالقرن في الحديث اهل عصر والقرن الامة
من الناس يقارن بعضهم بعضا واختلفوا في مدته من الزمان فقيل من عشر سنين الى عشرين وقيل من مائة
الى مائة وعشرين سنة والمد المذكور في الحديث الثاني هو ربع صاع والنصيف نصفه والمعنى لو ان
احدا عمل مهما قدر عليه من اعمال البر والانفاق في سبيل الله ما بلغ هذا القدر اليسير التافه من اعمال
الصحابة وانفاقهم لانهم انفقوا وبذلوا المجهود في وقت الحاجة وقوله تعالى رضي الله عنهم ورضوا
عنه يعني رضي الله عن اعمالهم ورضوا عنه بما جازاهم عليها من الثواب وهذا اللفظ عام يدخل فيه كل
الصحابة واعد لهم جنات تجري تحتها الانهار خالدين فيها ابدا ذلك الفوز العظيم قوله تعالى
وممن حولكم من الاعراب منافقون ذكر جماعة من المفسرين من المتاخرين كالبغوي والواحدي وابن الجوزي
انهم من اعراب مزينة وجهينة واشجع وغفار واسلم وكانت منازلهم حول المدينة ومن هؤلاء الاعراب
منافقون وما ذكره مشكل لان النبي صلى الله عليه وسلم دعا لهؤلاء القبائل ومدحهم فان صح نقل المفسرين
فيحمل قوله تعالى وممن حولكم من الاعراب منافقون على ان لفظة من للتبعيض ويحمل دعاء النبي صلى الله عليه
وسلم فيه واما الطبري فانه اطلق القول ولم يعين احدا من القبائل المذكورة في تفسير هذه الآية من
القوم الذين حول مدينتكم ايها المؤمنون من الاعراب منافقون ومن اهل مدينتكم ايضا امثالهم
اقوام منافقون وقال البغوي ومن اهل المدينة من الاوس والخزرج منافقون مردوا على النفاق فيه تقديم

وتأخير

وتأخير تقديره وممن حولكم من الاعراب ومن اهل المدينة منافقون مردوا على النفاق يعني مرنوا عليه يقال
تمرد فلان على ربه اذا عتا وتجبر ومنه الشيطان المارد وتمرد في معصيته اي مرن وثبت عليها واعتادها ولم
يتب منها قال ابن اسحاق لجوا فيه وابوا غيره وقال ابن زيد اقاموا عليه ولم يتوبوا منه لا تعلمهم يعني انهم
بلغوا في النفاق الى حيث انك لا تعلمهم يا محمد مع صفاء خاطرك واطلاعك على الاسرار نحن نعلمهم يعني
لكن نحن نعلمهم لانه لا يخفى علينا خافية وان دقت سنعذبهم مرتين اختلف المفسرون في العذاب
الاول مع اتفاقهم على ان العذاب الثاني هو عذاب القبر بدليل قوله ثم يردون الى عذاب عظيم وهو عذاب
النار في الآخرة فثبت بهذا انه تعالى يعذب المنافقين ثلاث مرات مرة في الدنيا ومرة في القبر ومرة في
الآخرة اما المرة الاولى وهي عذاب المرة الاولى التي اختلفوا فيها فقال الكلبي والسدي قام النبي صلى الله
عليه وسلم خطيبا في يوم جمعة فقال اخرج يا فلان فانك منافق اخرج يا فلان فانك منافق فاخرج من
المسجد اناسا وفضحهم فهذا هو العذاب الاول والثاني هو عذاب القبر فان صح هذا القول فيحتمل ان يكون
بعد ان اعلمه الله حالهم وسماهم له لان الله تعالى قال لا تعلمهم نحن نعلمهم ثم بعد ذلك اعلمه بهم
وقال مجاهد العذاب الاول هو القتل والسبي وهذا القول ضعيف لان احكام الاسلام في الظاهر كانت
جارية على المنافقين فلم يقتلوا ولم يسبوا وعن مجاهد رواية اخرى انهم عذبوا بالجوع مرتين وقال
قتادة المرة الاولى هي الدبيلة في الدنيا وقد جاء تفسيرها في الحديث بانها خراج من نار تظهر في اكتافهم
حتى تنجم من صدورهم يعني تخرج من صدورهم وقال ابن زيد الاولى هي المصائب في الاموال والاولاد
في الدنيا والاخرى عذاب القبر وقال ابن عباس الاولى اقامة الحدود عليهم في الدنيا والاخرى عذاب
القبر وقال ابن اسحاق الاولى هي ما يدخل عليهم من غيظ الاسلام ودخولهم فيه كرها غير حسبة والاخرى
عذاب القبر وقيل احدهما ضرب الملائكة وجوههم وادبارهم عند قبض ارواحهم والاخرى عذاب
القبر وقيل الاولى احراق مسجدهم مسجد الضرار والاخرى احراقهم بنار جهنم وهو قوله ثم يردون الى
عذاب عظيم يعني عذاب جهنم يخلدون فيه قوله عز وجل وآخرون اعترفوا بذنوبهم فيهم قولان احدهما
انهم قوم من المنافقين تابوا من نفاقهم واخلصوا وحجة هذا القول ان قوله وآخرون عطف على قوله
وممن حولكم من الاعراب منافقون والعطف يوهم ويعضده ما نقله الطبري عن ابن عباس انه قال هم
الاعراب والقول الثاني وهو قول جمهور المفسرين انها نزلت في جماعة من المسلمين من اهل المدينة تخلفوا عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك ثم ندموا على ذلك واختلف المفسرون في عددهم فروي عن ابن
عباس انهم كانوا عشرة منهم ابو لبابة وروي عنه انهم خمسة احدهم ابو لبابة وقال سعيد بن جبير
وزيد بن اسلم كانوا ثمانية احدهم ابو لبابة وقال قتادة والضحاك كانوا سبعة احدهم ابو لبابة
وقيل كانوا ثلاثة ابو لبابة بن عبد المنذر واوس بن ثعلبة ووديعة بن حزام وذلك انهم تخلفوا عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك ثم ندموا بعد ذلك وتابوا وقالوا انكون في الظلال ومع النساء ورسول
الله صلى الله عليه وسلم واصحابه في الجهاد واللأواء فلما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من سفره وقرب من

المدينة قالوا والله لنوثقن انفسنا بالسواري فلا نطلقها حتى يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم
هو الذي يطلقنا ويعذرنا فربطوا انفسهم في سواري المسجد فلما رجع النبي صلى الله عليه وسلم مر بهم
فراهم فقال من هولاء فقالوا هولاء تخلفوا عنك فعاهدوا الله ان لا يطلقوا انفسهم حتى تكون
انت الذي تطلقهم وترضى عنهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وانا اقسم بالله لا اطلقهم ولا اعذرهم
حتى اومر باطلاقهم رغبوا عني وتخلفوا عن الغزو مع المسلمين فانزل الله عز وجل هذه الاية فارسل
رسول الله صلى الله عليه وسلم اليهم فاطلقهم وعذرهم فلما اطلقوا قالوا يا رسول الله هذه
اموالنا التي خلفتنا عنك خذها فتصدق بها عنا وطهرنا واستغفر لنا فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ما امرت ان اخذ من اموالكم شيا فانزل الله خذ من اموالهم صدقة تطهرهم الاية
وقال قوم نزلت هذه الاية في ابي لبابة خاصة واختلفوا في ذنبه الذي تاب منه فقال مجاهد
نزلت في ابي لبابة حين قال لبني قريظة ان نزلتم على حكمه فهو الذبح واشار الى حلقه فندم على ذلك
وربط نفسه بسارية وقال والله لا احل نفسي ولا اذوق طعاما ولا شرابا حتى اموت او يتوب
الله علي فمكث سبعة ايام لا يذوق طعاما ولا شرابا حتى خر مغشيا عليه فانزل الله هذه الاية
فقيل له قد تيب عليك فقال والله لا احل نفسي حتى يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم هو
يحلني فجا رسول الله صلى الله عليه وسلم فحله بيده وقال ابو لبابة يا رسول الله ان من توبتي ان
اهجر دار قومي التي اصبت فيها الذنب وان انخلع من مالي كله صدقة الى الله والى رسوله فقال يجزيك
الثلث يا ابا لبابة قالوا جميعا فاخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلث اموالهم وترك لهم الثلثين
لان الله تعالى قال خذ من اموالهم ولم يقل خذ اموالهم ولان لفظة من تقتضي التبعيض وقال الحسن
وقتادة وهولاء سوى الثلاثة الذين تخلفوا وسيأتي خبرهم واما تفسير الاية فقوله تعالى واخرون
اعترفوا بذنوبهم وفيه دقيقة وهي انهم لم يعتذروا عن تخلفهم باعذار باطلة كغيرهم من المنافقين
ولكن اعترفوا على انفسهم بذنوبهم وندموا على ما فعلوا فان قلت الاعتراف بالذنب هل يكون توبة
ام لا قلت مجرد الاعتراف بالذنب لا يكون توبة فاذا اقترن بالاعتراف الندم على الماضي من الذنب
والعزم على تركه في المستقبل فيكون ذلك الاعتراف والندم توبة وقوله تعالى خلطوا عملا صالحا
واخر سيئا قيل اراد بالعمل الصالح اقرارهم بالذنب وتوبتهم منه والعمل السيء هو تخلفهم عن الجهاد
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل العمل الصالح هو خروجهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
الى سائر الغزوات والسيء هو تخلفهم عنه في غزوة تبوك وقيل ان الصالح يعم جميع اعمال البر والطاعة
والسيء ما كان ضده فعلى هذا تكون الاية في حق جميع المسلمين والحمل على العموم اولى وان كان
السبب مخصوصا بمن تخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك وروى الطبري عن ابي
عثمان قال ما في القرآن اية ارجى عندي لهذه الامة من قوله واخرون اعترفوا بذنوبهم فان قلت قد جعل
كل واحد من العمل الصالح والسيء مخلوطا فما المخلوط به قلت ان الخلط عبارة عن الجمع المطلق فاما قولك

خلطوا

خلطوا فانما يحسن في الموضع الذي يمتزج كل واحد من الخليطين بالاخر ويتغير به عن صفته
الاصلية كقولك خلطت الما باللبن وخلطت الما واللبن فتنوب الواو عن الباء فيكون معنى الاية على
هذا خلطوا عملا صالحا باخر سيء ذكره غالب المفسرين وانكره الامام فخر الدين الرازي وقال
اللايق بهذا الموضع الجمع المطلق لان العمل الصالح والعمل السيء اذا حصلا معا بقي كل واحد منهما
على حاله كما هو مذهبنا فانا نقول بالاحباط باطل فالطاعة تبقى موجبة للمدح والثواب
والمعصية تبقى موجبة للذم والعقاب فقوله تعالى خلطوا عملا صالحا واخر سيئا فيه
تنبيه على نفي القول بالمحابطة وانه بقي كل واحد منهما كما كان من غير ان يتاثر احدهما بالاخر
فليس الا الجمع المطلق وقال الواحدي العرب تقول خلطت الما باللبن وخلطت الما واللبن كما تقول
جمعت زيدا وعمرا والواو في الاية احسن من البا لانه اريد معنى الجمع لا حقيقة الخلط الا ترى
ان العمل الصالح لا يختلط بالسيء كما يختلط الما باللبن لكن قد يجمع بينهما وقوله تعالى عسى الله
ان يتوب عليهم قال ابن عباس وجمهور المفسرين عسى من الله واجب والدليل عليه قوله تعالى فعسى
الله ان ياتي بالفتح وقد فعل ذلك وقال اهل المعاني لفظة عسى هنا تفيد الطمع والاشفاق
لانه ابعد من الاتكال والاهمال وقيل ان الله تعالى لا يجب عليه شيء بل كل ما يفعله على سبيل
التفضل والتطول والاحسان فذكر لفظة عسى التي هي للترجي والطمع حتى يكون العبد بين
الترجي والاشفاق ولكن هو الى نيل ما يرجوه منه اقرب لانه ختم الاية بقوله ان الله غفور رحيم
وهذا يفيد انجاز الموعد قوله تعالى خذ من اموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها قال ابن عباس
لما اطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم ابا لبابة وصاحبيه انطلق ابو لبابة وصاحباه فاتوا
باموالهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا خذ من اموالنا فتصدق به عنا وصل علينا يقولون
استغفر لنا وطهرنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا اخذ شيا منها حتى اومر به فانزل الله عز
وجل خذ من اموالهم صدقة الاية وهذا قول زيد بن اسلم وسعيد بن جبير وقتادة والضحاك
ثم اختلف العلما في المراد بهذه الصدقة فقال بعضهم هو راجع الى هولاء الذين تابوا وذلك
انهم بذلوا اموالهم صدقة فاوجب الله تعالى اخذها وصار ذلك معتبرا في كمال توبتهم لتكون
جارية مجرى الكفارة واصحاب هذا القول يقولون ليس المراد بها الصدقة الواجبة وقال
بعضهم ان الزكاة كانت واجبة عليهم فلما تابوا من تخلفهم عن الغزو وحسن اسلامهم وبذلوا
الزكاة امر الله رسوله ان ياخذها منهم وقال بعضهم ان الاية كلام مبتدا والمقصود منها ايجاب
اخذها من الاغنيا ودفعها الى الفقرا وهذا قول اكثر الفقها واستدلوا بها على ايجاب
اخذ الزكاة اما حجة اصحاب القول الاول فانهم قالوا ان الايات لا بد وان تكون منتظمة متناسقة
فلو حملناها على اخذ الزكاة الواجبة لم يبق لهذه الاية تعلق بما قبلها ولا بما بعدها
ولان جمهور المفسرين ذكروا في سبب نزولها انها نزلت في شان التائبين واما اصحاب القول الاخير

فانهم قالوا المناسبة حاصلة ايضا على هذا التقدير وذلك لانهم لما تابوا واخلصوا
واقروا ان السبب الموجب للتخلف هو حب المال فامروا باخراج الزكاة التي هي طهرة فلما
اخرجوها علم صحة قولهم وصحة توبتهم ولا يمنع من خصوص السبب عموم الحكم فان قالوا
ان الزكاة قدر معلوم لا يبلغ ثلث المال وقد اخذ منهم ثلث اموالهم قلنا لا يمنع هذا صحة
ما قلناه لانهم رضوا ببذل الثلث من اموالهم فلان يكونوا راضين باخراج الزكاة اولى ثم في
هذه الاية احكام الاول قوله تعالى خذ من اموالهم الخطاب فيه للنبي صلى الله عليه وسلم اي خذ
يا محمد من اموالهم صدقة فكان النبي صلى الله عليه وسلم ياخذها منهم ايام حياته ثم اخذها
من بعده الايمة فيجوز للامام او نايبه ان ياخذ الزكاة من الاغنيا ويدفعها الى الفقرا الحكم الثاني
قوله من اموالهم ولفظة من تقتضي التبعيض وهذا البعض الماخوذ غير معلوم ولا مقدر
بنص القران فلم يبق الا السنة فتبين رسول الله صلى الله عليه وسلم قدرها وصنفها في اخذ
الزكاة الحكم الثالث ظاهر قوله خذ من اموالهم صدقة يفيد العموم فتجب الزكاة في جميع المال
حتى في الديون وفي مال الركاز الحكم الرابع ظاهر قوله تطهرهم ان الزكاة انما وجبت لكونها
طهرة من الاثام وصدور الاثام لا يمكن حصولها الا من البالغ دون الصبي فوجب ان تجب
الزكاة في مال البالغ دون الصبي وهذا قول ابي حنيفة اجاب اصحاب الشافعي بانه
لا يلزم من انتفا سبب معين انتفا الحكم مطلقا وللعلما في قوله تطهرهم اقوال الاول ان معنا
خذ يا محمد من اموالهم صدقة فانها تطهرهم باخذها من دنس الاثام القول الثاني ان يكون
تطهرهم متعلقا بالصدقة تقديره خذ من اموالهم صدقة فانها طهر لهم وانما حسن جعل
الصدقة مطهرة لما جا ان الصدقة اوساخ الناس فاذا اخذت الصدقة فقد اندفعت تلك
الاوساخ وكان ذلك الاندفاع جاريا مجرى التطهير فعلى هذا القول يكون قوله تعالى وتزكيهم
بها منقطعا عن قوله تطهرهم ويكون التقدير خذ يا محمد من اموالهم صدقة تطهرهم تلك
الصدقة وتزكيهم انت بها القول الثالث ان تجعل التا في قوله تطهرهم وتزكيهم ضمير المخاطب
ويكون المعنى تطهرهم انت يا محمد باخذها منهم وتزكيهم بواسطة تلك الصدقة القول
الرابع ان معناه تطهرهم من ذنوبهم وتزكيهم يعني ترفع منازلهم من منازل المنافقين الى منازل
الابرار المخلصين وقيل معنى وتزكيهم اي تنمي اموالهم ببركة اخذها منهم الحكم الخامس قوله
تعالى **وصل عليهم** يعني ادع لهم واستغفر لهم لان اصل الصلاة في اللغة الدعا قال
الشافعي السنة للامام اذا اخذ الصدقة ان يدعو للمتصدق فيقول اجرك الله فيما اعطيت
وبارك لك فيما ابقيت وقال بعضهم يجب على الامام ان يدعو للمتصدق وقال بعضهم
يستحب ذلك وقيل يجب في صدقة الفرض ويستحب في صدقة التطوع وقيل يجب على
الامام ويستحب للفقير ان يدعو للمعطي وقال بعضهم يستحب ان يقول اللهم صل على فلان ويدل

عليه

عليه ما روى عن عبد الله بن ابي اوفى وكان من اصحاب الشجرة قال كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا
اتاه قوم بصدقة قال اللهم صل عليهم فاتاه ابي بصدقته فقال اللهم صل على ال ابي اوفى
اخرجاه في الصحيحين وقوله تعالى **ان صلاتك** وقرى ان صلواتك على الجمع **سكن لهم** يعني ان
دعاك رحمة لهم وقال ابن عباس طمانينة وسكن لهم وقيل ان الله قد قبل منهم وقال ابو عبيدة
تثبيت لقلوبهم وقيل ان السكن ما سكنت اليه والمعنى ان صلواتك توجب سكون نفوسهم
اليها وان الله قد قبل توبتهم او قبل زكاتهم **والله سميع** يعني لاقوالهم او لدعايك لهم **عليم**
يعني بنياتهم **الم يعلموا ان الله هو يقبل التوبة عن عباده** هذه صيغة استفهام الا ان المقصود
منه التقرير فبشر الله عز وجل هولا التايبين بقبول توبتهم وصدقاتهم ومعنى الاية الم يعلم هولا
الذين تابوا ان الله يقبل التوبة الصادقة والصدقة الخالصة وقيل ان المراد بهذه الاية غير
التايبين ترغيبا لهم في التوبة وبذل الصدقات وذلك انه لما نزلت توبة هولا التايبين
قال الذين لم يتوبوا من المتخلفين هولا كانوا معنا بالامس لا يكلمون ولا يجالسون فما لهم اليوم
فانزل الله هذه الاية ترغيبا لهم في التوبة وقوله تعالى عن عباده قيل لا فرق بين قوله عن عباده
او من عباده اذ لا فرق بين قولك اخذت هذا العلم عنك او منك وقيل بينهما فرق ولعل عن
في هذا الموضع ابلغ لان فيه تبشيرا بقبول التوبة مع تسهيل سبيلها وقوله تعالى **وياخذ الصدقات**
يعني يقبلها ويثيب عليها وانما ذكر لفظ الاخذ ترغيبا في بذل الصدقة واعطايها الفقرا وقيل
معنى اخذ الله الصدقات تضمن الجزا عليها ولما كان هو المجازي عليها والمثيب بها اسند الاخذ
الى نفسه وان كان الفقير والسايل هو الاخذ لها وفي هذا تعظيم امر الصدقات وتشريفها وان الله
يقبلها من عبده المتصدق **ق** عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما تصدق احد
بصدقة من كسب طيب ولا يقبل الله الا الطيب الا اخذها الرحمن بيمينه وان كانت تمرة
فتربو في كف الرحمن حتى تكون اعظم من الجبل كما يربي احدكم فلوه او فصيله لفظ مسلم وفي لفظ
البخاري من تصدق بعدل تمرة من كسب طيب ولا يصعد الى الله وفي رواية ولا يقبل الله الا
الطيب فان الله يقبلها بيمينه ثم يربيها لصاحبها كما يربي احدكم فلوه حتى تكون مثل الجبل
واخرجه الترمذي ولفظه ان الله يقبل الصدقة وياخذها بيمينه فيربيها لاحدكم كما يربي
احدكم فلوه حتى اللقمة لتصير مثل احد وتصديق ذلك في كتاب الله الم يعلموا ان الله هو
يقبل التوبة عن عباده وياخذ الصدقات ويمحق الله الربا ويربي الصدقات وقوله من كسب
طيب اي حلال وذكر اليمين والكف في الحديث كناية عن قبول الصدقة وان الله تعالى قد قبلها
من المعطي لان من عادة الفقير او السايل اخذ الصدقة بكفه اليمين فكان المتصدق قد وضع
صدقته في القبول والاثابة وقوله فتربو اي تكبر يقال ربى الشي يربو اذا زاد وكبر والفلو بضم
الفا وفتحها لغتان المهر اول ما يولد والفصيل ولد الناقة الى ان ينفصل عنها وقوله تعالى **وان الله**

هو التواب الرحيم تاكيد لقوله تعالى الم يعلموا ان الله هو يقبل التوبة عن عباده وتبشير لهم
بان الله هو التواب الرحيم قوله عز وجل وقل اعملوا اي قل يا محمد لهولاء التائبين اعملوا يعني لله
بطاعته وادوا فرايضه فسيرى الله عملكم فيه ترغيب عظيم للمطيعين ووعيد عظيم
للمذنبين فكانه قال اجتهدوا في العمل في المستقبل فان الله يرى اعمالكم ويجازيكم عليها ورسوله
والمومنون يعني ويرى رسول الله والمومنون اعمالكم ايضا اما روية الرسول صلى الله عليه وسلم
باطلاع الله اياه على اعمالهم واما روية المومنين فبما يقذف الله عز وجل في قلوبهم من محبة
الصالحين وبغض المفسدين وستردون الى عالم الغيب والشهادة يعني وسترجعون يوم القيامة
الى من يعلم سركم وعلانيتكم ولا يخفى عليه شيء من بواطنكم وظواهركم فينبئكم اي فيخبركم بما كنتم
تعملون يعني في الدنيا من خير او شر فيجازيكم على اعمالكم قوله تعالى واخرون مرجون اي موخرون
والارجاء التاخير لامر الله يعني لحكم الله فيهم قال بعضهم ان الله تعالى قسم المتخلفين على ثلاثة
اقسام اولهم المنافقون وهم الذين مردوا على النفاق واستمروا عليه والقسم الثاني التائبون
وهم الذين سارعوا الى التوبة بعد ما اعترفوا بذنوبهم وهم ابو لبابة واصحابه فقبل الله توبتهم
والقسم الثالث موقوفون وموخرون الى ان يحكم الله تعالى فيهم وهم المراد بقوله واخرون مرجون
لامر الله والفرق بين القسم الثاني والقسم الثالث ان القسم الثاني سارعوا الى التوبة فقبل الله
توبتهم والقسم الثالث توقفوا ولم يسارعوا الى التوبة فاخر الله امرهم نزلت هذه الاية في
الثلاثة الذين تخلفوا وهم كعب بن مالك وهلال بن امية ومرارة بن الربيع وستاتي قصتهم عند
قوله تعالى وعلى الثلاثة الذين خلفوا وذلك انهم لم يبالغوا في التوبة والاعتذار كما فعل ابو لبابة
واصحابه فوقفهم رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسين ليلة ونهى الناس عن كلامهم وكانوا من اهل بدر
فجعل بعض الناس يقول هلكوا وبعضهم يقول عسى الله ان يتوب عليهم ويغفر لهم وهو قوله تعالى
اما يعذبهم واما يتوب عليهم يعني ان امرهم الى الله ان شاء عذبهم بسبب تخلفهم وان شاء غفر لهم وعفا
عنهم والله عليم يعني بما في قلوبهم حكيم يعني بما يقضي عليهم قوله عز وجل والذين اتخذوا مسجدا
ضرارا وكفرا نزلت في جماعة من المنافقين بنوا مسجدا يضارون به مسجد قبا وكانوا اثني عشر
رجلا من اهل النفاق وديعة بن ثابت وخذام بن خالد ومن داره اخرج هذا المسجد
وثعلبة بن حاطب وحارثة بن عمرو وابناه مجمع وزيد ومعتب بن قشير وعباد بن حنيف اخو
سهل بن حنيف وابو حبيبة بن الازعر ونبتل بن الحارث وبجاد بن عثمان فخرج بنوا هذا
المسجد ضرارا يعني مضارة للمومنين وكفرا يعني ليكفروا بالله ورسوله وتفريقا بين المومنين
لانهم كانوا جميعا يصلون في مسجد قبا فبنوا مسجد الضرار ليصلي فيه بعضهم فيودي ذلك
الى الاختلاف وافتراق الكلمة وكان يصلي بهم فيه مجمع بن جارية وكان شابا يقرا القران
ولم يدر ما ارادوا ببنائه فلما فرغوا من بنائه اتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يتجهز الى تبوك

فقالوا يا رسول الله انا قد بنينا مسجدا لذي العلة والحاجة والليلة المطيرة والليلة
الشاتية وانا نحب ان تاتينا وتصلي لنا فيه وتدعو بالبركة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اني على جناح سفر ولو قدمنا ان شاء الله اتيناكم فصلينا فيه وقوله تعالى وارصادا لمن حارب
الله ورسوله من قبل يعني بنوا هذا المسجد للضرار والكفر وبنوه ارصادا يعني انتظارا واعدادا
لمن حارب الله ورسوله من قبل يعني من قبل بنا هذا المسجد وهو ابو عامر الراهب والد حنظلة
غسيل الملايكة وكان ابو عامر قد ترهب في الجاهلية ولبس المسوح وتنصر فلما قدم النبي صلى الله
عليه وسلم المدينة قال له ابو عامر ما هذا الدين الذي جيت به قال النبي صلى الله عليه وسلم جيت
بالحنيفية دين ابراهيم قال ابو عامر فانا عليها فقال له النبي صلى الله عليه وسلم انك لست عليها
قال ابو عامر بلى ولكنك ادخلت في الحنيفية ما ليس منها فقال النبي صلى الله عليه وسلم ما فعلت
ولكن جيت بها بيضا نقية فقال ابو عامر امات الله الكاذب منا طريدا وحيدا غريبا فقال النبي
صلى الله عليه وسلم امين وسمى ابا عامر الفاسق فلما كان يوم احد قال ابو عامر الفاسق للنبي صلى
الله عليه وسلم لا اجد قوما يقاتلونك الا قاتلتك معهم فلم يزل كذلك الى يوم حنين فلما انهزمت
هوازن يئس ابو عامر وخرج هاربا الى الشام وارسل الى المنافقين ان استعدوا ما استطعتم
من قوة وسلاح وابنوا لي مسجدا فاني ذاهب الى قيصر ملك الروم فاتي بجند من الروم فاخرج
محمدا واصحابه فبنوا مسجد الضرار الى جنب مسجد قبا فذلك قوله تعالى وارصادا يعني انتظارا
لمن حارب الله ورسوله يعني ابا عامر الفاسق ليصلي فيه اذا رجع من الشام من قبل يعني ان ابا عامر
الفاسق حارب الله ورسوله من قبل بنا مسجد الضرار وليحلفن يعني الذين بنوا ان اردنا يعني
ما اردنا ببنائه الا الحسنى يعني الا الفعلة الحسنى وهي الرفق بالمسلمين والتوسعة على اهل
الضعف والعجز عن الصلاة في مسجد قبا او مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم والله يشهد انهم
لكاذبون يعني في قيلهم وحلفهم روي ان النبي صلى الله عليه وسلم لما انصرف من تبوك راجعا نزل
بذي اوان وهو موضع قريب من المدينة فاتاه المنافقون وسالوه ان ياتي مسجدهم فدعا
بقميصه ليلبسه وياتيهم فانزل الله هذه الاية واخبره خبر مسجد الضرار وما هموا به فدعا
رسول الله صلى الله عليه وسلم مالك بن الدخشم ومعن بن عدي وعامر بن السكن ووحشيا فقال لهم
انطلقوا الى هذا المسجد الظالم اهله فاهدموه واحرقوه فخرجوا مسرعين حتى اتوا بني سالم
بن عوف وهم رهط مالك بن الدخشم فقال مالك انظروني حتى اخرج اليكم بنار فدخل اهله
فاخذ من سعف النخل فاشعله ثم خرجوا يشتدون حتى دخلوا المسجد وفيه اهله فاحرقوه
وهدموه وتفرق عنه اهله وامر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يتخذ ذلك الموضع كناسة يلقى
فيه الجيف والنتن والقمامة ومات ابو عامر الراهب بالشام غريبا وحيدا وروي ان بني
عمرو بن عوف الذين بنوا مسجد قبا اتوا عمر بن الخطاب في خلافته فسالوه ان ياذن لمجمع بن جارية

ان يؤمهم في مسجدهم فقال لا ونعمة عين اليس هو امام مسجد الضرار قال مجمع يا امير
المومنين لا تعجل علي فوالله لقد صليت فيه واني لا اعلم ما اضمروا عليه ولو علمت ما صليت
معهم فيه وكنت غلاما قاريا للقران وكانوا شيوخا لا يقرون فصليت بهم ولا احسب الا
انهم يتقربون الى الله ولم اعلم ما في انفسهم فعذره عمر وصدقه وامره بالصلاة في مسجد
قبا قال عطا لما فتح الله على عمر بن الخطاب الامصار امر المسلمين ان يبنوا المساجد وامرهم
الا يبنوا في موضع واحد مسجدين يضار احدهما الاخر وقوله تعالى لا تقم فيه ابدا قال ابن
عباس معناه لا تصل فيه ابدا منع الله عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم ان يصلي في مسجد
الضرار لمسجد اسس على التقوى اللام فيه لام الابتدا وقيل لام القسم تقديره والله لمسجد
اسس يعني بني اصله ووضع اساسه على تقوى الله عز وجل من اول يوم يعني من اول
يوم بني ووضع اساسه كان ذلك البنا على التقوى احق ان تقوم فيه يعني مصليا واختلفوا
في المسجد الذي اسس على التقوى فقال عمر وزيد بن ثابت وابو سعيد الخدري هو مسجد رسول
الله صلى الله عليه وسلم يعني مسجد المدينة ويدل عليه ما روي عن ابي سعيد الخدري قال
دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيت بعض نسايه فقلت يا رسول الله اي
المسجدين اسس على التقوى قال فاخذ كفا من حصبا فضرب به الارض ثم قال هو مسجدكم
هذا المسجد المدينة اخرجه مسلم ق عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة ومنبري على حوضي ق عن عبد الله بن زيد قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة عن ام سلمة
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قوايم منبري رواتب في الجنة اخرجه النساي قوله رواتب
يعني ثوابت يقال رتب بالمكان اذا اقام فيه وثبت وفي رواية عن ابن عباس وعروة بن
الزبير وسعيد بن جبير وقتادة انه مسجد قبا ويدل عليه سياق الاية فيه رجال يحبون
ان يتطهروا ويدل على انهم اهل قبا ما روي عن ابي هريرة قال نزلت هذه الاية في اهل قبا
فيه رجال يحبون ان يتطهروا والله يحب المطهرين قال كانوا يستنجون بالما فنزلت هذه الاية
فيهم اخرجه ابو داود والترمذي وقال حديث غريب هكذا ذكره صاحب جامع الاصول
من رواية ابي داود والترمذي موقوفا على ابي هريرة رواه البغوي من طريق ابي داود مرفوعا
عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال نزلت هذه الاية في اهل قبا فيه رجال يحبون
ان يتطهروا قال كانوا يستنجون بالما فنزلت فيهم هذه الاية ومما يدل على فضل مسجد
قبا ما روي عن ابن عمر قال كان النبي صلى الله عليه وسلم يزور قبا او ياتي قبا راكبا وماشيا
زاد في رواية فيصلي فيه ركعتين وفي رواية ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان ياتي
مسجد قبا كل سبت راكبا وماشيا وكان ابن عمر يفعله اخرج الرواية الاولى والزيادة

البخاري

البخاري ومسلم واخرج الرواية الثانية البخاري عن سهل بن حنيف قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم من خرج حتى ياتي هذا المسجد مسجد قبا فيصلي فيه كان له كعدل عمرة
اخرجه النساي عن اسيد بن ظهير ان النبي صلى الله عليه وسلم قال الصلاة في مسجد قبا
كعمرة اخرجه الترمذي وقوله تعالى فيه رجال يحبون ان يتطهروا يعني من الاحداث والجنابات
وساير النجاسات وهذا قول اكثر المفسرين قال عطا كانوا يستنجون بالما ولا ينامون بالليل
على الجنابة عن ابي هريرة قال نزلت هذه الاية في اهل قبا فيه رجال يحبون ان يتطهروا والله
يحب المطهرين قال كانوا يستنجون بالما فنزلت هذه الاية فيهم اخرجه ابو داود والترمذي
وقال حديث غريب هكذا ذكره صاحب جامع الاصول موقوفا على ابي هريرة ورفعه البغوي
وغيره فقالوا عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم وذكره وروى الطبري بسنده عن عويم
ابن ساعدة وكان من اهل بدر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاهل قبا اني اسمع الله عز وجل قد
احسن عليكم الثنا في الطهور فما هذا الطهور قالوا يا رسول الله ما نعلم شيا الا ان جيرانا لنا
من اليهود راينا هم يغسلون ادبارهم من الغايط فغسلنا كما غسلوا وعن قتادة قال ذكر لنا ان نبي
الله صلى الله عليه وسلم قال لاهل قبا ان الله قد احسن عليكم الثنا في الطهور فما تصنعون قالوا
انا نغسل عنا اثر الغايط والبول وقال الامام فخر الدين الرازي رحمه الله المراد من هذه الطهارة الطهارة
من الذنوب والمعاصي وهذا القول متعين لوجوه الاول ان التطهر من الذنوب هو الموثر في القرب
من الله عز وجل واستحقاق ثوابه ومدحه الوجه الثاني ان الله تعالى وصف اصحاب مسجد الضرار
بمضارة المسلمين والتفريق بينهم والكفر بالله وكون هولاء يعني اهل قبا بالضد من صفاتهم وما
ذاك الا لكونهم مبرين من الكفر والمعاصي وهي الطهارة الباطنة الوجه الثالث ان طهارة
الظاهر انما يحصل لها اثر عند الله اذا حصلت الطهارة الباطنة من الكفر والمعاصي وقيل
يحتمل انه محمول على كلا الامرين يعني طهارة الباطن من الكفر والنفاق والمعاصي وطهارة الظاهر
من الاحداث والنجاسات بالما والله يحب المطهرين فيه مدح لهم وثنا عليهم والرضا عنهم
بما اختاروه لانفسهم من المداومة على محبة الطهارة قوله تعالى افمن اسس بنيانه على تقوى من
الله ورضوان يعني طلب ببنيانه المسجد الذي بناه تقوى الله ورضاه والمعنى ان الباني لما بنى ذلك
البنا كان قصده تقوى الله وطلب رضاه وثوابه خير ام من اسس بنيانه على شفا جرف هار الشفا
هو الشفير وشفا كل شي حرفه ومنه يقال اشفى على كذا اذا دنا منه وقرب ان يقع فيه والجرف المكان
الذي اكل الما تحته فهو الى السقوط قريب قال ابو عبيد الجرف هو الهوة وما يجرفه السيل من الاودية
فينحفر بالما فيبقى واهيا هار اي هاير وهو الساقط فهو من هار يهور فهو هاير وقيل هو من هار
يهار اذا انهدم وسقط وهو الذي تداعى بعضه في اثر بعض كما ينهار الرمل والشي الرخو فانهار به
يعني سقط بالباني في نار جهنم والله لا يهدي القوم الظالمين والمعنى ان بنا هذا المسجد الضرار كالبنا

على شفا جرف هار فانهار به في نار جهنم يتهور باهله وهذا مثل ضربه الله للمسجدين مسجد الضرار ومسجد التقوى مسجد قبا
او مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم فمعنى المثل افمن اسس بنيانه دينه على قاعدة قوية محكمة وهي الحق الذي
هو تقوى الله ورضوانه خير ام من اسس دينه على اضعف القواعد واقلها بقا وثباتا وهو الباطل
والنفاق الذي مثله مثل بنا على غير اساس ثابت وهو شفا جرف هار واذا كان كذلك كان اسرع
الى السقوط في نار جهنم ولان الباني الاول قصد ببنايه تقوى الله ورضوانه فكان بناوه اشرف
البنا والباني الثاني قصد ببنايه الكفر والنفاق واضرار المسلمين فكان بناوه اخس البنا وكان عاقبته
الى نار جهنم قال ابن عباس صيرهم نفاقهم الى النار وقال قتادة والله ما تناهى بناوهم حتى وقع في
النار ولقد ذكر لنا انه حفرت بقعة منه فروي الدخان يخرج منه وقال جابر بن عبد الله رايت الدخان
يخرج من مسجد الضرار لا يزال بنيانهم الذي بنوا ريبة يعني شكا ونفاقا في قلوبهم والمعنى ان ذلك البنيان
صار سببا لحصول الريبة في قلوبهم لان المنافقين فرحوا ببنا مسجدهم فلما امر رسول الله صلى الله
عليه وسلم بتخريبه ثقل ذلك عليهم وازدادوا غما وحزنا وبغضا لرسول الله صلى الله عليه وسلم
فكان ذلك سبب الريبة في قلوبهم وقيل انهم كانوا يحسبون انهم محسنين في بنايه كما حبب العجل الى
بني اسرايل فلما امر رسول الله صلى الله عليه وسلم بتخريبه بقوا شاكين مرتابين لاي سبب امر بتخريبه
وقال السدي لا يزال هدم بنيانهم ريبة اي حرارة وغيظا في قلوبهم الا ان تقطع قلوبهم اي تجعل
قلوبهم قطعا وتفرق اجزا اما بالسيف واما الموت والمعنى ان هذه الريبة باقية في قلوبهم الى ان
يموتوا عليها والله عليم يعني باحوالهم واحوال جميع عباده حكيم يعني فيما حكم به عليهم قوله عز وجل
ان الله اشترى من المومنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة الاية قال محمد بن كعب القرظي لما بايعت الانصار
رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة العقبة وكانوا سبعين رجلا قال عبد الله بن رواحة اشترط
لربك ولنفسك ما شيت قال اشترط لربي ان تعبدوه ولا تشركوا به شيا واشترط لنفسي ان تمنعوني
مما تمنعوا منه انفسكم واموالكم قالوا اذا فعلنا ذلك فما لنا قال الجنة قالوا ربح البيع لا نقيل
ولا نستقيل فنزلت ان الله اشترى من المومنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة قال ابن عباس
بالجنة قال اهل المعاني لا يجوز ان يشتري الله شيا في الحقيقة لان المشتري انما يشتري ما لا يملك
والاشيا كلها ملك لله عز وجل ولهذا قال الحسن انفسنا هو خلقها واموالنا هو رزقنا اياها
لكن جرى هذا مجرى التلطف في الدعا الى الطاعة والجهاد وذلك لان المومن اذا قاتل في سبيل الله
حتى يقتل او انفق ماله في سبيل الله عوضه الله الجنة في الاخرة جزا لما فعل في الدنيا فجعل ذلك
استبدالا واشترا فهذا معنى اشترى من المومنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة والمراد بالاموال
انفاقها في سبيل الله وفي جميع وجوه البر والطاعات يقاتلون في سبيل الله هذا تفسير
لتلك المبايعة وقيل فيه معنى الامر اي قاتلوا في سبيل الله فيقتلون ويقتلون يعني فيقتلون اعدا الله
ويقتلون في طاعة الله وسبيله وعدا عليه حقا يعني ذلك الوعد بان لهم الجنة وعدا على الله حقا في التوراة

والانجيل

والانجيل والقران يعني ان هذا الوعد الذي وعده الله للمجاهدين في سبيله قد اثبته في التوراة
والانجيل كما اثبته في القران وفيه دليل على ان الامر بالجهاد موجود في جميع الشرايع ومكتوب على
جميع اهل الملل ومن اوفى بعهده من الله يعني لا احد اوفى بالعهد من الله فاستبشروا ببيعكم الذي
بايعتم به يعني فاستبشروا ايها المومنون بهذا البيع الذي بايعتم الله به وذلك يعني هذا البيع
هو الفوز العظيم لانه رابح في الاخرة قال عمر بن الخطاب ان الله بايعك وجعل الصفقتين لك وقال
الحسن اسمعوا الى بيعة ربيحة بايع الله بها كل مومن وعنه قال ان الله تعالى اعطاك الدنيا فاشتر
الجنة ببعضها وقال قتادة ثامنهم فاغلى لهم قوله تعالى التايبون قال الفرا استونف لفظ التايبين
بالرفع لتمام الاية الاولى وانقطاع الكلام وقال الزجاج التايبون رفع بالابتدا وخبره مضمر
المعنى التايبون الى اخره لهم الجنة ايضا من لم يجاهد غير معاند ولا قاصد لترك الجهاد فله الجنة
ايضا وهذا وجه حسن كانه وعد بالجنة جميع المومنين كما قال وكلا وعد الله الحسنى ومن
جعله تابعا للاول كان الوعد بالجنة خاصا للمجاهدين الموصوفين بهذه الصفات فيكون
رفع التايبون على المدح يعني المومنين المذكورين في قوله ان الله اشترى واما التفسير فقوله
تعالى التايبون يعني الذين تابوا من الشرك وبروا من النفاق وقيل التايبون من كل معصية
فيدخل فيه التوبة من الكفر والنفاق وجميع المعاصي لان لفظ التايبين لفظ عموم فيتناول
الكل واعلم ان التوبة المقبولة انما تحصل بحصول اربعة امور اولها احتراق القلب عند صدور
المعصية وثانيها الندم على فعلها فيما مضى وثالثها العزم على تركها في المستقبل ورابعها ان
يكون الحامل له على التوبة طلب رضوان الله وعبوديته فان كان غرضه بالتوبة تحصيل مدح
الناس له ودفع مذمتهم فليس بمخلص في توبته العابدون يعني المطيعين لله الذين يرون عبادة الله
واجبة عليهم وقيل هم الذين اتوا بالعبادة على اقصى وجوه التعظيم لله تعالى وهي ان تكون
العبادة خالصة لله تعالى الحامدون يعني الذين يحمدون الله على كل حال في السرا والضرا روى البغوي
بغير سند عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اول من يدعى الى الجنة يوم القيامة الذين
يحمدون الله في السرا والضرا وقيل هم الذين يحمدون الله ويقومون بشكره على جميع نعمه دنيا واخرى
السايحون قال ابن مسعود وابن عباس هم الصايمون قال سفيان بن عيينة انما سمي الصايم سايحا
لتركه اللذات كلها من المطعم والمشرب والنكاح وقال الازهري قيل للصايم سايح لان الذي
يسيح في الارض متعبدا لا زاد معه فكان ممسكا عن الاكل وكذلك الصايم ممسك عن الاكل
وقيل اصل السياحة استمرار الذهاب في الارض كالما الذي يسيح والصايم مستمر على فعل
الطاعة وترك المنهي وقال عطا السايحون هم الغزاة المجاهدون في سبيل الله ويدل عليه ما روي
عن عثمان بن مظعون قال قلت يا رسول الله ايذن لنا في السياحة فقال ان سياحة امتي الجهاد
في سبيل الله ذكره البغوي بغير سند وقال عكرمة السايحون هم طلبة العلم لانهم ينتقلون من

بلدا الى بلد في طلبه وقيل ان السياحة لها اثر عظيم في تهذيب النفس وتحسين اخلاقها
لان السايح لا بد ان يلقى انواعا من الضر والبوس ولا بد له من الصبر عليها ويلقى العلما
والصالحين في سياحته فيستفيد منهم ويعود عليه من بركتهم ويرى العجايب واثار
قدرة الله تعالى فيتفكر في ذلك فيدله على وحدانية الله تعالى وعظيم قدرته الراكعون الساجدون
يعني المصلين وانما عبر عن الصلاة بالركوع والسجود لانهما معظم اركانها وبهما يتميز المصلي
عن غير المصلي بخلاف حالة القيام والقعود لانها حالة المصلي وغيره الامرون بالمعروف
يعني يامرون الناس بالايمان بالله وحده والناهون عن المنكر يعني الشرك بالله وقيل انهم يامرون
الناس بالحق في اديانهم واتباع الرشد والهدى والعمل الصالح وينهونهم عن كل فعل وقول
نهى الله عباده عنه او نهى عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الحسن اما انهم لم يامروا الناس
بالمعروف حتى كانوا من اهله ولم ينهوا عن المنكر حتى انتهوا عنه واما دخول الواو في والناهون
عن المنكر فان العرب تعطف بالواو على السبعة ومنه قوله تعالى وثامنهم كلبهم وقوله
في صفة الجنة وفتحت ابوابها وقيل فيه وجه اخر وهو ان الموصوفين بهذه الصفات الست
هم الامرون بالمعروف والناهون عن المنكر فعلى هذا يكون قوله التايبون الى قوله الساجدون
مبتدا خبره هم الامرون بالمعروف والناهون عن المنكر والحافظون لحدود الله قال ابن عباس
يعني القايمين بطاعة الله وقال الحسن الحافظون لفرايض الله وهم اهل الوفا ببيعة الله وقيل
هم المودون فرايض الله المنتهون الى امره ونهيه فلا يضيعون شيا من العمل الذي الزمهم به ولا
يرتكبون منهيا نهاهم عنه وبشر المومنين يعني وبشر يا محمد المصدقين بما وعدهم الله به اذا وفوا
لله تعالى بعهده فانه يوفي لهم بما وعدهم من ادخال الجنة وقيل وبشر من فعل هذه الافعال
التسع وهي قوله التايبون الى اخر الاية بان له الجنة وان لم يغز قوله عز وجل ما كان للنبي والذين
امنوا ان يستغفروا للمشركين ولو كانوا اولي قربى الاية اختلف اهل التفسير في سبب نزول هذه
الاية فقال قوم في شان ابي طالب عم النبي صلى الله عليه وسلم اراد ان يستغفر له بعد موته فنهاه
الله عن ذلك ويدل على ذلك ما روي عن سعيد بن المسيب عن ابيه المسيب بن حزن قال لما حضرت
ابا طالب الوفاة جاءه رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجد عنده ابا جهل وعبد الله بن ابي امية
ابن المغيرة فقال اي عم قل لا اله الا الله كلمة احاج لك بها عند الله فقال ابو جهل وعبد الله بن
ابي امية اترغب عن ملة عبد المطلب فلم يزل رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرضها عليه ويعودان
لتلك المقالة حتى قال ابو طالب اخر ما كلمهم انا على ملة عبد المطلب وابى ان يقول لا اله الا الله
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والله لاستغفرن لك ما لم انه عنك فانزل الله ما كان للنبي
والذين امنوا ان يستغفروا للمشركين ولو كانوا اولي قربى وانزل الله في ابي طالب انك لا تهدي من
احببت ولكن الله يهدي من يشا اخرجاه في الصحيحين فان قلت قد استبعد بعض العلما

نزول هذه الاية في شان ابي طالب وذلك ان وفاته كانت بمكة اول الاسلام ونزول هذه الاية
بالمدينة وهي من اخر القران نزولا قلت الذي نزل في ابي طالب قوله تعالى انك لا تهدي من احببت
فقال النبي صلى الله عليه وسلم لاستغفرن لك ما لم انه عنك كما في الحديث فيحتمل انه صلى الله
عليه وسلم كان يستغفر له في بعض الاوقات الى ان نزلت هذه الاية ومنع من الاستغفار والله
اعلم بمراده واسرار كتابه م عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمه عند الموت
قل لا اله الا الله اشهد لك بها يوم القيامة فابى فانزل الله انك لا تهدي من احببت ولكن الله
يهدي من يشا الاية وفي رواية قال لولا تعيرني قريش يقولون انما حمله على ذلك الجزع لاقررت
بها عينك فانزل الله الاية ق عن ابي سعيد الخدري انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر
عنده عمه ابو طالب فقال لعله ينفعه شفاعتي يوم القيامة فيجعل في ضحضاح من
نار يبلغ كعبيه تغلي منه ام دماغه وفي رواية يغلي منه دماغه من حرارة نعليه ق عن العباس
ابن عبد المطلب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قلت يا رسول الله ما اغنيت عن عمك فانه
كان يحوطك ويغضب لك قال هو في ضحضاح من نار ولولا انا لكان في الدرك الاسفل من النار
وفي رواية قال قلت يا رسول الله ان عمك ابا طالب كان يحوطك وينصرك فهل ينفعه ذلك قال
نعم وجدته في غمرات من النار فاخرجته الى ضحضاح وقال ابو هريرة وبريدة لما قدم النبي
صلى الله عليه وسلم مكة اتى قبر امه امنة فوقف حتى حميت الشمس رجا ان يوذن له فيستغفر لها
فنزلت ما كان للنبي والذين امنوا ان يستغفروا للمشركين الاية وروى الطبري بسنده عن بريدة
ان النبي صلى الله عليه وسلم لما قدم مكة اتى رسم قال واكثر ظني انه قال قبر امه فجلس اليه فجعل يخاطب
ثم قام مستعبرا فقلنا يا رسول الله انا راينا ما صنعت قال اني استاذنت ربي في زيارة قبر
امي فاذن لي واستاذنته في الاستغفار لها فلم يوذن لي فما رؤي باكيا اكثر من يوميذ وحكى
ابن الجوزي عن بريدة قال النبي صلى الله عليه وسلم مر بقبر امه فتوضا وصلى ركعتين ثم بكى فبكى
الناس لبكايه ثم انصرف اليهم فقالوا ما ابكاك قال مررت بقبر امي فصليت ركعتين ثم استاذنت
ربي ان استغفر لها فزجرت زجرا فابكاني ثم دعا براحلته فركبها فما سار الا هنيهة حتى قامت الناقة
لثقل الوحي فنزلت ما كان للنبي والذين امنوا ان يستغفروا للمشركين ولو كانوا اولي قربى الاية م عن
ابي هريرة قال زار النبي صلى الله عليه وسلم قبر امه فبكى وابكى من حوله فقال استاذنت ربي في ان
استغفر لها فلم يوذن لي واستاذنته في ان ازور قبرها فاذن لي فزوروا القبور فانها تذكركم
الموت وقال قتادة قال النبي صلى الله عليه وسلم لاستغفرن لابي كما استغفر ابراهيم لابيه فانزل الله
هذه الاية وروى الطبري بسنده عنه قال ذكر لنا ان رجالا من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
قالوا يا نبي الله ان من ابايانا من كان يحسن الجوار ويصل الارحام ويفك العاني ويوفي بالذمم افلا
نستغفر لهم فقال النبي صلى الله عليه وسلم بلى والله لاستغفرن لابي كما استغفر ابراهيم لابيه فانزل

الله عز وجل ما كان للنبي والذين امنوا ان يستغفروا للمشركين الاية ثم عذر الله ابراهيم فقال
وما كان استغفار ابراهيم لابيه الا عن موعدة وعدها اياه الاية عن علي بن ابي طالب
قال سمعت رجلا يستغفر لابويه وهما مشركان فقلت له انستغفر لابويك وهما مشركان
فقال استغفر ابراهيم لابيه وهو مشرك فذكرت ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فنزلت ما كان
للنبي والذين امنوا ان يستغفروا للمشركين الاية اخرجه النسائي والترمذي وقال حديث
حسن واخرجه الطبري وقال فيه فانزل الله عز وجل وما كان استغفار ابراهيم لابيه
الا عن موعدة وعدها اياه فلما تبين له انه عدو لله تبرا منه الاية ومعنى الاية ما كان ينبغي
للنبي والذين امنوا ان يستغفروا للمشركين وليس لهم ذلك لان الله تعالى لا يغفر للمشركين فلا يجوز
ان يطلب منه ما لا يفعله ففيه النهي عن الاستغفار للمشركين ولو كانوا اولي قربى لان النهي
عن الاستغفار للمشركين عام فيستوي فيه القريب والبعيد ثم ذكر الله عز وجل سبب المنع
فقال تعالى **من بعد ما تبين لهم انهم اصحاب الجحيم** يعني تبين لهم انهم ماتوا على الشرك فهم من اصحاب
الجحيم وايضا فقد قال تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به والله لا يخلف وعده اما قوله تعالى **وما
كان استغفار ابراهيم لابيه الا عن موعدة وعدها اياه** فمعناه وما كان طلب ابراهيم لابيه المغفرة
من الله الا من اجل موعدة وعدها ابراهيم اباه ان يستغفر له رجا اسلامه قال علي بن ابي طالب رضي
الله عنه لما انزل الله خبرا عن ابراهيم انه قال سلام عليك ساستغفر لك ربي سمعت رجلا يستغفر
لوالديه وهما مشركان فقلت تستغفر لابويك وهما مشركان فقال اولم يستغفر ابراهيم لابيه
فاتيت النبي صلى الله عليه وسلم فذكرت ذلك له فانزل الله عز وجل قد كانت لكم اسوة حسنة في ابراهيم
الى قوله الا قول ابراهيم لابيه لاستغفرن لك يعني ان ابراهيم ليس بقدوة في هذا الاستغفار
لانه انما استغفر لابيه وهو مشرك لمكان الوعد الذي وعده رجا ان يسلم فلما تبين له انه عدو لله
تبرا منه فعلى هذا الها في اياه راجعة الى ابراهيم والوعد كان من ابيه وذلك ان ابا ابراهيم وعد
ابراهيم ان يسلم فقال ابراهيم ساستغفر لك ربي يعني اذا اسلمت وقيل ان الها راجعة الى الاب
وذلك ان ابراهيم وعد اباه ان يستغفر له رجا اسلامه ويوكد هذا قوله ساستغفر لك ربي ويدل
عليه ايضا قراة الحسن وعدها اباه بالبا الموحدة **فلما تبين له انه عدو لله تبرا منه** يعني فلما ظهر
لابراهيم وبان له ان اباه عدو لله يعني بموته على الكفر تبرا منه عند ذلك وقيل يحتمل ان الله
اوحى الى ابراهيم ان اباه عدو له تبرا منه وقيل انما يتبين له في الاخرة انه عدو لله تبرا منه ويدل على ذلك
ما روي عن ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال يلقى ابراهيم عليه السلام اباه ازر يوم القيمة
وعلى وجه ازر قترة وغبرة فيقول له ابراهيم الم اقل لك لا تعصني فيقول ابوه فاليوم لا اعصيك
فيقول ابراهيم يا رب انك وعدتني ان لا تخزني يوم يبعثون فاي خزي من ابي الابعد فيقول الله تعالى
اني حرمت الجنة على الكافرين ثم يقال يا ابراهيم ما تحت رجليك فينظر فاذا هو بذيخ متلطخ فيوخذ

بقوايمه فيلقى في النار اخرجه البخاري زاد غيره يعلوها سواد والذيخ بذال معجمة ثم يا
مثناة من تحت ثم خا معجمة وهو ذكر الضباع والانثى ذيخة وقوله تعالى **ان ابراهيم لاواه
حليم** جا في الحديث ان الاواه الخاشع المتضرع وقال ابن مسعود الاواه الكثير الدعا وقال ابن عباس
رضي الله عنهما هو المومن التواب وقال الحسن وقتادة الاواه الرحيم بعباد الله وقال مجاهد
الاواه الموقن وقال كعب الاحبار هو الذي يكثر التاوه وكان ابراهيم صلى الله عليه وسلم يكثر ان يقول
اوه من النار قبل ان لا ينفع اوه وقال عقبة بن عامر الاواه الكثير الذكر لله عز وجل وقال سعيد بن جبير
هو المسبح وعنه انه المعلم للخير وقال عطا هو الراجع عما يكره الله الخايف من النار وقال ابو عبيدة
هو المتاوه شفقا وفرقا المتضرع يقينا ولزوما للطاعة قال الزجاج انتظم في قول ابي عبيدة
جميع ما قيل في الاواه واصله من التاوه وهو ان يسمع للصدر صوت يتنفس الصعدا والفعل منه
اواه وهو قول الرجل عند شدة خوفه وحزنه اوه والسبب فيه ان عند الحزن تحمى الروح داخل
القلب ويشتد حرها فالانسان يخرج ذلك النفس المحترق في القلب ليخفف بعض ما به من
الحزن والشدة واما الحليم فمعناه ظاهر وهو الصفوح عمن سبه او اتاه بمكروه ثم يقابله
بالاحسان واللطف كما فعل ابراهيم مع ابيه حين قال له لين لم تنته لارجمنك فاجابه
ابراهيم بقوله سلام عليك ساستغفر لك ربي وقال ابن عباس الحليم السيد وانما وصف الله
عز وجل ابراهيم عليه السلام بهذين الوصفين وهو شدة الرقة والخوف والوجل
والشفقة على عباد الله فبين الله تعالى انه مع هذه الصفات الجميلة تبرا من ابيه لما
ظهر له اصراره على الكفر فاقتدوا انتم به في هذه الحالة ايضا وقوله تعالى **وما كان الله
ليضل قوما بعد اذ هداهم** يعني وما كان الله ليقضي عليكم بالضلال بسبب استغفاركم
لموتاكم المشركين بعد اذ رزقكم الهداية ووفقكم للايمان به وبرسوله وذلك انه لما منع
المومنين من الاستغفار للمشركين وكانوا قد استغفروا لهم قبل المنع خافوا ما صدر منهم
فاعلمهم ان ذلك ليس بضايرهم **حتى يبين لهم ما يتقون** يعني ما ياتون وما يذرون وهو ان يتقدم
اليهم بالنهي عن ذلك الفعل فاما قبل النهي فلا حرج عليهم في فعله وقيل ان جماعة
من المسلمين كانوا قد ماتوا قبل النهي عن الاستغفار للمشركين فلما منعوا من ذلك وقع
في قلوب المومنين خوف على من مات على ذلك فانزل الله عز وجل هذه الاية وبين انه
لا يواخذهم بعمل الا بعد ان يبين انه يجب عليهم ان يتقوه ويتركوه قال مجاهد بيان الله
للمومنين في ترك الاستغفار للمشركين خاصة وبيانه لهم في معصيته وطاعته عامة وقال
الضحاك وما كان الله ليعذب قوما حتى يبين لهم ما ياتون وما يذرون وقال مقاتل والكلبي
هذا في امر المنسوخ وذلك ان قوما قدموا على النبي صلى الله عليه وسلم واسلموا قبل تحريم
الخمر وصرف القبلة الى الكعبة فرجعوا الى قومهم وهم على ذلك ثم حرمت الخمر وصرفت القبلة الى

الكعبة ولا علم لهم بذلك ثم قدموا بعد ذلك الى المدينة فوجدوا الخمر قد حرمت والقبلة
قد صرفت الى الكعبة فقالوا يا رسول الله قد كنت على دين ونحن على غيره فنحن ضلال فانزل الله
وما كان الله ليضل قوما بعد اذ هداهم يعني وما كان الله ليبطل عمل قوم قد عملوا بالمنسوخ
حتى يبين الناسخ ان الله بكل شيء عليم يعني انه تعالى عليم بما خالط نفوسكم من الخوف عند
ما نهاكم عن الاستغفار للمشركين ويعلم ما يبين لكم من اوامره ونواهيه ان الله له ملك
السموات والارض يعني انه تعالى هو القادر على ملك السموات والارض وما فيهما عبيده وملكه
يحكم فيهم ما يشا يحيي ويميت يعني انه يحيي من يشا على الايمان ويميته عليه ويحيي من يشاء
على الكفر ويميته عليه لا اعتراض لاحد في حكمه وعبيده وما لكم من دون الله من ولي ولا
نصير يعني انه تعالى هو وليكم وناصركم ليس لكم غيره يمنعكم من عدوكم وينصركم عليهم قوله
عز وجل لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والانصار الاية تاب الله بمعنى تجاوز وصفح عن النبي
صلى الله عليه وسلم ومعنى توبته عليه باذنه للمنافقين بالتخلف عنه في غزوة تبوك وهو
كقوله عفا الله عنك لم اذنت لهم فهو من باب ترك الافضل لا انه ذنب يوجب عقابا
وقال اصحاب المعاني هو مفتاح كلام للتبرك فهو كقوله تعالى فان لله خمسه ومعنى هذا ان
ذكر النبي بالتوبة عليه تشريف للمهاجرين والانصار في ضم توبتهم الى توبة النبي صلى الله
عليه وسلم كما ضم اسم الرسول الى اسم الله في قوله فان لله خمسه وللرسول فهو تشريف له واما
معنى توبة الله على المهاجرين والانصار فلاجل ما وقع في قلوبهم من الميل الى القعود عن غزوة
تبوك لانها كانت في وقت شديد وربما وقع في قلوب بعضهم انا لا نقدر على قتال الروم وكيف
لنا بالخلاص منهم فتاب الله عليهم وعفا عنهم ما وقع في قلوبهم من هذه الخواطر والوساوس
النفسانية وقيل ان الانسان لا يخلو من زلات وتبعات في مدة عمره اما من باب الصغائر
واما من باب ترك الافضل ثم ان النبي صلى الله عليه وسلم والمومنين معه لما تحملوا مشاق هذا
السفر ومتاعبه وصبروا على تلك الشدايد التي حصلت لهم في ذلك السفر غفر الله لهم وتاب
عليهم لاجل ما تحملوه من الشدايد العظيمة في تلك الغزوة مع النبي صلى الله عليه وسلم وانما
ضم ذكر النبي صلى الله عليه وسلم الى ذكرهم تنبيها على عظم مراتبهم في الدين وانهم قد بلغوا الى
الرتبة التي لاجلها ضم ذكر الرسول صلى الله عليه وسلم الى ذكرهم الذين اتبعوه في تلك الغزوة
من المهاجرين والانصار وقد ذكر بعض العلما ان النبي صلى الله عليه وسلم سار الى تبوك في سبعين
الفا ما بين راكب وماش من المهاجرين والانصار وغيرهم من ساير القبايل في ساعة العسرة يعني
في وقت العسرة ولم يرد ساعة بعينها والعسرة الشدة والضيق وكانت غزوة تبوك تسمى غزوة
العسرة والجيش الذي سار يسمى جيش العسرة لانه كان عليهم عسرة في الظهر والزاد والماء قال
الحسن كان العشرة منهم يخرجون على بعير واحد يعتقبونه بينهم يركبه الرجل ساعة ثم ينزل

فيركب صاحبه كذلك وكان زادهم التمر المسوس والشعير المتغير وكان النفر منهم يخرجون وما معهم
الا التمرات اليسيرة بينهم فاذا بلغ الجوع من احدهم اخذ التمرة فلاكها حتى يجد طعمها ثم يخرجها
من فيه ويعطيها صاحبه ثم يشرب عليها جرعة من الماء كذلك حتى ياتي على اخرهم ولا يبقى من
التمرة الا النواة فمضوا مع النبي صلى الله عليه وسلم على صدقهم ويقينهم رضي الله عنهم وقال عمر
ابن الخطاب خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى تبوك في قيض شديد فنزلنا منزلا اصابنا فيه
عطش شديد حتى ظننا ان رقابنا ستقطع وحتى ان الرجل لينحر بعيره فيعصر فرثه فيشربه ويجعل
ما بقي على كبده وحتى ان الرجل كان يذهب يلتمس الما فلا يرجع حتى يظن ان رقبته ستقطع فقال ابو بكر
الصديق يا رسول الله ان الله عز وجل قد عودك في الدعا خيرا فادع الله قال اتحب ذلك قال نعم
فرفع يديه صلى الله عليه وسلم فلم يرجعهما حتى قالت السما فاظلمت ثم سكبت فملوا ما معهم من الاوعية
ثم ذهبنا ننظر فلم نجدها جاوزت العسكر اسنده الطبري عن عمر كذلك من بعد ما كاد تزيغ قلوب
فريق منهم يعني من بعد ما قارب ان تميل قلوب بعضهم عن الحق من اجل المشقة والشدة التي نالتهم
والزيغ في اللغة الامالة وقيل هم بعضهم ان يفارق الرسول صلى الله عليه وسلم عند تلك الشدة
التي نالتهم لكن صبروا واحتسبوا وندموا على ما خطر في قلوبهم فلاجل ذلك قال الله تعالى ثم
تاب عليهم يعني انه علم اخلاص نيتهم وصدق توبتهم فرزقهم الانابة والتوبة فان قلت قد
ذكر التوبة اولا ثم ذكرها ثانيا فما فايدة التكرار قلت انه تعالى ذكر التوبة اولا قبل ذكر الذنب
تفضلا منه وتطييبا لقلوبهم ثم ذكر الذنب بعد ذلك واردفه بذكر التوبة مرة اخرى تعظيما
لشانهم وليعلموا ان الله تعالى قد قبل توبتهم وعفا عنهم ثم اتبعه بقوله انه بهم رؤوف رحيم تاكيدا
لذلك ومعنى الرؤوف في صفة الله تعالى انه الرفيق بعباده لانه لم يحملهم ما لا يطيقون من العبادات
وبين الرؤوف والرحيم فرق لطيف وان تقاربا في المعنى قال الخطابي قد تكون الرحمة مع الكراهة للمصلحة
ولا تكاد الرافة تكون في الكراهة قوله تعالى وعلى الثلاثة الذين خلفوا هذا معطوف على ما قبله تقديره
لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والانصار وعلى الثلاثة الذين خلفوا وفايدة هذا العطف
بيان قبول توبتهم وهم كعب بن مالك وهلال بن امية ومرارة بن الربيع وكلهم من الانصار وهم المرادون
بقوله تعالى واخرون مرجون لامر الله وفي معنى خلفوا قولان احدهما انهم خلفوا عن توبة ابي لبابة
واصحابه وذلك انهم لم يخضعوا كما خضع ابو لبابة واصحابه فتاب الله على ابي لبابة واصحابه
واخر امر هولاء الثلاثة مدة ثم تاب عليهم بعد ذلك والقول الثاني انهم خلفوا عن غزوة تبوك ولم
يخرجوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها واما حديث توبة كعب بن مالك وصاحبيه فقد روى
عن ابن شهاب الزهري قال اخبرني عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك ان عبد الله بن كعب وكان
قايد كعب من بنيه حين عمي قال وكان اعلم قومه واوعاهم لاحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال سمعت كعب بن مالك يحدث حديثه حين تخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك

قال كعب لم اتخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة غزاها قط الا في غزوة تبوك غير اني
قد تخلفت في غزوة بدر ولم يعاتب احدا تخلف عنها انما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون
يريدون عير قريش حتى جمع الله بينهم وبين عدوهم على غير ميعاد ولقد شهدت مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم ليلة العقبة حين تواثقنا على الاسلام وما احب ان لي بها مشهد بدر وان
كانت بدر اذكر في الناس وكان من خبري حين تخلفت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك
اني لم اكن قط اقوى ولا ايسر مني حين تخلفت عنه في تلك الغزوة والله ما جمعت قبلها راحلتين
قط حتى جمعتهما في تلك الغزوة ولم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد غزوة الا ورى بغيرها
حتى كانت تلك الغزوة فغزاها رسول الله صلى الله عليه وسلم في حر شديد واستقبل سفرا بعيدا
ومفازا واستقبل عدوا كثيرا فجلا للمسلمين امرهم ليتاهبوا اهبة غزوهم واخبرهم بوجههم
الذي يريد والمسلمون مع رسول الله صلى الله عليه وسلم كثير لا يجمعهم كتاب حافظ يريد بذلك الديوان
قال كعب فقل رجل يريد ان يتغيب الا ظن ان ذلك سيخفى ما لم ينزل فيه وحي من الله عز وجل وغزا
رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك الغزوة حين طابت الثمار والظلال وانا اليها اصعر فتجهز رسول
الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون معه فطفقت اغدو لكي اتجهز معهم فارجع ولم اقض شيئا
واقول في نفسي انا قادر على ذلك اذا اردت فلم يزل ذلك يتمادى بي حتى استمر بالناس الجد فاصبح رسول
الله صلى الله عليه وسلم غاديا والمسلمون معه ولم اقض من جهازي شيئا ثم غدوت فرجعت ولم اقض
شيئا فلم يزل ذلك يتمادى حتى اسرعوا وتفارط الغزو فهممت ان ارتحل فادركهم فياليتني فعلت
ثم لم يقدر لي ذلك فطفقت اذا خرجت في الناس بعد خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم يحزنني
اني لا ارى لي اسوة الا رجلا مغموصا عليه في النفاق او رجلا ممن عذر الله من الضعفاء ولم يذكرني
رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بلغ تبوك فقال وهو جالس في القوم بتبوك ما فعل كعب بن مالك فقال
رجل من بني سلمة حبسه برداه والنظر في عطفيه فقال له معاذ بن جبل بئس ما قلت والله
يا رسول الله ما علمنا عليه الا خيرا فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم فبينما هو كذلك
راى رجلا مبيضا يزول به السراب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كن ابا خيثمة فاذا هو
ابو خيثمة الانصاري وهو الذي تصدق بصاع التمر حين لمزه المنافقون قال كعب فلما بلغني
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد توجه قافلا من تبوك حضرني بثي فطفقت اتذكر الكذب
واقول بما اخرج من سخطه غدا واستعنت على ذلك بكل ذي راي من اهلي فلما قيل ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قد اظل قادما زاح عني الباطل حتى عرفت اني لم انج منه بشيء ابدا فاجمعت
صدقه واصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم قادما وكان اذا قدم من سفر بدا بالمسجد فركع
فيه ركعتين ثم جلس للناس فلما فعل ذلك جاءه المخلفون فطفقوا يعتذرون اليه ويحلفون
له وكانوا بضعة وثمانين رجلا فقبل منهم علانيتهم وبايعهم واستغفر لهم ووكل

سرائرهم الى الله حتى جئت فلما سلمت تبسم تبسم المغضب ثم قال تعال فجئت امشي حتى
جلست بين يديه فقال لي ما خلفك الم تكن قد ابتعت ظهرك قلت يا رسول الله اني
والله لو جلست عند غيرك من اهل الدنيا لرايت اني ساخرج من سخطه بعذر لقد اعطيت
جدلا ولكني والله لقد علمت لئن حدثتك اليوم حديث كذب ترضى به عني ليوشكن الله
ان يسخطك علي ولئن حدثتك حديث صدق تجد علي فيه اني لارجو فيه عقبى الله وفي رواية
عفو الله عز وجل والله ما كان لي من عذر والله ما كنت قط اقوى ولا ايسر مني حين تخلفت
عنك قال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اما هذا فقد صدق فقم حتى يقضي الله فيك
فقمت وثار رجال من بني سلمة فاتبعوني فقالوا لي والله ما علمناك اذنبت ذنبا قبل هذا لقد
عجزت ان لا تكون اعتذرت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بما اعتذر اليه المخلفون فقد كان كافيك
ذنبك استغفار رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فوالله ما زالوا يؤنبوني حتى اردت ان
ارجع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاكذب نفسي قال ثم قلت لهم هل لقي هذا معي من احد قالوا
نعم لقيه معك رجلان قالا مثل ما قلت وقيل لهما مثل ما قيل لك قلت من هما قالوا مرارة
ابن الربيع العامري وهلال بن امية الواقفي قال فذكروا لي رجلين صالحين قد شهدا بدرا فيهما
اسوة قال فمضيت حين ذكروهما لي قال ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن كلامنا ايها الثلاثة
من بين من تخلف عنه قال فاجتنبنا الناس او قال تغيروا لنا حتى تنكرت لي في نفسي الارض فما هي
بالارض التي اعرف فلبثنا على ذلك خمسين ليلة فاما صاحباي فاستكانا وقعدا في بيوتهما
يبكيان واما انا فكنت اشب القوم واجلدهم فكنت اخرج فاشهد الصلاة واطوف في الاسواق
فلا يكلمني احد وآتي رسول الله صلى الله عليه وسلم فاسلم عليه وهو في مجلسه بعد الصلاة فاقول
في نفسي هل حرك شفتيه برد السلام ام لا ثم اصلي قريبا منه واسارقه النظر فاذا اقبلت
على صلاتي نظر الي فاذا التفت نحوه اعرض عني حتى اذا طال علي ذلك من جفوة المسلمين مشيت
حتى تسورت جدار حائط ابي قتادة وهو ابن عمي واحب الناس الي فسلمت عليه فوالله ما رد
علي السلام فقلت يا ابا قتادة انشدك بالله هل تعلمني احب الله ورسوله قال فسكت فعدت
فناشدته فسكت فعدت فناشدته فقال الله ورسوله اعلم ففاضت عيناي وتوليت حتى
تسورت الجدار فبينما انا امشي في اسواق المدينة اذا نبطي من نبط اهل الشام ممن قدم بطعام
يبيعه بالمدينة يقول من يدل على كعب بن مالك قال فطفق الناس يشيرون له الي حتى جاءني
فدفع الي كتابا من ملك غسان وكنت كاتبا فقراته فاذا فيه اما بعد فانه قد بلغنا ان صاحبك
قد جفاك ولم يجعلك الله بدار هوان ولا مضيعة فالحق بنا نواسك قال فقلت حين قراتها
وهذه ايضا من البلاء فتيممت بها التنور فسجرتها بها حتى اذا مضت اربعون من الخمسين واستلبث
الوحي واذا رسول الله صلى الله عليه وسلم ياتيني فقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يامرك

ان تعتزل امراتك قال فقلت اطلقها ام ماذا افعل قال لا بل اعتزلها فلا تقربها قال وارسل الى صاحبي مثل ذلك قال فقلت لامراتي الحقي باهلك فكوني عندهم حتى يقضي الله في هذا الامر قال فجات امراة هلال بن امية رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله ان هلال ابن امية شيخ ضايع ليس له خادم فهل تكره ان اخدمه قال لا ولكن لا يقربك فقالت انه والله ما به من حركة الى شي ووالله ما زال يبكي منذ كان من امره ما كان الى يومه هذا قال فقال لي بعض اهلي لو استاذنت رسول الله صلى الله عليه وسلم في امراتك فقد اذن لامراة هلال بن امية ان تخدمه قال فقلت لا استاذن فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم وما يدريني ما يقول لي رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا استاذنته فيها وانا رجل شاب قال فلبثت بذلك عشر ليال فكمل لنا خمسون ليلة من حين نهى عن كلامنا قال ثم صليت صلاة الفجر صبح خمسين ليلة على ظهر بيت من بيوتنا فبينما انا جالس على الحال التي ذكر الله عز وجل منا قد ضاقت علي نفسي وضاقت علي الارض بما رحبت سمعت صوت صارخ اوفى على سلع يقول باعلا صوته يا كعب بن مالك ابشر قال فخررت ساجدا وعلمت ان قد جا فرج قال واذن رسول الله صلى الله عليه وسلم بتوبة الله علينا حين صلى صلاة الفجر فذهب الناس يبشروننا فذهب قبل صاحبي مبشرون وركض رجل الي فرسا وسعى ساع من اسلم قبلي واوفى على الجبل وكان الصوت اسرع من الفرس فلما جاني الذي سمعت صوته يبشرني نزعت له ثوبي فكسوتهما اياه ببشارته والله لا املك غيرهما واستعرت ثوبين فلبستهما وانطلقت اتامم رسول الله صلى الله عليه وسلم يتلقاني الناس فوجا فوجا يهنوني بالتوبة ويقولون ليهنك توبة الله عليك حتى دخلت المسجد فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم حوله الناس فقام طلحة بن عبيد الله يهرول حتى صافحني وهناني والله ما قام رجل من المهاجرين غيره قال فكان كعب لا ينساها لطلحة قال كعب فلما سلمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وهو يبرق وجهه من السرور ابشر بخير يوم مر عليك منذ ولدتك امك قال قلت امن عندك يا رسول الله ام من عند الله فقال بل من عند الله وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا سر استنار وجهه حتى كان وجهه قطعة قمر قال وكنا نعرف ذلك منه قال فلما جلست بين يديه قلت يا رسول الله ان من توبتي ان انخلع من مالي صدقة الى الله والى رسوله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم امسك بعض مالك فهو خير لك قال فقلت فاني امسك سهمي الذي بخيبر قال وقلت يا رسول الله ان الله انما نجاني بالصدق وان من توبتي ان لا احدث الا صدقا ما بقيت قال فوالله ما علمت احدا من المسلمين ابلاه الله في صدق الحديث منذ ذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم احسن مما ابلاني الله والله ما تعمدت كذبة منذ قلت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم الى يومي هذا واني لارجو ان يحفظني الله فيما بقي قال فانزل الله عز وجل لقد تاب الله على النبي والمهاجرين

والانصار

والانصار الذين اتبعوه في ساعة العسرة حتى بلغ انه بهم روف رحيم وعلى الثلاثة الذين خلفوا حتى اذا ضاقت عليهم الارض بما رحبت حتى بلغ اتقوا الله وكونوا مع الصادقين قال كعب والله ما انعم علي من نعمة قط بعد ان هداني للاسلام اعظم في نفسي من صدقي رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لا اكون كذبته فاهلك كما هلك الذين كذبوا ان الله عز وجل قال للذين كذبوا حين انزل الوحي شر ما قال لاحد فقال الله سبحانه وتعالى سيحلفون بالله لكم اذا انقلبتم اليهم لتعرضوا عنهم فاعرضوا عنهم انهم رجس وماويهم جهنم جزاء بما كانوا يكسبون يحلفون لكم لترضوا عنهم فان ترضوا عنهم فان الله لا يرضى عن القوم الفاسقين قال كعب كنا خلفنا ايها الثلاثة عن امر اوليك الذين قبل منهم رسول الله صلى الله عليه وسلم حين حلفوا له فبايعهم واستغفر لهم وارجا رسول الله صلى الله عليه وسلم امرنا حتى قضى الله تعالى فيه بذلك قال الله عز وجل وعلى الثلاثة الذين خلفوا وليس الذي ذكر مما خلفنا عن الغزو وانما هو تخليفه ايانا وارجاوه امرنا عمن حلف له واعتذر اليه وفي رواية ونهى النبي صلى الله عليه وسلم عن كلامي وكلام صاحبي ولم ينه عن كلام احد من المتخلفين غيرنا فاجتنب الناس كلامنا فلبثت كذلك حتى طال علي الامر وما من شي اهم الي من ان اموت فلا يصلي علي النبي صلى الله عليه وسلم او يموت رسول الله صلى الله عليه وسلم فاكون من الناس بتلك المنزلة فلا يكلمني احد منهم ولا يسلم علي ولا يصلي علي قال فانزل الله عز وجل توبتنا على نبيه صلى الله عليه وسلم حين بقي الثلث الاخر من الليل ورسول الله صلى الله عليه وسلم عند ام سلمة وكانت ام سلمة محسنة في شاني معتنية بامري فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ام سلمة تيب على كعب قالت افلا ارسل اليه فابشره قال اذا يحطمكم الناس فيمنعونكم النوم سائر الليلة حتى اذا صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الفجر اذن رسول الله صلى الله عليه وسلم بتوبة الله علينا اخرجه البخاري ومسلم شرح غريب هذا الحديث قوله حين تواثقنا على الاسلام التواثق تفاعل من الميثاق وهو العهد والراحلة الجمل والناقة القويتان على الحمل والسفر وقوله ورى بغيرها يقال ورى عن الشي اذا اخفاه واظهر غيره والمفازة البرية القفر سميت بذلك تفاولا بالفوز والنجاة منها قوله فجلا هو بالتخفيف يعني كشف لهم مقصدهم واظهره لهم والاهبة الجهاز وما يحتاج اليه المسافر قوله وانا اليها اصعر هو بالعين المهملة اي اميل والصعر الميل وتفارط الغزو اي تباعد ما بيني وبين الجيش من المسافة وطفق مثل جعل والمغموص المعيب المشار اليه بالعيب يقال فلان ينظر في عطفيه اذا كان معجبا بنفسه يقال زال به السراب زولا اذا ظهر شخص الانسان خيالا فيه من بعد والسراب هو ما يظهر للانسان في البرية في وقت الهاجرة كانه ما والبيض بكسر الباء الابيض الثياب قوله كن ابا خيثمة معناه انت ابو خيثمة وقيل معناه اللهم اجعله ابا خيثمة اي ليوجد هذا الشخص ابا خيثمة حقيقة قوله الذي لمزه المنافقون يعني عابوه واحتقروه والقافل الراجع من سفره الى وطنه قوله حضرني بثي البث اشد الحزن كانه لشدته يظهره بثه صاحبه اي

يظهره قوله زاح عني الباطل اي زال وذهب عني واجمعت صدقه اي عزمت عليه لقد اعطيت
جدلا اي فصاحة وقوة في الكلام بحيث اخرج عن عهدة ما اردت بما اشاء من الكلام والمغضب
بفتح الضاد هو الغضبان قوله فما زالوا يؤنبونني اي يلومونني اشد اللوم قوله حتى تنكرت في نفسي
الارض فما هي بالارض التي اعرف معناه تغير علي كل شي من الارض وتوحشت علي وصارت كانها ارض
لا اعرفها وقوله فاما صاحباي فاستكانا يعني خضعا وسكنا قوله تسورت حايط ابي قتادة
اي علوته وصعدت سوره وهو اعلاه والانباط الفلاحون والزراعون وهم من العجم او الروم
والمضيعة مفعلة من الضياع والاطراح قوله فتيممت بها التنور فسجرتها اي فقصدت بالصحيفة
التي ارسل بها ملك غسان فاحرقتها في التنور قوله سلع جبل بالمدينة معروف وقوله فانطلقت
اتامم يعني اقصد رسول الله صلى الله عليه وسلم والفوج الجماعة من الناس يقال برق وجهه اذا لمع
وظهر عليه امارات الفرح والسرور قوله انخلع من مالي اي اخرج منه جميعه واتصدق به كما يخلع
الانسان قميصه قوله ما علمت احدا من المسلمين ابلاه الله في صدق الحديث احسن مما ابلاني البلا والابتلا
يكون في الخير وفي الشر واذا اطلق كان في الشر غالبا فاذا اريد به الخير قيد كما قيد هنا بقوله احسن
مما ابلاني اي انعم علي قوله الا اكون كذبته هذا هو في جميع روايات الحديث بزيادة لفظ لا
قال بعض العلما لفظة لا زايدة ومعناه ان اكون كذبته وقوله فاهلك هو بكسر اللام وارجاوه ارجانا
تاخيره وقوله في الرواية الاخرى يحطمكم الناس اي يطاوكم ويزدحمون عليكم واصل الحطم الكسر
وقوله سائر الليل يعني باقي الليل وقوله واذن بتوبة الله علينا اي اعلم والاذان الاعلام والله اعلم
وقوله عز وجل حتى اذا ضاقت عليهم الارض بما رحبت يعني بالسعة والرحب سعة المكان
والمعنى انه ضاق عليهم المكان بعد ان كان واسعا وضاقت عليهم انفسهم يعني من
شدة الغم والحزن ومجانبة الناس اياهم وترك كلامهم وظنوا يعني وايقنوا وعلموا ان لا ملجا يعني
لا مفزع ولا مفر من الله الا اليه ولا عاصم من عذابه الا هو ثم تاب عليهم فيه اضمار وحذف
تقديره وظنوا ان لا ملجا من الله الا اليه فرحمهم ثم تاب عليهم وانما حسن هذا الحذف لدلالة
الكلام عليه وقوله ثم تاب عليهم تاكيد لقبول توبتهم لانه قد تقدم ذكر توبتهم في قوله وعلى
الثلاثة الذين خلفوا كما تقدم بيانه وانه عطف على قوله لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والانصار
وتاب الله على الثلاثة الذين خلفوا وقوله ليتوبوا معناه ان الله تاب عليهم في الماضي ليكون ذلك
داعيا لهم الى التوبة في المستقبل ويدوموا عليها وقيل ان اصل التوبة الرجوع ومعناه ثم تاب عليهم
ليرجعوا الى حالهم الاول وعادتهم في الاختلاط بالناس ومكالمتهم فتسكن نفوسهم بذلك ان الله هو
التواب يعني على عباده الرحيم بهم وفيه دليل على ان قبول التوبة بمحض الرحمة والكرم والفضل
والاحسان وانه لا يجب على الله تعالى شي قوله عز وجل يا ايها الذين امنوا اتقوا الله يعني في مخالفة
امر الرسول صلى الله عليه وسلم وكونوا مع الصادقين يعني مع النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه في الغزوات

ولا تكونوا مع المتخلفين من المنافقين الذين قعدوا في البيوت وتركوا الغزو وقال سعيد بن جبير
مع الصادقين يعني مع ابي بكر وعمر وقال ابن جريج مع المهاجرين وقال ابن عباس مع الذين صدقت نياتهم
واستقامت قلوبهم واعمالهم وخرجوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى تبوك باخلاص نية وقيل
كونوا مع الذين صدقوا في الاعتراف بالذنب ولم يعتذروا بالاعذار الباطلة الكاذبة وهذه الاية
تدل على فضيلة الصدق لان الصدق يهدي الى الجنة والكذب الى الفجور كما ورد في الحديث وقال ابن عباس
الكذب لا يصلح في جد ولا هزل ولا ان يعد احدكم صاحبه شيا ثم لا ينجز له اقروا ان شيتم وكونوا مع
الصادقين وروي ان ابا بكر الصديق احتج بهذه الاية على الانصار في يوم السقيفة وذلك ان الانصار
قالوا منا امير ومنكم امير فقال ابو بكر يا معشر الانصار ان الله تعالى يقول في كتابه للفقرا المهاجرين
الى قوله اوليك هم الصادقون من هم قالت الانصار انتم هم فقال ابو بكر ان الله تعالى يقول يا ايها الذين امنوا
اتقوا الله وكونوا مع الصادقين فامركم ان تكونوا معنا ولم يامرنا ان نكون معكم نحن الامرا وانتم الوزرا
وقيل مع بمعنى من والمعنى يا ايها الذين امنوا اتقوا الله وكونوا من الصادقين قوله تعالى ما كان
لاهل المدينة يعني لساكني المدينة من المهاجرين والانصار ومن حولهم من الاعراب يعني سكان البوادي
من مزينة وجهينة واسلم واشجع وغفار وقيل هو عام في كل الاعراب لان اللفظ عام وحمله على العموم
اولى ان يتخلفوا عن رسول الله يعني اذا غزا وهذا ظاهره خبر ومعناه النهي اي ليس لهم ان يتخلفوا
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يرغبوا بانفسهم عن نفسه يعني ليس لهم ان
يكرهوا لانفسهم ما يختار رسول الله صلى الله عليه وسلم ويرضاه لنفسه ولا يختاروا لانفسهم الخفض
والدعة ويتركوا مصاحبته والجهاد معه في حال الشدة والمشقة وقال الحسن لا يرغبوا بانفسهم
ان يصيبهم من الشدايد فيختاروا الخفض والدعة ورسول الله صلى الله عليه وسلم في مشقة السفر
ومقاساة التعب ذلك بانهم لا يصيبهم في سفرهم وغزوهم ظما اي عطش ولا نصب اي تعب ولا
مخمصة اي مجاعة شديدة في سبيل الله ولا يطون موطيا يغيظ الكفار يعني ولا يضعون قدما
على الارض يكون ذلك القدم سببا لغيظ الكفار وغمهم وحزنهم ولا ينالون من عدو نيلا يعني اسرا
وقتلا او هزيمة او غنيمة ونحو ذلك قليلا كان او كثيرا الا كتب لهم به عمل صالح يعني الا كتب الله لهم بذلك
ثواب عمل صالح قد ارتضاه الله وقبله منهم ان الله لا يضيع اجر المحسنين يعني ان الله لا يدع محسنا
من خلقه قد احسن في عمله واطاعه فيما امره به او نهاه عنه ان يجازيه على احسانه وعمله الصالح
وفي الاية دليل على ان من قصد طاعة الله كان قيامه وقعوده ومشيه وحركته وسكونه كلها
حسنات مكتوبة عند الله وكذا القول في ضده المعصية فان حركته فيها كلها سيات الا ان يغفرها
الله بفضله وكرمه واختلف العلما في حكم هذه الاية فقال قتادة هذه خاصة لرسول الله
صلى الله عليه وسلم اذا غزا بنفسه لم يكن لاحد ان يتخلف الا بعذر فاما غيره من الايمة والولاة
فيجوز لمن شا من المومنين ان يتخلف عنه اذا لم يكن للمسلمين اليه ضرورة وقال الوليد بن مسلم سمعت

الاوزاعي وابن المبارك وابن جابر وسعيد بن عبد العزيز يقولون في هذه الاية انها لاول هذه
الامة ولاخرها فعلى هذا تكون هذه الاية محكمة لم تنسخ وقال ابن زيد هذا حين كان اهل الاسلام
قليلا فلما كثروا نسخها الله عز وجل واباح التخلف لمن شاء بقوله وما كان المومنون لينفروا كافة
ونقل الواحدي عن عطية انه قال وما كان لهم ان يتخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا دعاهم
وامرهم قال الواحدي هذا هو الصحيح لانه تتعين الطاعة والاجابة لرسول الله صلى الله عليه وسلم اذا
امر وكذا غيره من الايمة والولاة اذا ندبوا او عينوا لانا لو سوغنا للمندوب ان يتقاعد ولم يختص
بذلك بعض دون بعض لادى ذلك الى تعطيل الجهاد والله اعلم وقوله عز وجل **ولا ينفقون** يعني في
سبيل الله **نفقة صغيرة ولا كبيرة** يعني تمرة فما دونها او اكثر منها حتى علاقة سوط **ولا يقطعون
واديا** يعني ولا يجاوزون في مسيرهم واديا مقبلين او مدبرين فيه **الا كتب لهم** يعني كتب الله لهم
اثارهم وخطاهم ونفقاتهم **ليجزيهم الله احسن ما كانوا يعملون** قال الواحدي معناه باحسن ما كانوا
يعملون قال الامام فخر الدين فيه وجهان الاول ان الاحسن من صفة فعلهم وفيها الواجب والمندوب
والمباح فالله تعالى يجزيهم على الاحسن وهو الواجب والمندوب دون المباح والثاني ان الاحسن
صفة للجزاء اي يجزيهم جزاء هو احسن من اعمالهم واجل وافضل وهو الثواب وفي الاية دليل على
فضل الجهاد وانه من احسن اعمال العباد **ق** عن سهل بن سعد الساعدي ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال رباط يوم في سبيل الله خير من الدنيا وما عليها وموضع سوط احدكم من الجنة خير
من الدنيا وما عليها والروحة يروحها العبد في سبيل الله والغدوة خير من الدنيا وما عليها
وفي رواية وما فيها **ق** عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تضمن الله لمن خرج في سبيله
لا يخرجه الا جهاد في سبيلي وايمان بي وتصديق برسلي فهو علي ضامن ان ادخله الجنة او ارجعه
الى مسكنه الذي خرج منه نائلا ما نال من اجر او غنيمة والذي نفس محمد بيده ما من كلم يكلم في
سبيل الله الا جاء يوم القيمة كهيئته يوم كلم لونه لون دم وريحه ريح مسك والذي نفس محمد بيده
لولا ان يشق على المسلمين ما قعدت خلاف سرية تغزو في سبيل الله ابدا ولكن لا اجد سعة فاحملهم ولا
يجدون سعة ويشق عليهم ان يتخلفوا عني والذي نفس محمد بيده لوددت ان اغزو في سبيل الله
فاقتل ثم اغزو فاقتل لفظ مسلم وللبخاري بمعناه **ق** عن ابي سعيد قال اتى رجل رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال اي الناس افضل قال مومن يجاهد بنفسه وماله في سبيل الله قال ثم من قال ثم رجل
في شعب من الشعاب يعبد الله وفي رواية يتقي الله ويدع الناس من شره **خ** عن ابي عبس ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال ما اغبرت قدما عبد في سبيل الله فتمسه النار **خ** عن ابي هريرة ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال من احتبس فرسا في سبيل الله ايمانا بالله وتصديقا بوعده فان شبعه وريه
وروثه وبوله في ميزانه يوم القيامة يعني حسنات **م** عن ابي مسعود الانصاري البدري قال جاء
رجل بناقة مخطومة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هذه في سبيل الله فقال رسول الله صلى الله

عليه وسلم لك بها يوم القيمة سبعماية ناقة كلها مخطومة عن خريم بن فاتك قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم من انفق نفقة في سبيل الله كتبت له سبعماية ضعف اخرجه الترمذي والنسائي
قوله عز وجل **وما كان المومنون لينفروا كافة** الاية قال عكرمة لما نزلت هذه الاية ما كان لاهل المدينة
ومن حولهم من الاعراب ان يتخلفوا عن رسول الله قال ناس من المنافقين هلك من تخلف فنزلت هذه
الاية وما كان المومنون لينفروا كافة قال ابن عباس انها ليست في الجهاد ولكن لما دعا رسول الله صلى
الله عليه وسلم على مضر بالسنين اجدبت بلادهم فكانت القبيلة منهم تقبل باسرها حتى يحلوا بالمدينة
من الجهد ويعتلوا بالاسلام وهم كاذبون فضيقوا على اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم واجهدوهم
فانزل الله عز وجل يخبر نبيه صلى الله عليه وسلم انهم ليسوا مومنين فردهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
الى عشايرهم وحذر قومهم ان يفعلوا فعلهم فذلك قوله ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم وفي رواية
اخرى عن ابن عباس انه قال كان ينطلق من كل حي من العرب عصابة فياتون النبي صلى الله عليه وسلم
فيسالونه عما يريدون من امر دينهم ويتفقهون في دينهم ويقولون للنبي صلى الله عليه وسلم
ما تامرنا ان نفعله واخبرنا عما نقول لعشايرنا اذا انطلقنا اليهم فيامرهم نبي الله صلى الله عليه وسلم
بطاعة الله وطاعة رسوله ويبعثهم الى قومهم بالصلاة والزكاة فكانوا اذا اتوا قومهم
نادوا ان من اسلم فهو منا وينذرونهم حتى ان الرجل ليفارق اباه وامه وكان رسول الله صلى الله
عليه وسلم يخبرهم بما يحتاجون اليه من امر الدين وينذرون قومهم اذا رجعوا اليهم ويدعونهم الى الاسلام
وينذرونهم النار ويبشرونهم بالجنة وقال مجاهد ان ناسا من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم خرجوا
في البوادي فاصابوا من الناس معروفا ومن الخطب ما ينتفعون به ودعوا من وجدوا من الناس الى الهدى
فقال الناس لهم ما نراكم الا وقد تركتم اصحابكم وجيتمونا فوجدوا في انفسهم تحرجا واقبلوا من
البادية كلهم حتى دخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال الله عز وجل فلولا نفر من كل فرقة منهم
طايفة يبتغون الخير وقعد طايفة ليتفقهوا وليسمعوا ما انزل الله ولينذروا قومهم من الناس اذا
رجعوا اليهم لعلهم يحذرون وقال ابن عباس ما كان المومنون لينفروا جميعا ويتركوا رسول الله
صلى الله عليه وسلم وحده فلولا نفر من كل فرقة منهم طايفة يعني عصبة يعني السرايا ولا يسيروا
الا باذنه فاذا رجعت السرايا وقد نزل بعدهم قران تعلمه القاعدون من رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقالوا ان الله قد انزل على نبيكم بعدكم قرانا وقد تعلمناه فتمكث السرايا يتعلمون ما انزل الله على
نبيهم بعدهم ويبعث سرايا اخرى فذلك قوله ليتفقهوا في الدين يقول ليتعلموا ما انزل الله على نبيهم
ويعلموا السرايا اذا رجعت اليهم لعلهم يحذرون نقل هذه الاقوال كلها الطبري واما تفسير الاية
فيمكن ان يقال انها من بقية احكام الجهاد ويمكن ان يقال انها كلام مبتدا لا تعلق لها بالجهاد
فعلى الاحتمال الاول فقد قيل ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا خرج الى الغزو لم يتخلف عنه الا منافق
او صاحب عذر فلما بلغ الله في الكشف عن عيوب المنافقين وفضحهم في تخلفهم عن غزوة تبوك قال

المؤمنون والله لا نتخلف عن شيء من الغزوات مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا عن سرية يبعثها
فلما قدم المدينة وبعث السرايا نفر المسلمون جميعًا الى الغزو وتركوا رسول الله صلى الله عليه وسلم
وحده فنزلت هذه الاية فيكون المعنى ما كان ينبغي للمؤمنين ولا يجوز لهم ان ينفروا بكليتهم
الى الجهاد ويتركوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بل يجب ان ينقسموا قسمين فطايفة يكونوا مع
رسول الله صلى الله عليه وسلم وطايفة ينفروا الى الجهاد لان ذلك الوقت كانت الحاجة داعية الى
انقسام اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى قسمين قسم للجهاد وقسم لتعلم العلم والتفقه
في الدين لان الاحكام والشرايع كانت تتجدد شيا بعد شي فالملازمون لرسول الله صلى الله عليه وسلم
يحفظون ما نزل من الاحكام وتجدد من الشرايع فاذا قدم الغزاة اخبروهم بذلك فيكون معنى
الاية وما كان المؤمنون لينفروا كافة فلولا يعني فهلا نفر من كل فرقة منهم طايفة للجهاد وقعد
طايفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم الذين نفروا الى الجهاد اذا رجعوا اليهم من غزوهم
لعلهم يحذرون يعني مخالفة امر الله وامر رسوله وهذا معنى قول قتادة وقيل ان التفقه صفة
للطايفة النافرة قال الحسن ليتفقه الذين خرجوا بما يريهم الله من الظهور على المشركين
والنصرة ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم ومعنى ذلك ان الفرقة النافرة اذا شاهدوا نصر الله
لهم على اعدايهم وان الله يريد اعلاء دينه وتقوية نبيه صلى الله عليه وسلم وان الفية القليلة
قد غلبت جمعًا كثيرًا فاذا رجعوا من ذلك النفير الى قومهم من الكفار انذروهم بما شاهدوا من دلايل
النصر والفتح والظفر لعلهم يحذرون فيتركوا الكفر والنفاق واورد على هذا القول ان هذا النوع
لا يعد فقهًا في الدين ويمكن ان يجاب عنه بانهم اذا علموا ان الله معهم ناصرهم ومقويهم على عدوهم
كان ذلك زيادة في ايمانهم فيكون ذلك فقهًا في الدين واما الاحتمال الثاني وهو ان يقال ان هذه الاية
كلام مبتدا لا تعلق لها بالجهاد وهو ما ذكرناه عن مجاهد ان ناسًا من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم
خرجوا الى البوادي فاصابوا معروفًا ودعوا من وجدوا من الناس الى الهدى فقال الناس لهم ما نراكم
الا وقد تركتم صاحبكم وجيتمونا فوجدوا في انفسهم من ذلك حرجًا فاقبلوا كلهم من البادية حتى
دخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله هذه الاية والمعنى هلا نفر من كل فرقة طايفة
وقعد طايفة ليتفقهوا في الدين ويبلغوا ذلك الى النافرين لينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم لعلهم
يحذرون يعني باس الله ونقمته اذا خالفوا امره وفي الاية دليل على انه يجب ان يكون المقصود من
العلم والفقه دعوة الخلق الى الحق وارشادهم الى الدين القويم والصراط المستقيم فكل من تفقه
وتعلم لهذا المقصد كان على المنهج القويم والصراط المستقيم ومن عدل عنه وتعلم العلم لطلب
الدنيا كان من الاخسرين اعمالا الاية ق عن معاوية قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
من يرد الله به خيرًا يفقهه في الدين وانما انا قاسم ويعطي الله ولن يزال امر هذه الامة مستقيمًا
حتى تقوم الساعة وحتى ياتي امر الله ق عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تجدون

الناس

الناس معادن خيارهم في الجاهلية خيارهم في الاسلام اذا فقهوا عن ابن عباس ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال فقيه واحد اشد على الشيطان من الف عابد اخرجه الترمذي واصل الفقه
في اللغة الفهم يقال فقه الرجل اذا فهم وفقه فقاهة اذا صار فقيهًا وقيل الفقه هو التوصل
الى علم غايب بعلم شاهد فهو اخص من العلم وفي الاصطلاح ان الفقه عبارة عن العلم باحكام
الشرع واحكام الدين وذلك ينقسم الى فرض عين وفرض كفاية ففرض العين معرفة احكام الطهارة
واحكام الصلاة والصوم فعلى كل مكلف معرفة ذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم طلب العلم فريضة
على كل مسلم ذكره البغوي بغير سند وكذلك كل عبادة وجبت على المكلف بحكم الشرع يجب عليه
معرفة علمها مثل علم الزكاة اذا صار له مال تجب في مثله الزكاة وعلم احكام الحج اذا وجب عليه
واما فرض الكفاية من الفقه فهو ان يتعلم حتى يبلغ رتبة الاجتهاد ودرجة الفتيا واذا قعد
اهل بلد عن تعلمه عصوا جميعًا واذا قام به من كل بلد واحد فتعلم حتى بلغ درجة الفتوى سقط الفرض
عن الجميع الباقين وعليهم تقليده فيما يقع لهم من الحوادث عن ابي امامة قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم فضل العالم على العابد كفضلي على ادناكم اخرجه الترمذي مع زيادة فيه عن ابي هريرة
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سلك طريقًا يلتمس فيه علمًا سهل الله له طريقًا الى الجنة عن انس
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من خرج في طلب العلم فهو في سبيل الله حتى يرجع اخرجه الترمذي
عن عبد الله بن عمرو بن العاص ان النبي صلى الله عليه وسلم قال العلم ثلاثة وما سوى ذلك فهو فضل
اية محكمة او سنة قايمة او فريضة عادلة اخرجه ابو داود الاية المحكمة هي التي لا اشتباه
فيها ولا اختلاف في حكمها او ما ليس بمنسوخ والسنة القايمة هي المستمرة الدايمة التي العمل بها
متصل لا يترك والفريضة العادلة هي التي لا جور فيها ولا حيف في قضايها قال الفضيل بن عياض
عالم عامل معلم يدعى عظيمًا في ملكوت السما اخرجه الترمذي موقوفًا وقال الشافعي طلب
العلم افضل من صلاة النافلة قوله تعالى يا ايها الذين امنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار
امروا بقتال الاقرب فالاقرب اليهم في الدار والنسب قال ابن عباس مثل قريظة والنضير
وخيبر ونحوها وقال ابن عمر هم الروم لانهم كانوا سكان الشام والشام اقرب الى المدينة من
العراق وقال بعضهم هم الديلم وقال ابن زيد كان الذين يلونهم من كفار العرب فقاتلوهم حتى
فرغ منهم امر بقتال اهل الكتاب وجهادهم حتى يومنوا او يعطوا الجزية نقل عن بعض العلما
انه قال نزلت هذه الاية قبل الامر بقتال المشركين كافة فلما نزلت وقاتلوا المشركين كافة صارت
ناسخة لقوله قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وقال المحققون من العلما لا وجه للنسخ لانه تعالى
لما امرهم بقتال المشركين كافة ارشدهم الى الطريق الاصوب الاصلح وهو ان يبدوا بقتال الاقرب فالاقرب
حتى يصلوا الى الابعد فالابعد وبهذا الطريق يحصل الغرض من قتال المشركين كافة لان قتالهم
في دفعة واحدة لا يتصور ولهذا السبب قاتل رسول الله صلى الله عليه وسلم اولا قومه ثم انتقل

الى قتال ساير العرب ثم انتقل الى قتال اهل الكتاب وهم قريظة والنضير وخيبر وفدك
ثم انتقل الى غزو الروم في الشام فكان فتح الشام في زمن الصحابة ثم انهم انتقلوا الى العراق
ثم بعد ذلك الى ساير الامصار لانه اذا قاتل الاقرب تقوى بما ينال منهم من الغنايم على الابعد
وقوله تعالى وليجدوا فيكم غلظة يعني قوة وشدة وشجاعة والغلظة ضد الرقة وقال الحسن
صبرا على جهادكم واعلموا ان الله مع المتقين يعني بالعون والنصر قوله عز وجل واذا ما انزلت
سورة فمنهم من يقول ايكم زادته هذه ايمانا يعني واذا انزلت سورة من سور القران فمن المنافقين
من يقول يعني يقول بعضهم لبعض ايكم زادته يعني نزول السورة ايمانا يعني تصديقا ويقينا
وانما يقول ذلك المنافقون استهزاء وقيل يقول ذلك المنافقون لبعض المومنين فقال الله تعالى فاما
الذين امنوا فزادتهم ايمانا يعني تصديقا ويقينا وقربة من الله ومعنى الزيادة ضم شي الى جنسه
مما هو في صفته فالمومنون اذا اقروا بنزول سورة من القران عن ثقة واعترفوا انها من الله عز وجل
زادهم ذلك الاقرار والاعتراف ايمانا وقد تقدم بسط الكلام على زيادة الايمان في اول سورة الانفال
وهم يستبشرون يعني المومنين يفرحون بنزول القران شيا بعد شي لانهم كلما نزل ازدادوا ايمانا وذلك
يوجب مزيد الثواب في الاخرة وكما تحصل الزيادة في الايمان بسبب نزول القران كذلك تحصل
الزيادة في الكفر وهو قوله تعالى واما الذين في قلوبهم مرض اي شك ونفاق سمي الشك في الدين مرضا
لانه فساد في القلب يحتاج الى علاج كالمرض في البدن اذا حصل يحتاج الى العلاج فزادتهم يعني
نزول السورة من القران رجسا الى رجسهم يعني كفرا الى كفرهم وذلك كلما جحدوا نزول سورة او استهزوا
بها ازدادوا كفرا مع كفرهم الاول وسمي الكفر رجسا لانه اقبح الاشيا واصل الرجس في اللغة الشي
المستقذر وماتوا يعني هولا المنافقين وهم كافرون يعني وهم جاحدون لما انزل الله عز وجل على رسوله
صلى الله عليه وسلم قال مجاهد في هذه الاية الايمان يزيد وينقص وكان عمر ياخذ بيد الرجل والرجلين
من اصحابه ويقول تعالوا حتى نزداد ايمانا وقال علي بن ابي طالب ان الايمان يبدو لمظة بيضا في القلب
فكلما ازداد الايمان عظما ازداد ذلك البياض حتى يبيض القلب كله وان النفاق يبدو لمظة سودا في
القلب فكلما ازداد النفاق ازداد السواد حتى يسود القلب كله وايم الله لو شققتم عن قلب مومن
لوجدتموه ابيض ولو شققتم عن قلب منافق لوجدتموه اسود قوله تعالى اولا يرون قرى ترون بالتا
على خطاب المومنين وقرى بالياء على انه خبر عن المنافقين المذكورين في قوله في قلوبهم مرض انهم يفتنون
يعني يبتلون في كل عام مرة او مرتين يعني بالامراض والشدايد وقيل بالقحط والجدب وقيل بالغزو والجهاد
وقيل انهم يفتضحون باظهار نفاقهم وقيل انهم ينافقون ثم يومنون ثم ينافقون وقيل انهم
ينقضون عهدهم في السنة مرة او مرتين ثم لا يتوبون يعني من النفاق ونقض العهد ولا يرجعون
الى الله ولا هم يذكرون يعني ولا يتعظون بما يرون من صدق وعد الله بالنصر والظفر للمسلمين واذا ما
انزلت سورة يعني فيها عيب المنافقين وتوبيخهم نظر بعضهم الى بعض يريدون بذلك الهرب يقول

بعضهم

بعضهم لبعض اشارة هل يراكم من احد يعني هل احد من المومنين يراكم ان قمتم من مجلسكم
فان لم يرهم احد خرجوا من المسجد وان علموا ان احدا يراهم قاموا ولبثوا على تلك الحال ثم انصرفوا
يعني عن الايمان بتلك السورة النازلة وقيل انصرفوا عن مواضعهم التي يسمعون فيها ما يكرهون
صرف الله قلوبهم يعني عن الايمان وقال الزجاج اضلهم الله مجازاة عن فعلهم بانهم قوم لا يفقهون
يعني لا يفقهون عن الله دينه ولا شيا فيه نفعهم قوله عز وجل لقد جاكم رسول من انفسكم هذا
خطاب للعرب يعني لقد جاكم ايها العرب رسول من انفسكم تعرفون نسبه وجنسه وانه من ولد
اسماعيل بن ابراهيم عليهما السلام قال ابن عباس ليس قبيلة من العرب الا وقد ولدت النبي صلى الله
عليه وسلم وله فيهم نسب وقال جعفر بن محمد الصادق لم يصبه شي من ولادة الجاهلية قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم اني خرجت من نكاح ولم اخرج من سفاح هذا ذكره الطبري
وذكر البغوي باسناد الثعلبي عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ولدني من
سفاح اهل الجاهلية شي ما ولدني الا نكاح كنكاح اهل الاسلام قال قتادة جعله الله من
انفسهم فلا يحسدونه على ما اعطاه الله من النبوة والكرامة قال بعض العلما في تفسير
قول ابن عباس ليس قبيلة من العرب الا وقد ولدت النبي صلى الله عليه وسلم يعني من مضريها وربيعيها
ويمانيها فاما ربيعة ومضر فهم من ولد معد بن عدنان واليه تنتسب قريش وهو منهم واما
نسبه الى عرب اليمن وهم القحاطنة فان امنة لها نسب في الانصار وان كانت قريشا والانصار اصلهم
من عرب اليمن من ولد قحطان من سبا فعلى هذا القول يكون المقصود من قوله لقد جاكم رسول من
انفسكم ترغيب للعرب في نصره والايمان به فان شرفهم بشرفه وعزهم بعزته وفخرهم بفخره فانه
من عشيرتكم تعرفونه بالصدق والامانة والصيانة والعفاف وطهارة النسب والاخلاق الحميدة
وقرا ابن عباس والزهري من انفسكم بفتح الفا معناه انه من اشرفكم وافضلكم خ عن ابي هريرة
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بعثت من خير قرون بني ادم قرنا فقرنا حتى كنت من القرن
الذي كنت منه م عن واثلة بن الاسقع قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله اصطفى
كنانة من ولد اسماعيل واصطفى قريشا من كنانة واصطفى من قريش بني هاشم واصطفاني
من بني هاشم عن العباس بن عبد المطلب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قلت يا رسول الله
ان قريشا جلسوا فتذاكروا احسابهم بينهم فجعلوا مثلك كمثل نخلة في كبوة من الارض فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله خلق الخلق فجعلني من خير فرقهم وخير الفريقين ثم خير
القبايل فجعلني من خير قبيلة ثم خير البيوت فجعلني من خير بيوتهم فانا خيرهم نفسا وخيرهم
بيتا اخرجه الترمذي وقيل ان قوله لقد جاكم رسول من انفسكم عام فيحمل على العموم او يكون
المعنى على هذا القول لقد جاكم ايها الناس رسول من انفسكم يعني من جنسكم بشر مثلكم اذ لو
كان من الملايكة لضعفت قوى البشر عن سماع كلامه والاخذ عنه وقوله تعالى عزيز عليه ما عنتم

اى شديد عليه عنتكم يعني مكروهكم وقيل شق عليه ضلالتكم حريص عليكم يعني حريص على ايمانكم وايصال الخير اليكم وقال قتادة حريص على هدايتكم وان يهديكم الله بالمؤمنين رؤف رحيم يعني انه صلى الله عليه وسلم رؤف بالمطيعين رحيم بالمذنبين ق عن جبير بن مطعم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لي خمسة اسما انا محمد وانا احمد وانا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر وانا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي وانا العاقب والعاقب الذي ليس بعده نبي وقد سماه الله رؤفا رحيما قال الحسين ابن الفضل لم يجمع الله لاحد من انبيايه بين اسمين من اسمايه الا للنبي صلى الله عليه وسلم فسماه رؤفا رحيما وقال ان الله بالناس لرؤف رحيم قوله تعالى فان تولوا يعني فان اعرض هولا الكفار والمنافقون عن الايمان بالله ورسوله وناصبوك الحرب فقل حسبي الله يعني يكفيني الله وينصرني عليكم لا اله الا هو عليه توكلت يعني لا على غيره وبه وثقت وهو رب العرش العظيم انما خص العرش بالذكر لانه من اعظم المخلوقات فيدخل ما دونه في الذكر فيكون المعنى وهو رب العرش فما دونه او يكون خصه بالذكر تشريفا له كما يقال بيت الله روي عن ابي بن كعب انه قال هاتان الايتان لقد جاكم رسول من انفسكم الى اخر السورة اخر القران نزولا وفي رواية عنه قال احدث القران عهدا بالله هاتان الايتان لقد جاكم رسول من انفسكم الى اخر الايتين والله اعلم تفسير سورة يونس عليه السلام مكية الا ثلاث ايات وهي قوله فان كنت في شك مما انزلنا اليك الى اخر ثلاث ايات قاله ابن عباس وبه قال قتادة وفي رواية اخرى عن ابن عباس ان فيها من المدني قوله ومنهم من يومن به ومنهم من لا يومن به الاية وقال مقاتل هي مكية الا ايتين وهي قوله قل بفضل الله وبرحمته والتي تليها وهي مائة وتسع ايات والف وثمانماية واثنان وثلاثون كلمة وتسعة الاف وتسعة وستون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل الر قال ابن عباس والضحاك معناه انا الله ارى وقال ابن عباس في رواية اخرى عنه الر وحم ون حروف الرحمن مقطعة وبه قال سعيد بن جبير وسالم بن عبد الله وقال قتادة الر اسم من اسما القران وقيل هو اسم للسورة وقد تقدم الكلام في معنى الحروف المقطعة في اول سورة البقرة بما فيه كفاية تلك ايات الكتاب يعني المراد من لفظ تلك الاشارة الى الايات الموجودة في هذه السورة ويكون التقدير تلك الايات هي ايات الكتاب وهو القران الذي انزله الله اليك يا محمد وذلك ان الله عز وجل وعده ان ينزل عليه كتابا لا يمحوه الما ولا تغيره الدهور وقيل ان لفظ تلك اشارة الى ما تقدم هذه السورة من ايات القران والمعنى ان تلك الايات هي ايات الكتاب الحكيم وفيه قول اخر ان المراد بايات الكتاب الكتب التي قبل القران حكاه الطبري عن قتادة وروي عن مجاهد انها التوراة والانجيل فعلى هذا القول يكون التقدير ان الايات المذكورة في هذه السورة هي الايات المذكورة في التوراة والانجيل والمراد من الايات القصص المذكورة في هذه السورة وهذا وان كان له وجه فهو ضعيف لان التوراة والانجيل لم يجر لهما ذكر قريب حتى يشار اليهما وقيل المراد من الايات حروف التهجي التي منها الر سميت ايات لانها افتتاح السور وسر القران الحكيم يعني

المحكم

المحكم بالحلال والحرام والحدود والاحكام فعيل بمعنى مفعول وقيل الحكيم بمعنى الحاكم فعيل بمعنى فاعل لان القران حاكم يميز بين الحق والباطل ويفصل الحرام من الحلال وقيل حكيم بمعنى المحكوم فعيل بمعنى مفعول قال الحسن حكم بالعدل والاحسان وايتاء ذي القربى وقيل ان الحكيم هو الذي يفعل الحكمة والصواب من حيث انه يدل على الاحكام صار كانه هو الحكيم في نفسه قوله تعالى اكان للناس عجبا سبب نزول هذه الاية قال ابن عباس ان الله عز وجل لما بعث محمدا صلى الله عليه وسلم رسولا انكر العرب ذلك ومن انكر منهم وقال المشركون الله اعظم من ان يكون رسوله بشرا مثل محمد فقال الله اكان للناس عجبا ان اوحينا الى رجل منهم وقال وما ارسلنا من قبلك الا رجالا والهمزة في اكان همزة استفهام ومعناه الانكار والتوبيخ والمعنى لا يكون ذلك عجبا ان اوحينا الى رجل منهم والعجب حالة تعرض للانسان عند الجهل بسبب الشي ولهذا قال بعض الحكما العجب ما لا يعرف سببه والمراد بالناس هنا اهل مكة وبالرجل محمد صلى الله عليه وسلم منهم يعني من اهل مكة من قريش يعرفون نسبه وصدقه وامانته ان انذر الناس يعني خوفهم بعقاب الله ان اصروا على الكفر والمخالفة والانذار اخبار مع تخويف كما ان البشارة اخبار مع سرور وهو قوله تعالى وبشر الذين امنوا ان لهم قدم صدق عند ربهم اختلفت عبارات المفسرين واهل اللغة في معنى قدم صدق فقال ابن عباس اجرا حسنا بما قدموا من اعمالهم وقال الضحاك ثواب صدق وقال مجاهد الاعمال الصالحة وصومهم وصدقتهم وتسبيحهم وقال الحسن عمل صالح اسلفوه يقدمون عليه وفي رواية اخرى عن ابن عباس انه قال سبقت لهم السعادة في الذكر الاول يعني في اللوح المحفوظ وقال زيد بن اسلم هو شفاعة محمد صلى الله عليه وسلم وهو قول قتادة وقيل لهم منزلة رفيعة عند ربهم واضيف القدم الى الصدق وهو نعته كقوله مسجد الجامع وصلاة الاولى وحب الحصيد والفايدة في هذه الاضافة التنبيه على زيادة الفضل ومدح القدم لان كل شي اضيف الى الصدق فهو ممدوح ومثله في مقعد صدق ومدخل صدق وقال ابو عبيدة كل سابق في خير او شر فهو عند العرب قدم يقال لفلان قدم في الاسلام وقدم في الخير ولفلان عندي قدم صدق وقدم سو قال حسان ابن ثابت لنا القدم العليا اليك وخلفنا لاولنا في طاعة الله تابع وقال الليث وابو الهيثم القدم السابقة والمعنى انه قد سبق لهم عند الله خير قال ذو الرمة وانت امرو من اهل بيت ذوابة لهم قدم معروفة ومفاخر والسبب في اطلاق لفظ القدم على هذه المعاني ان السعي والسبق لا يحصل الا بالقدم فسمي المسبب باسم السبب كما سميت النعمة يدا لانها تعطى باليد وقال ذو الرمة لكم قدم لا ينكر الناس انها مع الحسب العادي

طمت على البحر معناه لكم سابقة عظيمة لا ينكرها الناس وقال الآخر صل لذي العرش
واتخذ قدمًا تنجيك يوم العثار والزلل وقوله تعالى قال الكافرون إن هذا لسحر
وقرئ لساحر مبين وفيه حذف تقديره أكان للناس عجبًا أن أوحينا إلى رجل منهم فلما جاءهم
بالوحي وأنذرهم قال الكافرون إن هذا لساحر يعنون محمدًا صلى الله عليه وسلم وإنما نسبوه
إلى السحر لما أتاهم بالمعجزات الباهرات التي لا يقدر أحد من البشر على مثلها ومن قرأ السحر
فإنهم عنوا به القرآن المنزل عليه وإنما نسبوه إلى السحر لأن فيه الإخبار بالبعث والنشور
وكانوا ينكرون ذلك قوله عز وجل إن ربكم الله الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام
ثم استوى على العرش تقدم تفسير هذا في سورة الأعراف بما فيه كفاية وقوله تعالى يدبر
الأمر قال مجاهد يقضيه وحده وقيل معنى التدبير تنزيل الأمور في مراتبها وعلى أحكام
عواقبها وقيل إنه تعالى يقضي ويقدر على حسب مقتضى الحكمة وهو النظر في أدبار الأمور
وعواقبها لئلا يدخل في الوجود ما لا ينبغي وقيل معناه أنه تعالى يدبر أحوال الخلق
وأحوال ملكوت السموات والأرض فلا يحدث حدث في العالم العلوي ولا في العالم السفلي
إلا بإرادته وتدبيره وقضائه وحكمته ما من شفيع إلا من بعد إذنه يعني لا يشفع
عنده شافع يوم القيمة إلا من بعد أن يأذن له في الشفاعة لأنه عالم بمصالح عباده
وبموضع الصواب والحكمة في تدبيرهم فلا يجوز لأحد أن يسأله ما ليس له به علم فإذا
أذن له في الشفاعة كان له أن يشفع فيمن يأذن له فيه وفيه رد على كفار قريش في قولهم
إن الأصنام تشفع لهم عند الله يوم القيمة فأخبر الله أنه لا يشفع أحد عنده إلا بإذنه
لأن له التصرف المطلق في جميع العالم ذلكم الله ربكم يعني الذي خلق هذه الأشياء ودبرها
هو ربكم وسيدكم لا رب لكم سواه فاعبدوه يعني فاجعلوا عبادتكم له لا لغيره لأنه
المستحق للعبادة بما أنعم عليكم من النعم العظيمة أفلا تذكرون يعني أفلا تتعظون
وتعتبرون بهذه الدلايل والآيات التي تدل على وحدانيته سبحانه وتعالى قوله تعالى
إليه مرجعكم جميعًا يعني إلى ربكم الذي خلق جميع المخلوقات مصيركم جميعًا أيها الناس يوم
القيمة والمرجع بمعنى الرجوع وعد الله حقًا يعني وعدكم الله ذلك وعدًا حقًا إنه يبدؤا
الخلق ثم يعيده أي يحييهم ابتداء ثم يميتهم ثم يحييهم وهذا معنى قول مجاهد فإنه قال
يحييه ثم يميته ثم يحييه وفي هذه الآية دليل على إمكان الحشر والنشر والمعاد وصحته ووقوعه
ورد على منكري البعث ووقوعه لأن القادر على خلق هذه الأجسام المؤلفة والأعضاء المركبة
على غير مثال سبق قادر على إعادتها بعد تفريقها بالموت والبلا فتركب تلك الأجزاء المتفرقة
تركيبًا ثانيًا ويخلق الإنسان الأول مرة أخرى وكما لم يمتنع تعلق هذه النفس بالبدن في المرة
الأولى لم يمتنع تعلقها بالبدن مرة أخرى فإذا ثبت القول بصحة المعاد والبعث بعد الموت

كان المقصود منه إيصال الثواب للمطيع والعقاب للعاصي وهو قوله تعالى ليجزي الذين آمنوا
وعملوا الصالحات بالقسط يعني بالعدل لا ينقص من أجورهم شيئًا والذين كفروا لهم شراب
من حميم هو ماء حار قد انتهى حره وعذاب أليم بما كانوا يكفرون قوله عز وجل هو الذي جعل
الشمس ضياء يعني ذات ضياء والقمر نورًا أي ذا نور واختلف أصحاب الكلام في أن الشعاع الفايض
من الشمس هل هو جسم أو عرض والحق أنه عرض وهو كيفية مخصوصة فالنور اسم لأصل هذه
الكيفية والضوء اسم لهذه الكيفية إذا كانت تامة قوية فلهذا اختص الشمس بالضيا لأنه أقوى
وأكمل من النور وخص القمر بالنور لأنه أضعف من الضيا ولأنهما لو تساويا لم يعرف الليل من النهار
فدل ذلك على أن الضيا المختص بالشمس أكمل وأقوى من النور المختص بالقمر وقدره منازل قيل
الضمير في وقدره يرجع إلى الشمس والقمر والمعنى قدر لهما منازل وقدر لسيرهما منازل
لا يجاوزانها في السير ولا يقصران عنها وإنما وحد الضمير في قوله وقدره للإيجاز فاكتفى بذكر
أحدهما دون الآخر فهو كقوله والله ورسوله أحق أن يرضوه وقيل في وقدره يرجع إلى
القمر وحده لأن سير القمر في المنازل أسرع وبه يعرف انقضاء الشهور والسنين وذلك لأن
الشهور المعتبرة في الشرع مبنية على رؤية الأهلة والسنة المعتبرة في الشرع هي السنة القمرية
لا الشمسية ومنازل القمر ثمانية وعشرون منزلة وهي الشرطان والبطين والثريا والدبران
والهقعة والهنعة والذراع والنثرة والطرف والجبهة والزبرة والصرفة والعوا
والسماك والغفر والزبانا والإكليل والقلب والشولة والنعايم والبلدة وسعد
الذابح وسعد بلع وسعد السعود وسعد الأخبية وفرغ الدلو المقدم وفرغ الدلو
المؤخر وبطن الحوت فهذه منازل القمر وهي مقسومة على اثني عشر برجًا وهي الحمل والثور
والجوزاء والسرطان والأسد والسنبلة والميزان والعقرب والقوس والجدي والدلو
والحوت لكل برج منزلان وثلث منزل وينزل القمر كل ليلة منزلًا منها إلى انقضاء ثمانية وعشرين
ليلة ثم يستتر ليلتين إن كان الشهر ثلاثين وإن كان تسعًا وعشرين اختفى ليلة واحدة لتعلموا
عدد السنين يعني قدر هذه المنازل لتعلموا بها عدد السنين ووقت دخولها وانقضائها
والحساب يعني ولتعلموا حساب الشهور والأيام والساعات ونقصانها وزيادتها ما خلق الله
ذلك إلا بالحق يعني للحق وإظهار قدرته ودليل وحدانيته ولم يخلق ذلك باطلًا ولا عبثًا
يفصل الآيات لقوم يعلمون يعني يبين دلايل التوحيد بالبراهين القاطعة لقوم يستدلون
على قدرة الله ووحدانيته إن في اختلاف الليل والنهار وما خلق الله في السموات والأرض
لقوم يتقون تقدم تفسير هذه الآية في نظايرها إن الذين لا يرجون لقاءنا يعني لا يخافون
لقاءنا يوم القيامة فهم مكذبون بالثواب والعقاب والرجاء يكون بمعنى الخوف تقول العرب
فلان لا يرجو فلانًا بمعنى لا يخافه ومنه قوله تعالى ما لكم لا ترجون لله وقارًا ومنه قول أبي

ذويب الهذلي اذا لسعته النحل لم يرج لسعها اي لم يخفه والرجا يكون بمعنى الطمع
فيكون المعنى لا يطمعون في ثوابنا ورضوا بالحياة الدنيا يعني اختاروها وعملوا في طلبها
فهم راضون بزينة الدنيا وزخرفها واطمانوا بها يعني وسكنوا اليها مطمينين فيها
وهذه الطمانينة التي حصلت في قلوب الكفار من الميل الى الدنيا ولذاتها ازالت
عن قلوبهم الوجل والخوف فاذا سمعوا الانذار والتخويف لم يصل ذلك الى قلوبهم والذين
هم عن اياتنا غافلون قيل المراد بالايات ادلة التوحيد وقال ابن عباس عن اياتنا يعني محمدا
صلى الله عليه وسلم والقران غافلون اي معرضون اوليك ماويهم النار بما كانوا يكسبون
يعني من الكفر والتكذيب والاعمال الخبيثة قوله عز وجل ان الذين امنوا وعملوا الصالحات
يهديهم ربهم بايمانهم يعني يهديهم ربهم الى الجنان ثوابا لهم بايمانهم واعمالهم الصالحة
وقال مجاهد يهديهم على الصراط الى الجنة يجعل لهم نورا يمشون به وقال قتادة بلغنا
ان المومن اذا خرج من قبره يصور له عمله في صورة حسنة فيقول له من انت فيقول انا عملك
فيكون له نورا وقايدا الى الجنة والكافر بالضد فلا يزال به عمله حتى يدخله النار وقال ابن
الانباري يجوز ان يكون المعنى اذا يزيدهم هداية بخصايص ولطايف وبصاير ينور
بها قلوبهم ويزيل بها الشكوك عنهم ويجوز ان يكون المعنى ويثبتهم على الهداية وقيل معناه
بايمانهم يهديهم ربهم لدينه اي بتصديقهم هداهم تجري من تحتهم الانهار يعني بين ايديهم
ينظرون اليها من اعالي سررهم وقصورهم فهو كقوله قد جعل ربك تحتك سريا لم يرد به
انه تحتها وهي قاعدة عليه بل اراد بين يديها وقيل تجري بامرهم في جنات النعيم يعني ذلك
لهم في جنات النعيم دعواهم فيها اي قولهم وكلامهم فيها وقيل الدعوى بمعنى الدعا اي دعاوهم
فيها سبحانك اللهم وهي كلمة تنزيه لله من كل سوء ونقيصة قال اهل التفسير هذه الكلمة
علامة بين اهل الجنة والخدم في الطعام اذا ارادوا الطعام قالوا سبحانك اللهم فاتوهم في
الوقت بما يشتهون على الموايد كل مايدة ميل في ميل على كل مايدة سبعون الف صحفة في كل
صحفة لون من الطعام لا يشبه بعضها بعضا فاذا فرغوا من الطعام حمدوا الله على ما
اعطاهم فذلك قوله واخر دعواهم ان الحمد لله رب العالمين وقيل ان المراد بقوله سبحانك اللهم
اشتغال اهل الجنة بالتسبيح والتحميد والتقديس لله عز وجل والثنا عليه بما هو اهله
وفي هذا الذكر سرورهم وابتهاجهم وكمال لذتهم ويدل عليه ما روي عن جابر قال سمعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول اهل الجنة ياكلون فيها ويشربون ولا يتفلون ولا يبولون ولا يتغوطون
ولا يتمخطون قالوا فما بال الطعام قال جشا ورشح كرشح المسك يلهمون التسبيح والتحميد
كما تلهمون النفس في رواية التسبيح والحمد اخرجه مسلم قوله جشا اي يخرج ذلك الطعام
جشا وعرقا وقوله تعالى وتحيتهم فيها سلام يعني يحيي بعضهم بعضا بالسلام وقيل تحييهم الملايكة

بالسلام

بالسلام وقيل تاتيهم الملايكة من عند ربهم بالسلام واخر دعواهم ان الحمد لله رب
العالمين قد ذكرنا ان جماعة من المفسرين حملوا التسبيح والتحميد على احوال اهل الجنة
بسبب الماكول والمشروب وانهم اذا اشتهوا شيا قالوا سبحانك اللهم فيحضر ذلك
الشي واذا فرغوا منه قالوا الحمد لله رب العالمين فترفع الموايد عند ذلك وقال الزجاج
اعلم الله ان اهل الجنة يبتدون بتعظيم الله وتنزيهه ويختمون بشكره والثنا عليه
وقيل انهم يفتتحون كلامهم بالتسبيح ويختمونه بالتحميد وقيل انهم يلهمون ذلك
كما ذكر في الحديث ولو يعجل الله للناس الشر يعني ولو يعجل الله للناس اجابة دعايهم
في الشر فيما لهم فيه مضرة ومكروه في نفس ومال قال ابن عباس هذا في قول الرجل لاهله
وولده عند الغضب لعنكم الله لا بارك الله فيكم وقال قتادة هو دعا الرجل على نفسه
واهله وماله بما يكره ان يستجاب له فيه استعجالهم بالخير يعني كاستعجالهم بالخير
وكما يحبون ان يعجل لهم اجابة دعايهم بالخير لقضي اليهم اجلهم يعني لفرغ من هلاكهم
وماتوا جميعا والتعجيل تقديم الشي قبل وقته والاستعجال طلب العجلة وقال ابن قتيبة
ان الناس عند الغضب والضجر قد يدعون على انفسهم واهلهم واولادهم بالموت وتعجيل
البلا كما يدعونه بالرزق والرحمة واعطا السول يقول لو اجابهم الله اذا دعوه بالشر
الذي يستعجلون به استعجالهم بالخير لقضي اليهم اجلهم يعني لفرغ من هلاكهم ولكن
الله عز وجل بفضله وكرمه يستجيب للداعي بالخير ولا يستجيب له في الشر
وقيل ان هذه الاية نزلت في النضر بن الحارث حين قال اللهم ان كان هذا هو الحق من
عندك فامطر علينا حجارة من السما فعلى هذا يكون المعنى ولو يعجل الله للكافرين
العذاب كما عجل لهم خير الدنيا من المال والولد لعجل قضا اجالهم ولهلكوا جميعا ويدل
على صحة هذا القول قوله تعالى فنذر الذين لا يرجون لقانا يعني فندع الذين لا يخافون
عقابنا ولا يومنون بالبعث بعد الموت في طغيانهم يعني في تمردهم وعتوهم يعمهون يعني
يترددون ق عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم اني اتخذ عندك عهدا
لن تخلفنيه فانما انا بشر اغضب كما يغضب البشر فايما رجل من المسلمين سببته او لعنته
او جلدته فاجعلها له صلاة وزكاة وقربة تقربه بها اليك يوم القيامة واجعل ذلك
كفارة له يوم القيامة قوله عز وجل واذا مس الانسان الضر اي الشدة والجهد والمراد
بالانسان في هذه الاية الكافر دعانا لجنبه اي على جنبه مضطجعا او قاعدا او قايما
يريد جميع حالاته لان الانسان لا ينفك عن احدى هذه الحالات الثلاث والمعنى ان المضرور
لا يزال داعيا في كل حالاته الى ان يكشف ضره سوا كان مضطجعا او قاعدا او قايما وقال
الزجاج وجايز ان يكون المعنى اذا مس الانسان الضر لجنبه او مسه قاعدا او مسه قايما وهذا

القول فيه بعد لان ذكر الدعا في هذه الاحوال اقرب من ذكر الضر فلما كشفنا عنه ضره
يعني فلما ازلنا عنه ما نزل به من الضرر وفعناه عنه مر يعني على طريقته الاولى قبل مس
الضر كان لم يدعنا فيه حذف تقديره كانه لم يدعنا وانما اسقط الضمير على سبيل التخفيف
الى ضر مسه والمعنى انه استمر على حالته الاولى قبل ان يمسه الضر ونسي ما كان فيه من الجهد
والبلا والضيق والفقر كذلك زين للمسرفين ما كانوا يعملون يعني مثل ما زين لهذا الكافر
هذا العمل القبيح كذلك زين للمسرفين والمزين هو الله تعالى لانه مالك الملك والخلق كلهم
عبيده يتصرف فيهم كيف يشا وقيل المزين هو الشيطان وذلك باقدار الله اياه على ذلك
والمسرف هو المجاوز الحد في كل شي وانما سمي الكافر مسرفا لانه اتلف نفسه وضيعها
في عبادة الاصنام واتلف ماله وضيعه في البحاير والسوايب وما كانوا ينفقونه على
الاصنام وسدنتها يعني خدامها وقال ابن جريج في قوله كذلك زين للمسرفين ما كانوا يعملون
يعني من الدعا عند المصيبة وترك الشكر عند الرخا وقيل كما زين لكم اعمالكم كذلك زين
للمسرفين الذين كانوا قبلكم اعمالهم بيان مقصود الاية وهو ان الانسان قليل الصبر
عند نزول البلا قليل الشكر عند حصول النعما والرخا فاذا مسه الضر اقبل على الدعا والتضرع
في جميع حالاته مجتهدا في الدعا طالبا من الله ازالة ما نزل به من المحنة والبلا فاذا كشف الله
ذلك عنه اعرض عن الشكر ورجع الى ما كان عليه اولا وهذه حالة الغافل الضعيف اليقين
فاما المومن العاقل فانه بخلاف ذلك فيكون صابرا عند البلا شاكرا لله عند الرخا والنعما
كثير التضرع والدعا في اوقات الراحة والرفاهية وهاهنا مقام اعلى من هذا وهو ان المومن
اذا ابتلي ببلية او نزل به مكروه فيكون مع صبره على ذلك راضيا بقضا الله غير معرض
بالقلب عنه بل يكون شاكرا لله عز وجل في جميع احواله ويعلم العبد المومن ان الله تبارك
وتعالى مالك الملك على الاطلاق وحكيم في جميع افعاله وله التصرف في خلقه بما يشا ويعلم
انه ان ابقى عليه تلك المحنة فهو عدل وان ازالها عنه فهو فضل قوله تعالى ولقد اهلكنا
القرون من قبلكم يعني اهلكنا الامم الماضية من قبلكم يخوف بذلك كفار مكة لما ظلموا يعني
لما اشركوا وجاتهم رسلهم بالبينات يعني فكذبوهم وما كانوا ليومنوا يعني هذه الامم برسلهم
ويصدقوهم بما جاوا به من عند الله كذلك نجزي القوم المجرمين يعني كما اهلكنا الامم الخالية
لما كذبوا رسلهم كذلك نهلككم ايها المشركون بتكذيبكم محمدا صلى الله عليه وسلم ثم جعلناكم خلايف
في الارض من بعدهم الخطاب لاهل مكة الذين ارسل فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
والمعنى ثم جعلناكم ايها الناس خلفا في الارض من بعد القرون الماضية الذين اهلكناهم
لننظر كيف تعملون يعني خيرا او شرا فنعاملكم على حسب اعمالكم والنظر هنا بمعنى العلم يريد
لنختبر اعمالكم وهو يعلم ما يكون قبل ان يكون قال اهل المعاني معنى النظر هو طلب العلم وجاز

في

في وصف الله تعالى اظهارا للعدل لانه تعالى يعامل العباد معاملة من يطلب العلم بما يكون
منهم ليجازيهم بحسبه كقوله ليبلوكم ايكم احسن عملا ذكره الواحدي والرازي (م) عن ابي
سعيد الخدري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الدنيا حلوة خضرة وان الله
مستخلفكم فيها فينظر كيف تعملون فاتقوا الدنيا واتقوا النسا اخرجه مسلم قوله فاتقوا
الدنيا معناه احذروا فتنة الدنيا واحذروا فتنة النسا قوله عز وجل واذا تتلى عليهم
اياتنا بينات يعني واذا قرى على هولا المشركين ايات كتابنا الذي انزلناه اليك يا محمد
بينات يعني واضحات تدل على وحدانيتنا وصحة نبوتك قال الذين لا يرجون لقانا
يعني قال هولا المشركون الذين لا يخافون عقابنا ولا يرجون ثوابنا لانهم لا يومنون بالبعث
بعد الموت وكل من كان منكرا للبعث فانه لا يرجو ثوابا ولا يخاف عقابا ايت بقران غير هذا
او بدله قال قتادة قال ذلك مشركو مكة وقال مقاتل هم خمسة نفر عبد الله بن ابي امية
المخزومي والوليد بن المغيرة ومكرز بن حفص وعمرو بن عبد الله بن ابي قيس العامري والعاص
ابن عامر بن هشام قال هولا للنبي صلى الله عليه وسلم ان كنت تريد ان نومن بك فات بقران
غير هذا ليس فيه ترك عبادة اللات والعزى ومناة وليس فيه عيبها وان لم ينزله الله عليك
فقل انت من عند نفسك او بدله فاجعل مكان اية عذاب اية رحمة ومكان حرام حلالا
ومكان حلال حراما قال الامام فخر الدين الرازي اعلم ان اقدام الكفار على هذا الالتماس
يحتمل وجهين احدهما انهم ذكروا ذلك على سبيل السخرية والاستهزا وهو قولهم
لو جيتنا بقران غير هذا القران او بدلته لامنا بك وغرضهم السخرية والاستهزا الثاني
ان يكونوا قالوا ذلك على سبيل التجربة والامتحان حتى انه لو فعل ذلك علموا انه كان
كذابا في قوله ان هذا القران ينزل عليه من عند الله ومعنى قوله ايت بقران غير هذا
او بدله يحتمل ان ياتي بقران اخر مع وجود هذا القران والتبديل لا يكون الا مع وجوده
وهو ان يبدل بعض ايات بغيرها كما طلبوه ولما سالوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم
امره الله ان يجيبهم بقوله قل اي قل يا محمد لهولا ما يكون لي ان ابدله من تلقا نفسي يعني ان
هذا الذي طلبتموه من التبديل ليس الي وما ينبغي لي ان اغيره من قبل نفسي ولم اومر به ان اتبع
الا ما يوحى الي يعني فيما امركم به او انهاكم عنه وما اخبركم الا بما يخبرني الله به وان الذي
اتيتكم به هو من عند الله لا من عندي اني اخاف ان عصيت ربي عذاب يوم عظيم اي قل
لهم يا محمد اني اخشى من الله ان خالفت امره او غيرت احكام كتابه او بدلته فعصيته بذلك
ان يعذبني بعذاب عظيم في يوم تذهل كل مرضعة عما ارضعت قوله قل اي قل يا محمد لهولا
المشركين الذين طلبوا منك تغيير القران وتبديله لو شا الله ما تلوته عليكم يعني لو شا الله
لم ينزل علي هذا القران ولم يامرني بقراته عليكم ولا ادراكم به قال ابن عباس ولا اعلمكم به وقيل

ولا ادراكم الله به ولا اعلمكم به فقد لبثت فيكم عمرا من قبله يعني فقد مكثت فيكم قبل ان
يوحى هذا القران مدة اربعين سنة لم اتكم بشيء ووجه هذا الاحتجاج ان كفار مكة
كانوا قد شاهدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل مبعثه وعلموا احواله وانه كان اميا
لم يطالع كتابا ولا تعلم من احد مدة عمره قبل الوحي وذلك اربعون سنة ثم بعد الاربعين
جاءهم بهذا الكتاب العظيم المشتمل على نفايس العلوم واخبار الماضين وفيه من الاحكام
والاداب ومكارم الاخلاق والفصاحة والبلاغة ما اعجز العلما والفصحا
عن معارضته فكل من له عقل سليم وفهم ثاقب يعلم ان هذا لم يحصل الا بوحي
من الله تعالى لا من عند نفسه وهو قوله افلا تعقلون يعني ان هذا القران من عند الله
اوحاه الي لا من قبل نفسي ق عن ابن عباس قال انزل الله على رسول الله صلى الله عليه وسلم
وهو ابن اربعين فمكث ثلاث عشر ثم امر بالهجرة فهاجر الى المدينة فمكث بها عشر
سنين ثم توفي صلى الله عليه وسلم وفي رواية ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اقام بمكة
ثلاث عشرة يوحى اليه وتوفي وهو ابن ثلاث وستين سنة وفي رواية ان النبي صلى الله
عليه وسلم اقام بمكة خمس عشرة سنة يسمع الصوت ويرى الضوء ولا يرى شيا سبع سنين
وثمان سنين يوحى اليه واقام بالمدينة عشرا وتوفي وهو ابن خمس وستين سنة اخرجاه
في الصحيحين ق عن عايشة ان النبي صلى الله عليه وسلم توفي وهو ابن ثلاث وستين
سنة اخرجاه في الصحيحين م عن انس قال توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ابن
ثلاث وستين سنة وابو بكر وهو ابن ثلاث وستين وعمر وهو ابن ثلاث وستين
اخرجه مسلم ق عن ربيعة بن ابي عبد الرحمن قال انس بن مالك يصف رسول الله صلى
الله عليه وسلم يقول كان ربعة من القوم لا بالطويل البائن ولا بالقصير ازهر اللون
ليس بالابيض الامهق ولا بالادم ليس بجعد ولا قطط ولا سبط رجل انزل عليه وهو ابن
اربعين سنة فلبث بمكة عشر سنين ينزل عليه الوحي وبالمدينة عشرا وتوفاه الله
على راس ستين سنة وليس في راسه ولحيته عشرون شعرة بيضا اخرجاه في الصحيحين
قال الشيخ محيي الدين النواوي ورد في عمره صلى الله عليه وسلم ثلاث روايات احدها انه
صلى الله عليه وسلم توفي وهو ابن ستين سنة والثانية خمس وستون سنة والثالثة
ثلاث وستون سنة وهي اصحها واشهرها رواه مسلم من حديث انس وعايشة وابن
عباس واتفق العلما على ان اصحها ثلاث وستون سنة وتاولوا الباقي عليه فرواية
ستين اقتصر فيها على العقود وترك الكسور ورواية الخمس متاولة ايضا وحصل فيها
اشتباه قوله يسمع الصوت يعني صوت الهاتف من الملايكة ويرى الضوء يعني نور الملايكة
او نور ايات الله حتى راى الملك بعينه وشافهه بالوحي من الله عز وجل وقوله ليس بالابيض

الامهق المراد به الشديد البياض كلون الجص وهو كريه المنظر وربما توهم الناظر
انه برص والمراد انه كان ازهر اللون بين البياض والسمرة قوله عز وجل فمن اظلم ممن افترى على
الله كذبا يعني فزعم ان له شريكا وولدا والمعنى اني لم افتر على الله كذبا ولم اكذب عليه
في قولي ان هذا القران من عند الله وانتم قد افتريتم على الله الكذب فزعمتم ان له شريكا
وولدا والله منزه عن الشريك والولد وقيل معناه ان هذا القران لو لم يكن من عند الله
لما كان احد في الدنيا اظلم على نفسه مني حيث افتريته على الله ولما كان هذا القران من
عند الله اوحاه الي وجب ان يقال ليس احد في الدنيا اجهل ولا اظلم على نفسه منكم من
حيث انكم انكرتم ان يكون هذا القران من عند الله فقد كذبتم باياته وهو قوله او
كذب باياته يعني جحد بكون القران من الله وانكر دلايل التوحيد انه لا يفلح المجرمون
يعني المشركين وهذا وعيد وتاكيد لما سبق ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم
يعني ويعبد هولا المشركون الاصنام التي لا تضرهم ان عصوها وتركوا عبادتها ولا
تنفعهم ان عبدوها لانها حجارة وجماد لا تضر ولا تنفع ولان العبادة اعظم انواع
التعظيم فلا تليق الا بمن يضر وينفع ويحيي ويميت وهذه الاصنام جماد وحجارة لا تضر
ولا تنفع ويقولون هولاء يعني الاصنام التي يعبدونها شفعاونا عند الله قال اهل
المعاني توهموا ان عبادتها اشد في تعظيم الله من عبادتهم اياه وقالوا لسنا باهل
ان نعبد الله ولكن نشتغل بعبادة هذه الاصنام فانها تكون شفعا لنا عند الله
ومنه قوله اخبارا عنهم ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى وفي هذه الشفاعة قولان
احدهما انهم يزعمون انها تشفع لهم في الاخرة قاله ابن جريج عن ابن عباس والثاني انها
تشفع لهم في الدنيا في اصلاح معايشهم قاله الحسن لانهم كانوا لا يعتقدون بعثا بعد الموت
قل اي قل لهم يا محمد اتنبيون الله بما لا يعلم في السموات ولا في الارض يعني اتخبرون الله
ان له شريكا ولا يعلم لنفسه شريكا في السموات ولا في الارض وهذا على طريق الالزام
والمقصود نفي علم الله بذلك الشفيع وانه لا وجود له البتة لانه لو كان موجودا لعلمه الله
وحيث لم يكن معلوما لله وجب ان لا يكون موجودا ومثل هذا مشهور في العرف فان
الانسان اذا اراد نفي شي حصل في نفسه يقول ما علم الله ذلك مني ومقصوده انه ما حصل
ذلك الشي منه قط ولا وقع سبحانه وتعالى عما يشركون نزه الله تعالى نفسه عن الشركا والاضداد
والانداد وتعالى ان يكون شي في السموات والارض ولا يعلمه قوله تعالى وما كان الناس الا
امة واحدة فاختلفوا يعني فتفرقوا الى مومن وكافر يعني كانوا جميعا على الدين الحق
وهو دين الاسلام الى ان قتل قابيل هابيل ثم اختلفوا وقيل بقوا على ذلك الى زمن نوح
عليه السلام ثم اختلفوا فبعث الله نوحا وقيل انهم كانوا على دين الاسلام وقت خروج

نوح ومن معه في السفينة ثم اختلفوا بعد ذلك وقيل كانوا على دين الاسلام من عهد
ابراهيم الخليل عليه السلام الى ان غيره عمرو بن لحي فعلى هذا القول يكون المراد من الناس
في قوله وما كان الناس الا امة واحدة العرب خاصة وقيل كان الناس امة واحدة يعني في
الكفر وهذا القول منقول عن جماعة من المفسرين ويدل عليه قوله في سورة البقرة فبعث الله
النبيين وتقديره انه لا مطمع في ان يصير الناس على دين واحد فانهم كانوا اولا على الكفر
وانما اسلم بعضهم ففيه تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم وقيل كان الناس امة واحدة
وليس في الاية ما يدل على اي دين كانوا من ايمان او كفر فهو موقوف على دليل من خارج وقيل
معناه انهم كانوا في اول الخلق على الفطرة السليمة الصحيحة ثم اختلفوا في الاديان واليه
الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم كل مولود يولد على الفطرة فابواه يهودانه او ينصرانه او يمجسانه
والمراد بالفطرة في الحديث فطرة الاسلام وقوله تعالى ولولا كلمة سبقت من ربك يعني انه
تعالى جعل لكل امة اجلا وقضى بذلك في سابق الازل قال الكلبي هي امهال هذه الامة وانه
لا يهلكهم بالعذاب لقضي بينهم يعني بنزول العذاب وتعجيل العقوبة للمكذبين لكان ذلك
فصلا بينهم فيما فيه يختلفون وقال الحسن ولولا كلمة سبقت من ربك يعني مضت في حكمة الله
انه لا يقضي عليهم فيما اختلفوا فيه بالثواب والعقاب دون يوم القيمة لقضي بينهم في
الدنيا فادخل المومنين الجنة بايمانهم وادخل الكافرين النار بكفرهم ولكن سبق من الله الاجل
فجعل موعدهم يوم القيمة وقيل سبق من الله انه لا ياخذ احدا الا بعد اقامة الحجة عليه
وقيل الكلمة التي سبقت من الله هي قوله ان رحمتي سبقت غضبي ولولا رحمته لعجل لهم العقوبة
في الدنيا ولكن اخرهم برحمته الى يوم القيمة ثم يقضي بينهم فيما كانوا فيه يختلفون يعني في
الدنيا ويقولون يعني كفار مكة لولا انزل عليه اية من ربه يعني هلا انزل على محمد ما نقترحه
عليه من الايات فقل اي قل لهم يا محمد انما الغيب لله يعني ان الذي سالتموه هو من الغيب
وانما الغيب لله لا يعلم احد ذلك الا هو والمعنى لا يعلم احد متى نزول الاية الا هو فانتظروا
يعني نزولها اني معكم من المنتظرين وقيل معناه فانتظروا قضا الله بيننا باظهار الحق على المبطل
اني معكم من المنتظرين قوله عز وجل واذا اذقنا الناس رحمة يعني رخا ونعمة من بعد ضرا مستهم
يعني من بعد شدة وبلا وضيق في العيش اصابهم والمراد بالناس هنا كفار مكة وذلك ان الله
حبس عنهم المطر سبع سنين حتى هلكوا من الجوع والقحط ثم ان الله تعالى رحمهم فانزل
عليهم المطر الكثير حتى اخصبت البلاد وعاش الناس بعد ذلك الضر فلم يتعظوا بذلك
بل رجعوا الى العناد والكفر والمكر وهو قوله اذا لهم مكر في اياتنا قال مجاهد اي تكذيب واستهزاء
وقال مقاتل بن حيان لا يقولون هذا رزق الله انما يقولون سقينا بنوء كذا وكذا ويدل على صحة
هذا القول ما روي عن زيد بن خالد الجهني قال صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة

الصبح بالحديبية على اثر سما كانت من الليل فلما انصرف اقبل على الناس فقال هل تدرون
ماذا قال ربكم قالوا الله ورسوله اعلم قال قال اصبح من عبادي مومن بي وكافر فاما من قال
مطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مومن بي كافر بالكوكب واما من قال مطرنا بنوء كذا وكذا فذلك
كافر بي مومن بالكوكب اخرجاه في الصحيحين قوله على اثر سما اي مطر كان قد وقع في الليل
وسمي المطر سما لانه يقطر من السما والانوا عند العرب هي منازل القمر اذا طلع نجم سقط نظيره
وكانوا يعتقدون في الجاهلية انه لا بد عند ذلك من وجود مطر او ريح كما يزعم المنجمون ايضا
فمن العرب من يجعل ذلك التاثير للطالع لانه ناء اي ظهر وطلع ومنهم من ينسبه للغارب فنفى
النبي صلى الله عليه وسلم صحة ذلك ونهى عنه وكفر معتقده اذا اعتقد انه فاعل ذلك التاثير واما من
يجعله دليلا فهو جاهل بمعنى الدلالة واما من اسند ذلك الى العادة التي يجوز انخرامها فقد
كرهه قوم وجوزه قوم ومنهم من تاول الكفر كفر نعمه والله اعلم وسمي تكذيبهم بايات الله مكرا
لان المكر عبارة عن صرف الشي عن وجهه الظاهر بنوع من الحيلة وكان كفار مكة يحتالون في
دفع ايات الله بكل ما يقدرون عليه من المفاسد قل الله اسرع مكرا اي قل لهم يا محمد الله اعجل
عقوبة واشد اخذا واقدر على الجزا وان عذابه في هلاككم اسرع اليكم مما ياتي منكم في دفع
الحق ولما قابلوا نعمة الله بالمكر قابل مكرهم بمكر اشد منه وهو امهالهم الى يوم القيمة
ان رسلنا يكتبون ما تمكرون يعني الحفظة الكرام الكاتبين يكتبون ويحفظون عليهم اعمالهم القبيحة
السيئة الى يوم القيمة حتى يفتضحوا بها ويجزون على مكرهم قوله تعالى هو الذي يسيركم في البر والبحر
يعني والله الذي يسيركم ويحملكم في البر على الدواب وفي البحر على الفلك وقيل معناه والله الهادي
لكم الى السير في البر والبحر طلبا للمعاش وهو المهيئ لكم اسباب السير في البر والبحر حتى اذا كنتم
في الفلك يعني السفن ولفظة الفلك تطلق على الواحد والجمع وتقديرهما مختلفان فان اريد
به الواحد كان كقفل وان اريد به الجمع كان كحمر والمراد به هنا الجمع لقوله تعالى وجرين
بهم يعني وجرت الفلك بركابها فان قلت ما فائدة صرف الكلام عن الخطاب الى الغيبة قلت
قال صاحب الكشاف المقصود منه المبالغة كانه يذكر لغيرهم حالهم ليعجبهم منها ويستدعي منهم
مزيد الانكار والتقبيح وقال غيره ان مخاطبة الله لعباده هو على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم
فهو بمنزلة الخبر عن الغايب وكل من اقام الغايب مقام المخاطب حسن منه ان يرده الى الغايب
وقيل ان الالتفات في الكلام من الغيبة الى الحضور وبالعكس هو من فصيح كلام العرب بريح طيبة
يعني وجرت السفن بريح طيبة ساكنة وفرحوا بها يعني وفرح ركاب الفلك بتلك الريح
الطيبة لان الانسان اذا ركب السفينة ووجد الريح الطيبة الموافقة للمقصود حصل
له النفع التام والمسرة العظيمة بذلك جاءتها ريح عاصف قيل الضمير في جاءتها يرجع الى الريح
فيكون المعنى جاءت الريح الطيبة ريح عاصف شديدة فاقلبتها وقيل الضمير في جاءتها

يرجع الى الفلك يعني جات الفلك ريح عاصف يقال ريح عاصف وعاصفة ومعنى عصفت
الريح اي اشتدت واصل العصف السرعة وانما قال عاصف لانه يراد ذات عصوف
او لاجل ان لفظ الريح قد تذكر وجاءهم الموج من كل مكان يعني وجا ركبان السفينة الموج وهو
ما ارتفع وعلا من غوارب الما في البحر وقيل هو شدة حركة الما واختلاطه وظنوا انهم احيط
بهم يعني وظنوا ان الهلاك قد احاط بهم واحدق وقيل المراد من الظن اليقين اي وايقنوا انه الهلاك
وقيل بل المراد هنا المقاربة من الهلاك والدنو منه والاشراف عليه دعوا الله مخلصين له الدين
يعني انهم اخلصوا في الدعا لله عز وجل ولم يدعوا احدا سواه من الهتهم وقيل في معنى هذا
الاخلاص لعلم الحقيقي لا اخلاص الايمان لانهم كانوا يعلمون حقيقة انه لا ينجيهم من جميع
الشدايد والبلايا الا الله تعالى فكانوا اذا وقعوا في شدة وضر وبلا اخلصوا لله الدعا لين
انجيتنا اي قايلين لين انجيتنا يا ربنا من هذه يعني من هذه الشدايد التي نحن فيها وهي الريح
العاصفة والامواج الشديدة لنكونن من الشاكرين يعني من الشاكرين لك على نعامك علينا
بخلاصنا مما نحن فيه من هذه الشدة فلما انجاهم يعني فلما انجا الله هولاء الذين ظنوا انهم
احيط بهم من الشدة التي كانوا فيها اذا هم يبغون في الارض بغير الحق يعني انهم اخلفوا الله
ما وعدوه وبغوا في الارض فتجاوزوا فيها الى غير ما امر الله به من الكفر والعمل بالمعاصي على ظهرها
واصل البغي مجاوزة الحد قال صاحب المفردات والبغي على ضربين احدهما محمود وهو مجاوزة
العدل الى الاحسان والفرض الى التطوع والثاني مذموم وهو مجاوزة الحق الى الباطل او الى
الشبهة قال صاحب الكشاف فان قلت ما معنى قوله بغير الحق والبغي لا يكون بحق قلت بلى
قد يكون بحق وهو استيلا المسلمين على ارض الكفرة وهدم دورهم واحراق زروعهم وقلع اشجارهم
كما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ببني قريظة يا ايها الناس انما بغيكم على انفسكم يعني ان
وبال بغيكم راجع عليكم متاع الحياة الدنيا قيل هو كلام مبتدا والمعنى ان بغي بعضكم على بعض
هو متاع الحيوة الدنيا لا يصلح لزاد الاخرة وقيل هو كلام متصل بما قبله والمعنى يا ايها الناس
انما بغيكم على انفسكم لا يتهيا ان يبغي بعضكم على بعض الا اياما قليلة وهي مدة حياتكم
مع قصرها في سرعة انقضايها والبغي من منكرات الذنوب العظام قال بعضهم لو بغى جبل على
جبل لاندك الباغي وقد نظم بعضهم هذا المعنى شعرا وكان المامون يتمثل به • يا صاحب
البغي ان البغي مصرعة • فارجع فخير مقال المرء اعدله • فلو بغى جبل يوما على جبل • لاندك منه
اعاليه واسفله • وقوله تعالى ثم الينا مرجعكم يعني يوم القيمة فننبيكم فنخبركم بما كنتم تعملون
يعني في الدنيا من البغي والمعاصي فنجازيكم عليها قوله عز وجل انما مثل الحيوة الدنيا يعني في فنايها
وزوالها كما انزلناه من السما يعني المطر فاختلط به اي بالمطر نبات الارض قال ابن عباس نبت بالما
من كل لون مما ياكل الناس يعني من الحبوب والثمار والانعام يعني ومما ياكل الانعام من الحشيش ونحوه

حتى

حتى اذا اخذت الارض زخرفها يعني حسنها ونضارتها وبهجتها واظهرت الوان زهرها
من ابيض واحمر واصفر وغير ذلك من الزهور وازينت اي وتزينت وظن اهلها يعني اهل تلك
الارض انهم قادرون عليها يعني على جذاذها وقطافها وحصادها رد الكناية الى الارض
والمراد النبات اذ كان مفهوما وقيل رده الى الثمرة والغلة وقيل الى الزينة اتاها امرنا يعني
قضاونا بهلاكها ليلا او نهارا يعني في الليل او النهار فجعلناها حصيدا يعني محصودة
مقطوعة كان لم تغن بالامس يعني كان لم تكن تلك الاشجار والنبات والزرع ثابتة قايمة على ظهر
الارض واصله من غني فلان بالمكان اذا اقام به وهذا مثل ضربه الله تعالى للمتشبث بالدنيا
الراغب في زهرتها وحسنها وذلك انه تعالى لما قال يا ايها الناس انما بغيكم على انفسكم متاع
الحياة الدنيا اتبعه بهذا المثل لمن بغى في الارض وتجبر فيها وركن الى الدنيا واعرض عن
الاخرة لان النبات في اول بروزه من الارض ومبدا خروجه يكون ضعيفا فاذا نزل عليه المطر
واختلط به قوي وحسن واكتسى كمال الرونق والزينة وهو المراد من قوله حتى اذا اخذت الارض
زخرفها وازينت يعني بالنبات والزخرف عبارة عن كمال حسن الشي فجعلت الارض اخذة
زخرفها على التشبيه بالعروس اذا لبست الثياب الفاخرة من كل لون حسن من حمرة وخضرة
وصفرة وبياض ولا شك ان الارض متى كانت على هذه الصفة فانه يفرح بها صاحبها
ويعظم رجاوه في الانتفاع بها وبما فيها ثم ان الله تعالى ارسل على هذه الارض صاعقة
او بردا او ريحا فجعلها حصيدا كان لم تكن من قبل قال قتادة ان المتشبث بالدنيا ياتيه امر الله
وعذابه اغفل ما يكون ووجه التمثيل ان غاية هذه الحياة الدنيا التي ينتفع بها المرء كغاية
هذا النبات الذي لما عظم في الانتفاع به وقع الياس منه ولان المتمسك بالدنيا اذا نال منها
بغيته اتاه الموت بغتة فسلبه مما هو فيه من نعيم الدنيا ولذاتها وقيل يحتمل ان يكون ضرب هذا
المثل لمن ينكر المعاد والبعث بعد الموت وذلك لان الزرع اذا انتهى وتكامل في الحسن الى الغاية
القصوى اتاه افة فتلف بالكلية ثم ان الله تعالى قادر على اعادته كما كان اول مرة فضرب الله تعالى
هذا المثل ليدل على ان من قدر على اعادة ذلك النبات بعد التلف كان قادرا على اعادة الاموات احيا
في الاخرة ليجازيهم على اعمالهم فيثيب الطايع ويعاقب العاصي كذلك نفصل الايات لقوم يتفكرون
يعني كما بينا لكم مثل الحياة الدنيا وعرفناكم حكمها كذلك نبين حججنا وادلتنا لمن تفكر واعتبر
ليكون ذلك موجبا وسببا لزوال الشك والشبهة من القلوب قوله تعالى والله يدعوا الى دار
السلام لما ذكر الله زهرة الحياة الدنيا وانها فانية زايلة لا محالة دعا الى داره دار السلام
قال قتادة الله هو السلام وداره الجنة فعلى هذا السلام اسم من اسما الله عز وجل ومعناه
انه تعالى سلم من جميع النقايص والعيوب والفنا والتغير وقيل انه تعالى يوصف بالسلام
لان الخلق سلموا من ظلمه وقيل يوصف بالسلام بمعنى ذو السلام اي لا يقدر على تخليص العاجزين

من المكاره والافات الا هو وقيل دار السلام اسم للجنة وهو جمع سلام والمعنى ان من دخلها فقد
سلم من جميع الافات كالموت والمرض والمصايب والحزن والغم والتعب والنكد وقيل سميت
الجنة دار السلام لان الله تعالى يسلم على اهلها او تسلم الملايكة عليهم وقيل ان من كمال رحمة الله
وجوده وكرمه على عباده ان دعاهم الى جنته هي دار السلام وفيه دليل على ان فيها ما لا عين رات
ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر لان العظيم لا يدعو الا الى العظيم ولا يصف الا عظيما
وقد وصف الله الجنة في ايات كثيرة من كتابه ويهدي من يشا الى صراط مستقيم يعني والله
يهدي من يشا من خلقه الى صراطه المستقيم وهو دين الاسلام عم بالدعوة اولا اظهار الحجة
وخص بالدعوة ثانيا استغنا عن الخلق واظهار القدرة فحصلت المغايرة بين الدعوتين خ عن
جابر قال جات ملايكة الى النبي صلى الله عليه وسلم وهو نايم فقال بعضهم انه نايم وقال بعضهم
العين نايمة والقلب يقظان فقالوا ان لصاحبكم مثلا فاضربوا له مثلا فقالوا مثله كمثل رجل بنى
دارا وجعل فيها مادبة وبعث داعيا فمن اجاب الداعي دخل الدار واكل من المادبة ومن لم يجب
الداعي لم يدخل الدار ولم ياكل من المادبة فقالوا اولوها له يفقهها فقال بعضهم ان العين نايمة
والقلب يقظان فالدار الجنة والداعي محمد فمن اطاع محمدا فقد اطاع الله ومن عصى محمدا فقد
عصى الله ومحمد فرق بين الناس وفي رواية قال جابر خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم
لم يزد قال الحميدي وذكر ابو مسعود اوله فقال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
اني رايت في المنام كان جبريل عند راسي وميكايل عند رجلي يقول احدهما لصاحبه اضرب له
مثلا وذكر عن النواس بن سمعان قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله ضرب مثلا صراطا
مستقيما على كنفي الصراط زوران لهما ابواب مفتحة على الابواب ستور وداع يدعو على
راس الصراط وداع يدعو فوقه والله يدعو الى دار السلام ويهدي من يشا الى صراط مستقيم
والابواب التي على كنفي الصراط حدود الله فلا يقع احد في حدود الله حتى يكشف الستر والذي
يدعو من فوقه واعظ ربه اخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب قوله عز وجل للذين
احسنوا الحسنى قال ابن عباس للذين شهدوا ان لا اله الا الله الجنة وقيل معناه للذين احسنوا
عبادة الله في الدنيا من خلقه واطاعوه فيما امرهم به ولهم عند الحسنى قال ابن الانباري
الحسنى في اللغة تانيث الاحسن والعرب توقع هذه اللفظة على الخصلة المحبوبة والخصلة
المرغوب فيها وقيل معناه للذين احسنوا المثوبة الحسنى وزيادة اختلف اهل التفسير في
معنى هذه الحسنى وهذه الزيادة على قولين القول الاول ان الحسنى هي الجنة والزيادة هي النظر
الى وجه الله الكريم وهذا قول جماعة من الصحابة منهم ابو بكر الصديق وحذيفة وابو موسى
الاشعري وعبادة بن الصامت وهو قول الحسن وعكرمة والضحاك ومقاتل والسدي
ويدل على صحة هذا القول المنقول والمعقول اما المنقول فما روي عن صهيب ان رسول

الله صلى الله عليه وسلم قال اذا دخل اهل الجنة الجنة يقول الله تبارك وتعالى تريدون شيا
ازيدكم فيقولون الم تبيض وجوهنا الم تدخلنا الجنة وتنجينا من النار قال فيكشف الحجاب
فما اعطوا شيا احب اليهم من النظر الى ربهم تبارك وتعالى زاد في رواية ثم تلا هذه الاية للذين
احسنوا الحسنى وزيادة اخرجه مسلم وروى الطبري بسنده عن كعب بن عجرة عن النبي صلى الله
عليه وسلم في قوله للذين احسنوا الحسنى وزيادة قال الزيادة النظر الى وجه الله الكريم وبه عن ابي
ابن كعب انه سال رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قول الله تعالى للذين احسنوا الحسنى وزيادة
قال الحسنى الجنة والزيادة النظر الى وجه الله الكريم وبه عن ابي بكر الصديق للذين احسنوا
الحسنى وزيادة قال النظر الى وجه الله وبه عن ابي موسى الاشعري قال اذا كان يوم القيامة بعث
الله الى اهل الجنة مناديا ينادي هل انجزكم الله ما وعدكم فينظرون الى ما اعد الله لهم من الكرامات
فيقولون نعم فيقول الله للذين احسنوا الحسنى وزيادة النظر الى وجه الرحمن تبارك وتعالى وفي رواية
رفعه ابو موسى قال عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله يبعث يوم القيامة وذكره بمعناه
وبه عن عبد الرحمن بن ابي ليلى قال اذا دخل اهل الجنة الجنة قال لهم قد بقي من حقكم شي لم تعطوه
قال فيتجلى لهم جل وعز قال فيصغر عندهم كل شي اعطوه ثم قال للذين احسنوا الحسنى وزيادة قال
الحسنى الجنة والزيادة النظر الى وجه ربهم فهذه الاخبار والاثار قد دلت على ان المراد بهذه
الزيادة هي النظر الى وجه الله تبارك وتعالى واما المعقول فنقول ان الحسنى لفظة مفردة دخل
عليها حرف التعريف فانصرف الى المعهود السابق وهو الجنة في قوله والله يدعو الى دار السلام
فثبت بهذا ان المراد من لفظة الحسنى هي الجنة واذا ثبت هذا وجب ان يكون المراد من الزيادة
امر مغاير لكل ما في الجنة من النعيم والا لزم التكرار واذا كان كذلك وجب حمل هذه الزيادة
على روية الله تبارك وتعالى ومما يوكد ذلك قوله تعالى وجوه يوميذ ناضرة الى ربها ناظرة
فاثبت لاهل الجنة امرين احدهما النضارة وهو حسن الوجوه وذلك من نعيم الجنة والثاني النظر
الى وجه الله تعالى وايات القران يفسر بعضها بعضا فوجب حمل الحسنى على الجنة ونعيمها وحمل
الزيادة على روية الله تبارك وتعالى قالت المعتزلة لا يجوز حمل هذه الزيادة على الروية لان
الدلايل العقلية دلت على ان روية الله تعالى ممتنعة ولان الزيادة يجب ان تكون من جنس المزيد
عليه وروية الله ليست من جنس نعيم الجنة ولان الاخبار التي تقدمت توجب التشبيه ولان جماعة
من المفسرين حملوا هذه الزيادة على غير الروية فانتفى ما قلتم اجاب اصحابنا عن هذه
الاعتراضات بان الدلايل العقلية قد دلت على امكان وقوع روية الله في الاخرة واذا لم يوجد
في العقل ما يمنع من رويته وجاءت الاحاديث الصحيحة باثبات الروية وجب المصير اليها
واجراوها على ظواهرها من غير تشبيه ولا احاطة واجيب عن قولهم بان الزيادة يجب
ان تكون من جنس المزيد عليه فنقول المزيد عليه اذا كان نعمة لا بمقدار معين كانت الزيادة من جنسه

واذا لم يكن بمقدار معين وجب ان تكون الزيادة مخالفة له فالمذكور في الاية لفظ
الحسنى وهي الجنة ونعيمها غير مقدر بمقدار معين وجب ان الزيادة عليها تكون
شيا مغايرا لنعيم الجنة وذلك المغاير هو الروية واجيب عن قولهم بان جماعة
من المفسرين حملوا الزيادة على غير الروية فمعارض بقول جماعة من المفسرين بان الزيادة
هي الروية والمثبت مقدم على النافي والله اعلم القول الثاني في معنى هذه الزيادة ما روي
عن علي بن ابي طالب انه قال الزيادة غرفة من لولوة واحدة لها اربعة ابواب القول
الثالث ان الحسنى واحدة الحسنات والزيادة التضعيف الى تمام العشر الى سبعماية
قال ابن عباس هو مثل قوله تعالى ولدينا مزيد يقول يجزيهم بعملهم ونزيدهم من فضله
قال قتادة كان الحسن يقول الزيادة بالحسنة عشر امثالها الى سبعماية ضعف القول
الرابع ان الحسنى حسنة مثل حسنة والزيادة مغفرة من الله ورضوان قاله مجاهد
القول الخامس قول ابن زيد ان الحسنى هي الجنة والزيادة ما اعطاهم في الدنيا لا يحاسبهم
به يوم القيامة وقوله تعالى **ولا يرهق وجوههم** يعني ولا يغشى وجوه اهل الجنة
قتر اي كابة ولا كسوف ولا غبار وقال ابن عباس هو سواد الوجوه **ولا ذلة** يعني ولا
هوان قال ابن ابي ليلى هذا بعد نظرهم الى ربهم تبارك وتعالى **اولئك اصحاب الجنة هم**
فيها خالدون يعني ان هولا الذين وصفت صفتهم هم اصحاب الجنة لا غيرهم وهم فيها
مقيمون لا يخرجون منها ابدا قوله تعالى **والذين كسبوا السيات جزا سيئة بمثلها** اعلم
انه لما شرح الله تعالى احوال المحسنين وما اعد لهم من الكرامة شرح في هذه الاية
حال من اقدم على السيات والمراد بهم الكفار فقال تعالى والذين كسبوا السيات يعني
والذين عملوا الكفر والمعاصي جزا سيئة بمثلها يعني فلهم جزا السيئة التي عملوها
مثلها من العقاب والمقصود من هذا التقييد التنبيه على الفرق بين الحسنات والسيات
لان الحسنات يضاعف ثوابها لعاملها من الواحدة الى العشرة الى السبعماية الى
اضعاف كثيرة وذلك تفضلا منه وتكرما واما السيات فانه يجازي عليها بمثلها
عدلا منه سبحانه وتعالى **وترهقهم ذلة** قال ابن عباس تغشاهم ذلة وشدة وقيل تغشاهم
ذلة وهوان بعقاب الله اياهم **ما لهم من الله من عاصم** يعني ما لهم مانع يمنعهم من
عذاب الله اذا نزل بهم **كانما اغشيت وجوههم قطعا من الليل مظلما** يعني كانما
البست وجوههم سوادا من الليل المظلم **اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون**
قوله تعالى **ويوم نحشرهم جميعا** الحشر الجمع من كل جانب وناحية الى موضع واحد
والمعنى ويوم نجمع الخلايق جميعا لموقف الحساب وهو يوم القيامة **ثم نقول للذين**
اشركوا مكانكم اي الزموا مكانكم واثبتوا فيه حتى تسالوا وفي هذا وعيد وتهديد

للعابدين

للعابدين والمعبودين **انتم وشركاؤكم** يعني انتم ايها المشركون والاصنام التي كنتم
تعبدونها من دون الله **فزيلنا بينهم** يعني فرقنا بين العابدين والمعبودين وميزنا
بينهم وانقطع ما كان بينهم من التواصل في الدنيا فان قلت قوله فزيلنا بينهم
جا على لفظ الماضي بعد قوله ثم نقول للذين اشركوا وهو منتظر في المستقبل فما وجهه
قلت السبب فيه ان الذي حكم الله فيه بانه سيكون صاير كالكاين الان اما قوله **وقال**
شركاؤهم يعني الاصنام التي كانوا يعبدونها من دون الله وانما سماهم شركاهم لانهم
جعلوا لهم نصيبا من اموالهم ولانه تعالى لما خاطب العابدين والمعبودين بقوله
مكانكم فقد صاروا شركا في هذا الخطاب **ما كنتم ايانا تعبدون** تبرا المعبودون من
العابدين فان قلت كيف صدر هذا الكلام عن الاصنام وهي جماد لا روح فيه ولا عقل
لها قلت يحتمل ان الله خلق لها في ذلك اليوم الحياة والعقل والنطق حتى قدرت على هذا
الكلام فان قلت اذا احياهم الله في ذلك اليوم فهل يفنيهم او يبقيهم قلت الكل محتمل
ولا اعتراض على الله في شي من افعاله واحوال القيامة غير معلومة الا ما دل عليه
الدليل من كتاب وسنة فان قلت ان الاصنام قد انكرت ان الكفار كانوا يعبدونها
وقد كانوا يعبدونها قلت قد تقدم من هذه المسالة وجوابها في تفسير سورة الانعام
ونقول هنا قال مجاهد يكون في يوم القيامة ساعة فيها شدة تنصب لهم الالهة
التي كانوا يعبدونها من دون الله فتقول الالهة والله ما كنا نسمع ولا نبصر ولا نعقل
ولا نعلم انكم تعبدوننا فيقولون والله اياكم كنا نعبد فتقول لهم الالهة **فكفى بالله شهيدا**
بيننا وبينكم ان كنا عن عبادتكم لغافلين والمعنى قد علم الله وكفى به شهيدا انا ما علمنا
انكم كنتم تعبدوننا وما كنا عن عبادتكم ايانا من دون الله الا غافلين لا نشعر بذلك اما
قوله تعالى **هنالك تبلوا كل نفس ما اسلفت** فهو كالتتمة للاية المتقدمة والمعنى ان في ذلك
المقام او في ذلك الوقت على معنى استعارة اطلاق اسم المكان على الزمان وفي قوله تبلوا قراات
قرى بتاين ولها معنيان احدهما انه من تلاه اذا تبعه اي تتبع كل نفس ما اسلفت لان العمل
هو الذي يهدي النفس الى الثواب والعقاب الثاني ان يكون من التلاوة والمعنى ان كل
نفس تقرا صحيفة عملها من خير او شر وقرى تبلوا بالتا والبا ومعناه تختبر وتعلم والبلو
الاختبار ومعناه اختبار ما اسلفت انه قدم خيرا او شرا قدم عليه وجوزي به
وردوا الى الله مولاهم الحق الرد عبارة عن صرف الشي الى الموضع الذي جا منه والمعنى
وردوا الى ما يظهر لهم من الله الذي هو مالكهم ومتولي امرهم فان قلت قد قال الله
تعالى في اية اخرى وان الكافرين لا مولى لهم فما الفرق قلت المولى في اللغة يطلق على المالك
ويطلق على الناصر فمعنى المولى هنا المالك ومعنى المولى هناك الناصر فحصل الفرق بين

الاثنين وضل عنهم ما كانوا يفترون يعني وبطل وذهب ما كانوا يكذبون فيه في الدنيا وهو قولهم ان هذه الاصنام تشفع لنا قوله عز وجل قل من يرزقكم من السما والارض اي قل يا محمد لهولا المشركين من يرزقكم من السما يعني المطر والارض يعني النبات امن يملك السمع والابصار يعني ومن اعطاكم هذه الحواس التي تسمعون بها وتبصرون بها ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي يعني انه تعالى يخرج الانسان حيا من النطفة وهي ميتة وكذلك الطير من البيضة وكذلك يخرج النطفة الميتة من الانسان الحي ويخرج البيضة الميتة من الطاير الحي وقيل معناه انه يخرج المومن من الكافر والكافر من المومن والقول الاول الاقرب الى الحقيقة ومن يدبر الامر يعني ان يدبر امر السموات وما فيها ويدبر امر الارض وما فيها هو الله تعالى وكذلك قوله فسيقولون الله يعني انهم يعترفون بان فاعل هذه الاشيا هو الله واذا كانوا يقرون بذلك فقل لهم يا محمد افلا تتقون يعني افلا تخافون عقابه حيث تعبدون هذه الاصنام التي لا تضر ولا تنفع ولا تقدر على شي من هذه الامور فذلكم الله ربكم الحق يعني فذلكم الذي يفعل هذه الاشيا ويقدر عليه هو الله ربكم الحق الذي يستحق العبادة لا هذه الاصنام فماذا بعد الحق الا الضلال يعني اذا ثبت بهذه البراهين الواضحة والدلايل القطعية ان الله هو الحق وجب ان يكون ما سواه ضلالا وباطلا فانى تصرفون يعني اذا عرفتم هذا الامر الظاهر الواضح فكيف تستجيزون العدول عن الحق الى الضلال الباطل كذلك اي كما ثبت انه ليس بعد الحق الا الضلال حقت اي وجبت كلمة ربك في الازل على الذين فسقوا انهم لا يومنون قيل المراد بكلمة الله قضاوه عليهم في اللوح المحفوظ انهم لا يومنون وقضا الله لا يرد ولا يدافع قل هل من شركايكم اي قل يا محمد لهولا المشركين هل من شركايكم يعني هذه الاصنام التي تزعمون انها الهة من يبدو الخلق يعني من يقدر على ان ينشي الخلق على غير مثال سبق ثم يعيده اي ثم يعيده بعد الموت كهيئة اول مرة وهذا السوال استفهام انكار قل انت يا محمد الله يبدو الخلق ثم يعيده يعني الله هو القادر على بدا الخلق واعادته فانى توفكون يعني فانى تصرفون عن قصد السبيل والمراد من هذا التعجب من احوالهم كيف تركوا هذا الامر الواضح وعدلوا عنه الى غيره قل اي قل يا محمد هل من شركايكم من يهدي الى الحق يعني هل من هذه الاصنام من يقدر على ان يرشد الى الحق فاذا قالوا لا ولا بد لهم من ذلك قل اي قل لهم انت الله يهدي للحق يعني ان الله هو الذي يرشد الى الحق لا غيره افمن يهدي الى الحق احق ان يتبع امن لا يهدي الا ان يهدى يعني ان الله هو الذي يهدي الى الحق فهو احق بالاتباع لا هذه الاصنام التي لا تهتدي الا ان تهدى فان قلت الاصنام جماد لا يتصور هدايتها ولا ان تهتدي فكيف قال الا ان يهدى قلت ذكر العلما عن هذا السوال وجوها الاول ان معنى الهداية في حق الاصنام الانتقال من مكان الى مكان فيكون

المعنى انها لا تنتقل من مكان الى مكان اخر الا ان تحمل وتنقل فبين بهذا عجز الاصنام الوجه الثاني ان ذكر الهداية في حق الاصنام على وجه المجاز وذلك ان المشركين لما اتخذوا الاصنام الهة وانزلوها منزلة من يسمع ويعقل عبر عنها بما يعبر عن من يسمع ويعقل ويعلم ووصفها بهذه الصفة وان كان الامر ليس كذلك الوجه الثالث يحتمل ان يكون المراد من قوله هل من شركايكم من يبدو الخلق ثم يعيده الاصنام والمراد من قوله هل من شركايكم من يهدي الى الحق روسا الكفر والضلالة فالله تعالى هدى الخلق الى الدين بما ظهر من الدلايل الدالة على وحدانيته واما روسا الكفر والضلالة فانهم لا يقدرون على هداية غيرهم الا اذا هداهم الله الى الحق فكان اتباع دين الله والتمسك بهدايته اولى من اتباع غيره وقوله تعالى فما لكم كيف تحكمون قال الزجاج فما لكم كلام تام كانه قيل لهم اي شي لكم في عبادة هذه الاصنام ثم قال كيف تحكمون يعني على اي حال تحكمون وقيل معناه كيف تقضون لانفسكم بالجور حين تزعمون ان مع الله شريكا وقيل معناه بيس ما حكمتم اذ جعلتم لله شريكا من ليس بيده منفعة ولا مضرة ولا هداية وما يتبع اكثرهم الا ظنا يعني وما يتبع اكثر هولا المشركين الا ما لا علم لهم بحقيقته وصحته بل هم في شك منه وريبة قيل المراد باكثر الكل لان جميع المشركين يتبعون الظن في دعواهم ان الاصنام تشفع لهم وقيل المراد بالاكثر الروسا ان الظن لا يغني من الحق شيا يعني ان الشك لا يغني من اليقين شيا ولا يقوم مقامه وقيل في الاية ان قولهم ان الاصنام الهة وانها تشفع لهم ظن منهم لم يرد به كتاب ولا رسول ان الظن لا يغني من الحق شيا لا يدفع عنهم من عذاب الله شيا ان الله عليم بما يفعلون يعني من اتباعهم الظن وتكذيبهم الحق اليقين قوله تعالى وما كان هذا القران ان يفترى من دون الله يعني وما كان ينبغي لهذا القران ان يختلق ويفتعل لان معنى الافترا الاختلاق والمعنى ليس وصف القران وصف شي يمكن ان يفترى به على الله لان المفترى هو الذي ياتي به البشر وذلك ان كفار مكة زعموا ان محمدا صلى الله عليه وسلم اتى بهذا القران من عند نفسه على سبيل الافتعال والاختلاق فاخبر الله عز وجل ان هذا القران وحي انزله الله عليه وانه مبرا عن الافترا والكذب وانه لا يقدر عليه احد الا الله ثم ذكر ما يوكد هذا بقوله ولكن تصديق الذي بين يديه يعني ولكن الله الذي انزل هذا القران مصدقا لما قبله من الكتب التي انزلها على انبيايه كالتوراة والانجيل وتقرير هذا ان محمدا صلى الله عليه وسلم كان اميا لا يقرا ولا يكتب ولم يجتمع باحد من العلما ثم انه صلى الله عليه وسلم اتى بهذا القران العظيم المعجز وفيه اخبار الاولين وقصص الماضين وكل ذلك هو موافق لما في التوراة والانجيل والكتب قبله ولو لم يكن كذلك لقدحوا فيه لعداوة اهل الكتاب له ولما لم يقدح فيه احد من اهل الكتاب علم بذلك ان ما فيه من القصص والاخبار مطابقة لما في التوراة والانجيل

مع القطع بانه ما علم ما فيها فثبت بذلك انه وحي من الله انزله عليه وانه مصدق لما بين يديه
وانه معجزة له صلى الله عليه وسلم وقيل في معنى قوله ولكن تصديق الذي بين يديه يعني من اخبار
الغيوب الاتية فانها جاءت على وفق ما اخبر وتفصيل الكتاب يعني وتبيين ما في الكتاب من
الحلال والحرام والفرايض والاحكام لا ريب فيه من رب العالمين يعني ان هذا القران لا شك
فيه انه من رب العالمين وانه ليس مفترا على الله وانه لا يقدر احد من البشر على الاتيان
بمثله وهو قوله تعالى ام يقولون افتراه يعني ام يقول هولا المشركون افترى محمد هذا القران
واختلقه من قبل نفسه وهو استفهام انكار وقيل ام بمعنى الواو اي ويقولون افتراه
قل اي قل لهم يا محمد ان كان الامر كما تقولون فاتوا بسورة مثله يعني بسورة شبيهة به في
الفصاحة والبلاغة وحسن النظم فانتم عرب مثلي في الفصاحة والبلاغة فان قلت
قال تعالى في سورة البقرة فاتوا بسورة من مثله وقال هنا فاتوا بسورة مثله فما فايدة
ذلك وما الفرق بينهما قلت لما كان محمد صلى الله عليه وسلم اميا لم يقرا ولم يكتب واتى بهذا
القران العظيم كان معجزا في نفسه فقيل لهم فاتوا بسورة من مثله يعني من انسان امي مثل محمد
صلى الله عليه وسلم يساويه في عدم الكتابة والقراة واما قوله فاتوا بسورة مثله اي فاتوا بسورة
تساوي سور القران في الفصاحة والبلاغة وهو المراد بقوله بسورة مثله يعني ان السورة في نفسها
معجزة فان الخلق لو اجتمعوا على ذلك لم يقدروا عليه وهو المراد من قوله وادعوا من استطعتم من
دون الله يعني وادعوا للاستعانة على ذلك من استطعتم من خلقه ان كنتم صادقين يعني في
قولكم ان محمدا افتراه ثم قال تعالى بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه يعني القران اي كذبوا بما لم يعلموه
قال عطا يريد انه ليس خلق يحيط بجميع علوم القران وقيل معناه بل كذبوا بما في القران من ذكر الجنة
والنار والحشر والقيامة والثواب والعقاب فيما لم يحيطوا بعلمه لانهم كانوا ينكرون ذلك كله
وقيل انهم لما سمعوا ما في القران من القصص واخبار الامم الخالية ولم يكونوا سمعوها قبل ذلك
انكروها لجهلهم فرد الله عليهم بقوله بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه لان القران العظيم مشتمل
على علوم كثيرة لا يقدر احد على استيفايها وتحصيلها ولما ياتهم تاويله يعني انهم كذبوا به
ولم ياتهم بعد بيان ما يؤول اليه ذلك الوعيد الذي توعدهم الله في القران به من العقوبة
والمعنى انهم لم يعلموا ما تؤول اليه عاقبة امرهم وقيل معناه انهم لم يعلموه تنزيلا ولا علموه تاويلا
فكذبوا به وذلك لانهم جهلوا القران وعلم معانيه وتاويله كذلك كذب الذين من قبلهم يعني كما كذب
هولا بالقران كذلك كذب الامم الماضية انبياهم فيما وعدوهم به فانظر كيف كان عاقبة
الظالمين الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم اي فانظر يا محمد كيف كان عاقبة من ظلم من الامم كذلك
عاقبة من كذبك من قومك ففيه تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم وقيل يحتمل ان يكون الخطاب
لكل فرد من الناس والمعنى فانظر ايها الانسان كيف كان عاقبة من ظلم فاحذر ان تفعل مثل

فعله قوله عز وجل ومنهم من يؤمن به يعني ومن قومك يا محمد من سيؤمن بالقران ومنهم من
لا يؤمن به لعلم الله السابق فيه انه لا يؤمن وربك اعلم بالمفسدين يعني الذين لا يؤمنون
وان كذبوك يعني وان يكذبك قومك يا محمد فقل اي فقل لهم لي عملي يعني الطاعة وجزاؤها
ولكم عملكم يعني الشرك وجزاء عقابه انتم بريون مما اعمل وانا بري مما تعملون قيل المراد منه الزجر
والردع وقال مقاتل والكلبي هذه الاية منسوخة باية السيف قال الامام فخر الدين الرازي
وهو بعيد لان شرط الناسخ ان يكون رافعا لحكم المنسوخ ومدلول الاية اختصاص كل واحد
بافعاله وبثمرات افعاله من الثواب والعقاب واية القتال ما رفعت شيا من مدلولات هذه
الاية فكان القول بالنسخ باطلا ومنهم يعني ومن هولا المشركين من يستمعون اليك يعني باسماعهم
الظاهرة ولا ينفعهم لشدة بغضهم وعداوتهم لك افانت تسمع الصم يعني كما انك لا تقدر على
اسماع الاصم فكذلك لا تقدر على اسماع من اصم الله سمع قلبه ولو كانوا لا يعقلون يعني ان الله صرف
قلوبهم عن الانتفاع بما يسمعون ولم يوفقهم لذلك فهم بمنزلة الجهال اذ لم ينتفعوا بما سمعوا وهم
ايضا كالصم الذين لا يعقلون شيا ولا يفهمونه لعدم التوفيق ومنهم من ينظر اليك يعني بابصارهم
الظاهرة افانت تهدي العمي يريد عمي القلوب ولو كانوا لا يبصرون لان الله اعمى بصاير قلوبهم
فلا يبصرون بها شيا من الهدى وفي هذا تسلية من الله عز وجل لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم يقول
الله عز وجل انك لا تقدر ان تسمع من سلبته السمع ولا تقدر ان تهدي من سلبته البصر ولا تقدر ان
توفق للايمان من حكمت عليه انه لا يؤمن ان الله لا يظلم الناس شيا ولكن الناس انفسهم يظلمون
قال العلما لما حكم الله عز وجل على اهل الشقوة بالشقاوة لقضايه وقدره السابق
فيهم اخبر في هذه الاية ان تقدير الشقاوة عليهم ما كان ذلك ظلما منه لانه يتصرف في
ملكه كيف يشا والخلق كلهم عبيده وكل من تصرف في ملكه لا يكون ظالما وانما قال ولكن
الناس انفسهم يظلمون لان الفعل منسوب اليهم بسبب الكسب وان كان قد سبق قضا الله
وقدره فيهم قوله تعالى ويوم نحشرهم يعني واذكر يا محمد يوم يجمع هولا المشركين لموقف الحساب
واصل الحشر اخراج الجماعة وازعاجهم عن مكانهم كان لم يلبثوا الا ساعة من النهار يعني كانهم
لم يلبثوا في الدنيا الا قدر ساعة من النهار وقيل معناه كان لم يلبثوا في قبورهم الا قدر ساعة من
النهار والوجه الاول اولى لان حال المومن والكافر سوا في عدم المعرفة بمقدار لبثهم في القبور الى وقت
الحشر فتعين حمله على امر يختص بحال الكافر وهو انهم لما لم ينتفعوا باعمارهم في الدنيا استقلوها
والمومن لما انتفع بعمره في الدنيا لم يستقله وسبب استقلال الكفار مدة مقامهم في الدنيا
انهم لما ضيعوا اعمارهم في طلب الدنيا والحرص على ما فيها ولم يعملوا بطاعة الله فيها كان وجود
ذلك كالعدم فلذلك استقلوه وقيل انهم لما شاهدوا اهوال يوم القيامة وطال عليهم
استقلوا مدة مقامهم في الدنيا لان مقامهم في الدنيا في جنب مقامهم في الاخرة قليل جدا

يتعارفون بينهم يعني يعرف بعضهم بعضا اذا خرجوا من قبورهم كما كانوا يتعارفون في
الدنيا ثم تنقطع المعرفة بينهم اذا عاينوا اهوال يوم القيمة وفي بعض الاثار ان الانسان يوم
القيمة يعرف من بجنبه ولا يقدر ان يكلمه هيبة ووحشة وقيل ان احوال يوم القيامة مختلفة
ففي بعضها يعرف بعضهم بعضا وفي بعضها ينكر بعضهم بعضا لهول ما يعاينون في ذلك اليوم
قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله يعني انه من باع الاخرة الباقية بالدنيا الفانية فقد خسر لانه اثر الفاني
على الباقي وما كانوا مهتدين يعني الى ما يصلحهم وينجيهم من هذا الخسار واما نرينك يعني يا محمد
بعض الذي نعدهم يعني ما نعدهم به من العذاب في الدنيا قد اكد او نتوفينك قبل ان نريك ذلك
الوعد في الدنيا فانك ستراه في الاخرة وهو قوله فالينا مرجعهم يعني في الاخرة وفيه دليل على ان
الله يري رسوله صلى الله عليه وسلم انواعا من عذاب الكافرين وذلهم وخزيهم في حال حياته في الدنيا
وقد اراه ذلك في يوم بدر وغيره من الايام وسيريه ما اعد لهم من العذاب في الاخرة بسبب
كفرهم وتكذيبهم ثم الله شهيد على ما يفعلون فيه وعيد وتهديد لهم يعني انه تعالى شاهد
على فعالهم التي فعلوها في الدنيا فيجازيهم عليها يوم القيامة قوله عز وجل ولكل امة رسول
لما بين الله عز وجل حال محمد صلى الله عليه وسلم مع قومه بين ان حال الانبيا مع اممهم كذلك
فقال تعالى ولكل امة يعني قد خلت وتقدمت قبلكم رسول يعني مبعوثا اليهم يدعوهم الى الله
والى طاعته والايمان به فاذا جاء رسولهم قضي بينهم بالقسط في هذا الكلام اضمار تقديره
فاذا جاء رسولهم وبلغهم ما ارسل به اليهم فكذبه قوم وصدقه اخرون قضي بينهم بالقسط
يعني حكم بينهم بالعدل وفي وقت هذا القضا والحكم بينهم قولان احدهما انه في الدنيا وذلك
ان الله تعالى ارسل الى كل امة رسولا لتبليغ الرسالة ولاقامة الحجة وازالة العذر فاذا كذبوا
رسلهم وخالفوا امر الله قضي بينهم وبين رسولهم في الدنيا فيهلك الكافرين وينجي رسوله
والمومنين ويكون ذلك عدلا لا ظلما لان قبل مجي الرسول لا يكون ثوابا ولا عقابا القول
الثاني ان وقت القضا في الاخرة وذلك ان الله اذا جمع الامم يوم القيامة للحساب والقضا
بينهم والفصل بين المومن والكافر والطايع والعاصي جي بالرسل لتشهد عليهم والمراد من
ذلك المبالغة في اظهار العدل وهو قوله وهم لا يظلمون يعني من جزا اعمالهم شيا ولكن يجازى
كل احد على قدر عمله وقيل معناه انهم لا يعذبون بغير ذنب ولا يواخذون بغير حجة
ولا ينقص من حسناتهم ولا يزاد على سياتهم ويقولون يعني هولا الكفار متى هذا الوعد
يعني الذي تعدنا به يا محمد من نزول العذاب وقيل قيام الساعة وانما قالوا ذلك على وجه
التكذيب والاستبعاد ان كنتم صادقين يعني فيما تعدونا به وانما قالوا بلفظ الجمع لان كل
امة قالت لرسولها كذلك او يكون المعنى ان كنتم صادقين انتم واتباعك يا محمد او ذكروه بلفظ
الجمع على سبيل التعظيم قل اي قل لهم يا محمد لا املك لنفسي ضرا ولا نفعا يعني لا املك لنفسي دفع

ضر وجلب نفع ولا اقدر على ذلك الا ما شا الله يعني ان اقدر عليه واملكه والمعنى
ان انزال العذاب على الاعدا واظهار النصر للاوليا وعلم قيام الساعة لا يقدر عليه الا
الله فتعيين الوقت الى الله تعالى بحسب مشيئته ثم اذا حضر ذلك الوقت الذي وقته
الله لحدوث هذه الاشيا فانه يحدث لا محالة وهو قوله تعالى لكل امة اجل اي مدة مضروبة
ووقت معين اذا جا اجلهم يعني اذا انقضت مدة اعمارهم فلا يستاخرون ساعة ولا
يستقدمون يعني لا يتاخرون عن ذلك الاجل الذي اجل لهم ولا يتقدمونه قل اي قل يا محمد
لهولا المشركين من قومك ارايتم ان اتاكم عذابه بياتا يعني ليلا والبيات بمعنى كذا اذا فعله
بالليل والسبب فيه ان الانسان في الليل لا يكون الا في البيت غالبا فجعل الله هذا اللفظ
كناية عن الليل او نهارا يعني في النهار ماذا يستعجل منه المجرمون يعني ما الذي يستعجلون
بنزول العذاب كما اخبر الله عنهم بقوله اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا
حجارة من السما او ايتنا بعذاب اليم فاجابهم الله بقوله ماذا يستعجل منه المجرمون يعني اي
شي يعلم المجرمون ما يطلبون ويستعجلون كما يقول الرجل لغيره وقد فعل فعلا قبيحا ماذا
جنيت على نفسك اثم اذا ما وقع يعني اذا ما نزل العذاب ووقع امنتم به يعني امنتم بالله
وقت نزول العذاب وهو وقت الياس وقيل معناه صدقتم بالعذاب عند نزوله ودخلت همزة
الاستفهام على ثم للتوبيخ والتقريع الان فيه اضمار تقديره يقال لهم الان تومنون حين
وقع العذاب وقد كنتم به تستعجلون يعني تكذيبا واستهزا ثم قيل للذين ظلموا يعني ظلموا
انفسهم بسبب شركهم وكفرهم بالله ذوقوا عذاب الخلد هل تجزون الا بما كنتم تكسبون
يعني في الدنيا من الاعمال قوله تعالى ويستنبونك احق هو يعني ويستخبرونك يا محمد احق
ما تعدنا به من نزول العذاب وقيام الساعة قل اي وربي اي قل لهم يا محمد نعم وربي انه لحق يعني
ان الذي اعدكم به حق لا شك فيه وما انتم بمعجزين يعني بفايتين من العذاب لان من عجز عن شي فقد
فاته ولو ان لكل نفس ظلمت يعني اشركت ما في الارض يعني من شي لافتدت به يعني يوم القيامة
والافتدا بمعنى البدل اي بما ينجو به من العذاب لا انه لا ينفعه الفدا ولا يتقبل منه واسروا الندامة
يعني يوم القيامة وانما جا بلفظ الماضي والقيامة من الامور المستقبلة لان احوال يوم القيمة
لما كانت واجبة الوقوع جعل الله مستقبلها كالماضي والاسرار يكون بمعنى الاخفا وبمعنى الاظهار
فهو من الاضداد فلهذا اختلفوا في قوله واسروا الندامة فقال ابو عبيدة معناه واظهروا
الندامة لان ذلك اليوم ليس يوم تصبر وتصنع وقيل معناه اخفوا الروسا الندامة
من الضعفا والاتباع خوفا من ملامتهم اياهم وتعييرهم لهم لما راوا العذاب يعني حين
عاينوا العذاب وابصروه وقضي بينهم بالقسط يعني وحكم بينهم بالعدل قيل بين المومنين
والكافرين وقيل بين الروسا والاتباع وقيل بين الكفار لاحتمال ان بعضهم قد ظلم بعضا

فيوخذ للمظلوم من الظالم وهو قوله تعالى **وهم لا يظلمون** يعني الحكم لهم وعليهم
بان يخفف من عذاب المظلوم ويشدد في عذاب الظالم **الا ان لله ما في السموات
والارض** يعني ان كل شي في السموات والارض لله ملك له لا يشركه فيه غيره فليس
للكافر شي يفتدي به مملوك لغيره بشي لا يملكه **الا ان وعد الله حق** يعني ما وعد الله به
على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم من ثواب الطايع وعقاب العاصي حق لا شك فيه **ولكن
اكثرهم لا يعلمون** يعني حقيقة ذلك **هو يحيي ويميت** يعني ان الذي يملك ما في السموات
والارض قادر على الاحيا والاماتة لا يتعذر عليه شي مما اراد **واليه ترجعون** يعني بعد
الموت للجزا قوله عز وجل **يا ايها الناس قد جاتكم موعظة من ربكم** قيل اراد بالناس قريشا ه
وقيل هو على العموم وهو الاصح وهو اختيار الطبري قد جاتكم موعظة من ربكم يعني
القران والوعظ زجر مقترن بتخويف وقال الخليل هو التذكير بالخير فيما يرق له القلب
وقيل الموعظة الانابة عما يدعو الى الصلاح بطريق الرغبة والرهبة والقران داع الى
كل خير وصلاح بهذا الطريق **وشفا لما في الصدور** يعني ان القران دوا وشفا لما في القلوب
من دا الجهل وذلك لان دا الجهل اضر للقلب من دا المرض للبدن وامراض القلب هي الاخلاق
الذميمة والعقايد الفاسدة والجهالات المهلكة فالقران مزيل لهذه الامراض كلها
لان فيه المواعظ والزجر والتخويف والترغيب والترهيب والتذكير فهو الدوا
والشفا لهذه الامراض القلبية وانما خص الصدر بالذكر لانه موضع القلب وغلافه
وهو اعز موضع في بدن الانسان لمكان القلب فيه **وهدى** يعني وهو هدى من الضلالة
ورحمة للمومنين يعني ونعمة على المومنين لانهم هم الذين انتفعوا بالقران دون غيرهم
قل بفضل الله وبرحمته البا في بفضل الله متعلق بمضمر استغني عن ذكره لدلالة
ما تقدم عليه وهو قوله قد جاتكم موعظة من ربكم والفضل هنا بمعنى الافضال
ويكون معنى الاية على هذا يا ايها الناس قد جاتكم موعظة من ربكم وشفا لما في
الصدور وهو القران بافضال الله عليكم ورحمته بكم واراد ته الخير لكم ثم قال تعالى
فبذلك فليفرحوا اشار بذلك الى القران لان المراد بالموعظة والشفا القران فترك
اللفظ واشار الى المعنى وقيل فبذلك فليفرحوا اشارة الى معنى الفضل والرحمة
والمعنى فبذلك التطول والانعام فليفرحوا قال الواحدي الفا في قوله فليفرحوا زايدة
كقول الشاعر ه واذا هلكت فعند ذلك فاجزعي الفا في قوله فاجزعي زايدة وقال
صاحب الكشاف في معنى الاية بفضل الله وبرحمته فليفرحوا بذلك فليفرحوا والتكرير
للتاكيد والتقدير بايجاب اختصاص الفضل والرحمة بالفرح دون ما عداهما من فوايد
الدنيا فحذف احد الفعلين لدلالة المذكور عليه والفا داخلة لمعنى الشرط كانه قيل ان فرحوا

بشي

١٥١

بشي فليخصوهما بالفرح فانه لا مفروح به احق منهما والفرح لذة في القلب بادراك
المحبوب والمشتهى يقال فرحت بكذا اذا ادركت المامول وكذلك اكثر ما يستعمل
في الفرح في اللذات البدنية الدنيوية واستعمل هنا فيما يرغب فيه من الخيرات ومعنى
الاية ليفرح المومنون بفضل الله ورحمته فان ما اتاهم الله من المواعظ وشفا ما في
الصدور وثلج اليقين بالايمان وسكون النفس اليه **هو خير مما يجمعون** يعني من متاع
الدنيا ولذاتها الفانية هذا مذهب اهل المعاني في هذه الاية واما مذهب
المفسرين فغير هذا قال ابن عباس والحسن وقتادة قالوا فضل الله الاسلام ورحمته
القران وقال ابو سعيد الخدري فضل الله القران ورحمته ان جعلنا من اهله وقال
ابن عمر فضل الله الاسلام ورحمته تزيينه في قلوبنا وقيل فضل الله الاسلام ورحمته
الجنة وقيل فضل الله القران ورحمته السنن فعلى هذا البا في بفضل الله تتعلق
بمحذوف تفسيره ما بعده تقديره قل فليفرحوا بفضل الله وبرحمته **قل** اي قل يا محمد
لكفار مكة **ارايتم ما انزل الله لكم من رزق** يعني من زرع وضرع وغير ذلك مما في الارض وانما قال انزال
لان جميع ما في الارض من خير ورزق فانما هو من بركات السما **فجعلتم منه** يعني من ذلك
الرزق **حراما وحلالا** يعني ما حرموه على انفسهم في الجاهلية من الحرث والانعام
كالبحيرة والسايبة والوصيلة والحام قال الضحاك وهو قوله وجعلوا لله مما ذرا من
الحرث والانعام نصيبا **قل الله اذن لكم** يعني قل لهم يا محمد الله اذن لكم في هذا التحريم
والتحليل **ام على الله تفترون** يعني بل انتم على الله تكذبون في ادعايكم ان الله امرنا بهذا
وما ظن الذين يفترون على الله الكذب يوم القيامة يعني اذا لقوه يوم القيامة ايحسبون
انه لا يواخذهم ولا يجازيهم على اعمالهم فهو استفهام بمعنى التوبيخ والتقريع والوعيد
العظيم لمن يفتري على الله الكذب **ان الله لذو فضل على الناس** يعني ببعثة الرسل وانزال
الكتب لبيان الحلال والحرام **ولكن اكثرهم لا يشكرون** يعني لا يشكرون الله على ذلك الفضل
والاحسان قوله تعالى **وما تكون في شان وما تتلوا منه من قران** الخطاب للنبي صلى الله
عليه وسلم وحده والشان الخطب والحال والامر الذي يتفق ويصلح ولا يقال الا فيما
يعظم من الاحوال والامور والجمع الشون تقول العرب ما شان فلان اي ما حاله والشان
اسم اذا كان بمعنى الخطب والحال ويكون مصدرا اذا كان معناه القصد والذي في هذه
الاية يجوز ان يكون المراد به الاسم قال ابن عباس معناه وما تكون يا محمد في شان يريد
من اعمال البر وقال الحسن في شان من شان الدنيا وحوايجك ويجوز ان يكون المراد منه القصد
يعني قصد الشي وما تتلوا منه من قران اختلفوا في الضمير في قوله منه الى ماذا يعود فقيل
يعود الى الشان وتلاوة القران شان من شان رسول الله صلى الله عليه وسلم بل هو اعظم

شانه فعلى هذا يكون داخلا تحت قوله وما تكون في شان الا انه تعالى خصه
بالذكر لشرفه وعلو مرتبته وقيل انه راجع الى القران لانه قد تقدم ذكره في قوله قل
بفضل الله وبرحمته فعلى هذا يكون المعنى وما تتلوا من القران من قران يعني من سورة
وشي منه لان لفظ القران يطلق على جميعه وعلى بعضه وقيل الضمير في منه راجع الى
الله والمعنى وما تتلوا من الله من قران نازل عليك واما قوله تعالى ولا تعملون من عمل
خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم وامته داخلون فيه ومراد وزبه لان من المعلوم انه
اذا خوطب رييس قوم وكبيرهم كان القوم داخلين في ذلك الخطاب وبدل عليه
قوله تعملون من عمل على صيغة الجمع فدل على انهم داخلون في الخطابين الاولين وقوله تعالى
الا كنا عليكم شهودا يعني شاهدين لاعمالكم وذلك لان الله تعالى شاهد على كل شي
وعالم بكل شي لانه لا محدث ولا خالق ولا موجدا الا الله تعالى فكلما يدخل في الوجود
من احوال العبا دواعما لهم الظاهره والباطنة داخل في علمه وشاهد عليه اذ تفيضون
فيه يعني انه تعالى شاهد عليكم حين تدخلون وتخوضون في ذلك العمل والافاضة
الدخول في العمل على جهة الانصباب اليه والانبساط فيه وقال ابن الانباري معناه
اذ تدفعون فيه وتنبسطون في ذكره وقيل الافاضة الدفع بكثرة وقال الزجاج
اذ تنتشرون فيه يقال افاض القوم في الحديث اذا انتشروا فيه وما يعزب عن ربك
يعني وما يبعد وما يغيب عن ربك يا محمد من عمل خلقه شي لانه عالم به وشاهد
عليه واصل العزوب البعد يقال منه كلا عازب اذا كان بعيد المطلب من مثقال ذرة
يعني وزن ذرة والمثقال الوزن والذرة النملة الصغيرة الحمرا وهي خفيفة الوزن جدا
في الارض ولا في السما فان قلت لم قدم ذكر الارض على السما هنا وقدم ذكر السما على الارض
في سورة سبا فما فايدة ذلك قلت كان حق السما ان تقدم على الارض كما في سورة سبا
الا انه ذكر في هذه الاية شهادته على اهل الارض واحوالهم واعمالهم ثم وصل
ذلك بقوله وما يعزب عن ربك حسن تقديم الارض على السما في هذا الموضع لهذه الفايدة
ولا اصغر من ذلك يعني من الذرة ولا اكبر يعني منها الا في كتاب مبين يعني في اللوح المحفوظ
قوله عز وجل الا ان اوليا الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون اعلم انا نحتاج اولا في تفسير
هذه الاية ان نبين من يستحق اسم الولاية ومن هو الولي فنقول اختلف العلما في من يستحق
هذا الاسم فقال ابن عباس في هذه الاية هم الذين يذكرون الله لرويتهم وروى الطبري
بسنده عن سعيد بن جبير مرسلا قال سيل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن اوليا الله من
اوليا الله فقال هم الذين اذا راوا ذكر الله وقال ابن زيد هم الذين امنوا وكانوا يتقون
ولن يتقبل الايمان الا بالتقوى وقال قوم هم المتحابون في الله ويدل على ذلك ما روي عن عمر

ابن الخطاب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان من عباد الله لاناسا ما هم بانبيا ولا شهدا
يغبطهم الانبيا والشهدا يوم القيامة بمكانهم من الله قالوا يا رسول الله تخبرنا من هم
قال هم قوم تحابوا بروح الله على غير ارحام بينهم ولا اموال يتعاطونها فوالله ان وجوههم
لنور وانهم لعلى نور لا يخافون اذا خاف الناس ولا يحزنون اذا حزن الناس وقرا هذه الاية
الا ان اوليا الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون اخرجه ابو داود م عن ابي هريرة قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله تبارك وتعالى يوم القيامة اين المتحابون بجلالي
اليوم اظلهم في ظلي يوم لا ظل الا ظلي اخرجه مسلم عن معاذ بن جبل قال سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول قال الله تعالى المتحابون بجلالي لهم منابر من نور يغبطهم النبيون
والشهدا اخرجه الترمذي وروى البغوي بسنده عن ابي مالك الاشعري قال كنت عند
النبي صلى الله عليه وسلم فقال ان لله عبادا ليسوا بانبيا ولا شهدا يغبطهم النبيون والشهدا
بقربهم ومقعدهم من الله يوم القيامة قال وفي ناحية القوم اعرابي فجثى على ركبتيه ورمى
بيديه ثم قال حدثنا يا رسول الله عنهم من هم قال فرايت في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم
البشر قال هم عباد من عباد الله ومن بلدان شتى وقبايل شتى لم يكن بينهم ارحام يتواصلون
بها ولا دنيا يتباذلون بها يتحابون بروح الله يجعل الله وجوههم نورا ويجعل لهم منابر
من لولو قدام الرحمن يفزع الناس ولا يفزعون ويخاف الناس ولا يخافون وروي عن النبي صلى الله
عليه وسلم قال قال الله تبارك وتعالى ان اوليايي من عبادي الذين يذكرون بذكري واذكر بذكرهم
هكذا ذكره البغوي بغير سند وروى الطبري بسنده عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم ان من عباد الله عبادا يغبطهم الانبيا والشهدا قيل من هم يا رسول الله لعلنا
نحبهم قال هم قوم تحابوا في الله من غير اموال ولا انساب وجوههم نور على منابر من نور
لا يخافون اذا خاف الناس ولا يحزنون اذا حزن الناس ثم قرا الا ان اوليا الله لا خوف عليهم
ولا هم يحزنون الغبطة نوع من الحسد الا ان الحسد مذموم والغبطة محمودة والفرق بين
الحسد والغبطة ان الحاسد يتمنى زوالها عن المحسود من النعمة ونحوها والغبطة هي ان
يتمنى الغابط مثل تلك النعمة التي هي على المغبوط من غير زوالها عنه قال ابو بكر الاصم اوليا الله
هم الذين تولى الله هدايتهم وتولوا القيام بحق العبودية لله والدعوة اليه واصل الولي من الولا
وهو القرب والنصرة فولي الله هو الذي يتقرب الى الله بكل ما افترض عليه فانه اي راي دلايل
قدرة الله وان سمع سمع ايات الله وان نطق نطق بالثنا على الله وان تحرك تحرك في طاعة الله
وان اجتهد اجتهد فيما يقربه الى الله لا يفتر عن ذكر الله ولا يرى بقلبه غير الله فهذه
صفة اوليا الله واذا كان العبد كذلك كان الله وليه وناصره ومعينه قال الله تعالى الله ولي
الذين امنوا وقال المتكلمون ولي الله من كان اتيا بالاعتقاد الصحيح المبني على الدليل ويكون اتيا

بالاعمال الصالحة على وفق ما وردت به الشريعة واليه الاشارة بقوله الذين امنوا وكانوا يتقون
وهو ان الايمان مبنى على جميع الاعتقاد والعمل ومقام التقوى هو ان يتقي العبد كل ما نهى الله
عنه وقوله تعالى لا خوف عليهم يعني في الاخرة اذا خاف غيرهم ولا هم يحزنون يعني على شي
فاتهم من نعيم الدنيا ولذاتها قال بعض المحققين زوال الخوف والحزن عنهم انما يحصل لهم في
الاخرة لان الدنيا لا تخلو من هم وغم وانكار وحزن قال بعض العارفين ان الولاية عبارة عن
القرب من الله ودوام الاشتغال بالله واذا كان العبد بهذه الحالة فلا يخاف من شي ولا يحزن
على شي لان مقام الولاية والمعرفة منعه من ان يخاف او يحزن واما قوله الذين امنوا وكانوا يتقون
فقد تقدم تفسيره وانه صفة لاولياء الله وقوله تعالى لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الاخرة
اختلفوا في هذه البشرى فروى عن عبادة بن الصامت قال سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم
عن قوله لهم البشرى في الحياة الدنيا قال هي الرويا الصالحة يراها المومن او ترى له اخرجه
الترمذي وله عن رجل من اهل مصر قال سالت ابا الدردا عن هذه الاية لهم البشرى في الحياة
الدنيا قال ما سالني عنها احد منذ سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم عنها قال ما سالني عنها
احد غيرك منذ انزلت هي الرويا الصالحة يراها المسلم او ترى له قال الترمذي حديث حسن
خ عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لم يبق بعدي من النبوة الا المبشرات قالوا
وما المبشرات قال الرويا الصالحة ق عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
اذا اقترب الزمان لم تكد رويا المومن تكذب ورويا المومن جزء من ستة واربعين جزءا من النبوة
لفظ البخاري ولمسلم اذا اقترب الزمان لم تكد رويا المسلم تكذب واصدقكم رويا اصدقكم
حديثا ورويا المسلم جزء من خمسة واربعين جزءا من النبوة والرويا ثلاث فالرويا الصالحة
بشرى من الله ورويا تحزين من الشيطان ورويا مما يحدث المرء نفسه قال بعض العلما ووجه هذا
القول هو انا اذا حملنا قوله لهم البشرى على الرويا الصالحة الصادقة فظاهر هذا النص
يقتضي ان لا تحصل هذه الحالة الا لهم وذلك لان ولي الله هو الذي يكون مستغرق القلب
والروح بذكر الله عز وجل ومن كان كذلك فانه عند النوم لا يبقى في قلبه غير ذكر الله ومعرفته
ومن المعلوم ان معرفة الله في القلب لا تفيد الا الحق والصدق فاذا راى الولي رويا او رويت
له كانت تلك الرويا بشرى من الله عز وجل لهذا الولي قال الخطابي في هذه الاحاديث توكيد
لامر الرويا وتحقيق منزلتها وانما كانت جزءا من اجزا النبوة في حق الانبياء دون غيرهم
وكان الانبياء يوحى اليهم في منامهم كما يوحى اليهم في اليقظة قال الخطابي قال بعض العلما
معنى الحديث ان الرويا تاتي على موافقة النبوة لا انها جزء من النبوة قال الخطابي وغيره
في معنى قوله الرويا جزء من ستة واربعين جزءا من النبوة اقام النبي صلى الله عليه وسلم
في النبوة ثلاثا وعشرين سنة على الصحيح وكان قبل ذلك بستة اشهر يرى في المنام الوحي

فهي جزء من ستة واربعين جزءا وقيل ان المنام لعله ان يكون فيه اخبار بغيب وهو احدى
ثمرات النبوة وهو يسير في جنب النبوة لانه لا يجوز ان يبعث الله بعد محمد صلى الله عليه وسلم
نبيا ليشرع الشرايع ويبين الاحكام ولا يخبر بغيب ابدا فاذا وقع لاحد في المنام الاخبار
بغيب يكون هذا القدر جزءا من النبوة لا انه نبي واذا وقع ذلك لاحد في المنام يكون صدقا
والله اعلم وقيل في تفسير الاية ان المراد بالبشرى في الحياة الدنيا هي الثنا الحسن وفي الاخرة
الجنة ويدل على ذلك ما روى عن ابي ذر قال قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم ارايت الرجل
يعمل العمل من الخير ويحمده الناس عليه قال تلك عاجل بشرى المومن اخرجه مسلم قال الشيخ
محيي الدين النواوي قال العلما معنى هذه البشرى المعجلة له بالخير وهي دليل للبشرى المؤخرة
الى الاخرة بقوله بشراكم اليوم جنات وهذه البشرى المعجلة دليل على رضى الله عنه ومحبته
له وتحبيبه الى الخلق كما قال ثم يوضع له القبول في الارض هذا كله اذا حمده الناس من غير
تعرض منه لحمدهم والا فالتعرض مذموم قال بعض المحققين اذا اشتغل العبد بالله عز وجل
استنار قلبه وامتلا نورا فيفيض من ذلك النور الذي في قلبه على وجهه فيظهر عليه
اثار الخشوع والخضوع فيحبه الناس ويثنوا عليه فتلك عاجل بشراه بمحبة الله له ورضوانه
عليه وقال الزهري وقتادة في تفسير البشرى هو نزول الملايكة بالبشارة من الله عند الموت
ويدل عليه قوله تعالى تتنزل عليهم الملايكة الا تخافوا ولا تحزنوا وابشروا بالجنة التي
كنتم توعدون وقال عطا عن ابن عباس البشرى في الدنيا عند الموت تاتيهم الملايكة بالبشارة
وفي الاخرة عند خروج نفس المومن تعرج بها الى الله تعالى وتبشره برضوان الله تعالى قال الحسن
هي ما بشر الله به المومنين في كتابه من جنته وكريم ثوابه ويدل عليه قوله لا تبديل لكلمات الله
يعني لا خلف لوعد الله الذي وعد اولياه واهل طاعته في كتابه وعلى السنة رسله ولا تغيير
لذلك الوعد ذلك هو الفوز العظيم يعني ما وعدهم به في الاخرة ولا يحزنك قولهم يقول الله
لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ولا يحزنك يا محمد قول هولا المشركين لك ولا يغمك تخويفهم اياك
ان العزة لله جميعا يعني ان القهر والغلبة والقدرة لله جميعا هو المنفرد بها دون غيره
وهو ناصرك عليهم والمنتقم منهم قال سعيد بن المسيب ان العزة لله جميعا فيعز من يشا
وهذا كما قال تعالى في اية اخرى ولله العزة ولرسوله وللمومنين ولا منافاة بين الايتين
فان عزة الرسول صلى الله عليه وسلم وعزة المومنين باعزاز الله اياهم فثبت بذلك ان العزة
كلها لله جميعا وهو الذي يعز من يشا ويذل من يشا وقيل ان المشركين كانوا يعتزون بكثرة
اموالهم واولادهم وعبيدهم فاخبر الله ان جميع ذلك لله وفي ملكه وهو قادر على ان
يسلبهم جميع ذلك ويذلهم بعد العز هو السميع يعني لاقوالكم ودعايكم العليم يعني بجميع
احوالكم لا يخفى عليه خافية قوله تعالى الا ان لله من في السموات ومن في الارض الا كلمة تنبيه

معناه انه لا ملك لاحد في السموات ولا في الارض الا لله عز وجل فهو يملك من في السموات
ومن في الارض فان قلت قال تعالى في الاية التي قبل هذه الا ان لله ما في السموات بلفظة ما
وقال في هذه الاية بلفظة من فما فايدة ذلك قلت ان لفظة ما تدخل على من لا يعقل
ولفظة من تدخل على من يعقل فمجموع الايتين يدل على ان الله عز وجل يملك من في السموات
ومن في الارض من العقلا وغيرهم وهم عبيده وفي ملكه وقيل ان لفظة من لمن يعقل فيكون
المراد بمن في السموات الملايكة العقلا ومن في الارض الانس والجن وهم العقلا ايضا وانما خصهم
بالذكر لشرفهم واذا كان هولا العقلا المميزين في ملكه وتحت قدرته فالجمادات بطريق الاولى
ان يكونوا ملكه اذا ثبت هذا فتكون الاصنام التي يعبدها المشركون ايضا في ملكه وتحت
قبضته وقدرته ويكون ذلك قدحا في جعل الاصنام شركا لله معبودة دون الله **وما يتبع
الذين يدعون من دون الله شركا** لفظ ما استفهامية معناه واي شي يتبع الذين يدعون
من دون الله شركا والمقصود تقبيح فعلهم يعني انهم ليسوا على شي لانهم يعبدونها على انها
شركا لله يشفعون لهم وليس الامر على ما يظنون وهو قوله تعالى **ان يتبعون الا الظن**
يعني ان فعلهم ذلك ظنا منهم انها تشفع لهم وانها تقربهم الى الله وذلك ظن منهم لا حقيقة
له **وان هم الا يخرصون** يعني انهم يكذبون في دعواهم ذلك قوله عز وجل **هو الذي جعل لكم الليل
لتسكنوا فيه والنهار مبصرا** يعني هو الله ربكم الذي خلق لكم الليل راحة لتسكنوا فيه ولتزول
التعب والكلال بالسكون فيه واصل السكون الثبوت بعد الحركة والنهار مبصرا وجعل النهار
مضيا لتنتشروا فيه لحوايجكم واسباب معايشكم واضاف الابصار الى النهار وانما يبصر فيه
وليس النهار مما يبصر ولكن لما كان مفهوما من كلام العرب معناه خاطبهم بلغتهم وما يعهدون
قال جرير. لقد لمتنا يا ام غيلان في السرى. ونمت وما ليل المطي بنايم. فاضاف النوم الى الليل
ووصفه به وانما عنى نفسه وانه لم يكن نايما ولا بعيره وهذا من باب نقل الاسم من
المسبب الى السبب قال قطرب تقول العرب اظلم الليل وابصر النهار بمعنى صار ذا ظلمة وذا
ضيا **ان في ذلك لايات لقوم يسمعون** يعني يسمعون سمع اعتبار وتدبر فيعلمون بذلك ان الذي
خلق هذه الاشيا كلها هو الاله المعبود المنفرد بالوحدانية في الوجود **قالوا** يعني المشركين
اتخذ الله ولدا يعني به قولهم الملايكة بنات الله **سبحانه** نزه الله نفسه عن اتخاذ الولد **هو الغني**
يعني انه تعالى هو الغني عن جميع خلقه فكيف يليق بجلاله اتخاذ الولد وانما يتخذ الولد من هو محتاج
اليه والله تعالى هو الغني المطلق وجميع الاشيا محتاجة اليه وهو غني عنها **له ما في السموات
وما في الارض** يعني انما له ما في السموات وما في الارض وكلهم عبيده وفي قبضته وتصرفه فهو
محدثه وخالقه ولما نزه الله تعالى نفسه عن اتخاذ الولد عطف على من قال ذلك بالانكار
والتوبيخ والتقريع فقال تعالى **ان عندكم من سلطان بهذا** يعني انه لا حجة عندكم على هذا

القول

القول البتة ثم بالغ في الانكار عليهم بقوله **اتقولون على الله ما لا تعلمون** يعني اتقولون
على الله قولا لا تعلمون حقيقته وصحته وتضيفون اليه ما لا يجوز اضافته اليه جهلا منكم
بما تقولون بغير حجة ولا برهان **قل ان الذين يفترون على الله الكذب** اي قل يا محمد لهولا الذين
يختلقون على الله الكذب فيقولون عليه الباطل ويقولون ان له ولدا **لا يفلحون** يعني لا يسعدون
وان اغتروا بطول الاقامة والبقا في النعمة والمعنى ان قايل هذا القول لا ينجح في سعيه
ولا يفوز بمطلوبه بل خاب وخسر قال الزجاج هذا وقف تام يعني على قوله لا يفلحون
ثم ابتدا فقال تعالى **متاع في الدنيا** وفيه اضمار تقديره لهم متاع في الدنيا يتمتعون به مدة
اعمارهم وانقضا اجالهم في الدنيا وهي ايام يسيرة بالنسبة الى طول مقامهم في العذاب
وهو قوله تعالى **ثم الينا مرجعهم** يعني بعد الموت **ثم نذيقهم العذاب الشديد بما كانوا
يكفرون** يعني ذلك العذاب بسبب ما كانوا يجحدون في الدنيا نعمة الله عليهم ويصفونه
بما لا يليق بجلاله قوله تعالى **واتل عليهم نبا نوح** لما ذكر الله سبحانه وتعالى في هذه السورة
احوال الكفار قريش وما كانوا عليه من الكفر والعناد شرع بعد ذلك في بيان قصص الانبيا وما
جرى لهم مع اممهم ليكون في ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم اسوة بمن سلف من الانبيا
وتسلية له ليخف عليه ما يلقى من اذى قومه وان الكفار من قومه اذا سمعوا هذه القصص
وما جرى لكفار الامم الماضية من العذاب والهلاك في الدنيا كان ذلك سببا لخوف قلوبهم
وداعيا لهم الى الايمان ولما كان قوم نوح اول الامم هلاكا واعظم كفرا وجحودا فذكر الله قصتهم
وانه اهلكهم بالغرق ليصير ذلك موعظة وعبرة لكفار قريش فقال تعالى واتل عليهم نبا نوح
يعني واقرا على قومك يا محمد خبر قوم نوح **اذ قال لقومه يا قوم** وهم بنو قابيل **ان كان كبر** يعني
ثقل **عليكم مقامي** يعني فيكم **وتذكيري بايات الله** يعني ووعظي اياكم بايات الله وقيل معناه
ان كان ثقل وشق عليكم طول مقامي فيكم وذلك انه عليه السلام اقام فيهم الف سنة الا خمسين
عاما يدعوهم الى الله تعالى ويذكرهم بايات الله وهو قوله وتذكيري بايات الله يعني ووعظي
بايات الله وحججه وبيناته فعزمتم على قتلي وطردي **فعلى الله توكلت** يعني فهو حسبي وثقتي
فاجمعوا امركم يعني فاحكموا امركم واعزموا عليه قال الفرا الاجماع الاعداد والعزيمة على الامر
قال ابن الانباري المراد من الامر هنا وجوه كيدهم ومكرهم فالتقدير لا تدعوا من امركم شيئا
الا احضرتموه **وشركاكم** يعني وادعوا شركاكم يعني الهتكم فاستعينوا بها لتجتمع معكم
وتعينكم على مطلوبكم وانما حثهم على الاستعانة بالاصنام بنا على مذهبهم واعتقادهم
على انها تضر وتنفع مع اعتقاده انها جماد لا تضر ولا تنفع فهو كالتبكيت والتوبيخ لهم
ثم لا يكن امركم عليكم غمة يعني لا يكن امركم خفيا مبهما ولكن ليكن امركم ظاهرا منكشفا من قولهم
غم الهلال فهو مغموم اذا خفي والتبس على الناس **ثم اقضوا الي** ثم امضوا بما في انفسكم من مكروه

وما توعدونني به من قتل وطرد وافرغوا منه تقول العرب قضى فلان اذا مات ومضى
وقيل معناه ثم افضوا اليّ اما انتم قاضون ولا تنظرون اي ولا تؤخرون ولا تمهلون بعد
اعلاني اياكم ما انتم عليه وهذا الكلام من نوح عليه السلام على طريق التعجيز لهم اخبر الله
عز وجل عنه انه كان قد بلغ الغاية في التوكل على الله وانه كان واثقا بنصره اياه غير
خايف من كيدهم علما منه بانهم والهتهم ليس اليهم نفع ولا ضر وان مكرهم لا يصل اليه
فان توليتم يعني اعرضتم عن قولي وقبول نصحي فما سالتكم من اجر يعني من جعل وعوض على
تبليغ الرسالة فاذا لم ياخذ على تبليغ الدعوة الى الله شيا كان اقوى تاثيرا في النفس ان
اجري الا على الله اي ما ثوابي وجزاي على تبليغ الرسالة الا على الله وامرت ان اكون من
المسلمين يعني اني امرت بدين الاسلام وانا ماض فيه غير تارك له سوا قبلتموه او لم تقبلوه
وقيل معناه وامرت ان اكون من المستسلمين لامر الله ولكل مكروه يصل الي منكم لاجل هذه
الدعوة فكذبوه يعني فكذبوا نوحا عليه السلام فنجيناه ومن معه في الفلك يعني السفينة
وجعلناهم خلايف يعني جعلنا الذين نجيناهم معه في الفلك سكان الارض بعد الهالكين واغرقنا
الذين كذبوا باياتنا فانظر كيف كان عاقبة المنذرين اي فانظر يا محمد او يا ايها الانسان
كيف كان اخر امر من انذرتهم الرسل فلم يومنوا ولم يقبلوا ذلك ثم بعثنا من بعده يعني من
بعد نوح رسلا الى قومهم لم يسم هنا من كان بعد نوح من الرسل وقد كان بعد نوح
هود وصالح وغيرهما من الرسل فجاوهم بالبينات يعني بالدلالات الواضحات والمعجزات
الباهرات التي تدل على صدقهم فما كانوا ليومنوا بما كذبوا به من قبل يعني اوليك الاقوام
والامم التي جاتهم الرسل جروا على منهاج قوم نوح في التكذيب ولم يزجرهم ما جات
به الرسل ولم يرجعوا عما هم فيه من الكفر والتكذيب كذلك نطبع على قلوب المعتدين
يعني كمثل اغراقنا قوم نوح بسبب تكذيبهم نوحا كذلك نختم على قلوب من اعتدى وسلك
سبيلهم في التكذيب قوله عز وجل ثم بعثنا من بعدهم يعني من بعد الرسل موسى
وهارون الى فرعون وملايه يعني اشراف قومه باياتنا فاستكبروا يعني عن الايمان بما جا
به موسى وهارون وكانوا قوما مجرمين مستكسبين للاثم فلما جاهم الحق من عندنا
يعني فلما جا فرعون وقومه الحق الذي جا به موسى من عند الله قالوا ان هذا لسحر مبين
يعني ان هذا الذي جا به موسى سحر مبين يعرفه كل احد قال موسى اتقولون للحق لما جاكم
اسحر هذا فيه حذف تقديره اتقولون للحق لما جاكم هو سحر اسحر هذا فحذف السحر
الاول اكتفا بدلالة الكلام عليه ثم قال اسحر هذا وهو استفهام على سبيل الانكار
يعني انه ليس بسحر ثم احتج على صحة قوله فقال ولا يفلح الساحرون يعني حاصل
السحر تمويه وتخييل وصاحبه كذلك لا يفلح ابدا قالوا يعني قال قوم فرعون لموسى اجيتنا

لتلفتنا يعني لتصرفنا وتلوينا عما وجدنا عليه اباءنا يعني من الدين وتكون لكما الكبرياء
يعني الملك والسلطان في الارض يعني في ارض مصر والخطاب لموسى وهارون قال الزجاج
يسمى الملك كبريا لانه اكبر ما يطلب من امر الدنيا وما نحن لكما بمومنين يعني بمصدقين وقال
فرعون ايتوني بكل ساحر عليم يعني ان فرعون اراد ان يعارض معجزة موسى بانواع من التلبيس
ليظهر ان ما اتى به موسى سحر فلما جا السحرة قال لهم موسى القوا ما انتم ملقون انما امرهم
موسى بالقا ما معهم من الحبال والعصي التي فيها سحرهم ليظهر الحق ويبطل الباطل ويتبين
ان ما اتوا به فاسد فلما القوا يعني ما معهم من الحبال والعصي قال موسى ما جيتم به السحر
يعني الذي جيتم به هو السحر الباطل وهذا على سبيل التوبيخ لهم ان الله سيبطله يعني يهلكه
ويظهر فضيحة صاحبه ان الله لا يصلح عمل المفسدين يعني لا يقويه ولا يكمله ولا يحسنه
ويحق الله الحق يعني ويظهر الله الحق ويقويه ويعليه بكلماته يعني بوعده الصادق لموسى
انه يظهره وقيل بما سبق من قضايه وقدره لموسى انه يغلب السحرة ولو كره المجرمون قوله تعالى
فما امن لموسى الا ذرية من قومه لما ذكر الله عز وجل ما اتى به موسى عليه السلام من المعجزات
العظيمة الباهرة اخبر الله تعالى انه مع مشاهدة هذه المعجزات ما امن لموسى الا ذرية من
قومه وانما ذكر الله عز وجل هذا تسلية لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم لانه كان كثير الاهتمام
بايمان قومه وكان يغتم بسبب اعراضهم عن الايمان به واستمرارهم على الكفر والتكذيب
فبين الله تعالى ان له اسوة بالانبيا عليهم السلام لان الذي جا به موسى عليه السلام من
المعجزات كان امرا عظيما ومع ذلك فما امن له الا ذرية والذرية اسم يقع على القليل من
القوم قال ابن عباس الذرية القليل وقيل المراد به التصغير وقلة العدد واختلفوا في هذه
الكناية في قومه فقيل انها راجعة الى موسى واراد بهم قوم موسى وهم بنو اسرايل الذين
كانوا بمصر من اولاد يعقوب وقال مجاهد هم اولاد الذين ارسل اليهم موسى من بني
اسرايل هلك الاباء وبقي الابناء وقيل هم قوم نجوا من قتل فرعون وذلك ان فرعون لما امر
بقتل ابناء بني اسرايل كانت المراة في بني اسرايل اذا ولدت ابنا وهبته لقبطية خوفا عليه
من القتل فنشاوا بين القبط فلما كان اليوم الذي غلب موسى السحرة امنوا به وقال ابن
عباس ذرية من قومه يعني من بني اسرايل وقيل الهاء راجعة الى فرعون يعني الا ذرية من
قوم فرعون روى عطية عن ابن عباس قال هم ناس يسير من قوم فرعون امنوا منهم امراة فرعون
ومومن ال فرعون وخازنه وامراة خازنه وماشطته وقال الفرا سموا ذرية لان اباهم كانوا من
القبط من ال فرعون وامهاتهم من بني اسرايل فكان الرجل يتبع امه واخواله في الايمان وذلك
كما يقال لاولاد فارس الذين دخلوا الى اليمن الابناء لان امهاتهم من غير جنس الاباء على خوف من
فرعون وملايهم ان يفتنهم الملا الاشراف فعلى هذا يكون معنى الاية على خوف من فرعون ومن

اشرافهم وهم ملأ الذرية لانه كان اباؤهم من القبط وامهاتهم من بني اسرائيل وقيل
اراد بالملا ملأ فرعون وانما قال وملائهم بالجمع وفرعون واحد على سبيل التفخيم له ان
يفتنهم ان يصرفهم ويصدهم عن الايمان وانما قال ان يفتنهم ولم يقل يفتنوهم لان قوم
فرعون كانوا على مثل مراده وتابعين لامره وان فرعون لعال في الارض يعني انه لغالب قهار
متكبر فيها وانه لمن المسرفين يعني المجاوزين الحد لانه كان عبدا فادعى الربوبية وكان
كثير القتل والتعذيب لبني اسرائيل وقال موسى يعني لقومه يا قوم ان كنتم امنتم بالله
فعليه توكلوا يعني فبه فثقوا ولامره فسلموا فانه ناصر اوليائه ومهلك اعدائه
ان كنتم مسلمين يعني ان كنتم مستسلمين لامره وقيل انما اعيد قوله ان كنتم مسلمين
بعد قوله ان كنتم امنتم بالله يعني ان كنتم موصوفين بالايمان القلبي وبالاسلام
الظاهر ودلت الاية على ان التوكل على الله والتفويض لامره من كمال الايمان
وان من كان يؤمن بالله فلا يتوكل الا على الله لا على غيره فقالوا يعني قال قوم
موسى مجيبين له على الله توكلنا يعني عليه اعتمدنا لا على غيره ثم دعوا ربهم فقالوا
ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين يعني لا تظهرهم علينا ولا تهلكنا بذنوبهم
فيظنوا انا لم نكن على الحق فيزدادوا طغيانا وكفرا وقال مجاهد لا تعذبنا بعذاب
من عندك فيقول قوم فرعون لو كانوا على حق لما عذبوا ويظنوا انهم خير منا
فيفتتنوا بذلك وقيل معناه لا تسلطهم علينا فيفتنونا ونجنا برحمتك من القوم
الكافرين يعني وخلصنا برحمتك من ايدي قوم فرعون الكافرين لانهم كانوا يستعبدونهم
ويستعملونهم في الاعمال الشاقة قوله عز وجل واوحينا الى موسى واخيه هارون ان
تبوءا لقومكما بمصر بيوتا يعني اتخذا لقومكما بيوتا للصلاة فيها يقال تبوأ فلان لنفسه
بيتا اذا اتخذه مباءة اي وطنا والمعنى اجعلا بمصر لقومكما بيوتا ترجعون اليها للصلاة
والعبادة واجعلوا بيوتكم قبلة اختلف اهل التفسير في معنى هذه البيوت
والقبلة فمنهم من قال اراد بالبيوت المساجد التي يصلى فيها وفسروا القبلة بالجانب
الذي يستقبل في الصلاة فعلى هذا يكون معنى الكلام واجعلوا بيوتكم مساجد
تستقبلونها لاجل الصلاة وقيل معناه اجعلوا بيوتكم الى القبلة واختلفوا في هذه
القبلة وظاهر القران لا يدل على تعيينها الا انه قد نقل عن ابن عباس انه قال كانت
الكعبة قبلة لموسى وهارون وهو قول مجاهد ايضا قال ابن عباس قالت بنو اسرائيل
لموسى لا نستطيع ان نظهر صلاتنا مع الفراعنة فاذن لهم ان يصلوا في بيوتهم وان
يجعلوا بيوتهم مثل القبلة وقيل كانت القبلة الى جهة بيت المقدس وهذا اراد
مطلق البيوت وعلى هذا يكون معنى قوله واجعلوا بيوتكم قبلة اي مقابلة يعني يقابل

بعضها بعضا وقيل معناه واجعلوا في بيوتكم قبلة تصلون اليها فان قلت انه تعالى
خص موسى وهارون بالخطاب في اول الاية بقوله واوحينا الى موسى واخيه ان تبوءا
لقومكما ثم انه عم هذا الخطاب فقال تعالى واجعلوا بيوتكم قبلة فما السبب فيه
قلت انه تعالى امر موسى وهارون بان يتبوءا لقومهما بيوتا للعبادة وذلك مما يختص به
الانبياء فخصا بالخطاب لذلك ثم لما كانت العبادة عامة تجب على الكافة عم بالخطاب
الجميع فقال واجعلوا بيوتكم قبلة واقيموا الصلاة يعني في بيوتكم وذلك حين خاف
موسى ومن امن معه من بني اسرائيل من فرعون وقومه اذا صلوا في الكنائس والبيع الجامعة
ان يؤذوهم فامرهم الله ان يصلوا في بيوتهم خفية من فرعون وقومه وقيل كانت بنو
اسرائيل لا يصلون الا في الكنائس الجامعة وكانت ظاهرة فلما ارسل موسى امر فرعون
بتخريب تلك الكنائس ومنعهم من الصلاة فيها فامروا ان يتخذوا مساجد في بيوتهم
ويصلوا فيها خوفا من فرعون وقيل ان الله لما ارسل موسى وهارون واظهرهما على فرعون
امرهما باتخاذ المساجد ظاهرة على رغم الاعداء وتكفل الله لهم بصونهم من شرهم وهو قوله
وبشر المومنين يعني بانه لا يصل اليهم مكروه قوله تعالى وقال موسى ربنا انك اتيت
فرعون وملاه زينة واموالا في الحيوة الدنيا لما اتى موسى بالمعجزات الباهرات وراى ان
القوم مصرون على الكفر والعناد والانكار لما جاء اخذ في الدعا عليهم ومن حق من يدعو
على الغير ان يذكر اولا سبب اقدامه على الجرايم التي كانت سبب اصراره على ما يوجب الدعا عليه
ولما كان سبب كفرهم وعنادهم هو حب الدنيا وزينتها لا جرم ان موسى لما اخذ في الدعا
قدم هذه المقالة فقال ربنا انك اتيت فرعون وملاه زينة واموالا في الحياة الدنيا
والزينة عبارة عما يتزين به كاللباس والدواب والغلمان واثاث البيت الفاخر والاشيا
الجميلة والمال اسم زايد على هذه الاشيا من الصامت ونحوه ثم قال ربنا ليضلوا عن سبيلك
اختلفوا في هذه اللام فقال الفراء هي لام كي فعلى هذا يكون المعنى ربنا انك جعلت هذه
الاموال سببا لضلالهم لانهم بطروا وطغوا في الارض واستكبروا عن الايمان وقال الاخفش انما
هي لما يؤول اليه الامر والمعنى انك اتيت فرعون وملاه زينة فضلوا فعلى هذا هي لام العاقبة
يعني فكان عاقبتهم الضلال وقال ابن الانباري هي لام الدعا وهي لام مكسورة تجزم المستقبل
ويفتتح بها الكلام فيكون المعنى ربنا ابتلهم بالضلال عن سبيلك ربنا اطمس على اموالهم
الطمس ازالة اثر الشيء بالمحو ومعنى اطمس على اموالهم ازل صورها وهيأتها وقال مجاهد
اهلكها وقال اكثر المفسرين امسخها وغيرها عن هيئتها قال قتادة بلغنا ان اموالهم وحروثهم
وزروعهم وجواهرهم صارت حجارة وقال محمد بن كعب القرظي صار سكرهم حجارة وكان الرجل
مع اهله في فراشه فصارا حجرين والمراة قايمة تخبز صارت حجارة وهذا فيه ضعف لان

موسى عليه السلام دعا على اموالهم ولم يدع على انفسهم بالمسخ وقال ابن عباس بلغنا ان
الدراهم والدنانير صارت حجارة منقوشة كهيئتها صحاحا وانصافا واثلاثا وقيل
ان عمر بن عبد العزيز دعا بخريطة فيها شي من بقايا ال فرعون فاخرج منه البيضة مشقوقة
وهي حجارة والجوزة مشقوقة وهي حجارة وقال السدي مسخ الله اموالهم حجارة النخل
والثمار والدقيق والاطعمة وهذا الطمس هو احد الايات التسع التي اوتيها موسى عليه السلام
واشدد على قلوبهم يعني اربط على قلوبهم واطبع عليها وقسها حتى لا تلين ولا تنشرح
للايمان ومعنى الشد على القلوب الاستيثاق منها حتى لا يدخلها الايمان قال الواحدي
وهذا دليل على ان الله تعالى يفعل ذلك لمن يشا ولولا ذلك لما جسر موسى عليه السلام
على هذا السؤال فلا يومنوا حتى يروا العذاب الاليم يعني الغرق قاله ابن عباس وقال
ابن عباس في رواية اخرى عنه قال موسى قبل ان ياتي فرعون ربنا اشدد على قلوبهم فلا
يومنوا حتى يروا العذاب الاليم فاستجاب الله له فحال بين فرعون وبين الايمان حتى
ادركه الغرق فلم ينفعه الايمان قال بعض العلما انما دعا عليهم موسى بهذا الدعا لما
علم ان سابق قضا الله وقدره فيهم انهم لا يومنون وذلك ان الله كتب عليهم في الازل
انهم لا يومنون فوافق دعا موسى ما قدره وقضى عليهم قال الله عز وجل لموسى وهارون قد
اجيبت دعوتكما انما نسب الدعا اليهما وان الداعي هو موسى وحده لان هارون عليه السلام
كان يومن والتامين دعا لانه طلب وسوال ايضا ومعناه اللهم استجب فصار بذلك شريك موسى
في الدعا فلذلك قال تعالى قد اجيبت دعوتكما فاستقيما يعني على تبليغ الرسالة وامضيا لامري
الى ان ياتيهم العذاب ولا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون يعني ولا تسلكا طريق الذين يجهلون
حقيقة وعدي فان وعدي لا خلف فيه ووعيدي نازل بفرعون وقومه فلا تستعجلا وقيل كان بين
دعا موسى عليه السلام وبين الاجابة اربعين سنة قال الامام فخر الدين واعلم ان هذا النهي
لا يدل على ان ذلك قد صدر من موسى وهارون كما ان قوله لين اشركت ليحبطن عملك لا يدل على
صدور الشرك منه قوله عز وجل وجاوزنا ببني اسرايل البحر اي وقطعنا ببني اسرايل وعبرنا بهم اياه
حتى جاوزوه وعبروه فاتبعهم فرعون وجنوده يعني لحقهم وادركهم بغيا وعدوا اي ظلما
وعدوانا وقيل البغي طلب الاستعلا بغير حق والعدو الظلم وقيل بغيا في القول وعدوا في الفعل
قال اهل التفسير اجتمع يعقوب وبنوه الى يوسف وهم اثنان وسبعون وخرجوا مع موسى
من مصر وهم ستماية الف وذلك لما اجاب الله دعا موسى وهارون امره بالخروج ببني اسرايل
من مصر في الوقت الذي امره ان يخرج فيه ويسر لهم اسباب الخروج وكان فرعون غافلا عنهم
فلما سمع بخروجهم ومفارقتهم مملكته خرج بجنوده في طلبهم فلما ادركهم فرعون قالوا لموسى
اين المخلص والمخرج البحر امامنا وفرعون من ورائنا وقد كنا نلقى من فرعون البلا العظيم فاوحى

الله

الله الى موسى ان اضرب بعصاك البحر فضربه فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم وكشف
عن وجه الارض وايبس لهم البحر فلحقهم فرعون وكان على حصان ادهم وكان في عسكره ثمانماية
الف حصان على لون حصانه سوى ساير الالوان وكان مقدمهم جبريل وهو على فرس انثى وديق
وميكايل يسوقهم حتى لا يشذ منهم احد فلما خرج اخر بني اسرايل من البحر دنا جبريل بفرسه
فلما وجد الحصان ريح الانثى لم يملك فرعون من امره شيا فنزل البحر وتبعه جنوده حتى اذا
اكتملوا جميعا في البحر وهموا بالخروج التطم البحر عليهم فلما ادرك فرعون الغرق اتى بكلمة
الاخلاص ظنا منه انها تنجيه من الهلاك وهو قوله حتى اذا ادركه الغرق يعني فرعون قال امنت
انه لا اله الا الذي امنت به بنوا اسرايل وانا من المسلمين قال ابن عباس لم يقبل الله ايمانه عند نزول
العذاب به وقد كان في مهل قال العلما ان الايمان والتوبة عند معاينة الملايكة والعذاب
غير مقبول ويدل عليه قوله تعالى فلم يك ينفعهم ايمانهم لما راوا باسنا وقيل انه قال هذه
الكلمة ليتوصل بها الى دفع ما نزل به من البلية الحاضرة ولم يكن قصده الاقرار بوحدانية الله تعالى
والاعتراف له بالربوبية لا جرم لم ينفعه ما قال في ذلك الوقت وقيل ان فرعون كان من الدهرية
المنكرين لوجود الصانع الخالق سبحانه وتعالى فلهذا قال امنت انه لا اله الا الذي امنت
به بنوا اسرايل فلم ينفعه ذلك لحصول الشك في ايمانه ولما رجع فرعون الى الايمان والتوبة
حين اغلق بابهما بحضور الموت ومعاينة الملايكة قيل الان وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين
يعني الان تتوب وقد اضعت التوبة في وقتها واثرت دنياك الفانية على الاخرة الباقية والمخاطب
لفرعون بهذا هو جبريل عليه السلام وقيل ان القايل هو الله تعالى عرف فرعون قبح صنعه وما كان
عليه من الفساد في الارض ويدل على هذا القول قوله فاليوم ننجيك ببدنك والقول الاول اشهر
ويعضد هذا القول ما روي عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لما اغرق الله فرعون قال
امنت انه لا اله الا الذي امنت به بنوا اسرايل قال جبريل يا محمد فلو رايتني وانا اخذ من حال البحر
فادسه في فيه مخافة ان تدركه الرحمة اخرجه الترمذي وقال حديث حسن وفي رواية اخرى
عنه عن عدي بن ثابت وعطا بن السايب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس ذكر احدهما عن النبي صلى
الله عليه وسلم انه ذكر ان جبريل جعل يدس في في فرعون الطين خشية ان يقول لا اله الا الله
فيرحمه الله او خشية ان يرحمه الله اخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح فصل في
الكلام على هذا الحديث لانه في الظاهر مشكل فيحتاج الى بيان وايضاح فنقول قد ورد هذا
الحديث من طريقين مختلفين عن ابن عباس ففي الطريق الاول علي بن زيد بن جدعان وان كان قد
ضعفه يحيى بن معين وغيره فانه كان شيخا نبيلا صدوقا ولكنه كان سيي الحفظ ويغلط وقد
احتمل الناس حديثه وانما يخشى من حديثه ما لم يتابع عليه وخالف فيه الثقات وكلاهما منتف
في هذا الحديث لان في الطريق الاخر شعبة بن عدي بن ثابت عن سعيد بن جبير وهذا الاسناد

على شرط البخاري ورواه ايضا شعبة عن عطا بن السايب عن سعيد بن جبير وعطا
ابن السايب قد اخرج له مسلم فهو على شرط مسلم وان كان عطا قد تكلم فيه من قبل
اختلاطه فانما يخاف مما انفرد به او خولف فيه وكلاهما منتف فقد علم بهذا ان لهذا
الحديث اصلا وان رواته ثقات ليس فيهم متهم وان كان فيهم من هو سيئ الحفظ فقد تابعه
عليه غيره فان قلت فمن الحديث الثاني شك في رفعه لانه قال فيه ذكر احدهما عن النبي
صلى الله عليه وسلم قلت ليس يشك في رفعه انما هو جزم بان احد الرجلين رفعه وشك
شعبة في تعيينه هل هو عطا بن السايب او عدي بن ثابت وكلاهما ثقة فاذا رفعه احدهما
وشك في تعيينه لم يكن هذا علة في الحديث وقوله من حال البحر اي من طين البحر كما في الرواية الاخرى

فصل ووجه اشكاله ما اعترض عليه الامام فخر الدين الرازي في تفسيره فقال هو
ان جبريل اخذ يملا فمه بالطين لئلا يتوب غضبا عليه الجواب الاقرب انه لا يصح لانه في تلك
الحال هل كان التكليف باقيا او لا فان كان باقيا لا يجوز لجبريل ان يمنعه من التوبة
بل يجب عليه ان يعينه على التوبة وان كان التكليف زايلا عن فرعون في ذلك الوقت فحينئذ
لا يبقى لهذا الذي نسب لجبريل فايدة وايضا لو منعه من التوبة لكان قد رضي ببقايه على
الكفر والرضى بالكفر كفر وايضا فكيف يليق بجلال الله ان يامر جبريل بان يمنعه من الايمان ولو
قيل ان جبريل فعل ذلك من عند نفسه لا بامر الله فهذا يبطل قول جبريل وما نتنزل
الا بامر ربك فهذا وجه الاشكال الذي اورده الامام على هذا الحديث في كلام اكثر من هذا
والجواب عن هذا الاعتراض ان الحديث قد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم فلا اعتراض عليه
لاحد واما قول الامام ان التكليف هل كان باقيا في تلك الحال او لا فان كان باقيا لم يجز
لجبريل ان يمنعه من التوبة فان هذا القول لا يستقيم على اصل المثبتين للقدر القايلين
بخلق الافعال لله وان الله يضل من يشا ويهدي من يشا وهذا قول اهل السنة المثبتين
للقدر فانهم يقولون ان الله يحول بين الكافر والايمان ويدل على ذلك قوله واعلموا ان الله
يحول بين المرء وقلبه وقوله وقالوا قلوبنا غلف بل طبع الله عليها بكفرهم وقال تعالى
ونقلب افيدتهم وابصارهم كما لم يومنوا به اول مرة فاخبر الله تعالى انه قلب افيدتهم
على تركهم الايمان به اول مرة وهكذا فعل بفرعون منعه من الايمان عند الموت جزا على تركه
الايمان اولا فدس الطين في فم فرعون من جنس الطبع والختم على القلب ومنع الايمان
وصون الكافر عنه وذلك جزا على كفره السابق وهذا قول طايفة من المثبتين للقدر
القايلين بخلق الافعال لله ومن المنكرين لخلق الافعال من اعترف ايضا ان الله تعالى يفعل
هذا عقوبة للعبد على كفره السابق فيحسن منه ان يضله ويطبع على قلبه ويمنعه من الايمان
فاما قصة جبريل مع فرعون فانها من هذا الباب فانه غاية ما يقال فيه ان الله منع فرعون من

الايمان وحال بينه وبينه عقوبة له على كفره السابق ورده للايمان لما جاه واما
فعل جبريل من دس الطين في فيه فانما فعل ذلك بامر الله لا من تلقا نفسه فاما قول الامام
لم يجز لجبريل ان يمنعه من التوبة بل يجب عليه ان يعينه عليها وعلى كل طاعة هذا اذا
كان تكليف جبريل كتكليفنا ويجب عليه ما يجب علينا واما اذا كان جبريل انما يفعل
ما امره الله به والله تعالى هو الذي منع فرعون من الايمان وجبريل منفذ لامر الله فكيف
لا يجوز له منع من منعه الله من التوبة وكيف يجب عليه اعانة من لم يعنه الله بل قد حكم عليه
واخبر انه لا يومن حتى يرى العذاب الاليم حين لا ينفعه الايمان وقد يقال ان جبريل اما ان
يتصرف بامر الله فلا يفعل الا ما امر الله به واما ان يفعل ما يشا من تلقا نفسه لا بامر الله
وعلى التقديرين فلا يجب عليه اعانة فرعون على التوبة ولا يحرم عليه منعه منها لانه انما يجب
عليه فعل ما امر به ويحرم عليه فعل ما نهي عنه والله تعالى لم يخبر انه امره باعانة فرعون
ولا حرم عليه منعه من التوبة وليست الملايكة مكلفين كتكليفنا وقوله وان كان التكليف
زايلا عن فرعون في ذلك الوقت فحينئذ لا يبقى لهذا الذي نسب لجبريل فايدة فجوابه ان يقال
ان للناس في تعليل افعال الله قولين احدهما ان افعاله لا تعلل وعلى هذا التقدير فلا يرد هذا
السوال اصلا وقد زال الاشكال والقول الثاني ان افعاله تعالى لها غاية بحسب المصالح التي لاجلها
فعلها وكذا اوامره ونواهيه لها غاية محمودة محبوبة لاجلها امر بها ونهى عنها وعلى هذا
التقدير فقد قيل لما قال فرعون امنت انه لا اله الا الذي امنت به بنوا اسرايل وقد علم جبريل
انه ممن حق عليه كلمة العذاب وان ايمانه لا ينفعه فدس الطين في فيه لتحقق معاينته للموت
فلا تكون تلك الكلمة نافعة فانها وان كان قالها في وقت لا ينفعه فدس الطين في فيه
تحقيقا لهذا المنع والفايدة فيه تعجيل ما قد قضي عليه وسد الباب عنه سدا محكما بحيث
لا يبقى للرحمة فيه منفذ ولا يبقى من عمره زمن يتسع للايمان فان موسى لما دعا ربه بان
فرعون لا يومن حتى يرى العذاب الاليم والايمان عند روية العذاب غير نافع فاجاب الله دعاه
فلما قال فرعون تلك الكلمة عند معاينة الغرق استعجل جبريل فدس الطين في فيه ليياس
من الحياة ولا تنفعه تلك الكلمة وتحقق اجابة الدعوة التي وعدها الله موسى بقوله قد
اجيبت دعوتكما فيكون سعي جبريل في تكميل ما سبق في حكم الله انه لا يفعله فيكون سعي
جبريل في مرضات الله تعالى منفذا لما امر به وقدره وقضاه على فرعون وقوله لو منعه
من التوبة لكان قد رضي ببقايه على الكفر والرضى بالكفر كفر فجوابه ما تقدم من ان الله
تعالى يفعل ما يشا يضل من يشا ويهدي من يشا وجبريل انما يتصرف بامر الله ولا يفعل
الا ما امره الله به واذا كان جبريل قد فعل ما امره الله به ونفذه فانما رضي بالامر لا بالمامور به
فاي كفر يكون هنا وايضا فان الرضى بالكفر انما يكون كفرا في حقنا لانا مامورون بازالته

بحسب الامكان فاذا اقررنا الكافر على كفره ورضينا به كان كفرا في حقنا لمخالفتنا ما امرنا به واما من ليس مامورا كامرنا ولا مكلفا كتكليفنا بل يفعل ما يامره به فاذا نفذ ما امر به لم يكن رضى بالكفر ولا يكون كفرا في حقه وعلى هذا التقدير فان جبريل لما دس الطين في في فرعون كان ساخطا لكفره غير راض به والله تعالى خالق افعال العباد خيرها وشرها وهو غير راض بالكفر فغاية امر جبريل مع فرعون ان يكون منفذا لقضا الله وقدره في فرعون من الكفر وهو ساخط له غير راض به وقوله كيف يليق بجلال الله ان يامر جبريل بان يمنعه من الايمان فجوابه ان الله يفعل ما يشا ويحكم ما يريد لا يسال عما يفعل وقوله وان قيل ان جبريل انما فعل ذلك من عند نفسه لا بامر الله فجوابه انما فعل ذلك بامر الله منفذا لامر الله والله اعلم قوله تعالى فاليوم ننجيك ببدنك اي نلقيك على نجوة من الارض وهي المكان المرتفع قال اهل التفسير لما اغرق الله تعالى فرعون وقومه اخبر موسى قومه بهلاك فرعون وقومه قالت بنو اسرايل ما مات فرعون وانما قالوا ذلك لعظمته عندهم وما حصل في قلوبهم من الرعب لاجله فامر الله عز وجل البحر فالقى فرعون على الساحل احمر قصيرا كانه ثور فراه بنو اسرايل فعرفوه فمن ذلك الوقت لا يقبل الما ميتا ابدا ومعنى قوله ببدنك يعني نلقيك وانت جسد لا روح فيه وقيل هذا الخطاب على سبيل التهكم والاستهزا كانه قيل له ننجيك ولكن هذه النجاة انما تحصل لبدنك لا لروحك وقيل اراد بالبدن الدرع وكان لفرعون درع من ذهب مرصع بالجوهر يعرف به فلما راوه في درعه ذلك عرفوه لتكون لمن خلفك اية يعني عبرة وموعظة وذلك انهم ادعوا ان مثل فرعون لا يموت فاظهره الله لهم حتى يشاهدوه وهو ميت لتزول الشبهة من قلوبهم ويعتبروا به لانه كان في غاية العظمة فصار الى نهاية الخسة والذلة ملقى على الارض لا يهابه احد وان كثيرا من الناس عن اياتنا لغافلون ولقد بوانا بني اسرايل مبوا صدق يعني اسكناهم مكان صدق وانزلناهم منزل صدق بعد خروجهم من البحر واغراق عدوهم فرعون والمعنى انزلناهم منزلا محمودا صالحا وانما وصف المكان بالصدق لان عادة العرب اذا مدحت شيا اضافته الى الصدق تقول العرب هذا رجل صدق وقدم صدق والسبب فيه ان الشي اذا كان كاملا صالحا لا بد ان يصدق الظن فيه وفي المراد بالمكان الذي بوءوا قولان احدهما انه مصر فيكون المراد ان الله اورث بني اسرايل جميع ما كان تحت يدي فرعون وقومه من ناطق وصامت وزرع وغيره والقول الثاني انه ارض الشام والقدس والاردن لانها بلاد الخصب والخير والبركة ورزقناهم من الطيبات يعني تلك المنافع والخيرات التي رزقهم الله تعالى فما اختلفوا حتى جاءهم العلم يعني فما اختلف هولا الذين

فعلنا

فعلنا بهم هذا الفعل من بني اسرايل حتى جاءهم ما كانوا به عالمين وذلك انهم كانوا قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم مقرين به مجمعين على نبوته غير مختلفين فيه لما يجدونه مكتوبا عندهم فلما بعث محمد صلى الله عليه وسلم اختلفوا فيه فامن به بعضهم كعبد الله بن سلام واصحابه وكفر به بعضهم بغيا وحسدا فعلى هذا المعنى يكون المراد من العلم المعلوم والمعنى فما اختلفوا حتى جاءهم المعلوم الذي كانوا يعلمونه حقا فوضع العلم مكان المعلوم وقيل المراد من العلم القران النازل على محمد صلى الله عليه وسلم وانما سماه علما لانه سبب العلم وتسمية السبب بالمسبب مجاز مشهور وفي كون القران سببا لحدوث الاختلاف وجهان الاول ان اليهود كانوا يخبرون بمبعث محمد صلى الله عليه وسلم وصفته ونعته ويفتخرون بذلك على المشركين فلما بعث كذبوه بغيا وحسدا وايثارا لبقا الرياسة لهم فامن به طايفة قليلة وكفر به غالبهم والوجه الثاني ان اليهود كانوا على دين واحد قبل نزول القران فلما نزل على محمد صلى الله عليه وسلم امن به طايفة وكفر به اخرون وقوله تعالى ان ربك يعني يا محمد يقضي بينهم يوم القيمة فيما كانوا فيه يختلفون يعني من امرك وامر نبوتك في الدنيا فيدخل من امن بك الجنة ومن كفر بك وجحد نبوتك النار قوله عز وجل فان كنت في شك مما انزلنا اليك الشك في موضوع اللغة خلاف اليقين والشك اعتدال النقيضين عند الانسان لوجود امارتين او لعدم الامارة والشك ضرب من الجهل وهو اخص منه فكل شك جهل وليس كل جهل شكا فاذا قيل فلان شك في هذا الامر معناه انه توقف فيه حتى يتبين له فيه الصواب او خلافه وظاهر هذا الخطاب في قوله فان كنت في شك للنبي صلى الله عليه وسلم والمعنى فان كنت يا محمد في شك مما انزلنا اليك يعني من حقيقة ما اخبرناك به وانزلناه يعني القران فاسال الذين يقرون الكتب من قبلك يعني علما اهل الكتاب يخبرونك انك مكتوب عندهم في التوراة والانجيل وانك نبي يعرفونك بصفتك عندهم وقد توجه هاهنا سوال واعتراض وهو ان يقال هل شك النبي صلى الله عليه وسلم فيما انزل عليه او في نبوته حتى يسال اهل الكتاب عن ذلك واذا كان شاكا في نبوة نفسه كان غيره اولى بالشك منه فلذلك الجواب عن هذا السوال والاعتراض ما قاله القاضي عياض في كتاب الشفا فانه اورد هذا السوال ثم قال احذر ثبت الله قلبك ان يخطر ببالك ما ذكره فيه بعض المفسرين عن ابن عباس او غيره من اثبات شك النبي صلى الله عليه وسلم فيما اوحي اليه وانه من البشر فمثل هذا لا يجوز عليه صلى الله عليه وسلم جملة بل قد قال النبي صلى الله عليه وسلم ولم يسال ونحوه عن سعيد بن جبير والحسن البصري وحكي عن قتادة انه قال بلغنا ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ما اشك ولا اسال وعامة المفسرين على هذا انتهى كلام القاضي عياض رحمه الله ثم اختلفوا في معنى الاية

من المخاطب بهذا الخطاب على قولين احدهما ان الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم في الظاهر
والمراد به غيره فهو كقوله لئن اشركت ليحبطن عملك ومعلوم ان النبي صلى الله عليه وسلم
لم يشرك فثبت ان المراد به غيره ومن امثلة العرب اياك اعني واسمعي يا جاره فعلى
هذا يكون معنى الاية قل يا ايها الناس الشاك ان كنت في شك مما انزلنا اليك على لسان
رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم فسل الذين يقرءون الكتاب يخبرونك بصحته ويدل على صحة
هذا التاويل قوله تعالى في اخر هذه السورة قل يا ايها الناس ان كنتم في شك من ديني
الاية فبين ان المذكور في هذه الاية على سبيل الرمز هم المذكورون في هذه الاية على سبيل
التصريح وايضا لو كان النبي صلى الله عليه وسلم شاكا في نبوته لكان غيره اولى بالشك في
نبوته وهذا يوجب سقوط الشريعة بالكلية معاذ الله من ذلك وقيل ان الله تعالى علم ان
النبي صلى الله عليه وسلم لم يشك قط فيكون المراد بهذا التهييج فانه صلى الله عليه وسلم اذا سمع
هذا الكلام فانه يقول لا اشك يا رب ولا اسال اهل الكتاب بل اكتفي بما انزلته علي من الدلائل
الظاهرة وقال الزجاج ان الله خاطب الرسول صلى الله عليه وسلم في قوله فان كنت في شك وهو
شامل للخلق فهو كقوله يا ايها النبي اذا طلقتم النسا وهذا وجه حسن لكن فيه بعد وهو
ان يقال متى كان الرسول صلى الله عليه وسلم داخلا في هذا الخطاب كان الاعتراض موجودا
والسوال وارد او قيل ان لفظة ان في قوله فان كنت في شك للنفي ومعناه وما انت في
شك مما انزلنا اليك حتى تسال فلا تسال ولئن سالت لازددت يقينا والقول الثاني وهو
ان يقال ان هذا الخطاب ليس هو للنبي صلى الله عليه وسلم البتة ووجه هذا القول ان الناس
كانوا في زمانه على ثلاث فرق فرقة له مصدقون وبه مومنون وفرقة على الضد من ذلك
والفرقة الثالثة المتوقفون في امره الشاكون فيه فخاطبهم الله عز وجل بهذا الخطاب
فقال تعالى فان كنت ايها الانسان في شك مما انزلنا اليك من الهدى على لسان محمد فاسال
اهل الكتاب ليدلوك على صحة نبوته وانما وحد الله الضمير في قوله فان كنت وهو يريد الجمع
لانه خطاب لجنس الانسان كما في قوله يا ايها الانسان ما غرك بربك الكريم لم يرد في الاية
انسانا بعينه بل اراد الجميع واختلفوا في المسوول عنه في قوله تعالى فاسال الذين يقرءون
الكتاب من قبلك من هم فقال المحققون من اهل التفسير هم الذين امنوا من اهل الكتاب
كعبد الله بن سلام واصحابه لانهم هم الموثوق باخبارهم من هذا السوال الاخبار بصحة نبوة
محمد صلى الله عليه وسلم وانه مكتوب عندهم صفته ونعته فاذا اخبروا بذلك فقد حصل
المقصود والاول اصح قال الضحاك يعني اهل التقوى واهل الايمان من اهل الكتاب ممن
ادرك النبي صلى الله عليه وسلم لقد جاءك الحق من ربك هذا كلام مبتدا منقطع عما قبله وفيه معنى
القسم تقديره والقسم لقد جاءك الحق البين من الخبر بانك رسول الله حقا وان اهل الكتاب يعلمون

صحة

صحة ذلك فلا تكونن من الممترين يعني من الشاكين في صحة ما انزلنا اليك ولا تكونن
من الذين كذبوا بايات الله يعني بدلائله وبراهينه الواضحة فتكون من الخاسرين يعني
الذين خسروا انفسهم واعلم ان هذا كله على ما تقدم من ان ظاهره خطاب للنبي صلى
الله عليه وسلم والمراد به غيره ممن عنده شك وارتياب فان النبي صلى الله عليه وسلم لم يشك
ولم يرتاب ولم يكذب بايات الله فثبت بذلك ان المراد غيره والله اعلم قوله تعالى ان الذين
حقت عليهم يعني وجبت عليهم كلمة ربك يعني حكم ربك وهو قوله خلقت هولا للنار
ولا ابالي وقال قتادة سخط ربك وقيل لعنة ربك وقيل ما قدره عليهم وقضاه في الازل
لا يومنون ولو جاءتهم كل اية فانهم لا يومنون بها حتى يروا العذاب الاليم فحينئذ
لا ينفعهم الايمان بالله لان الله تعالى قد حكم عليهم وصرفهم عن الايمان فلا ينفعهم شي قوله
عز وجل فلولا يعني فهلا كانت قرية وقيل معناه فما كانت قرية وقيل لم يكن قرية
لان في الاستفهام معنى الجحد والمراد هل كانت قرية امنت يعني عند معاينة العذاب
فنفعها ايمانها يعني في حال الياس الا قوم يونس هذا استثنا منقطع يعني لكن قوم
يونس فانهم امنوا فنفعهم في ذلك الوقت وهو قوله لما امنوا يعني لما اخلصوا الايمان
كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا ومتعناهم الى حين يعني الى وقت انقضا
اجالهم واختلفوا هل راوا العذاب عيانا ام لا فقال بعضهم راوا دليل العذاب
فامنوا وقال الاكثرون انهم راوا العذاب عيانا بدليل قوله كشفنا عنهم والكشف لا يكون
الا بعد الوقوع او اذا قرب وقوعه ذكر القصة في ذلك على ما ذكره عبد الله بن مسعود
وسعيد بن جبير ووهب وغيرهم قالوا ان قوم يونس كانوا بقرية نينوى من ارض
الموصل وكانوا اهل كفر وشرك فارسل الله عز وجل اليهم يونس عليه السلام يدعوهم الى
الايمان بالله وترك عبادة الاصنام فدعاهم فابوا عليه فقيل له اخبرهم ان العذاب
مصبحهم الى ثلاث فاخبرهم بذلك فقالوا انا لم نجرب عليه كذبا قط فانظروا فان
بات فيكم الليلة فليس بشي وان لم يبت فاعلموا ان العذاب مصبحكم فلما كان جوف الليل
خرج يونس من بين اظهرهم فلما اصبحوا تغشاهم العذاب فكان فوق رووسهم قال ابن
عباس ان العذاب كان اهبط على قوم يونس حتى لم يكن بينهم وبينه الا قدر ثلثي ميل فلما
دعوا كشفه الله عنهم وقال مقاتل قدر ميل وقال سعيد بن جبير غشي قوم يونس العذاب
كما يغشى الثوب القبر وقال وهب غامت السما غيما اسود هايلا يدخن دخانا شديدا
فهبط حتى غشي مدينتهم واسودت سطوحهم فلما راوا ذلك ايقنوا بالهلاك فطلبوا
نبيهم يونس فلم يجدوه فقذف الله في قلوبهم التوبة فخرجوا الى الصحرا بانفسهم ونسايهم
وصبيانهم ودوابهم ولبسوا المسوح واظهروا الايمان والتوبة وفرقوا بين كل والدة

وولدها من الناس والدواب فحن البعض الى البعض فحنت الاولاد الى الامهات والامهات
الى الاولاد وعلت الاصوات وعجوا جميعا الى الله وتضرعوا اليه وقالوا امنا بما جا به
يونس وتابوا الى الله واخلصوا النية فرحمهم ربهم فاستجاب دعاهم وكشف ما نزل بهم
من العذاب بعد ما اظلهم وكان ذلك اليوم يوم عاشورا وكان يوم الجمعة قال ابن مسعود
بلغ من توبتهم ان يردوا المظالم فيما بينهم حتى ان الرجل كان لياتي الى الحجر وقد وضع اساس
بنيانه عليه فيقلعه فيرده وروى الطبري بسنده عن ابي الجلد جيلان قال لما غشي قوم
يونس العذاب مشوا الى شيخ من بقية علمايهم فقالوا له انه قد نزل بنا العذاب فما ترى
قال قولوا يا حي حين لا حي ويا حي يحيي الموتى ويا حي لا اله الا انت فقالوها فكشف الله
عنهم العذاب ومتعوا الى حين وقال الفضيل بن عياض انهم قالوا اللهم ان ذنوبنا
قد عظمت وجلت وانت اعظم واجل فافعل بنا ما انت اهله ولا تفعل بنا ما نحن اهله
قالوا وخرج يونس وجعل ينتظر العذاب فلم ير شيا فقيل له ارجع الى قومك قال
وكيف ارجع اليهم فيجدوني كذابا وكان من كذب ولا بينة له قتل فانصرف اليهم مغاضبا
فالتقمه الحوت وستاتي القصة في سورة الصافات ان شا الله فان قلت كيف كشف
العذاب عن قوم يونس بعد ما نزل بهم وقبل توبتهم ولم يكشف العذاب عن فرعون حين امن
ولم يقبل توبته قلت اجاب العلما عن هذا باجوبة احدها ان ذلك كان خاصا بقوم
يونس والله يفعل ما يشا ويحكم ما يريد الجواب الثاني ان فرعون ما امن الا بعد ما
باشره العذاب وهو وقت الياس من الحياة وقوم يونس دنا منهم العذاب ولم ينزل بهم
ولم يباشرهم فكانوا كالمريض يخاف الموت ويرجو العافية الجواب الثالث ان الله عز وجل
علم صدق نياتهم في التوبة فقبل توبتهم بخلاف فرعون انه ما صدق في ايمانه ولا اخلص
فلم يقبل منه والله اعلم قوله تعالى ولو شا ربك لامن من في الارض كلهم جميعا يقول الله عز
وجل لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ولو شا ربك يا محمد لامن بك وصدقك من في الارض
كلهم جميعا ولكن لم يشا ان يصدقك ويومن بك الا من سبقت له السعادة في الازل قال ابن
عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يحرص ان يومن به جميع الناس ويتابعوه على
الهدى فاخبره الله عز وجل انه لا يومن الا من سبق له من الله السعادة في الذكر الاول ولم
يضل الا من سبق له من الله الشقا في الذكر الاول وفي هذا تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم
لانه كان حريصا على ايمانهم كلهم فاخبره انه لا يومن به الا من سبقت له العناية
الازلية فلا تتعب نفسك على ايمانهم وهو قوله افانت تكره الناس حتى يكونوا مومنين
يعني ليس ايمانهم اليك حتى تكرههم عليه او تحرص عليه انما ايمان المومن واضلال الكافر
بمشيته وقضايه وقدره ليس لاحد ذلك سواه وما كان لنفس ان تومن الا باذن الله

يعني

يعني وما كان ينبغي لنفس خلقها الله ان تومن وتصدق الا بقضا الله لها بالايمان
فان هدايتها الى الله هو الهادي المضل وقال ابن عباس معنى باذن الله بامر الله وقال عطا
بمشية الله ويجعل قرى بالنون على التعظيم اي ونجعل نحن وقرى باليا ومعناه ويجعل
الرجس يعني العذاب وقال ابن عباس يعني السخط على الذين لا يعقلون يعني لا يفهمون عن
الله امره ونهيه قوله عز وجل قل انظروا اي قل يا محمد لهولا المشركين الذين يسالونك
الايات انظروا يعني انظروا واعقلوا بكم نظر اعتبار وتفكر وتدبر ماذا في السموات والارض
يعني ماذا خلق الله في السموات والارض من الايات الدالة على وحدانيته ففي السموات
الشمس والقمر وهما دليلان على الليل والنهار والنجوم تسخيرها طالعة وغاربة وانزال المطر
من السما وفي الارض الجبال والبحار والمعادن والانهار والاشجار والنبات كل ذلك ايات
دالات على وحدانية الله وانه خالقها كما قال الشاعر وفي كل شي له اية تدل على انه واحد
وما تغني الايات والنذر يعني الرسل عن قوم لا يومنون وهذا في حق اقوام علم الله انهم
لا يومنون بما سبق لهم في الازل من الشقا فهل ينتظرون يعني مشركي مكة الا مثل ايام
الذين خلوا من قبلهم يعني من مضى من قبلهم من الامم السالفة المكذبة للرسل قال قتادة
يعني وقايع الله في قوم نوح وعاد وثمود والعرب تسمي العذاب اياما والنعم اياما
كقوله وذكرهم بايام الله والمعنى فهل ينتظر هولا المشركون من قومك يا محمد الا يوما
يعاينون فيه العذاب مثل ما فعلنا بالامم السالفة المكذبة اهلكناهم جميعا فانهم
كانوا ينتظرون ذلك العذاب قل فانتظروا يعني قل لهم يا محمد فانتظروا العذاب اني
معكم من المنتظرين يعني هلاككم قال الربيع بن انس خوفهم عذابه ونقمته ثم اخبرهم
انه اذا وقع ذلك بهم انجى الله رسله والذين امنوا معهم من ذلك العذاب وهو قوله تعالى
ثم ننجي رسلنا والذين امنوا يعني من الهلاك والعذاب كذلك حقا علينا ننجي المومنين
يعني كما انجينا رسلنا والذين معهم من الهلاك كذلك ننجيك يا محمد والذين امنوا معك
وصدقوك من الهلاك والعذاب قال بعض المتكلمين المراد بقوله حقا علينا الوجوب لان
تخليص الرسول والمومنين من العذاب واجب واجيب عن هذا بانه حق واجب بحسب
الوعد والحكم لا انه واجب بسبب الاستحقاق لانه قد ثبت ان العبد لا يستحق على خالقه
شيا قوله تعالى قل يا ايها الناس الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم اي قل يا محمد لهولا الذين
ارسلتك اليهم فشكوا في امرك ولم يومنوا بك ان كنتم في شك من ديني يعني الذي ادعوكم
اليه وانما حصل الشك لبعضهم في امره صلى الله عليه وسلم لما راى الايات التي كانت
تظهر على يد النبي صلى الله عليه وسلم فحصل لهم الاضطراب والشك فقال ان كنتم في شك
من ديني الذي ادعوكم اليه فلا ينبغي لكم ان تشكوا فيه لانه دين ابراهيم عليه السلام وانتم

من ذريته وتعرفونه ولا تشكون فيه وانما ينبغي لكم ان تشكوا في عبادتكم لهذه
الاصنام التي لا اصل لها البتة فان اصررتم على ما انتم عليه فلا اعبد الذين تعبدون
من دون الله يعني هذه الاوثان وانما وجب تقديم هذا النفي لان العبادة هي غاية
التعظيم للمعبود فلا يليق لاخس الاشيا وهي الحجارة التي لا تنفع لمن عبدها ولا تضر
لمن تركها ولكن تليق العبادة لمن بيده النفع والضر وهو قادر على الاماتة والاحيا وهو
قوله ولكن اعبد الله الذي يتوفاكم والحكمة في وصف الله عز وجل في هذا المقام بهذه
الصفة لان الذي يستحق العبادة فاعبده انا وانتم هو الذي خلقكم اولا ولم تكونوا
شيئا ثم يميتكم ثانيا ثم يحييكم بعد الموت ثالثا فاكتفى بذكر الوفاة تنبيها على الباقي
وقيل لما كان الموت اشد الاشيا على النفس ذكر في هذا المقام ليكون اقوى في الزجر
والردع وقيل لما استعجلوا بطلب العذاب اجابهم بقوله ولكن اعبد الله الذي
هو قادر على اهلاككم ونصري عليكم وامرت ان اكون من المومنين يعني وامرني ربي ان اكون
من المصدقين بما جا من عنده وقيل لما ذكر العبادة وهي من اعمال الجوارح اتبعه بذكر
الايمان لانه من اعمال القلوب وان اقم وجهك للدين حنيفا الواو في قوله وان واو عطف
معناه وامرت ان تقيم وجهك يعني اقم نفسك على دين الاسلام حنيفا يعني مستقيما
عليه غير معوج عنه الى دين اخر وقيل معناه اقم عملك على الدين الحنيف وقيل اراد بقوله
وان اقم وجهك للدين صرف نفسه بكليته الى طلب الدين الحنيف غير مايل عنه ولا تكونن من
المشركين يعني ولا تكونن ممن يشرك في عبادة ربه غيره فتهلك وقيل ان النهي عن عبادة الاوثان
قد تقدم في الاية المتقدمة فوجب حمل هذا النهي على معنى زايد وهو ان من عرف الله عز وجل
وعرف جميع اسمايه وصفاته وانه المستحق للعبادة لا غيره فلا ينبغي له ان يلتفت الى غيره
بالكلية وهذا الذي تسميه اصحاب القلوب بالشرك الخفي ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك
يعني ان عبدته ودعوته ولا يضرك يعني ان تركت عبادته فان فعلت يعني ما نهيتك عنه
فعبدت غيري وطلبت النفع ودفع الضر من غيري فانك اذا من الظالمين يعني لنفسك لانك
وضعت العبادة في غير موضعها وهذا الخطاب وان كان في الظاهر للنبي صلى الله عليه وسلم
فالمراد به غيره لانه صلى الله عليه وسلم لم يدع من دون الله شيا البتة فيكون المعنى ولا
تدع ايها الانسان من دون الله ما لا ينفعك الاية قوله عز وجل وان يمسسك الله بضر
يعني وان يصبك الله بشدة وبلا فلا كاشف له الا هو يعني لذلك الضر الذي نزل بك
وان يردك بخير يعني بسعة ورخا فلا راد لفضله يعني فلا راد لرزقه يصيب به يعني بكل
واحد من الضر والخير من يشا من عباده وقيل انه تعالى لما ذكر الاوثان وبين انها لا تقدر على
ضر ولا نفع بين تعالى انه هو القادر على ذلك كله وان جميع الكاينات محتاجة اليه وجميع الممكنات

مستندة اليه لانه هو القادر على كل شي وانه ذو الجود والكرم والرحمة ولهذا المعنى
ختم الاية بقوله وهو الغفور الرحيم وفي الاية لطيفة اخرى وهو ان الله تعالى رجح
جانب الخير على جانب الشر وذلك انه تعالى لما ذكر مس الضر بين انه لا كاشف له الا هو وذلك
يدل على انه تعالى يزيل جميع المضار ويكشفها لان الاستثنا من النفي اثبات ولما ذكر الخير
قال فيه فلا راد لفضله يعني ان جميع الخيرات منه فلا يقدر احد على ردها لانه هو الذي
يفيض جميع الخيرات على عباده وعضده بقوله وهو الغفور يعني الساتر لذنوب عباده
الرحيم يعني بهم قوله تعالى قل يا ايها الناس قد جاكم الحق من ربكم يعني القران والاسلام وقيل
الحق هو محمد صلى الله عليه وسلم جا بالحق من الله عز وجل فمن اهتدى فانما يهتدي لنفسه لان نفع
ذلك يرجع اليه ومن ضل فانما يضل عليها اي على نفسه لان وباله راجع اليه فمن حكم الله له
بالاهتدا في الازل انتفع ومن حكم عليه بالضلال ضل ولم ينتفع بشي ابدا وما انا عليكم بوكيل
يعني وما انا عليكم بحفيظ احفظ عليكم اعمالكم قال ابن عباس هذه الاية منسوخة باية
السيف واتبع ما يوحى اليك يعني الامر الذي يوحيه اليك يا محمد واصبر يعني على اذى من خالفك
من كفار قومك حتى يحكم الله يعني بنصرك عليهم باظهار دينك وهو خير الحاكمين يعني انه
تعالى حكم بنصر نبيه واظهار دينه وبقتل المشركين واخذ الجزية من اهل الكتاب وفيها ذلهم
وصغارهم هذا اخر تفسير سورة يونس والله تعالى اعلم بمراده وتفسير كتابه والحمد لله وحده
وصلى الله على سيدنا ومولانا وحبيبنا وشفيعنا محمد النبي الامي الهاشمي العربي وعلى اله
وصحبه اجمعين والتابعين وتابع التابعين ورضي الله عن ابي بكر وعمر وعثمان وعلي وعن كل
الصحابة اجمعين تفسير سورة هود عليه السلام وهي مكية في قول ابن عباس وبه قال
الحسن وعكرمة ومجاهد وابن جبير وقتادة وفي رواية عن ابن عباس انها مكية غير اية وهي قوله
تعالى واقم الصلاة طرفي النهار وعن قتادة نحوه وقال مقاتل هي مكية الا قوله فلعلك تارك
بعض ما يوحى اليك وقوله اولئك يومنون به وقوله ان الحسنات يذهبن السيات وهي مايه
وثلاث وعشرون اية والف وستماية كلمة وتسعة الاف وخمسماية وسبعة وستون
حرفا عن ابن عباس قال قال ابو بكر يا رسول الله قد شبت قال شيبتني هود والواقعة والمرسلات
وعم يتسالون واذا الشمس كورت اخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب وفي رواية
غيره قال قلت يا رسول الله عجل اليك الشيب قال شيبتني هود واخواتها الحاقة والواقعة
وعم يتسالون وهل اتاك حديث الغاشية قال بعض العلما سبب شيبه صلى الله
عليه وسلم من هذه السور المذكورة في الحديث لما فيها من ذكر القيامة والبعث والحساب
والجنة والنار والله اعلم بمراد رسوله صلى الله عليه وسلم بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز
وجل الر كتاب احكمت اياته قال ابن عباس لم ينسخها كتاب كما نسخ الكتب والشرايع ثم فصلت

يعني بينت قال الحسن احكمت اياته بالامر والنهي وفصلت بالثواب والعقاب وفي رواية عنه بالعكس قال احكمت بالثواب والعقاب وفصلت بالامر والنهي وقال قتادة احكمها الله من الباطل ثم فصلها بعلمه فبين حلاله وحرامه وطاعته ومعصيته فيها وقيل احكمها الله فليس فيها تناقض ثم فصلها وبينها وقيل معناه نظمت اياته نظما محكما بحيث لا يقع فيه نقص ولا خلل كالبناء المحكم الذي ليس فيه خلل ثم فصلت اياته سورا سورة سورة وقيل ان ايات هذا الكتاب دالة على التوحيد وصحة النبوة والمعاد واحوال القيامة وكل ذلك لا يدخله النسخ ثم فصلت بدلايل الاحكام والمواعظ والقصص والاخبار عن المغيبات وقال مجاهد فصلت بمعنى فسرت وثم في قوله ثم فصلت ليس هي للتراخي في الوقت ولكن في الحال كما تقول هي محكمة احسن الاحكام ثم مفصلة احسن التفصيل فان قلت كيف عم الايات هنا بالاحكام وخص بعضها في قوله منه ايات محكمات قلت ان الاحكام الذي عم به هنا غير الذي خص به هناك فمعنى الاحكام العام هنا انه لا يتطرق الى اياته التناقض والفساد كاحكام البناء وان هذا الكتاب بجميعه نسخ الكتب المتقدمة عليه والمراد بالاحكام الخاص المذكور في قوله منه ايات محكمات ان بعض اياته منسوخة نسخها بايات منه ايضا لم ينسخها من غيره وقيل احكمت اياته ان معظم اياته محكمة وان كان قد دخل النسخ على البعض فاجرى الكل على البعض لان الحكم للغالب واجرا الكل على البعض مستعمل في كلامهم تقول اكلت طعام زيد وانما اكلت بعضه وقوله تعالى من لدن حكيم يعني احكمت ايات الكتاب من عند حكيم في جميع افعاله خبير يعني باحوال عباده وما يصلحهم الا تعبدوا الا الله هذا معطوف على ما قبله معناه كتاب احكمت اياته ثم فصلت بان لا تعبدوا الا الله والمراد بالعبادة التوحيد وخلع الانداد والاصنام وما كانوا يعبدون والرجوع الى الله تعالى والى عبادته والدخول في دين الاسلام انني لكم منه اي قل لهم يا محمد انني لكم من عند الله نذير انذركم عقابه ان ثبتم على كفركم ولم ترجعوا عنه وبشير يعني وابشر بالثواب الجزيل لمن امن بالله ورسوله واطاع واخلص العمل لله وحده وان استغفروا ربكم ثم توبوا اليه اختلفوا في بيان الفرق بين هذين المرتبتين فقيل معناه اطلبوا من ربكم المغفرة لذنوبكم ثم ارجعوا اليه لان الاستغفار هو طلب الغفر وهو الستر والتوبة الرجوع عما كان فيه من شرك او معصية الى خلاف ذلك فلهذا السبب قدم الاستغفار على التوبة وقيل معناه استغفروا ربكم لسالف ذنوبكم ثم توبوا في المستقبل وقال الفراء ثم هنا بمعنى الواو لان الاستغفار والتوبة بمعنى واحد فذكرهما للتاكيد يمتعكم متاعا حسنا يعني انكم اذا فعلتم ما امرتكم به من الاستغفار والتوبة واخلصتم العبادة لله عز وجل بسط عليكم من الدنيا واسباب

الرزق

الرزق ما تعيشون فيه من امن وسعة وخير قال بعضهم العيش الحسن هو الرضى بالميسور والصبر على المقدور الى اجل مسمى يعني يمتعكم متاعا حسنا الى حين الموت ووقت انقضاء اجالكم فان قلت قد ورد في الحديث ان الدنيا سجن المومن وجنة الكافر وقد يضيق على الرجل في بعض اوقاته حتى لا يجد ما ينفقه على نفسه وعياله فكيف الجمع بين هذا وبين قوله يمتعكم متاعا حسنا الى اجل مسمى قلت اما قوله صلى الله عليه وسلم الدنيا سجن المومن فهو بالنسبة الى ما اعد الله له في الاخرة من الثواب الجزيل والنعيم المقيم فانه في سجن في الدنيا حتى يفضي الى ذلك المعد له واما كون الدنيا جنة الكافر فهو بالنسبة الى ما اعد الله له في الاخرة واما ما يضيق على الرجل المومن في بعض الاوقات انما ذلك لرفع الدرجات وتكفير السيات وبيان الصبر عند المصيبات فعلى هذا يكون المومن في جميع احواله في عيشة حسنة لانه راض عن الله في جميع احواله وقوله تعالى ويوت كل ذي فضل فضله اي ويعط كل ذي عمل صالح في الدنيا اجره وثوابه في الاخرة قال ابو العالية من كثرت طاعاته في الدنيا زادت درجاته في الجنة لان الدرجات تكون على قدر الاعمال وقال ابن عباس من زادت حسناته على سياته دخل الجنة ومن زادت سياته على حسناته دخل النار ومن استوت حسناته وسياته كان من اهل الاعراف ثم يدخلون الجنة وقال ابن عباس ابن مسعود من عمل سيئة كتبت عليه سيئة ومن عمل حسنة كتبت له عشر حسنات فان عوقب بالسيئة التي عملها في الدنيا بقيت له عشر حسنات وان لم يعاقب بها في الدنيا اخذ من حسناته العشر واحدة وبقيت له تسع حسنات ثم يقول ابن مسعود هلك من غلب احاده اعشاره وقيل معنى الاية من عمل لله وفقه الله في المستقبل لطاعته وان تولوا يعني وان اعرضوا عما جيتهم به من الهدى فاني اخاف عليكم اي فقل لهم اني اخاف عليكم عذاب يوم كبير يعني عذاب النار في الاخرة الى الله مرجعكم يعني في الاخرة فيثيب المحسن على احسانه ويعاقب المسي على اساته وهو على كل شي قدير يعني من ايصال الرزق اليكم في الدنيا وثوابكم وعقابكم في الاخرة قوله تعالى الا انهم يثنون صدورهم قال ابن عباس نزلت في الاخنس بن شريق وكان رجلا حلو الكلام حلو المنظر وكان يلقى رسول الله صلى الله عليه وسلم بما يحب وينطوي بقلبه على ما يكره فنزلت الا انهم يثنون صدورهم يعني يخفون ما في صدورهم من الشحنا والعداوة من ثنيت الثوب اذا طويته وقال عبد الله بن شداد بن الهاد نزلت في بعض المنافقين كان اذا مر برسول الله صلى الله عليه وسلم ثنى صدره وظهره وطاطا راسه وغطى وجهه كي لا يراه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال قتادة كانوا يحنون صدورهم كي

لا يسمعوا كتاب الله ولا ذكره وقيل كان الرجل من الكفار يدخل بيته ويرخي ستره
ويحني ظهره ويتغشى بثوبه ويقول هل يعلم الله ما في قلبي وقال السدي يثنون
صدورهم اي يعرضون بقلوبهم من قولهم ثنيت عناني **ليستخفوا منه** يعني من رسول الله
صلى الله عليه وسلم وقال مجاهد من الله عز وجل ان استطاعوا **الا حين يستغشون
ثيابهم** يعني يغطون رؤسهم بثيابهم **يعلم ما يسرون وما يعلنون انه عليم بذات الصدور**
ومعنى الاية على ما قاله الازهري ان الذين اضمروا عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم
لا يخفى علينا حالهم في كل حال وقد نقل عن ابن عباس غير هذا التفسير وهو ما اخرجه
البخاري في افراده عن محمد بن عباد بن جعفر المخزومي انه سمع ابن عباس يقرا الا انهم
يثنون صدورهم قال فسالته عنها فقال كان اناس يستحيون ان يتخلوا فيفضوا الى السما
وان يجامعوا نساءهم فيفضوا الى السما فنزل ذلك فيهم وقوله تعالى **وما من دابة في الارض**
الدابة اسم لكل حيوان دب على وجه الارض واطلق لفظ الدابة على كل ذي اربع من
الحيوان على سبيل العرف والمراد منه الاطلاق فيدخل فيه الادمي وغيره من جميع الحيوان
الا على الله رزقها يعني هو المتكفل برزقها فضلا منه لا على سبيل الوجوب فهو الى
مشيته ان شا رزق وان شا لم يرزق وقيل ان لفظة على بمعنى من اي من الله رزقها قال
مجاهد ما جاها من رزق فمن الله وربما لم يرزقها فتموت جوعا **ويعلم مستقرها ومستودعها**
قال ابن عباس مستقرها المكان الذي تاوي اليه في ليل او نهار ومستودعها المكان الذي تدفن
فيه بعد الموت وقال ابن مسعود مستقرها ارحام الامهات والمستودع المكان الذي تموت
فيه وقيل المستقر الجنة او النار والمستودع القبر **كل في كتاب مبين** اي كل ذلك مثبت
في اللوح المحفوظ قبل خلقها قوله عز وجل **وهو الذي خلق السموات والارض في ستة
ايام وكان عرشه على الما** يعني خلق السموات والارض قال كعب خلق الله ياقوتة خضرا
ثم نظر اليها بالهيبة فصارت ما يرتعد ثم خلق الريح فجعل الما على متنها ثم وضع
العرش على الما وقال ضمرة ان الله تعالى كان عرشه على الما ثم خلق السموات والارض
وخلق القلم فكتب به ما هو خالق وما هو كائن من خلقه الى يوم القيامة ثم ان ذلك
الكتاب سبح الله ومجده الف عام قبل ان يخلق شيا من خلقه وقال سعيد بن جبير سيل
ابن عباس عن قوله وكان عرشه على الما على اي شي كان الما قال على متن الريح وقال وهب
ابن منبه ان العرش كان قبل ان يخلق الله السموات والارض ثم قبض قبضة من صفا الما ثم
فتح القبضة فارتفع دخانا ثم قضاهن سبع سموات في يومين ثم اخذ طينة من
الما فوضعها مكان البيت ثم دحا الارض منها ثم خلق الاقوات في يومين والسموات
في يومين والارض في يومين ثم فرغ اخر الخلق في اليوم السابع قال بعض العلما وفي خلق

جميع الاشيا وجعلها على الما يدل على كمال القدرة لان البنا الضعيف اذا لم يكن له اساس
على ارض صلبة لم يثبت فكيف بهذا الخلق العظيم وهو العرش والسموات والارض على الما
فهذا يدل على كمال قدرة الله تعالى خ عن عمران بن حصين قال دخلت على النبي صلى الله عليه وسلم
وعقلت ناقتي بالباب فاتى ناس من بني تميم فقال اقبلوا البشرى يا بني تميم قالوا بشرتنا فاعطنا
مرتين فتغير وجهه ثم دخل عليه ناس من اهل اليمن فقال اقبلوا البشرى يا اهل اليمن
اذ لم يقبلها بنو تميم قالوا قبلنا يا رسول الله ثم قالوا جينا لنتفقه في الدين ولنسالك
عن اول هذا الامر ما كان قال كان الله ولم يكن معه شي قبله وكان عرشه على الما ثم خلق
السموات والارض وكتب في الذكر كل شي ثم اتاني رجل فقال يا عمران ادرك ناقتك فقد
ذهبت فانطلقت اطلبها فاذا السراب يقطع دونها وايم الله لوددت انها ذهبت
ولم اقم عن ابي رزين العقيلي قال قلت يا رسول الله اين كان ربنا قبل ان يخلق خلقه
قال كان في عما ما تحته هوا وما فوقه هوا وخلق عرشه على الما اخرجه الترمذي
وقال قال احمد قال يزيد العما اي ليس معه شي قال ابو بكر البيهقي في كتاب الاسما
والصفات له قوله صلى الله عليه وسلم كان الله ولم يكن شي قبله يعني لا الما ولا العرش
ولا غيرهما فجميع ذلك غير الله وقوله وكان عرشه على الما يعني وخلق الما وخلق العرش
على الما ثم كتب في الذكر كل شي وقوله في عما وجدته في كتابي عما مقيدا بالمد فان كان في
الاصل ممدودا فمعناه سحاب رقيق ويريد بقوله في عما اي فوق سحاب مدبر له وعاليا
عليه كما قال أامنتم من في السما يعني من فوق السما وقال لاصلبنكم في جذوع النخل يعني على
جذوعها وقوله ما فوقه هوا اي ما فوق السحاب هوا وكذلك قوله وما تحته هوا اي ما تحت
السحاب هوا وقد قيل ان ذلك العما مقصور والعما اذا كان مقصورا فمعناه لا شي ثابت
لانه مما عمي على الخلق لكونه غير شي فكانه قال في جوابه كان قبل ان يخلق خلقه ولم يكن شي
غيره ثم قال ما فوقه هوا وما تحته هوا لان ذلك اذا كان غير شي فليس يثبت له هوا بوجه
والله اعلم وقال الهروي صاحب الغريبين قال بعض اهل العلم معناه اي كان عرش ربنا
فحذف المضاف اختصارا كقوله واسيل القرية ويدل على ذلك قوله وكان عرشه على الما هذا
اخر كلام البيهقي وقال ابن الاثير العما في اللغة السحاب الرقيق وقيل الكثيف وقيل هو
الضباب ولا بد في الحديث من حذف مضاف تقديره اي كان عرش ربنا فحذف ويدل على
هذا المحذوف قوله تعالى وكان عرشه على الما وحكي عن بعضهم في عما مقصورا وهو كل
امر لا يدركه الفطن وقال الازهري قال ابو عبيد انما تاولنا هذا الحديث على كلام العرب
المعقول عنهم والا فلا ندري كيف كان ذلك العما قال الازهري فنحن نؤمن به ولا نكيف بصفة
م عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول كتب الله مقادير

للخلايق قبل ان يخلق السموات والارض بخمسين الف سنة وكان عرشه على الماء وفي رواية
فرغ الله من المقادير وامور الدنيا قبل ان يخلق السموات والارض وكان عرشه على الماء
بخمسين الف سنة فقوله فرغ يريد اتمام خلق المقادير لا انه كان مشغولا ففرغ منه لان
الله تعالى لا يشغله شان عن شان فانما امره اذا اراد شيا ان يقول له كن فيكون وقوله تعالى
ليبلوكم يعني ليختبركم وهو اعلم بكم منكم **ايكم احسن عملا** يعني بطاعة الله واورع عن محارم
الله **ولئن قلت** يعني ولئن قلت يا محمد لهولاء الكفار من قومك **انكم مبعوثون من بعد الموت**
يعني للحساب والجزا **ليقولن الذين كفروا ان هذا الا سحر مبين** يعنون القران **ولئن اخرنا**
عنهم العذاب الى امة معدودة يعني الى اجل محدود واصل الامة في اللغة الجماعة
من الناس فكانه قال الى انقراض امة ومجي امة اخرى **ليقولن ما يحبسه** يعني اي شي يحبس
العذاب وانما يقولون ذلك استعجالا بالعذاب واستهزا يعنون انه ليس بشي قال الله
عز وجل **الا يوم ياتيهم** يعني العذاب **ليس مصروفا عنهم** اي لا يصرف عنهم شي **وحاق بهم**
ما كانوا به يستهزون يعني ونزل بهم وبال استهزايهم قوله تعالى **ولئن اذقنا الانسان منا**
رحمة يعني رخا وسعة في الرزق والعيش وبسطنا عليه من الدنيا **ثم نزعناها منه** يعني
سلبناه ذلك كله واصابته المصايب فاجاحته وذهبت به **انه ليووس كفور** يعني انه
قانطا من رحمة الله ايسا من كل خير كفور اي جحود لنعمتنا عليه ولا وقليل الشكر لربه
قال بعضهم يا ابن ادم اذا كانت بك نعمة من الله من امن وسعة وعافية فاشكرها ولا تجحد
فان نزعت عنك فينبغي لك ان تصبر ولا تياس من رحمة الله فانه العواد على عباده بالخير
وهو قوله تعالى **ولئن اذقناه نعما بعد ضرا مسته** يعني ولئن نحن انعمنا على الانسان فبسطنا
عليه من العيش **ليقولن** يعني الذي اصابه الخير والسعة **ذهب السيات عني** يعني ذهبت
الشدايد والعسر والضيق وانما قال ذلك غرة بالله عز وجل وجراة عليه لانه لم يضف
الاشياء كلها الى الله وانما اضافها الى العوايد فلهذا ذمه الله تعالى فقال **انه لفرح فخور**
اي انه اشر بطر والفرح لذة تحصل في القلب بنيل المراد والمشتهى والفخر هو التطاول
على الناس بتعديد المناقب وذلك منهي عنه ثم استثنى فقال تعالى **الا الذين صبروا وعملوا**
وعملوا الصالحات قال الفرا هذا استثنا منقطع معناه لكن الذين صبروا وعملوا الصالحات
فانهم ليسوا كذلك فانهم ان نالهم شدة صبروا وان نالهم نعمة شكروا عليها **اوليك**
يعني من هذه صفته **لهم مغفرة** يعني لذنوبهم **واجر كبير** يعني الجنة قوله عز وجل **فلعلك**
تارك بعض ما يوحى اليك الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم يقول الله عز وجل لنبيه محمد
صلى الله عليه وسلم فلعلك يا محمد تارك بعض ما يوحي ربك ان تبلغه من امرنا ان تبلغ ذلك
اليه **وضايق به صدرك** يعني ويضيق صدرك بما يوحى اليك فلا تبلغه اياهم وذلك ان كفار

مكة

مكة قالوا ايت بقران غير هذا ليس فيه سب الهتنا فهم النبي صلى الله عليه وسلم ان يترك
ذكر الهتهم ظاهرا فانزل الله فلعلك تارك بعض ما يوحى اليك يعني من ذكر الهتهم
هذا ما ذكره المفسرون في معنى هذه الاية واجمع المسلمون على انه صلى الله عليه وسلم فيما كان
طريقه البلاغ فانه معصوم فيه من الاخبار عن شي منه بخلاف ما هو به لا قصدا ولا عمدا
ولا سهوا ولا غلطا وانه صلى الله عليه وسلم بلغ جميع ما انزل الله عليه الى امته ولم يكتم منه
شيا واجمعوا على انه لا يجوز على رسول الله صلى الله عليه وسلم خيانة في الوحي والانذار
ولا يترك بعض ما اوحي اليه لقول احد لان تجويز ذلك يودي الى الشك في ادا الشرايع والتكاليف
لان المقصود من ارسال الرسول التبليغ الى من ارسل اليه فاذا لم يحصل ذلك فقد فات
فايدة الرسالة والنبي صلى الله عليه وسلم معصوم من ذلك كله واذا ثبت هذا وجب ان
يكون المراد بقوله تعالى فلعلك تارك بعض ما يوحى اليك شيا اخر سوى ما ذكره المفسرون
وللعلما في ذلك اجوبة احدها قال ابن الانباري قد علم الله سبحانه وتعالى ان النبي صلى الله
عليه وسلم لا يترك شيا مما يوحى اليه شفقا من موجدة احد وغضبه ولكن الله تعالى اكد
على رسوله صلى الله عليه وسلم في متابعة الابلاغ كما قال يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك الاية
الثاني ان هذا من ادب الله لنبيه صلى الله عليه وسلم وتحريض على ادا ما انزل الله اليه والله تعالى
منجز له ذلك في عصمته مما يخافه ويخشاه الثالث ان الكفار كانوا يستهزون بالقران ويضحكون
منه ويتهاونون به وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يضيق صدره لذلك وان يلقي اليهم ما لا
يقبلونه ويستهزون به فامره الله تعالى بتبليغ ما اوحي وان لا يلتفت الى استهزايهم وان
يحمل هذا الضرر لان من كتم شيا من الوحي والمقصود من الكلام التنبيه على هذه الدقيقة
لان الانسان اذا علم ان كل واحد من طرفي الفعل والترك مشتمل على ضرر عظيم ثم علم ان الضرر
في باب الترك اعظم سهل عليه الاقدام على الفعل وقيل ان الله تعالى مع علمه بان رسول
الله صلى الله عليه وسلم لا يترك شيا من الوحي هيجه لادا الرسالة وطرح المبالاة باستهزايهم
وردهم قبول قوله بقوله فلعلك تارك اي لعلك تترك ان تلقيه اليهم مخافة ردهم واستهزايهم
به وضايق به صدرك بان تتلوه عليهم **ان يقولوا** يعني مخافة ان يقولوا **لولا انزل عليه كنز**
يعني يستغني به وينفقه **او جاء معه ملك** يعني يشهد بصدقه وقايل هذه المقالة هو
عبد الله بن امية المخزومي والمعنى انهم قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان كنت صادقا
في قولك بانك رسول الله الذي تصفه بالقدرة على كل شي وانت عزيز عنده مع انك فقير
فهلا انزل عليك ما تستغني به انت واصحابك وهلا انزل عليك ملكا يشهد لك بالرسالة
فتزول الشبهة في امرك فاخبر الله عز وجل انه صلى الله عليه وسلم نذير بقوله عز وجل
انما انت نذير تنذر بالعقاب لمن خالفك وعصى امرك وتبشر بالثواب لمن اطاعك وامن بك

وصدقك والله على كل شيء وكيل يعني انه تعالى حافظ يحفظ اقوالهم واعمالهم فيجازيهم
عليها يوم القيمة قوله تعالى ام يقولون افتراه يعني بل يقولون كفار مكة اختلقه يعني
يعني ما اوحي اليه من القران قل اي قل لهم يا محمد فاتوا بعشر سور مثله مفتريات لما قالوا له
افتريت هذا القران واختلقته من عند نفسك وليس هو من عند الله تحداهم وارخى لهم
العنان وفاوضهم على مثل دعواهم فقال صلى الله عليه وسلم هبوا اني اختلقته من عند نفسي
ولم يوحى الي شيء وان الامر كما قلتم وانتم عرب مثلي من اهل الفصاحة وفرسان البلاغة
واصحاب اللسان فاتوا انتم بكلام مثل هذا الكلام الذي جيتكم به فاختلقوا من عند انفسكم
فانتم تقدرون على مثل ما اقدر عليه من الكلام فلهذا قال فاتوا بعشر سور مثله مفتريات
في مقابلة قولهم افتراه فان قلت قد تحداهم بان ياتوا بسورة من مثله فلم يقدروا على ذلك
وعجزوا عنه فكيف قال فاتوا بعشر سور مثله ومن عجز عن سورة واحدة فهو عن العشرة
اعجز قلت قد قال بعضهم ان سورة هود نزلت قبل سورة يونس وانه تحداهم اولا
بعشر سور فلما عجزوا تحداهم بسورة يونس وانكر المبرد هذا القول وقال ان سورة يونس
نزلت اولا قال ومعنى قوله في سورة يونس فاتوا بسورة مثله يعني مثله في الاخبار عن
الغيب والاحكام والوعد والوعيد وقوله في سورة هود فاتوا بعشر سور مثله يعني
في مجرد البلاغة والفصاحة من غير خبر عن غيب ولا ذكر حكم ولا وعد ولا وعيد ولما
تحداهم بهذا الكلام امره بان يقول لهم وادعوا من استطعتم من دون الله حتى يعينوكم على ذلك
ان كنتم صادقين يعني في قولكم انه مفترى فالم يستجيبوا لكم اعلم انه لما اشتملت الاية المتقدمة
على امرين وخطابين احدهما امر وخطاب للكفار وهو قوله وادعوا من استطعتم من دون
الله ثم اتبعه بقوله فان لم يستجيبوا لكم احتمل ان يكون المراد ان الكفار لم يستجيبوا في
المعارضة لعجزهم عنها واحتمل ان يكون المراد ان من يدعون من دون الله لم يستجيبوا للكفار
في المعارضة فلهذا السبب اختلف المفسرون في معنى الاية على قولين احدهما انه خطاب
للنبي صلى الله عليه وسلم والمومنين وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم والمومنين معه كانوا يتحدون
الكفار بالمعارضة ليتبين عجزهم فلما عجزوا عن المعارضة قال الله لنبيه والمومنين فان لم
يستجيبوا لكم فيما دعوتموهم اليه من المعارضة وعجزوا عنه فاعلموا انما انزل بعلم الله يعني
فاثبتوا على العلم الذي انتم عليه وازدادوا يقينا وثباتا لانهم كانوا عالمين بانه منزل من
عند الله وقيل الخطاب في قوله فان لم يستجيبوا لكم للنبي صلى الله عليه وسلم وحده وانما
ذكره بلفظ الجمع تعظيما له صلى الله عليه وسلم القول الثاني ان قوله تعالى فان لم يستجيبوا لكم
خطاب مع الكفار وذلك انه تعالى لما قال في الاية المتقدمة وادعوا من استطعتم من دون الله
قال الله عز وجل في هذه الاية فان لم يستجيبوا لكم ايها الكفار ولم يعينوكم فاعلموا انما انزل

بعلم الله

بعلم الله وانه ليس مفترى على الله بل هو انزله على رسوله صلى الله عليه وسلم وان لا اله الا هو
يعني الذي انزل القران هو الله الذي لا اله الا هو لا من تدعون من دونه فهل انتم مسلمون
فيه معنى الامر اي اسلموا واخلصوا لله العبادة وان حملنا معنى الاية على انه خطاب
مع المومنين كان معنى قوله فهل انتم مسلمون الترغيب اي دوموا على ما انتم عليه من الاسلام
قوله عز وجل من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها يعني بعمله الذي يعمله من اعمال البر نزلت في كل
من عمل عملا يبتغي به غير الله عز وجل نوف اليهم اعمالهم فيها يعني اجور اعمالهم التي عملوا
لطلب الدنيا وذلك ان الله تعالى يوسع عليهم في الرزق ويدفع عنهم المكاره في الدنيا ونحو
ذلك وهم فيها لا يبخسون يعني انهم لا ينقصون من اجور اعمالهم التي عملوها لطلب الدنيا بل
يعطون اجور اعمالهم في الدنيا كاملة موفرة اولئك الذين ليس لهم في الاخرة الا النار وحبط
ما صنعوا فيها يعني وبطل ما عملوا في الدنيا من اعمال البر وباطل ما كانوا يعملون لانه لغير
الله واختلف المفسرون في المعنى بهذه الاية فروى قتادة عن انس انها في اليهود والنصارى
وعن الحسن مثله وقال الضحاك من عمل صالحا في غير تقوى يعني اهل الشرك اعطي على ذلك
اجرا في الدنيا وهو ان يصل رحما ويعطي سايلا او يرحم مضطرا ونحو هذا من اعمال البر
يعجل الله له ثواب عمله في الدنيا يوسع عليه في المعيشة والرزق ويقر عينه فيما خوله ويدفع
عنه المكاره في الدنيا وليس له في الاخرة نصيب ويدل على صحة هذا القول سياق الاية وهو
قوله اولئك الذين ليس لهم في الاخرة الا النار الاية وهذه حالة الكافر في الاخرة وقيل نزلت
في المنافقين الذين كانوا يطلبون بغزوهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الغنايم لانهم كانوا
لا يرجون ثواب الاخرة وقيل ان حمل الاية على العموم اولى فيندرج الكافر والمنافق الذي هذه
صفته والمومن الذي ياتي بالطاعات واعمال البر على وجه الريا والسمعة قال مجاهد في
هذه الاية هم اهل الريا وهذا القول مشكل لان قوله اولئك الذين ليس لهم في الاخرة الا النار
لا يليق بحال المومن الا اذا قلنا ان تلك الاعمال الفاسدة والافعال الباطلة لما كانت لغير
الله تعالى استحق فاعلها الوعيد الشديد وهو عذاب النار ويدل على هذا ما روي عن ابي
هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قال الله تبارك وتعالى انا اغنى الشركا
عن الشرك من عمل عملا اشرك فيه معي غيري تركته وشركه اخرجه مسلم عن ابن عمر قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم من تعلم علما لغير الله او اراد به غير الله فليتبوا مقعده من النار اخرجه
الترمذي عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من تعلم علما مما يبتغى به وجه الله
لا يتعلمه الا ليصيب به عرضا من الدنيا لم يجد عرف الجنة يوم القيمة يعني ريحها اخرجه
ابو داود وعن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تعوذوا بالله من جب الحزن قالوا
يا رسول الله وما جب الحزن قال واد في جهنم تتعوذ منه جهنم كل يوم مايه مرة قيل يا رسول الله

من يدخله قال الفرا المراون باعمالهم اخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب قال البغوي
وروينا ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان اخوف ما اخاف عليكم الشرك الاصغر قالوا
يا رسول الله وما الشرك الاصغر قال الريا اخرجه بغير سنده والريا هو ان يظهر الانسان
الاعمال الصالحة ليحمده الناس عليها او ليعتقدوا فيه الصلاح او ليقصدوه بالعطا فهذا
العمل الذي هو لغير الله نعوذ بالله من الخذلان قال وقيل هذا في الكفار يعني قوله من كان يريد
الحياة الدنيا وزينتها اما المومن فيريد الدنيا والاخرة وارادته الاخرة غالبة فيجازى
بحسناته في الدنيا ويثاب عليها في الاخرة وروينا عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال ان الله لا يظلم المومن حسنة يثاب عليها الرزق في الدنيا ويجزى بها في الاخرة واما
الكافر فيطعم بحسناته في الدنيا حتى اذا افضى الى الاخرة لم يكن له حسنة يعطى بها خيرا
اخرجه البغوي بغير سند قوله تعالى افمن كان على بينة من ربه لما ذكر الله تعالى في الاية
المتقدمة الذين يريدون باعمالهم الحياة الدنيا وزينتها ذكر في هذه الاية من كان يريد
بعمله وجه الله والدار الاخرة فقال تعالى افمن كان على بينة من ربه كمن يريد الحياة الدنيا
وزينتها وليس لهم في الاخرة الا النار وانما كان هذا الجواب لظهوره ودلالة الكلام
عليه وقيل معناه افمن كان على بينة من ربه وهو النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه كمن
هو في ضلالة وكفر والمراد بالبينة الدين الذي امر الله به نبيه صلى الله عليه وسلم وقيل المراد
بالبينة اليقين يعني انه على يقين من ربه انه على الحق ويتلوه شاهد منه يعني ويتبعه من
يشهد له بصدقه واختلفوا في الشاهد من هو فقال ابن عباس وعلقمة وابراهيم ومجاهد وعكرمة
والضحاك واكثر المفسرين انه جبريل عليه السلام يريد ان جبريل يتبع النبي صلى الله عليه وسلم
ويويده ويسدده ويقويه وقال الحسن وقتادة هو لسان النبي صلى الله عليه وسلم وروى محمد
ابن الحنفية قال قلت لابي يعني علي بن ابي طالب رضي الله عنهما انت التالي قال وما تعني بالتالي
قلت قوله ويتلوه شاهد منه قال وددت اني هو ولكنه لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم
ووجه هذا القول ان اللسان لما كان يعرب عما في الجنان ويظهره جعل كالشاهد له لان
اللسان هو الة الفصاحة والبيان به يتلى القران وقال مجاهد الشاهد هو ملك يحفظ النبي
صلى الله عليه وسلم ويسدده وقال الحسين بن الفضل الشاهد هو القران ونظمه واعجازه وبلاغته
وحسن نظمه تشهد للنبي صلى الله عليه وسلم بنبوته ولانه اعظم معجزاته الباقية على طول
الدهر وقال الحسين بن علي وابن زيد الشاهد منه هو محمد صلى الله عليه وسلم ووجه هذا القول
ان من نظر الى النبي صلى الله عليه وسلم بعين العقل والبصيرة علم انه ليس بكذاب ولا ساحر
ولا كاهن ولا مجنون وقال جابر بن عبد الله بن يحيى قال علي بن ابي طالب ما من رجل من قريش
الا وقد نزلت فيه الاية والايتان فقال له رجل وانت اي شي نزل فيك فقال علي اما تقرا التي في هود ويتلوه

شاهد منه فعلى هذا القول يكون الشاهد علي بن ابي طالب وقوله منه يعني من النبي
صلى الله عليه وسلم والمراد منه تشريف هذا الشاهد وهو علي لاتصاله بالنبي صلى
الله عليه وسلم وقيل يتلوه شاهد منه يعني الانجيل وهو اختيار الفرا والمعنى ان الانجيل
يتلو القران في التصديق بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم والامر بالايمان به وان كان قد نزل
قبل القران وقوله تعالى ومن قبله يعني ومن قبل نزول القران وارسال محمد صلى الله عليه وسلم
كتاب موسى يعني التوراة اماما ورحمة يعني انه اماما لهم يرجعون اليه في امور الدين
والاحكام والشرايع وكونه رحمة لانه الهادي من الضلال وذلك سبب حصول الرحمة
وقوله تعالى اولئك يومنون به يعني ان الذين وصفهم الله بانهم على بينة من ربهم هم
المشار اليهم بقوله اولئك يومنون به يعني بمحمد صلى الله عليه وسلم وقيل اراد الذين
اسلموا من اهل الكتاب كعبد الله بن سلام واصحابه ومن يكفر به يعني بمحمد صلى الله عليه
وسلم من الاحزاب يعني جميع الكفار واصحاب الاديان المختلفة فيدخل فيه اليهود
والنصارى والمجوس وعبدة الاصنام وغيرهم والاحزاب الفرق الذين تجمعوا وتحزبوا
على مخالفة الانبيا فالنار موعده يعني في الاخرة روى البغوي بسنده عن ابي هريرة
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي احد من هذه
الامة ولا يهودي ولا نصراني ثم مات ولم يومن بالذي ارسلت به الا كان من اصحاب النار
وقال سعيد بن جبير ما بلغني حديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم على وجهه الا
وجدت مصداقه في كتاب الله عز وجل حتى بلغني هذا الحديث لا يسمع بي احد من
هذه الامة الحديث قال سعيد فقلت اين هذا في كتاب الله حتى اتيت على هذه الاية ومن
قبله كتاب موسى الى قوله ومن يكفر به من الاحزاب فالنار موعده قال فالاحزاب اهل الملل
كلها ثم قال تعالى فلا تك في مرية منه انه الحق من ربك فيه قولان احدهما ان معناه فلا تك
في شك من صحة هذا الدين ومن كون القران نازلا من عند الله فعلى هذا القول يكون
متعلقا بما قبله من قوله تعالى ام يقولون افتراه والقول الثاني انه راجع الى قوله ومن يكفر
به من الاحزاب فالنار موعده فلا تك في شك من ان النار موعد من كفر من الاحزاب والخطاب
في قوله فلا تك في مرية للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد غيره لان النبي صلى الله عليه وسلم لم يشك
قط ويعضد هذا القول سياق الاية وهو قوله ولكن اكثر الناس لا يومنون يعني لا يصدقون
بما اوحينا اليك او بان موعد الكفار النار قوله عز وجل ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا
يعني اي الناس اشد تعديا ممن اختلق على الله كذبا فكذب عليه وزعم ان له شريكا او ولدا
وفي الاية دليل على ان الكذب على الله من اعظم انواع الظلم لان قوله ومن اظلم ممن افترى على
الله كذبا يورد في معرض المبالغة اولئك يعني المفترين على الله الكذب يعرضون على ربهم

يعني يوم القيامة فيسالهم عن اعمالهم في الدنيا ويقول الاشهاد يعني الملايكة الذين
يحفظون اعمال بني ادم قاله مجاهد وقال ابن عباس هم الانبيا والرسل وبه قال الضحاك
وقال قتادة الاشهاد الخلق كلهم هولا الذين كذبوا على ربهم يعني في الدنيا وهذه
الفضيحة تكون في الاخرة لكل من كذب على الله الا لعنة الله على الظالمين يعني يقول
الله ذلك يوم القيامة فيلعنهم ويطردهم من رحمته ق عن صفوان بن محرز المازني قال
بينما ابن عمر يطوف اذ عرض له رجل فقال يا ابا عبد الرحمن اخبرني ما سمعت رسول الله صلى
الله عليه وسلم في النجوى قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يدني المومن من ربه عز وجل
حتى يضع عليه كنفه فيقرره بذنوبه تعرف ذنب كذا وكذا فيقول اعرف رب اعرف مرتين
فيقول سترتها عليك في الدنيا وانا اغفرها لك اليوم ثم يعطى كتاب حسناته وفي رواية
ثم تطوى صحيفة حسناته واما الكفار والمنافقون فيقول الاشهاد وفي رواية فينادي بهم
على روس الخلايق هولا الذين كذبوا على ربهم الا لعنة الله على الظالمين قوله تعالى الذين
يصدون عن سبيل الله هذه الاية متصلة بما قبلها والمعنى الا لعنة الله على الظالمين
ثم وصفهم فقال الذين يصدون عن سبيل الله يعني يمنعون الناس من الدخول في دين الله
الذي هو الاسلام ويبغونها عوجا يعني ويطلبون القا الشبهات في قلوب الناس وتعويج
الدلايل الدالة على صحة دين الاسلام وهم بالاخرة هم كافرون يعني وهم مع صدهم عن سبيل
الله يجحدون البعث بعد الموت منكرون له اولئك يعني من هذه صفته لم يكونوا معجزين
في الارض والمعنى انهم لا يعجزون الله اذا اراد بهم العقاب والانتقام منهم ولكنهم في
قبضته وملكه لا يقدرون على الامتناع منه اذا طلبهم وما كان لهم من دون الله من اوليا يعني
وما كان لهولا المشركين من انصار يمنعونهم من دون الله اذا اراد بهم سوا وعذابا يضاعف
لهم العذاب يعني في الاخرة يزاد عذابهم بسبب صدهم عن سبيل الله وانكارهم البعث
بعد الموت ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون قال قتادة صم عن سماع
الحق فلا يسمعون خيرا فينتفعوا به ولا يبصرون خيرا فياخذوا به وقال ابن عباس اخبر
الله انه حال بين المشرك وبين طاعته في الدنيا والاخرة اما في الدنيا فانه قال ما كانوا
يستطيعون السمع وهي طاعته وما كانوا يبصرون واما في الاخرة فانه قال لا يستطيعون
خاشعة ابصارهم اولئك الذين خسروا انفسهم يعني ان هولا الذين هذه صفتهم
هم الذين غبنوا انفسهم حظوظها من رحمة الله وضل عنهم ما كانوا يفترون يعني
وبطل كذبهم وافكهم وفريتهم على الله وادعاوهم ان الاصنام والملايكة تشفع لهم
لا جرم يعني حقا وقال الفرا لا محالة انهم في الاخرة هم الاخسرون لانهم باعوا منازلهم في
الجنة واشتروا عوضها منازل في النار وهذا هو الخسران المبين قوله عز وجل ان الذين امنوا

وعملوا الصالحات واخبتوا الى ربهم لما ذكر الله عز وجل احوال الكفار في الدنيا
وخسرانهم في الاخرة اتبعه بذكر احوال المومنين في الدنيا وربحهم في الاخرة والاخبات
في اللغة هو الخشوع والخضوع وطمانينة القلب ولفظ الاخبات يتعدى بالى وباللام فاذا
قلت اخبت فلان الى كذا فمعناه اطمان اليه واذا قلت اخبت له فمعناه خشع وخضع
له فقوله ان الذين امنوا وعملوا الصالحات اشارة الى جميع اعمال الجوارح وقوله واخبتوا
اشارة الى اعمال القلوب وهي الخضوع والخشوع لله عز وجل وان هذه الاعمال الصالحة
لا تنفع في الاخرة الا بحصول اعمال القلب وهي الخشوع والخضوع فاذا فسرنا الاخبات
بالطمانينة كان معنى الكلام انهم ياتون بالاعمال الصالحة مطمينين الى صدق وعد الله
بالثواب والجزا على تلك الاعمال ويكونوا مطمينين الى ذكره سبحانه وتعالى واذا فسرنا
الاخبات بالخشوع والخضوع كان معناه انهم ياتون بالاعمال الصالحات خايفين وجلين
ان لا تكون مقبولة وهو الخشوع والخضوع اولئك يعني الذين هذه صفتهم اصحاب الجنة هم فيها
خالدون اخبر عن حالهم في الاخرة بانهم من اهل الجنة التي لا انقطاع لنعيمها ولا زوال
قوله تعالى مثل الفريقين كالاعمى والاصم والبصير والسميع لما ذكر الله سبحانه وتعالى
احوال الكفار وما كانوا عليه من العمى عن طريق الحق ومن الصمم عن سماعه وذكر احوال
المومنين وما كانوا عليه من البصيرة وسماع الحق والانقياد للطاعة ضرب لهم مثلا فقال
تعالى مثل الفريقين يعني فريق المومنين وفريق الكافرين كالاعمى وهو الذي لا يهتدي
لرشده والاصم وهو الذي لا يسمع شيا البتة والبصير وهو الذي يبصر الاشيا على ماهيتها
والسميع وهو الذي يسمع الاصوات ويجيب الداعي فمثل المومنين كمثل الذي يسمع ويبصر
وهو الكامل في نفسه ومثل الكافر كمثل الذي لا يسمع ولا يبصر وهو الناقص في نفسه هل
يستويان مثلا قال الفرا لم يقل هل يستوون لان الاعمى والاصم في حيز كانهما واحد وهما من وصف
الكافر والبصير والسميع في حيز كانهما واحد وهما في وصف المومن افلا تذكرون يعني فتتعظون
قوله عز وجل ولقد ارسلنا نوحا الى قومه اني لكم نذير يعني ان نوحا عليه السلام قال لقومه حين
ارسله الله اليهم اني لكم نذير مبين ايها القوم نذير يعني بين النذارة اخوفكم بالعقاب
لمن خالف امر الله وعبد غيره وهو قوله ان لا تعبدوا الا الله اني اخاف عليكم عذاب يوم اليم
يعني مولم موجع قال ابن عباس بعث نوح بعد اربعين سنة ولبث يدعو قومه تسعماية
وخمسين سنة وعاش بعد الطوفان ستين فكان عمره الف سنة وخمسين سنة وقال مقاتل
بعث وهو ابن ماية سنة وقيل وهو ابن خمسين سنة وقيل ابن مايتين وخمسين سنة
مكث يدعو قومه تسعماية وخمسين سنة وعاش بعد الطوفان مايتين وخمسين سنة فقال
الملا الذين كفروا من قومه يعني الاشراف والروسا من قوم نوح ما نراك يا نوح الا بشرا مثلنا

يعني ادميا مثلنا لا فضل لك علينا لان التفاوت الحاصل بين احاد البشر يمتنع انتهاؤه
الى حيث يصير الواحد منهم واجب الطاعة على جميع العالم وانما قالوا هذه المقالة
وتمسكوا بهذه الشبهة جهلا منهم لان من حق الرسول ان يباشر الامة بالدعوة الى الله
باقامة الدليل والبرهان على ذلك ويظهر المعجزة الدالة على صدقه ولا يتاتى ذلك الا من
احاد البشر وهو من اختصه الله بكرامته وشرفه بنبوته وارسله الى عباده ثم قال تعالى
اخبارا عن قوم نوح وما نراك اتبعك الا الذين هم اراذلنا يعني سفلتنا والرذل الدون
من كل شيء قيل هم الحاكة والاساكفة واصحاب الصنايع الخسيسة وانما قالوا ذلك جهلا
منهم ايضا لان الرفعة في الدين ومتابعة الرسل لا تكون بالشرف والمال والمناصب العالية
بل للفقراء الخاملين وهم اتباع الرسل ولا تضرهم خسة صنايعهم اذا حسنت سيرتهم في الدين
بادي الراي يعني انهم اتبعوك في اول الراي من غير تثبت وتفكر في امرك ولو تفكروا ما اتبعوك
وقيل معناه ظاهر الراي يعني انهم اتبعوك ظاهرا من غير ان يتفكروا باطنا وما نرى لكم علينا
من فضل يعني بالمال والشرف والجاه وهذا القول ايضا جهل منهم لان الفضيلة المعتبرة
عند الله بالايمان والطاعة لا بالشرف والرياسة بل نظنكم كاذبين قيل الخطاب لنوح
ومن امن معه من قومه وقيل هو لنوح وحده فعلى هذا يكون الخطاب بلفظ الجمع للواحد على
سبيل التعظيم قال نوح يا قوم ارايتم ان كنت على بينة من ربي يعني على بيان ويقين من ربي
بالذي اتيتكم به واتاني رحمة من عنده يعني هدى ومعرفة ونبوة فعميت عليكم اي خفيت
والتبست عليكم انلزمكموها الهاء عايدة على الرحمة والمعنى انلزمكم ايها القوم قبول
الرحمة يعني انا لا نقدر ان نلزمكم ذلك من عند انفسنا وانتم لها كارهون وهذا استفهام
معناه الانكار اي لا اقدر على ذلك والذي اقدر عليه ان ادعوكم الى الله وليس لي ان اضطركم
الى ذلك قال قتادة والله لو استطاع نبي الله لالزمها قومه ولكنه لم يملك ذلك ويا قوم لا اسالكم
عليه مالا يعني لا اسالكم ولا اطلب منكم على تبليغ الرسالة جعلا ان اجري الا على الله وما انا
بطارد الذين امنوا وذلك انهم طلبوا من نوح ان يطرد الذين امنوا وهم الاراذل في زعمهم
فقال ما يجوز لي ذلك لانهم يعتقدون انهم ملاقوا ربهم فلا اطردهم ولكني اراكم قوما تجهلون
يعني عظمة الله ووحدانيته وربوبيته وقيل معناه انكم تجهلون ان هولاء المومنين
خير منكم ويا قوم من ينصرني من الله ان طردتهم يعني من يمنعني من عذاب الله ان طردتهم عني لانهم
مومنون مخلصون افلا تذكرون يعني تتعظون ولا اقول لكم عندي خزاين الله هذا عطف
على قوله لا اسالكم عليه مالا والمعنى لا اسالكم عليه مالا ولا اقول لكم عندي خزاين الله يعني
التي لا يفنيها شيء فادعوكم الى اتباعي عليها لاعطيكم منها وقال ابن الانباري الخزاين هنا
بمعني غيوب الله وما هو منطوي عن الخلق وانما وجب ان يكون هذا جوابا من نوح عليه السلام

لهم

لهم لما قالوا وما نراك اتبعك الا الذين هم اراذلنا بادي الراي فادعوا ان هولاء المومنين انما
اتبعوه في ظاهر ما يرى منهم وهم في الحقيقة غير متبعين له فقال مجيبا لهم ولا اقول لكم عندي
خزاين الله التي يعلم منها ما ينطوي عليه عباده وما يظهرونه وانما قيل للغيوب خزاين لغموضها
عن الناس واستتارها عنهم والقول الاول اولى ليحصل الفرق بين قوله ولا اقول لكم عندي
خزاين الله وبين قوله ولا اعلم الغيب يعني ولا ادعي علم ما يغيب عني مما يسرونه في نفوسهم
فلي قبول ايمانهم في الظاهر ولا يعلم ما في ضمايرهم الا الله ولا اقول اني ملك وهذا جواب لقولهم
ما نراك الا بشرا مثلنا اي لا ادعي اني من الملايكة بل انا بشر مثلكم ادعوكم الى الله وابلغكم
ما ارسلت به اليكم فصل استدل بعضهم بهذه الاية في تفضيل الملايكة على الانبيا
قالوا لان نوحا عليه السلام قال ولا اقول اني ملك لان الانسان اذا قال انا لا ادعي كذا وكذا
لا يحسن الا اذا كان الشيء اشرف وافضل من احوال ذلك القايل فلما قال نوح عليه السلام
هذه المقالة وجب ان يكون الملك افضل منه والجواب ان نوحا عليه السلام انما قال هذه
المقالة في مقابلة قولهم ما نراك الا بشرا مثلنا لما كان في ظنهم ان الرسل لا يكونون من البشر
انما يكونون من الملايكة فاعلمهم ان هذا الظن باطل وان الرسل الى البشر انما يكونون من البشر
فلهذا قال ولا اقول اني ملك ولم يرد ان درجة الملايكة افضل من درجة الانبيا والله اعلم
وقوله ولا اقول للذين تزدري اعينكم يعني تحتقر وتستصغر اعينكم يعني المومنين وذلك لما
قالوا انهم اراذلنا من الزراية وهي الخسة لن يوتيهم الله خيرا يعني توفيقا وهداية وايمانا
واجرا الله اعلم بما في انفسهم يعني من الخير والشر اني اذا لمن الظالمين يعني ان طردتهم تكذيبا
لظاهرهم ومبطلا لايمانهم يعني اني ان فعلت هذا فاكون قد ظلمتهم وانا لا افعله فما انا من الظالمين
قالوا يا نوح قد جادلتنا يعني خاصمتنا فاكثرت جدالنا يعني خصومتنا فاتنا بما تعدنا
يعني من العذاب ان كنت من الصادقين يعني في دعواك انك رسول من الله الينا قال انما ياتيكم
به الله ان شاء يعني قال نوح لقومه حين استعجلوه بانزال العذاب ان ذلك ليس لي انما هو
الى الله ينزله متى شاء وعلى من شاء وما انتم بمعجزين يعني وما انتم بفايتين ان اراد نزول العذاب
بكم ولا ينفعكم نصحي ان اردت ان انصح لكم يعني ولا ينفعكم انذاري وتحذيري اياكم عقوبته ونزول
العذاب بكم ان كان الله يريد ان يغويكم يعني يضلكم وقيل يهلككم وهي معنى وليس بتفسير لان
الاغوا يودي الى الهلاك هو ربكم يعني انه تعالى هو يملككم فلا تقدرون على الخروج من سلطانه واليه
ترجعون يعني في الاخرة فيجازيكم باعمالكم ام يقولون افتراه اي اختلقه وجاء به من عند نفسه والضمير
يعود الى الوحي الذي جاءهم به قل ان افتريته اي اختلقته فعلي اجرامي اي اثم اجرامي والاجرام اقتراف
السيئة واكتسابها يقال جرم واجرم بمعنى انه اكتسب الذنب وافتعله وانا بريء مما تجرمون
يعني من الكفر والتكذيب واكثر المفسرين على ان هذا من محاورة نوح قومه فهي من قصة نوح وقال مقاتل

ام يقولون يعني المشركين من كفار مكة افتراه يعني محمدا صلى الله عليه وسلم اختلق القران من عند نفسه
فعلى هذا القول تكون هذه الاية معترضة في قصة نوح ثم رجع الى القصة فقال تعالى واوحي
الى نوح انه لن يؤمن من قومك الا من قد امن قال ابن عباس ان قوم نوح كانوا يضربون نوحا حتى
يسقط فيلفونه في لبد ويلقونه في بيت يظنون انه قد مات فيخرج في اليوم الثاني يدعوهم الى الله
وروي ان شيخا منهم جا متوكيا على عصاه ومعه ابنه فقال يا بني لا يغرنك هذا الشيخ المجنون
فقال يا ابت امكني من العصا فاخذها من ابيه وضرب بها نوحا عليه السلام حتى شجه شجة منكرة
فاوحى الله اليه انه لن يؤمن من قومك الا من قد امن فلا تبتئس يعني فلا تحزن عليهم فاني مهلكهم
بما كانوا يفعلون يعني بسبب كفرهم وافعالهم فحينيذ دعا نوح عليه السلام عليهم فقال
رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا وحكى محمد بن اسحاق عن عبد الله بن عمير الليثي انه بلغه انهم
كانوا يبطشون نوحا فيخنقونه حتى يغشى عليه فاذا افاق قال رب اغفر لقومي انهم لا يعلمون حتى
تمادوا في المعصية واشتد عليه منهم البلا وهو ينتظر الجيل بعد الجيل فلا ياتي قرن الا كانوا اخبث
من الذي قبله ولقد كان ياتي القرن الاخر منهم فيقول قد كان هذا الشيخ مع ابائنا واجدادنا هكذا
مجنونا فلا يقبلون منه شيا فشكا نوح الى الله عز وجل فقال رب اني دعوت قومي ليلا ونهارا
الايات حتى بلغ رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا فاوحى الله اليه واصنع الفلك يعني السفينة
والفلك جمع يطلق على الواحد والجمع باعيننا قال ابن عباس بمرآنا وقيل بعلمنا وقيل بحفظنا
ووحينا قيل بامرنا ولا تخاطبني في الذين ظلموا انهم مغرقون يعني بالطوفان والمعنى ولا تخاطبني
في امهال الكفار فاني قد حكمت باغراقهم وقيل لا تخاطبني في ابنك كنعان وامراتك واعلة فانهما
هالكان مع القوم وقيل ان جبريل اتى نوحا فقال له ان ربك يامرك ان تصنع الفلك فقال كيف
اصنعها ولست بنجار فقال ان ربك يقول اصنع فانك باعيننا فاخذ القدوم وجعل ينجر ولا يخطي
فصنعها مثل جؤجؤ الطير وهو قوله تعالى ويصنع الفلك يعني كما امره الله تعالى قال اهل السير
لما امر الله نوحا بعمل السفينة اقبل على عملها ولها عن قومه وجعل يقطع الخشب ويضرب الحديد
ويهيي القار وكلما يحتاج اليه في عمل الفلك وجعل قومه يمرون به وهو في عمله فيسخرون منه ويقولون
يا نوح قد صرت نجارا بعد النبوة واعقم الله ارحام النسا فلا يولد لهم ولد قال البغوي وزعم
اهل التوراة ان الله امره ان يصنع الفلك من خشب الساج وان يصنعه ازور وان يطليه بالقار
من داخله وخارجه وان يجعل طوله ثمانين ذراعا وعرضه خمسين ذراعا وطوله في السما ثلاثين
ذراعا والذراع الى المنكب وان يجعله ثلاثة اطباق سفلا ووسطا وعلوا وان يجعل فيه كوا
فصنعه نوح كما امره الله تعالى وقال ابن عباس اتخذ نوح السفينة في ستين سنة فكان طولها
ثمانماية ذراع وعرضها خمسين ذراعا وطولها في السما ثلاثين ذراعا وكانت من خشب الساج
وجعل لها ثلاث بطون فجعل في البطن السفلى الوحوش والسباع والهوام وفي البطن الاوسط

الدواب

الدواب والانعام وركب هو ومن معه البطن الاعلى وجعل معه ما يحتاج
اليه من الزاد وغيره وقال قتادة وكان بابها في عرضها وروي عن الحسن انه كان طولها
الفا ذراع ومايتا ذراع وعرضها سبعماية ذراع والقول الاول اشهر ان طولها ثلاثماية
ذراع وقال زيد بن اسلم مكث نوح ماية سنة يغرس الاشجار ويقطعها وماية سنة
يصنع الفلك وقال كعب الاحبار عمل السفينة نوح في ثلاثين سنة وروي انها
ثلاثة اطباق الطبقة السفلى للدواب والوحش والطبقة الوسطى للانس والطبقة
العليا للطير فلما كثر روث الدواب اوحى الله تعالى الى نوح ان اغمز ذنب الفيل فغمزه
فوقع منه خنزير وخنزيرة ومسح على الخنزير فوقع منه الفار فاقبلوا على الروث
فاكلوه فلما افسد الفار في السفينة فجعل يقرضها ويقرض حبالها اوحى الله اليه
ان اضرب بين عيني الاسد فضرب فخرج من منخره سنور وسنورة وهي القط والقطة
فاقبلا على الفار فاكلاه فذلك قوله تعالى ويصنع الفلك وكلما مر عليه ملا من قومه
يعني جماعة من قومه سخروا منه يعني استهزوا به وذلك انهم قالوا ان هذا الذي كان
يزعم انه نبي قد صار نجارا وقيل قالوا يا نوح ماذا تصنع قال اصنع بيتا يمشي على الما
فيضحكون منه قال يعني نوحا لقومه ان تسخروا منا فانا نسخر منكم كما تسخرون يعني ان
تستجهلونا في صنعنا فانا نستجهلكم لتعرضكم لما يوجب سخط الله وعذابه
فان قلت السخرية لا تليق بمنصب النبوة فكيف قال نوح عليه السلام ان تسخروا منا
فانا نسخر منكم كما تسخرون قلت انما سمي هذا الفعل سخرية على سبيل الازدواج
في مشاكلة الكلام كما في قوله وجزا سيئة سيئة مثلها والمعنى انا نرى غب سخريتكم
بنا اذا نزل بكم العذاب وهو قوله فسوف تعلمون يعني فسترون من ياتيه يعني اينا ياتيه
نحن او انتم عذاب يخزيه يعني يهينه ويحل عليه عذاب مقيم يعني في الاخرة فالمراد بالعذاب
الاول عذاب الدنيا وهو الغرق والمراد بالعذاب الثاني عذاب الاخرة وهو عذاب النار التي
لا انقطاع لها قوله عز وجل حتى اذا جا امرنا وفار التنور يعني وغلا والفور الغليان
وفارت القدر اذا غلت والتنور فارسي معرب لا تعرف له العرب اسما غير هذا فلذلك
جا في القران بهذا اللفظ فخوطبوا بما يعرفون وقيل ان لفظ التنور جا هكذا بكل
لسان عربي وعجمي وقيل ان لفظ التنور اصله اعجمي فتكلمت به العرب فصار عربيا مثل
الديباج ونحوه واختلفوا في المراد بهذا التنور فقال عكرمة والزهري هو وجه الارض
وذلك انه قيل لنوح عليه السلام اذا رايت الما قد فار على وجه الارض فاركب السفينة
فعلى هذا يكون قد جعل فوران التنور علامة لنوح على هذا الامر العظيم وقال علي فار
التنور اي طلع الفجر ونور الصبح شبه نور الصبح بخروج النار من التنور وقال الحسن

ومجاهد والشعبي ان التنور هو الذي يخبز فيه وهو قول اكثر المفسرين ورواية عن ابن
عباس ايضا وهذا القول اصح لان اللفظ اذا دار بين الحقيقة والمجاز كان حمله على
الحقيقة اولى ولفظ التنور حقيقة في اسم الموضع الذي يخبز فيه فوجب حمل اللفظ
عليه فان قلت الالف واللام في لفظ التنور للعهد وليس هنا معهود سابق عند السامع
فوجب حمله على غيره وهو شدة الامر والمعنى اذا رايت الما يشتد نبوعه ويقوى فانج
بنفسك ومن معك قلت لا يبعد ان يكون ذلك التنور معلوما عند نوح عليه السلام قال
الحسن كان تنورا من حجارة وكانت حوا تخبز فيه ثم صار الى نوح وقيل له اذا رايت الما
يفور من التنور فاركب انت واصحابك واختلفوا في موضع التنور فقال مجاهد نبع الما
في التنور فعلمت به امراته فاخبرته وكان ذلك في ناحية الكوفة وكان الشعبي يحلف بالله
ما فار التنور الا من ناحية الكوفة قال الشعبي اتخذ نوح السفينة في جوف مسجد الكوفة
وكان التنور على يمين الداخل مما يلي باب كنده وكان فوران التنور علامة لنوح عليه السلام
وقال مقاتل كان ذلك التنور تنور ادم وكان بالشام بموضع يقال له عين ورده وروي عن
ابن عباس انه كان بالهند قال والفوران الغليان قلنا احمل فيها يعني قلنا لنوح احمل في
السفينة من كل زوجين اثنين الزوجان كل اثنين لا يستغني احدهما عن الاخر كالذكر
والانثى يقال لكل واحد منهما زوج والمعنى من كل صنف زوجين ذكرا وانثى فحشر الله
اليه الحيوان من الدواب والسباع والطير فجعل نوح يضرب بيديه في كل جنس منها فيقع
الذكر في يده اليمنى والانثى في يده اليسرى فيجعلهما في السفينة واهلك اي واحمل اهلك
وولدك وعيالك الا من سبق عليه القول يعني بالهلاك وارادبه امراته واعلة وابنه كنعان
ومن امن يعني واحمل معك من امن بك من قومك وما امن معه الا قليل اختلفوا في عدد من حمل
نوح معه في السفينة فقال قتادة وابن جريج ومحمد بن كعب القرظي لم يكن في السفينة الا
ثمانية نفر نوح وامراته وثلاثة بنين له وهم سام وحام ويافث ونساوهم وقال الاعمش
كانوا سبعة نوح وبنيه وثلاثة كنائن له وقال محمد بن اسحاق كانوا عشرة سوى نسايهم
وهم نوح وبنوه سام وحام ويافث وستة نفر امنوا بنوح وازواجهم جميعا وقال مقاتل
كانوا اثنين وسبعين نفرا رجلا وامراة وقال ابن عباس كان في السفينة ثمانون رجلا احدهم
جرهم وقال الطبري والصواب من القول في ذلك ان يقال كما قال الله عز وجل وما امن معه
الا قليل فوصفهم بالقلة ولم يحد عددا بمقدار فلا ينبغي ان يجاوز في ذلك حد الله تعالى
اذ لم يرد ذلك في كتاب لا خبر صحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال مقاتل حمل نوح
معه جسد ادم عليه السلام فجعله معترضا بين الرجال والنسا وقصد نوحا جميع الدواب
والطيور ليحملها قال ابن عباس اول ما حمل نوح الذرة واخر ما حمل الحمار فلما اراد ان يدخل

الحمار ادخل صدره فتعلق ابليس بذنبه فلم تستقل رجلاه وجعل نوح يقول له ويحك
ادخل فينهض فلا يستطيع حتى قال ادخل وان كان الشيطان معك قال اخرج عني
يا عدو الله قال ما لك بد من ان تحملني معك وكان فيما يزعمون على ظهر السفينة هكذا نقله
البغوي قال الامام فخر الدين الرازي واما الذي يروى ان ابليس دخل السفينة فبعيد لانه
من الجن وهو جسم ناري او هوائي فكيف يخاف من الغرق وايضا فان كتاب الله لم يدل على ذلك
ولم يرد فيه خبر صحيح فالاولى ترك الخوض فيه قال البغوي وروي عن بعضهم ان الحية والعقرب
اتيا نوحا عليه السلام فقالتا احملنا معك فقال انكما سبب البلا فلا احملكما فقالتا احملنا
فنحن نضمن لك ان لا نضر احدا ذكرك فمن قرا حين يخاف مضرتهما سلام على نوح في العالمين لم يضراه
وقال الحسن لم يحمل نوح معه في السفينة الا ما يلد ويبيض واما ما سوى ذلك مما يتولد
من الطين من حشرات الارض كالبق والبعوض فلم يحمل منها شيا قوله تعالى وقال اركبوا فيها
يعني وقال نوح لمن حمل معه اركبوا في السفينة بسم الله مجراها ومرساها ان ربي لغفور
رحيم يعني بسم الله اجراوها وارساوها قال الضحاك كان نوح اذا اراد ان تجري
السفينة قال بسم الله فتجري وكان اذا اراد ان ترسو يعني تقف قال بسم الله فترسو
اي تقف وهذا تعليم من الله لعباده انه من اراد امرا فلا ينبغي له ان يشرع فيه حتى يذكر اسم
الله عليه وقت الشروع حتى يكون ذلك سببا للنجاح والفلاح في ساير الامور وهي تجري بهم
في موج كالجبال الموج ما ارتفع من الما اذا اشتدت عليه الريح شبهه بالجبال في عظمه
وارتفاعه على الما قال العلما بالسير ارسل المطر اربعين يوما وليلة وخرج الما من الارض
فذلك قوله تعالى ففتحنا ابواب السما بما منهمر وفجرنا الارض عيونا فالتقى الما على امر قد قدر
يعني صار الما نصفين نصف من السما ونصف من الارض وارتفع الما على اعلى جبل واطول له
اربعين ذراعا وقيل خمسة عشر ذراعا حتى اغرق كل شي وروي انه لما كثر الما في السكك خافت
ام صبي على ولدها من الغرق وكانت تحبه حبا شديدا فخرجت به الى الجبل حتى بلغت ثلثه
فلحقها الما فذهبت حتى استوت على الجبل فلما بلغ الما الى رقبتها رفعت الصبي بيديها حتى ذهب
بهما الما فاغرقهما فلو رحم الله منهم احدا لرحم ام الصبي ونادى نوح ابنه يعني كنعان وكان كافرا
وكان في معزل يعني عن نوح لم يركب معه يا بني اركب معنا يعني في السفينة ولا تكن مع الكافرين
يعني فتهلك معهم قال يعني قال كنعان ساوي ساوي ساتحي واصير الى جبل يعصمني يعني يمنعني من الما قال
يعني قال له نوح لا عاصم يعني لا مانع اليوم من امر الله يعني من عذابه الا من رحم يعني الا من رحم
الله فينجيه من الغرق وحال بينهما الموج فكان من المغرقين يعني كنعان وقيل يعني بعدما تناهى
الطوفان واغرق قوم نوح يا ارض ابلعي ماك اي اشربيه ويا سما اقلعي اي امسكي وغيض الما
اي نقص ونضب يقال غاض اذا نقص وذهب وقضي الامر يعني فرغ من الامر وهو هلاك قوم

نوح واستوت يعني واستقرت السفينة على الجودي وهو جبل بالجزيرة بقرب الموصل
وقيل بعدا يعني هلاكا للقوم الظالمين قال العلما بالسير لما استقرت السفينة بعث
نوح الغراب ليا تيه بخبر الارض فوقع على جيفة فلم يرجع اليه فبعث الحمامة فجات بورق
زيتون في منقارها ولطخت رجليها بالطين فعلم نوح ان الما قد ذهب فدعا على الغراب
بالخوف فلذلك لا يالف البيوت وطوق الحمامة بالخضرة التي في عنقها ودعا لها بالامان
فمن ثم تالف البيوت وروي ان نوحا عليه السلام ركب السفينة لعشر بقين من رجب
وجرت بهم السفينة ستة اشهر ومرت بالبيت الحرام وقد رفعه الله من الغرق وبقي
موضعه فطافت السفينة به سبعا واودع الحجر الاسود جبل ابي قبيس وهبط نوح
ومن معه من السفينة يوم عاشورا فصامه نوح وامر جميع من معه بصيامه شكرا لله تعالى
وبنوا قرية بقرب الجبل فسميت سوق ثمانين فهي اول قرية عمرت على وجه الارض بعد الطوفان
وقيل انه لم ينج احد من الكفار من الغرق غير عوج بن عنق وكان الما يصل الى حجزته وسبب
نجاته من الهلاك ان نوحا عليه السلام احتاج خشب ساج لاجل السفينة فلم يمكنه
نقله فحمله عوج من الشام الى نوح فنجاه الله من الغرق لذلك فان قلت كيف اقتضت الحكمة
الالهية والكرم العظيم اغراق من لم يبلغ الحلم من الاطفال ولم يدخلوا تحت التكليف
بذنوب غيرهم قلت ذكر بعض المفسرين ان الله عز وجل اعقم ارحام نسايهم اربعين
سنة فلم يولد لهم ولد تلك المدة وهذا الجواب ليس بقوي لانه يرد عليه اغراق جميع
الدواب والهوام والطير وغير ذلك من الحيوان ويرد عليه ايضا اهلاك اطفال الامم
الكافرة مع ابايهم غير قوم نوح والجواب الشافي عن هذا كله ان الله تعالى متصرف في
خلقه وهو المالك المطلق يفعل ما يشا ويحكم ما يريد لا يسال عما يفعل وهم يسالون
قوله عز وجل ونادى نوح ربه اي دعاه وساله فقال رب ان ابني من اهلي يعني وقد وعدتني
ان تنجيني واهلي وان وعدك الحق يعني الصدق الذي لا خلف فيه وانت احكم الحاكمين يعني
انت حكمت لقوم بالنجاة وعلى قوم بالهلاك قال يعني قال الله يا نوح انه يعني هذا الابن
الذي سالتني نجاته ليس من اهلك اختلف علما التفسير هل كان هذا الولد ابن نوح لصلبه
ام لا فقال الحسن ومجاهد كان ولد حنث من غير نوح ولم يعلم به فلذلك قال انه ليس من اهلك
وقال محمد بن جعفر الباقر كان ابن امراة نوح وكان يعلمه نوح ولذلك قال من اهلي ولم يقل
مني وقال ابن عباس وعكرمة وسعيد بن جبير والضحاك واكثر المفسرين انه ابن نوح من صلبه
وهذا القول هو الصحيح والقولان الاولان ضعيفان بل باطلان ويدل على صحة قول
الجمهور ما صح عن ابن عباس انه قال ما بغت امراة نبي قط ولان الله تعالى نص عليه بقوله
ونادى نوح ابنه ونوح ايضا نص عليه بقوله يا بني اركب معنا وهذا نص في الدلالة وصرف

الكلام

الكلام عن الحقيقة الى المجاز من غير ضرورة لا يجوز وانما خالف هذا الظاهر من
خالفه لانه استبعد ان يكون ولد نبي كافرا وهذا خطا ممن قاله لان الله خلق خلقه
فريق في الجنة وهم المومنون وفريق في السعير وهم الكفار والله تعالى يخرج الكافر من
المومن والمومن من الكافر ولا فرق في ذلك بين الانبيا وغيرهم فان الله تعالى اخرج قابيل
من صلب ادم عليه السلام وهو نبي كريم وكان قابيل كافرا واخرج ابراهيم وهو نبي من صلب
ازر وكان كافرا وكذلك اخرج كنعان وهو كافر من صلب نوح وهو نبي فهو المتصرف في
خلقه كيف شا فان قلت فعلى هذا كيف ناداه نوح فقال اركب معنا وسال النجاة مع قوله
رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا قلت قد ذكر بعضهم ان نوحا عليه السلام لم
يعلم بكون ابنه كان كافرا فلذلك ناداه وعلى تقدير انه يعلم كونه انما حمله على ان ناداه
رقة الابوة ولعله اذا راى تلك الاهوال ان يسلم فينجيه الله بذلك من الغرق فاجابه الله
عز وجل بقوله انه ليس من اهلك يعني ليس هو من اهل دينك لان اهل الرجل من يجمعه
واياهم نسب او دين او ما يجري مجراهما ولما حكمت الشريعة برفع حكم النسب في كثير من الاحكام
بين المسلم والكافر قال الله تعالى لنوح انه ليس من اهلك انه عمل غير صالح قرا الكسايي
ويعقوب عمل بكسر الميم وفتح اللام غير بفتح الرا على عود الفعل على الابن ومعناه انه
عمل الشرك والكفر والتكذيب وكل هذا غير صالح وقرا الباقون من القرا عمل بفتح الميم
ورفع اللام مع التنوين غير بضم الرا ومعناه ان سوالك اياي ان انجيه من الغرق عمل غير
صالح لان طلب نجاة الكافر بعد ما حكم عليه بالهلاك بعيد فلهذا قال انه عمل غير صالح
ويجوز ان يعود الضمير في انه على ابن نوح ايضا ويكون التقدير على هذه القراة ان ابنك
ذو عمل او صاحب عمل غير صالح فحذف المضاف كما قالت الخنسا. فانما هي اقبال وادبار
قال الواحدي وهذا قول ابي اسحاق يعني الزجاج وابي بكر بن الانباري وابي علي الفاسي قال
قال ابو علي ويجوز ان يكون ابن نوح عمل عملا غير صالح كما يجعل الشي نفسه لكثرة ذلك منه
كما يقال الشعر زهير والعلم فلان اذا اكثر منه فعلى هذا لا حذف فلا تسالن ما ليس لك به علم
وذلك ان نوحا عليه السلام سال ربه انجا ولده من الغرق وهو من كمال شفقة الوالد على ولده
وهو لا يعلم ان ذلك محظور ولا اصرار ولده على الكفر فنهاه الله عن مثل هذه المسيلة واعلمه
ان ذلك لا يجوز فكان المعنى فلا تسالن ما ليس لك علم بجواز مسيلته اني اعظك يعني انهاك ان تكون
من الجاهلين يعني لمثل هذا السوال قال يعني قال نوح اني اعوذ بك يعني الجا اليك واعتذر اليك
ان اسالك ما ليس لي به علم يعني انك انت علام الغيوب وانا لا اعلم ما غاب عني فاعتذر اليك
من مسالتي ما ليس لي به علم والا تغفر لي يعني جهلي واقدامي على سوالك ما ليس لي به علم وترحمني
يعني برحمتك التي وسعت كل شي اكن من الخاسرين فصل وقد استدل بهذه الايات من

من لا يرى عصمة الانبيا وبيانه ان قوله انه عمل غير صالح والمراد منه السوال وهو محظور
فلهذا نهاه عنه بقوله فلا تسالني ما ليس لك به علم وقوله اني اعظك ان تكون من الجاهلين
وهذا يدل على ان السوال كان جهلا ففيه زجر وتهديد وطلب المغفرة والرحمة يدل
على صدور الذنب منه والجواب ان الله عز وجل كان قد وعد نوحا عليه السلام بان ينجيه
واهله فاخذ نوح ظاهر اللفظ واتبع التاويل بمقتضى هذا الظاهر ولم يعلم ما غاب
عنه ولم يشك في وعد الله تعالى فاقدم على هذا السوال لهذا السبب فعاتبه الله عز وجل في
سواله ما ليس له به علم وبين له انه ليس من اهله الذين وعده بنجاتهم لكفره وعمله الذي هو
غير صالح وقد اعلمه الله انه مغرق مع الذين ظلموا ونهاه عن مخاطبته فيهم فاشفق نوح
من اقدامه على سوال ربه فيما لم يوذن له فيه فخاف نوح من ذلك فلجا الى ربه عز وجل وخضع
له وعاذ به وساله المغفرة والرحمة لان حسنات الابرار سيات المقربين وليس في الايات
ما يقتضي صدور ذنب ومعصية من نوح عليه السلام سوى تاويله واقدامه على سوال
ما لم يوذن له فيه وهذا ليس بذنب ولا معصية والله اعلم قوله تعالى **قيل يا نوح اهبط**
اي انزل من السفينة او من الجبل الى الارض **بسلام** اي بامن وسلامة **منا وبركات عليك** البركة
هي ثبوت الخير ونماوه وزيادته وقيل المراد بالبركة هنا ان الله تعالى جعل ذريته هم الباقين
الى يوم القيمة فكل العالم من ذريته اولاده الثلاثة ولم يعقب من كان معه في السفينة غيرهم
وعلى امم ممن معك يعني وعلى ذرية امم ممن كانوا معك في السفينة والمعنى وبركات عليك
وعلى قرون تجي من بعدك من ذرية اولادك وهم المومنون قال محمد بن كعب القرظي دخل في
هذا كل مومن الى يوم القيمة **وامم سنمتعهم** هذا ابتدا كلام اي وامم كافرة يحدثون بعدك
سنمتعهم يعني في الدنيا الى منتهى اجالهم **ثم يمسهم منا عذاب اليم** يعني في الاخرة **تلك من انبا
الغيب** هذا خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم يعني ان هذه القصة التي اخبرناك يا محمد من
قصة نوح وخبره وخبر قومه من انبا الغيب يعني من اخبار الغيب **نوحيها اليك ما كنت
تعلمها انت ولا قومك من قبل هذا** يعني من قبل نزول القران عليك فان قلت ان قصة نوح كانت
مشهورة معروفة في العالم فكيف قال ما كنت تعلمها انت ولا قومك من قبل هذا قلت يحتمل
ان يكونوا كانوا يعلمونها مجملا فنزل القران بتفصيلها وبيانها وجواب اخر وهو انه صلى
الله عليه وسلم كان اميا لم يقرا الكتب المتقدمة ولم يعلمها وكذلك كانت امته فصح قوله ما كنت
تعلمها انت ولا قومك من قبل نزول القران بها **فاصبر** يا محمد على اذى مشركي قومك كما صبر نوح
على اذى قومه **ان العاقبة** يعني النصر والظفر على الاعداء والفوز بالسعادة الاخروية
للمتقين يعني للمومنين قوله عز وجل **والى عاد** يعني وارسلنا الى عاد **اخاهم هودا** يعني انه
اخاهم في النسب لا في الدين **قال يا قوم اعبدوا الله** يعني وحدوا الله ولا تشركوا معه شيا في العبادة

مالكم من اله غيره يعني انه تعالى هو الهكم لا هذه الاصنام التي تعبدونها فانها حجارة لا تضر
ولا تنفع **ان انتم الا مفترون** يعني ما انتم الا كاذبون في عبادتكم غيره **يا قوم لا اسالكم عليه**
يعني على تبليغ الرسالة **اجرا** يعني جعلا اخذه منكم **ان اجري** يعني ما ثوابي **الا على الذي فطرني**
يعني خلقني فانه هو الذي يرزقني في الدنيا ويثيبني في الاخرة **افلا تعقلون** يعني فتتعظون
ويا قوم استغفروا ربكم اي امنوا به فالاستغفار هنا بمعنى الايمان لانه هو المطلوب اولا **ثم
توبوا اليه** يعني من شرككم وعبادتكم غيره ومن سالف ذنوبكم **يرسل السما عليكم مدرارا**
يعني ينزل المطر عليكم متتابعا مرة بعد مرة في اوقات الحاجة اليه وذلك ان بلادهم كانت مخصبة
كثيرة الخير والنعم فامسك الله عنهم المطر مدة ثلاث سنين فاجدبت بلادهم وقحطت بسبب كفرهم
فاخبرهم هود عليه السلام انهم ان امنوا بالله وصدقوه ارسل الله عليهم المطر فاحيى به بلادهم
كما كانت اول مرة **ويزدكم قوة الى قوتكم** يعني شدة مع شدتكم وقيل انكم ان امنتم يقويكم بالايمان
والاولاد وذلك انه تعالى اعقم ارحام نسايهم فلم تلد فقال لهم هود عليه السلام ان امنتم ارسل الله
المطر فتزدادون مالا ويعيد ارحام الامهات الى ما كانت عليه فيلدن فتزدادون قوة بالاموال
والاولاد وقيل تزدادون قوة في الدين الى الدنيا والابدان **ولا تتولوا مجرمين** يعني ولا تعرضوا عن قبول
قولي ونصحي حال كونكم مشركين **قالوا يا هود ما جيتنا ببينة** اي ببرهان وحجة واضحة على صحة
ما تقول **وما نحن بتاركي الهتنا عن قولك** يعني وما نترك عبادة الهتنا لاجل قولك **وما نحن لك بمومنين**
يعني بمصدقين **ان نقول الا اعتراك بعض الهتنا بسو** يعني انك يا هود لست تتعاطى ما تتعاطاه
من مخالفتنا وسب الهتنا الا ان بعض الهتنا اصابك بخبل وجنون لانك سببتهم فانتقموا منك
بذلك ولا نحمل امرك الا على هذا **قال** يعني قال هود مجيبا لهم **اني اشهد الله** يعني على نفسي **واشهدوا**
يعني انتم ايضا علي **اني بري مما تشركون من دونه** يعني هذه الاصنام التي كانوا يعبدونها **فكيدوني
جميعا** اي احتالوا في كيدي وضري انتم واصنامكم التي تعتقدون انها تضر وتنفع فانها لا تضر ولا
تنفع **ثم لا تنظرون** يعني ثم لا تمهلون وهذا فيه معجزة عظيمة لهود عليه السلام وذلك انه كان وحيدا
في قومه وقال لهم هذه المقالة ولم يهبهم ولم يخف منهم مع ما هم فيه من الكفر والجبروت الا لثقته بالله
عز وجل وتوكله عليه وهو قوله **اني توكلت على الله ربي وربكم** يعني انه فوض امره الى الله واعتمد عليه
ما من دابة يعني تدب على الارض ويدخل في هذا جميع بني ادم والحيوان لانهم يدبون على الارض **الا هو
اخذ بناصيتها** يعني انه هو مالكها والقادر عليها ويقهرها لان من اخذت بناصيته فقد قهرته والناصية
مقدم الراس وسمي الشعر الذي عليه ناصية للمجاورة قيل انما خص الناصية بالذكر لان العرب تستعمل
ذلك كثيرا في كلامهم فاذا وصفوا انسانا بالذلة مع غيره فيقولون ناصية فلان بيد فلان وكانوا اذا
اسروا اسيرا وارادوا اطلاقه جزوا ناصيته ليمنوا عليه ويفتخروا بذلك فخرا عليه فخاطبهم الله
بما يعرفون من كلامهم **ان ربي على صراط مستقيم** يعني ان ربي وان كان قادرا وانتم في قبضته كالعبد الذليل

فانه سبحانه وتعالى لا يظلمكم ولا يعمل الا بالاحسان والانصاف والعدل فيجازى المحسن باحسانه
والمسئ بعصيانه وقيل معناه ان دين ربي هو الصراط المستقيم وقيل فيه اضمار تقديره ان ربي
يحملكم على صراط مستقيم فان تولوا يعني تتولوا يعني تعرضوا عن الايمان بما ارسلت به اليكم فقد
ابلغتكم ما ارسلت به اليكم يعني اني لم يقع مني تقصير في تبليغ ما ارسلت به اليكم انما التقصير منكم
في قبول ذلك ويستخلف ربي قوما غيركم يعني انكم اذا اعرضتم عن الايمان وقبول ما ارسلت به
اليكم يهلككم الله ويستبدل بكم قوما غيركم اطوع منكم يوحدونه ويعبدونه وفيه اشارة
الى عذاب الاستيصال فهو وعيد وتهديد ولا تضرونه شيا يعني بتوليكم انما تضرون انفسكم بذلك
وقيل لا تنقصونه شيا اذا اهلككم لان وجودكم وعدمكم عنده سوا ان ربي على كل شي حفيظ
يعني انه تعالى حافظ لكل شي فيحفظني من ان تنالوني بسو قوله تعالى ولما جا امرنا يعني باهلاكهم
وعذابهم نجينا هودا والذين امنوا معه وكانوا اربعة الاف برحمة منا وذلك ان العذاب اذا نزل قد
يعم المومن والكافر فلما انجى الله المومنين من ذلك العذاب كان برحمته وفضله وكرمه ونجيناهم من
عذاب غليظ يعني الريح التي اهلكت بها عاد وذلك ان الله تعالى ارسل على عاد ريحا شديدة غليظة
سبع ليال وثمانية ايام حسوما وهي الايام النحسات فاهلكتهم جميعا وانجا الله المومنين
فلم تضرهم شيا وقيل المراد بالعذاب الغليظ هو عذاب الاخرة وهذا هو الصحيح ليحصل الفرق
بين العذابين والمعنى انه تعالى لما انجاهم من عذاب الدنيا كذلك ينجيهم من عذاب الاخرة ووصف
عذاب الاخرة بكونه غليظا لانه اعظم من عذاب الدنيا وتلك عاد جحدوا بايات ربهم وعصوا
رسله لما فرغ من ذكر قصة عاد خاطب امة محمد صلى الله عليه وسلم فقال وتلك عاد رده الى القبيلة
وفيه اشارة الى قبورهم واثارهم كانه قال سيروا في الارض فانظروا اليها واعتبروا بها ثم وصف
حالهم بقوله جحدوا بايات ربهم يعني المعجزات التي اتى بها هود عليه السلام وعصوا رسله يعني
هودا وحده وانما اتى به بلفظ الجمع اما للتعظيم او لان من كذب برسول فقد كذب كل الرسل
واتبعوا امر كل جبار عنيد يعني ان السفلة منهم اتبعوا الروسا والمراد من الجبار الرفيع في نفسه
المتمرد على الله والعنيد المعاند الذي لا يقبل الحق ولا يتبعه واتبعوا في هذه الدنيا لعنة
يعني اردفوا لعنة تلحقهم وتنصرف معهم واللعنة الطرد والابعاد من رحمة الله ويوم القيمة
يعني وفي يوم القيامة ايضا تتبعهم اللعنة كما تبعتهم في الدنيا ثم ذكر السبب الذي استحقوا به
هذه اللعنة فقال تعالى الا ان عادا كفروا ربهم اي كفروا بربهم الا بعدا لعاد يعني هلاكا لهم
وقيل بعدا عن الرحمة فان قلت اللعنة معناها الابعاد والهلاك فما الفايدة في قوله الا بعدا
لعاد لان الثاني هو الاول بعينه قلت الفايدة فيه ان التكرير بعبارتين مختلفتين يدل على
نهاية التاكيد وانهم كانوا مستحقين له قوم هود عطف بيان لعاد فان قلت هذا البيان
حاصل مفهوم فما الفايدة في قوله قوم هود قلت ان عادا كانوا قبيلتين عاد الاولى القديمة

التي

التي هم قوم هود وعاد الثانية وهم ارم ذات العماد فاتى بقوله قوم هود ليزول
الاشتباه وجواب اخر وهو ان المبالغة في التنصيص تدل على تقوية التاكيد قوله عز وجل
والى ثمود اخاهم صالحا يعني وارسلنا الى ثمود وهم سكان الحجر اخاهم صالحا يعني في النسب
لا في الدين قال يا قوم اعبدوا الله اي وحدوا الله وخصوه بالعبادة ما لكم من اله غيره يعني
هو الهكم المستحق للعبادة لا هذه الاصنام ثم ذكر الدلايل الدالة على وحدانيته وكمال
قدرته فقال هو انشاكم من الارض يعني انه هو ابتدا خلقكم من الارض وذلك انهم من بني ادم
وادم خلق من الارض واستعمركم فيها يعني وجعلكم عمارها وسكانها وقال الضحاك اطال اعماركم
فيها حتى كان الواحد منهم يعيش ثلاثمائة سنة الى الف سنة وكذلك كان قوم عاد وقال مجاهد
اعمركم من العمرى اي جعلها لكم ما عشتم فاستغفروه يعني من ذنوبكم ثم توبوا اليه يعني من الشرك
ان ربي قريب يعني من المومنين مجيب لدعايهم قالوا يا صالح قد كنت فينا مرجوا قبل هذا يعني قبل
هذا القول الذي جيت به والمعنى انا كنا نرجوا ان تكون فينا سيدا لانه كان من قبيلتهم وكان
يعين ضعيفهم ويغني فقيرهم وقيل معناه كنا نطمع ان تعود الى ديننا فلما اظهر دعاهم الى
الله وعاب الاصنام انقطع رجاوهم منه اتنهانا ان نعبد ما يعبد اباونا يعني الالهة وانا لفي
شك مما تدعونا اليه يعني من عبادة الله مريب يعني انا مرتابين في قولك من اراب اذا اوقعه في
الريبة وهي قلق النفس ووقوعها في الريبة والتهمة قال يا قوم يعني قال صالح مجيبا لقومه يا قوم
ارايتم ان كنت على بينة من ربي على يقين وبرهان واتاني منه رحمة يعني نبوة وحكمة فمن ينصرني من الله
اي فيمنعني من عذاب الله ان عصيته يعني ان خالفت امره فما تزيدونني غير تخسير قال ابن عباس
معناه غير بصارة في خسارتكم وقال الحسين بن الفضل لم يكن صالح في خسارة حتى يقول فما تزيدونني
غير تخسير وانما المعنى فما تزيدونني بما تقولون الا نسبتي اياكم الى الخسارة ويا قوم هذه ناقة
الله لكم اية وذلك ان قومه طلبوا منه ان يخرج لهم ناقة من صخرة كانت هناك اشاروا اليها فدعا
الله عز وجل فاخرج لهم من تلك الصخرة ناقة عشرا ثم ولدت فصيلا يشبهها وقوله ناقة الله
اضافة تشريف كبيت الله وعبد الله فكانت هذه الناقة لهم اية ومعجزة دالة على صدق صالح
عليه السلام فذروها تاكل يعني من العشب والنبات في ارض الله يعني فليس عليكم مونتها ولا تمسوها
بسو يعني بعقر فياخذكم يعني ان قتلتموها عذاب قريب يعني في الدنيا فعقروها يعني فخالفوا
امر ربهم فعقروها فقال يعني فقال لهم صالح تمتعوا يعني عيشوا في داركم اي في بلدكم ثلاثة
ايام يعني ثم تهلكون ذلك يعني العذاب الذي وعدهم به بعد ثلاثة ايام وعد غير مكذوب
اي هو غير كذب روي انه قال لهم ياتيكم العذاب بعد ثلاثة ايام فتصبحون في اليوم الاول
ووجوهكم مصفرة وفي الثاني محمرة وفي اليوم الثالث مسودة فكما قال كان واتاهم العذاب
في اليوم الرابع وهو قوله تعالى فلما جا امرنا يعني بالعذاب نجينا صالحا والذين امنوا معه برحمة منا

اى بنعمة منا بان هديناهم الى الايمان فامنوا ومن خزي يومئذ ونجيناهم من عذاب يومئذ سمي خزيا لان فيه خزي الكفار ان ربك الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم يعني ان ربك يا محمد هو القوي يعني هو القادر على انجا المومنين واهلاك الكفار العزيز يعني القاهر الذي لا يغلبه شي ثم اخبر عن عذاب قوم صالح فقال تعالى واخذ الذين ظلموا يعني انفسهم بالكفر الصيحة وذلك ان جبريل صاح بهم صيحة واحدة فهلكوا جميعا وقيل اتاهم صيحة من السما فيها صوت كل صاعقة وصوت كل شي في الارض فتقطعت قلوبهم في صدورهم فماتوا جميعا فاصبحوا في ديارهم جاثمين يعني صرعى هلكا كان لم يغنوا فيها يعني كان لم يقيموا في تلك الديار ولم يسكنوها مدة من الدهر يقال غنيت بالمكان اذا اقمت به الا ان ثمود كفروا ربهم الا بعدا لثمود وهذه القصص قد تقدمت مستوفاة في تفسير سورة الاعراف قوله عز وجل ولقد جاءت رسلنا ابراهيم بالبشرى اراد بالرسل الملايكة واختلفوا في عددهم فقال ابن عباس وعطا كانوا ثلاثة جبريل وميكايل واسرافيل وقال الضحاك كانوا تسعة وقال مقاتل كانوا اثني عشر ملكا على صور الغلمان الحسان الوجوه وقول ابن عباس هو الاولى لان اقل الجمع ثلاثة وقوله رسلنا جمع فيحمل على الاقل وما بعده غير مقطوع به بالبشرى يعني بالبشارة باسحاق ويعقوب وقيل باهلاك قوم لوط قالوا سلاما يعني ان الملايكة سلموا سلاما قال يعني ابراهيم سلام اى عليكم فما لبث ان جا بعجل حنيذ يعني مشويا والمحنوذ هو المشوي على الحجارة المحماة في حفرة من الارض وهو من فعل اهل البادية وكان سمينا يسيل منه الودك قال قتادة كان عامة مال ابراهيم عليه السلام البقر وقيل مكث ابراهيم خمسة عشر ليلة لم ياته ضيف فاغتم لذلك وكان يحب الضيف ولا ياكل الا معه فلما جاء الملايكة راى اضيافا لم ير مثلهم قط فعجل قراهم وجاءهم بعجل سمين مشوي فلما راى ايديهم يعني ايدي الاضياف لا تصل اليه يعني الى العجل المشوي نكرهم يعني انكرهم وانكر حالهم لامتناعهم من الطعام واوجس منهم خيفة يعني ووقع في قلبه خوف منهم والوجس هو رعب القلب وانما خاف ابراهيم صلى الله عليه وسلم منهم لانه كان ينزل ناحية من الناس فخاف ان ينزلوا به مكروها لامتناعهم من طعامه ولم يعرف انهم ملايكة وقيل ان ابراهيم عليه السلام لم يعرف انهم ملايكة في اول الامر ويدل على صحة هذا انه عليه السلام قدم اليهم الطعام ولو عرف انهم ملايكة ما قدمه اليهم لعلمه ان الملايكة لا ياكلون ولا يشربون ولانه خافهم ولو عرف انهم ملايكة لما خافهم فلما رات الملايكة خوف ابراهيم عليه السلام قالوا لا تخف يا ابراهيم انا ملايكة الله ارسلنا الى قوم لوط وامراته يعني سارة زوجة ابراهيم وهي بنت هاروز بن ناحور وهي ابنة عم ابراهيم قايمة يعني من وراء الستر تسمع كلامهم وقيل كانت قايمة في خدمة الرسل وابراهيم جالس معهم فضحكت اصل الضحك انبساط الوجه

من سرور

من سرور يحصل للنفس ولظهور الاسنان عنده سمي مقدمات الاسنان الضواحك ويستعمل في السرور المجرد وفي التعجب المجرد ايضا ثم للعلما في سبب هذا الضحك اقوال فقال السدي لما قرب ابراهيم الطعام الى ضيفه فلم ياكلوا خاف ابراهيم منهم فقال الا تاكلون فقالوا انا لا ناكل طعاما الا بثمن قال فان له ثمنا قالوا وما ثمنه قال تذكرون اسم الله على اوله وتحمدونه على اخره فنظر جبريل الى ميكايل وقال حق هذا ان يتخذه ربه خليلا فلما راى ابراهيم وسارة ايديهم لا تصل اليه ضحكت سارة وقالت يا عجبا لاضيافنا نخدمهم بانفسنا تكرمة لهم وهم لا ياكلون طعامنا وقال قتادة ضحكت من غفلة قوم لوط وقرب العذاب منهم وقال مقاتل والكلبي ضحكت من خوف ابراهيم من ثلاثة وهو فيما بين خدمه وحشمه وخواصه وقيل ضحكت من زوال الخوف عنها وعن ابراهيم وذلك انها خافت كخوفه فلما قالوا لا تخف ضحكت سرورا وقيل ضحكت سرورا بالبشارة وقال ابن عباس ووهب ضحكت تعجبا من ان يكون لها ولد على كبر سنها وسن زوجها فعلى هذا القول يكون في الاية تقديم وتاخير تقديره فبشرناها باسحاق فضحكت يعني تعجبا من ذلك وقيل انها قالت لابراهيم اضمم اليك ابن اخيك لوطا فان العذاب نازل بقومه فلما جاءت الرسل وبشرت بعذابهم سرت سارة بذلك وضحكت لموافقتهم ما ظنت القول الثاني في معنى قوله فضحكت قال عكرمة ومجاهد اى حاضت في الوقت وانكر بعض اهل اللغة ذلك قال الراغب وقول من قال حاضت فليس ذلك تفسيرا لقوله فضحكت كما تصوره بعض المفسرين فقال ضحكت بمعنى حاضت وانما ذكر ذلك تفسيرا لحالها فان جعل ذلك امارة لما بشرت به فحاضت في الوقت ليعلم ان حملها ليس بمنكر اذ كانت المراة ما دامت تحيض فانها تحمل وقال الفرا ضحكت بمعنى حاضت لم نسمعه من ثقة وقال الزجاج ليس بشي ضحكت بمعنى حاضت قال ابن الانباري قد انكر الفرا وابو عبيدة ان يكون ضحكت بمعنى حاضت وقد عرفه غيرهم وانشد • تضحك الضبع لقتلى هذيل • وترى الذيب لها يستهل • قال اراد انها تحيض فرحا وقال الليث في هذه الاية فضحكت اى طمثت وحكى الزهري عن بعضهم في قوله فضحكت اى حاضت قال ويقال اصله من ضحاك الطلعة اذا انشقت قال وقال الاخطل فيه بمعنى الحيض • تضحك الضبع من دما سليم • اذ راتها على الحراب تمور • وقال في المحكم ضحكت المراة حاضت وبه فسر بعضهم قوله تعالى فضحكت فبشرناها باسحاق وضحكت الارنب ضحكا حاضت قال • وضحك الارنب فوق الصفا • كمثل دم الجوف يوم اللقا • يعني الحيض فيما زعم بعضهم واجاب عن هذا من انكره ان يكون الضحك بمعنى الحيض كان ابن دريد يقول من شاهد الضبع عند حيضها فيعلم انها تحيض وانما اراد الشاعر انها تكثر لاكل اللحوم وهذا سهو منه لانه جعل كثرها ضحكا وقيل معناه انها تستبشر بالقتلى اذا اكلتهم فيهر بعضها

على بعض فجعل ههر برها ضحكا وقيل لانها تسر بهم فجعل سرورها ضحكا فان قلت اي
القولين اصح في معنى الضحك قلت ان الله عز وجل حكى عنها انها ضحكت وكلا القولين
محتمل في معنى الضحك فالله اعلم اي ذلك كان وقوله تعالى **فبشرناها باسحاق ومن وراء اسحاق
يعقوب** يعني ومن بعد اسحاق يعقوب وهو ولد الولد فبشرت سارة بانها تعيش حتى ترى
ولد ولدها فلما بشرت بالولد صكت وجهها اي ضربت وجهها وهو من صنيع النسا
وعادتهن وانما فعلت ذلك تعجبا **قالت يا ويلتي** ندا ندبة واصلها يا ويلتاه وهي كلمة
يستعملها الانسان عند رويته ما يتعجب منه مثل يا عجبا **االد وانا عجوز** وكانت بنت
تسعين سنة في قول ابن اسحاق وقال مجاهد كانت بنت تسع وتسعين سنة **وهذا بعلي**
يعني زوجي والبعل هو المستعلي على غيره ولما كان زوج المرأة مستعليا عليها قايما بامرها
سمي بعلا لذلك **شيخا** وكان سن ابراهيم يوميذ ماية وعشرين سنة في قول محمد بن اسحاق
وقال مجاهد ماية سنة وكان بين البشارة والولادة سنة **ان هذا لشي عجيب** لم تنكر قدرة
الله تعالى وانما تعجبت من كون الشيخ الكبير والعجوزة الكبيرة يولد لهما **قالوا** يعني قالت
الملايكة لسارة **اتعجبين من امر الله** معناه لا تعجبين من ذلك فان الله تعالى قادر على كل شي
فاذا اراد شيا كان سريعا **رحمة الله وبركاته عليكم اهل البيت** يعني بيت ابراهيم عليه السلام
وهذا على معنى الدعا من الملايكة لهم بالخير والبركة وفيه دليل على ان ازواج الرجل من اهل
بيته **انه حميد** يعني هو المحمود الذي يحمد على افعاله كلها وهو المستحق لان يحمد في السرا
والضرا والشدة والرخا فهو محمود على كل حال **مجيد** ومعناه المنيع الذي لا يرام وقال الخطابي
المجيد الواسع الكريم واصل المجد في كلامهم السعة يقال رجل ماجد اذا كان سخيا كريما
واسع العطا وقيل الماجد هو ذو الشرف والكرم قوله تعالى **فلما ذهب عن ابراهيم الروع**
يعني الفزع والخوف الذي حصل له عند امتناع الرسل من الاكل **وجاءته البشرى** يعني زال عنه
الخوف بسبب البشرى التي جاءته وهي البشارة بالولد **يجادلنا** فيه اضمار تقديره اخذ يجادلنا
وجعل يجادلنا وقيل معناه يكلمنا ويسالنا **في قوم لوط** لان العبد لا يقدر ان يجادل ربه
وقال جمهور المفسرين معناه يجادل رسلنا في قوم لوط وكانت مجادلة ابراهيم مع الملايكة
انه قال لهم ارايتم لو كان في مداين قوم لوط خمسون رجلا من المومنين اتهلكونهم قالوا لا
قال فاربعون قالوا لا قال فثلاثون قالوا لا قال فما زال كذلك حتى بلغ خمسة قالوا لا قال
ارايتم لو كان فيها رجل واحد مسلم اتهلكونها قالوا لا قال ابراهيم فان فيها لوطا قالوا نحن اعلم
بمن فيها لننجينه واهله الا امراته كانت من الغابرين وقيل انما طلب ابراهيم تاخير العذاب
عنهم لعلهم يومنون او يرجعون عما هم فيه من الكفر والمعاصي قال ابن جريج وكان في قرى قوم لوط
اربعة الاف الف **ان ابراهيم لحليم اواه منيب** تقدم تفسيره في سورة التوبة فعند ذلك قالت

الملايكة لابراهيم **يا ابراهيم اعرض عن هذا** يعني اعرض عن هذا المقال واترك هذا الجدال
انه قد جا امر ربك يعني قد حكم بعذابهم فهو نازل بهم وهو قوله **وانهم اتيهم عذاب غير مردود**
يعني ان العذاب الذي نزل بهم غير مصروف ولا مدفوع عنهم قوله عز وجل **ولما جات رسلنا لوطا**
يعني هولا الملايكة الذين كانوا عند ابراهيم وكانوا على صور غلمان مرد حسان الوجوه **سي بهم**
يعني حزن لوط بمجيهم اليه وساء ظنه بقومه **وضاق بهم ذرعا** قال الازهري الذرع يوضع موضع
الطاقة والاصل فيه ان البعير يذرع بيديه في سيره ذرعا على قدر سعة خطوه فاذا حمل عليه
اكثر من طوقه ضاق ذرعه عن ذلك وضعف ومد عنقه فجعل ضيق الذرع عبارة عن ضيق
الوسع والطاقة فمعنى قوله ضاق بهم ذرعا اذا لم يجد من المكروه في ذلك الامر مخلصا وقال غيره
معناه ضاق بهم قلبا وصدرا ولا يعرف اصله الا ان يقال ان الذرع كناية عن الوسع والعرب تقول
ليس هذا في يدي يعنون ليس هذا في وسعي لان الذراع من اليد ويقال ضاق فلان ذرعا بكذا اذا
وقع في مكروه ولا يطيق الخروج منه وذلك ان لوطا عليه السلام لما نظر الى حسن وجوههم وطيب
روايحهم اشفق عليهم من قومه وخاف ان يقصدوهم بمكروه او فاحشة وعلم انه سيحتاج الى
المدافعة عنهم **وقال** يعني لوطا **هذا يوم عصيب** اي شديد كانه قد عصب به الشر والبلا
اي شد به ماخوذ من العصابة التي تشد بها الراس قال قتادة والسدي خرجت الملايكة
من عند ابراهيم نحو قرية لوط فاتوا لوطا نصف النهار وهو يعمل في ارض له وقيل انه كان يحطب
وقد قال الله للملايكة لا تهلكوهم حتى يشهد عليهم لوط اربع شهادات فاستضافوه
فانطلق بهم فلما مشى ساعة قال لهم اما بلغكم امر هذه القرية قالوا وما امرهم قال اشهد بالله
انها لشر قرية في الارض عملا يقول ذلك اربع مرات فمضوا معه حتى دخلوا منزله وقيل انه لما
حمل الحطب ومعه الملايكة مر على جماعة من قومه فتغامزوا فيما بينهم فقال لوط ان قومي شر خلق الله
تعالى فقال جبريل هذه واحدة ثم مر على جماعة اخرى فتغامزوا فقال مثله ثم مر على جماعة
اخرى ففعلوا ذلك وقال لوط مثل ما قال اولا حتى قال ذلك اربع مرات وكلما قال لوط هذا
القول قال جبريل للملايكة اشهدوا وقيل ان الملايكة جاوا الى بيت لوط فوجدوه في داره
فدخلوا عليه ولم يعلم احد بمجيهم الا اهل بيت لوط فخرجت امراته الخبيثة فاخبرت قومها
وقالت ان في بيت لوط رجالا ما رايت مثل وجوههم قط ولا احسن منهم **وجاه قومه يهرعون
اليه** قال ابن عباس وقتادة يسرعون اليه وقال مجاهد يهرولون وقال الحسن الاهراع هو مشي بين
مشيين وقال شمر هو بين الهرولة والجمز **ومن قبل** يعني ومن قبل مجي الرسل اليهم وقيل ومن قبل مجيهم
الى لوط **كانوا يعملون السيات** يعني الفعلات الخبيثة والفاحشة القبيحة وهي اتيان الرجال
في ادبارهم **قال** يعني قال لوط لقومه حين قصدوا اضيافه وظنوا انهم غلمان من بني ادم **يا قوم
هولا بناتي** يعني ازوجكم اياهن وفي اضيافه ببناته قيل انه كان في ذلك الوقت وفي تلك الشريعة

مباحًا تزويج المرأة المسلمة بالكافر وقال الحسن بن فضل عرض بناته عليهم بشرط الاسلام
وقال مجاهد وسعيد بن جبير اراد بنباته نسا قومه واضافهن الى نفسه لان كل نبي هو ابو
امته وكالوالد لهم وهذا القول هو الصحيح واشبه بالصواب ان شا الله تعالى والدليل عليه
ان بنات لوط كانتا اثنتين وليستا بكافيتين الجماعة وليس من المروة ان يعرض الرجل بناته على
اعدايه ليزوجهن اياهم فكيف يليق ذلك بمنصب الانبيا ان يعرضوا بناتهم على الكفار وقيل
انما قال ذلك لوط على سبيل الدفع لقومه لا على سبيل التحقيق وفي قوله هن اطهر لكم سوال
وهو ان يقال ان قوله هن اطهر لكم من باب فعل التفضيل فيقتضي ان يكون الذي يطلبونه
من الرجال طاهر ومعلوم انه محرم فاسد نجس لا طهارة فيه البتة فكيف قال هن اطهر لكم والجواب
عن هذا السوال ان هذا جار مجرى قوله اذلك خير نزلا ام شجرة الزقوم ومعلوم ان شجرة
الزقوم لا خير فيها وكقوله صلى الله عليه وسلم لما قالوا يوم احد اعل هبل قال الله اعلى واجل
اذ لا مماثلة بين الله عز وجل والصنم فانما هو كلام خرج مخرج المقابلة ولهذا نظاير
كثيرة وقوله فاتقوا الله يعني خافوه وراقبوه واتركوا ما انتم عليه من الكفر والعصيان
ولا تخزون في ضيفي يعني ولا تسوؤني في اضيافي ولا تفضحوني معهم اليس منكم رجل رشيد
اي صالح سديد عاقل وقال عكرمة رجل يقول لا اله الا الله وقال محمد بن اسحاق رجل يامر
بالمعروف وينهى عن المنكر حتى ينهى عن الفعل القبيح قالوا لقد علمت ما لنا في بناتك من حق
يعني ليس لنا بهن حاجة ولا لنا فيهن شهوة وقيل معناه ليس بناتك لنا بازواج ولا مستحقين
نكاحهن وقيل معناه ما لنا في بناتك من حاجة لانك دعوتنا الى نكاحهن بشرط الايمان ولا
نريد ذلك وانك لتعلم ما نريد يعني من اتيان الرجال في ادبارهم فعند ذلك قال لوط عليه السلام
لو ان لي بكم قوة اي لو اني اقدر ان اتقوى عليكم او اوي الى ركن شديد يعني او انضم الى عشيرة
يمنعوني منكم وجواب لو محذوف تقديره لو وجدت قوة لقابلتكم او لو وجدت عشيرة لانضممت
اليها قال ابو هريرة ما بعث الله بعده نبيا الا في منعة من عشيرته ق عن ابي هريرة قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم يرحم الله لوطا لقد كان ياوي الى ركن شديد ولو لبثت في السجن
ما لبث يوسف ثم اتاني الداعي لاجبت قال الشيخ محيي الدين رحمه الله المراد بالركن الشديد هو
الله عز وجل فانه اشد الاركان واقواها وامنعها ومعنى الحديث ان لوطا عليه السلام لما
خاف على اضيافه ولم يكن له عشيرة تمنعهم من الظالمين ضاق ذرعه واشتد حزنه عليهم فغلب ذلك
عليه فقال في تلك الحال لو ان لي بكم قوة في الدفع بنفسي او اوي الى عشيرة تمنع لمنعتكم وقصد لوط اظهار
العذر عند اضيافه وانه لو استطاع لدفع المكروه عنهم ومعنى ما في الحديث فيما يتعلق بيوسف
عليه السلام ياتي في موضعه من سورة يوسف ان شا الله تعالى قال ابن عباس واهل التفسير
اغلق لوط بابه والملايكة معه في الدار وجعل يناظر قومه ويناشدهم من ورا الباب وقومه

يعالجون سور الجدار فلما رات الملايكة ما يلقى لوط بسببهم قالوا يا لوط ان ركنك لشديد
انا رسل ربك لن يصلوا اليك يعني بمكروه فافتح الباب ودعنا واياهم ففتح الباب
فدخلوا فاستاذن جبريل عليه السلام ربه عز وجل في عقوبتهم فاذن له فتحول الى صورته
التي يكون فيها ونشر جناحيه وعليه وشاح من در منظوم وهو براق الثنايا اجلى الجبين
وراسه حبك مثل المرجان كانه الثلج بياضا وقدماه الى الخضرة فضرب بجناحيه
وجوههم فطمس اعينهم واعماهم فصاروا لا يعرفون الطريق ولا يهتدون الى بيوتهم فانصرفوا
وهم يقولون النجاة النجاة في بيت لوط اسحر قوم في الارض قد سحرونا وجعلوا يقولون
يا لوط كما انت حتى تصبح وسترى ما تلقى منا غدا يوعدونه بذلك فاسر باهلك يعني ببنتيك
بقطع من الليل قال ابن عباس بطايفة من الليل وقال الضحاك ببقية من الليل وقال
قتادة بعد مضي اوله وقيل انه السحر الاول ولا يلتفت منكم احد يعني ولا يلتفت منكم احد
الى ورايه ولا ينظر الى خلفه الا امراتك فانها من الملتفتات فتهلك مع من هلك من قومها وهو
قوله انه مصيبها ما اصابهم فقال لوط متى يكون هذا العذاب قالوا ان موعدهم الصبح
قال انه بعيد اريد اسرع من ذلك فقالوا اليس الصبح بقريب فلما خرج لوط من قريته واخذ
اهله معه وامرهم ان لا يلتفت منهم احد فقبلوا منه الا امراته فانها لما سمعت هدة العذاب
وهو نازل بهم التفتت وصاحت واقوماه فادركتها حجارة فاهلكتها معهم فلما جا امرنا
يعني امرنا بالعذاب جعلنا عاليها سافلها وذلك ان جبريل عليه السلام ادخل جناحه تحت
قرى قوم لوط وهي خمس مداين اكبرها سذوم وهي المؤتفكات المذكورة في سورة براة ويقال
كان فيها اربعماية الف وقيل اربعة الاف الف فرفع جبريل المداين كلها حتى سمع اهل السما
صياح الديكة ونباح الكلاب لم يكفا لهم انا ولم ينتبه نايم ثم قلبها فجعل عاليها سافلها
وامطرنا عليهم يعني على شذاذها ومن كان خارجا عنها من مسافريها وقيل بعد ما قلبها امطر
عليهم حجارة من سجيل قال ابن عباس وسعيد بن جبير معناه سنك وكل فارسي معرب لان
العرب اذا تكلمت بشي من الفارسي صار لغة للعرب ولا يضاف الى الفارسي مثل قوله سندس
واستبرق ونحو ذلك فكل هذه الفاظ فارسية تكلمت بها العرب واستعملتها في الفاظهم
فصارت عربية وقال قتادة وعكرمة السجيل الطين دليله قوله في موضع اخر حجارة من طين
منضود وقال الضحاك يعني الاجر وقيل سجيل اسم سما الدنيا وقيل هو جبل في سما الدنيا منضود
قال ابن عباس متتابع يتبع بعضها بعضا مفعول من النضد وهو وضع الشي بعضه فوق بعض
مسومة عند ربك صفة الحجارة يعني معلمة قال ابن جريج عليها سيما لا تشاكل حجارة
الارض وقال قتادة وعكرمة عليها خطوط حمر على هيية الجزع وقال الحسن والسدي كانت
مختومة على امثال الخواتيم وقيل كان مكتوبا على كل حجر اسم صاحبه الذي يرمى بها وما هي يعني

تلك الحجارة من الظالمين يعني مشركي مكة ببعيد قال قتادة وعكرمة يعني ظالمي هذه الامة والله ما اجار الله منها ظالما بعده وفي بعض الاثار ما من ظالم الا وهو بعرض حجر يسقط عليه من ساعة الى ساعة وقيل ان الحجارة اتبعت شذاذ قوم لوط حتى ان واحدا منهم دخل الحرم فسقط عليه الحجر فاهلكه قوله عز وجل والى مدين اي وارسلنا الى مدين اخاهم شعيبا ومدين اسم لابن ابراهيم الخليل عليه السلام ثم صار اسما للقبيلة من اولاده وقيل هو اسم مدينة بناها مدين بن ابراهيم فعلى هذا يكون التقدير وارسلنا الى اهل مدين فحذف المضاف لدلالة الكلام عليه قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره يعني وحدوا الله ولا تعبدوا معه غيره وهذا كان عادة الانبيا عليهم السلام يبدون بالاهم فالاهم ولما كانت الدعوة الى توحيد الله وعبادته اهم الاشيا فلهذا قال شعيب اعبدوا الله ما لكم من اله غيره ثم بعد الدعوة الى التوحيد شرع فيما هم فيه ولما كان المعتاد من اهل مدين البخس في الكيل والوزن دعاهم الى ترك هذه العادة القبيحة وهي تطفيف الكيل والوزن فقال ولا تنقصوا المكيال والميزان والنقص في الكيل والوزن على وجهين احدهما ان يكون الاستنقاص من قبلهم فيكيلون ويزنون للغير ناقصا والوجه الاخر هو استيفا الكيل والوزن لانفسهم زايدا عن حقهم فيكون نقصا في مال الغير وكلا الوجهين مذموم فلهذا نهاهم شعيب عن ذلك بقوله ولا تنقصوا المكيال والميزان اني اراكم بخير قال ابن عباس كانوا موسرين في نعمة وقال مجاهد كانوا في خصب وسعة فحذرهم زوال تلك النعمة وغلا السعر وحلول النقمة ان لم يتوبوا ويومنوا وهو قوله واني اخاف عليكم عذاب يوم محيط يعني يحيط بكم فيهلككم جميعا وهو عذاب الاستيصال في الدنيا او حذرهم عذاب الاخرة ومنه قوله وان جهنم لمحيطة بالكافرين ويا قوم اوفوا المكيال والميزان اي اتموهما ولا تطففوا فيهما بالقسط اي بالعدل وقيل بتقويم لسان الميزان وتعديل المكيال ولا تبخسوا اي ولا تنقصوا الناس اشياهم يعني اموالهم فان قلت قد وقع التكرار في هذه القصة من ثلاثة اوجه لانه قال ولا تنقصوا المكيال والميزان ثم قال اوفوا المكيال والميزان وهذا عين الاول ثم قال ولا تبخسوا الناس اشياهم وهذا عين ما تقدم فما الفايدة في هذا التكرار قلت ان القوم لما كانوا مصرين على ذلك العمل القبيح وهو تطفيف الكيل والوزن ومنع الناس حقوقهم احتيج في المنع منه الى المبالغة في التاكيد والتكرير يفيد شدة الاهتمام والعناية بالتاكيد فلهذا كرر ذلك ليقوي الزجر والمنع من ذلك الفعل ولان قوله ولا تنقصوا المكيال والميزان نهي عن التنقيص وقوله اوفوا المكيال والميزان امر بايفا العدل وهذا غير الاول ومغاير له ولقايل ان يقول النهي ضد الامر فالتكرار لازم على هذا الوجه قلنا الجواب عن هذا قد يجوز ان ينهى عن التنقيص ولا يامر بايفا الكيل والوزن فلهذا جمع بينهما فهو كقولك صل رحمك ولا تقطعها فتزيد المبالغة في الامر والنهي واما قوله ثانيا ولا تبخسوا الناس اشياهم

فليس

١٢٦

فليس بتكرير ايضا لانه تعالى لما خصص النهي عن التنقيص والامر بايفا الحق في الكيل والوزن عمم الحكم في جميع الاشيا التي يجب ايفا الحقوق فيها فيدخل فيه الكيل والوزن والذرع وغير ذلك فظهر بهذا البيان فايدة هذا التكرار والله اعلم وقوله ولا تعثوا في الارض مفسدين يعني بتنقيص الكيل والوزن ومنع الناس حقوقهم بقية الله خير لكم قال ابن عباس يعني ما ابقى الله لكم من الحلال بعد ايفا الكيل والوزن خير لكم مما تاخذونه بالتطفيف وقال مجاهد بقية الله يعني طاعة الله خير لكم وقيل بقية الله يعني ما ابقاه لكم من الثواب في الاخرة خير لكم مما يحصل لكم في الدنيا من المال الحرام ان كنتم مومنين يعني مصدقين بما قلت لكم وامرتكم به ونهيتكم عنه وما انا عليكم بحفيظ يعني احفظ اعمالكم قال بعضهم انما قال لهم شعيب ذلك لانه لم يومر بقتالهم قالوا يا شعيب اصلواتك تامرك ان نترك ما يعبد اباونا يعني من الاصنام او ان نفعل في اموالنا ما نشا يعني من الزيادة والنقصان قال ابن عباس كان شعيب كثير الصلاة فلذلك قالوا هذا وقيل انهم كانوا اذا راوه يصلي فيتغامزون ويقولون هذه المقالة وقال الاعمش اقراتك لان الصلاة تطلق على القران والدعا وقيل المراد بالصلاة هنا الدين يعني دينك يامرك ان نترك ما يعبد اباونا او ان نفعل في اموالنا ما نشا وذلك انهم كانوا ينقصون الدراهم والدنانير فكان شعيب ينهاهم عن ذلك ويخبرهم انه محرم عليهم وانما ذكر الصلاة لانها من اعظم شعاير الدين انك لانت الحليم الرشيد قال ابن عباس ارادوا السفيه الغاوي لان العرب قد تصف الشي بضده فيقولون للديغ سليم وللفلاة المهلكة مفازة وقيل هو على حقيقته وانما قالوا ذلك على سبيل الاستهزا والسخرية وقيل معناه انك لانت الحليم الرشيد في زعمك وقيل هو على بابه من الصحة ومعناه انك يا شعيب فينا حليم رشيد فلا يجمل بك شق عصا قومك ومخالفتهم في دينهم قال يعني قال لهم شعيب يا قوم ارايتم ان كنت على بينة من ربي يعني على بصيرة وهداية وبيان ورزقني منه رزقا حسنا يعني حلالا وقيل كان شعيب كثير المال والنعمة وقيل الرزق الحسن ما اتاه الله من العلم والهداية والنبوة والمعرفة وجواب ان وهي الشرطية محذوف تقديره ارايتم ان كنت على بينة من ربي ورزقني المال الحلال والهداية والمعرفة والنبوة فهل يسعني مع هذه النعم العظيمة ان اخونكم في وحيه وان اخالف امره او اتبع الضلال او ابخس الناس اشياهم وهذا الجواب شديد المطابقة لما تقدم وذلك انهم قالوا له انك لانت الحليم الرشيد والمعنى فكيف يليق بالحليم الرشيد ان يخالف امر ربه وله عليه نعم كثيرة وقوله وما اريد ان اخالفكم الى ما انهاكم عنه قال صاحب الكشاف يقال خالفني فلان الى كذا اذا قصده وانت مول عنه وخالفني عنه اذا ولى عنه وانت قاصده ويلقاك الرجل صادرا عن الما فتسله عن صاحبه فيقول خالفني الى الما يريد انه قد ذهب اليه واردا وانا ذاهب عنه صادرا ومنه قوله وما اريد ان اخالفكم الى ما انهاكم عنه يعني اني لا اسبقكم الى شهواتكم التي نهيتكم عنها لاستبد بها دونكم قال الامام فخر الدين

الرازي وتحقيق الكلام فيه ان القوم اعترفوا بانه حليم رشيد وذلك يدل على انه كامل العقل
وكمال العقل يحمل صاحبه على اختيار الطريق الاصوب الاصلح فكانه عليه السلام قال
لما اعترفتم بكمال عقلي فاعلموا ان الذي اخترته لنفسي هو اصوب الطريق واصلحها وهو
الدعوة الى توحيد الله وترك البخس والنقصان فانا مواظب عليها غير تارك لها فاعلموا ان
هذه الطريقة خير الطرق واشرفها الا ما انتم عليه وقال الزجاج معناه اني لست انهاكم
عن شيء وادخل فيه انما اختار لكم ما اختار لنفسي وقال ابن الانباري بين انه الذي يدعوهم
اليه من اتباع طاعة الله وترك البخس والتطفيف هو ما يرتضيه لنفسه ولا ينطوي الا
عليه فكان هذا محض النصيحة لهم ان اريد يعني ما اريد فيما امركم به وانهاكم عنه الا الاصلاح
يعني فيما بيني وبينكم ما استطعت يعني ما استطعت الاصلاح وهو الابلاغ والانذار
فقط ولا استطيع اجباركم على الطاعة لان ذلك الى الله فانه يهدي من يشا ويضل من
يشا وما توفيقي الا بالله التوفيق تسهيل سبيل الخير والطاعة على العبد ولا يقدر على ذلك
الا الله تعالى فلذلك قال وما توفيقي الا بالله عليه توكلت يعني على الله اعتمدت في جميع
اموري واليه انيب يعني واليه ارجع فيما ينزل من النوايب وقيل اليه ارجع في معادي وروي ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا ذكر شعيبا قال ذاك خطيب الانبيا لحسن مراجعته قومه
وقوله تعالى ويا قوم لا يجرمنكم شقاقي اي لا يحملنكم خلافي وعداوتي ان يصيبكم يعني عذاب
العاجلة على كفركم وافعالكم الخبيثة مثل ما اصاب قوم نوح يعني الغرق او قوم هود يعني
الريح التي اهلكتهم او قوم صالح يعني ما اصابهم من الصيحة حتى هلكوا جميعا وما قوم
لوط منكم ببعيد وذلك انهم كانوا حديثي عهد بهلاكهم وقيل معناه وما ديار قوم لوط
منكم ببعيد وذلك انهم كانوا جيران قوم لوط وبلادهم قريبة من بلادهم واستغفروا ربكم
يعني من عبادة الاصنام ثم توبوا اليه يعني من البخس والنقصان في الكيل والوزن ان ربي
رحيم يعني بعباده اذا تابوا واستغفروا ودود قال ابن عباس الودود المحب لعباده المومنين
فهو من قولهم وددت الرجل اوده اذا احببته وقيل يحتمل ان يكون ودود فعول بمعنى مفعول
معناه ان عباده الصالحين يودونه ويحبونه لكثرة افضاله واحسانه اليهم وقال الحليمي
قد قيل هو الواد لاهل طاعته اي الراضي عنهم باعمالهم والمحسن اليهم لاجلها والمادح لهم بها
وقال ابو سليمان الخطابي وقد يكون معناه ان يوددهم الى خلقه قالوا يا شعيب ما نفقه كثيرا
مما تقول يعني ما نفهم ما تدعونا اليه وذلك ان الله ختم على قلوبهم فصارت لا تعي ولا تفهم
ما ينفعها وان كانوا في الظاهر يسمعون ويفهمون وانا لنراك فينا ضعيفا قال ابن عباس وقتادة
كان اعمى قال الزجاج ويقال ان حمير يسمون المكفوف ضعيفا وقال الحسن وابو روق ومقاتل
يعني ذليلا قال ابو روق ان الله تعالى لم يبعث نبيا اعمى ولا نبيا به زمانة وقيل كان ضعيف

البصر

البصر وقيل المراد بالضعف العجز عن الكسب والتصرف وقيل هو الذي يتعذر عليه المنع عن نفسه
ويدل على صحة هذا القول ما بعده وهو قوله ولولا رهطك يعني جماعتك وعشيرتك وقيل
الرهط ما بين الثلاثة الى العشرة وقيل الى سبعة لرجمناك يعني لقتلناك بالحجارة والرجم
بالحجارة اسوا القتلات واشرها وقيل معناه لشتمناك واغلظنا لك القول وما انت علينا
بعزيز يعني بكريم وقيل بممتنع منا والمقصود من هذا الكلام وحاصله انهم بينوا لشعيب
عليه السلام انه لا حرمة له عندهم ولا وقع له في صدورهم وانهم انما لم يقتلوه ولم يسمعوه
الكلام الغليظ الفاحش لاجل احترامهم رهطه وعشيرته وذلك لانهم كانوا على دينهم
وملتهم ولما قالوا لشعيب عليه السلام هذه المقالة اجابهم بقوله قال يا قوم ارهطي
اعز عليكم من الله يعني اهيب عندكم من الله وامنع حتى تركتم قتلي لمكان رهطي عندكم
فالاولى ان تحفظوني في الله ولاجل الله لا لرهطي لان الله اعز واعظم واتخذتموه وراءكم
ظهريا يعني ونبذتم امر الله وراء ظهوركم وتركتموه كالشي الملقى الذي لا يلتفت اليه ان ربي
بما تعملون محيط يعني انه عالم باحوالكم جميعا لا يخفى عليه منها شي فيجازيكم بها يوم القيامة
ويا قوم اعملوا على مكانتكم يعني على تودتكم وتمكنكم من عملكم وقيل المكانة الحالة والمعنى
اعملوا حال كونكم موصوفين بغاية المكنة والقدرة من الشر اني عامل يعني ما اقدر عليه
من الطاعة والخير وهذا الامر في قوله اعملوا فيه وعيد وتهديد عظيم ويدل على ذلك
قوله سوف تعلمون يعني ايها الجاني على نفسه المخطي في فعله فان قلت اي فرق بين
ادخال الفا ونزعها في قوله سوف تعلمون قلت ادخال الفا في قوله فسوف تعلمون
وصل خفي تقديره بالاستيناف الذي هو جواب لسوال مقدر كانهم قالوا فماذا يكون
اذا عملنا نحن على مكانتنا وعملت انت فقال سوف تعلمون يعني عاقبة ذلك فوصل
تارة بالفا وتارة بالاستيناف للتفنن في البلاغة كما هو عادة بلغا العرب واقوى
الوصلين وابلغهما الاستيناف وهو باب من ابواب علم البيان تتكاثر محاسنه والمعنى
فسوف تعلمون من ياتيه عذاب يخزيه بسبب عمله السيي واينا الشقي الذي ياتيه عذاب
يخزيه ومن هو كاذب يعني فيما يدعيه وارتقبوا يعني وانتظروا العاقبة وما يوول اليه
امري وامركم اني معكم رقيب اي منتظر والرقيب بمعنى المراقب ولما جاء امرنا يعني بعذابهم
واهلاكهم نجينا شعيبا والذين امنوا معه برحمة منا يعني بفضل منا بان هديناهم للايمان
ووفقناهم للطاعة واخذت الذين ظلموا يعني ظلموا انفسهم بالشرك والبخس الصيحة
وذلك ان جبريل صاح بهم صيحة خرجت ارواحهم وماتوا جميعا وقيل اتتهم
صيحة من السما فاهلكتهم جميعا فاصبحوا في ديارهم جاثمين يعني ميتين وهو استعارة
من قولهم جثم الطير اذا قعد ولطي بالارض كان لم يغنوا فيها يعني كانهم لم يقيموا بديارهم

مرة من الدهر ماخوذ من قولهم غني بالمكان اذا اقام فيه مستغنيا به عن غيره الا بعدا
يعني هلاكا لمدين كما بعدت ثمود قال ابن عباس لم تعذب امتان قط بعذاب واحد الا
الا قوم شعيب وقوم صالح فاما قوم صالح فاخذتهم الصيحة من تحتهم واما قوم
شعيب فاخذتهم من فوقهم قوله عز وجل ولقد ارسلنا موسى باياتنا يعني بحججنا
والبراهين التي اعطيناه الدالة على صدقه ونبوته وسلطان مبين يعني ومعجزة باهرة
ظاهرة دالة على صدقه ايضا قال بعض المحققين سميت الحجة سلطانا لان صاحب الحجة
يقهر من لا حجة له كالسلطان يقهر غيره وقال الزجاج السلطان هو الحجة وسمي السلطان
سلطانا لانه حجة الله في الارض الى فرعون وملايه يعني اتباعه واشراف قومه فاتبعوا امر
فرعون يعني ما هو فيه من الكفر وترك الايمان بما جاءهم به موسى وما امر فرعون برشيد
يعني وما طريق فرعون وما هو عليه بسديد ولا حميد العاقبة ولا يدعو الى خير يقدم
قومه يوم القيمة فاوردهم النار يعني كما تقدم قومه فادخلهم البحر في الدنيا كذلك
يتقدم قومه يوم القيامة فيدخلهم النار ويدخل هو امامهم والمعنى كما كان قدوتهم
والمعنى كما كان قدوتهم في الضلال والكفر في الدنيا فكذلك هو قدوتهم وامامهم في النار
وبيس الورد المورود يعني وبيس المدخل المدخول فيه وقيل شبه الله فرعون في تقدمه
على قومه الى النار بمن يتقدم على الوارد الى الما وشبه اتباعه بالواردين بعده ولما كان
ورود الما محمودا عند الواردين لانه يكسر العطش قال في حق فرعون واتباعه فاوردهم
النار وبيس الورد المورود لان الاصل فيه قصد الما واستعمل في ورود النار على سبيل
الفظاعة واتبعوا في هذه يعني في هذه الدنيا لعنة يعني طردا وبعدا عن الرحمة ويوم القيمة
يعني واتبعوا لعنة اخرى يوم القيمة مع اللعنة التي حصلت لهم في الدنيا بيس الرفد المرفود
يعني بيس العون المعان وذلك ان اللعنة في الدنيا رفد للعنة الاخرة وقيل معناه بيس العطا
المعطى وذلك انهم ترادفت عليهم لعنتان لعنة في الدنيا ولعنة في الاخرة قوله تعالى ذلك
من انبا القرى يعني من اخبار اهل القرى وهم الامم السالفة والقرون الماضية نقصه عليك
يعني نخبرك به يا محمد لتخبر قومك اخبارهم لعلهم يعتبرون بهم فيرجعوا عن كفرهم وينزل
بهم مثل ما نزل بهم من العذاب منها يعني من القرى التي اهلكنا اهلها قايم وحصيد يعني منها
عامر ومنها خراب وقيل منها قايم يعني الحيطان بغير سقوف ومنها ما قد محي اثره بالكلية
شبهها الله بالزرع الذي بعضه قايم على ساقه وبعضه قد حصد وذهب اثره وحصيد
بمعنى محصود وما ظلمناهم يعني بالعذاب والاهلاك ولكن ظلموا انفسهم يعني بالكفر
والمعاصي فما اغنت عنهم الهتهم التي يدعون من دون الله من شي لما جا امر ربك يعني بعذابهم
لم تنفعهم اصنامهم ولم تدفع عنهم العذاب وما زادوهم غير تتبيب يعني غير تخسير وقيل

غير تدمير وكذلك اخذ ربك يعني وهكذا اخذ ربك اذا اخذ القرى وهي ظالمة الضمير في
وهي عايدة على القرى والمراد اهلها ان اخذه اليم شديد ق عن ابي موسى الاشعري قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم ان الله ليملي للظالم حتى اذا اخذه لم يفلته ثم قرا وكذلك اخذ ربك
اذا اخذ القرى وهي ظالمة ان اخذه اليم شديد في الاية الكريمة والحديث دليل على ان من اقدم
على ظلم فانه يجب ان يتدارك ذلك بالتوبة والانابة ورد الحقوق الى اهلها ان كان الظلم للغير
ليلا يقع في هذا الوعيد العظيم والعذاب الشديد ولا يظن ان هذه الاية حكمها مختص
بظالمي الامم الماضية بل هو عام في كل ظالم ويعضده الحديث والله اعلم قوله عز وجل
ان في ذلك لاية يعني ما ذكر من عذاب الامم الخالية واهلاكهم لعبرة وموعظة لمن خاف
عذاب الاخرة يعني ان هلاك اوليك عبرة يعتبر بها وموعظة يتعظ بها من يخشى
الله ويخاف عذابه في الاخرة لانه اذا نظر ما احل الله باوليك الكفار في الدنيا من اليم عذابه
وعظيم عقابه وهو كالانموذج مما اعد لهم في الاخرة اعتبر به فيكون زيادة في خوفه
وخشيته من الله ذلك يوم مجموع له الناس يعني يوم القيامة يجمع فيه الخلايق من الاولين
والاخرين للحساب والوقوف بين يدي رب العالمين وذلك يوم مشهود يعني يشهده اهل
السما واهل الارض وما نوخره الا لاجل معدود يعني وما نوخر ذلك اليوم وهو يوم القيمة
الا الى وقت معلوم محدود وذلك الوقت لا يعلمه احد الا الله تعالى يوم ياتي يعني ذلك
اليوم لا تكلم نفس الا باذنه قيل ان جميع الخلق يسكتون في ذلك اليوم فلا يتكلم احد فيه
الا باذن الله تعالى فان قلت كيف وجه الجمع بين هذه الاية وبين قوله تعالى يوم تاتي
كل نفس تجادل عن نفسها وبين قوله اخبارا عن محاجة الكفار وهو قوله والله ربنا ما كنا مشركين
والاخبار ايضا تدل على الكلام في ذلك اليوم قلت يوم القيامة يوم طويل وله احوال مختلفة
وفيه اهوال عظيمة ففي بعض الاحوال لا يقدرون على الكلام لشدة الاهوال وفي بعض
الاحوال يوذن لهم في الكلام فيتكلمون وفي بعضها يخفف عنهم تلك الاهوال فيحاجون ويجادلون
وينكرون وقيل المراد من قوله لا تكلم نفس الا باذنه الشفاعة يعني لا تشفع نفس لنفس
شيا الا ان ياذن الله لها في الشفاعة فمنهم يعني فمن اهل الموقف شقي وسعيد الشقاوة
خلاف السعادة والسعادة هي معاونة الامور الالهية للانسان ومساعدته على فعل الخير
والصلاح وتيسره لها ثم السعادة على ضربين سعادة دنيوية وسعادة اخروية
وهي السعادة القصوى لان نهايتها الجنة وكذلك الشقاوة على ضربين ايضا شقاوة
دنيوية وشقاوة اخروية وهي الشقاوة القصوى لان نهايتها النار فالشقي من سبقت له
الشقاوة في الازل والسعيد من سبقت له السعادة في الازل ق عن علي بن ابي طالب قال كنا
في جنازة في بقيع الغرقد فاتانا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقعد وقعدنا حوله ومعه مخصرة

فنكس وجعل ينكت بمخصرته ثم قال ما منكم من احد الا وقد كتب مقعده من النار ومقعده
من الجنة فقالوا يا رسول الله صلى الله عليك وسلم افلا نتكل على كتابنا فقال اعملوا فكل ميسر
لما خلق له اما من كان منا من اهل السعادة فسيصير لعمل السعادة ومن كان من اهل الشقاوة
فسيصير لعمل الشقاوة ثم قرا فاما من اعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى الاية
بقيع الغرقد هو مقبرة اهل المدينة الشريفة ومدفنهم فيه والمخصرة كالسوط والعصى ونحو
ذلك مما يمسكه بيده الانسان والنكت بالنون والتاء المثناة من فوق ضرب الشي بتلك المخصرة
او باليد ونحو ذلك حتى يوثر فيه استدل بعض العلما بهذه الاية وهذا الحديث على ان اهل
الموقف قسمان شقي وسعيد لا ثالث لهما وظاهر الاية والحديث يدل على ذلك لكن بقي
قسم اخر مسكوت عنه وهو من استوت حسناته وسياته وهم اصحاب الاعراف في قول
والاطفال والمجانين الذي لا حسنات لهم ولا سيات فهولا مسكوت عنهم وهم تحت مشية
الله عز وجل يوم القيمة يحكم فيهم بما يشا وتخصيص هذين القسمين بالذكر لا يدل على نفي
القسم الثالث **فاما الذين شقوا ففي النار** اي في النار من العذاب والهوان **لهم فيها زفير وشهيق**
اصل الزفير ترديد النفس في الصدر حتى تنتفخ منه الضلوع والشهيق رد النفس الى الصدر
والزفير مده واخراجه من الصدر قال ابن عباس الزفير الصوت الشديد والشهيق الصوت
الضعيف وقال الضحاك ومقاتل الزفير اول صوت الحمار والشهيق اخره اذا ردده الى
جوفه وقال ابو العالية الزفير في الحلق والشهيق في الجوف **خالدين فيها** يعني لابثين مقيمين
في النار **ما دامت السموات والارض** قال الضحاك يعني ما دامت سموات الجنة والنار وارضهما
ولا بد لاهل الجنة واهل النار من سما تظلهم وارض تقلهم فكل ما علاك فاظلك فهو سما وكل
ما استقر عليه قدمك فهو ارض وقال اهل المعاني هذا عبارة عن التابيد وذلك على عادة
العرب فانهم يقولون لا اتيك ما دامت السموات والارض وما اختلف الليل والنهار يريدون
بذلك التابيد وقوله تعالى **الا ما شا ربك** اختلف العلما في معنى هذين الاستثناين فقال
ابن عباس والضحاك الاستثنا الاول المذكور في اهل الشقا يرجع الى قوم من المومنين يدخلهم
الله النار بذنوب اقترفوها ثم يخرجهم منها فيكون استثنا من غير الجنس لان الذين
اخرجوا من النار سعدا في الحقيقة استثناهم الله تعالى من الاشقيا ويدل على صحة هذا
التاويل ما روي عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله يخرج قوما من النار
بالشفاعة وفي رواية ان الله يخرج ناسا من النار فيدخلهم الجنة اخرجه البخاري ومسلم
خ عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يخرج من النار قوم بعد ما مسهم منها سفع
فيدخلون الجنة فيسميهم اهل الجنة الجهنميين وفي رواية ليصيبن اقواما سفع من
النار بذنوب اصابوها عقوبة ثم يدخلهم الله الجنة بفضل رحمته فيقال لهم الجهنميون

انه ربك فعال لما يريد

خ عن عمران بن حصين ان النبي صلى الله عليه وسلم قال يخرج قوم من النار بشفاعة محمد
فيدخلون الجنة يسمون الجهنميين واما الاستثنا الثاني المذكور في اهل السعادة فيرجع
الى مدة لبث هولا في النار قبل دخولهم الجنة فعلى هذا القول يكون معنى الاية فاما
الذين شقوا ففي النار لهم فيها زفير وشهيق خالدين فيها ما دامت السموات والارض الا
ما شا ربك ان يخرجهم منها فيدخلهم الجنة **واما الذين سعدوا ففي الجنة خالدين فيها ما
دامت السموات والارض الا ما شا ربك** ان يدخله النار اولا ثم يخرجه منها فيدخله الجنة
فحاصل هذا القول ان الاستثناين يرجع كل واحد منهما الى قوم مخصوصين هم في الحقيقة
سعدا اصابوا ذنوبا استوجبوا بها عقوبة يسيرة في النار ثم يخرجون منها فيدخلون
الجنة ولان اجماع الامة على ان من دخل الجنة لا يخرج منها ابدا وقيل ان الاستثناين
يرجعان الى الفريقين السعدا والاشقيا وهو مدة تعميرهم في الدنيا واحتباسهم في البرزخ
وهو ما بين الموت الى البعث ومدة وقوفهم للحساب ثم يدخل اهل الجنة الجنة واهل
النار النار فيكون المعنى خالدين في الجنة والنار الا هذا المقدار وقيل معناه الا ما شا ربك
سوى ما شا ربك فيكون المعنى خالدين فيها ما دامت السموات والارض سوى ما شا ربك من
الزيادة على ذلك وهو كقولك لفلان علي الف الا الفين اي سوى الالفين المتقدمة
وقيل الا بمعنى الواو يعني وقد شا ربك خلود هولا في النار وخلود هولا في الجنة فهو كقوله
لئلا يكون للناس عليكم حجة الا الذين ظلموا اي ولا الذين ظلموا وقيل معناه ولو شا ربك
لاخرجهم منها ولكنه لم يشا لانه حكم لهم بالخلود فيها قال الفرا هذا استثنا استثناه الله
ولا يفعله كقولك والله لاضربنك الا ان ارى ذلك وعزمك ان تضربه فهذه الاقوال في
معنى الاستثنا ترجع الى الفريقين والصحيح هو القول الاول يدل عليه قوله في اخر الاية
ان ربك فعال لما يريد يعني من اخراج من اراد من النار وادخالهم الجنة فهذا على الاجمال
في حال الفريقين واما على التفصيل فقوله الا ما شا ربك في جانب الاشقيا يرجع الى
الزفير والشهيق وتقديره ان يفيد حصول الزفير والشهيق مع الخلود لانه اذا دخل
الاستثنا عليه وجب ان يحصل فيه هذا المجموع والاستثنا في جانب السعدا يكون
بمعنى الزيادة يعني الا ما شا ربك من الزيادة لهم من النعيم بعد الخلود وقيل ان الاستثنا
الاول في جانب الاشقيا معناه الا ما شا ربك من ان يخرجهم من حر النار الى البرد والزمهرير
وفي جانب السعدا معناه الا ما شا ربك ان يرفع بعضهم الى منازل اعلى من منازل الجنان
ودرجاتها والقول الاول هو المختار ويدل على خلود اهل الجنة في الجنة وهو ان الامة
مجمعة على ان من دخل الجنة لا يخرج منها بل هو خالد فيها قوله تعالى في جانب السعدا
عطا غير مجذوذ يعني غير مقطوع قال ابن زيد اخبرنا الله تعالى بالذي يشا لاهل الجنة

فقال تعالى عطاء غير مجذوذ ولم يخبرنا بالذي يشاء لاهل النار وروي عن ابن مسعود
انه قال ليأتين على جهنم زمان ليس فيها احد وذلك بعد ما يلبثون فيها احقابا وعن
ابي هريرة نحوه وهذا ان صح عن ابن مسعود وابي هريرة فمحمول عند اهل السنة على اخلا
اماكن المومنين الذين استحقوا النار من النار بعد اخراجهم منها لانه ثبت بالدليل الصحيح
القاطع اخراج جميع الموحدين وخلود الكفار فيها او يكون محمولا على اخراج الكفار من حر
النار الى برد الزمهرير ليزدادوا عذابا فوق عذابهم والله اعلم قوله تعالى فلا تك في مرية
مما يعبد هولا يعني فلا تك في شك يا محمد في هذه الاصنام التي يعبدها هولا الكفار فانها
لا تضر ولا تنفع ما يعبدون الا كما يعبد اباوهم من قبل يعني انه ليس لهم في عبادة هذه الاصنام
مستند الا انهم راوا اباهم يعبدونها فعبدوها مثلهم وانا لموفوهم نصيبهم غير منقوص
يعني وانا مع عبادتهم هذه الاصنام نرزقهم الرزق الذي قدرناه لهم من غير نقص فيه ويحتمل
ان يكون المراد من توفية نصيبهم يعني من العذاب الذي قدر لهم في الاخرة كاملا موفرا غير
ناقص قوله عز وجل ولقد اتينا موسى الكتاب يعني التوراة فاختلف فيه يعني في الكتاب
فمن مصدق به ومكذب به كما فعل قومك يا محمد بالقران ففيه تسلية للنبي صلى الله
عليه وسلم ولولا كلمة سبقت من ربك يعني بتاخير العذاب عنهم الى يوم القيامة لكان الذي
يستحقونه من تعجيل العقوبة في الدنيا على كفرهم وتكذيبهم وهو قوله تعالى لقضي
بينهم يعني لعذبوا في الحال وفرغ من عذابهم واهلاكهم وانهم لفي شك منه يعني من القران
ونزوله عليك يا محمد مريب يعني انهم قد وقعوا في الريب والتهمة وان كلا يعني من الفريقين المختلفين
المصدق والمكذب لما ليوفينهم ربك اعمالهم اللام لام القسم تقديره والله ليوفينهم جزا اعمالهم
في القيامة فيجازي المصدق على تصديقه الجنة ويجازي المكذب على تكذيبه النار انه بما يعملون خبير
يعني انه تعالى لا يخفى عليه شي من اعمال عباده وان دقت ففيه وعد للمحسنين المصدقين ووعيد
وتهديد للمكذبين الكافرين فاستقم كما امرت الخطاب فيه للنبي صلى الله عليه وسلم يعني
فاستقم يا محمد على دين ربك والعمل به والدعا اليه كما امرك ربك والامر في واستقم
للتاكيد لان النبي صلى الله عليه وسلم كان على الاستقامة لم يزل عليها فهو كقولك للقايم قم
حتى اتيك اي دم على ما انت عليه من القيام حتى اتيك ومن تاب معك يعني ومن امن معك من امتك
فليستقيموا ايضا على دين الله والعمل بطاعته قال عمر بن الخطاب الاستقامة ان تستقيم
على الامر والنهي ولا تروغ عنه روغان الثعلب م عن سفيان بن عبد الله الثقفي قال قلت
يا رسول الله قل لي في الاسلام قولا لا اسال عنه احدا بعدك قال قل امنت بالله ثم استقم
ولا تطغوا يعني ولا تجاوزوا امري الى غيري ولا تعصوني وقيل معناه ولا تغلوا في الدين
فتجاوزوا ما امرتكم به ونهيتكم عنه انه بما تعملون بصير يعني انه تعالى عالم باعمالكم ايها الناس

لايخفى

لا يخفى عليه شي منها قال ابن عباس ما نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم اية هي اشد عليه
من هذه الاية ولذلك قال شيبتني هود واخواتها خ عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه
وسلم قال ان الدين يسر ولن يشاد الدين احد الا غلبه فسددوا وقاربوا وابشروا واستعينوا
بالغدوة والروحة وشي من الدلجة قوله ان الدين يسر اليسر ضد العسر واراد به التسهيل
في الدين وترك التشدد فان هذا الدين مع يسره وسهولته قوي فلن يغالب ولن يقاوى فسددوا
اي اقصدوا السداد من الامور وهو الصواب وقاربوا اي اطلبوا المقاربة وهي القصد الذي
لا غلو فيه ولا تقصير والغدوة الرواح بكرة والروحة الرجوع عشيا والمراد منه اعملوا اطراف
النهار وقتا وقتا والدلجة سير الليل والمراد منه اعملوا بالنهار واعملوا بالليل ايضا وقوله
واستعينوا بشي من الدلجة اشارة الى تقليله وقوله تعالى ولا تركنوا الى الذين ظلموا قال ابن عباس
ولا تميلوا والركون هو المحبة والميل بالقلب قال ابو العالية لا ترضوا باعمالهم وقال السدي
لا تداهنوا الظلمة وعن عكرمة لا تطيعوهم وقيل معناه ولا تسكنوا الى الذين ظلموا فتمسكم
النار فتصيبكم النار بحرها وما لكم من دون الله من اوليا يعني اعوانا وانصارا يمنعونكم من عذابه
ثم لا تنصرون يعني ثم لا تجدون لكم من ينصركم ويخلصكم من عذاب الله غدا في القيامة ففيه
وعيد لمن ركن الى الظلمة او رضي باعمالهم او احبهم فكيف حال الظلمة في انفسهم نعوذ بالله من
الظلم قوله عز وجل واقم الصلاة طرفي النهار سبب نزول هذه الاية ما رواه الترمذي عن ابي
اليسر قال اتتني امراة تبتاع تمرا فقلت ان في البيت تمرا هو اطيب منه فدخلت معي البيت فاهويت اليها
فقبلتها فاتيت ابا بكر فذكرت ذلك له فقال استر على نفسك وتب ولا تخبر احدا فلم اصبر
فاتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرت ذلك له فقال اخلفت غازيا في سبيل الله في اهله بمثل
هذا حتى تمنى انه لم يكن اسلم الا تلك الساعة حتى ظن انه من اهل النار قال واطرق رسول الله صلى الله
عليه وسلم طويلا حتى اوحى الله اليه واقم الصلاة طرفي النهار وزلفا من الليل الى قوله ذلك
ذكرى للذاكرين قال ابو اليسر فاتيته فقراها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اصحابه يا رسول الله
الهذا خاصة ام للناس عامة قال بل للناس عامة قال الترمذي هذا حديث حسن غريب وقيس
ابن الربيع ضعفه وكيع وغيره وابو اليسر هو كعب بن عمرو ق عن عبد الله بن مسعود ان رجلا اصاب
من امراة قبلة فاتى النبي صلى الله عليه وسلم فذكر ذلك له فنزلت اقم الصلاة طرفي النهار وزلفا من الليل
الاية فقال الرجل يا رسول الله الي هذه قال لمن عمل بها من امتي وفي رواية فقال رجل من القوم يا نبي
الله هذا له خاصة قال بل للناس كافة عن معاذ بن جبل قال اتى النبي صلى الله عليه وسلم رجل فقال
يا رسول الله ارايت رجلا لقي امراة ليس بينهما معرفة فليس ياتي الرجل الى امراته شيا الا قد اتى هو اليها
الا انه لم يجامعها فانزل الله عز وجل واقم الصلاة طرفي النهار وزلفا من الليل ان الحسنات يذهبن
السيات ذلك ذكرى للذاكرين فامره النبي صلى الله عليه وسلم ان يتوضا ويصلي قال معاذ فقلت يا رسول الله

امي له خاصة ام للمومنين عامة فقال بل للمومنين عامة اخرجه الترمذي وقال هذا الحديث ليس
بمتصل عبد الرحمن بن ابي ليلى لم يسمع من معاذ اما التفسير فقوله تعالى واقم الصلاة طرفي النهار
يعني صلاة الغداة والعشي قال مجاهد طرفا النهار يعني صلاة الصبح والعصر وزلفا من الليل
يعني صلاة المغرب والعشا وقال مقاتل صلاة الصبح والظهر طرف وصلاة العصر والمغرب
طرف وزلفا من الليل يعني صلاة العشا وقال الحسن طرفا النهار الصبح والعصر وزلفا من الليل
المغرب والعشا وقال ابن عباس طرفا النهار الغداة والعشي يعني صلاة الصبح والمغرب قال الامام
فخر الدين الرازي كثرت المذاهب في تفسير طرفي النهار والاشهر ان الصلاة التي في طرفي النهار هي
الفجر والعصر وذلك لان احد طرفي النهار هو طلوع الشمس والثاني هو غروبها فالاول هو صلاة الفجر
والطرف الثاني لا يجوز ان يكون صلاة المغرب لانها داخلة تحت قوله تعالى وزلفا من الليل فوجب حمل
الطرف الثاني على صلاة العصر وزلفا من الليل يعني واقم الصلاة في زلف من الليل وهي ساعاته
واحدتها زلفة واصل الزلفة المنزلة والمراد بها صلاة المغرب والعشا ان الحسنات يذهبن
السيات يعني ان الصلوات الخمس يذهبن الخطيئات ويكفرنها م عن ابي هريرة ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال الصلوات الخمس والجمعة الى الجمعة كفارات لما بينهن زاد في رواية ما لم تغش الكباير
وزاد في رواية اخرى ورمضان الى رمضان مكفرات لما بينهن اذا اجتنبت الكباير ق عن ابي هريرة انه
سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ارايتم لو ان نهرا بباب احدكم يغتسل فيه كل يوم خمس مرات
ما تقولون ذلك يبقي من درنه قالوا لا يبقي من درنه شيا قال فذلك مثل الصلوات الخمس يمحو الله
بها الخطايا م عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل الصلوات الخمس كمثل نهر جار غمر
على باب احدكم يغتسل منه كل يوم خمس مرات قال الحسن وما يبقي من الدرن قال العلما الصغاير
من الذنوب يكفرها الاعمال الصالحة مثل الصلاة والصدقة والذكر والاستغفار ونحو ذلك من
اعمال البر واما الكباير من الذنوب فلا يكفرها الا التوبة النصوح ولها ثلاث شرايط الشرط الاول
الاقلاع عن الذنب بالكلية الثاني الندم على فعله الثالث العزم التام ان لا يعود اليه في المستقبل فاذا
حصلت هذه الشرايط صحت التوبة وكانت مقبولة ان شا الله تعالى وقال مجاهد في تفسير الحسنات
انها قول سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر والقول الاول اصح انها الصلوات الخمس
وهو قول ابن مسعود وابن عباس وابن المسيب ومجاهد في احدى الروايتين عنه والقرظي والضحاك
وجمهور المفسرين ذلك اشارة الى ما تقدم ذكره من ذكر الاستقامة والتوبة وقيل هو اشارة الى
القران ذكرى للذاكرين يعني عظة للمومنين المطيعين واصبر الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم
يعني واصبر يا محمد على اذى قومك وما تلقاه منهم وقيل معناه واصبر على الصلاة فان الله
لا يضيع اجر المحسنين يعني اعمالهم وقال ابن عباس يعني المصلين قوله تعالى فلولا كان من القرون
يعني فهلا كان من القرون التي اهلكناهم من قبلكم يعني يا امة محمد اولوا بقية يعني اولوا تمييز وطاعة

وخير

وخير يقال فلان ذو بقية اذا كان فيه خير وقيل معناه اولو بقية من خير يقال فلان
على بقية من الخير اذا كان على خصلة محمودة ينهون عن الفساد في الارض يعني يقومون بالنهي
عن الفساد في الارض والاية للتقريع والتوبيخ يعني لم يكن فيهم من فيه خير ينهى عن الفساد
في الارض فلذلك اهلكناهم الا قليلا هذا استثنا منقطع معناه لكن قليلا ممن انجينا منهم
يعني من من الامم الماضية وهم اتباع الانبيا كانوا ينهون عن الفساد في الارض واتبع الذين
ظلموا ما اترفوا فيه يعني واتبع الذين ظلموا انفسهم بالكفر والمعاصي ما نعموا فيه والترف
التنعم والمعنى انهم اتبعوا ما تعودوا به من النعم وايثار اللذات على الاخرة وبغيهم وكانوا
مجرمين يعني كافرين وما كان ربك يعني وما كان ربك يا محمد ليهلك القرى بظلم يعني لا يهلكهم
بظلم منه واهلها مصلحون يعني في اعمالهم ولكن يهلكهم بكفرهم وركوبهم السيات
وقيل في معنى الاية وما كان ربك ليهلك القرى بمجرد شركهم اذا كانوا مصلحين يعني يعامل
بعضهم بعضا بالصلاح والسداد والمراد من الهلاك عذاب الاستيصال في الدنيا اما
عذاب الاخرة فهو لازم لهم ولهذا قال بعض الفقها ان حقوق الله مبناها على المسامحة
والمساهلة وحقوق العباد مبناها على الضيق والتشديد بدليل قوله عز وجل ولو شا ربك
لجعل الناس امة واحدة يعني كلهم على دين واحد وشريعة واحدة ولا يزالون مختلفين يعني
على اديان شتى ما بين يهودي ونصراني ومجوسي ومشرك ومسلم فكل اهل دين من هذه
الاديان اختلفوا في دينهم ايضا اختلافا كثيرا لا ينضبط عن ابي هريرة ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال افترقت اليهود على احدى وسبعين فرقة او اثنين وسبعين فرقة
والنصارى مثل ذلك وستفترق امتي على ثلاث وسبعين فرقة اخرجه ابو داود والترمذي
بنحوه عن معاوية قال قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال الا ان من قبلكم من اهل
الكتاب افترقوا على ثنتين وسبعين ملة وان هذه الامة ستفترق على ثلاث وسبعين
ثنتان وسبعون في النار وواحدة في الجنة وهي الجماعة اخرجه ابو داود وقال الخطابي
قوله صلى الله عليه وسلم وستفترق امتي فيه دلالة على ان هذه الفرق غير خارجة من الملة والدين
اذ جعلهم من امته وقال غيره المراد بهذه الفرق اهل البدع والاهوا الذين تفرقوا واختلفوا
وظهروا بعده كالخوارج والقدرية والمعتزلة والرافضة وغيرهم من اهل البدع والاهوا
والمراد بالواحدة هي فرقة السنة والجماعة الذين اتبعوا الرسول صلى الله عليه وسلم في اقواله
وافعاله وقوله تعالى الا من رحم ربك يعني لكن من رحم ربك فمن عليه بالهداية والتوفيق
الى الحق وهداه الى الدين القويم والصراط المستقيم فهم لا يختلفون ولذلك خلقهم قال الحسن
وعطا وللاختلاف خلقهم قال اشهب سالت مالك بن انس عن هذه الاية فقال خلقهم
ليكون فريق في الجنة وفريق في السعير وقال ابن عباس ومجاهد وقتادة والضحاك وللرحمة

خلقهم يعني الذين يرحمهم وقال الفرا خلق اهل الرحمة للرحمة وخلق اهل الاختلاف
للاختلاف وقيل خلق الله عز وجل اهل الرحمة للرحمة لئلا يختلفوا وخلق اهل
العذاب لان يختلفوا وخلق الجنة وخلق لها اهلا وخلق النار وخلق لها اهلا فحاصل
الاية ان الله خلق اهل الباطل وجعلهم مختلفين وخلق اهل الحق وجعلهم متفقين
فحكم على بعضهم بالاختلاف ومصيرهم الى النار وحكم على بعضهم بالرحمة وهم اهل
الاتفاق ومصيرهم الى الجنة ويدل على صحة هذا القول سياق الاية وهو قوله تعالى وتمت
كلمة ربك لاملان جهنم من الجنة والناس اجمعين وهذا صريح بان الله تعالى خلق اقواما للجنة
وللرحمة فهداهم ووفقهم لاعمال اهل الجنة وخلق اقواما للضلالة والنار فخذلهم
ومنعهم من الهداية قوله تعالى وكلا نقص عليك من انبا الرسل ما نثبت به فوادك لما ذكر
الله عز وجل في هذه السورة الكريمة قصص الامم الماضية والقرون الخالية وما جرى لهم
مع انبيايهم خاطب نبيه صلى الله عليه وسلم بقوله وكلا نقص عليك يا محمد من انباء
الرسل يعني من اخبار الرسل وما جرى لهم مع قومهم ما نثبت به فوادك يعني ما نقوي
به قلبك لتصبر على اذى قومك وتتاسى بالرسل الذين خلوا من قبلك وذلك لان النبي
صلى الله عليه وسلم اذا سمع هذه القصص وعلم ان حال جميع الانبيا مع اتباعهم هكذا
سهل عليه تحمل الاذى من قومه وامكنه الصبر عليه وجاءك يا محمد في هذه الحق اختلفوا في
هذا الضمير الى ماذا يعود فقيل معناه وجاءك في هذه الدنيا الحق وفيه بعد لانه لم يجر
للدنيا ذكر حتى يعود الضمير اليه وقيل في هذه الاية وقيل في هذه السورة وهو الاقرب ومع
قول الاكثرين فان قلت قد جاءه الحق في سور القران فلم خص هذه السورة بالذكر قلت لا يلزم من
تخصيص هذه السورة بالذكر ان لا يكون قد جاءه الحق في غيرها من السور بل القران كله حق
وصدق وانما خصها بالذكر تشريفا لها وموعظة وذكرى للمومنين اي وهذه السورة موعظة
يتعظ بها المومنون اذا تذكروا احوال الامم الماضية وما نزل بهم وقل للذين لا يومنون
اعملوا على مكانتكم فيه وعيد وتهديد يعني اعملوا ما انتم عاملون فستعلمون عاقبة
ذلك العمل فهو كقوله اعملوا ما شئتم انا عاملون يعني ما امرنا به ربنا وانتظروا يعني ما
يعدكم به الشيطان انا منتظرون يعني ما يحل بكم من نقمة الله وعذابه اما في الدنيا
واما في الاخرة ولله غيب السموات والارض يعني علم ما غاب عن العباد فيهما يعني ان علمه
سبحانه وتعالى نافذ في جميع الاشيا خفيها وجليها وحاضرها ومعدومها لا يخفى عليه
شي في الارض ولا في السما واليه يرجع الامر كله يعني الى الله يرجع امر الخلق كلهم في الدنيا والاخرة
فاعبده يعني ان من كان كذلك كان مستحقا للعبادة لا غيره فاعبده ولا تشتغل بعبادة غيره
وتوكل عليه يعني وثق به في جميع امورك فانه يكفيك وما ربك بغافل عما يعملون قال اهل

التفسير هذا الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم ولجميع الخلق مومنهم وكافرهم والمعنى انه
تعالى يحفظ على العباد اعمالهم لا يخفى عليه منها شي فيجزي المحسن باحسانه والمسي باساءته
قال كعب الاحبار خاتمة التوراة خاتمة سورة هود والله اعلم بمراده واسرار كتابه بسم
الله الرحمن الرحيم تفسير سورة يوسف عليه السلام وهي مكية باجماعهم وهي مايه
واحدى عشرة اية والف وستماية كلمة وسبعة الاف ومايه وستون حرفا قال ابن الجوزي
وفي سبب نزولها قولان احدهما روي عن سعد بن ابي وقاص قال انزل القران على رسول الله
صلى الله عليه وسلم فتلاه عليهم زمانا فقالوا يا رسول الله لو قصصت علينا فانزل الله
الر تلك ايات الكتاب المبين الى قوله تعالى نحن نقص عليك احسن القصص القول الثاني رواه
الضحاك عن ابن عباس قال سالت اليهود النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا حدثنا عن امر يعقوب
وولده وشان يوسف فانزل الله عز وجل الر تلك ايات الكتاب المبين الايات بسم الله الرحمن
الرحيم قوله عز وجل الر تقدم تفسيره في سورة يونس تلك اشارة الى ايات هذه السورة اي
تلك الايات التي انزلت اليك في هذه السورة المسماة بالر هذه ايات الكتاب المبين وهو القران
اي المبين حلاله وحرامه وحدوده واحكامه وقال قتادة مبين والله بركته وهداه ورشده
فهذا من بان اي ظهر وقال الزجاج مبين الحق من الباطل والحلال والحرام فهذا من ابان بمعنى اظهر
وقيل انه مبين فيه قصص الاولين وشرح احوال المتقدمين انا انزلناه يعني هذا الكتاب
قرانا عربيا اي انزلناه بلغتكم لكي تعلموا معانيه وتفهموا ما فيه قالت اليهود لمشركي مكة سلوا
محمدا صلى الله عليه وسلم عن امر يعقوب وقصة يوسف وكانت عند اليهود بالعبرانية فانزل الله
هذه السورة وذكر فيها قصة يوسف بالعربية ليفهمها العرب ويعرفوا معانيها والتقدير
انا انزلنا هذا الكتاب الذي فيه قصة يوسف في حال كونه عربيا فعلى هذا القول يجوز اطلاق
اسم القران على بعضه لانه اسم جنس يقع على الكل والبعض واختلف العلما هل يمكن ان يقال
في القران شي بغير العربية فقال ابو عبيدة من زعم ان في القران لسانا غير العربية فقد اعظم
على الله القول واحتج بهذه الاية انا انزلناه قرانا عربيا وروي عن ابن عباس ومجاهد وعكرمة
ان فيه من غير لسان العرب مثل سجيل والمشكاة واليم واستبرق ونحو ذلك وهذا هو الصحيح المختار
لان هولا اعلم من ابي عبيدة بلسان العرب وكلا القولين صواب ان شا الله ووجه الجمع بينهما ان هذه
الالفاظ لما تكلمت بها العرب ودارت على السنتهم صارت عربية فصيحة وان كانت عبرية في
الاصل لكنهم لما تكلموا بها نسبت اليهم وصارت لهم لغة فظهر بهذا الشان صحة القولين وامكن
الجمع بينهما لعلكم تعقلون يعني لكي تفهموا ايها العرب لانه نازل بلغتكم قوله تعالى نحن نقص عليك
احسن القصص الاصل في معنى القصص اتباع الخبر بعضه بعضا والقاص هو الذي ياتي بالخبر
على وجهه واصله في اللغة من قص الاثر اذا اتبعه وانما سميت الحكاية قصة لان الذي يقص

الحديث يذكر تلك القصة شيا فشيا والمعنى نبين لك يا محمد اخبار الامم السالفة والقرون
الماضية احسن البيان وقيل المراد منه قصة يوسف عليه السلام خاصة سماها احسن القصص
لما فيها من العبر والحكم والنكت والفوايد التي تصلح للدين والدنيا وما فيها من سير الملوك
والمماليك والعلما ومكر النسا والصبر على اذى الاعدا وحسن التجاوز عنهم بعد اللقا وغير ذلك
من الفوايد المذكورة في هذه السورة الشريفة قال خالد بن معدان سورة يوسف وسورة مريم
يتفكه بهما اهل الجنة في الجنة وقال عطا لا يسمع سورة يوسف محزون الا استراح وقوله تعالى
بما اوحينا يعني بايحاينا اليك يا محمد هذا القرآن وان كنت اي وقد كنت من قبله يعني من قبل وحينا
لمن الغافلين يعني عن هذه القصة وما فيها من العجايب وقال سعد بن ابي وقاص انزل القران
على رسول الله صلى الله عليه وسلم فتلاه عليهم زمانا فقالوا يا رسول الله لو حدثتنا فانزل الله عز
وجل الله نزل احسن الحديث فقالوا يا رسول الله لو قصصت علينا فانزل الله تعالى نحن نقص
عليك احسن القصص فقالوا يا رسول الله لو ذكرتنا فانزل الله الم يان للذين امنوا ان تخشع قلوبهم
لذكر الله قوله عز وجل اذ قال يوسف لابيه اي اذكر يا محمد لقومك قول يوسف لابيه يعقوب بن
اسحاق بن ابراهيم صلى الله عليهم اجمعين خ عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان
الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم ويوسف اسم عبري
ولذلك لا يجري وقيل هو عربي سيل ابو الحسن الاقطع عن يوسف فقال الاسف الحزن والاسيف
العبد واجتمعا في يوسف فسمي به يا ابت اني رايت احد عشر كوكبا والشمس والقمر رايتهم لي ساجدين
قال اهل التفسير راى يوسف في منامه كان احد عشر كوكبا نزلت من السما ومعها الشمس والقمر
فسجدوا له وكانت هذه الرويا ليلة الجمعة وكانت ليلة القدر وكان النجوم في التاويل اخوته
وكانوا احد عشر رجلا يستضا بهم كما يستضا بالنجوم والشمس ابوه والقمر امه في قول قتادة وقال
السدي القمر خالته لان امه راحيل كانت قد ماتت وقال ابن جريج القمر ابوه والشمس امه لان الشمس مونثة
والقمر مذكر وكان يوسف عليه السلام ابن اثني عشر سنة وقيل سبعة عشر سنة وقيل سبع سنين
واراد بالسجود تواضعهم له ودخولهم تحت امره وقيل اراد به حقيقة السجود لانه كان في ذلك
الزمان التحية فيما بينهم السجود فان قلت ان الكواكب جماد لا تعقل فكيف عبر عنها بكناية من يعقل
في قوله رايتهم ولم يقل رايتها وقوله ساجدين ولم يقل ساجدات قلت لما اخبر عنها بفعل من يعقل
وهو السجود كنى عنها بكناية من يعقل فهو كقوله يا ايها النمل ادخلوا مساكنكم وقيل ان الفلاسفة
والمنجمين يزعمون ان الكواكب احيانا طقة حساسة فيجوز ان يعبر عنها بعبارة من يعقل وهذا
القول ليس بشي والاول اصح فان قلت قد قال اني رايت احد عشر كوكبا والشمس والقمر ثم اعاد لفظ
الروية مرة ثانية فقال رايتهم لي ساجدين فما فايدة هذا التكرار قلت معنى الروية الاولى انه
راى اجرام الكواكب والشمس والقمر ومعنى الروية الثانية انه اخبر بسجودها له وقال بعضهم

معناه انه لما قال اني رايت احد عشر كوكبا والشمس والقمر فكانه قيل له وكيف رايت قال
رايتهم لي ساجدين وانما افرد الشمس والقمر بالذكر وان كانا من جملة الكواكب للدلالة على
فضلهما وشرفهما على ساير الكواكب قال اهل التفسير ان يعقوب عليه السلام كان شديد الحب
ليوسف عليه السلام فحسده اخوته لهذا السبب وظهر ذلك ليعقوب فلما راى يوسف
هذه الرويا وكان تاويلها ان اخوته وابويه يخضعون له فلهذا قال يعقوب قال يا بني
لا تقصص روياك على اخوتك يعني لا تخبرهم برو ياك فانهم يعرفون تاويلها فيكيدوا لك
كيدا يعني فيحتالوا في اهلاكك فامره بكتمان روياه عن اخوته لان رويا الانبيا وحي وحق
واللام في فيكيدوا لك كيدا للصلة كقولك نصحتك ونصحت لك وشكرتك وشكرت لك ان الشيطان
للانسان عدو مبين يعني انه بين العداوة لان عداوته قديمة فهم ان قدموا على الكيد كان ذلك
مضافا الى تزيين الشيطان ووسوسته ق عن ابي قتادة قال كنت ارى الرويا تمرضني حتى سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الرويا الصالحة من الله والرويا السو من الشيطان فاذا راى
احدكم ما يحب فلا يحدث بها الا من يحب واذا راى ما يكره فليتفل عن يساره ثلاثا وليتعوذ
بالله من الشيطان وشرها فانها لن تضره خ عن ابي سعيد الخدري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
اذا راى احدكم الرويا يحبها فانها من الله واذا راى غير ذلك فانها من الشيطان فليستعذ بالله
من شرها ولا يذكرها لاحد فانها لن تضره م عن جابر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا راى
احدكم الرويا يكرهها فليبصق عن يساره ثلاثا وليستعذ بالله من الشيطان الرجيم ثلاثا وليتحول
عن جنبه الذي كان عليه عن ابي رزين العقيلي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رويا المومن
جزء من اربعين وفي رواية جزء من ستة واربعين جزءا من النبوة وهي على رجل طاير ما لم يحدث بها
فاذا حدث بها سقطت قال واحسبه قال ولا تحدث بها الا لبيبا او حبيبا اخرجه الترمذي
ولابي داود نحوه قال الشيخ محيي الدين النواوي قال المازري مذهب اهل السنة في حقيقة الرويا
ان الله تعالى يخلق في قلب النايم اعتقادات كما يخلقها في قلب اليقظان وهو سبحانه وتعالى يفعل
ما يشا ولا يمنعه نوم ولا يقظة فاذا خلق هذه الاعتقادات فكانه جعلها علما على امور
اخر يخلقها في ثاني الحال والجميع خلق الله تعالى ولكن يخلق الرويا والاعتقادات التي جعلها علما
على ما يسر بغير حضرة الشيطان واذا خلق ما هو علم على ما يضر يكون بحضرة الشيطان فينسب الى
الشيطان مجازا وان كان لا فعل له في الحقيقة فهذا معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم الرويا من الله
والحلم من الشيطان لا على ان الشيطان يفعل شيا والرويا اسم للمحبوب والحلم اسم للمكروه وقال
غيره اضاف الرويا المحبوبة الى الله تعالى اضافة تشريف بخلاف الرويا المكروهة وان كانتا
جميعا من خلق الله وتدبيره وارادته ولا فعل للشيطان فيها ولكنه يحضر المكروه ويرتضيه
فيستحب اذا راى الرجل في منامه ما يحب فليحدث به من يحب واذا راى ما يكره فلا يحدث به وليتعوذ

بالله من الشيطان الرجيم ومن شرها وليتفل ثلاثا وليتحول عن جنبه الاخر فانها لا تضره
فان الله جعل هذه الاسباب سببا لسلامته من المكروه كما جعل الصدقة سببا لوقاية
المال وغيره من البلا والله اعلم قوله تعالى وكذلك يجتبيك ربك يعني يقوله يعقوب ليوسف
عليهما السلام اي وكما رفع منزلتك بهذه الرويا الشريفة العظيمة كذلك يجتبيك يعني يصطفيك
ربك واجتبا الله تعالى العبد تخصيصه اياه بفيض الهي يحصل له منه انواع من الكرامات
بلا سعي من العبد وذلك مختص بالانبيا او ببعض من يقاربهم من الصديقين والشهدا والصالحين
ويعلمك من تاويل الاحاديث يعني به تعبير الرويا سمي تاويلا لانه يوول امره الى ما راى
في منامه يعني يعلمك تاويل احاديث الناس فيما يرونه في منامهم وكان يوسف عليه السلام
اعلم الناس بتعبير الرويا وقال الزجاج تاويل احاديث الانبيا والامم السالفة والكتب
المنزلة وقال ابن زيد يعلمك العلم والحكمة ويتم نعمته عليك يعني بالنبوة قاله ابن عباس
لان منصب النبوة اعلى من جميع المناصب وكل الخلق دون درجة الانبيا فهذا من تمام النعمة
عليهم لان جميع الخلايق دونهم في الرتب والمناصب وعلى ال يعقوب المراد بال يعقوب
اولاده فانهم كانوا انبيا وهو المراد من تمام النعمة عليهم كما اتمها على ابويك من قبل
ابراهيم واسحاق بان جعلهما نبيين وهو المراد من تمام النعمة عليهما وقيل المراد من تمام
النعمة على ابراهيم صلى الله عليه وسلم بان خلصه الله من النار واتخذه خليلا والمراد من تمام
النعمة على اسحاق بان خلصه من الذبح وهذا قول من يقول ان اسحاق هو الذبيح وليس بشي
والقول الاول اصح بان تمام النعمة عليهما بالنبوة لانه لا اعظم من منصب النبوة فهو من
اعظم النعم على العبد ان ربك عليم يعني بمصالح خلقه حكيم يعني انه تعالى لا يفعل شيا
الا بحكمة وقيل انه تعالى حكم بوضع النبوة في بيت ابراهيم صلى الله عليه وسلم قال ابن عباس
كان بين رويا يوسف هذه وبين تحقيقها بمصر واجتماعه بابيه واخوته اربعون سنة
وهذا قول اكثر المفسرين قال الحسن البصري كان بينهما ثمانون سنة فلما بلغ هذه الروية
اخوة يوسف حسدوه وقالوا ما رضي ان يسجد له اخوته حتى يسجد له ابواه قوله عز وجل
لقد كان في يوسف واخوته يعني في خبره وخبر اخوته واسماوهم روبيل وهو اكبرهم
وشمعون ولاوي وزبالون ويشجر وامهم ليا بنت ليان وهي ابنة خال يعقوب وولد ليعقوب
من سريتين اسم احدهما زلفه والاخرى بلهة اربعة اولاد اسماوهم دان ونفتالي وجاد
واشر ثم توفيت ليا فتزوج يعقوب اختها راحيل فولدت له يوسف وبنيامين فهولا بنوا
يعقوب وهم الاسباط وعددهم اثنى عشر نفرا ايات للسايلين وذلك ان اليهود سالوا
رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قصة يوسف وقيل سالوه عن سبب انتقال ولد يعقوب من ارض
كنعان الى ارض مصر فذكر قصة يوسف مع اخوته فوجدوها موافقة لما في التوراة فعجبوا منه

فعلى

فعلى هذا تكون هذه القصة دلالة على نبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم لانه لم
يقرا الكتب المتقدمة ولم يجالس العلما واصحاب الاخبار ولم ياخذ عن احد منهم شيا
فدل ذلك على انما اتى به وحي سماوي وعلم قدسي اوحاه الله اليه وعرفه به ومعنى ايات
للسايلين اي عبرة للمعتبرين فان هذه القصة تشتمل على انواع من العبر والمواعظ والحكم
منها رويا يوسف وما حقق الله له فيها ومنها حسد اخوته له وما ال اليه امرهم في الحسد
ومنها صبر يوسف على بلواه مثل القايه في الجب وبيعه عبدا وسجنه بعد ذلك وما ال
اليه امره من الملك ومنها ما اشتمل على حزن يعقوب وصبره على فقد ولده وما ال
اليه امره من بلوغ المراد وغير ذلك من الايات التي اذا فكر فيها الانسان اعتبر واتعظ
اذ قالوا يعني اخوة يوسف ليوسف اللام فيه لام القسم تقديره والله ليوسف واخوه
يعني بنيامين وهما من ام واحدة احب الى ابينا منا ونحن عصبة انما قالوا هذه المقالة حسدا
منهم ليوسف واخيه لما راوا من ميل يعقوب اليه وكثرة شفقته عليه والعصبة
الجماعة وكانوا عشرة قال الفرا العصبة هي العشرة فما زاد وقيل هي ما بين الواحد الى
العشرة وقيل ما بين الثلاث الى العشرة وقال مجاهد هي ما بين العشرة الى خمسة عشر
وقيل الى الاربعين والاصل فيه ان كل جماعة يتعصب بعضهم لبعض يسموا عصبة والعصبة
لا واحد لها من لفظها كالرهط والنفر ان ابانا لفي ضلال مبين يعني انه لفي خطا بين في
ايثاره حب يوسف علينا مع صغره لا نفع فيه ونحن عصبة ننفعه ونقوم بمصالحه
من امر دنياه واصلاح امر مواشيه وليس المراد من ذكر هذا الضلال هو الضلال عن الدين
اذ لو ارادوا ذلك لكفروا به لكن ارادوا به الخطا في تدبير امر الدنيا وما يصلحها يقولون
نحن انفع له من يوسف فهو مخطي في صرف محبته اليه لانا اكبر منه سنا واشد منه قوة واكثر
منفعة وغاب عنهم المقصود الاعظم وهو ان يعقوب عليه السلام ما فضل يوسف واخاه
على ساير الاخوة الا في المحبة المحضة ومحبة القلب ليس في وسع البشر دفعها ويحتمل
ان يعقوب انما خص يوسف بمزيد المحبة لان امه ماتت وهو صغير اولانه راى فيه
اثار الرشد والنجابة ما لم يره في ساير اخوته فان قلت الذي فعله اخوة يوسف بيوسف
هو محض الحسد والحسد من امهات الكباير وكذلك نسبة ابيهم الى الضلال هو محض العقوق
وهو من الكباير ايضا وكل قادح في عصمة الانبيا فما الجواب قلت ان هذه الافعال
انما صدرت من اخوة يوسف قبل ثبوت النبوة لهم والمعتبر في عصمة الانبيا هو وقت
حصول النبوة لا قبلها وقيل كانوا وقت هذه الافعال مراهقين غير بالغين ولا تكليف
عليهم قبل البلوغ فعلى هذا لم تكن هذه الافعال قادحة في عصمة الانبيا قوله تعالى حكاية
عن اخوة يوسف اقتلوا يوسف او اطرحوه ارضا يخل لكم وجه ابيكم لما قوي الحسد

وبلغ النهاية قال اخوة يوسف فيما بينهم لا بد من تبعيد يوسف عن ابيه وذلك
لا يحصل الا باحد طريقين اما القتل مرة واحدة او التغريب الى ارض يحصل الياس
من اجتماعه بابيه بان يفترسه السباع او يموت في تلك الارض البعيدة ثم ذكروا
العلة في ذلك وهو قوله يخل لكم وجه ابيكم والمعنى انه قد شغله حب يوسف عنكم
فاذا فعلتم ذلك بيوسف قبل يعقوب بوجهه عليكم وصرف محبته اليكم وتكونوا من
بعده يعني من بعد قتل يوسف او ابعاده عن ابيه قوما صالحين يعني تائبين تتوبون
الى الله بعد عنكم فتكونوا قوما صالحين وذلك انهم لما علموا ان الذي عزموا عليه من
الذنوب الكبائر قالوا لهذا نتوب الى الله من هذا الفعل ونكون من الصالحين في المستقبل
وقال مقاتل معناه يصلح لكم امركم فيما بينكم وبين ابيكم فان قلت كيف يليق ان تصدر
هذه الافعال منهم وهم انبيا قلت الجواب ما تقدم انهم لم يكونوا انبيا في ذلك الوقت
حتى يكون هذا الفعل قادحا في عصمة الانبيا وانما اقدموا على هذه الافعال قبل النبوة
وقيل ان الذي اشار بقتل يوسف كان اجنبيا شاوروه في ذلك فاشار عليهم بقتله قال
قايل منهم لا تقتلوا يوسف يعني قال قايل من اخوة يوسف وهو يهوذا وقال قتادة
هو روبيل وهو ابن خالته وكان اكبرهم واحسنهم رايا فيه فنهاهم عن قتله وقال القتل
كبيرة عظيمة والاصح ان قايل هذه المقالة هو يهوذا لانه كان اقربهم اليه سنا والقوه
في غيابة الجب يعني القوه في اسفل الجب وظلماته والغيابة كل موضع ستر شيا وغيبه
عن النظر والجب البير الكبيرة غير مطوية سمي بذلك لانه جب اي قطع ولم يطو وافاد
ذكر الغيابة مع ذكر الجب ان المشير اشار بطرحه في موضع من الجب مظلم لا يراه احد
واختلفوا في مكان ذلك الجب فقال قتادة هو بير ببيت المقدس وقال وهب هو في
ارض الاردن وقال مقاتل هو في ارض الارض على ثلاث فراسخ من منزل يعقوب وانما عينوا
ذلك الجب للعلة التي ذكروها وهي قولهم يلتقطه بعض السيارة وذلك لان هذا الجب كان
معروفا يرد عليه كثير من المسافرين والالتقاط اخذ الشي من الطريق او من حيث لا يحتسب
ومنه اللقطة بعض السيارة يعني ياخذه بعض المسافرين فيذهب به الى ناحية اخرى
فتستريحوا منه ان كنتم فاعلين فيه اشارة الى ترك الفعل فكانه قال لا تفعلوا شيا من ذلك
وان عزمتم على هذا الفعل فافعلوا هذا القدر ان كنتم فاعلين ذلك قال البغوي كانوا
يوميذ بالغين ولم يكونوا انبيا بعد وقيل لم يكونوا بالغين وليس بصحيح بدليل انهم قالوا
وتكونوا من بعده قوما صالحين وقالوا يا ابانا استغفر لنا ذنوبنا والصغير لا ذنب له
قال محمد بن اسحاق اشتمل فعلهم هذا على جرايم كثيرة من قطيعة الرحم وعقوق الوالدين وقلة
الرافة بالصغير الذي لا ذنب له والغدر بالامانة وترك العهد والكذب مع ابيهم وعفا الله

عن ذلك

عن ذلك كله حتى لا ييأس احد من رحمة الله وقال بعض اهل العلم عزموا على قتله وعصمهم
الله رحمة لهم فلو فعلوا ذلك لهلكوا جميعا وكل ذلك كان قبل ان نباهم الله فلما اجمعوا
على التفريق بين يوسف وبين والده بضرب من الحيل قالوا يعني قال اخوة يوسف ليعقوب
يا ابانا ما لك لا تامنا على يوسف بدووا بالانكار عليه في ترك ارسال يوسف معهم كانهم
قالوا لم تخافنا عليه اذا ارسلته معنا وانا له لناصحون المراد بالنصح هنا القيام بالمصلحة
وقيل البر والعطف والمعنى وانا لعاطفون عليه قايمون بمصلحته وحفظه وقال مقاتل
في الكلام تقديم وتاخير وذلك انهم قالوا لابيهم ارسله معنا فقال يعقوب اني ليحزنني
ان تذهبوا به فحينئذ قالوا ما لك لا تامنا على يوسف وانا له لناصحون ثم قالوا ارسله معنا
غدا يعني الى الصحرا نرتع الرتع هو الاتساع في الملاذ يقال رتع فلان في ماله اذا انفقه
في شهواته والاصل في الرتع اكل البهايم في الخصب زمن الربيع ويستعار للانسان اذا
اريد به الاكل الكثير ونلعب اللعب معروف قال الراغب يقال لعب فلان اذا كان فعله
غير قاصد به مقصدا صحيحا سيل ابو عمرو بن العلا كيف قالوا نلعب وهم انبيا فقال
لم يكونوا يوميذ انبيا ويحتمل ان يكون المراد من اللعب هنا الاقدام على المباحات لاجل
انشراح الصدر ومنه قوله صلى الله عليه وسلم لجابر هلا بكرا تلاعبها وتلاعبك وايضا فان
لعبهم كان الاستباق وهو غرض صحيح مباح لما فيه من المحاربة والاقدام على الاقران في
الحرب بدليل قوله نستبق وانما سموه لعبا لانه في صورة اللعب وقيل معنى نرتع ونلعب
ننعم وناكل ونلهو وننبسط وانا له لحافظون يعني نجتهد في حفظه غاية الاجتهاد
حتى نرده اليك سالما قال يعني قال لهم يعقوب اني ليحزنني ان تذهبوا به اي ذهابكم به
والحزن هنا الم القلب بفراق المحبوب ومعنى الاية انهم لما طلبوا منه ان يرسل معهم يوسف
اعتذر يعقوب عليه السلام بعذرين احدهما ان ذهابهم به ومفارقته اياه يحزنه لانه كان
لا يقدر ان يصبر عنه ساعة والثاني قوله واخاف ان ياكله الذيب وانتم عنه غافلون
يعني اذا غفلوا برعيهم ولعبهم وذلك ان يعقوب عليه السلام كان راى في المنام ان ذيبا
شد على يوسف فكان يعقوب يخاف عليه من ذلك وقيل كانت الذياب في ارضهم كثيرة قالوا
يعني قال اخوة يوسف مجيبين ليعقوب لين اكله الذيب ونحن عصبة اي جماعة عشرة رجال
انا اذا لخاسرون يعني عجزة ضعفا وقيل انهم خافوا ان يدعو عليهم يعقوب بالخسار والبوار
وقيل معناه انا اذا لم نقدر على حفظ اخينا فكيف نقدر على حفظ مواشينا فنحن اذا لخاسرون
قوله عز وجل فلما ذهبوا به فيه اضمار واختصار تقديره فارسله معهم فلما ذهبوا به واجمعوا
ان يجعلوه في غيابة الجب يعني وعزموا على ان يلقوه في غيابة الجب وذكر قصة ذهابهم بيوسف
عليه السلام قال وهب وغيره من اهل السير والاخبار ان اخوة يوسف قالوا له اما تشتاق ان

تخرج معنا الى مواشينا فنتصيد ونستبق قال فاسال اباك ان يرسلك معنا
قال يوسف افعل فدخلوا بجماعتهم على يعقوب فقالوا يا ابانا ان يوسف قد احب ان يخرج
معنا الى مواشينا فقال يعقوب ما تقول يا بني قال نعم يا ابت اني ارى من اخوتي اللين واللطف
فاحب ان تاذن لي وكان يعقوب يكره مفارقته ويحب مرضاته فاذن له وارسله معهم فلما خرجوا
به من عند يعقوب جعلوا يحملونه على رقابهم ويعقوب ينظر اليهم فلما بعدوا عنه وصاروا
الى الصحرا القوه على الارض واظهروا له ما في انفسهم من العداوة واغلظوا له القول وجعلوا
يضربونه فجعل كلما جا الى واحد منهم واستغاث به ضربه فلما فطن لما عزموا عليه من
قتله جعل ينادي يا ابتاه يا يعقوب لو رايت يوسف وما نزل به من اخوته لاحزنك ذلك
وابكاك يا ابتاه ما اسرع ما نسوا عهدك وضيعوا وصيتك وجعل يبكي بكا شديدا
فاخذه روبيل فجلد به الارض ثم جثم على صدره واراد قتله فقال له يوسف مهلا يا اخي
لا تقتلني فقال له يا ابن راحيل انت صاحب الاحلام قل لرؤياك تخلصك من ايدينا ولوى
عنقه فاستغاث يوسف بيهوذا وقال له اتق الله في وحل بيني وبين من يريد قتلي
فادركته رحمة له ورقة فقال يهوذا يا اخوتاه ما على هذا عاهدتموني الا ادلكم على ما هو
اهون لكم وارفق به قالوا وما هو قال تلقونه في هذا الجب اما ان يموت او يلتقطه بعض
السيارة فانطلقوا به الى بير هناك على غير الطريق واسع الاسفل ضيق الراس فجعلوا يدلونه
في البير فيتعلق بشفيرها فربطوا يديه ونزعوا قميصه فقال يا اخوتاه ردوا علي قميصي
لاستتر به في الجب قالوا ادع الشمس والقمر والكواكب تخلصك وتؤنسك فقال اني لم ار شيا فالقوه
فيها وقيل جعلوه في دلو ثم ارسلوه فيها فلما بلغ نصفها القوه ارادة ان يموت وكان في البير
ما فسقط فيه ثم اوى الى صخرة كانت في البير فقام عليها وقيل نزل اليه ملك فحل يديه واخرج
له صخرة في البير فاجلسه وقيل انهم لما القوه في الجب جعل يبكي فنادوه فظن انها رحمة
ادركتهم فاجابهم فارادوا ان يرضخوه بصخرة ليقتلوه فمنعهم يهوذا من ذلك وقيل ان يعقوب
لما بعثه مع اخوته اخرج له قميص ابراهيم الذي كساه الله اياه من الجنة حين القي في النار
فجعله يعقوب في قصبة فضة وجعلها في عنق يوسف فالبسه الملك اياه حين القي في
الجب فاضا له الجب وقال الحسن لما القي يوسف في الجب عذب ماوه فكان يغنيه عن الطعام
والشراب ودخل عليه جبريل فانس به فلما امسى نهض جبريل ليذهب قال له انك اذا
خرجت استوحشت فقال له اذا رهبت شيا فقل يا صريخ المستصرخين ويا غوث المستغيثين
ويا مفرج كرب المكروبين قد ترى مكاني وتعلم حالي ولا يخفى عليك شي من امري فلما قالها
يوسف حفته الملايكة واستانس في الجب وقال محمد بن مسلم الطايفي لما القي يوسف في الجب
قال يا شاهدا غير غايب ويا قريبا غير بعيد ويا غالبا غير مغلوب اجعل لي فرجا مما انا فيه

فما بات فيه واختلفوا في عمر يوسف يوم القي في الجب فقال الضحاك ست سنين وقال الحسن اثني
عشر سنة وقال ابن السايب سبعة عشر سنة وقيل ثمانية عشر وقيل مكث في الجب ثلاثة ايام وكان
اخوته يرعون حوله وكان يهوذا ياتيه بالطعام فذلك قوله تعالى **واوحينا اليه لتنبئنهم بامرهم
هذا** يعني لتخبرن اخوتك قال اكثر المفسرين ان الله اوحى اليه وحيا حقيقة فبعث اليه جبريل يونسه
ويبشره بالخروج ويخبره انه ينبيهم بما فعلوا به ويجازيهم عليه وهذا قول طايفة عظيمة من المحققين
ثم القايلون بهذا القول اختلفوا هل كان بالغا في ذلك الوقت او كان صغيرا فقال بعضهم انه كان
بالغا وكان عمره سبعة عشر سنة وقال الاخرون بل كان صغيرا الا ان الله عز وجل اكمل عقله ورشده
وجعله صالحا لقبول الوحي والنبوة كما قال في حق عيسى عليه السلام فان قلت كيف جعله نبيا في ذلك الوقت
ولم يكن احد يبلغه رسالة ربه لان فايدة النبوة والرسالة تبليغها الى من ارسل اليه
قلت لا يمتنع ان الله يشرفه بالوحي ويكرمه بالنبوة والرسالة في ذلك الوقت وفايدة ذلك
تطييب قلبه وازالة الهم والغم والوحشة عنه ثم بعد ذلك يامره بتبليغ الرسالة في وقتها
وقيل ان المراد من قوله واوحينا اليه وحي الهام كما في قوله واوحى ربك الى النحل واوحينا الى
ام موسى والقول الاول اولى **وهم لا يشعرون** يعني بما اوحينا اليك وانت في البير بانك ستخبرهم
بصنيعهم هذا والفايدة في اخفا الوحي عنهم انهم اذا عرفوه فربما ازداد حسدهم له وقيل ان الله
تعالى اوحى الى يوسف لتخبرن اخوتك بصنيعهم هذا بعد هذا اليوم وهم لا يشعرون
بانك انت يوسف والمقصود من ذلك تقوية قلب يوسف عليه السلام وانه سيخلص مما هو فيه
من المحنة ويصير مستوليا عليهم ويصيرون تحت امره وقهره قوله تعالى **وجاوا اباهم عشا يبكون**
قال المفسرون لما طرحوا يوسف في الجب رجعوا الى ابيهم وقت العشا ليكونوا في الظلمة اجرى
على الاعتذار بالكذب فلما قربوا من منزل يعقوب جعلوا يبكون ويصرخون فسمع اصواتهم وفزع
لذلك وخرج اليهم فلما راهم قال ما لكم يا بني اصابكم شي في غنمكم قالوا لا قال فما اصابكم واين يوسف
قالوا يا ابانا انا ذهبنا نستبق قال ابن عباس يعني ننتضل قال الزجاج يسابق بعضنا بعضا
في الرمي والاصل في السبق الرمي بالسهم وهو التناضل ايضا وسمي المتراميان بذلك يقال تسابقا
واستبقا اذا فعلا ذلك ليتبين ايهما ابعد سهما وقال السدي يعني نشتد ونعدو والمعنى نستبق
على الاقدام ليتبين اينا اسرع عدوا واخف حركة وقال مقاتل نتصيد والمعنى نستبق الى الصيد
وتركنا يوسف عند متاعنا يعني عند ثيابنا **فاكله الذيب** يعني في حال استباقنا وغفلتنا عنه
وما انت بمومن لنا يعني وما انت بمصدق لنا **ولو كنا صادقين** يعني في قولنا والمعنى انا وان كنا صادقين
لكنك لا تصدقنا لشدة محبتك ليوسف فانك تتهمنا في قولنا هذا وقيل معناه انا وان كنا
صادقين فانك لا تصدقنا لانه لم يظهر عندك امارة تدل على صدقنا **وجاوا على قميصه** يعني
على قميص يوسف **بدم كذب** اي مكذوب فيه قال ابن عباس انهم ذبحوا سخلة وجعلوا دمها على قميص يوسف

ثم جاوا اباهم وفي القصة انهم لطخوا القميص بالدم ولم يشقوه فقال يعقوب لهم كيف
اكله الذيب ولم يشق قميصه فاتهمهم بذلك وقيل انهم اتوا بذيب صغير قالوا هذا اكله فقال
يعقوب ايها الذيب انت اكلت ولدي وثمرة فوادي فانطقه الله عز وجل وقال والله ما اكلته
ولا رايت ولدك قط ولا يحل لنا ان ناكل لحوم الانبيا فقال يعقوب فكيف وقعت بارض كنعان
فقال جيت لصلة قرابة فاخذوني واتوا بي اليك فاطلقه يعقوب ولما ذكر اخوة يوسف ليعقوب
هذا الكلام واحتجوا على صدقهم بالقميص الملطخ بالدم قال يعقوب بل سولت لكم انفسكم امرا يعني
بل زينت لكم انفسكم امرا واصل التسويل تقدير معنى في النفس مع الطمع في اتمامه وقال صاحب
الكشاف سولت سهلت من السول وهو الاسترخا اي سهلت لكم انفسكم امرا عظيما ركبتموه من
يوسف وهونته في اعينكم فعلى هذا يكون معنى قوله بل رد لقولهم اكله الذيب كانه قال ليس الامر
كما تقولون اكله الذيب بل سولت لكم انفسكم امرا اخر غير ما تصفون فصبر جميل اي فشاني صبر
جميل وقيل معناه فصبري جميل والصبر الجميل الذي لا شكوى ولا جزع وقيل من الصبر ان لا تحدث
بمصيبتك ولا تزكين نفسك والله المستعان على ما تصفون يعني من القول الكذب وقيل معناه
والله المستعان على حمل ما تصفون قوله عز وجل وجات سيارة وهم القوم المسافرون سموا
سيارة لسيرهم في الارض وكانوا رفقة من مدين يريدون مصر فاخطاوا الطريق فنزلوا قريبا
من الجب الذي فيه يوسف وكان في قفرة بعيدا من العمارة يرده الرعاة والمارة وكان ماوه ملحا
فلما القي يوسف فيه عذب فلما نزلوا ارسلوا رجلا من اهل مدين يقال له مالك بن دعر الخزاعي
ليطلب لهم الما فذلك قوله فارسلوا واردهم فادلى دلوه والوارد هو الذي يتقدم الرفقة الى الما
فيهيي الارشية والدلا يقال ادليت الدلو اذا ارسلتها في البير ودلوتها اذا اخرجتها قالوا
فتعلق يوسف عليه السلام بالحبل وكان يوسف احسن ما يكون من الغلمان وذكر البغوي بغير
سند ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اعطي يوسف شطر الحسن ويقال انه ورث ذلك الجمال من جدته
سارة وكانت قد اعطيت سدس الحسن قال محمد بن اسحاق ذهب يوسف واخوه بثلثي الحسن
وحكى الثعلبي عن كعب الاحبار قال كان يوسف حسن الوجه جعد الشعر ضخم العينين مستوي
الخلق ابيض اللون غليظ الساعدين والعضدين والساقين خميص البطن صغير السرة وكان اذا
تبسم رايت النور في ضواحكه واذا تكلم رايت شعاع النور من ثناياه لا يستطيع احد وصفه
كان حسنه كضوء النهار عند الليل وكان يشبه ادم عليه السلام يوم خلقه الله وصوره
وقبل ان يصيب الخطية قالوا فلما خرج يوسف وراه مالك بن دعر كاحسن ما يكون من
الغلمان قال يعني الوارد وهو مالك بن دعر يا بشراي يعني يقول الوارد لاصحابه ابشروا
هذا غلام وقري يا بشرى بغير اضافة ومعناه ان الوارد نادى رجلا من اصحابه اسمه بشرى كما تقول
يا زيد يقال ان جدران البير بكت على يوسف حين خرج منها واسروه بضاعة قال مجاهد اسره

مالك

مالك بن دعر واصحابه من التجار الذين كانوا معه انه بضاعة استبضعناه لبعض اهل الما الى مصر
وانما قالوا ذلك خيفة ان يطلبوا منهم الشركة فيهم وقيل ان اخوة يوسف اسروا شان يوسف
يعني انهم اخفوا ان يوسف وكونه اخا لهم بل قالوا هو عبد لنا ابق وصدقهم يوسف على ذلك لانهم
توعدوه بالقتل سرا من مالك بن دعر واصحابه والقول الاول اصح انما لك بن دعر اسره بضاعة
من اصحابه والله عليم بما يعملون يعني من ارادة اهلاك يوسف فجعل ذلك سببا لنجاته وتحقيقا
لرؤياه انه يصير ملك مصر بعد ان كان عبدا قال اصحاب الاخبار ان يهوذا كان ياتي يوسف بالطعام
فاتاه فلم يجده في الجب فاخبر اخوته بذلك فطلبوه فاذا هم بمالك بن دعر واصحابه نزول قريبا من
البير فاتوهم فاذا يوسف عندهم فقالوا لهم هذا عبدنا ابق منا ويقال انهم هددوا يوسف
حتى كتم حاله ولم يعرفها وقال لهم مثل قولهم ثم انهم باعوه منهم فذلك قوله تعالى وشروه
اي باعوه وقد يطلق لفظ الشرا على البيع يقال شريت الشي بمعنى بعته وانما وجب حمل هذا الشرا
على البيع لان الضمير في وشروه وفي وكانوا فيه من الزاهدين يرجع الى شي واحد وذلك ان اخوته زهدوا
فيه فباعوه وقيل ان الضمير في وشروه يعود على مالك بن دعر واصحابه فعلى هذا القول يكون لفظ الشرا
على بابه بثمن بخس قال الضحاك ومقاتل والسدي بخس اي حرام لان ثمن الحر حرام وسمي الحرام بخسا
لانه مبخوس البركة يعني منقوصها وقال ابن مسعود وابن عباس بخس اي زيوف يعني ناقصة العيار
وقال قتادة بخس اي ظلم والظلم نقصان الحق يقال ظلمه اذا نقصه حقه وقال عكرمة والشعبي
بخس قليل وعلى الاقوال كلها فالبخس في اللغة هو نقص الشي على سبيل الظلم والبخس والباخس
الشي الضعيف دراهم معدودة فيه اشارة الى قلة تلك الدراهم لانهم في ذلك الزمان ما كانوا
يزنون اقل من اربعين درهما انما كانوا ياخذون ما دونها عددا فاذا بلغت اربعين وهي اوقية وزنوها
واختلفوا في عدد تلك الدراهم فقال ابن عباس وابن مسعود وقتادة كانت عشرين درهما فاقتسموها
درهمين درهمين فعلى هذا القول لم ياخذ اخوه من امه وابيه شيئا منها وقال مجاهد كانت اثنين وعشرين
درهما فعلى هذا اخذ اخوه منها درهمين لانهم كانوا احد عشر اخا وقال عكرمة كانت اربعين
درهما وكانوا فيه من الزاهدين يعني وكان اخوة يوسف في يوسف من الزاهدين واصل الزهد قلة
الرغبة يقال زهد فلان في كذا اذا لم يكن له فيه رغبة والضمير في قوله وكانوا فيه من الزاهدين
ان قلنا انه يرجع الى اخوة يوسف كان وجه زهدهم فيه انهم حسدوه وارادوا ابعاده عنهم
ولم يكن قصدهم تحصيل الثمن وان قلنا ان قوله وشروه وكانوا فيه من الزاهدين يرجع الى معنى
واحد وهو ان الذين شروه كانوا فيه من الزاهدين كان وجه زهدهم فيه اظهار قلة الرغبة فيه
ليشتروه بثمن بخس قليل ويحتمل ان يقال ان اخوته لما قالوا انه عبدنا وقد ابق اظهر المشتري قلة الرغبة
فيه لهذا السبب قال اصحاب الاخبار ثم ان مالك بن دعر واصحابه لما اشتروا يوسف انطلقوا به
الى مصر وتبعهم اخوته يقولون استوثقوا منه لا يابق منكم فذهبوا به حتى قدموا مصر فعرضه مالك

على البيع فاشتراه قطفير قال ابن عباس وكان قطفير صاحب امر الملك وكان على خزاين مصر وكان يسمى العزيز فكان الملك بمصر ونواحيها اسمه الريان بن الوليد بن ثروان وكان من العماليق وقيل ان هذا الملك لم يمت حتى امن بيوسف واتبعه على دينه ثم مات ويوسف عليه السلام حي قال ابن عباس لما دخلوا مصر لقي قطفير مالك بن دعر فاشترى يوسف منه بعشرين دينارا وزوج نعل وثوبين ابيضين وقال وهب بن منبه قدمت السيارة بيوسف مصر ودخلوا به السوق يعرضونه للبيع فترافع الناس في ثمنه حتى بلغ ثمنه وزنه ذهبا ووزنه فضة ووزنه مسكا وحريرا وكان وزنه اربعماية رطل وكان عمره يومئذ ثلاث عشرة سنة او سبع عشرة سنة فابتاعه قطفير بهذا الثمن فذلك قوله تعالى **وقال الذي اشتراه من مصر** يعني قطفير من اهل مصر **لامراته** وكان اسمها راعيل وزليخا **اكرمي مثواه** يعني الزمي منزله ومقامه عندك والمثوى موضع الاقامة وقيل اكرميه في المطعم والملبس والمقام **عسى ان ينفعنا** يعني ان اردنا بيعه بعناه بربح او يكفينا بعض امورنا ومصالحنا اذا قوي وبلغ **او نتخذه ولدا** يعني نتبناه وكان حصورا ليس له ولد قال ابن عباس افرس الناس ثلاثة العزيز في يوسف حيث قال لامراته اكرمي مثواه عسى ان ينفعنا او نتخذه ولدا وابنة شعيب في موسى حيث قالت لابيها استاجره ان خير من استاجرت القوي الامين وابو بكر في عمر حيث استخلفه بعده **وكذلك مكنا ليوسف في الارض** يعني كما منا على يوسف بان انقذناه من القتل واخرجناه من الجب كذلك مكناه في الارض يعني ارض مصر فجعلناه على خزاينها **ولنعلمه من تاويل الاحاديث** اي مكنا له في الارض لكي نعلمه من تاويل الاحاديث يعني عبارة الرويا وتفسيرها **والله غالب على امره** قيل الكناية في امره راجعة الى الله تعالى ومعناه والله غالب على امره يفعل ما يشا ويحكم ما يريد لا دافع لامره ولا راد لقضايه لا يغلبه شي وقيل هي راجعة الى يوسف ومعناه ان الله مستولي على امر يوسف بالتدبير والاحاطة لا يكله الى احد سواه حتى يبلغ منتهى ما علمه فيه **ولكن اكثر الناس لا يعلمون** يعني ما هو صانع بيوسف وما يريد منه **ولما بلغ اشده** يعني منتهى شبابه وشدته وقوته قال مجاهد ثلاثا وثلاثين سنة وقال السدي ثلاثين سنة وقال الضحاك عشرين سنة وقال الكلبي الاشد ما بين ثمانية عشرة سنة الى ثلاثين سنة وسيل مالك عن الاشد فقال هو الحلم **اتيناه حكما وعلما** يعني اتينا يوسف بعد بلوغ الاشد نبوة وفقها في الدين وقيل حكما يعني اصابة في القول وعلما بتاويل الرويا وقيل الفرق بين الحكيم والعالم ان العالم هو الذي يعلم الاشيا بحقايقها والحكيم هو الذي يعمل بما يوجبه العلم وقيل الحكمة حبس النفس عن هواها وصونها عما لا ينبغي والعلم هو العلم النظري **وكذلك** اي وكما انعمنا على يوسف بهذه النعم كلها كذلك **نجزي المحسنين** قال ابن عباس يعني المومنين وعنه ايضا المهتدين وقال الضحاك يعني الصابرين على النوايب كما صبر يوسف **وراودته التي هو في بيتها عن نفسه** يعني ان امراة العزيز طلبت من يوسف الفعل القبيح ودعته الى نفسها ليواقعها **وغلقت الابواب** اي اطبقتها وكانت سبعة لان مثل هذا الفعل

لا يكون الا في ستره وخفيه او انها اغلقتها لشدة خوفها **وقالت هيت لك** اي هلم واقبل قال ابو عبيدة كان الكسائي يقول هي لغة لاهل حوران رفعت الى الحجاز معناها تعال وقال عكرمة ايضا بالحورانية هلم وقال مجاهد وغيره هي لغة عربية وهي كلمة حث واقبال على الشي وقيل هي بالعبرانية واصلها هيتالج اي تعالى فعربت فقيل هيت لك فمن قال انها بغير لغة العرب يقول ان العرب وافقت اصحاب هذه اللغة فتكلمت بها على وفق لغات غيرهم كما وافقت لغة العرب للروم في القسطاس ولغة العرب للفرس في اقليد ولغة العرب للترك في الغساق ولغة العرب للحبشة في ناشية الليل وبالجملة فان العرب اذا تكلمت بكلمة صارت لغة لها وقري هيت لك بالكسر الهامع المهموز ومعناه تهيات لك **قال** يعني قال يوسف **معاذ الله** اي اعوذ بالله واعتصم به والجا اليه فيما دعوتني اليه **انه ربي** يعني ان العزيز قطفير سيدي **احسن مثواي** اي اكرم منزلتي فلا اخونه وقيل ان الهاء في انه ربي راجعة الى الله تعالى يقول ان الله ربي احسن مثواي يعني اواني ومن بلا الجب نجاني **انه لا يفلح الظالمون** يعني ان فعلت هذا الفعل فانا ظالم ولا يفلح الظالمون وقيل معناه انه لا يسعد الزناة قوله عز وجل **ولقد همت به وهم بها لولا ان راى برهان ربه** الاية هذه الاية الكريمة مما يجب الاعتنا بها والبحث عنها والكلام عليها في مقامين الاول في ذكر اقوال المفسرين في هذه الاية قال المفسرون الهم هو المقاربة من الفعل من غير دخول فيه وقيل الهم مصدر هممت بالشي اذا اردته وحدثتك نفسك به وقاربته من غير دخول فيه فمعنى قوله ولقد همت به اي ارادته وقصدته فكان همها عزمها على المعصية والزنا وقال الزمخشري هم بالامر اذا قصده وعزم عليه قال الشاعر وهو عمرو بن ضابي البرجمي

هممت ولم افعل وكدت وليتني ... تركت على عثمان تبكي حلايله

وقوله ولقد همت به معناه ولقد همت بمخالطته وهم بها وهم بمخالطتها لولا ان راى برهان ربه جوابه محذوف تقديره لخالطها قال البغوي واما همه بها فروي عن ابن عباس انه قال حل الهميان وجلس منها مجلس الخاين وقال مجاهد حل سراويله وجعل يعالج ثيابه وهذا قول اكثر المفسرين منهم سعيد بن جبير والحسن وقال الضحاك جرى الشيطان بينهما فضرب بيده الى جيد يوسف وبيده الاخرى جيد المراة حتى جمع بينهما قال ابو عبيد القاسم بن سلام وقد انكر قوم هذا القول قال البغوي والقول ما قاله قدما هذه الامة وهم كانوا اعلم بالله ان يقولوا في الانبيا من غير علم قال السدي وابن اسحاق لما ارادت امراة العزيز مراودة يوسف عن نفسه جعلت تذكر له محاسن نفسه وتشوقه الى نفسها فقالت يا يوسف ما احسن شعرك قال هو اول ما ينتثر من جسدي قالت ما احسن عينيك قال هي اول ما يسيل على خدي قالت ما احسن وجهك قال هو للتراب ياكله وقيل انها قالت له ان فراش الحرير مبسوط فقم فاقض حاجتي قال اذا يذهب نصيبي من الجنة فلم تزل تطمعه وتدعوه الى اللذة وهو شاب يجد من شبق الشباب ما يجد الرجل وهي

امراة حسنا جميلة حتى لا نلهها لما يرى من كلفها به فهم بها ثم ان الله تعالى تداركه عبده يوسف
بالبرهان الذي ذكره وسياتي الكلام على تفسير البرهان الذي راه يوسف عليه السلام فهذا
ما قاله المفسرون في هذه الاية المقام الثاني في تنزيه يوسف عليه السلام عن هذه الرذيلة وبيان
عصمته من هذه الخطيئة التي نسب اليها قال بعض المحققين الهم همان هم ثابت وهو ما كان
معه عزم وقصد وعقيدة رضا مثل هم امراة العزيز فالعبد ماخوذ به وهم عارض وهو
الخطرة في القلب وحديث النفس من غير اختيار ولا عزم مثل هم يوسف فالعبد غير ماخوذ
به ما لم يتكلم او يعمل به ويدل على صحة ما روي عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
يقول الله تبارك وتعالى اذا هم عبدي بسيئة فلا تكتبوها عليه فان عملها فاكتبوها سيئة
واحدة واذا هم بحسنة فلم يعملها فاكتبوها حسنة فان عملها فاكتبوها عشرة لفظ مسلم
وللبخاري بمعناه ق عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فيما يروي عن ربه عز وجل
ان الله تبارك وتعالى كتب الحسنات والسيات ثم بين ذلك فمن هم بحسنة فلم يعملها كتبها الله
له حسنة كاملة وان هم بها وعملها كتبها الله له عنده عشر حسنات الى سبعماية ضعف الى
اضعاف كثيرة ومن هم بسيئة فلم يعملها كتبها الله له عنده حسنة وان هو هم بها فعملها
كتبها الله له سيئة واحدة زاد في رواية او محاها ولا يهلك على الله الا هالك قال القاضي عياض
في كتابه الشفا فعلى مذهب كثير من الفقها والمحدثين ان هم النفس لا يواخذ به وليس سيئة
وذكر الحديث المتقدم فلا معصية في هم يوسف اذا وعلى مذهب المحققين من الفقها والمتكلمين
فان الهم اذا وطنت عليه النفس كان سيئة واما ما لم توطن عليه النفس من همومها وخواطرها فهو
المعفو عنه هذا هو الحق فيكون ان شا الله هم يوسف من هذا ويكون قوله وما ابرئ نفسي الاية اي ما
ابرئها من هذا الهم ويكون ذلك على طريق التواضع والاعتراف بمخالفة النفس لما زكي قبل وبري
فكيف وقد حكى ابو حاتم عن ابي عبيدة ان يوسف عليه السلام لم يهم وان الكلام فيه تقديم وتاخير اي
ولقد همت به ولولا ان راى برهان ربه لهم بها وقال تعالى حاكيا عن المراة ولقد راودته عن نفسه
فاستعصم وقال تعالى كذلك لنصرف عنه السوء والفحشا وقال تعالى وغلقت الابواب وقالت هيت لك
قال معاذ الله الاية وقيل في قوله وهم بها اي بزجرها ووعظها وقيل هم بها اي غمها امتناعه
منها وقيل هم بها اي نظر اليها وقيل هم بضربها ودفعها وقيل هذا كله كان قبل نبوته وقد ذكر
بعضهم ما زال النسا يملن الى يوسف ميل شهوة حتى نباه الله فالقى عليه هيبة النبوة فشغلت
هيبته كل من راه عن حسنه هذا اخر كلام القاضي عياض رحمه الله واما الامام فخر الدين فذكر في
هذا المقام كلاما طويلا مبسوطا وانا اذكر بعضه ملخصا فاقول قال الامام فخر الدين ان يوسف
عليه السلام كان بريا من العمل الباطل والهم المحرم وهذا قول المحققين من المفسرين والمتكلمين وبه نقول
وعنه نذب فان الدلايل قد دلت على عصمة الانبيا عليهم السلام ولا يلتفت الى ما نقله بعض المفسرين

عن الايمة المتقدمين فان الانبيا عليهم السلام متى صدرت منهم زلة او هفوة استعظموها
واتبعوها باظهار الندامة والتوبة والاستغفار كما ذكر عن ادم في قوله ربنا ظلمنا
انفسنا الاية وقال في حق داود عليه السلام واستغفر ربه وخر راكعا واناب واما يوسف
عليه السلام فلم يحك عنه شيا من ذلك في هذه الواقعة لانه لو صدر منه شي لاتبعه بالتوبة
والاستغفار ولو اتى بالتوبة لحكى الله عنه ذلك في كتابه كما ذكر عن غيره من الانبيا وحيث لم
يحك عنه شيا علمنا براته مما قيل فيه ولم يصدر عنه شي مما نقله اصحاب الاخبار ويدل على ذلك
ايضا ان كل من كان له تعلق بهذه الواقعة فقد شهد ببراة يوسف عليه السلام عما نسب اليه
واعلم ان الذين لهم تعلق بهذه الواقعة يوسف والمراة وزوجها والنسوة اللاتي قطعن
ايديهن والشهود الذين شهدوا على القميص والله تعالى شهد ببراته من الذنب ايضا اما بيان
ان يوسف ادعى براته مما نسب اليه فقوله هي راودتني عن نفسي وقوله رب السجن احب الي مما يدعونني اليه
واما بيان ان المراة اعترفت على نفسها واعترفت ببراة يوسف ونزاهته بقولها انا راودته عن نفسه
فاستعصم وقولها الان حصحص الحق انا راودته عن نفسه وانه لمن الصادقين واما بيان ان زوج
المراة اعترف ايضا ببراة يوسف بقوله انه من كيدكن ان كيدكن عظيم يوسف اعرض عن هذا
واستغفري لذنبك انك كنت من الخاطئين واما شهادة الشهود ببراته فقوله وشهد شاهد من
اهلها الاية واما شهادة الله تعالى له بذلك فقوله تعالى كذلك لنصرف عنه السوء والفحشا انه
من عبادنا المخلصين فشهد الله له في هذه الاية بنزاهته وبراته وانه من عباده المخلصين ومن
كان كذلك فليس للشيطان عليه سلطان بدليل قوله لاغوينهم اجمعين الا عبادك منهم المخلصين
وبطل بهذا قول من قال ان الشيطان جرى بينهما حتى اخذ بجيده وجيد المراة حتى جمع بينهما فانه
قول منكر لا يجوز لاحد ان يقول ذلك واما ما روي عن ابن عباس انه جلس منها مجلس الخاتن فحاش ابن
عباس ان يقول مثل هذا عن يوسف عليه السلام ولعل بعض القصاص واصحاب الاخبار وضعوه
على ابن عباس وكذلك ما روي عن مجاهد وغيره ايضا فانه لا يكاد يصح بسند صحيح فبطل ذلك
كله وثبت ما بيناه من براة يوسف عليه السلام من هذه الرذيلة والله اعلم بمراده واسرار كتابه
وما صدر من انبيايه عليهم السلام فان قلت فعلى هذا التقدير لا يبقى لقوله عز وجل لولا ان راى
برهان ربه فايدة قلت فيه اعظم الفوايد وبيانه من وجهين احدهما انه تعالى اعلم يوسف
انه لو هم بدفعها لقتلته فاعلمه بالبرهان ان الامتناع من ضربها اولى صونا للنفس عن الهلاك
الوجه الثاني انه عليه السلام لو اشتغل بدفعها عن نفسه لتعلقت به فكان في ذلك ان يتخرق
ثوبه من قدام وكان في علم الله ان الشاهد يشهد بان ثوبه لو تخرق من قدام لكان يوسف هو الخاين
واذا تخرق من خلف كانت هي الخاينة فاعلمه بالبرهان هذا المعنى فلم يشتغل بدفعها عن نفسه
بل ولى هاربا فاثبت بذلك الشاهد حجة له لا عليه واما تفسير البرهان على ما ذكره المفسرون

في قوله تعالى لولا ان راى برهان ربه فقال قتادة واكثر المفسرين انه يوسف راى صورة يعقوب
وهو يقول له يا يوسف تعمل عمل السفها وانت مكتوب في الانبيا وقال الحسن وسعيد بن جبير
ومجاهد وعكرمة والضحاك انفرج له سقف البيت فراى يعقوب عاضا على اصبعه وقال سعيد
ابن جبير عن ابن عباس مثل له يعقوب فضرب بيده في صدره فخرجت شهوته من انامله وقال
السدي نودي يا يوسف تواقعها انما مثلك ما لم تواقعها مثل الطير في جو السما لا يطاق عليه
ومثلك ان واقعتها كمثله اذا وقع على الارض لا يستطيع ان يدفع عن نفسه شيا ومثلك ما لم
تواقعها مثل الثور الصعب الذي لا يطاق ومثلك ان واقعتها انه كمثله اذا مات ودخل النمل في قرنه
لا يستطيع ان يدفع عن نفسه وقيل راى معصما بلا عضد عليه مكتوب وان عليكم لحافظين
كراما كاتبين يعلمون ما تفعلون فولى هاربا ثم رجع فعاد المعصم وعليه مكتوب ولا تقربوا الزنا
انه كان فاحشة ومقتا وسا سبيلا فولى هاربا ثم عاد فراى ذلك الكف وعليه مكتوب واتقوا
يوما ترجعون فيه الى الله الاية ثم عاد فقال الله تعالى لجبريل ادرك عبدي يوسف قبل ان
يصيب الخطيئة فانحط جبريل عاضا على اصبعه يقول يا يوسف تعمل عمل السفها وانت مكتوب
عند الله في الانبيا وقيل انه مسحه بجناحه فخرجت شهوته من انامله وقال محمد بن كعب القرظي
رفع يوسف راسه الى سقف البيت فراى كتابا في حايط ولا تقربوا الزنا انه كان فاحشة وسا
سبيلا وفي رواية عن ابن عباس انه راى مثال الملك وعن علي بن الحسين قال كان في البيت صنم
فقامت المراة فسترته بثوب فقال لها يوسف لم فعلت هذا قالت استحييت منه ان يراني
على معصية فقال يوسف تستحيين ممن لا يسمع ولا يبصر ولا يفقه فانا احق ان استحيي من ربي
وهرب فذلك قوله لولا ان راى برهان ربه اما المحققون فقد فسروا البرهان بوجوه الاول
قال جعفر بن محمد الصادق البرهان هو النبوة التي جعلها في قلبه حالت بينه وبين ما يسخط الله
عز وجل الثاني البرهان حجة الله عز وجل على العبد في تحريم الزنا والعلم بما على الزاني من
العقاب الثالث ان الله عز وجل طهر نفوس الانبيا عليهم السلام من الاخلاق الذميمة والافعال
الرذيلة وجبلهم على الاخلاق الشريفة الطاهرة المقدسة فتلك الاخلاق الطاهرة الشريفة
تحجزهم عن فعل ما لا يليق فعله كذلك يعني كما اريناه البرهان كذلك لنصرف عنه السو يعني الاثم
والفحشا يعني الزنا وقيل السو مقدمات الفحشا وقيل السو الثنا القبيح فصرف الله عنه
ذلك كله وجعله من عباده المخلصين وهو قوله انه يعني يوسف من عبادنا المخلصين قرئ
بفتح اللام ومعناه انه من عبادنا الذين اصطفيناهم بالنبوة واخترناهم على غيرهم وقرئ بكسر
اللام ومعناه انه من عبادنا الذين اخلصوا الطاعة لله عز وجل قوله عز وجل واستبقا الباب
وذلك ان يوسف عليه السلام لما راى البرهان قام هاربا مبادرا الى الباب وتبعته المراة لتمسك
عليه الباب حتى لا يخرج والمسابقة طلب السبق فسبق يوسف وادركته المراة فتعلقت بقميصه من خلفه

وجذبته اليها حتى لا يخرج وذلك قوله وقدت قميصه من دبر يعني شقته من خلف فغلبها
يوسف فخرج وخرجت خلفه والفيا سيدها لدى الباب يعني فلما خرجا وجدا زوج المراة
قطفير وهو العزيز عند الباب جالسا مع ابن عم المراة فلما راته المراة هابته وخافت التهمة
فسابقت يوسف بالقول قالت يعني لزوجها ما جزا من اراد باهلك سوا يعني الفاحشة ثم خافت
عليه ان يقتل وذلك لشدة حبها له فقالت الا ان يسجن اي يحبس في السجن ويمنع التصرف او عذاب
اليم يعني الضرب بالسياط وانما بدات بذكر السجن على العذاب لان المحب لا يشتهي ايلام المحبوب
وانما ارادت ان يسجن عندها يوما او يومين ولم ترد السجن الطويل وهذه لطيفة فافهمها
فلما سمع يوسف مقالتها اراد ان يبرئ نفسه قال يعني يوسف هي راودتني عن نفسي
يعني طلبت مني الفاحشة فابيت وفررت وذلك ان يوسف عليه السلام ما كان يريد ان يذكر هذا القول
ولا يهتك سترها ولكن لما قالت هي ما قالت ولطخت عرضه احتاج الى ازالة هذه التهمة عن نفسه
فقال هي راودتني عن نفسي وشهد شاهد من اهلها يعني وحكم حاكم من اهل المراة واختلفوا في ذلك
الشاهد فقال سعيد بن جبير والضحاك كان صبيا في المهد انطقه الله عز وجل وهو رواية عن ابن
عباس وروى ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال تكلم اربعة وهم صغار ابن ماشطة ابنة
فرعون وشاهد يوسف وصاحب جريج وعيسى ابن مريم ذكره البغوي بغير سند والذي جاء في
الصحيحين ثلاثة عيسى ابن مريم وصاحب جريج وابن المراة وقصتهم مخرجة في الصحيح قيل كان
هذا الصبي شاهد يوسف ابن خال المراة فقال الحسن وعكرمة وقتادة ومجاهد لم يكن صبيا
ولكنه كان رجلا حكيما ذا راي قال السدي هو ابن عم المراة فحكم فقال ان كان قميصه قد من قبل اي من
قدام فصدقت وهو من الكاذبين وان كان قميصه قد من دبر اي من خلف فكذبت وهو من
الصادقين وانما كان هذا الشاهد من اهل المراة ليكون اقوى في نفي التهمة عن يوسف عليه
السلام مع ما وجد من كثرة العلامات الدالة على صدق يوسف ونفي التهمة عنه منها انه كان في
الظاهر مملوك هذه المراة والمملوك لا ينبسط يده الى سيدته ومنها انهم شاهدوا يوسف
بعدو ليخرج هاربا منها والطالب لا يهرب ومنها انهم راوا المراة وقد تزينت باكمل الوجوه
فكان الحاق التهمة بها اولى ومنها انهم عرفوا يوسف في المدة الطويلة فلم يروا عليه حالة
تناسب اقدامه على مثل هذه الحالة فكان مجموع هذه العلامات دالة على صدقه مع شهادة
الشاهد له بصدقه ايضا فلما راى قميصه قد من دبر يعني فلما راى قطفير زوج المراة
قميص يوسف عليه السلام قد شق من خلفه عرف خيانة امراته وبراة يوسف عليه السلام
قال يعني قال لها زوجها قطفير انه يعني الصنيع من كيدكن يعني من حيلكن ومكركن
ان كيدكن عظيم فان قلت كيف وصف كيد النسا بالعظم مع قوله تعالى وخلق الانسان
ضعيفا وهل ذلك مكر الرجال اعظم من مكر النسا قلت اما كون الانسان خلق ضعيفا

فهو بالنسبة الى خلق ما هو اعظم منه كخلق الملايكة والسموات والارض والجبال ونحو ذلك
واما عظيم كيد النسا ومكرهن في هذا الباب فهو اعظم من كيد جميع البشر لان لهن من المكر
والحيل والكيد في اتمام مرادهن ما لا يقدر عليه الرجال في هذا الباب وقيل ان قوله انه من
كيدكن ان كيدكن عظيم من قول الشاهد وذلك انه لما ثبت عنده خيانة المراة وبراة يوسف عليه
السلم قال هذه المقالة يوسف يعني يا يوسف اعرض يعني اعرض عن هذا الحديث فلا
تذكره لاحد حتى لا يفشو ويشيع وينتشر بين الناس وقيل معناه يا يوسف لا تكترث لهذا
الامر ولا تهتم به فقد بان عذرك وبراتك ثم التفت الى المراة فقال لها واستغفري لذنبك
اي توبي الى الله مما رميتين يوسف به من الخطيئة وهو بري منها وانما قال من الخاطيين ولم
يقل من الخاطيات تغليبا وقيل ان هذا من قول الشاهد يقول للمراة سلي زوجك ان يصفح
عنك ولا يعاقبك بسبب ذنبك انك كنت من الخاطيين يعني من المذنبين حيث خنت
زوجك ورميت يوسف بالتهمة وهو بري وانما قال من الخاطيين ولم يقل من الخاطيات
تغليبا لجنس الرجال على النسا وقيل انه لم يقصد به الخبر على النسا بل قصد الخبر عن من يفعل
من هذا الفعل تقديره انك كنت من القوم الخاطيين فهو كقوله وكانت من القانتين قوله
عز وجل وقال نسوة في المدينة امراة العزيز تراود فتاها عن نفسه يعني وقال
جماعة من النسا وكن خمسا وقيل كن اربع وذلك لما شاع خبر يوسف والمراة في مدينة م
مصر وقيل هي مدينة عين الشمس وتحدثت النسا فيما بينهن بذلك وهن امراة صاحب الملك
وامراة صاحب دوابه وامراة خبازه وامراة ساقيه وامراة صاحب سجنه وقيل نسوة من
اشراف مصر امراة العزيز يعني زليخا تراود فتاها عن نفسه يعني تراود عبدها الكنعاني
عن نفسه بانها تطلب منه الفاحشة وهو يمتنع منها والفتى الشاب الحدث قد شغفها
حبا يعني قد علقها حبا والشغاف جلدة محيطة بالقلب يقال لها غلاف القلب والمعنى
ان حبه دخل الجلدة حتى اصاب القلب وقيل ان حبه احاط بقلبها كاحاطة الشغاف
بالقلب قال الكلبي حجب حبه قلبها حتى لا تعقل شيا سواه انا لنراها في ضلال مبين
يعني في خطا بين ظاهر حيث تركت ما يجب على امثالها من العفاف والستر واحبت فتاها
فلما سمعت بمكرهن يعني فلما سمعت زليخا بقولهن وما تحدثن به وانما سمي قولهن ذلك
مكرا لانهن طلبن بذلك روية يوسف وكان يوصف لهن حسنه وجماله فقصدن ان
يرينه وقيل ان امراة العزيز افشت اليهن سرها واستكتمتهن فافشين ذلك عليها فلذلك
سماه مكرا ارسلت اليهن يعني انها لما سمعت باغتيابهن لها على محبتها ليوسف ارادت ان تقيم
عذرها عندهن قال وهب اتخذت مادبة يعني لهن وليمة وضيافة ودعت اربعين
امراة من اشراف مدينتها فيهن هولا اللاتي عيرنها واعتدت لهن متكا يعني ووضعت

لهن

لهن نمارق ومساند يتكين عليها وقال ابن عباس وابن جبير والحسن وقتادة ومجاهد متكا يعني طعاما
وانما سمي الطعام متكا لان كل من دعوته ليطعم عندك فقد اعددت له وسايد يجلس ويتكي عليها فسمي
الطعام متكا على الاستعارة ويقال اتكانا عند فلان اي طعمنا عنده والمتكا ما يتكا عليه عند
الطعام والشراب والحديث ولذلك جا النهي عنه في الحديث وهو قوله صلى الله عليه وسلم لا اكل متكا
وقيل المتكا الاترج وقيل هو كل شي يقطع بالسكين او يحز بها يقال ان المراة زينت البيت بالوان الفواكه
والاطعمة ووضعت الوسايد ودعت النسوة اللاتي عيرنها بحب يوسف واتت كل واحدة منهن
سكينا يعني واعطت كل واحدة من النسا سكينا لتاكل بها وكان من عادتهن ان ياكلن اللحم والفواكه
بالسكين وقالت اخرج عليهن يعني وقالت زليخا ليوسف اخرج على النسوة وكان يخاف من مخالفتها
فخرج عليهن يوسف وكانت قد زينته واخباته في مكان اخر فلما راينه يعني النسوة اكبرنه يعني
اعظمنه ودهشن عند رويته وكان يوسف قد اعطي شطر الحسن وقال عكرمة كان فضل يوسف على الناس
كفضل القمر ليلة البدر على ساير النجوم وروى ابو سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رايت
ليلة اسري بي الى السما يوسف كالقمر ليلة البدر ذكره البغوي بغير سند وقال اسحاق بن ابي
فروة كان يوسف اذا سار في ازقة مصر تلالا وجهه في الجدران وقيل انه ورث حسن ادم
يوم خلقه الله عز وجل قبل ان يخرج من الجنة وقال ابو العالية هالهن امره وبهتن
وفي رواية عن ابن عباس قال اكبرنه اي حضن ونحوه عن مجاهد والضحاك قال حضن من الفرح
وانكر اكثر اهل اللغة هذا القول قال الزجاج هذه اللغة ليست معروفة في اللغة والها في
اكبرنه تمنع من هذا لانه لا يجوز ان يقال النسا قد حضنه لان حضن لا يتعدى الى مفعول
قال الازهري ان صحت هذه اللفظة في اللغة فلها مخرج وذلك ان المراة اذا حاضت
اول ما تحيض فقد خرجت من حد الصغار الى حد الكبار فيقال لها اكبرت اي حاضت على
هذا المعنى قال الازهري فان صحت الرواية عن ابن عباس سلم له وجعلنا الها في قوله اكبرنه
ها الوقف لا ها الكناية وقيل ان المراة اذا خافت او فزعت فربما اسقطت ولدها
وتحيض فان كان ثم حيض فربما كان من فزعهن ومما هالهن من امر يوسف حين راينه قال
الامام فخر الدين الرازي وعندي انه يحتمل وجها اخر وهو انهن انما اكبرنه لانه
راين عليه نور النبوة وسيما الرسالة واثار الخضوع والاخبات وشاهدن فيه مهابة
وهيبة ملكية وهي عدم الالتفات الى المطعوم والمنكوح وعدم الاعتداد بهن وكان
الجمال العظيم مقرونا بتلك الهيبة والهيبة فتعجبن من تلك الحالة فلا جرم اكبرنه وعظمنه
ووقع الرعب والمهابة في قلوبهن قال وحمل الاية على هذا الوجه اولى وقطعن ايديهن
وجعلن يقطعن ايديهن بالسكاكين التي معهن وهن يحسبن انهن يقطعن الاترج ولم يجدن
الالم لدهشتهن وشغل قلوبهن بيوسف قال مجاهد فما احسسن الا بالدم وقال قتادة

ابن ايديهن حتى القينها والاصح انه كان قطعا من غير ابانة وقال وهب مات جماعة
منهن وقلن يعني النسوة حاش لله ما هذا بشرا اي معاذ الله ان يكون هذا بشرا ان هذا الا
ملك كريم يعني على الله والمقصود من هذا اثبات الحسن العظيم المفرط ليوسف لانه قد ركز
في النفوس ان لا شيء احسن من الملك فلذلك وصفنه بكونه ملكا وقيل لما كان الملك مطهرا
من بواعث الشهوة وجميع الافات والحوادث التي تحصل للبشر وصفن يوسف بذلك قوله
تعالى قالت فذلكن الذي لمتنني فيه يعني قالت امراة العزيز للنسوة لما راين يوسف ودهشن
عند رويته فذلكن الذي لمتنني فيه في محبته وانما قالت لاقامة عذرها عندهن
حين قلن ان امراة العزيز قد شغفها فتاها الكنعاني حبا وانما قالت فذلكن ولم تقل فهذا وهو
فذلكن بعد ما قام من المجلس وذهب قال صاحب الكشاف قالت وهو حاضر رفعا لمنزلته
في الحسن واستحقاق ان يحب ويفتتن به ويجوز ان يكون اشارة الى المعنى بقولهن عشقت عبدها
الكنعاني تقول هو ذلك العبد الكنعاني الذي صورتن في انفسكن ثم لمتنني فيه ثم ان امراة
العزيز صرحت بما فعلت فقالت ولقد راودته عن نفسه فاستعصم يعني فامتنع من ذلك
الفعل الذي طلبته منه وانما صرحت بذلك لانها علمت انه لا ملامة عليها منهن وانهن قد اصابهن
ما اصابها عند رويته ثم ان امراة العزيز قالت ولئن لم يفعل ما امره يعني وان لم يفعل ما امر
يعني ولئن لم يطاوعني فيما دعوته اليه ليسجنن اي ليعاقبن بالسجن والحبس وليكونا من الصاغرين
يعني من الاذلاء المهانين فقال النسوة ليوسف اطع مولاتك فيما دعتك اليه فاختار يوسف
السجن على المعصية حين توعدته المراة بذلك قال رب اي يا رب السجن احب الي مما يدعونني اليه
قيل ان الدعا كان منها خاصة وانما اضافه اليهن جميعا خروجا من التصريح الى التعريض وقيل
انهن جميعا دعونه الى انفسهن وقيل انهن لما قلن له اطع مولاتك صح اضافة الدعا اليهن
جميعا قال بعضهم لو لم يقل السجن احب الي لم يبتل بالسجن والاولى بالعبد ان يسال الله
العافية والا تصرف عني كيدهن يعني ما اردن مني اصب اليهن اي اميل اليهن يقال صبا فلان
الى كذا اذا مال اليه واشتاق واكن من الجاهلين يعني من المذنبين وقيل معناه اكن ممن
يستحق صفة الذم بالجهل وفيه دليل على ان من ارتكب ذنبا انما يرتكبه عن جهالة فاستجاب له
ربه يعني فاجاب الله دعا يوسف فصرف عنه كيدهن انه هو السميع يعني لدعا يوسف
وغيره العليم بحاله وفي الاية دليل على ان يوسف عليه السلام لما اظلته البلية بكيد
النسا وطلبهن اياه بما لا يليق بحاله لجا الى الله وفزع الى الدعا رغبة الى الله كي يكشف
ما نزل به من ذلك الامر مع الاعتراف بانه ان لم يعصمه من المعصية وقع فيها فدل ذلك على
انه لا يقدر احد على الانصراف عن المعصية الا بعصمة الله ولطفه به قوله عز وجل ثم بدا لهم
يعني للعزيز واصحابه في الراي وذلك انهم ارادوا ان يقتصروا من امر يوسف بالاعراض وكتم الحال

وذلك

وذلك ان المراة قالت لزوجها ان هذا العبد العبراني قد فضحني عند الناس يخبرهم باني
قد راودته عن نفسه فاما ان تاذن لي فاخرج واعتذر الى الناس واما ان تحبسه فرأى
حبسه من بعد ما راوا الايات يعني الدالة على صدق يوسف وبراءته من قد القميص
وكلام الطفل وقطع النسا ايديهن وذهاب عقولهن عند رويته ليسجننه اي ليحبسنه في
السجن حتى حين يعني الى مدة يرون رايهم فيها وقال عطا الى ان تنقطع مقالة الناس قال عكرمة
الى سبع سنين وقال الكلبي خمس سنين فحبسه قال السدي جعل الله ذلك الحبس تطهيرا
ليوسف من همه بالمراة ودخل معه السجن فتيان وهما غلامان كانا للوليد بن ثروان العمليق
ملك مصر الاكبر احدهما خبازه وصاحب طعامه والاخر ساقيه وصاحب شرابه وكان قد
غضب عليهما الملك فحبسهما وكان السبب في ذلك ان جماعة من اشراف مصر ارادوا المكر
بالملك واغتياله وقتله فضمنوا لهذين الغلامين مالا على ان يسما الملك في طعامه وشرابه
فاجابا الى ذلك ثم ان الساقي ندم فرجع عن ذلك وقبل الخباز الرشوة وسم الطعام فلما
حضر الطعام بين يدي الملك قال الساقي لا تاكل ايها الملك فان الطعام مسموم فقال الخباز
ولا تشرب فان الشراب مسموم فقال للساقي اشرب فشربه فلم يضره وقال للخباز كل من طعامك
فابى واطعم من ذلك الطعام لدابة فهلكت فامر الملك بحبسهما فحبسا مع يوسف وكان
يوسف لما دخل السجن جعل ينشر علمه ويقول اني اعبر فقال احد الغلامين لصاحبه هلم فلنجرب
هذا العبد العبراني فنترايا له رويا فسالاه من غير ان يكونا قد رايا شيا قال ابن مسعود
ما رايا شيا انما تحالما ليجربا يوسف وقال قوم بل كانا قد رايا رويا حقيقة فرآهما يوسف
وهما مهمومان فسالهما عن شانهما فذكرا انهما غلامان للملك وانه حبسهما وقد رايا رويا قد غمتهما
فقال يوسف قصا علي ما رايتما فقصا عليه ما رايا وذلك قوله تعالى قال احدهما وهو صاحب
شراب الملك اني اراني اعصر خمرا يعني عنبا سمي العنب خمرا باسم ما يوول اليه يقال فلان يطبخ
الاجر اي يطبخ اللبن حتى يصير اجرا وقيل الخمر العنب بلغة عمان وذلك انه قال اني رايت
في المنام كاني في بستان واذا فيه اصل حبلة وعليها ثلاثة عناقيد عنب فجنيتها وكان كاس
الملك في يدي فعصرتها فيه وسقيت الملك فشربه وقال الاخر وهو صاحب طعام الملك
اني اراني احمل فوق راسي خبزا تاكل الطير منه وذلك انه قال اني رايت في المنام كان فوق راسي ثلاث
سلال فيها الخبز والوان الاطعمة وسباع الطير تنهش منها نبئنا بتاويله اي اخبرنا بتفسير
ما راينا وما يوول اليه امر هذه الرويا انا نراك من المحسنين يعني من العالمين بعبارة الرويا
والاحسان هنا بمعنى العلم وقيل الضحاك كان احسانه فقال كان اذا مرض انسان في
الحبس عاده وقام عليه واذا ضاق على احد وسع له واذا احتاج احد جمع له شيا وكان مع
هذا يجتهد في العبادة يصوم النهار ويقوم الليل كله للصلاة وقيل انه لما دخل السجن

وجدت فيه قومًا اشتد بلاؤهم وانقطع رجاؤهم وطال حزنهم فجعل يسليهم ويقول اصبروا وابشروا فقالا بارك الله فيك يا فتى ما احسن وجهك وخلقك وحديثك لقد بورك لنا في جوارك فمن انت قال انا يوسف بن صفي الله يعقوب بن ذبيح الله اسحاق بن خليل الله ابراهيم فقال له صاحب السجن يا فتى والله لو استطعت لخليت سبيلك ولكن سأرفق بك واحسن جوارك فاختر اي بيوت السجن شئت وقيل ان الفتيان لما رايا يوسف قالا انا قد احببناك منذ رايناك فقال لهما يوسف انشدكما بالله ان لا تحباني فوالله ما احبني احد قط الا دخل علي من حبه بلاء لقد احبتني عمتي فدخل علي من ذلك بلاء واحبني ابي فالقيت في الجب واحبتني امراة العزيز فحبست فلما قصا عليه رؤياهما كره يوسف ان يعبرها لهما حين سألاه لما علم ما في ذلك من المكروه لاحدهما فاعرض عن سؤالهما واخذ في غيره من اظهار المعجزة والدعا الى التوحيد وقيل انه عليه السلام اراد ان يبين لهما ان درجته في العلم اعلا واعظم مما اعتقدوا فيه وذلك انهما طلبا منه علم التعبير ولا شك ان هذا العلم مبني على الظن والتخمين فاراد ان يعلمهما انه يمكنه الاخبار عن المغيبات على سبيل القطع واليقين وذلك مما يعجز الخلق عنه واذا قدر على الاخبار عن الغيوب كان اقدر على تعبير الرؤيا بطريق الاولى وقيل انما عدل عن تعبير رؤياهما الى اظهار المعجزة لانه علم ان احدهما سيصلب فاراد ان يدخله في الاسلام ويخلصه من الكفر ودخول النار فاظهر له المعجزة لهذا السبب قال لا ياتيكما طعام ترزقانه الا نباتكما بتاويله قيل اراد به في النوم يقول لا ياتيكما طعام ترزقانه في نومكما الا اخبرتكما خبره في اليقظة وقيل اراد به في اليقظة يقول لا ياتيكما طعام من منازلكما ترزقانه يعني تطعمانه وتاكلانه الا نباتكما بتاويله يعني بقدره ولونه والوقت الذي يصل اليكما قبل ان ياتيكما يعني يصل اليكما واي طعام اكلتم وكم اكلتم ومتى اكلتم وهذا مثل معجزة عيسى عليه السلام حيث قال وانبئكم بما تاكلون وما تدخرون في بيوتكم فقالا ليوسف عليه السلام هذا من علم العرافين والكهنة فمن اين لك هذا العلم فقال ما انا بكاهن ولا عراف وانما ذلك اشارة الى المعجزة والعلم الذي اخبرهما به ذلكما مما علمني ربي يعني ان هذا الذي اخبرتكما به وحي من الله اوحاه الي وعلم علمنيه اني تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله فان قلت ظاهر قوله اني تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله انه كان عليه السلام داخلا في هذه الملة ثم تركها وليس الامر كذلك لان الانبيا عليهم السلام من حين ولدوا وظهروا الى الوجود هم على التوحيد فما معنى هذا الترك في قوله تركت قلت الجواب من وجهين الاول ان الترك عبارة عن عدم التعرض للشي والالتفات اليه بالمرة وليس من شرطه ان يكون قد كان داخلا فيه ثم تركه وخرج عنه الوجه الثاني وهو الاقرب ان يوسف عليه السلام لما كان عند العزيز وهو كافر وجميع من عنده كذلك وقد كان بينهم ويوسف كان على التوحيد والايمان الصحيح صح قوله اني تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله وهم بالآخرة هم كافرون فترك ملتهم واعرض عنهم ولم يوافقهم على ما كانوا عليه وتكرير لفظة

هم

هم في قوله وهم بالآخرة هم كافرون للتوكيد لشدة انكارهم للمعاد وقوله واتبعت ملة اباي ابراهيم واسحاق ويعقوب لما ادعى يوسف النبوة واظهر المعجزة اظهر انه من اهل بيت النبوة وان اباه كلهم انبيا وقيل لما كان ان ابراهيم واسحاق ويعقوب مشهورين بالنبوة والرسالة ولهم الدرجة العالية في الدنيا والمنزلة الرفيعة عند الخلق اظهر يوسف عليه السلام انه من اولادهم وانه من اهل بيت النبوة ليسمعوا قوله ويطيعوا امره فيما يدعوهم اليه من التوحيد ما كان لنا ان نشرك بالله من شي معناه ان الله تعالى لما اختارنا بالنبوة واصطفانا برسالته وعصمنا من الشرك فما كان ينبغي لنا ان نشرك به من جميع هذه الاختصاصات التي اختصنا بها قال الواحدي لفظة من في قوله من شي زايدة مؤكدة كقولك ما جاني من احد وقال صاحب الكشاف ما كان لنا ما صح لنا معشر الانبيا ان نشرك بالله اي شي كان من ملك او جني او انسي فضلا ان نشرك به صنما لا يسمع ولا يبصر ذلك من فضل الله علينا يعني ذلك التوحيد وعدم الاشراك والعلم الذي رزقنا من فضل الله علينا وعلى الناس يعني بما نصب لهم من الادلة الدالة على وحدانيته وبين لهم طريق الهداية اليه فكل ذلك من فضل الله على عباده ولكن اكثر الناس لا يشكرون يعني ان اكثرهم لا يشكرون الله على هذه النعم التي انعم بها عليهم لانهم تركوا عبادته وعبدوا غيره ثم دعاهما الى الاسلام فقال يا صاحبي السجن يريد يا صاحبي في السجن فاضافهما الى السجن كما يقول يا سارق الليلة لان الليلة مسروق فيها غير مسروقة ويجوز ان يريد يا ساكني السجن كقوله اصحاب النار واصحاب الجنة ارباب متفرقون خير اي الهة شتى من ذهب وفضة وصفر وحديد وخشب وحجارة وغير ذلك وصغير وكبير ومتوسط متباينون في الصفة وهي مع ذلك لا تضر ولا تنفع ام الله الواحد القهار يعني اهذه الاصنام اعظم صفة في المدح واستحقاق اسم الالهية والعبادة ام الله الواحد القهار قال الخطابي الواحد هو الفرد الذي لم يزل وحده وقيل هو المنقطع عن القرين والمعدوم الشريك والنظير وليس هو كساير الاحاد من الاجسام المولفة لان ذلك قد يكثر بانضمام بعضها الى بعض والواحد ليس كذلك فهو الله الواحد الذي لا مثل له ولا يشبهه شي من خلقه القهار قال الخطابي القهار هو الذي قهر الجبابرة من خلقه بالعقوبة وقهر الخلق كلهم بالموت وقال غيره القهار هو الذي قهر كل شي فذلله فاستسلم وانقاد وذل له والمعنى ان هذه الاصنام التي تعبد ولها ذليلة مقهورة اذا اراد الانسان كسرها واهانتها قدر عليه والله هو الواحد في ملكه القاهر لعباده الذي لا يغلبه شي وهو الغالب لكل شي سبحانه وتعالى ثم بين عجز الاصنام وانها لا شي البتة فقال ما تعبدون من دونه يعني من دون الله وانما قال تعبدون بلفظ الجمع وقد ابتدا بالتثنية في المخاطبة لانه اراد جميع من في السجن من المشركين الا اسما سميتموها الهة واربابا وهي حجارة جماد خالية عن المعنى لا حقيقة لها انتم واباؤكم يعني من قبلكم سموها الهة ما انزل الله بها من سلطان يعني ان تسمية الاصنام الهة لا حجة لكم ولا برهان

ولا امر الله لها وذلك انهم كانوا يقولون ان الله امرنا بهذه التسمية فرد الله عليهم بقوله ما انزل الله بها من سلطان ان الحكم الا لله يعني ان الحكم والقضا والامر والنهي لله تعالى لا شريك له في ذلك امر الا تعبدوا الا اياه لانه هو المستحق للعبادة لا هذه الاصنام التي سميتموها الهة ذلك الدين القيم يعني عبادة الله هو الدين المستقيم ولكن اكثر الناس لا يعلمون ذلك ولما فرغ يوسف عليه السلام من الدعا الى الله وعبادته رجع الى تعبير رويايهما فقال يا صاحبي السجن اما احدكما فيسقي ربه خمرا يعني ان صاحب شراب الملك يرجع الى منزلته ويسقي الملك خمرا كما كان يسقيه اول مرة والعناقيد الثلاثة هي ثلاثة ايام تبقى في السجن ثم يدعوبه الملك ويرده الى منزلته التي كان عليها واما الاخر فيصلب يعني صاحب طعام الملك والسلال الثلاثة ثلاثة ايام ثم يدعوبه الملك فيصلبه فتاكل الطير من راسه قال ابن مسعود لما سمعا قول يوسف عليه السلام قالا ما راينا شيا انما كنا نلعب قال يوسف قضي الامر الذي فيه تستفتيان يعني فرغ من الامر الذي سالتما عنه ووجب حكم الله عليكما بالذي اخبرتكما به رايتما اولم تريا شيا وقال يعني يوسف للذي ظن يعني علم وتحقق والظن بمعنى العلم انه ناج منهما يعني ساقي الملك اذكرني عند ربك يعني عند سيدك وهو الملك الاكبر فقل له ان في السجن غلاما محبوسا مظلوما طال حبسه فانساه الشيطان ذكر ربه في هذه الكناية في انساه الى من تعود قولان احدهما انها ترجع الى الساقي وهو قول جماعة من المفسرين والمعنى فانسا الشيطان الساقي ان يذكر يوسف عند الملك قالوا لان صرف وسوسة الشيطان الى ذلك الرجل الساقي حتى انساه ذكر يوسف اولى من صرفها الى يوسف والقول الثاني وهو قول اكثر المفسرين ان هذه الكناية ترجع الى يوسف والمعنى ان الشيطان انسى يوسف ذكر ربه عز وجل حتى ابتغى الفرج من غيره واستعان بمخلوق مثله وتلك غفلة عرضت ليوسف عليه السلام فان الاستعانة بالمخلوق في دفع الضرر جايز الا انه لما كان مقام يوسف اعلا المقام ورتبته اشرف المراتب وهي منصب النبوة والرسالة لا جرم صار يوسف مواخذا بهذا القدر فان حسنات الابرار سيات المقربين فان قلت كيف تمكن الشيطان من يوسف حتى انساه ذكر ربه قلت بشغل الخاطر والقا الوسوسة فانه قد صح في الحديث ان الشيطان يجري من ابن ادم مجرى الدم فاما النسيان الذي هو عبارة عن ترك الذكر وازالته عن القلب بالكلية فلا يقدر عليه وقوله تعالى فلبث في السجن بضع سنين اختلفوا في قدر البضع فقال مجاهد هو ما بين الثلاث الى السبع وقال قتادة هو ما بين الثلاث الى التسع وقال ابن عباس هو ما دون العشرة واكثر المفسرين على ان البضع في هذه الاية سبع سنين وكان يوسف قد لبث قبلها في السجن خمس سنين فجملة ذلك اثني عشر سنة وقال وهب اصاب ايوب البلا سبع سنين وترك يوسف في السجن سبع سنين وقال مالك بن دينار لما قال يوسف للساقي اذكرني عند ربك قيل له يا يوسف اتخذت من دوني وكيلا لاطيلن حبسك فبكى يوسف وقال يارب

انى

انسى قلبي كثرة البلوى فقلت كلمة قال الحسن قال النبي صلى الله عليه وسلم رحم الله يوسف لولا كلمته التي قالها ما لبث في السجن ما لبث يعني قوله اذكرني عند ربك ثم بكى الحسن وقال نحن اذا نزل بنا امر فزعنا الى الناس ذكره الثعلبي مرسلا وبغير سند وقيل ان جبريل دخل على يوسف في السجن فلما راه يوسف عرفه فقال له يوسف يا اخا المنذرين ما لي اراك بين الخاطيين فقال له جبريل يا طاهر ابن الطاهرين يقرا عليك السلام رب العالمين ويقول لك اما استحييت مني اذ استغثت بالادميين فوعزتي لالبثنك في السجن بضع سنين قال يوسف وهو في ذلك عني راض قال نعم قال اذا لا ابالي وقال كعب قال جبريل ليوسف يقول الله عز وجل من خلقك قال الله قال فمن رزقك قال الله قال فمن حببك الى ابيك قال الله قال فمن نجاك من كرب البير قال الله قال فمن علمك تاويل الرويا قال الله قال فمن صرف عنك السو والفحشا قال الله قال فكيف استغثت بادمي مثلك قالوا فلما انقضت سبع سنين قال الكلبي وهذه السبع سوى الخمس سنين التي كانت قبل ذلك ودنا فرج يوسف واراد الله عز وجل اخراجه من السجن راى ملك مصر الاكبر رويا عجيبة هالته وذلك انه راى في منامه سبع بقرات سمان قد خرجن من البحر ثم خرج عقيبهن سبع بقرات عجاف في غاية الهزال فابتلع العجاف السمان ودخلن في بطونهن ولم ير منهن شيا ولم يتبين على العجاف منها شي وراى سبع سنبلات خضر قد انعقد حبها وسبعا اخر يابسات قد استحصدن فالتوت اليابسات على الخضر حتى علون عليهن ولم يبق من خضرتها شي فجمع السحرة والكهنة والمعبرين فقص عليهم روياه التي راها فذلك قوله وقال الملك اني ارى سبع بقرات سمان ياكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر واخر يابسات يا ايها الملا افتوني في روياي يعني يا ايها الاشراف اخبروني بتاويل روياي ان كنتم للرويا تعبرون يعني ان كنتم تحسنون علم العبارة وعلم التعبير مختص بتعبير الرويا وسمي هذا العلم تعبيرا لان المفسر للرويا عابر من ظاهرها الى باطنها ليستخرج معناها وهذا اخص من التاويل لان التاويل يقال فيه وفي غيره قالوا يعني قال جماعة الملا وهم السحرة والكهنة والمعبرون مجيبين للملك اضغاث احلام يعني اخلاط مشتبهة واحدها ضغث واصله الحزمة المختلطة من انواع الحشيش والاحلام جمع حلم وهو الرويا التي يراها الانسان في منامه وما نحن بتاويل الاحلام بعالمين لما جعل الله هذه الرويا سببا لخلاص يوسف من السجن وذلك ان الملك لما راها قلق واضطرب وذلك لانه شاهد الناقص الضعيف قد استولى على القوي الكامل حتى غلبه وقهره فاراد ان يعرف تاويل ذلك فجمع سحرته وكهنته ومعبريه واخبرهم بما راى في منامه وسالهم عن تاويلها فعجز الله عز وجل بقدرته جماعة الكهنة والمعبرين عن تاويل هذه الرويا ومنعهم من الجواب ليكون ذلك سببا لخلاص يوسف من السجن فذلك قوله تعالى وقال الذي نجا منهما يعني وقال الساقي الذي نجا من السجن يعني والقتل بعد هلاك صاحبه الخباز

وادكر بعد امة يعني انه تذكر قول يوسف اذكرني عند ربك بعد امة يعني بعد حين وهو سبع
سنين سمي الحين من الزمان امة لانه جماعة ايام والامة الجماعة انا انبئكم يعني اخبركم بتاويله
وقوله انا انبئكم بلفظ الجمع انه انما اراد به الملك مع جماعة السحرة والكهنة والمعبرين واراد
الملك وحده وخاطبه بلفظ الجمع على سبيل التعظيم وذلك ان الفتى الساقي جثى بين يدي
الملك وقال ان في السجن رجلا عالما بتعبير الرويا فارسلون فيه اختصار تقديره فارسلني ايها
الملك فارسله فاتى السجن قال ابن عباس ولم يكن في المدينة يوسف اي يا يوسف ايها الصديق
انما سماه صديقا لانه لم يجرب عليه كذبا قط والصديق الكثير الصدق والذي
لم يكذب قط وقيل سماه صديقا لانه صدق في تعبير رؤياه التي راها في السجن افتنا في سبع بقرات
سمان ياكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر واخر يابسات فان الملك راى هذه الرويا
لعلي ارجع الى الناس لعلهم يعلمون يعني نبا وبل هذه الرويا الى الملك وجماعته لعلهم يعلمون
منزلتك في العلم قال يعني قال يوسف معبرا لتلك الرويا اما البقرات السمان والسنبلات
الخضر فسبع سنين مخاصيب واما البقرات العجاف والسنبلات اليابسات فسبع سنين
مجدبة فذلك قوله تزرعون وهذا خبر بمعنى الامر اي ازرعوا سبع سنين دابا يعني عادتكم
في الزراعة والداب العادة وقيل ازرعوا بجد واجتهاد فما حصدتم فذروه في سنبله انما امرهم
بترك ما حصدوه من الحنطة في سنبله لئلا يفسد ولا يقع فيه السوس وذلك ابقى له على طول
الزمان الا قليلا مما تاكلون يعني ادرسوا قليلا من الحنطة للاكل بقدر الحاجة وامرهم بحفظ
الاكثر لوقت الحاجة ايضا وهو وقت السنين المجدبة وهو قوله ثم ياتي من بعد ذلك يعني من بعد
السنين المخصبة سبع شداد يعني سبع سنين مجدبة ممحلة شديدة على الناس ياكلن يعني
يفنين ما قدمتم لهن يعني يوكل فيهن كلما اعددتم وادخرتم لهن من الطعام وانما اضاف الاكل
الى السنين على طريق التوسع في الكلام الا قليلا مما تحصنون يعني تحرزون وتدخرون للبذر
والاحصان الاحراز وهو ابقا الشيء في الحصن بحيث يحفظ ولا يضيع ثم ياتي من بعد ذلك يعني
من بعد هذه السنين المجدبة عام فيه يغاث الناس اي يمطرون من الغيث الذي هو المطر وقيل
هو من قولهم استغثت بفلان فاغاثني من الغوث وفيه يعصرون يعني يعصرون العنب
خمرا والزيتون زيتا والسمسم دهنا اراد به كثرة الخير والنعم على الناس وكثرة الخصب
في الزرع والثمار وقيل يعصرون معناه ينجون من الكرب والشدة والجدب قوله عز وجل
وقال الملك ايتوني به وذلك ان الساقي لما رجع الى الملك واخبره بفتيا يوسف وما
عبر به رؤياه واستحسنه الملك وعرف ان الذي قاله كاين لا محالة قال ايتوني به حتى
ابصر هذا الرجل الذي قد عبر رؤياي بهذه العبارة فرجع الساقي الى يوسف وقال له اجب
الملك فذلك قوله تعالى فلما جاءه الرسول فابى ان يخرج معه حتى تظهر براته للملك ولا يراه

بعين النقص قال يعني يوسف للرسول ارجع الى ربك يعني الى سيدك وهو الملك فاساله
ما بال النسوة اللاتي قطعن ايديهن ولم يصرح بذكر امراة العزيز ادبا واحتراما لها وعن
ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ولو لبثت في السجن طول ما لبث يوسف لاجبت
الداعي اخرجه الترمذي وزاد فيه ثم قرا فلما جاءه الرسول قال ارجع الى ربك فاساله ما بال
النسوة اللاتي قطعن ايديهن هذا الحديث فيه بيان فضل يوسف عليه السلام وبيان قوة
صبره وثباته والمراد بالداعي رسول الملك الذي جاءه من عنده فلم يخرج معه مبادرا الى الراحة
ومفارقة ما هو فيه من الضيق والسجن الطويل بل تثبت في السجن وارسل الملك في كشف امره
الذي سجن بسببه لتظهر براءته عند الملك وغيره واثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم على يوسف
وبين فضيلته وحسن صبره على المحنة والبلا وهو قوله تعالى ان ربي بكيدهن عليم
يعني ان الله تعالى عالم بصنيعهن وما احتلن في هذه الواقعة من الحيل العظيمة فرجع الرسول
من عند يوسف الى الملك بهذه الرسالة فجمع الملك النسوة وامراة العزيز معهن قال ما خطبكن
يعني ما شانكن وامركن اذ راودتن يوسف عن نفسه انما خاطب الملك جميع النسوة بهذا الخطاب
والمراد بذلك امراة العزيز التي راودته عن نفسه وحدها وسائر النسوة امرنه بطاعتها فلذلك
خاطبهن بهذا الخطاب قلن يعني النسوة جميعا مجيبات للملك حاش لله يعني معاذ الله
ما علمنا عليه من سوء يعني من خيانة في شيء من الاشيا قالت امراة العزيز الان حصحص الحق يعني
ظهر وتبين وقيل ان النسوة اقبلن على امراة العزيز فقررنها وقيل خافت ان يشهدن عليها
فاقرت فقالت انا راودته عن نفسه وانه لمن الصادقين يعني في قوله هي راودتني عن نفسي
واختلفوا في قوله ذلك ليعلم اني لم اخنه بالغيب على قولين احدهما انه من قول المراة ووجه
هذا القول ان هذا كلام متصل بما قبله وهو قول المراة الان حصحص الحق انا راودته عن نفسه
وانه لمن الصادقين ثم قالت ذلك ليعلم اني لم اخنه بالغيب والمعنى ذلك ليعلم يوسف اني
لم اخنه في حال غيبته وهو في السجن ولم اكذب عليه بل قلت انا راودته عن نفسه وانه لمن
الصادقين وان كنت قد قلت فيه ما قلت في حضرته ثم بالغت في تاكيد هذا القول فقالت
وان الله لا يهدي كيد الخائنين يعني اني لما اقدمت على هذا الكيد والمكر لا جرم اني افتضحت
لان الله لا يرشد ولا يوفق كيد الخائنين والقول الثاني انه من قول يوسف عليه السلام وهو قول
الاكثرين من المفسرين والعلما ووجه هذا القول انه لا يبعد وصل كلام انسان بكلام اخر
اذا دلت القرينة عليه فعلى هذا يكون معنى الاية انه لما بلغ يوسف قول المراة انا راودته
عن نفسه وانه لمن الصادقين قال ذلك الذي فعلت من ردي رسول الملك اليه ليعلم يعني العزيز
اني لم اخنه يعني في زوجته بالغيب يعني في حال غيبته فيكون هذا من كلام يوسف اتصل بكلام
امراة العزيز انا راودته عن نفسه من غير تمييز بين الكلامين لمعرفة السامعين بذلك مع غموض فيه

لانه ذكر كلام انسان ثم اتبعه بكلام اخر من غير فصل بين الكلامين ونظير هذا
قوله تعالى يريد ان يخرجكم من ارضكم هذا من قول الملا فماذا تامرون من قول فرعون
ومثله قوله تعالى وجعلوا اعزة اهلها اذلة هذا من قول بلقيس وكذلك يفعلون
من قول الله تصديقا لها وعلى هذا القول اختلفوا اين كان يوسف حين قال هذه
المقالة على قولين احدهما انه كان في السجن وذلك انه لما رجع اليه رسول الملك
وهو في السجن واخبره بجواب امراة العزيز للملك قال حينئذ ذلك ليعلم اني لم اخنه
بالغيب وهذه رواية ابي صالح عن ابن عباس فان قلت فعلى هذا القول كيف خاطبهم
بلفظة ذلك وهي اشارة للغايب مع حضوره عندهم قلت قال ابن الانباري قال
اللغويون هذا وذلك يصلحان في هذا الموضع لقرب الخبر من اصحابه فصار كالشاهد
الذي يشار اليه بهذا وقيل ذلك اشارة الى ما فعله يقول ذلك الذي فعلته من ترداد
الرسول ليعلم الملك اني لم اخنه بالغيب اي لم اخن العزيز في حال غيبته ثم ختم
هذا الكلام بقوله وان الله لا يهدي كيد الخاينين بمعنى اني لو كنت خاينا لما خلصني الله
من هذه الورطة التي وقعت لان الله لا يهدي اي لا يرشد ولا يوفق كيد الخاينين واختلفوا
في قوله وَمَا ابري نفسي من قول من على قولين ايضا احدهما انه من قول المراة وهذا التفسير
على قول من قال ان قوله ذلك ليعلم اني لم اخنه بالغيب من قول المراة فعلى هذا يكون المعنى
وما ابري نفسي من مراودتي يوسف عن نفسه وكذبي عليه والقول الثاني وهو الاصح وعليه
اكثر المفسرين انه من قول يوسف عليه السلام وذلك انه لما قال ذلك ليعلم اني لم اخنه بالغيب
قال له جبريل ولا حين هممت بها فقال يوسف عند ذلك وما ابري نفسي وهذه رواية
عن ابن عباس وهو قول الاكثرين وقال الحسن ان يوسف لما قال ذلك ليعلم اني لم اخنه
بالغيب خاف ان يكون قد زكى نفسه فقال وما ابري نفسي لان الله تعالى يقول ولا
تزكوا انفسكم ففي قوله وما ابري نفسي هضم للنفس وانكسار وتواضع لله عز وجل
فان رؤية النفس في مقام العصمة والتزكية ذنب عظيم فاراد ازالة ذلك عن نفسه
فان حسنات الابرار سيات المقربين ان النفس لامارة بالسوء والسوء لفظ جامع لكل ما يغم
الانسان من الامور الدنيوية والاخروية والسية الفعلة القبيحة واختلفوا في النفس
الامارة بالسوء ما هي فالذي عليه اكثر المحققين من المتكلمين وغيرهم ان النفس الانسانية واحدة
لها صفات منها الامارة بالسوء ومنها اللوامة ومنها المطمينة فهذه الثلاث مراتب هي
صفات والنفس واحدة فاذا دعت النفس الى شهواتها ومالت اليها فهي النفس الامارة
بالسوء فاذا فعلتها اتت النفس اللوامة فلامتها على ذلك الفعل القبيح من ارتكاب الشهوات
فيحصل عند ذلك الندامة على ذلك الفعل القبيح وهذا من صفات النفس المطمينة وقيل

ان النفس

١٩٨

ان النفس المطمينة امارة بالسوء بطبعها فاذا تذكرت وصفت من اخلاقها الذميمة
صارت مطمينة وقوله الا ما رحم ربي قال ابن عباس معناه الا من عصم ربي فتكون ما بمعنى من
فهو كقوله ما طاب لكم من النسا يعني من طاب لكم وقيل هذا استثنا منقطع تقديره
لكن من رحم ربي فيعصمه من متابعة النفس الامارة بالسوء ان ربي غفور يعني لذنوب عباده
رحيم بهم قوله تعالى وقال الملك ايتوني به استخلصه لنفسي وذلك انه لما تبين للملك عذر يوسف
وعرف امانته وعلمه طلب حضوره اليه فقال ايتوني به يعني بيوسف استخلصه لنفسي
اي اجعله خالصا لنفسي والاستخلاص طلب خلوص الشي من جميع شوايب الاشتراك وانما
طلب الملك ان يستخلص يوسف لنفسه لان عادة الملوك ان ينفردوا بالاشيا النفيسة
العزيزة ولا يشاركهم فيها احد من الناس وانما قال الملك ذلك لما عظم اعتقاده في يوسف
لما علم من غزارة علم يوسف وحسن صبره في السجن واحسانه الى اهل السجن وحسن ادبه
وثباته عند المحن كلها فلهذا حسن اعتقاد الملك فيه واذا اراد الله تعالى امرا هيا اسبابه
فالهم الملك ذلك فقال ايتوني به استخلصه لنفسي فلما كلمه فيه اختصار تقديره فلما جا
الرسول الى يوسف فقال له اجب الملك الان بلا معاودة روي ان يوسف لما قام ليخرج من
السجن دعا لاهله فقال اللهم اعطف عليهم قلوب الاخيار ولا تعم عليهم الاخبار فهم
اعلم الناس بالاخبار في كل بلد فلما خرج من السجن كتب على بابه هذا بيت البلوى وقبر
الاحيا وشماتة الاعدا وتجربة الاصدقا ثم اغتسل وتنظف من درن السجن ولبس ثيابا
حسنة ثم قصد باب الملك قال وهب فلما وقف بباب الملك قال حسبي ربي من دنياي
وحسبي ربي من خلقه عز جارك وجل ثناوك ولا اله غيرك ثم دخل الدار فلما ابصر الملك
قال اللهم اني اسالك بخيرك من خيره واعوذ بك من شره وشر غيره فلما نظر اليه الملك سلم يوسف
عليه بالعربية فقال له الملك ما هذا اللسان قال لسان عمي اسمعيل ثم دعا له بالعبرانية
فقال له وما هذا اللسان ايضا قال يوسف هذا لسان ابائي قال وهب كان الملك يتكلم
بسبعين لغة فلم يعرف هذين اللسانين وكان الملك كلما كلمه بلسان اجابه يوسف وزاد عليه
العربية والعبرانية فلما راى الملك ذلك منه اعجبه ما راى مع حداثة سن يوسف وكان له من العمر
يوميذ ثلاثون سنة فاجلسه الى جنبه فذلك قوله تعالى فلما كلمه يعني فلما كلم الملك يوسف
لان مجالس الملوك لا يحسن لاحد ان يبدا بالكلام فيها وانما يبدا الملك بالكلام وقيل معناه فلما
كلم يوسف الملك قال الساقي ايها الملك هذا الذي علم تاويل رؤياك مع عجز السحرة والكهنة
عنها فاقبل عليه الملك وقال انك اليوم لدينا مكين امين يقال اتخذ فلان عند فلان مكانة اي
منزلة وهي الحالة التي يتمكن بها صاحبها مما يريد وقيل المكانة المنزلة والجاه والمعنى قد عرفت
امانتك ومنزلتك وصدقك وبراتك مما نسب اليك وقوله مكين امين كلمة جامعة لكل ما يحتاج

اليه من الفضايل والمناقب في امر الدين والدنيا روي ان الملك قال ليوسف عليه السلام احب
ان اسمع تاويل روياي منك شفاها فقال نعم ايها الملك رايت سبع بقرات سمان شهب غر
حسان كشف لك عنهن النيل فطلعن عليك من شاطيه تشخب اخلافهن لبنا فبينا انت تنظر
اليهن وقد اعجبك حسنهن اذ نضب النيل فغار ماوه وبدا يبسه فخرج من حماته سبع بقرات
عجاف شعث غبر متقلصات البطون ليس لهن ضروع ولا اخلاف ولهن انياب واضراس واكف كاكف
الكلاليب وخراطيم كخراطيم السباع فافترسن السمان افتراس السبع فاكلن لحومهن ومزقن
جلودهن وحطمن عظامهن ومششن مخهن فبينا انت تنظر وتتعجب اذا سبع سنبلات خضر
وسبع اخر سود يابسات في منبت واحد عروقهن في الثرى والما فبينا انت تقول في نفسك
اي شي هذا هولا خضر مثمرات وهولا سود يابسات والمنبت واحد اصولهن في الما اذ هبت
ريح فذرت اوراق اليابسات السود على الخضر المثمرات فاشعلت فيهن النار فاحرقتهن فصرن
سودا فهذا ما رايت ثم انتبهت مذعورا فقال الملك والله ما اخطات منها شيا فما شان هذه
الرويا وان كانت عجبا فما هي باعجب مما سمعت منك وما ترى في تاويل روياي ايها الصديق
قال يوسف عليه السلام ارى ان تجمع الطعام وتزرع زرعا كثيرا في هذه السنين المخصبة وتجعل
ما يحصل من ذلك الطعام في الخزاين بقصبه وسنبله فانه ابقى له ويكون ذلك القصب والسنبل علفا
للدواب وتامر الناس فيرفعوا الخمس من زرعهم ايضا فيكفيك ذلك الطعام الذي جمعته لاهل مصر
ومن حولها ويايتك الخلق من ساير النواحي للميرة ويجتمع عندك من الكنوز والاموال ما لم يجتمع لاحد
قبلك فقال الملك ومن لي بهذا ومن يجمعه ويبيعه لي ويكفيني العمل فيه فعند ذلك قال يعني يوسف
اجعلني على خزاين الارض يعني على خزاين الطعام والاموال واراد بالارض مصر اي اجعلني على
خزاين ارضك التي تحت يدك وقال الربيع بن انس اجعلني على خزاين خراج مصر ودخلها اني
حفيظ عليم اي حفيظ للخزاين عليم بوجوه مصالحها وقيل معناه اني حاسب كاتب وقيل
اني حفيظ لما استودعتني عليم بما وليتني وقيل حفيظ للحساب عليم اعلم لغة من ياتيني
وقال الكلبي حفيظ بتقديره في السنين المخصبة للسنين الجدبة عليم بوقت الجوع حين
يقع فعند ذلك قال الملك ومن احق به لك منك وولاه ذلك روى البغوي باسناد الثعلبي
عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يرحم الله اخي يوسف لو لم يقل اجعلني
على خزاين الارض لاستعمله من ساعته ولكنه اخر ذلك سنة فان قلت كيف طلب يوسف
عليه السلام الامارة والولاية مع ما ورد من كراهية طلبها صح من حديث عبد الرحمن بن سمرة
قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم يا عبد الرحمن لا تسال الامارة فانك اذا اوتيتها عن مسيلة
وكلت اليها وان اعطيتها عن غير مسيلة اعنت عليها اخرجاه في الصحيحين قلت انما يكره
طلب الامارة اذا لم يتعين عليه طلبها واذا تعين عليه طلبها وجب ذلك عليه ولا كراهة فيه

فاما

١٩٩

فاما يوسف عليه السلام فكان عليه طلب الامارة لانه رسول من الله والرسول اعلم بمصالح
الامة من غيره واذا كان مكلفا برعاية المصالح ولا يمكنه ذلك الا بطلب الامارة وجب عليه
طلبها وقيل انه لما علم انه سيحصل قحط وشدة اما بطريق الوحي من الله او بغيره وربما
افضى ذلك الى هلاك معظم الخلق وكان في طلب الامارة ايصال الخير والراحة الى المستحقين
وجب عليه طلب الامارة لهذا السبب فان قلت كيف مدح يوسف نفسه بقوله اني حفيظ
عليم والله تعالى يقول فلا تزكوا انفسكم قلت انما يكره تزكية النفس اذا قصد به الرجل
التطاول والتفاخر والتوصل به الى غير ما يحل فهذا القدر مذموم في تزكية النفس اما اذا
قصد بتزكية النفس ومدحها ايصال الخير والنفع الى الغير فلا يكره ذلك ولا يحرم بل يجب
عليه ذلك مثاله ان يكون بعض الناس عنده علم نافع ولا يعرف به فانه يجب عليه ان يقول
انا عالم ولما كان الملك قد علم من يوسف انه عالم بمصالح الدين ولم يعلم انه عالم بمصالح
الدنيا نبهه يوسف بقوله اني حفيظ عليم على انه عالم بما يحتاج اليه في مصالح الدنيا
ايضا مع كمال علمه بمصالح الدين قوله عز وجل وكذلك مكنا ليوسف في الارض وكذلك اشارة
الى ما تقدم يعني وكما انعمنا على يوسف بان انجيناه من الجب وخلصناه من السجن وزيناه في عين
الملك حتى قربه وادنى منزلته كذلك مكناه في الارض يعني ارض مصر ومعنى التمكين هو ان
لا ينازعه منازع فيما يراه ويختاره واليه الاشارة بقوله يتبوا منها حيث يشا لانه تفسير
للتمكين قال ابن عباس وغيره لما انقضت السنة من يوم سال يوسف الامارة دعاه الملك
فتوجه ورداه بسيفه وحلاه بخاتمه ووضع له سريرا من ذهب مكللا بالدر والياقوت
طوله ثلاثون ذراعا وعرضه عشرة اذرع ووضع له عليه ثلاثون فراشا وستون مقرمة
وضرب له عليه كلة من استبرق وامره ان يخرج فخرج متوجا لونه كالثلج ووجهه كالقمر
يرى الناظر وجهه فيه من صفا لونه فانطلق حتى جلس على ذلك السرير ودانت ليوسف
الملوك وفوض الملك الاكبر اليه ملكه وعزل قطفير عما كان عليه وجعل يوسف مكانه قال ابن
اسحاق قال ابن زيد وكان لملك مصر خزاين كثيرة فسلمها الى يوسف وسلم اليه سلطانه كله
وجعل امره وقضاه نافذا في مملكته قالوا ثم هلك قطفير عزيز مصر في تلك الليالي
فزوج الملك يوسف امراة العزيز بعد هلاكه فلما دخل يوسف عليها قال لها اليس هذا
خيرا مما كنت تريدين قالت له ايها الصديق لا تلمني فاني كنت امراة حسنا ناعمة كما ترى في
ملك ودنيا وكان صاحبي لا ياتي النسا وكنت كما جعلك الله في حسنك وهيئتك
فغلبتني نفسي وعصمك الله قالوا فوجدها يوسف عذرا فاصابها فولدت له ذكرين
افرائيم ومنشا وهما ابنا يوسف منها واستوسق ليوسف ملك مصر واقام فيهم العدل
واحبه الرجال والنسا فلما اطمان يوسف في ملكه دبر في جمع الطعام احسن التدبير فبني

للحصون والبيوت الكثيرة وجمع فيها الطعام للسنين المجدبة وانفق المال بالمعروف حتى
خلت السنون المخصبة ودخلت السنون المجدبة بهول وشدة لم ير الناس مثله وقيل انه
دبر في طعام الملك وحاشيته كل يوم مرة واحدة نصف النهار فلما دخلت سنة القحط
كان اول من اصابه الجوع الملك فجاع نصف الليل فنادى يا يوسف الجوع الجوع فقال يوسف
هذا اوان القحط فهلك في السنة الاولى من سنين القحط كلما اعدوه في السنين المخصبة
فجعل اهل مصر يبتاعون الطعام من يوسف فباعهم في السنة الاولى بالنقود حتى لم
يبق بمصر درهم ولا دينار الا اخذه منهم وباعهم في السنة الثانية بالحلي والجواهر
فلم يبق في ايدي الناس منها شي وباعهم في السنة الثالثة بالدواب والمواشي حتى
احتوى عليها كلها وباعهم في السنة الرابعة بالعبيد والجواري حتى لم يبق بايدي الناس
عبد ولا امة وباعهم في السنة الخامسة بالضياع والعقار حتى احتوى عليها كلها وباعهم
في السنة السادسة باولادهم حتى استرقهم وباعهم في السنة السابعة برقابهم حتى لم
يبق بمصر حر ولا حرة الا ملكهم فصاروا جميعهم عبيدا ليوسف عليه السلام فقال اهل مصر
ما راينا كاليوم ملكا اجل ولا اعظم من يوسف فقال يوسف للملك كيف رايت صنع
الله بي فيما خولني فما ترى في هولا فقال الملك الراي رايك ونحن لك تبع قال فاني اشهد الله
واشهدك اني قد اعتقت اهل مصر عن اخرهم ورددت عليهم اموالهم وقيل ان يوسف كان
لا يشبع من الطعام في تلك الايام فقيل له اتجوع وبيدك خزائن الارض فقال اخاف
ان شبعت ان انسى الجائع وامر يوسف طباخي الملك ان يجعلوا غداه نصف النهار واراد بذلك
ان يذوق الملك طعم الجوع فلا ينسى الجائع فمن ثم جعل الملوك غداهم نصف النهار
قال مجاهد فلم يزل يوسف يدعو الملك الى الاسلام ويتلطف به حتى اسلم الملك وكثير
من الناس فذلك قوله وكذلك مكنا ليوسف في الارض يتبوا منها حيث يشا **نصيب برحمتنا من**
نشا يعني نختص بنعمتنا وهي النبوة من نشا يعني من عبادنا **ولا نضيع اجر المحسنين** قال ابن عباس
يعني الصابرين **ولاجر الاخرة** يعني ولثواب الاخرة **خير** يعني افضل من اجر الدنيا **للذين امنوا**
وكانوا يتقون يعني يتقون ما نهى الله عنه وفيه دليل على ان الذي اعد الله ليوسف في الاخرة
من الاجر والثواب الجزيل افضل مما اعطاه الله في الدنيا من الملك قوله تعالى **وجا اخوة يوسف**
فدخلوا عليه فعرفهم وهم له منكرون قال العلما لما اشتد القحط وعظم البلا عم ذلك جميع
البلاد حتى وصل الى بلاد الشام فقصد الناس مصر من كل مكان للميرة فجعل يوسف لا يعطي
احدا اكثر من حمل بعير وان كان عظيما تقسيطا ومساواة بين الناس وتزايد بيعقوب ما نزل
بالناس من الشدة فبعث بنيه الى مصر للميرة وامسك عنده بنيامين اخا يوسف لامه وابيه
وارسل عشرة فذلك قوله تعالى وجا اخوة يوسف وكانوا عشرة وكان مسكنهم بالقريات من

ارض فلسطين بغور الشام وكانوا اهل بادية وابل وشا فدعاهم يعقوب عليه السلام وقال
بلغني ان بمصر ملكا صالحا يبيع الطعام فتجهزوا اليه واقصدوه لتشتروا منه ما تحتاجون
اليه من الطعام فخرجوا حتى قدموا مصر فدخلوا على يوسف فعرفهم قال ابن عباس ومجاهد
باول نظرة نظر اليهم عرفهم فقال الحسن لم يعرفهم حتى تعارفوا اليه وهم له منكرون
يعني لم يعرفوه قال ابن عباس كان بين ان قذفوه في الجب وبين دخولهم عليه مدة اربعين سنة
فلذلك انكروه وقال عطا انما لم يعرفوه لانه كان على سرير الملك وكان على راسه تاج الملك
وقيل لانه كان قد لبس زي ملوك مصر عليه ثياب حرير وفي عنقه طوق من ذهب وكل
واحد من هذه الاسباب مانع من حصول المعرفة فكيف وقد اجتمعت فيه وقيل ان العرفان
انما يقع في القلب بخلق الله تعالى اياه فيه وان الله لم يخلق ذلك العرفان في تلك الساعة في
قلوبهم تحقيقا لما اخبر انه ينبيهم بامرهم هذا وهم لا يشعرون فكان ذلك معجزة ليوسف
عليه السلام فلما نظر اليهم يوسف وكلموه بالعبرانية كلمهم بلسانهم فقال لهم اخبروني
من انتم وما امركم فاني قد انكرت حالكم قالوا نحن قوم من ارض الشام رعاة فقد اصابنا
من الجهد ما اصاب الناس فجينا نمتار قال يوسف لعلكم جيتم تنظرون عورة بلادي قالوا لا والله
ما نحن بجواسيس انما نحن اخوة بنو اب واحد وهو شيخ كبير صديق يقال له يعقوب نبي من
انبيا الله قال وكم انتم قالوا كنا اثني عشر فذهب اخ لنا معنا الى البرية فهلك فيها وكان
احبنا الى ابينا قال فكم انتم الان قالوا عشرة قال فاين الاخر قالوا هو عند ابينا لانه اخ
الذي هلك لامه فابونا يتسلى به قال فمن يعلم ان الذي تقولون حق قالوا ايها الملك انا ببلاد
غربة لا يعرفنا فيها احد قال فاتوني باخيكم الذي من ابيكم ان كنتم صادقين فانا ارضى بذلك
منكم قالوا ان ابانا يحزن لفراقه وسنراوده عنه قال فدعوا بعضكم عندي رهينة حتى تاتوني
به فاقترعوا فيما بينهم فاصابت القرعة شمعون وكان احسنهم رايا في يوسف فخلفوه عنده
فذلك قوله تعالى **ولما جهزهم بجهازهم** يقال جهزت القوم تجهيزا اذا تكلفت لهم جهاز سفرهم
وهو ما يحتاجون اليه في وجوههم والجهاز بفتح الجيم هي اللغة الفصيحة الجيدة وعليها
الاكثرون من اهل اللغة وكسر الجيم لغة ليست جيدة قال حمل لكل واحد منهم بعيرا من الطعام
واكرمهم بالنزول واحسن ضيافتهم واعطاهم ما يحتاجون اليه في سفرهم **قال ايتوني باخ لكم**
من ابيكم يعني الذي خلفتموه عنده وهو بنيامين **الا ترون اني اوفي الكيل** يعني اتممه ولا ابخس
منه شيا وازيدكم حمل بعير اخر اكرمكم بذلك **وانا خير المنزلين** يعني خير المضيفين لانه كان
قد احسن ضيافتهم مدة اقامتهم عنده قال الامام فخر الدين الرازي هذا الكلام يضعف
قول من يقول من المفسرين انه اتهمهم ونسبهم الى انهم عيون وجواسيس ومن يشافههم بهذا
الكلام فلا يليق به الا ترون اني اوفي الكيل وانا خير المنزلين وايضا يبعد من يوسف عليه السلام

مع كونه صديقا ان يقول لهم انتم جواسيس وعيون مع انه يعرف براتهم من هذه التهمة
لان التهمة لا يليق بالصديق ثم قال يوسف عليه السلام فان لم تاتوني به يعني باخيكم
الذي من ابيكم فلا كيل لكم عندي يعني لست اكيل لكم طعاما ولا تقربون يعني ولا ترجعون
تقربوا بلادي وهذا هو نهاية التخويف والترغيب لانهم كانوا محتاجين الى تحصيل الطعام
ولا يمكنهم تحصيله الا من عنده فاذا منعهم من العود كان قد ضيق عليهم فعند ذلك قالوا
يعني اخوة يوسف سنراود عنه اباه يعني سنجتهد ونحتال حتى ننزعه من عنده وانا لفاعلون
يعني ما امرتنا به قوله عز وجل وقال لفتيته يعني وقال يوسف لفتيته وهم غلمانه واتباعه
اجعلوا بضاعتهم في رحالهم اراد بالبضاعة ثمن الطعام الذي اعطوه ليوسف وكانت
دراهم وحكى الضحاك عن ابن عباس انها كانت النعال والادم والرحال جمع رحل وهي الاوعية
التي يحمل فيها الطعام وغيره لعلهم يعرفونها يعني يعرفون بضاعتهم اذا انقلبوا الى اهلهم
يعني اذا رجعوا الى اهلهم لعلهم يرجعون الينا واختلفوا في السبب الذي من اجله رد يوسف
عليهم بضاعتهم فقيل انهم اذا فتحوا متاعهم ووجدوا بضاعتهم قد ردت عليهم علموا
ان ذلك من كرم يوسف وسخايه فيبعثهم ذلك على الرجوع اليه سريعا وقيل انه خاف الا
يكون عند ابيه شيا اخر من المال لان الزمان كان زمان قحط وشدة وقيل انه راى ان اخذ
ثمن الطعام من ابيه واخوته لوم لشدة حاجتهم اليه وقيل اراد ان يحسن اليهم على وجه لا يلحقهم
فيه منة ولا عيب وقيل اراد ان يريهم بره وكرمه واحسانه اليهم في رد بضاعتهم ليكون ذلك
ادعى الى العود اليه وقيل انما فعل ذلك لانه علم ديانتهم وامانتهم تحملهم على رد البضاعة
اليه اذا وجدوها في رحالهم لانهم انبيا واولاد الانبيا وقيل اراد برد البضاعة اليهم ليكون
ذلك عونا لابيه واخوته على الزمان فلما رجعوا الى ابيهم قالوا يا ابانا انا قدمنا على خير رجل
انزلنا واكرمنا كرامة عظيمة لو كان رجلا من اولاد يعقوب ما اكرمنا كرامته فقال لهم يعقوب
اذا رجعتم الى ملك مصر فاقروه مني السلام وقولوا له ان ابانا يصلي عليك ويدعو لك بما اوليتنا
ثم قال لهم اين شمعون قالوا ارتهنه ملك مصر واخبروه بالقصة ثم قالوا يا ابانا منع منا الكيل
وفيه قولان احدهما انهم لما اخبروا يوسف باخيهم من ابيهم فمنعهم من ذلك حتى يحضر فقوله منع
منا الكيل اشارة اليه واراد وا بالكيل الطعام لانه يكال والقول الثاني انه سيمنع منا الكيل
في المستقبل وهو اشارة الى قول يوسف فان لم تاتوني به فلا كيل لكم عندي ولا تقربون وقال
الحسن يمنع منا الكيل ان لم نحمل معنا اخانا وهو قوله تعالى اخبارا عنهم فارسل معنا اخانا
يعني بنيامين نكتل قرئ بالياء يعني يكتل لنفسه وقرئ بالنون يعني نكتل نحن جميعا واياه
معنا وانا له لحافظون يعني حتى نرده اليك فلما قالوا ليعقوب هذه المقالة قال يعقوب
هل امنكم عليه الا كما امنتكم على اخيه من قبل يعني كيف امنكم على ولدي بنيامين وقد فعلتم

باخيه يوسف ما فعلتم وانكم ما ذكرتم مثل هذا الكلام بعينه في يوسف وضمنتم لي
حفظه وقلتم وانا له لحافظون ثم فعلتم فلما لم يحصل الامان والحفظ هناك فكيف
يحصل ها هنا ثم قال فالله خير حفظا يعني ان حفظ الله له خير من حفظكم له ففيه
التفويض الى الله تعالى والاعتماد عليه في جميع الامور وهو ارحم الراحمين وظاهر هذا
الكلام يدل على انه ارسله معهم وانما ارسله معهم وقد شاهد ما فعلوا بيوسف لانه لم
يشاهد فيما بينهم وبين بنيامين من الحقد والحسد مثل ما كان بينهم وبين يوسف وان
يعقوب شاهد منهم الخير والصلاح لما كبروا فارسله معهم وان شدة القحط وضيق الوقت
احوجه الى ذلك قوله تعالى ولما فتحوا متاعهم يعني الذي حملوه من مصر فيحتمل ان يكون المراد
به الطعام او اوعية الطعام وجدوا بضاعتهم ردت اليهم يعني انهم وجدوا في متاعهم
ثمن الطعام الذي كانوا قد اعطوه ليوسف قد رد عليهم ودس في متاعهم قالوا يا ابانا ما نبغي
يعني ماذا نبغي واي شيء نطلب وذلك انهم كانوا قد ذكروا ليعقوب احسان ملك مصر اليهم وحثوا
يعقوب على ارسال بنيامين معهم فلما فتحوا متاعهم وجدوا بضاعتهم قد ردت اليهم قالوا
اي شيء نطلب من الكلام بعد هذا العيان من الاحسان والاكرام اوفى لنا الكيل ورد علينا الثمن
ارادوا بهذا الكلام تطييب قلب ابيهم هذه بضاعتنا ردت الينا ونمير اهلنا يقال مار
اهله يميرهم ميرا اذا حمل لهم الطعام وجلبه من بلد اخر اليهم والمعنى انا نشتري لاهلنا
الطعام ونحمله اليهم ونحفظ اخانا يعني بنيامين مما نخاف عليه حتى نرده اليك ونزداد كيل بعير يعني
ونزداد لاجل اخينا على احمالنا حمل بعير من الطعام ذلك كيل يسير يعني ان ذلك الحمل الذي نزداد
من الطعام هين على الملك لانه قد احسن الينا واكرمنا باكثر من ذلك وقيل معناه ان الذي حملنا
معنا كيل يسير قليل لا يكفينا واهلنا قال يعني قال لهم يعقوب لن ارسله معكم حتى تؤتوني
موثقا من الله يعني لن ارسل معكم بنيامين حتى تؤتوني عهد الله وميثاقه والموثق العهد المؤكد
باليمين وقيل هو المؤكد باشهاد الله عليه لتأتنني به دخلت اللام هنا لاجل اليمين وتقديره
حتى تحلفوا بالله لتأتنني به الا ان يحاط بكم قال مجاهد الا ان تهلكوا جميعا فيكون عذرا لكم
عندي لان العرب تقول احيط بفلان اذا اهلك او قارب هلاكه وقال قتادة الا ان تغلبوا جميعا
فلا تقدروا على الرجوع فلما اتوه موثقهم يعني فلما اعطوه عهدهم وحلفوا له قال الله على ما نقول
وكيل يعني قال يعقوب الله شاهد على ما نقول لان الشاهد وكيل بمعنى انه موكول اليه هذا
العهد وقيل وكيل بمعنى حافظ قال كعب الاحبار لما قال يعقوب فالله خير حفظا قال الله تعالى
وعزتي لاردن كليهما بعد ما توكلت علي وفوضت امرك الي وذلك انه لما اشتد بهم الامر وضاق
عليهم الوقت وجهدوا اشد الجهد لم يجد يعقوب بدا من ارسال بنيامين معهم فارسله معهم
متوكلا على الله ومفوضا امره اليه قوله عز وجل اخبارا عن يعقوب وقال يا بني لا تدخلوا من باب

واحدوا ادخلوا من ابواب متفرقة وذلك انهم لما خرجوا من عند يعقوب قال لهم يا بني لا تدخلوا
يعني مدينة مصر من باب واحد وادخلوا من ابواب متفرقة وكان لمدينة مصر يومئذ اربعة
ابواب وقال السدي اراد الطرق لا الابواب يعني من طرق متفرقة وانما امرهم بذلك لانه خاف
عليهم العين لانهم كانوا قد اعطوا جمالا وقوة وامتداد قامة وكانوا اولاد رجل واحد
فامرهم ان يتفرقوا في دخولهم المدينة لئلا يصابوا بالعين فان العين حق وهذا قول ابن عباس
ومجاهد وقتادة وجمهور المفسرين ق عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان العين
حق رواه البخاري ونهى عن الوشم م عن ابن عباس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال العين حق
ولو كان شي سابق القدر لسبقته العين واذا استغسلتم فاغسلوا عن عايشة قالت كان يومر
العاين فيتوضا ثم يغتسل منه المعين اخرجه ابو داود وقال الشيخ محيي الدين النواوي رحمه
الله قال المازري اخذ جماهير العلما بظاهر هذا الحديث وقالوا العين حق وانكره طوايف
من المبتدعة والدليل على فساد قولهم ان كل معنى ليس مخالفا في نفسه ولا يودي الى قلب حقيقة
ولا افساد دليل فانه من مجوزات العقول واذا اخبر الشرع بوقوعه وجب اعتقاده ولا يجوز
تكذيبه وانكاره وهل من فرق بين تكذيبهم بهذا وتكذيبهم بما يخبر به من امور الاخرة
قال وقد زعم بعض الطبايعيين المثبتين للعين ان العين ينبعث من عينه قوة سمية
تتصل بالمعين فيهلك او يفسد قالوا ولا يمتنع هذا كما لا يمتنع انبعاث قوة سمية من
الافعى والعقرب تتصل باللديغ فيهلك وان كان غير محسوس لنا فكذا العين قال المازري
وهذا غير مسلم لانا بينا في كتب علم الكلام ان لا فاعل الا الله تعالى وبينا فساد القول بالطبايع
وبينا ان المحدث لا يفعل في غيره شيا فاذا تقرر هذا بطل ما قالوه ثم نقول هذا المنبعث
من العين اما جوهر واما عرض فباطل ان يكون عرضا لانه لا يقبل الانتقال وباطل ان يكون
جوهرا لان الجواهر متجانسة فليس بعضها بان يكون مفسدا لبعضها باولى من عكسه فيبطل ما قالوه
واقرب طريقة قالها من ينتحل الاسلام منهم ان قالوا لا يبعد ان تنبعث جواهر لطيفة غير
مرئية من عين العاين فتتصل بالمعين فتتخلل مسام جسمه فيخلق الله عز وجل الهلاك عندها
كما يخلق الهلاك عند شرب السموم عادة اجراها الله تعالى عز وجل وليست ضرورة ولا طبيعة الجا
العقل اليها قال ومذهب اهل السنة ان المعين انما يفسد ويهلك عند نظر العاين بفعل الله
تعالى اجرى الله تعالى العادة ان يخلق الضرر عند مقابلة هذا الشخص لشخص اخر وهل ثم جواهر
ام لا فهذا من مجوزات العقول لا نقطع فيه بواحد من الامرين وانما نقطع بنفي الفعل عنها
واضافته الى الله تعالى فمن قطع من اطبا الاسلام بانبعاث الجواهر فقد اخطا في قطعه وانما
هو من الجايزات هذا ما يتعلق بعلم الاصول واما ما يتعلق بعلم الفقه فان الشرع قد ورد بالوضو
لهذا الامر في حديث سهل بن حنيف لما اصيب بالعين عند اغتساله رواه مالك في الموطا واما

صفة وضوء العاين فمذكور في كتب شروح الحديث ومعروف عند العلما فيطلب من هناك
فليس هذا موضعه والله اعلم وقال وهب بن منبه في قوله لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا
من ابواب متفرقة انه خاف ان يغتالوا لما ظهر لهم في ارض مصر من التهمة حكاه ابن الجوزي
عنه وقيل ان يعقوب عليه السلام كان قد علم ان ملك مصر هو ولده يوسف الا ان الله لم
ياذن له في اظهار ذلك فلما بعث ابناه اليه قال لهم لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا من
ابواب متفرقة وكان غرضه ان يصل بنيامين الى اخيه يوسف في وقت الخلوة قبل اخوته
والقول الاول اصح انه خاف عليهم من العين ثم رجع الى علمه وفوض امره الى الله بقوله وما اغني
عنكم من الله من شي يعني ان كان الله قد قضى عليكم بعضا فهو يصيبكم مجتمعين كنتم او متفرقين
فان المقدور كاين ولا ينفع حذر من قدر ان الحكم الا لله يعني وما الحكم الا لله وحده لا شريك
له فيه وهذا تفويض من يعقوب في اموره كلها الى الله تعالى عليه توكلت يعني على الله اعتمدت في
اموري كلها لا على غيره وعليه فليتوكل المتوكلون ولما دخلوا من حيث امرهم ابوهم يعني من الابواب
المتفرقة وكان لمدينة مصر وقيل هي مدينة الفرما اربعة ابواب فدخلوا من ابوابها كلها ما كان
يغني عنهم من الله من شي الا حاجة في نفس يعقوب قضاها هذا الاستثنا منقطع ليس من الاول
في شي معناه لكن حاجة في نفس يعقوب قضاها وهو انه اشفق عليهم اشفاق الابا على الابنا
وذلك انه خاف عليهم من العين او خاف عليهم حسد اهل مصر او خاف ان لا يردوا عليه
فاشفق من هذا كله او بعضه وانه يعني يعقوب لذو علم يعني صاحب علم لما علمناه يعني
لتعليمنا اياه ذلك العلم وقيل معناه وانه لذو علم للشي الذي علمناه والمعنى انا لما علمناه
الاشيا حصل له العلم بتلك الاشيا وقيل وانه لذو حفظ لما علمناه وقيل انه كان يعمل
ما يعمل عن علم لا عن جهل وقيل انه لعامل بما علمناه قال سفيان من لا يعمل بما يعلم لا يكون
عالما ولكن اكثر الناس لا يعلمون يعني لا يعلمون ما كان يعلم يعقوب لانهم لا يسلكوا طريق اصابة
العلم وقال ابن عباس لا يعلم المشركون ما الهم الله اولياه قوله تعالى ولما دخلوا على يوسف
اوى اليه اخاه قال المفسرون لما دخل اخوة يوسف على يوسف قالوا ايها الملك هذا اخونا
الذي امرتنا ان ناتيك به فقد جيناك به فقال لهم احسنتم واصبتم وستجدون ذلك عندي ثم
انزلهم واكرم نزلهم ثم انه اضافهم واجلس كل اثنين على مايدة فبقي بنيامين وحده فبكى وقال
لو كان اخي يوسف حيا لاجلسني معه فقال لهم يوسف لقد بقي هذا وحده فقالوا كان له اخ فهلك
قال لهم فانا اجلسه معي فاخذه فاجلسه معه على مايدته وجعل يواكله فلما كان الليل امرهم
بمثل ذلك وقال كل اثنين منكم يناما على فراش واحد فبقي بنيامين وحده فقال يوسف هذا
ينام عندي على فراشي فنام بنيامين مع يوسف على فراشه فجعل يوسف يضمه اليه ويشم ريحه
حتى اصبح فلما اصبح قال لهم اني ارى هذا الرجل وحيدا ليس معه ثاني فسا ضمه الي فيكون معي في منزلي

ثم انه انزلهم واجرى عليهم الطعام فقال روبيل ما رابنا مثل هذا فذلك قوله اوى اليه اخاه يعني
ضمه اليه وانزله معه في منزله فلما خلا به قال له يوسف ما اسمك قال بنيامين قال وما بنيامين
قال ابن الشكل وذلك انه لما ولدته امه هلكت قال وما اسم امك قال راحيل قال فهل لك من ولد
قال عشرة بنين قال فهل لك من اخ لامك قال كان لي اخ فهلك قال يوسف تحب ان اكون اخاك
بدل اخيك الهالك قال بنيامين ومن يجد اخا مثلك ايها الملك ولكن لم يلدك يعقوب و لا
راحيل فبكى يوسف عليه السلام وقام اليه وعانقه وقال له اني انا اخوك يعني يوسف فلا تبتئس
يعني لا تحزن وقال اهل اللغة تبتئس تفتعل من البوس وهو الضرر والشدة والابتياس اجتلاب
الحزن والبوس بما كانوا يعملون يعني فلا تحزن بشي فعلوه بنا فيما مضى فان الله قد احسن الينا
ونجانا من الهلاك وجمع بيننا وقيل ان يوسف صفح عن اخوته وصفا لهم فاراد ان يجعل قلب
اخيه بنيامين مثل قلبه صافيا عليهم ثم قال يوسف لاخيه بنيامين لا تعلم اخوتك بشي
مما اعلمتك به ثم انه اوفى لاخوته الكيل وزاد لكل واحد حمل بعير ولبنيامين حمل بعير باسمه
ثم امر بسقاية الملك فجعلت في رحل اخيه بنيامين قال السدي وهو لا يشعر وقال كعب لما
قال له يوسف اني انا اخوك قال بنيامين انا لا افارقك فقال يوسف قد علمت اغتمام والدي
واذا حبستك عندي ازداد غمه ولا يمكنني هذا الا بعد ان اشهرك بامر فظيع وانسبك الى ما
لا يجمل قال لا ابالي فافعل ما بدا لك فاني لا افارقك قال فاني ادس صاعي في رحلك ثم انادي
عليكم بالسرقة ليتهيا لي ردك بعد تسريحك قال فافعل ما شيت فذلك قوله عز وجل فلما جهزهم
بجهازهم جعل السقاية في رحل اخيه وهي المشربة التي كان الملك يشرب فيها قال ابن عباس كانت
من زبرجد وقال ابن اسحاق كانت من فضة وقيل من ذهب وقال عكرمة كانت مشربة من فضة
مرصعة بالجوهر جعلها يوسف مكيالا لئلا يكال بغيرها وكان يشرب فيها والسقاية والصواع
اسم لانا واحد جعلت في وعا طعام اخيه بنيامين ثم ارتحلوا راجعين الى بلادهم فامهلهم
يوسف حتى انطلقوا وذهبوا منزلا وقيل حتى خرجوا من العمارة ثم ارسل خلفهم من استوقفهم
وحبسهم ثم اذن موذن يعني نادى مناد واعلم معلم والاذان في اللغة الاعلام ايتها العير وهي
القافلة التي فيها الاحمال قال مجاهد العير الحمير وقال ابو الهيثم كل ما سير عليه من الابل والحمير
والبغال فهي عير وقول من قال انها الابل خاصة باطل وقيل العير الابل التي عليها الاحمال
سميت بذلك لانها تعير اي تذهب وتجي وقيل هي قافلة الحمير ثم كثر ذلك في الاستعمال حتى
قيل لكل قافلة عير فقوله ايتها العير اراد اصحاب العير انكم لسارقون فقفوا والسرقة اخذ
ما ليس له اخذه في خفا فان قلت هل كان هذا النداء بامر يوسف ام لا فان كان بامره فكيف
يليق بيوسف مع علو منصبه وشريف رتبته من النبوة والرسالة ان يتهم قوما وينسبهم الى
السرقة كذبا مع علمه ببراتهم من ذلك وان كان ذلك النداء بغير امره فهلا اظهر براتهم عن تلك التهمة

التي

التي نسبوا اليها قلت ذكر العلما عن هذا السوال اجوبة احدها ان يوسف لما اظهر لاخيه
انه اخاه قال لست افارقك قال لا سبيل الى ذلك الا بتدبير حيلة انسبك فيها الى ما لا يليق
فقال رضيت بذلك فعلى هذا التقدير لم يتالم قلبه بسبب هذا الكلام بل قد رضي به فلا يكون
ذنبا الثاني ان يكون المعنى انكم لسارقون يوسف من ابيه الا انهم ما اظهروا هذا الكلام فهو
من المعاريض وفي المعاريض مندوحة عن الكذب الثالث يحتمل ان يكون المنادي ربما قال
ذلك الندا على سبيل الاستفهام وعلى هذا التقدير لا يكون كذبا الرابع ليس في القران
ما يدل على انهم قالوا ذلك بامر يوسف وهو الاقرب الى ظاهر الحال لانهم لما طلبوا السقاية
فلم يجدوها ولم يكن هناك احد غيرهم غلب على ظنهم انهم هم الذين اخذوها فقالوا ذلك
بنا على غلبة ظنهم قالوا واقبلوا عليهم ماذا تفقدون قال اصحاب الاخبار لما وصل الرسل
الى اخوة يوسف قالوا لهم الم نكرمكم ونحسن ضيافتكم ونوف لكم الكيل ونفعل بكم ما لم
نفعل بغيركم قالوا بلى وما ذاك قالوا فقدنا سقاية الملك ولا نتهم عليها غيركم فذلك قوله
قالوا واقبلوا عليهم اي عطفوا على الموذن واصحابه ماذا اي ما الذي تفقدون والفقدان
ضد الوجود قالوا يعني الموذن واصحابه نفقد صواع الملك الصاع الانا الذي يكال به وجمعه
اصوع والصواع لغة فيه وجمعه صيعان ولمن جا به يعني بالصواع حمل بعير يعني من الطعام
وانا به زعيم اي كفيل قال الكلبي الزعيم هو الكفيل بلسان اهل اليمن وهذه الاية تدل
على ان الكفالة كانت صحيحة في شرعهم وقد حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله الحميل
غارم والحميل الكفيل فان قلت كيف تصح هذه الكفالة مع ان السارق لا يستحق شيا قلت لم
يكونوا سراقا في الحقيقة فيحمل ذلك على مثل رد الضايع فيكون جعالة او لعل مثل هذه
الكفالة كانت جايزة عندهم في ذلك الزمان فيحمل عليه قالوا يعني اخوة يوسف تالله
التا بدل من الله ولا تدخل الا على اسم الله في اليمين خاصة تقديره والله لقد علمتم ما جينا
لنفسد في الارض وما كنا سارقين قال المفسرون ان اخوة يوسف حلفوا على امرين احدهما
انهم ما جاوا لاجل الفساد في الارض والثاني انهم ما جاوا سارقين وانما قالوا هذه المقالة
لانه كان قد ظهر من احوالهم ما يدل على صدقهم وهو انهم كانوا مواظبين على انواع الخير
والطاعة والبر حتى بلغ من امرهم انهم سدوا افواه دوابهم لا تؤذي زروع الناس ومن كان
هذه صفته فالفساد في حقه ممتنع واما الثاني وهو انهم ما كانوا سارقين لانهم كانوا
قد ردوا البضاعة التي وجدوها في رحالهم ولم يستحلوا اخذها ومن كان هذه صفته فليس
بسارق فلاجل ذلك قالوا لقد علمتم ما جينا لنفسد في الارض وما كنا سارقين فلما تبين براتهم
من هذه التهمة قالوا يعني اصحاب يوسف وهو المنادي واصحابه فما جزاوه ان كنتم كاذبين
يعني فما جزا السارق ان كنتم كاذبين في قولكم ما جينا لنفسد في الارض وما كنا سارقين قالوا

يعني اخوة يوسف **جزاوه من وجد في رحله** يعني جزا السارق الذي وجد في رحله ان يسلم
برقبته الى المسروق منه فيسترقه سنة وكان ذلك سنة ال يعقوب في حكم السارق وكان
في حكم ملك مصر ان يضرب السارق ويغرم ضعفي قيمة المسروق وكان هذا في شرعهم في ذلك الزمان
يجري مجرى القطع في شرعنا فاراد يوسف ان ياخذ بحكم ابيه في السارق فلذلك رد الحكم اليهم
والمعنى ان جزا السارق ان يستعبد سنة جزا له على جرمه وسرقته **فهو جزاوه** يعني هذا
الجزا جزاوه **كذلك نجزي الظالمين** يعني مثل هذا الجزا وهو ان يسترق السارق سنة نجزي
الظالمين ثم قيل هذا الكلام من بقية اخوة يوسف وقيل هو من كلام اصحاب يوسف
فعلى هذا ان اخوة يوسف لما قالوا جزا السارق ان يسترق سنة قال اصحاب يوسف كذلك
نجزي الظالمين يعني السارقين فقوله عز وجل **فبدا باوعيتهم قبل وعا اخيه** قال اهل التفسير
ان اخوة يوسف لما اقروا ان جزا السارق ان يسترق سنة قال اصحاب يوسف لا بد من تفتيش
رحالهم فردوهم الى يوسف فامر بتفتيشها بين يديه فبدا بتفتيش اوعيتهم قبل وعا
اخيه لازالة التهمة فجعل يفتش اوعيتهم واحدا واحدا قال قتادة ذكر لنا انه كان لا يفتح
متاعا ولا ينظر في وعا الا استغفر الله تائبا مما قذفهم به حتى لم يبق الا رحل بنيامين فقال
ما اظن ان هذا اخذ شيا قال اخوته والله لا نترك حتى تنظر في رحله فانه اطيب لنفسك
وانفسنا فلما فتحوا متاعه وجدوا الصواع فيه فذلك قوله **ثم استخرجها من وعا اخيه** انما انث
الكناية لانه ردها الى السقاية وقيل ان الصواع يونث ويذكر فلما اخرج الصواع من رحل
بنيامين نكس اخوته روسهم من الحيا واقبلوا على بنيامين يلومونه ويقولون له ايش الذي
صنعت بنا فضحتنا وسودت وجوهنا يا بني راحيل ما زال لنا منكم بلا متى اخذت هذا
الصواع فقال بنيامين بل بنوا راحيل ما زال لهم منكم بلا ذهبتم باخي فاهلكتموه في البرية ان
ان الذي وضع هذا الصواع في رحلي هو الذي وضع البضاعة في رحالكم فالوا فاخذ بنيامين
رقيقا وقيل ان المنادي واصحابه هم الذين تولوا تفتيش رحالهم وهم الذين استخرجوا الصواع
من رحل بنيامين فاخذوه برقبته وردوه الى يوسف **كذلك كدنا ليوسف** يعني ومثل ذلك الكيد
كدنا ليوسف وهو اشارة الى الحكم باسترقاق السارق اي مثل ذلك الحكم الذي ذكره اخوة
يوسف حكمنا به ليوسف ولفظ الكيد مستعار للحيلة والخديعة وهذا في حق الله عز وجل
محال فيجب تاويل هذه اللفظة بما يليق بجلال الله سبحانه وتعالى فنقول الكيد هنا جزا
الكيد يعني كما فعلوا بيوسف في الابتدا فعلنا بهم فالكيد من الخلق الحيلة ومن الله التدبير
بالحق والمعنى كما الهمنا اخوة يوسف بان حكموا ان جزا السارق ان يسترق كذلك الهمنا يوسف
حتى دس الصواع في رحل اخيه ليضمه اليه على ما حكم به اخوته وقال ابن الاعرابي الكيد
التدبير بالباطل وبحق فعلى هذا يكون المعنى كذلك دبرنا ليوسف وقيل صنعنا ليوسف وقال

ابن الانباري كدنا وقع خبرا عن الله عز وجل على خلاف معناه في اوصاف المخلوقين فانه اذا
اخبر به عن مخلوق كان تحته احتيال وهو في موضع فعل معرى عن المعاني المذمومة ويخلص انه
وقع بمن يكيده تدبير ما يريده به من حيث لا يشعر ولا يقدر على دفعه فهو من الله مشيته
بالذي يكون من المخلوق من اجل ان المخلوق اذا كاد المخلوق ستر عنه ما ينويه ويضمره له والذي
يقع به الكيد من الله تعالى فهو ستر ما ختم الله عاقبته به والذي وقع باخوة يوسف
من كيد الله هو ما انتهى اليه شان يوسف من ارتفاع المنزلة وتمام النعمة بحيث جرى الامر
على غير ما قدروا من اهلاكه وخلوص ابيهم لهم بعده وكل ذلك بتدبير الله تعالى وخفي لطفه
سماه كيدا لما يشبه من كيد المخلوقين فعلى هذا كيد الله عز وجل ليوسف عايد الى جميع
ما اعطاه وانعم به عليه على خلاف تدبير اخوته من غير ان يشعروا بذلك وقوله تعالى
ما كان لياخذ اخاه في دين الملك يعني في حكم الملك وقضايه لانه كان في حكم الملك ان السارق
يضرب ويغرم ضعفي قيمة المسروق فلم يكن يتمكن يوسف من حبس اخيه عنده في حكم الملك
فالله تعالى الهم يوسف ما دبره حتى وجد السبيل الى ذلك **الا ان يشا الله** يعني ان ذلك
الامر كان بمشية الله وتدبيره لان ذلك كله كان الهاما من الله ليوسف واخوته حتى جرى
الامر على وفق المراد **نرفع درجات من نشا** يعني بالعلم كما رفعنا درجة يوسف على اخوته وفي
هذه الاية دليل على ان العلم اشرف المقامات واعلى الدرجات لان الله تعالى مدح يوسف
ورفع درجته على اخوته بالعلم وبما الهمه من وجه الهداية والصواب في الامور كلها **وفوق
كل ذي علم عليم** قال ابن عباس فوق كل عالم عالم الى ان ينتهي العلم الى الله فان الله تعالى فوق كل
عالم لانه هو الغني بعلمه عن التعليم وفي الاية دليل على ان اخوة يوسف كانوا علما وكان يوسف
اعلم منهم قال ابن الانباري يجب ان يتهم العالم نفسه ويستشعر التواضع لربه تعالى ولا يطمع
نفسه في الغلبة على العلوم لانه لا يخلو عالم من عالم فوقه قوله تعالى **قالوا** يعني اخوة يوسف
ان يسرق يعني بنيامين الصواع **فقد سرق اخ له من قبل** يعني يوسف وظاهر الاية يقتضي
ان اخوة يوسف قالوا للملك ان هذا الامر ليس بغريب منه فان اخاه الذي هلك كان
سارقا ايضا وكان غرضهم من هذا الكلام انا لسنا على طريقته ولا على سيرته بل هذا
واخوه كانا على هذه الطريقة وهذه السيرة لانهما من ام اخرى غير امنا واختلفوا في السرقة
التي نسبوها الى يوسف عليه السلام فقال سعيد بن جبير وقتادة كان لجده ابي امه صنم وكان
يعبده فاخذه يوسف سرا وكسره والقاه في الطريق لئلا يعبده وقال مجاهد ان يوسف
جاه سايل يوما فاخذ بيضة من البيت فناولها السايل وقال سفيان بن عيينة اخذ
دجاجة من الطير التي كانت في بيت يعقوب فاعطاها سايلا وقال وهب كان يخبا
الطعام من المايدة للفقرا وذكر محمد بن اسحاق ان يوسف كان عند عمته ابنة اسحاق بعد موت امه

راحيل فحضنته عمته واحبته حبا شديدا فلما ترعرع وكبر وقعت محبة يعقوب عليه فاتيها فقال لاخته يا اختاه سلمي الي يوسف فوالله ما اقدر علي ان يغيب عني ساعة واحدة فقالت لا اعطيكه فقال والله ما انا بتاركه عندك فقالت دعه عندي اياما انظر اليه لعل ذلك يسليني عنه ففعل ذلك فعمدت الى منطقة كانت لاسحاق وكانوا يتوارثونها بالكبر وكانت لاكبر اولاد اسحاق فكانت عندها فشدت المنطقة علي وسط يوسف تحت ثيابه وهو صغير لا يشعر ثم قالت لقد فقدت منطقة اسحاق ففتشوا اهل البيت فوجدوها مع يوسف فقالت انه لسلم لي يعني يوسف فقال يعقوب ان كان قد فعل ذلك فهو سلم لك فامسكته عندها حتى ماتت فلذلك قال اخوة يوسف ان يسرق فقد سرق اخ له من قبل يعنون هذه السرقة قال ابن الانباري وليس في هذه الافعال كلها ما يوجب السرقة ولكنها تشبه السرقة فعيروه بها عند الغضب فاسرها يوسف في نفسه ولم يبدها لهم في هذه الكناية ثلاثة اقوال احدها ان الضمير يرجع الى الكلمة التي بعدها وهي قوله تعالى قال يعني يوسف انتم شر مكانا روى هذا المعنى العوفي عن ابن عباس والثاني ان الضمير يرجع الي الكلمة التي قالوها في حقه وهي قولهم فقد سرق اخ له من قبل وهذا معنى قول ابي صالح عن ابن عباس فعلى هذا القول يكون المعنى فاسر يوسف جواب الكلمة التي قالوها في حقه ولم يجبهم عليها والثالث ان الضمير يرجع الى الحجة فيكون المعنى على هذا القول فاسر يوسف الاحتجاج عليهم في ادعائهم عليه السرقة ولم يبدها لهم قال انتم شر مكانا يعني منزلة عند الله ممن رميتموه بالسرقة لانه لم يكن من يوسف سرقة في الحقيقة وخيانتكم حقيقة والله اعلم بما تصفون يعني بحقيقة ما تقولون قوله عز وجل قالوا يعني اخوة يوسف يا ايها العزيز يخاطبون بذلك الملك ان له ابا شيخا كبيرا قال اصحاب الاخبار والسير ان يوسف عليه السلام لما استخرج الصواع من رحل بنيامين نقره وادناه الى اذنه ثم قال ان صواعي هذا يخبرني انكم اثنا عشر رجلا لاب واحد وانكم انطلقتم باخ لكم من ابيكم فبعتموه قال بنيامين ايها الملك سل صواعك من جعله في رحلي فنقره ثم قال ان صواعي غضبان وهو يقول كيف تسالني عن صاحبي وقد رايت مع من كنت قالوا فغضب روبيل لذلك وكان بنو يعقوب اذا غضبوا لم يطاقوا وكان روبيل اذا غضب لم يقم لغضبه شي وكان اذا صاح الفت كل حامل حملها اذا سمعت صوته وكان مع هذا اذا مسه احد من ولد يعقوب يسكن غضبه وكان اقوى الاخوة واشدهم وقيل كان هذا صفة شمعون بن يعقوب وقيل انه قال لاخوته كم عدد الاسواق بمصر قالوا عشرة قال اكفوني انتم الاسواق وانا اكفيكم الملك او اكفوني انتم الملك وانا اكفيكم الاسواق فدخلوا على يوسف فقال روبيل ايها الملك لتردن علينا اخانا او لاصيحن صيحة لا يبقى بمصر امراة حامل الا وضعت ولدها

وقامت كل شعرة من جسد روبيل حتى خرجت من ثيابه فقال يوسف لابن له صغير قم الى جنب هذا فمسه او خذ بيده فاتي به فلما مسه سكن غضبه فقال لاخوته من مسني منكم قالوا لم يصبك منا احد فقال روبيل ان هنا بذرا من بذر يعقوب وقيل انه غضب ثانيا فقام اليه يوسف فركله برجله واخذ بتلابيبه فوقع على الارض وقال انتم يا معشر العبرانيين تزعمون ان لا احد اشد منكم فلما راوا ما نزل بهم وراوا ان لا سبيل الى تخليصه خضعوا وذلوا وقالوا يا ايها العزيز ان له ابا شيخا كبيرا يعني في السن ويحتمل ان يكون كبيرا في القدر لانه نبي ومن اولاد الانبيا فخذ احدنا مكانه يعني بدلا منه لانه يحبه ويتسلى به عن اخيه الهالك انا نراك من المحسنين يعني في افعالك كلها وقيل من المحسنين الينا في توفية الكيل وحسن الضيافة ورد البضاعة الينا وقيل ان رددت بنيامين الينا واخذت احدنا مكانه كنت من المحسنين قال معاذ الله يعني قال يوسف اعوذ بالله معاذا ان ناخذ الا من وجدنا متاعنا عنده لم يقل من سرق تحرزا من الكذب لانه يعلم ان اخاه ليس بسارق انا اذا لظالمون يعني ان اخذت بريئا بمذنب فان قلت كيف استجاز يوسف ان يعمل مثل هذه الاعمال بابيه ولم يخبره بمكانه وحبس اخاه ايضا عنده مع علمه بشدة وجد ابيه عليه ففيه ما فيه من العقوق وقطيعة الرحم وقلة الشفقة وكيف يجوز ليوسف مع علو منصبه من النبوة والرسالة ان يزور على اخوته ويروج عليهم مثل هذا مع ما فيه من الايذا لهم فكيف يليق به هذا كله قلت قد ذكر العلما عن هذا السوال اجوبة كثيرة احسنها واصحها انه انما فعل ذلك بامر الله تعالى له لا عن امره وانما امره الله بذلك ليزيد بلا يعقوب فيضاعف له الاجر على البلا ويلحقه بدرجة ابايه الماضين ولله تعالى اسرار لا يعلمها احد من خلقه فهو المتصرف في خلقه بما يشا فهو الذي اخفى خبر يوسف عن يعقوب في طول هذه المدة مع قرب المسافة لما يريد ان يدبره فيهم والله اعلم باحوال عباده قوله عز وجل فلما استياسوا منه يعني ايسوا من يوسف ان يجيبهم الى ما سالوه وقيل ايسوا من اخيهم ان يرده عليهم وقال ابو عبيدة اي استيقنوا ان الاخ لا يرد اليهم خلصوا نجيا يعني خلا بعضهم ببعض يتناجون ويتشاورون ليس فيهم غيرهم قال كبيرهم يعني في العقل والعلم لا في السن قال ابن عباس والكلبي هو يهوذا وكان اعقلهم وقال مجاهد هو شمعون وكانت له الرياسة على اخوته وقال قتادة والسدي والضحاك هو روبيل وكان اكبرهم سنا واحسنهم رايا في يوسف لانه نهاهم عن قتله الم تعلموا ان اباكم قد اخذ عليكم موثقا من الله يعني عهدا من الله ومن قبل ما فرطتم في يوسف يعني قصرتم في امر يوسف حتى صنعتموه فلن ابرح الارض يعني الارض التي انا فيها وهي ارض مصر والمعنى فلن اخرج من ارض مصر ولا

افارقها على هذه الصورة حتى ياذن لي ابي يعني في الخروج من ارض مصر فيدعوني اليه او يحكم
الله لي يعني برد اخي علي ويخرج معكم او نتركه او يحكم الله لي بالسيف فاقاتلهم حتى استرد
اخي وهو خير الحاكمين لانه يحكم بالحق والعدل والانصاف والمراد من هذا الكلام الالتجا الى
الله تعالى في اقامة عذره عند والده يعقوب عليه السلام ارجعوا الى ابيكم يعني يقول الاخ
الكبير الذي عزم على الاقامة بمصر لاخوته الباقين ارجعوا الى ابيكم يعقوب فقولوا يا ابانا
ان ابنك سرق انما قالوا هذه المقالة ونسبوه الى السرقة لانهم شاهدوا الصواع وقد اخرج
من متاع بنيامين فغلب على ظنهم انه سرق فلذلك نسبوه الى السرقة في ظاهر الامر لا في حقيقة
الحال ويدل على انهم لم يقطعوا عليه بالسرقة قولهم وما شهدنا الا بما علمنا يعني لم نقل ذلك
الا بعد ان راينا اخراج الصاع من متاعه وقيل معناه ما كانت منا شهادة في عمرنا على شي الا
بما علمناه وهذه ليست بشهادة انما هو خبر عن صنيع ابنك انه سرق بزعمهم فيكون المعنى
ان ابنك سرق في زعم الملك واصحابه لا انا نشهد عليه بالسرقة وقرا ابن عباس والضحاك
سُرِّق بضم السين وكسر الرا وتشديدها اي نسب الى السرقة واتهم بها وتلك القراة لا تحتاج
الى تاويل لان القوم نسبوه الى السرقة الا ان هذه القراة ليست مشهورة فلا يقوم لها حجة
والقراة الصحيحة المشهورة هي الاولى وقوله وما شهدنا الا بما علمنا يعني ما علمنا هذا الا بما
علمنا فانا راينا اخراج الصواع من متاعه وقيل معناه ما كانت منا شهادة في عمرنا على شي الا
بما علمناه وليست هذه شهادة وانما هو خبر عن صنيع ابنك بزعمهم وقيل قال لهم يعقوب
هب انه سرق فما يدري هذا الرجل ان السارق يوخذ بسرقته الا بقولكم قالوا ما شهدنا عنده
ان السارق يسترق الا بما علمنا من الحكم وكان الحكم كذلك عند الانبيا قبله ويعقوب وبنيه
واورد على هذا القول كيف جاز ليعقوب خفا هذا الحكم حتى ينكر على بنيه ذلك واجيب
عنه بانه يحتمل ان ذلك الحكم كان مخصوصا بما اذا كان المسروق منه مسلما فلهذا انكر عليهم اعلام
الملك بهذا الحكم لظنه انه كان كافرا وما كنا للغيب حافظين قال مجاهد وقتادة معناه ما كنا
نعلم ان ابنك يسرق ويصير امرنا الى هذا ولو علمنا ذلك ما ذهبنا به معنا وانما قلنا ونحفظ
اخانا مما لنا الى حفظه سبيل وقال ابن عباس ما كنا لليله ونهاره ومجيئه وذهابه حافظين
وقيل معناه ان حقيقة الحال غير معلومة لنا فان الغيب لا يعلمه الا الله فلعل الصواع
دس في رحله ونحن لا نعلم بذلك واسال القرية التي كنا فيها يعني واسال اهل القرية الا انه حذف
المضاف للايجاز ومثل هذا النوع من المجاز مشهور في كلام العرب والمراد بالقرية مصر وقال
ابن عباس هي قرية من قرى مصر كان قد جرى فيها حديث السرقة والتفتيش والعير التي اقبلنا فيها
يعني واسال القافلة التي كنا فيها وكان صحبهم قوم من كنعان من جيران يعقوب وانا لصادقون
يعني فيما قلناه وانما امرهم اخوهم الذي قام بمصر بهذه المقالة مبالغة في ازالة التهمة عن انفسهم

عند ابيهم لانهم كانوا متهمين عنده بسبب واقعة يوسف قال بل سولت لكم انفسكم امرا
فيه اختصار تقديره فرجعوا الى ابيهم فاخبروه بما جرى لهم في سفرهم ذلك وبما قاله كبيرهم
وامرهم ان يقولوه لابيهم فعند ذلك قال لهم يعقوب بل سولت يعني بل زينت لكم انفسكم امرا
وهو حمل اخيكم معكم الى مصر لطلب نفع عاجل فالامركم الى ما ال وقيل معناه بل خيلت لكم انفسكم
انه سرق وما سرق فصبر جميل تقدم تفسيره في اول السورة وقوله عسى الله ان ياتيني بهم جميعا
يعني بيوسف وبنيامين والاخ الثالث الذي اقام بمصر وانما قال يعقوب هذه المقالة لانه
لما طال حزنه واشتد بلاه ومحنته علم ان الله سيجعل له فرجا ومخرجا عن قريب فقال ذلك
على سبيل حسن الظن بالله عز وجل لانه اذا اشتد البلا وعظم كان اسرع الى الفرج وقيل
ان يعقوب علم بما يجري عليه وعلى بنيه من اول الامر وهو رويا يوسف وقوله له لا تقصص
روياك على اخوتك فيكيدوا لك كيدا فلما تناهى الامر قال عسى الله ان ياتيني بهم جميعا انه هو العليم
يعني بحزني ووجدي عليهم الحكيم يعني فيما يدبره ويقضيه قوله تعالى وتولى عنهم يعني واعرض
يعقوب عن بنيه حين بلغوه خبر بنيامين فحينئذ تتام حزنه واشتد بلاوه وبلغ جهده وهيج
حزنه على يوسف فعند ذلك اعرض عنهم وقال يا اسفى على يوسف والاسف اشد الحزن وانما جدد
حزنه على يوسف عند وجود هذه الواقعة لان الحزن القديم اذا صادفه حزن اخر كان ذلك
اوجع للقلب واعظم لهيجان الحزن الاول كما قال متمم بن نويرة لما راى قبرا جديدا جدد حزنه
على اخيه مالك فقال ٭ يقول اتبكي كل قبر رايته ٭ لقبر ثوى بين اللوا والدكادك ٭ فقلت له ان
الاسى يبعث الاسى ٭ فدعني فهذا كله قبر مالك ٭ فاجاب بان الحزن يجدد الحزن وقيل ان يوسف
وبنيامين لما كانا من ام واحدة فكان يعقوب يتسلى عن يوسف ببنيامين فلما حصل فراق
بنيامين زاد حزنه عليه وجدد حزنه على يوسف لان يوسف كان اصل المصيبة وقد اعترض
بعض الجهال على يعقوب في قوله يا اسفى على يوسف وقال هذه شكاية واظهار جزع فلا يليق
بعلو منصبه ذلك وليس الامر كما قال هذا الجاهل المعترض لان يعقوب عليه السلام شكى الى الله
لا منه فقوله يا اسفى على يوسف معناه يا رب ارحم اسفي على يوسف وقد ذكر ابن الانباري عن بعض
اللغويين انه قال نداء يعقوب للاسف في اللفظ من المجاز يعني به غير المظهر في اللفظ وتلخيصه
يا الهي ارحم اسفي او انت راى اسفي وهذا اسفي فنادى الاسف في اللغة والمنادى سواه في المعنى
ولا ماثم اذا لم ينطق اللسان بكلام موثم لانه لم يشك الا الى ربه عز وجل فلما كان قوله يا اسفى
على يوسف شكوى الى ربه كان غير ملوم في شكواه وقيل ان يعقوب لما عظمت مصيبته واشتد
بلاوه وقويت محنته قال يا اسفى على يوسف اي اشكو الى الله شدة اسفي على يوسف ولم يشك
الى احد من الخلق بدليل قوله انما اشكو بثي وحزني الى الله وابيضت عيناه من الحزن اي عمي من
شدة الحزن على يوسف قال مقاتل لم يبصر شيا ست سنين وقيل انه ضعف بصره من كثرة

البكا وذلك اذا الدمع يكثر عند غلبة البكا فتصير العين كانها بيضا من ذلك الما الخارج من العين فهو كظيم اي مكظوم وهو الممتلي من الحزن الممسك عليه لا يبثه قال قتادة هو الذي يرد حزنه في جوفه ولم يقل الا خيرا وقال الحسن كان بين خروج يوسف من حجر ابيه الى يوم التقيا ثمانين سنة لم تجف عينا يعقوب وما على وجه الارض يوميذ اكرم على الله منه قال ثابت البناني ووهب بن منبه والسدي ان جبريل عليه السلام دخل على يوسف وهو في السجن فقال هل تعرفني ايها الصديق قال يوسف ارى صورة طاهرة قال اني رسول رب العالمين وانا الروح الامين فقال يوسف فما ادخلك مدخل المذنبين وانت طيب الطيبين وراس المقربين وامين رب العالمين قال الم تعلم يا يوسف ان الله يطهر الارض بطهر النبيين وان الارض التي يدخلونها هي اطهر الارضين وان الله قد طهر بك السجن وما حوله يا اطهر الطاهرين وابن الصالحين المخلصين قال يوسف كيف لي باسم الصديقين وتعدني من المخلصين الطاهرين وقد ادخلت مدخل المذنبين قال لانه لم يفتتن قلبك ولم تطع سيدتك في معصية ربك فلذلك سماك الله في الصديقين وعدك من المخلصين والحقك باباييك الصالحين قال يوسف فهل لك علم من يعقوب ايها الروح الامين قال نعم قد ذهب بصره وابتلاه بالحزن عليك فهو كظيم ووهب له الصبر الجميل قال فما قدر حزنه قال حزن سبعين ثكلى قال فما له من الاجر يا جبريل قال اجر ماية شهيد قال افتراني لاقيه قال نعم فطابت نفس يوسف وقال ما ابالي ما لقيت ان رايته قوله عز وجل قالوا يعني اخوة يوسف لابيهم تالله تفتؤ تذكر يوسف يعني لا تزال تذكر يوسف ولا تفتر من حبه يقال ما فتى يفعل كذا اي ما زال ولا محذوفة في جواب القسم لان موضعها معلوم فحذفت للتخفيف كقول امرئ القيس فقلت يمين الله ابرح قاعدا ولو قطعوا راسي لديك واوصالي اي لا ابرح قاعدا وقوله حتى تكون حرضا قال ابن عباس يعني دنفا وقال مجاهد الحرض ما دون الموت يعني قريبا من الموت وقال ابن اسحاق يعني فاسدا لا عقل له والحرض الذي فسد جسمه وعقله وقيل ذايبا من الهم واصل الحرض الفساد في الجسم والعقل من الحزن والهم ومعنى الاية حتى تكون دنف الجسم مخبول العقل يعني لا ينتفع بنفسه من شدة الحزن والهم والاسف او تكون من الهالكين يعني من الاموات فان قلت كيف حلفوا على شي لم يعلموا حقيقته قطعا قلت بنوا الامر على الاغلب لظاهر ما راوا فقوله نظامنا ان الامر يصير الى ذلك قال يعني يعقوب عند ما راى قولهم له وغلظتهم عليه انما اشكو بثي وحزني الى الله اصل البث اثارة الشي وتفريقه وبث النفس ما انطوت عليه من الغم والشر قال ابن قتيبة البث اشد الحزن وذلك لان الانسان اذا اذا استر الحزن وكتمه كان بثا فاذا ذكره لغيره كان بثا فالبث اشد الحزن والحزن الم فعلى هذا يكون انما اشكو حزني العظيم وحزني القليل الى الله لا اليكم قال ابن الجوزي روى الحاكم

ابو عبد الله في صحيحه من حديث انس بن مالك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال كان ليعقوب اخ مواخ فقال له ذات يوم يا يعقوب ما الذي اذهب بصرك وما الذي قوس ظهرك قال الحزن على بنيامين فاتاه جبريل فقال يا يعقوب ان الله يقريك السلام ويقول لك اما تستحيي ان تشكو الى غيري فقال انما اشكو بثي وحزني الى الله فقال جبريل الله اعلم بما تشكو وقيل انه دخل على يعقوب جار له فقال يا يعقوب ما لي اراك قد تهشمت وفنيت ولم تبلغ من السن ما بلغ ابوك فقال هشمني وافناني ما ابتلاني الله به من هم يوسف فاوحى الله اليه يا يعقوب اتشكوني الى خلقي فقال يا رب خطيية اخطاتها فاغفرها لي قال قد غفرتها لك فكان بعد ذلك اذا سيل يقول انما اشكو بثي وحزني الى الله وقيل ان الله اوحى اليه وعزتي وجلالي لا اكشف ما بك حتى تدعوني فعند ذلك قال انما اشكو بثي وحزني الى الله ثم قال اي رب ما ترحم الشيخ الكبير اذهبت بصري وقوست ظهري فاردد علي ريحانتي اشمه شمة قبل ان اموت ثم اصنع ما شيت فاتاه جبريل فقال يا يعقوب ان الله يقريك السلام ويقول ابشر فوعزتي لو كانا ميتين لنشرتهما لك اتدري لم وجدت عليك لانكم ذبحتم شاة فقام على بابكم فلان المسكين وهو صايم فلم تطعموه منها شيا وان احب عبادي الي الانبيا ثم المساكين اصنع طعاما وادع اليه المساكين فصنع طعاما ثم قال من كان صايما فليفطر الليلة عند يعقوب وكان بعد ذلك اذا تغدى امر من ينادي من اراد الغدا فليات يعقوب واذا افطر امر من ينادي من اراد ان يفطر فليات يعقوب فكان يتغدى ويتعشى مع المساكين وقال وهب بن منبه اوحى الله تعالى الى يعقوب اتدري لم عاقبتك وحبست عنك يوسف ثمانين سنة قال لا يا رب قال لانك شويت عناقا وقترت على جارك واكلت ولم تطعمه وقيل ان سبب ابتلا يعقوب انه ذبح عجلا بين يدي امه وهي تخور فلم يرحمها فان قلت هل في هذه الروايات ما يقدح في عصمة الانبيا قلت لا وانما عوقب يعقوب بهذا لان حسنات الابرار سييات المقربين وانما يطلب من الانبيا من الاعمال على قدر منصبهم وشريف رتبتهم فيعقوب عليه السلام من اهل بيت النبوة والرسالة ومع ذلك فقد ابتلى الله كل واحد من انبيايه بمحنة فصبر فابراهيم عليه السلام التي في النار فصبر ولم يشك الى احد ويعقوب ابتلي بفقد ولده يوسف وبعده بنيامين ثم عمي بعد ذلك او ضعف بصره من كثرة البكا عليهما ومع ذلك صابر لم يشك الى احد شيا مما نزل به وانما كانت شكايته الى الله بدليل قوله انما اشكو بثي وحزني الى الله فاستوجب بذلك المدح العظيم والثنا الجميل في الدنيا والدرجات العلى في الاخرة مع من سلف له من ابايه ابراهيم واسحاق عليهم الصلاة والسلام واما دمع العين وحزن القلب فلا يستوجبون به عتبا ولا عقوبة لان ذلك ليس الى اختيار الانسان فلا يدخل تحت التكليف بدليل ان النبي صلى الله عليه وسلم بكى على ولده ابراهيم عند موته وقال ان العين تدمع وان القلب يحزن

وما نقول الا ما يرضى ربنا فهذا القدر لا يقدر الانسان على دفعه عن نفسه فصار مباحا
لا حرج فيه على احد من الناس وقوله واعلم من الله ما لا تعلمون يعني انه تعالى من رحمته واحسانه
ياتي بالفرج من حيث لا احتسب وفيه اشارة الى انه كان يعلم حياة يوسف ويتوقع
رجوعه اليه روي ان ملك الموت زار يعقوب فقال له يعقوب ايها الملك الطيب ريحه
الحسن صورته الكريم على ربه هل قبضت روح ابني يوسف في الارواح قال لا فطابت
نفس يعقوب وطمع في رؤيته فلذلك قال واعلم من الله ما لا تعلمون وقيل معناه واعلم
ان رؤيا يوسف حق وصدق واني وانتم نسجد له وقال السدي لما اخبره بنوه بسيرة ملك مصر
وكمال حاله في جميع اقواله وافعاله احست نفس يعقوب وطمع ان يكون هو يوسف فعند ذلك
قال يعني يعقوب يا بني اذهبوا فتحسسوا من يوسف واخيه التحسس طلب الخبر بالحاسة
وهو قريب من التجسس بالجيم وقيل ان التحسس بالحاء يكون في الخير وبالجيم يكون في الشر
ومنه الجاسوس وهو الذي يطلب الكشف عن عورات الناس قال ابن عباس التمسوا قال ابن
الانباري يقال تحسست عن فلان ولا يقال من فلان وقال هنا من يوسف واخيه لانه اقيم
مقام عن قال ويجوز ان يقال من للتبعيض ويكون المعنى تحسسوا خبرا من اخبار يوسف
واخيه وروي عن عبد الله بن يزيد عن ابي فروة ان يعقوب كتب كتابا الى يوسف عليهما
السلام حين حبس عنده بنيامين من يعقوب اسرائيل الله بن اسحاق ذبيح الله بن ابراهيم
خليل الله الى ملك مصر اما بعد فانا اهل بيت وكل بنا البلاء اما جدي ابراهيم فشدت
يداه ورجلاه والقي في النار فجعلها الله عليه بردا وسلاما واما ابي فشدت يداه ورجلاه
ووضع السكين على قفاه ففداه واما انا فكان لي ابن وكان احب اولادي الي فذهب به
اخوته الى البرية ثم اتوني بقميصه ملطخا بالدم وقالوا قد اكله الذئب فذهبت عيناي
ثم كان لي ابن اخر وكان اخاه من امه وكنت اتسلى به وانك حبسته وزعمت انه سرق وانا
اهل بيت لا نسرق ولا نلد سارقا فان رددته الي والا دعوت عليك دعوة تدرك السابع من
ولدك فلما قرا يوسف كتاب ابيه اشتد بكاؤه وعيل صبره واظهر نفسه لاخوته على ما
سنذكره ان شاء الله تعالى فذلك قوله يا بني اذهبوا فتحسسوا من يوسف واخيه
ولا تيأسوا اي ولا تقنطوا من روح الله يعني من رحمة الله وقيل من فضل الله وقيل من فرج
الله انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون يعني ان المؤمن على خير يرجوه من الله
فيصبر عند البلاء فيناله به خيرا ويحمد عند الرخاء فيناله خيرا والكافر بضد ذلك قوله
تعالى فلما دخلوا عليه فيه حذف واختصار تقديره فخرجوا من عند ابيهم قاصدين مصر
فلما دخلوا عليه يعني على يوسف قالوا يا ايها العزيز يعنون يا ايها الملك والعزيز القادر
الممتنع وكان العزيز لقبا لملك مصر يومئذ مسنا واهلنا الضر اي الشدة والفقر والجوع واداوا

باهليهم من خلفهم وراءهم من العيال وجئنا ببضاعة مزجاة يعني جئنا ببضاعة ردية كاسدة
لا تنفق في ثمن الطعام الا بتجوز من البايع واصل الازجاء في اللغة الدفع قليلا قليلا والتزجية
دفع الشيء ليتساق كتزجية الريح السحاب ومنه قول الشاعر * زجاجة غير مزجاة من الحاج *
يعني هي قليلة يسيرة يمكن دفعها وسوقها لقلة الاعتداد بها وانما وصفوا تلك البضاعة
بانها مزجاة اما لنقصانها او لرداءتها او لمجموعهما فلذلك اختلفت عبارات المفسرين في
معنى هذه البضاعة المزجاة فقال ابن عباس كانت دراهم ردية زيوفا وقيل كانت من
متاع الاعراب من الصوف والاقط وقال الكلبي ومقاتل كانت حبة الخضراء وقيل كانت سويق
المقل وقيل كانت الادم والنعال قال الزجاج سميت هذه البضاعة القليلة الردية مزجاة
من قولهم فلان يزجي العيش اي يدفع الزمان القليل بالقليل والمعنى جئنا ببضاعة مزجاة
لندافع بها الزمان وليست مما يتسع بها وقيل انما قيل للدراهم الردية مزجاة لانها مردودة
مدفوعة غير مقبولة ممن يدفعها فاوف لنا الكيل يعني اعطنا ما كنت تعطينا من قبل بالثمن الجيد
الوافي والمعنى انا نريد ان تقيم لنا الزائد مقام الناقص والجيد مقام الردي وتصدق علينا يعني
وتفضل علينا بما بين الثمنين الجيد والردي ولا تنقصنا هذا قول اكثر المفسرين قال ابن الانباري
وكان الذي يسالونه من المسامحة يشبه الصدقة وليس به واختلف العلماء هل كانت الصدقة
حلالا للانبيا قبل محمد صلى الله عليه وسلم فقال سفيان بن عيينة ان الصدقة كانت حلالا للانبيا
قبل محمد صلى الله عليه وسلم واستدل بهذه الاية وانكر جمهور العلماء ذلك فقالوا ان حال
الانبيا كلهم واحد في تحريم الصدقة عليهم لانهم يانفون من الخضوع للمخلوقين والاخذ منهم
لان الصدقة اوساخ الناس فلا تحل لهم لانهم مستغنون بالله عن من سواه واجيب عن قوله
وتصدق علينا انهم طلبوا منه ان يجريهم على عادتهم في المسامحة وايفاء الكيل ونحو ذلك مما كان
يفعل بهم من الكرامة وحسن الضيافة لا نفس الصدقة وكره الحسن ومجاهد ان يقول الرجل
في دعايه اللهم تصدق علي لان الصدقة لا تكون الا ممن يبتغي الثواب وروي ان الحسن سمع
رجلا يقول اللهم تصدق علي فقال ان الله لا يتصدق انما يتصدق من يبتغي الثواب قل اللهم
اعطني وتفضل علي وقال ابن جريج والضحاك وتصدق علينا يعني برد اخينا الينا ان الله
يجزي المتصدقين يعني بالثواب الجزيل قال الضحاك لم يقولوا ان الله يجزيك لانهم لم يعلموا
انه مؤمن قال يعني قال يوسف لاخوته هل علمتم ما فعلتم بيوسف واخيه اختلفوا في السبب
الذي من اجله حمل يوسف وهيجه على هذا القول فقال ابن اسحاق ذكر لي انهم لما كلموه بهذا
الكلام ادركته رقة على اخوته فباح بالذي كان يكتم وقيل انه اخرج لهم نسخة الكتاب
الذي كتبوه ببيعه من مالك وفي اخره وكتب يهوذا فلما قرؤوا الكتاب اعترفوا بصحته وقالوا
ايها الملك انه كان لنا عبد فبعناه منه فغاظ ذلك يوسف وقال انكم تستحقون العقوبة

وامر بقتلهم فلما ذهبوا بهم ليقتلوا قال يهوذا كان يعقوب يبكي ويحزن لفقد واحد منا فكيف
اذا اتاه الخبر بقتل بنيه كلهم ثم قالوا ان كنت فاعلا ذلك فابعث بامتعتنا الى ابينا
فانه بمكان كذا وكذا فذلك حين ادركته الرقة عليهم ورحمهم فبكى وقال هذا القول وقيل
ان يوسف لما قرا كتاب ابيه اليه فلم يتمالك ان بكى وقال هل علمتم ما فعلتم بيوسف واخيه
وهذا الاستفهام يفيد تعظيم امر هذه الواقعة ومعناه ما اعظم ما ارتكبتم من امر يوسف
وما اقبح ما اقدمتم عليه من قطيعة الرحم وتضييعه من ابيه وهذا كما يقال للمذنب هل
تدري من عصيت وهل تعرف من خالفت لم يرد بهذا نفس الاستفهام ولكنه اراد تعظيم
الامر وتغليظه ويجوز ان يكون المعنى هل علمتم عقبى ما فعلتم بيوسف واخيه من تسليم
الله اياهما من المكروه واعلم ان هذه الاية تصديق لقوله تعالى واوحينا اليه لتنبئنهم بامرهم
هذا وهم لا يشعرون فان قلت الذي فعلوه بيوسف معلوم ظاهر فما الذي فعلوه باخيه
من المكروه حتى يقول لهم هذه المقالة فانهم لم يسعوا في حبسه ولا ارادوا ذلك قلنا انهم
لما فرقوا بينه وبين اخيه يوسف نغصوا عليه عيشه وكانوا يؤذونه كلما ذكر يوسف
وقيل انهم قالوا له لما اتهم باخذ الصواع ما راينا منكم يا بني راحيل خيرا اذ انتم جاهلون
هذا يجري مجرى العذر لهم يعني انكم انما اقدمتم على الفعل القبيح المنكر حال كونكم جاهلين
وهو وقت الصبا وحالة الجهل وقيل جاهلون بما يؤول اليه امر يوسف قوله عز وجل قالوا
ائنك لانت يوسف قرئ على سبيل الاستفهام وحجة هذه القراءة قال ابن عباس لما قال لهم
هل علمتم ما فعلتم بيوسف واخيه تبسم فراوا ثناياه كاللؤلؤ تشبه ثنايا يوسف فشبهوه
بيوسف فقالوا استفهاما ائنك لانت يوسف وقرئ على الخبر وحجته ما قال ابن عباس
ايضا في رواية اخرى عنه ان اخوة يوسف لم يعرفوه حتى وضع التاج عن راسه وكان له
في قرنه علامة تشبه الشامة وكان ليعقوب مثلها ولاسحاق مثلها ولسارة مثلها فعرفوه بها
وقالوا انت يوسف وقيل قالوه على التوهم ولم يعرفوه حتى قال انا يوسف قال بعض العلماء
انما اظهر الاسم في قوله انا يوسف ولم يقل انا هو تعظيما لما نزل به من ظلم اخوته له وما
عوضه له من النصر والظفر والملك فكانه قال انا يوسف المظلوم الذي ظلمتموني وقصدتم
قتلي بان القيتموني في الجب ثم بعتموني بابخس الاثمان ثم صرت الى ما ترون وكان تحت ظهور
الاسم هذه المعاني كلها ولهذا قال وهذا اخي وهم يعرفونه لانه قصد به ايضا وهذا اخي
المظلوم كما ظلمتموني ثم صرت انا وهو الى ما ترون وهو قوله قد من الله علينا يعني بان جمع
بيننا وقيل من علينا بكل اجر وخير في الدنيا والاخرة وقيل من علينا بالسلامة في ديننا ودنيانا
انه من يتق ويصبر يعني يتق الزنا ويصبر على العزوبة قاله ابن عباس وقال مجاهد يتق المعصية
ويصبر على السجن وقيل يتق الله باداء فرايضه ويصبر عما حرم الله فان الله لا يضيع اجر المحسنين

يعني

يعني اجر من كان هذا حاله قالوا يعني قال اخوة يوسف معتذرين اليه مما صدر منهم في حقه
تالله لقد آثرك الله علينا اي اختارك وفضلك علينا يقال آثرك الله ايثارا اي اختارك
ويستعار الاثر للفضل والايثار للتفضيل والمعنى لقد فضلك الله علينا بالعلم والعقل
وقال الضحاك عن ابن عباس بالملك وقال ابو صالح عنه بالصبر وقيل بالحلم والصفح علينا
وقيل بالحسن وساير الفضايل التي اعطاها له دون اخوته وقيل فضله عليهم بالنبوة
واورد على هذا القول بان اخوته كانوا انبيا ايضا فليس له عليهم فضل واجيب عنه بان
يوسف فضل عليهم بالرسالة مع النبوة فكان افضل منهم بهذا الاعتبار لان من
جمع له بين النبوة والرسالة كان افضل ممن خص بالنبوة فقط وان كنا لخاطئين يعني وما كنا
في صنيعنا بك الا خاطئين ولهذا اختير لفظ الخاطي على المخطي والفرق بينهما ان يقال
خطي خطا اذا تعمد واخطا اذا كان غير متعمد وقيل يجوز ان يكون اثر لفظ خاطئين على
مخطئين لموافقة روس الاي لان خاطئين اشبه بما قبلها قال يعني يوسف لا تثريب عليكم
اليوم يعني لا تعيير ولا توبيخ عليكم ومنه قوله صلى الله عليه وسلم اذا زنت امة احدكم
فليجلدها الحد ولا يثرب اي لا يعيرها بالزنا بعد اقامة الحد عليها وفي محل قوله اليوم
قولان احدهما انه يرجع الى ما قبله ويكون التقدير لا تثريب عليكم اليوم والمعنى ان هذا
اليوم هو يوم التثريب والتقريع والتوبيخ وانا لا اقرعكم اليوم ولا اوبخكم ولا اثرب
عليكم فعلى هذا يحسن الوقف على قوله لا تثريب عليكم اليوم ويبتدي بقوله يغفر الله لكم والقول
الثاني ان اليوم متعلق بقوله يغفر الله لكم كانه لما نفى عنهم التوبيخ والتقريع بقوله لا تثريب
عليكم ثم بشرهم بقوله يغفر الله لكم وهو ارحم الراحمين ولما عرفهم يوسف نفسه سالهم عن
حال ابيه فقالوا ما حال ابي بعدي قالوا ذهب بصره من كثرة البكا عليك فاعطاهم قميصه
وقال اذهبوا بقميصي هذا قال الضحاك كان ذلك القميص من نسج وقال مجاهد امره جبريل
ان يرسل اليه قميصه وكان ذلك القميص قميص ابراهيم وذلك انه لما جرد من ثيابه والقي
في النار عريانا اتاه جبريل بقميص من حرير الجنة فالبسه اياه فكان ذلك القميص عند ابراهيم
فلما مات ورثه اسحاق فلما مات ورثه يعقوب فلما شب يوسف جعل يعقوب ذلك القميص في قصبة
من فضة وسد راسها وعلقها في عنق يوسف كالتعاويذ لما كان يخاف عليه من العين وكانت
لا تفارقه فلما القي يوسف في البير عريانا اتاه جبريل واخرج ذلك القميص والبسه
اياه فلما كان هذا الوقت جاءه جبريل فامره بان يرسل هذا القميص الى ابيه لان فيه ريح
الجنة فلا يقع على مبتلى ولا سقيم الا عوفي في الوقت فدفع ذلك القميص يوسف الى اخوته
وذلك قوله اذهبوا بقميصي هذا فالقوه على وجه ابي يات بصيرا قال المحققون انما علم يوسف
ان القا يوسف ذلك القميص على وجه يعقوب يوجب رد البصر كان بوحي الله اليه ذلك

ويمكن ان يقال ان يوسف لما علم ان اباه لما عمي من كثرة البكا وضيق الصدر فبعث اليه
قميصه ليجد ريحه فيزول بكاوه وينشرح صدره ويفرح قلبه فعند ذلك يزول الضعف
ويقوى البصر فهذا القدر يمكن معرفته من جهة العقل وقوله **وأتوني باهلكم اجمعين**
قال الكلبي كانوا نحوا من سبعين انسانا وقال مسروق كانوا ثلاثة وسبعين ما بين
رجل وامراة **ولما فصلت العير** يعني خرجت من مصر وقيل من عريش مصر متوجهين الى
كنعان **قال ابوهم** يعني قال يعقوب لولد ولده **اني لاجد ريح يوسف** قيل ان ريح الصبا
استاذنت ربها في ان تاتي يعقوب بريح يوسف قبل ان ياتيه البشير وقال مجاهد
اصاب يعقوب ريح يوسف من مسيرة ثلاثة ايام وقال ابن عباس من مسيرة ثمان
ليال وقال الحسن كان بينهما ثمانون فرسخا وقيل هبت ريح فاحتملت ريح القميص الى
يعقوب فوجد ريح الجنة فعلم ان ليس في الارض من ريح الجنة الا ما كان من ذلك
القميص فعلم بذلك انه من ريح يوسف فلذلك قال اني لاجد ريح يوسف **لولا ان
تفندون** اصل التفنيد من الفند وهو ضعف الراي وقال ابن الانباري افند الرجل اذا خرف
وفند اذا جهل ونسب ذلك اليه وقال الاصمعي اذا كثر كلام الرجل من خرف فهو التفنيد
والفند فيكون المعنى لولا ان تفندون اي تنسبون الى الخرف وقيل تسفهون وقيل تلوموني وقيل
تجهلون وهو قول ابن عباس وقال الضحاك تهرمون فتقولون شيخ كبير قد خرف وذهب عقله
قالوا تالله يعني اولادا ولاد يعقوب واهله الذين عنده لان اولاده لصلبه كانوا غايبين
عنه **انك لفي ضلالك القديم** يعني من ذكر يوسف ولا تنساه لان عندهم كان قد مات وهلك ويرون
ان يعقوب قد لهج بذكره فلذلك قالوا تالله انك لفي ضلالك القديم والضلال الذهاب عن
طريق الصواب **فلما ان جا البشير** وهو المبشر بخبر يوسف قال ابن مسعود جا البشير بين يدي
العير قال ابن عباس هو يهوذا قال السدي قال يهوذا انا ذهبت بالقميص ملطخا بالدم الى يعقوب
واخبرته ان يوسف اكله الذيب فانا اذهب اليوم بالقميص واخبره انه حي فافرحه كما احزنته
قال ابن عباس حمله يهوذا وخرج حافيا حاسرا يعدو ومعه سبعة ارغفة فلم يستوف
اكلها حتى اتى اباه وكانت المسافة ثمانين فرسخا **القاه على وجهه** يعني فالقى البشير قميص
يوسف على وجه يعقوب **فارتد بصيرا** يعني فرجع بصيرا بعد ما كان قد عمي وعادت اليه
قوته بعد الضعف وسروره بعد الحزن **قال الم اقل لكم اني اعلم من الله ما لا تعلمون** يعني
من حياة يوسف وان الله يجمع بيننا وروي ان يعقوب قال للبشير كيف تركت يوسف قال
تركته ملك مصر قال يعقوب ما اصنع بالملك على اي دين تركته قال على دين الاسلام قال
الان تمت النعمة **قالوا يا ابانا استغفر لنا ذنوبنا** يعني قال اولاد يعقوب حين وصلوا اليه
واخذوا يعتذرون اليه مما صنعوا به وبيوسف استغفر لنا اي اطلب لنا غفر ذنوبنا من الله

انا كنا

انا كنا خاطئين يعني في صنيعنا **قال سوف استغفر لكم ربي** قال اكثر المفسرين ان يعقوب اخر
الدعا والاستغفار لهم الى وقت السحر لانه اشرف الاوقات وهو الوقت الذي يقول الله فيه هل
من داع فاستجيب له فلما انتهى يعقوب الى وقت السحر قام الى الصلاة متوجها الى الله فلما فرغ
رفع يديه الى الله تعالى وقال اللهم اغفر لي جزعي على يوسف وقلة صبري عنه واغفر لولدي
ما اتوا الى اخيهم يوسف فاوحى الله اليه اني قد غفرت لك ولهم اجمعين قال عكرمة عن ابن عباس
انه اخر الاستغفار لهم الى ليلة الجمعة لانها اشرف الاوقات قال وهب كان يستغفر لهم كل
ليلة جمعة نيفا وعشرين سنة وقال طاوس اخر الاستغفار الى وقت السحر من ليلة الجمعة
فوافق ذلك ليلة عاشورا وقال الشعبي سوف استغفر لكم ربي قال حتى اسال يوسف فان كان
قد عفا عنكم استغفرت لكم ربي **انه هو الغفور** يعني لذنوب عباده **الرحيم** بجميع خلقه قال
عطا الخراساني طلب الحوايج الى الشباب اسهل منه الى الشيوخ الا ترى الى قول يوسف لاخوته
لا تثريب عليكم اليوم وقول يعقوب سوف استغفر لكم قال اصحاب الاخبار ان يوسف عليه
السلام بعث مع اخوته الى ابيه مائتي راحلة وجهازا كثيرا ليأتوا بيعقوب وجميع اهله
الى مصر فلما اتوه تجهز يعقوب للخروج الى مصر فجمع اهله وهم يومئذ اثنان وسبعون
ما بين رجل وامراة وقال مسروق كانوا ثلاثة وسبعين فلما دنا يعقوب من مصر كلم يوسف
الملك الاكبر يعني ملك مصر وعرفه بمجي ابيه واهله فخرج يوسف ومعه الملك في اربعة
الاف من الجند وركب اهل مصر معهم يتلقون يعقوب عليه السلام وكان يعقوب يمشي وهو يتوكا
على يد ابنه يهوذا فلما نظر الى الخيل والناس قال يا يهوذا هذا فرعون مصر قال لا بل هذا ابنك
يوسف فلما دنا كل واحد من صاحبه اراد يوسف ان يبدا يعقوب بالسلام فقال له جبريل
لا حتى يبدا يعقوب عليه السلام فقال يعقوب السلام عليك يا مذهب الاحزان وقيل انهما نزلا
وتعانقا وفعلا كما يفعل الوالد بولده والولد بوالده وبكيا وقيل ان يوسف قال لابيه
يا ابت بكيت علي حتى ذهب بصرك الم تعلم ان القيامة تجمعنا قال بلى ولكن خشيت ان يسلب
دينك فيحال بيني وبينك فذلك قوله تعالى **فلما دخلوا على يوسف اوى اليه** يعني ضم اليه **ابويه**
قال اكثر المفسرين هو ابوه يعقوب وخالته ليا وكانت امه قد ماتت في نفاس بنيامين وقال الحسن
هو ابوه وامه وكانت حية بعد وقيل ان الله احياها ونشرها من قبرها حتى تسجد ليوسف
تحقيقا لرؤياه والاول اصح **وقال ادخلوا مصر** قيل المراد بالدخول الاول في قوله فلما دخلوا
على يوسف ارض مصر وذلك حين استقبلهم ثم قال ادخلوا مصر يعني البلد وقيل انه
اراد بالدخول الاول دخولهم مصر واراد بالدخول الثاني الاستيطان بها اي ادخلوا مصر
مستوطنين فيها **ان شا الله امنين** قيل ان هذا الاستثنا عايد الى الامن لا الى الدخول والمعنى
ادخلوا مصر امنين ان شا الله وقيل انه عايد الى الدخول فعلى هذا يكون قد قال ذلك لهم قبل

ان يدخلوا مصر وقيل ان هذا الاستثنا يرجع الى الاستغفار فعلى هذا يكون في الكلام تقديما
وتاخيرا تقديره سوف استغفر لكم ربي ان شا الله وقيل ان الناس كانوا يخافون من ملوك مصر
فلا يدخلها احد الا بجوارهم فقال لهم يوسف ادخلوا مصر امنين على انفسكم واهليكم ان شا الله
فعلى هذا يكون قوله ان شا الله للتبرك فهو كقوله صلى الله عليه وسلم وانا ان شا الله بكم لاحقون
مع علمه بانه لاحق بهم **ورفع ابويه على العرش** يعني السرير الذي كان يجلس عليه يوسف والرفع النقل
الى العلو **وخروا له سجدا** يعني يعقوب وخالته واخوته وكان تحية الناس يومئذ السجود وهو
الانحنا والتواضع ولم يرد به حقيقة السجود من وضع الجبهة على الارض على سبيل العبادة
فان قلت كيف استجاز يوسف ان يسجد له ابوه وهو اكبر منه واعلا منصبا في النبوة والشيخوخة
قلت يحتمل ان الله تعالى امره بذلك لتحقيق رؤياه ثم في معنى هذا السجود قولان احدهما
انه كان انحنا على سبيل التحية كما تقدم فلا اشكال فيه والقول الثاني انه كان حقيقة السجود
وهو وضع الجبهة بالارض وهذا مشكل لان السجود على هذه الصورة لا ينبغي ان يكون الا لله
تعالى واجيب عن هذا الاشكال ان السجود كان في الحقيقة لله تعالى على سبيل الشكر له وانما كان
يوسف كالقبلة كما سجد الملايكة لادم ويدل على صحة هذا التاويل قوله ورفع ابويه على العرش
وخروا له سجدا ولو كان ليوسف لكان قبل الصعود لان ذلك ابلغ في التواضع فان قلت يدفع
صحة هذا التاويل قوله رايتهم لي ساجدين وخروا له سجدا فان الضمير يرجع الى اقرب المذكورات
وهو يوسف عليه السلام قلت يحتمل ان يكون المعنى وخروا لله سجدا لاجل يوسف واجتماعهم به
وقيل يحتمل ان الله امر يعقوب بتلك السجدة لحكمة خفية وهي ان اخوة يوسف ربما احتملهم
الانفة والتكبر عن السجود ليوسف فلما راوا ان اباهم قد سجد له سجدوا له ايضا فتكون هذه
السجدة على سبيل التحية والتواضع لا على سبيل العبادة وكان ذلك جايزا في ذلك الزمان فلما جا
الاسلام نسخت هذه الفعلة والله اعلم بمراده واسرار كتابه **وقال** يعني قال يوسف عندما راى ذلك
يا ابت هذا تاويل روياي من قبل يعني تصديق الرويا التي رايت في حال الصغر **قد جعلها ربي حقا**
يعني في اليقظة واختلفوا فيما بين روياه وتاويلها فقال سلمان الفارسي وعبد الله بن شداد
ابن الهاد اربعون سنة وقال ابو صالح عن ابن عباس اثنان وعشرون سنة وقال سعيد بن
جبير وعكرمة والسدي ست وثلاثون سنة وقال قتادة خمس وثلاثون سنة وقال عبد الله
بن شوذب سبعون سنة وقال الفضيل بن عياض ثمانون سنة حكى هذه الاقوال كلها ابن
الجوزي وزاد غيره عن الحسن ان يوسف كان عمره حين التقي في الجب سبع عشرة سنة واقام
في العبودية والسجن والملك مدة ثمانين سنة واقام مع ابيه واخوته واقاربه مدة ثلاث
وعشرين سنة وتوفاه الله وهو ابن مائة وعشرين سنة وقوله **وقد احسن بي** يعني انعم علي يقال
احسن بي والي بمعنى **اذ اخرجني من السجن** انما ذكر انعام الله عليه في خروجه من السجن وان كان الجب

اصعب

اصعب منه استعمالا للادب والكرم لئلا يخجل اخوته بعد ان قال لهم لا تثريب عليكم
اليوم ولان نعمة الله عليه في اخراجه من السجن كانت اعظم من اخراجه من الجب وسبب
ذلك ان خروجه من الجب كان سببا لحصوله في العبودية والرق وخروجه من السجن كان سببا
لوصوله الى الملك وقيل ان دخول الجب كان بحسد اخوته ودخوله السجن كان لزوال التهمة عنه
فكان ذلك اعظم نعمة عليه **وجا بكم من البدو** يعني من البادية واصل البدو البسط من الارض
يبدو الشخص فيه من بعد يعني يظهر والبدو خلاف الحضر والبادية خلاف الحاضرة وكان
يعقوب واولاده اصحاب ماشية فسكنوا البادية **من بعد ان نزغ الشيطان بيني وبين اخوتي**
يعني افسد ما بيننا بسبب الحسد واصل النزغ دخول في امر لافساده واستدل بهذه الاية
من يرى بطلان الجبر من المبتدعة قالوا لان يوسف اضاف الاحسان الى الله واضاف النزغ الى
الشيطان ولو كان من فعل الله لوجب ان ينسب اليه كما في الاحسان والنعم والجواب عن هذا
الاستدلال ان اسناد الفعل الى الشيطان واضافته اليه على سبيل المجاز وان كان ظاهر
اللفظ يقتضي اضافة الفعل الى الشيطان لا على الحقيقة لان الفاعل المطلق المختار هو الله تعالى
في الحقيقة قل لو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا فثبت بذلك ان الكل من عند الله وبقضايه
وقدره ليس للشيطان فيه مدخل الا بالقا الوسوسة والتحريش لافساد ذات البين وذلك
باقدار الله اياه على ذلك **ان ربي لطيف لما يشا** يعني انه تعالى ذو لطف عالم بدقايق الامور وخفياتها
قال صاحب المفردات وقد يعبر باللطف عما لا تدركه الحاسة ويصح ان يكون وصف الله تعالى
به على هذا الوجه وان يكون لمعرفته بدقايق الامور وان يكون لرفقه بالعباد في هدايتهم وقوله
ان ربي لطيف لما يشا اي حسن الاستخراج تنبيها على ما اوصل اليه يوسف حيث القاه اخوته
في الجب وقيل ان اجتماع يوسف وابيه واخوته بعد طول الفرقة وحسد اخوته له وازالة
ذلك مع طيبة الانفس وشدة المحبة كان من لطف الله بهم حيث حصل ذلك كله لان الله
تعالى اذا اراد امرا هيا اسبابه **انه هو العليم** بمصالح عباده **الحكيم** في جميع افعاله قال اصحاب
الاخبار والتواريخ ان يعقوب عليه السلام اقام عند يوسف بمصر اربعا وعشرين سنة في
اهنى عيش وانعم بال واحسن حال فلما حضرته الوفاة اوصى الى ابنه يوسف ان يحمل جسده
حتى يدفنه عند قبر ابيه اسحاق في الارض المقدسة بالشام فلما مات يعقوب عليه السلام
بمصر فعل يوسف ما امره به ابوه فحمل جسده في تابوت من ساج حتى قدم به الشام فوافق
ذلك موت العيص اخي يعقوب وكانا قد ولدا في بطن واحد فدفنا في قبر واحد وكان عمرهما
مائة وسبعة واربعين سنة فلما دفن يوسف اباه ورجع الى مصر قالوا فلما جمع الله شمل
يوسف عليه السلام بابيه واخوته علم ان نعيم الدنيا زايل سريع الفنا لا يدوم سال الله حسن
العاقبة والخاتمة الصالحة فقال **رب** اي يا رب **قد اتيتني من الملك** يعني ملك مصر ومن هنا للتبعيض

لانه لم يوت ملك مصر كله بل كان فوقه ملك اخر والملك عبارة عن الاتساع في المقدور لمن له
السياسة والتدبير وعلمتني من تاويل الاحاديث يعني تعبير الرويا فاطر السموات والارض
يعني خالقها ومبدعها على غير مثال سبق واصل الفطر الشق يقال فطر ناب البعير اذا شق
وظهر وفطر الله الخلق اوجده وابدعه انت وليي يعني انت معيني ومتولي امري في الدنيا والاخرة
توفني مسلما اي اقبضني اليك مسلما واختلفوا هل هو طلب الوفاة في الحال ام لا على قولين
احدهما انه سال الله الوفاة في الحال قال قتادة لم يسال نبي من الانبيا الموت الا يوسف قال
اصحاب هذا القول وانه لم يات عليه اسبوع حتى توفي والقول الثاني انه سال الوفاة على الاسلام
ولم يتمن الموت في الحال قال الحسن انه عاش بعد هذا سنين كثيرة فعلى هذا القول يكون معنى
الاية توفني اذا توفيتني على الاسلام فهو طلب لان يجعل الله وفاته على الاسلام وليس
في اللفظ ما يدل على انه طلب الوفاة في الحال قال بعض العلما وكلا القولين محتمل لان اللفظ
صالح للامرين ولا يبعد من الرجل العاقل الكامل ان يتمنى الموت لعلمه بان الدنيا ولذاتها
فانية زايلة سريعة الذهاب وان نعيم الاخرة باق دايم لا انقضا له ولا زوال ولا يمنع
من هذا قوله صلى الله عليه وسلم لا يتمنين احدكم الموت لضر نزل به فان تمني الموت عند
وجود الضر ونزول البلا مكروه والصبر عليه اولى وقوله والحقني بالصالحين اراد به درجة
ابايه وهم ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب عليهم السلام قال علما التاريخ عاش يوسف
مائة وعشرين سنة وفي التوراة مائة وعشرين سنة وولد ليوسف من امراة العزيز ثلاثة
اولاد افرائيم وميشا ورحمة امراة ايوب وقيل عاش بعد ابيه ستين سنة وقيل اكثر ولما
مات يوسف عليه السلام دفنوه في النيل في صندوق من رخام وقيل من حجارة المرمر وذلك
انه لما مات تشاح الناس فيه فطلب كل اهل محلة ان يدفن في محلتهم رجا بركته حتى هموا
ان يقتتلوا ثم راوا ان يدفنوه في النيل بحيث يجري الما عليه ويتفرق عنه ويصل بركته الى جميعهم
وقال عكرمة انه دفن في الجانب الايمن من النيل فاخصب ذلك الجانب واجدب الجانب الاخر فنقل الى
الجانب الايسر فاخصب واجدب الجانب الايمن فدفنوه في وسط النيل وقدروه بسلسلة
فاخصب الجانبان فبقي الى ان اخرجه موسى عليه السلام وحمله معه حتى دفنوه بقرب ابايه
بالشام في الارض المقدسة قوله عز وجل ذلك يعني الذي ذكرت لك يا محمد من قصة يوسف
وما جرى له مع اخوته ثم انه صار الى الملك بعد الرق من انبا الغيب يعني اخبار الغيب نوحيه اليك
يعني الذي اخبرناك به من اخبار يوسف واوحيناه اليك يا محمد وفي هذه الاية دليل قاطع على
صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم لانه كان رجلا اميا لم يقرا الكتب ولم يلق العلما ولم يسافر الى بلد
اخر غير بلده الذي نشا فيه وانه صلى الله عليه وسلم نشا بين امة امية مثله ثم انه صلى الله عليه
وسلم اتى بهذه القصة الطويلة على احسن ترتيب وابين معان وافصح عبارة علم بذلك ان الذي

اتى به هو وحي ونور قدسي سماوي فهو معجزة له قايمة الى اخر الدهر وقوله تعالى وما كنت
لديهم يعني وما كنت يا محمد عند اولاد يعقوب اذ اجمعوا امرهم يعني حين عزموا على القا
يوسف في الجب وهم يمكرون يعني بيوسف وما اكثر الناس ولو حرصت بمومنين الخطاب
للنبي صلى الله عليه والمعنى وما اكثر الناس يا محمد ولو حرصت على ايمانهم بمومنين وذلك
ان اليهود وقريشا سالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قصة يوسف فلما اخبرهم بها على
وفق ما عندهم في التوراة لم يسلموا فحزن رسول الله صلى الله عليه وسلم لذلك فقيل له انهم
لا يومنون ولو حرصت على ايمانهم ففيه تسلية له وما تسالهم عليه من اجر يعني على تبليغ
الرسالة والدعا الى الله من اجر يعني اجرا وجعلا على ذلك ان هو اي ما هو يعني القران الا ذكر
يعني عظة وتذكيرا للعالمين وكاين من اية يعني وكم من اية دالة على التوحيد في السموات والارض
يمرون عليها يعني لا يتفكرون فيها ولا يعتبرون بها وهم عنها معرضون اي لا يلتفتون اليها والمعنى
ليس اعراضهم عن هذه الايات الظاهرة الدالة على وحدانية الله باعجب من اعراضهم عنك
يا محمد وما يومن اكثرهم بالله الا وهم مشركون يعني انه من ايمانهم انهم اذا سيلوا من خلق
السموات والارض قالوا الله واذا قيل لهم من ينزل المطر قالوا الله وهم مع ذلك يعبدون الاصنام
وفي رواية عن ابن عباس انهم يقرون ان الله خالقهم فذلك ايمانهم وهم يعبدون غيره فذلك
شركهم وفي رواية اخرى عنه انها نزلت في تلبية مشركي العرب وذلك انهم كانوا يقولون في
تلبيتهم لبيك لبيك لا شريك لك الا شريك هو لك تملكه وما ملك وقال عطا هذا في الدعا
وذلك ان الكفار نسوا ربهم في الرخا فاذا اصابهم البلا اخلصوا في الدعا افامنوا ان تاتيهم
غاشية من عذاب الله يعني عقوبة مجللة تعمهم وقال مجاهد عذاب يغشاهم وقال قتادة
وقيعة وقال الضحاك يعني الصواعق والقوارع او تاتيهم الساعة بغتة يعني فجاة وهم لا يشعرون
يعني بقيامها قال ابن عباس تهيج الصيحة بالناس وهم في اسواقهم قل اي قل يا محمد لهولا هذه سبيلي
يعني طريقتي التي ادعو اليها وهي توحيد الله عز وجل ودين الاسلام وسمى الدين سبيلا لانه الطريق
المودي الى الثواب والجنة ادعو الى الله يعني الى توحيد الله والايمان به على بصيرة يعني على
يقين ومعرفة والبصيرة هي المعرفة التي يميز بها بين الحق والباطل انا ومن اتبعني يعني ومن
امن بي وصدق بما جيت به ايضا يدعو الى الله وهذا قول الكلبي وابن زيد قال حق على من
اتبعه وامن به ان يدعو الى ما دعا اليه ويذكر بالقران ثم الكلام عند قوله ادعو الى الله ثم استانف
على بصيرة انا ومن اتبعني يعني اني على بصيرة ومن اتبعني ايضا على بصيرة قال ابن عباس
يعني اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم كانوا على احسن طريقة وافضل هداية وهم معدن العلم
وكنز الايمان وجند الرحمن قال ابن مسعود من كان مستنا فليستن بمن قد مات اوليك اصحاب
محمد صلى الله عليه وسلم كانوا خير هذه الامة ابرها قلوبا واعمقها علما واقلها تكلفا قوم

اختارهم الله تعالى لصحبة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ونقل دينه فتشبهوا باخلاقهم
وطرايقهم فهولا كانوا على الهدى المستقيم قوله وسبحان الله اي وقل سبحان الله بمعنى
تنزيها لله عما لا يليق بجلاله من جميع العيوب والنقايص والشركا والاضداد والانداد وما انا
من المشركين يعني وما ارسلنا قبلك يا محمد الا رجالا امثالك ولم يكونوا ملايكة وما ارسلنا
هذا جواب لاهل مكة حيث قالوا هلا بعث الله ملكا والمعنى كيف تعجبوا من ارسالنا اياك
يا محمد وساير الرسل الذين كانوا من قبلك بشر امثالك حالهم كحالك من قبلك الا رجالا يعني انهم
من اهل الامصار والمدن لا من اهل البوادي لان اهل الامصار افضل واعلم واكمل عقلا من اهل
البوادي قال الحسن لم يبعث الله نبيا من بدو ولا من الجن ولا من النسا وقيل انما لم يبعث الله نبيا
من البادية لغلظهم وجفاهم نوحي اليهم من اهل القرى افلم يسيروا في الارض يعني هولا المشركين
المكذبين فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم يعني كان عاقبتهم الهلاك لما كذبوا رسلنا
فليعتبر هولا بهم وبما حل بهم من عذابنا ولدار الاخرة خير للذين اتقوا يعني فعلنا هذا باوليانا
واهل طاعتنا ان نجيناهم عند نزول العذاب بالامم المكذبة وما في الدار الاخرة لهم يعني
الجنة لانها خير من الدنيا خير للذين اتقوا وانما اضاف الدار الى الاخرة وان كانت هي هي لان
العرب تضيف الشي الى نفسه كقولهم حق اليقين والحق هو اليقين بعينه افلا تعقلون فتتفكرون
ويعتبرون بهم فيومنون قوله عز وجل حتى اذا استياس الرسل قال صاحب الكشاف حتى متعلقة
بمحذوف دل عليه الكلام كانه قيل وما ارسلنا من قبلك الا رجالا فتراخى نصرهم حتى اذا استياسوا
عن النصر وقال الواحدي حتى هنا حرف من حروف الابتدا يستانف بعدها ومعنى استياس الرسل
اي من ايمان قومهم وظنوا انهم قد كذبوا قرا اهل الكوفة وهم عاصم وحمزة والكساي كذبوا
بالتخفيف ووجه هذه القراة على ما قاله الواحدي ان معناه ظن الامم ان الرسل قد كذبوهم
فيما اخبروهم به من نصر الله اياهم واهلاك اعدايهم وهذا معنى قول ابن عباس وابن مسعود
وسعيد بن جبير ومجاهد وقال اهل المعاني كذبوا من قولهم كذبتك الحديث اي لم اصدقك
ومنه قوله وقعد الذين كذبوا الله ورسوله قال ابو علي والضمير في قوله وظنوا على هذه القراة
للمرسل اليهم التقدير وظن المرسل اليهم ان الرسل قد كذبوهم فيما اخبروهم به من انهم ان لم
يومنوا نزل بهم العذاب وانما ظنوا ذلك لما شاهدوا من امهال الله اياهم ولا يمتنع حمل الضمير
في وظنوا على المرسل اليهم وان لم يتقدم لهم ذكر لان ذكر الرسل يدل على ذكر المرسل اليهم وان شيت
قلت ان ذكرهم قد جرى في قوله افلم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم
فيكون الذين من قبلهم مكذبي الرسل والظن هنا على معنى التوهم والحسبان وهذا معنى ما روي
عن ابن عباس انه قال حتى اذا استياس الرسل من قومهم الاجابة وظن قومهم ان الرسل قد كذبوا
فيما وعدوا من نصرهم واهلاك من كذبهم وقيل معناه وتيقن الرسل انهم قد كذبوا في وعد قومهم

اياهم الايمان اي وعدوا ان يومنوا ثم لم يومنوا وقال صاحب الكشاف وظنوا انهم قد كذبوا
اي كذبتهم انفسهم حين حدثتهم بانهم لا ينصرون او رجاوهم كقولهم رجا صادق ورجا
كاذب والمعنى ان مدة التكذيب والعداوة وانتظار النصر من الله وتاميله قد تطاولت عليهم
وتمادت حتى استشعروا القنوط وتوهموا ان لا نصر لهم في الدنيا فجاهم نصرنا فجاة من غير
احتساب وعن ابن عباس وظنوا حين ضعفوا وغلبوا انهم قد اخلفوا ما وعدهم الله من
النصر قال وكانوا بشرا وتلا قوله وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين امنوا معه متى نصر الله
قال صاحب الكشاف فان صح هذا عن ابن عباس فقد اراد بالظن ما يخطر بالبال ويهجس في القلب
من شبه الوسوسة وحديث النفس على ما عليه البشرية واما الظن الذي يرجح احد الجايزين
على الاخر فغير جايز على رجل من المسلمين فما بال رسل الله الذين هم اعرف الناس بربهم وانه متعال
عن خلف الميعاد وحكى الواحدي عن ابن الانباري انه قال هذا غير معول عليه من جهتين احدهما
ان التفسير فيه ليس عن ابن عباس لكنه من متاولة عليه والاخرى ان قوله جاهم نصرنا دلالة
على ان اهل الكفر لما ظنوا ما لا يجوز مثله واستضعفوا رسل الله نصر الله الرسل ولو كان الظن
للرسل كان ذلك منهم خطا عظيما لا يستحقون ظفرا ولا نصرا وتنزيه الانبيا وتطهيرهم
واجب علينا اذا وجدنا الى ذلك سبيلا وقرا الباقون وهم نافع وابن كثير وابو عمرو وابن عامر
وظنوا انهم قد كذبوا بالتشديد ووجهه ظاهر وهو ان معناه حتى اذا استياس الرسل
من ايمان قومهم وظنوا يعني وايقنوا يعني الرسل ان الامم قد كذبوهم تكذيبا لا يرجى بعده ايمانهم
والظن بمعنى اليقين وهذا معنى قول قتادة وقال بعضهم معناه حتى اذا استياس الرسل
ممن كذبهم من قومهم ان يصدقوهم وظنوا ان من امن بهم من قومهم قد كفروا وارتدوا عن دينهم
لشدة المحنة والبلا واستبطا النصر فاتاهم النصر وعلى هذا القول الظن بمعنى الحسبان
والتكذيب مظنون من جهة من امن بهم يعني وظنت الرسل ظن حسبان ان من امن بهم قد كذبهم
في وعد الظفر والنصر لابطايه وتاخره عنهم وطول البلا بهم لا انهم كذبوهم كونهم رسلا
وقيل ان هذا التكذيب لم يحصل من اتباعهم المومنين لانه لو حصل لكان نوع كفر ولكن الرسل
ظنت بهم ذلك لبطي النصر وعلى هذا القول الظن بمعنى اليقين والتكذيب لمتيقن هو من جهة
الكفار وعلى القولين جميعا الكناية في وظنوا للرسل خ عن عروة بن الزبير انه سال عايشة عن قوله
تعالى حتى اذا استياس الرسل وظنوا انهم قد كذبوا او كذبوا قالت بل كذبهم قومهم فقلت والله
لقد استيقنوا ان قومهم قد كذبوهم وما هو بالظن فقالت يا عروة اجل لقد استيقنوا بذلك
فقلت لعلها قد كذبوا فقالت معاذ الله لم تكن الرسل تظن ذلك بربها قلت فما هذه الاية قالت
هم اتباع الرسل الذين امنوا بربهم وصدقوهم فطال عليهم البلا واستاخر عنهم النصر
حتى استياست الرسل ممن كذبهم من قومهم وظنوا ان اتباعهم كذبوهم جاهم نصر الله عند ذلك

وفي رواية عبد الله بن عبيد الله بن ابي مليكة قال قال ابن عباس حتى اذا استياس الرسل و
وظنوا انهم قد كذبوا خفيفة قال ذهب بها هنالك وتلا حتى يقول الرسول والذين
امنوا معه متى نصر الله الا ان نصر الله قريب قال فلقيت عروة بن الزبير فذكرت ذلك له فقال
قالت عايشة معاذ الله والله ما وعد الله رسوله من شي قط الا علم انه كاين قبل ان يموت
ولكن لم يزل البلا بالرسل حتى خافوا ان يكون من معهم من قومهم يكذبوهم وكانت تقراها وظنوا
انهم قد كذبوا مثقلة وقوله تعالى جاءهم نصرنا يعني جا نصر الله النبيين فنجي من نشا
يعني عند نزول العذاب بالكافرين فنجي المومنين المطيعين ولا يرد باسنا عذابنا عن القوم
المجرمين يعني عن المشركين قوله تعالى لقد كان في قصصهم يعني في خبر يوسف واخوته عبرة
اي موعظة لاولي الالباب يعني يتعظ بها اولوا العقول الصحيحة ومعنى الاعتبار والعبرة
الحالة التي يتوصل بها الانسان من معرفة المشاهد الى ما ليس بمشاهد والمراد منه التامل والتفكر
ووجه الاعتبار بهذه القصة ان الذي قدر على اخراج يوسف من الجب بعد القايه فيه واخراجه
من السجن وتمليكه مصر بعد العبودية وجمع شمله بابيه واخوته بعد المدة الطويلة والياس من
الاجتماع لقادر على اعزاز محمد صلى الله عليه وسلم واعلا كلمته واظهار دينه وان الاخبار بهذه
القصة العجيبة جار مجرى الاخبار عن الغيوب فكانت معجزة لمحمد صلى الله عليه وسلم وقيل ان
الله تعالى قال في اول هذه السورة نحن نقص عليك احسن القصص وقال في اخرها لقد كان
في قصصهم عبرة لاولي الالباب فدل على ان هذه القصة من احسن القصص وان فيها عبرة
لمن اعتبر بها ما كان حديثا يفترى يعني ما كان هذا القران حديثا يفترى ويختلق لان الذي جا به
من عند الله وهو محمد صلى الله عليه وسلم لا يصح منه ان يفتريه او يختلقه لانه لم يقرا الكتب
القديمة ولم يخالط العلما ثم انه جا بهذا القران المعجز فدل ذلك على صدقه وانه ليس بمفترى
ولكن تصديق الذي بين يديه يعني ولكن كان تصديق الذي بين يديه من الكتب الالهية المنزلة
من السما مثل التوراة والانجيل وفيه اشارة الى ان هذه القصة وردت على الوجه الموافق لما في
التوراة من ذكر قصة يوسف وتفصيل كل شي يعني ان في هذا القران المنزل عليك يا محمد تفصيل
كل شي يحتاج اليه من الحلال والحرام والحدود والاحكام والقصص والمواعظ والامثال وغير
ذلك مما يحتاج اليه العباد من امر دينهم ودنياهم وهدى يعني الى كل خير ورحمة يعني انزلناه
رحمة لقوم يومنون لانهم هم الذين ينتفعون به والله اعلم بمراده واسرار كتابه تفسير
سورة الرعد وهي مكية قال ابن الجوزي اختلفوا في نزولها على قولين احدهما انها مكية رواه
ابو طلحة عن ابن عباس وبه قال الحسن وسعيد بن جبير وعطا وقتادة وروى ابو صالح عن ابن
عباس انها مكية الا ايتين احداهما قوله ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا قارعة والاخرى
قوله ويقول الذين كفروا لست مرسلا والقول الثاني انها مدنية رواه عطا الخراساني عن ابن عباس

وبه قال جابر بن زيد وروى عن ابن عباس انها مدنية الا ايتين نزلتا بمكة وهما قوله ولو ان
قرانا سيرت به الجبال الى اخر الايتين وقال بعضهم المدني منها قوله هو الذي يريكم البرق
الى قوله دعوة الحق وهي ثلاثة وقيل خمس واربعون اية وثمانماية وخمس وخمسون كلمة وثلاثة
الاف وخمسماية وستة احرف بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل المر قال ابن عباس معناه
انا الله اعلم وارى وروى عطا عنه قال معناه انا الله الملك الرحمن تلك ايات الكتاب الاشارة
بتلك الى ايات السورة المسماة بالمر والمراد بالكتاب السورة اي ايات السورة الكاملة العجيبة
في بابها ثم قال تعالى والذي انزل اليك يعني من القران كله هو الحق الذي لا مزيد عليه وقيل المراد
بالاشارة في قوله تلك الاخبار والقصص التي قصصتها عليك وهي ايات التوراة والانجيل
والكتب الالهية القديمة المنزلة والذي نزل اليك يعني وهذا القران الذي انزل اليك من ربك يا محمد
الحق اي هو الحق فاعتصم به وقال ابن عباس وقتادة اراد بايات الكتاب القران والمعنى هذه ايات
الكتاب الذي هو القران ثم قال والذي انزل اليك من ربك الحق يعني وهذا القران الذي انزل اليك
من ربك هو الحق الذي لا شك فيه ولا تناقض ولكن اكثر الناس لا يومنون يعني مشركي مكة نزلت
هذه الاية في الرد عليهم حين قالوا ان محمدا يقوله من تلقا نفسه ثم ذكر من دلايل ربوبيته
وعجايب قدرته ما يدل على وحدانيته فقال تعالى الله الذي رفع السموات بغير عمد جمع عمود
وهي الاساطين والدعايم التي تكون تحت السقف وفي قوله ترونها قولان احدهما ان الروية ترجع
الى السما يعني وانتم ترون السموات مرفوعة بغير عماد من تحتها يعني ليس من دونها دعامة تدعمها
ولا من فوقها علاقة تمسكها والمراد نفي العمد بالكلية قال اياس بن معاوية السما مقبية على الارض
مثل القبة وهذا قول الحسن وقتادة وجمهور المفسرين واحد الروايتين عن ابن عباس والقول الثاني
ان الروية ترجع الى العمد والمعنى ان لها عمدا ولكن لا ترونها انتم ومن قال بهذا القول يقول ان
عمدها على جبل قاف وهو جبل من زمرد محيط بالدنيا والسما عليه مثل القبة وهذا قول مجاهد
وعكرمة والرواية الاخرى عن ابن عباس والقول الاول هو الصحيح وقوله ثم استوى على العرش
تقدم تفسيره والكلام عليه في سورة الاعراف بما فيه كفاية وسخر الشمس والقمر يعني ذللهما لمنافع
خلقه فهما مقهوران يجريان على ما يريد كل يجري لاجل مسمى يعني الى وقت معلوم وهو وقت فنا
الدنيا وزوالها وقال ابن عباس اراد بالاجل المسمى درجاتهما ومنازلهما يعني انهما يجريان في منازلهما
ودرجاتهما الى غاية ينتهيان اليها ولا يجاوزانها وتحقيقه ان الله تعالى جعل لكل واحد من الشمس
والقمر سيرا خاصا الى جهة خاصة بمقدار خاص من السرعة والبطو في الحركة يدبر الامر يعني
انه تعالى يدبر العالم العلوي والسفلي ويصرفه ويقضيه بمشيته وحكمته على احكم الاحوال لا يشغله
شان عن شان وقيل يدبر الامر بالايجاد والاعدام والاحيا والاماتة ففيه دليل على كمال
القدرة والرحمة لان جميع العالم محتاجون الى تدبيره ورحمته داخلون تحت قهره وقضايه

وقدرته **يفصل الايات** يعني انه تعالى يبين الايات الدالة على وحدانيته وكمال قدرته وقيل
ان الدلايل الدالة على وجود الصانع قسمان الاول الموجودات المشاهدة وهي خلق السموات
وما فيها من العجايب واحوال الشمس والقمر وساير النجوم وهذا قد تقدم ذكره والقسم الثاني
الموجودات الحادثة في العالم وهي الموت بعد الحياة والفقر بعد الغنى والضعف بعد القوة
الى غير ذلك من احوال هذا العالم فكل ذلك مما يدل على وجود الصانع وكمال قدرته **لعلكم بلقا
ربكم توقنون** يعني انه تعالى ذكر هذه الدلايل الدالة على وجوده وكمال قدرته لكي توقنوا
وتصدقوا بلقايه والمصير اليه بعد الموت لان من قدر على ايجاد الانسان بعد عدمه قادر
على ايجاده واحيايه بعد موته واليقين صفة من صفات العلم وهي فوق المعرفة والدراية
وهو سكون الفهم مع ثبات الحكم وزوال الشك يقال منه استيقن وايقن بمعنى علم قوله تعالى
وهو الذي مد الارض لما ذكر الدلايل الدالة على وحدانيته وكمال قدرته وهي رفع السموات
بغير عمد وذكر احوال الشمس والقمر اردفها بذكر الدلايل الارضية فقال وهو الذي مد الارض
اي والله هو الذي مد الارض يعني بسطها على وجه الما وقيل كانت الارض مجتمعة فمدها من
تحت البيت الحرام وهذا القول انما يصح اذا قيل ان الارض مسطحة لا كرة وعند اصحاب الهيئة
ان الارض كرة ويمكن ان يقال ان الكرة اذا كانت كبيرة عظيمة فكل قطعة منها تشاهد ممدودة
كالسطح الكبيرة العظيم فحصل الجمع ومع ذلك فالله تعالى قد اخبر انه مد الارض وانه
دحاها وانه بسطها وكل ذلك يدل على التسطيح والله تعالى اصدق قيلا وابين دليلا
من اصحاب الهيئة **وجعل فيها** يعني الارض **رواسي** يعني جبالا ثابتة يقال رسى الشي يرسو اذا
ثبت وارساه غيره قال ابن عباس كان ابو قبيس اول جبل وضع على الارض **وانهارا** يعني وجعل
في الارض انهارا جارية لمنافع الخلق **ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين** يعني صنفين اثنين
احمر واصفر وحلوا وحامضا **يغشي الليل النهار** يعني يلبس النهار بظلمة الليل ويلبس الليل
بضو النهار **ان في ذلك** يعني الذي تقدم ذكره من عجايب صنعته وغرايب قدرته الدالة على
وحدانيته **لايات** اي لدلايل **لقوم يتفكرون** يعني فيستدلون بالصنعة على الصانع وبالسبب
على المسبب والفكر هو تصرف القلب في طلب الاشيا وقال صاحب المفردات الفكر قوة مطرقة للعلم
الى المعلوم والتفكر جريان تلك القوة بحسب نظر العقل وذلك للانسان دون الحيوان ولا يقال
الا فيما يمكن ان يحصل له صورة في القلب ولهذا روي تفكروا في الا الله ولا تفكروا في الله
اذ كان الله منزها ان يوصف بصورة وقال بعض الادبا الفكر مقلوب عن الفرك لكن يستعمل
الفكر في طلب المعاني وهو فرك الامور وبحثها طلبا للوصول الى حقيقتها قوله عز وجل **وفي الارض
قطع متجاورات** يعني متقاربات يقرب بعضها من بعض وهي مختلفة في الطبايع فهذه طيبة
تنبت وهذه سبخة فلا تنبت وهذه قليلة الريع وهذه كثيرة الريع **وجنات** يعني بساتين

والجنة كل بستان ذي شجر **من اعناب وزرع ونخيل** وغير ذلك سمي جنة لانه يستر باشجاره
الارض واليه الاشارة بقوله من اعناب وزرع ونخيل **صنوان وغير صنوان** جمع صنو وهي النخلات
يجتمعن من اصل واحد ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم في عمه العباس عم الرجل صنو ابيه يعني انهما
من اصل واحد وغير صنوان هي النخلة المفردة باصلها فالصنوان المجتمع وغير صنوان المتفرق
تسقى بما واحد يعني اشجار الجنات وزروعها والما جسم رقيق مايع به حياة كل نام وقيل في حده
جوهر سيال به قوام الارواح **ونفضل بعضها على بعض في الاكل** يعني في الطعم ما بين الحلو
والحامض والعفص وغير ذلك من الطعوم عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى
ونفضل بعضها على بعض في الاكل قال الدقل والفارسي والحلو والحامض اخرجه الترمذي وقال
حديث حسن غريب قال مجاهد كمثل بني ادم صالحهم وخبيثهم وابوهم واحد وقال الحسن
هذا مثل ضربه الله لقلوب بني ادم كانت الارض طينة في يد الرحمن فسطحها فصارت قطعا
متجاورات فينزل عليها ما السما فتخرج هذه زهرتها وثمرتها وشجرها وتخرج نباتها
وتخرج هذه سبخها وملحها وخبيثها وكل يسقى بما واحد فلو كان الما ملحا لقيل انما هذا
من قبل الما كذلك الناس خلقوا من ادم فينزل عليهم من السما تذكرة فترق قلوب قوم فتخشع وتخضع
وتقسو قلوب قوم فتلهو ولا تسمع وقال الحسن والله ما جالس القران احد الا قام من عنده بزيادة
او نقصان قال الله تعالى وننزل من القران ما هو شفا ورحمة للمومنين ولا يزيد الظالمين الا خسارا وقوله
تعالى **ان في ذلك** يعني الذي ذكرت **لايات لقوم يعقلون** يعني فيتدبرون ويتفكرون في الايات
الدالة على وحدانيته قوله تعالى **وان تعجب فعجب قولهم** العجب تغير النفس برؤية المستبعد في العادة
وقيل العجب حالة تعرض للانسان عند الجهل بسبب الشي ولهذا قال بعض الحكما العجب ما لا يعرف
سببه ولهذا قيل العجب في حق الله محال لانه تعالى علام الغيوب لا يخفى عليه خافية والخطاب في
الاية للنبي صلى الله عليه وسلم ومعناه وانك يا محمد ان تعجب من تكذيبهم اياك بعد ان كنت عندهم تعرف
بالصادق الامين فعجب امرهم وقيل معناه وان تعجب من اتخاذ المشركين ما لا يضرهم ولا ينفعهم الهة
يعبدونها مع اقرارهم بان الله تعالى خالق السموات والارض وهو يضر وينفع وقد راوا من قدرة الله
وما ضرب لهم به الامثال فعجب قولهم وقيل وانك ان تعجب من انكارهم النشاة الاخرة والبعث
بعد الموت مع اقرارهم بان ابتدا الخلق من الله فعجب قولهم وذلك ان المشركين كانوا ينكرون البعث
بعد الموت مع اقرارهم بان ابتدا الخلق من الله وقد تقرر في النفوس ان الاعادة اهون من الابتدا
فهذا موضع التعجب وهو قولهم **ايذا كنا ترابا** يعني بعد الموت **اينا لفي خلق جديد** يعني نعاد خلقا
جديدا بعد الموت كما كنا قبله ثم ان الله تعالى قال في حقهم **اوليك الذين كفروا بربهم** وفيه دليل
على ان كل من انكر البعث بعد الموت فهو كافر بالله تعالى لان من انكر البعث بعد الموت فقد انكر
القدرة وان الله على كل شي قدير ومن انكر فهو كافر **واوليك الاغلال في اعناقهم** يعني يوم القيمة

والاغلال جمع غل وهو طوق من حديد يجعل في العنق وقيل اراد بالاغلال ذلهم وانقيادهم
يوم القيامة كما يقاد الاسير الذليل بالغل واوليك اصحاب النار هم فيها خالدون يعني انهم
مقيمون فيها لا يخرجون منها ولا يموتون ويستعجلونك بالسيئة قبل الحسنة الاستعجال
طلب تعجيل الامر قبل مجي وقته والمراد بالسيئة هنا العقوبة وبالحسنة العافية وذلك
ان مشركي مكة كانوا يطلبون العقوبة بدلا من العافية استهزا منهم وهو قولهم اللهم
ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السما او ايتنا بعذاب اليم وقد خلت
من قبلهم المثلات يعني وقد مضت في الامم المكذبة العقوبات بسبب تكذيبهم رسلهم
والمثلة بفتح الميم وضم الثا نقمة تنزل بالانسان فيجعل مثالا ليرتدع غيره به وذلك
كالنكال وجمعه مثلات ومثلات بفتح الميم وضمها مع ضم الثا فيهما لغتان وان ربك لذو
مغفرة للناس على ظلمهم قال ابن عباس معناه انه لذو تجاوز عن المشركين اذا امنوا وان ربك لشديد
العقاب يعني للمصرين على الشرك الذي ماتوا عليه وقال مقاتل انه لذو تجاوز عن شركهم
في تاخير العذاب عنهم وانه لشديد العقاب اذا عاقب ويقول الذين كفروا يعني من اهل مكة
لولا اي هلا انزل عليه يعني على محمد صلى الله عليه وسلم اية من ربه يعني مثل عصى موسى وناقة
صالح وذلك انهم لم يقتنعوا بما راوا من الايات التي جا بها النبي صلى الله عليه وسلم انما انت
منذر اي ليس عليك يا محمد غير الانذار والتخويف وليس اليك من الايات شي ولكل قوم هاد
قال ابن عباس الهادي هو الله وهذا قول سعيد بن جبير وعكرمة ومجاهد والضحاك
والنخعي والمعنى انما اليك الانذار يا محمد والهادي هو الله يهدي من يشا وقال عكرمة في
رواية اخرى عنه وابو الضحى الهادي هو رسول الله صلى الله عليه وسلم والمعنى انت منذر
وانت هادي وقال الحسن وقتادة وابن زيد يعني ولكل قوم نبي يهديهم وقال ابو العالية
الهادي هو العمل وقال ابو صالح الهادي هو القايد الى الخير او الى الشر قوله عز وجل الله يعلم
ما تحمل كل انثى لما سالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم الايات اخبرهم الله عن عظيم قدرته
وكمال علمه وانه عالم بما تحمل كل انثى يعني من ذكر او انثى سوي الخلق او ناقص الخلق واحدا و
اثنين او اكثر وما تغيض يعني وما تنقص الارحام وما تزداد قال اهل التفسير غيض الارحام
الحيض على الحمل فاذا حاضت الحامل كان ذلك نقصا في الولد لان دم الحيض هو غذا الولد
في الرحم فاذا خرج الدم نقص الغذا فينقص الولد واذا لم تحض يزداد الولد ويتم
فالنقصان نقصان خلقة الولد بخروج الدم والزيادة تمام خلقه باستمساك الدم
وقيل اذا حاضت المراة في وقت حملها ينقص الغذا وتزداد مدة الحمل حتى تستكمل تسعة
اشهر طاهرة فاذا رات خمسة ايام دما وضعت لتسعة اشهر وخمسة ايام فالنقصان
في الغذا والزيادة في مدة الحمل وقيل النقصان السقط والزيادة تمام الخلق وقال الحسن غيضها

نقصانها من تسعة اشهر والزيادة زيادتها على تسعة اشهر فاقل مدة الحمل ستة
اشهر وقد يولد لهذه المدة ويعيش واختلفوا في اكثره فقال قوم اكثر مدة الحمل سنتان وهو
قول عايشة وبه قال ابو حنيفة وقيل ان الضحاك ولد لسنتين وقال جماعة اكثرها اربع سنين
واليه ذهب الشافعي قال حماد بن ابي سلمة انما سمي هرم بن حيان هرما لانه بقي في بطن امه اربع
سنين وعند مالك ان اكثر مدة الحمل خمس سنين وكل شي عنده بمقدار يعني بتقدير وحد لا يجاوزه
ولا ينقص منه وقيل انه تعالى يعلم كمية كل شي وكيفيته على اكمل الوجوه وقيل معناه
انه تعالى خصص كل حادثة من الحوادث بوقت معين وحالة معينة وذلك بمشيته
الازلية وارادته وتقديره الذي لا يقدر عليه غيره عالم الغيب والشهادة يعني انه تعالى عالم
ما غاب عن خلقه وما يشاهدوه وقيل الغيب هو المعدوم والشاهد هو الموجود وقيل
الغيب ما غاب عن الحس والشاهد ما حضر في الحس الكبير اي العظيم الذي يصغر كل كبير
بالاضافة الى عظمته وكبريايه فهو يعود الى معنى كبير قدره وانه تعالى المستحق لصفات
الكمال المتعال يعني المنزه عن صفات النقص المتعالي عن الخلق وفيه دليل على انه تعالى الموصوف
بالعلم الكامل والقدرة التامة وتنزيهه عن جميع النقايص قوله تعالى سوا منكم من اسر
القول ومن جهر به اي مستو منكم من اخفى القول وكتمه ومن اظهره واعلنه والمعنى انه قد استوى
في علم الله تعالى المسر بالقول والجاهر به ومن هو مستخف بالليل اي مستتر بظلمته وسارب
بالنهار اي ذاهب في سربه ظاهرا والسرب بفتح السين وسكون الرا الطريق وقال القتيبي السارب
المتصرف في حوايجه قال ابن عباس في هذه الاية هو صاحب ريبة مستخف بالليل واذا خرج
بالنهار ارى الناس انه بري من الاثم وقيل مستخف بالليل ظاهر من قولهم خفيت الشي اذا اظهرته
واخفيته اذا كتمته وسارب بالنهار اي متوار دخل في سرب مستخفيا ومعنى الاية سوا ما
اضمرته القلوب ونطقت به الالسنة وسوا من اقدم على القبايح مستترا في ظلمات الليل
او اتى بها ظاهرا في النهار فان علمه تعالى محيط بالكل له معقبات يعني لله ملايكة يتعاقبون
بالليل والنهار فاذا صعدت ملايكة الليل عقبتها ملايكة النهار والتعقيب العود بعد البدء
وانما ذكر معقبات بلفظ التانيث وان كان الملايكة ذكورا لان واحدها معقب وجمعه
معقبة ثم جمع المعقبة معقبات كما قيل ابناوات سعد ورجالات بكر ق عن ابي هريرة
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يتعاقبون فيكم ملايكة بالليل وملايكة بالنهار ويجتمعون
في صلاة الفجر وصلاة العصر ثم يعرج الذين باتوا فيكم فيسالهم وهو اعلم بهم كيف تركتم
عبادي فيقولون تركناهم وهم يصلون واتيناهم وهم يصلون وقيل انه مع كل واحد من بني
ادم ملكان ملك عن يمينه وهو صاحب الحسنات وملك عن شماله وهو كاتب السيات وكاتب
الحسنات امين على كاتب السيات فاذا عمل العبد حسنة كتبها له بعشر امثالها واذا عمل سيئة

قال صاحب الشمال لصاحب اليمين اكتبها عليه فيقول انظره لعله يتوب او يستغفر
فيستاذنه ثلاث مرات فان هو تاب منها والا قال له اكتبها عليه سيئة واحدة وملك موكل
بناصية العبد فاذا تواضع العبد لله عز وجل رفعه بها وان تجبر على الله وضعه الله وملك
موكل بعينيه يحفظهما من الاذى وملك موكل بفيه لا يدع يدخل في فيه شيا من الهوام
يوذيه فهولا خمسة املاك موكلون بالعبد في ليله وخمسة غيرهم في نهاره فانظر الى
عظمة الله تعالى وقدرته وكمال شفقته عليك ايها العبد المسكين وهو قوله تعالى **من بين يديه
ومن خلفه يحفظونه من امر الله** يعني يحفظون العبد من بين يديه ومن وراء ظهره وهي من امر
الله بامر الله واذنه ما لم يجي القدر فاذا جا خلوا عنه وقيل يحفظونه مما امر الله به من
الحفظ له قال مجاهد ما من عبد الا وملك له يحفظه في نومه ويقظته من الجن والانس
والهوام فما منهم من شي ياتيه يريده الا قال له الملك وراك الا شي ياذن الله فيه فيصيبه
وقال كعب الاحبار لولا ان الله تعالى وكل بكم ملايكة يذبون عنكم في مطعمكم ومشربكم
وعوراتكم لتخطفتكم الجن وقال ابن جريج معنى يحفظونه اي يحفظون عليه الحسنات والسيات
وهذا على قول من يقول ان الاية في الملكين القاعدين عن اليمين والشمال يكتبان الحسنات والسيات
وقال عكرمة الاية في الامرا وحرسهم يحفظونهم من بين ايديهم ومن خلفهم والضمير في قوله
له راجع الى النبي صلى الله عليه وسلم قال ابن عباس في معنى هذه الاية لمحمد صلى الله عليه وسلم
حراس من الرحمن من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من شر الجن وطوارق الليل والنهار وقال
عبد الرحمن بن زيد نزلت هذه الاية في عامر بن الطفيل واربد بن ربيعة وكانت قصتهما على
ما رواه الكلبي عن ابي صالح عن ابن عباس قال اقبل عامر بن الطفيل واربد بن ربيعة وهما
عامريان يريدان رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو جالس في المسجد مع نفر من اصحابه فدخلا
المسجد فاستشرف الناس لجمال عامر وكان من اجمل الناس وكان اعور فقال رجل يا رسول الله
هذا عامر بن الطفيل قد اقبل نحوك فقال دعه فان يرد الله به خيرا يهده فاقبل حتى قام على
رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال يا محمد ما لي ان اسلمت قال لك ما للمسلمين وعليك ما على
المسلمين قال تجعل الامر لي بعدك قال ليس ذلك الي انما ذلك الى الله يجعله حيث يشا قال
فتجعلني على اهل الوبر وانت على اهل المدر قال لا قال فما تجعل لي قال اجعل لك اعنة الخيل
تغزو عليها قال اوليس ذلك لي اليوم قم معي اكلمك فقام معه رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان عامر
قد اوصى الى اربد بن ربيعة اذا رايتني اكلمه فدر من خلفه فاضربه بالسيف فجعل عامر يخاصم
رسول الله صلى الله عليه وسلم ويراجعه ودار اربد خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم
ليضربه فاخترط شبرا من سيفه ثم حبسه الله تعالى عليه فلم يقدر على سله وجعل عامر
يومي اليه فالتفت رسول الله صلى الله عليه وسلم فراى اربد وما صنع بسيفه فقال اللهم

اكفنيهما بما شيت فارسل الله على اربد صاعقة في يوم صحو قايظ فاحرقته وولى عامر
هاربا وقال يا محمد دعوت ربك فقتل اربد والله لاملانها عليك خيلا جردا وفتيانا مردا
فقال النبي صلى الله عليه وسلم يمنعك الله من ذلك وابنا قيلة يريد الاوس والخزرج فنزل عامر بيت
امراة سلولية فلما اصبح ضم عليه سلاحه فخرج له خراج في اصل اذنه اخذه منه مثل النار
فاشتد عليه فقال اغدة كغدة البكر وموت في بيت سلولية ثم ركب فرسه وجعل يركض في
الصحرا ويقول ابرز يا ملك الموت وجعل يقول الشعر ويقول لين بصرت محمدا وصاحبه يعني ملك
الموت لانفذتهما برمحي فارسل الله ملكا فلطمه فاخره في التراب ثم عاد فركب واجراه حتى مات
على ظهره واجاب الله عز وجل دعا رسوله صلى الله عليه وسلم في عامر بن الطفيل فمات بالطعن
واربد بن ربيعة مات بالصاعقة وانزل الله عز وجل في شان هذه القصة سوا منكم من اسر
القول ومن جهر به الى قوله له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من امر الله اي بامر الله وقيل
وقيل ان تلك المعقبات من امر الله وفيه تقديم وتاخير تقديره له معقبات من امر الله يحفظونه
من بين يديه ومن خلفه وقوله **ان الله لا يغير ما بقوم** خطاب لهذين عامر بن الطفيل واربد
ابن ربيعة يعني لا يغير ما بقوم من العافية والنعمة التي انعم بها عليهم **حتى يغيروا ما بانفسهم**
يعني من الحال الجميلة فيعصون ربهم ويجحدون نعمه عليهم فعند ذلك تحل نقمته بهم وهو قوله تعالى
واذا اراد الله بقوم سوا يعني هلاكا وعذابا **فلا مرد له** يعني لا يقدر احد ان يرد ما نزل بهم من
قضايه وقدره **وما لهم من دونه من وال** يعني وليس لهم من دون الله من وال يلي امرهم وينصرهم ويمنع
العذاب عنهم قوله عز وجل **هو الذي يريكم البرق خوفا وطمعا** لما خوف الله عز وجل عباده بقوله
واذا اراد الله بقوم سوا ذكر في هذه الاية من عظيم قدرته ما يشبه النعم من وجه ويشبه
العذاب من وجه فقال تعالى هو الذي يعني الذي يريكم البرق والبرق معروف وهو لمعان يظهر
من خلال السحاب وفي كونه خوفا وطمعا وجوه الاول ان عند لمعان البرق يخاف من الصواعق
ويطمع في نزول المطر الثاني انه يخاف من البرق من يتضرر بالمطر كالمسافر ومن في جرينه
يعني بيدره التمر والزبيب والقمح ونحو ذلك ويطمع فيه من له في نزول المطر نفع كالزراع ونحوه
الثالث ان المطر يخاف منه اذا كان في غير مكانه وزمانه ويطمع فيه اذا كان في مكانه وزمانه
فان من البلاد ما اذا امطرت قحطت واذا لم تمطر اخصبت **وينشي السحاب الثقال** يعني بالمطر
يقال انشا الله السحاب فنشات اي ابداها فبدات والسحاب جمع سحابة والسحاب غربال
الما قاله علي بن ابي طالب رضي الله عنه وقيل السحاب الغيم فيه ما او لم يكن فيه ما ولهذا قيل
سحاب جهام وهو الخالي من الما واصل السحب الجر وسمي السحاب سحابا اما لجر الريح او لجره
الما او لانجراره في سيره **ويسبح الرعد بحمده** اكثر المفسرين على ان الرعد اسم للملك الذي يسوق
السحاب والصوت المسموع منه تسبيحه واورد على هذا القول انه عطف عليه قوله والملايكة

من خيفته واذا كان المعطوف مغايرا للمعطوف عليه وجب ان يكون غيره واجيب عنه
انه لا يبعد ان يكون الرعد اسم لملك من الملايكة وانما افرده بالذكر تشريفا له على غيره من الملايكة
فهو كقوله وملايكته وجبريل وميكال قال ابن عباس اقبلت يهود الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقالوا اخبرنا عن الرعد ما هو قال ملك من الملايكة موكل بالسحاب معه مخاريق من نار يسوق بها
حيث شا الله قالوا فما هذا الصوت الذي يسمع قال زجر السحاب حتى تنتهي حيث امرت قالوا
صدقت اخرجه الترمذي مع زيادة فيه المخاريق جمع مخراق وهو في الاصل ثوب يلف ويضرب
به الصبيان بعضهم بعضا واراد به هنا الة تزجر الملايكة السحاب بها وقد جا تفسيره
في حديث اخر وهو سوط من نور تزجر به الملايكة السحاب وقال ابن عباس من سمع صوت
الرعد فقال سبحان من يسبح الرعد بحمده والملايكة من خيفته وهو على كل شي قدير فان اصابته
صاعقة فعلي ديته وكان عبد الله بن الزبير اذا سمع الرعد ترك الحديث وقال سبحان من يسبح
الرعد بحمده والملايكة من خيفته وكان يقول ان الرعد هذا لاهل الارض شديد وفي بعض الاخبار
ان الله تعالى يقول لو ان عبادي اطاعوني لسقيتهم المطر بالليل واطلعت عليهم الشمس بالنهار
ولم اسمعهم صوت الرعد وروى جويبر عن الضحاك عن ابن عباس انه قال الرعد ملك موكل بالسحاب
يصرفه الى حيث يومر وانه يحوز الما في نقرة ابهامه وانه يسبح الله فاذا سبح لا يبقى ملك في
السما الا رفع صوته بالتسبيح فعندها ينزل المطر وقيل ان الرعد اسم لصوت الملك الموكل
بالسحاب ومع ذلك فان صوت الرعد تسبيح الله عز وجل لان التسبيح والتقديس عبارة
عن تنزيه الله عز وجل عن جميع النقايص فكان وجود هذا الصوت المسموع من الرعد وحدوثه
دليلا على وجود موجود خالق قادر متعال عن جميع النقايص والا لم يكن ذلك في الحقيقة
تسبيحا ومنه قوله وان من شي الا يسبح بحمده وقيل المراد بتسبيح الرعد ان من سمعه سبح
الله فلهذا المعنى اضيف التسبيح اليه وقوله والملايكة من خيفته يعني وتسبح الملايكة من
خيفة الله عز وجل وهيبته وخشيته وقيل المراد بهولا الملايكة اعوان السحاب
جعل الله عز وجل مع الملك الموكل بالسحاب اعوانا من الملايكة فهم خايفون خاضعون طايعون
وقيل المراد بهم جميع الملايكة وحمله على العموم اولى ويرسل الصواعق جمع صاعقة وهي العذاب
النازل من البرق فتحرق من تصيبه وقيل هي الصوت الشديد النازل من الجو ثم تكون فيه
نار او عذاب او موت وهي في ذاتها شي واحد وهي الاشيا الثلاثة تنشا منها فيصيب
بها يعني بالصواعق من يشا يعني فيهلكه بها كما اصاب اربد بن ربيعة قال محمد بن علي الباقر
الصاعقة تصيب المسلم وغير المسلم ولا تصيب الذاكر وهم يجادلون في الله يعني يخاصمون
في الله وقيل المجادلة المفاوضة على سبيل المنازعة والمغالبة واصله من جدلت الحبل
اي احكمت فتله نزلت في شان اربد بن ربيعة حين قال للنبي صلى الله عليه وسلم مم ربك امن در

ام من ياقوت ام ذهب فنزلت صاعقة من السما فاحرقته وسيل الحسن عن قوله ويرسل الصواعق
الاية فقال كان رجل من طواغيت العرب بعث اليه النبي صلى الله عليه وسلم نفرا من اصحابه يدعونه
الى الله والى رسوله فقال لهم اخبروني عن رب محمد هذا الذي يدعونا اليه مم هو من ذهب
او فضة او حديد او نحاس فاستعظم القوم كلامه فانصرفوا الى النبي صلى الله عليه وسلم
فقالوا يا رسول الله ما راينا رجلا اكفر قلبا ولا اعتى على الله منه فقال ارجعوا اليه فرجعوا
اليه فلم يزدهم على مقالته الاولى شيا وقال اجيب محمدا الى رب لا اراه ولا اعرفه فانصرفوا
الى النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا يا رسول الله ما زادنا على مقالته الاولى شيا بل قال اخبث
فقال ارجعوا اليه فرجعوا اليه فبينما هم عنده يدعونه وينازعونه وهو لا يزيدهم على مقالته
شيا اذ ارتفعت سحابة فكانت فوق رووسهم فرعدت وبرقت ورمت بصاعقة فاحرقت
الكافر وهم جلوس عنده فرجعوا ليخبروا النبي صلى الله عليه وسلم فاستقبلهم نفر من اصحاب النبي
صلى الله عليه وسلم فقالوا لهم احترق صاحبكم قالوا من اين علمتم ذلك قالوا قد اوحى الى النبي صلى
الله عليه وسلم ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشا
اختلفوا في هذه الواو فقيل هي واو الحال فيكون المعنى فيصيب بها من يشا في حال جداله في الله
وذلك ان اربد لما جادل في الله اهلكه الله بالصاعقة وقيل انها واو الاستيناف فيكون
المعنى انه تعالى لما تمم ذكر هذه الدلايل قال بعد ذلك وهم يجادلون في الله وهو شديد المحال اي شديد
الاخذ بالعقوبة من قولهم محل به محلا اذا اراده بسو وقيل هو من قولهم محل به اذا سعى به
الى السلطان وعرضه للهلاك وتمحل اذا تكلف استعمال الحيلة واجتهد فيه فيكون المعنى
انه سبحانه وتعالى شديد المحال باعدايه حتى يهلكهم بطريق لا يعرفونه ولا يتوقعونه
وقيل المحال من الحول والحيلة والميم زايدة ثم اختلفت عبارات المفسرين في معنى قوله شديد المحال
قال الحسن معناه شديد النقمة وقال مجاهد وقتادة شديد القوة وقال ابن عباس شديد
الحول وقيل شديد العقوبة وقيل معناه شديد الجدال وذلك انه لما اخبر عنهم انهم يجادلون
في الله اخبر انه اشد جدالا منهم قوله تعالى له دعوة الحق يعني لله دعوة الصدق قال علي دعوة
الحق التوحيد وقال ابن عباس شهادة ان لا اله الا الله قال صاحب الكشاف دعوة الحق فيه
وجهان احدهما ان تضاف الدعوة الى الحق الذي هو نقيض الباطل كما تضاف الكلمة اليه في قولك
كلمة الحق للدلالة على ان الدعوة ملابسة للحق مختصة به وانها بمعزل من الباطل والمعنى ان
الله تعالى يدعى فيستجيب الدعوة ويعطي الداعي سوله ان كان مصلحة له فكانت دعوة ملابسة
للحق لكونه حقيقا بان يوجه اليه الدعا لما في دعوته من الجدوى والنفع بخلاف ما لا ينفع فيه
ولا يجدي دعاوه والثاني ان تضاف الى الحق الذي هو الله على معنى دعوة المدعو الحق الذي
يسمع فيجيب وعن الحسن الله هو الحق وكل دعا اليه دعوة الحق فان قلت ما وجه اتصال هذين

الوصفين بما قبله قلت اما على قصة اربد فظاهر لانه اصابته بالصاعقة كانت بدعوة
رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه دعا عليه وعلى صاحبه عامر بن الطفيل فاجيب فيهما فكانت
الدعوة دعوة حق واما على قوله وهم يجادلون في الله فوعيد للكفار على مجادلتهم رسول الله صلى
الله عليه وسلم واجابة دعايه ان دعا عليهم وقيل في معنى الاية الدعا بالاخلاص والدعا الخالص
لا يكون الا لله تعالى والذين يدعون من دونه يعني والذين يدعونهم الهة من دون الله وهي الاصنام
التي يعبدونها لا يستجيبون لهم بشي يعني لا يجيبونهم بشي يريدونه من نفع او دفع ضر الا
دعوتهم الا كباسط كفيه الى الما ليبلغ فاه وما هو ببالغه يعني الا كاستجابة الما
لمن بسط كفيه اليه يطلب منه ان يبلغ فاه والما جماد لا يشعر ببسط كفيه ولا بعطشه ولا
يقدر ان يجيب دعاه او يبلغ فاه وكذلك ما يدعونه جماد لا يحس بدعايهم ولا يستطيع
اجابتهم ولا يقدر على نفعهم وقيل شبههم في قلة جدوى دعايهم لالهتهم بمن اراد ان
يغرف الما بيديه ليشربه فبسطهما ناشرا اصابعه فلم تلق كفاه منه شيا ولم يبلغ طلبته
من شربه وقيل ان القابض على الما ناشرا اصابعه لا يكون في يده منه شي ولا يبلغ الى فيه
منه شي كذلك الذي يدعو الاصنام لانها لا تضر ولا تنفع ولا بيده منها شي وقيل
شبهه بالرجل العطشان الذي يرى الما بعينه من بعيد فهو يشير بكفيه الى الما ويدعوه
بلسانه فلا ياتيه ابدا هذا معنى قول مجاهد وعن عطا كالعطشان الجالس على شفير البير
وهو يمد يده الى البير فلا هو يبلغ الى قعر البير ليخرج الما ولا الما يرتفع اليه فلا ينفعه بسطه
الكف الى الما ودعاوه له ولا هو يبلغ فاه كذلك الذين يدعون الاصنام لا ينفعهم ذلك
وقال ابن عباس كالعطشان اذا بسط كفيه في الما لا ينفعه ذلك ما لم يغرف بهما من الما ولا يبلغ
الما فاه ما دام باسط كفيه وهذا مثل ضربه الله تعالى للكفار ودعايهم الاصنام حين
لا ينفعهم البتة ثم ختم هذا بقوله وما دعا الكافرين يعني اصنامهم الا في ضلال يعني
يضل عنهم اذا احتاجوا اليه وقال ابن عباس في هذه الاية لان اصواتهم محجوبة عن الله تفسير
قوله عز وجل ولله يسجد من في السموات والارض طوعا وكرها في معنى هذا السجود قولان
احدهما ان المراد منه السجود على الحقيقة وهو وضع الجبهة على الارض ثم على هذا القول
ففي معنى الاية وجهان احدهما ان اللفظ وان كان عاما الا ان المراد منه الخصوص
فقوله ولله يسجد من في السموات يعني الملايكة ومن في الارض يعني المومنين طوعا
وكرها يعني من المومنين من يسجد لله طوعا وهم المومنون المخلصون لله العبادة وكرها
يعني المنافقين الداخلين في المومنين وليسوا منهم فان سجودهم لله على كره منهم لانهم
لا يرجون على سجودهم ثوابا ولا يخافون على تركه عقابا بل سجودهم وعبادتهم خوفا
من المومنين الوجه الثاني هو حمل اللفظ على العموم وعلى هذا ففي اللفظ اشكال وهو ان

جميع

جميع الملايكة والمومنين من الجن والانس يسجدون لله طوعا ومنهم من يسجد له كرها كما تقدم
واما الكفار من الجن والانس فلا يسجدون لله البتة فهذا وجه الاشكال والجواب عنه
انه يجب على كل من في السموات ومن في الارض ان يسجد لله فعبر عن الوجوب بالوقوع
والحصول وجواب اخر ان يكون المراد من هذا السجود الاعتراف بالعظمة والعبودية
وكل من في السموات من ملك ومن في الارض من انس وجن فانهم يقرون لله بالعبودية والتعظيم
ويدل عليه قوله تعالى ولين سالتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله والقول الثاني
في معنى هذا السجود هو الانقياد والخضوع وترك الامتناع وكل من في السموات والارض
ساجد لله بهذا المعنى وهذا الاعتبار لان قدرته ومشيته نافذة في الكل فهم خاضعون
منقادون له وقوله تعالى وظلالهم بالغدو والاصال الغدو والغدوة والغداة من اول
النهار وقيل الى نصف النهار والغدوة بالضم من طلوع الفجر الى طلوع الشمس والاصال جمع اصيل
وهو العشية والاصال العشايا جمع عشية وهي ما بين صلاة العصر الى غروب الشمس
قال المفسرون ظل كل شي يسجد لله سوى ظل الكافر وقال مجاهد ظل المومن يسجد
لله طوعا وهو طايع وظل الكافر يسجد لله كرها وهو كاره وقال الزجاج جا في التفسير
ان الكافر يسجد لغير الله وظله يسجد لله قال ابن الانباري لا يبعد ان يخلق الله تعالى للظلال
عقولا وافهاما تسجد بها وتخشع كما جعل للجبال افهاما حتى سبحت لله مع داود وقيل
المراد بسجود الظلال ميلانها من جانب الى جانب اخر وطولها وقصرها بسبب ارتفاع الشمس
ونزولها وانما خص الغدو والاصال بالذكر لان الظلال تعظم وتكثر في هذين الوقتين وقيل
لانهما طرفا النهار فيدخل وسطه فيما بينهما فصل وهذه السجدة من عزايم سجود التلاوة
فيسن للقاري والمستمع ان يسجد عند قراته واستماعه لهذه السجدة والله اعلم قوله تعالى قل
من رب السموات والارض اي قل يا محمد لهولا المشركين الذين يعبدون غير الله من رب السموات
والارض يعني من مالك السموات والارض ومن مدبرهما وخالقهما فسيقولون الله لانهم مقرون
بان الله خالق السموات وما فيها والارض وما فيها فاذا اجابوك لذلك فقل انت يا محمد
الله رب السموات والارض وقيل لما قال هذه المقالة للمشركين عطفوا عليه وقالوا
اجب انت فامره الله ان يجيبهم بقوله قل اي قل يا محمد الله وقيل انما جا السوال والجواب
من جهة واحدة لان المشركين لا ينكرون ان الله خالق كل شي فلما لم ينكروا ذلك واجاب النبي
صلى الله عليه وسلم بقول الله فكانهم قالوا ذلك ايضا ثم الزمهم الحجة على عبادتهم الاصنام
بقوله قل اي قل يا محمد للمشركين افاتخذتم من دونه يعني من دون الله اوليا يعني الاصنام والولي
الناصر والمعنى توليتم غير رب السموات والارض واتخذتموه انصارا يعني الاصنام لا يملكون
يعني وهم لا يملكون لانفسهم نفعا ولا ضرا فكيف لغيرهم ثم ضرب الله مثلا للمشركين الذين يعبدون

الاصنام وللمومن الذي يعبد الله فقال تعالى **قل هل يستوي الاعمى والبصير** قال ابن
عباس يعني المشرك والمومن **ام هل تستوي الظلمات والنور** يعني الشرك والايمان والمعنى
كما لا يستوي الاعمى والبصير كذلك لا يستوي الكافر والمومن وكما لا تستوي الظلمات والنور
كذلك لا يستوي الكفر والايمان وانما شبه الكافر بالاعمى لانه لا يهتدي سبيلا كذلك الكافر
لا يهتدي سبيلا **ام جعلوا لله شركا** هذا استفهام انكار يعني جعلوا لله شركا **خلقوا كخلقه**
يعني خلقوا سموات وارضين وشمسا وقمرا وجبالا وبحارا وجنا وانسا **فتشابه الخلق عليهم**
من هذا الوجه والمعنى هل راوا غير الله خلق شيا فاشتبه عليهم خلق الله بخلق غيره وقيل
انه تعالى وبخهم بقوله ام جعلوا لله شركا خلقوا خلقا مثل خلقه فتشابه خلق الشركا بخلق الله
عندهم وهذا استفهام انكار اي ليس الامر كذلك حتى يشتبه عليهم الامر بل اذا انفكروا
بعقولهم وجدوا الله تعالى هو المنفرد بخلق ساير الاشيا والشركا مخلوقون له ايضا لا يخلقون
شيا حتى يشتبه خلق الله بخلق الشركا واذا كان الامر كذلك فقد لزمتهم الحجة وهو قوله
قل الله خالق كل شي اي قل يا محمد لهولا المشركين الله خالق كل شي مما يصح ان يكون مخلوقا وقوله
الله خالق كل شي من العموم الذي يراد به الخصوص لان الله تعالى شي وهو غير مخلوق **وهو الواحد**
يعني والله تعالى هو الواحد المنفرد بخلق الاشيا كلها **القهار** لعباده حتى يدخلهم تحت قضايه
وقدره وارادته قوله عز وجل **انزل من السما ما** لما شبه الله عز وجل الكافر بالاعمى والمومن بالبصير
وشبه الكفر بالظلمات والايمان بالنور ضرب لذلك مثلا فقال تعالى انزل من السما ما يعني المطر
فسالت اودية بقدرها اودية جمع واد وهو المفرج بين الجبلين يسيل فيه الما وقوله فسالت
اودية فيه اتساع وحذف تقديره سال ما في الوادي فهو كما يقال جرا النهر والمراد جرى الما في النهر
فحذف المضاف لدلالة الكلام عليه بقدرها قال مجاهد بملها وقال ابن جريج الصغير بقدره
والكبير بقدره وقيل بمقدار ملها وانما نكر اودية لان المطر اذا نزل لا يعم جميع الارض ولا يسيل
في كل الاودية بل ينزل في ارض دون ارض ويسيل في واد دون واد فلهذا السبب جا هذا
بالتنكير وقال ابن عباس انزل من السما ما يعني قرانا وهذا مثل ضربه الله تعالى فسالت اودية
بقدرها يريد بالاودية القلوب شبه نزول القران الجامع للهدى والنور والبيان بنزول المطر
لان المطر اذا نزل عم نفعه وكذلك القران وشبه القلوب بالاودية لان الاودية يستكن فيها الما
وكذلك القلوب يستكن فيها الايمان والعرفان ببركة نزول القران فيها وهذا خاص بالمومنين لانهم الذين
انتفعوا بنزول القران ق عن ابي موسى الاشعري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان مثل ما بعثني
الله به من الهدى والعلم كمثل غيث اصاب ارضا فكانت منها طايفة طيبة قبلت الما فانبتت
الكلا والعشب الكثير وكان منها اجادب امسكت الما فنفع الله بها الناس فشربوا منها وسقوا
وزرعوا واصاب طايفة منها اخرا انما هي قيعان لا تمسك ما ولا تنبت كلا فذلك مثل من فقه في

دين

دين الله ونفعه ما بعثني الله به فعلم وعلم ومثل من لم يرفع بذلك راسا ولم يقبل هدى الله الذي
ارسلت به قال الشيخ محيي الدين النواوي رحمه الله وغيره في معنى هذا الحديث وشرح اما الكلا
فبالهمز يقع على الرطب واليابس من الحشيش وقوله وكان منها اجادب فبالجيم والدال المهملة والبا
كذا وقع في الصحيحين وهي الارض التي لا تنبت الكلا جمع جدب على غير قياس وقياسه اجدب
والجدب ضد الخصب وقال الخطابي هي التي تمسك الما ولا تسرع فيه النضوب وفي رواية الهروي
اخاذات بالخا المعجمة والذال المعجمة جمع اخاذة وهي الغدير الذي يمسك الما وقوله وزرعوا كذا
هو في صحيح مسلم من الرعي ووقع في صحيح البخاري وزرعوا بزيادة زاي من الزرع والقيعان بكسر
القاف جمع قاع وهو المستوي من الارض وقوله فذلك مثل من فقه في دين الله يروى بضم القاف
وهو المشهور وروي بكسرها ومعناه الفهم في الاحكام واما معنى الحديث ومقصوده فهو ان
النبي صلى الله عليه وسلم ضرب مثلا لما جا به من الهدى والعلم بالارض التي اصابها المطر قال العلما
والارض ثلاثة انواع وكذلك الناس لانهم منها خلقوا فالنوع الاول من انواع الارض الارض
الطيبة التي تنتفع بالمطر فينبت به العشب فينتفع الناس به والدواب بالشرب والرعي وغير
ذلك وكذلك النوع الاول من الناس من يبلغه الهدى والعلم فيحيي به قلبه ويحفظه ويعمل به ويعلمه
غيره فينتفع به وينفع غيره قال مسروق صحبت اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجدتهم
كالاخاذات لان قلوبهم كانت واعية فصارت اوعية العلوم بما رزقت من صفا الفهوم النوع
الثاني من انواع الارض ارض لا تقبل الانتفاع في نفسها لكن فيها فايدة لغيرها وهي امساك الما لغيرها
لينتفع به الناس والدواب وكذا النوع الثاني من الناس لهم قلوب حافظة ولكن ليس لهم افهام ثاقبة
فيبقى ما عندهم من العلم حتى يجي المحتاج اليه المتعطش لما عندهم من العلم فياخذه منهم فينتفع
هو وغيره النوع الثالث من انواع الارض ارض سبخة لا تنبت مرعى ولا تمسك ما كذلك النوع الثالث
من الناس ليس لهم قلوب حافظة وافهام ثاقبة فاذا بلغهم شي من العلم لا ينتفعون به في انفسهم
ولا ينفعون غيرهم والله اعلم وقوله تعالى **فاحتمل السيل زبدا رابيا** الزبد ما يعلو على وجه الما عند
الزيادة كالخبث وكذلك ما يعلو على القدر عند غليانها والمعنى فاحتمل السيل الذي حدث
من ذلك الما زبدا **رابيا** يعني عاليا مرتفعا فوق الما طافيا عليه وها هنا تم المثل ثم ابتدا بمثل
اخر فقال تعالى **ومما توقدون عليه في النار** الايقاد جعل الحطب في النار لتتقد ثم جعل تلك النار
تحت الشي ليذوب **ابتغا حلية** يعني لطلب زينة والضمير في قوله عليه يعود على الذهب والفضة
وان لم يكونا مذكورين لان الحلية لا تطلب الا منهما **او متاع** يعني او لطلب متاع اخر مما ينتفع به
كالحديد والنحاس والرصاص ونحوه مما يذاب ويتخذ منه الاواني وغيرها مما ينتفع به والمتاع كل ما
يتمتع به ويقال الكل ما ينتفع به في البيت كالطشت والقدر ونحو ذلك من الاواني متاع **زبد
مثله** يعني ان ذلك الذي يوقد عليه في النار اذا اذيب فله ايضا زبد مثل زبد الما فالصافي

من الماء ومن هذه الجواهر هو الذي ينتفع به وهو مثل الباطل وهو قوله تعالى كذلك يضرب الله
الحق والباطل فالحق هو الجوهر الصافي الثابت والباطل هو الزبد غير الصافي الذي لا ينتفع به
وهو قوله فاما الزبد فيذهب جفاء يعني ضايعا باطلا والجفا ما رمى به الوادي من الزبد الى
جنباته وقيل الجفا المتفرق يقال جفأت الريح الغيم اذا فرقته والمعنى ان الباطل وان علا في وقت
فانه يضمحل ويذهب واما ما ينفع الناس يعني الماء الصافي والجوهر الجيد من هذه الاجسام التي
تذاب فيمكث في الارض يعني يثبت ويبقى ولا يذهب كذلك يضرب الله الامثال قال اهل التفسير
والمعاني هذا مثل ضربه الله للحق والباطل فالباطل وان علا على الحق في بعض الاوقات والاحوال
فان الله يمحقه ويبطله ويجعل العاقبة للحق واهله كالزبد الذي يعلو على الماء فيذهب الزبد
ويبقى الماء الصافي الذي ينفع وكذلك الصفو من هذه الجواهر يبقى ويذهب العلو الذي هو الكدر
وهو ما ينفيه الكير مما يذاب من جواهر الارض كذلك الحق والباطل فالباطل وان علا في وقت
فانه يذهب هو واهله والحق يظهر هو واهله وقيل هذا مثل للمومن واعتقاده وانتفاعه
بالايمان كمثل الماء الصافي الذي ينتفع به الناس ومثل الكافر وخبث اعتقاده كالزبد الذي
لا ينفع البتة وقيل هذا مثل ضربه الله للنور الذي يحصل في قلوب العباد على ما قسم لها
في الازل لان الوادي اذا سال كنس كل شي فيه من النجاسات والمستقذرات كذلك النور اذا سال
وادي قلب المومن بالنور الذي قسم له على قدر ايمانه ومعرفته كنس كل ظلمة وغفلة فيه فاما
الزبد فيذهب جفاء واما ما ينفع الناس فيمكث في الارض يعني تذهب البواطل وهي الاخلاق
المذمومة وتبقى الحقايق وهي الاخلاق الحميدة كذلك يضرب الله الامثال وقوله تعالى للذين استجابوا
لربهم الحسنى قيل اللام في للذين متعلقة بيضرب والمعنى كذلك يضرب الله الامثال للمومنين
الذين استجابوا لربهم يعني اجابوه الى ما دعاهم اليه من توحيده والايمان به وبرسوله وللكافرين
الذين لم يستجيبوا فعلى هذا يكون قوله كذلك يضرب الله الامثال تم ثم استانف الكلام بقوله
للذين استجابوا لربهم الحسنى قال ابن عباس وجمهور المفسرين يعني الجنة وقيل الحسنى هي المنفعة
العظمى في الحسن وهي المنفعة الخالصة الخالية عن شوايب المضرة والانقطاع والذين لم يستجيبوا
له يعني الكفار الذين استمروا على كفرهم وشركهم وما توا عليه لو ان لهم ما في الارض جميعا
ومثله معه لافتدوا به يعني لبذلوا ذلك كله فدا لانفسهم من عذاب النار يوم القيمة اولئك
يعني الذين لم يستجيبوا لربهم لهم سوء الحساب قال ابراهيم النخعي سوء الحساب ان يحاسب الرجل
بذنبه كله لا يغفر له منه شي ومأواهم يعني في الاخرة جهنم وبئس المهاد يعني وبئس ما مهد
لهم في الاخرة وقيل المهاد الفراش يعني وبئس الفراش يفرش لهم في جهنم قوله تعالى افمن يعلم انما
انزل اليك من ربك الحق يعني يومن به ويعمل بما فيه كمن هو اعمى يعني اعمى البصيرة لا اعمى البصر
وهو الكافر فلا يومن بالقران ولا يعمل بما فيه قال ابن عباس نزلت في حمزة بن عبد المطلب عم النبي

صلى الله عليه وسلم وابي جهل بن هشام وقيل نزلت في عمار بن ياسر وابي جهل فالاول
هو حمزة او عمار والثاني هو الاعمى ابو جهل وحمل الاية على العموم اولى وان كان السبب
مخصوصا والمعنى لا يستوي من يبصر الحق ويتبعه ومن لا يبصر الحق ولا يتبعه وانما
شبه الكافر والجاهل بالاعمى لان الاعمى لا يهتدي لرشد وربما وقع في مهلكة وكذلك
الكافر والجاهل لا يهتديان لرشد وهما واقعان في المهالك انما يتذكر اولوا الالباب يعني
انما يتعظ ذووا العقول السليمة الصحيحة وهم الذين ينتفعون بالمواعظ والاذكار
قوله عز وجل الذين يوفون بعهد الله يعني الذي عاهدهم عليه وهو القيام بما امرهم
به وفرضه عليهم واصل العهد حفظ الشي ومراعاته حالا بعد حال وقيل اراد بالعهد
ما اخذه على اولاد ادم حين اخرجهم من صلبه واخذ عليهم العهد والميثاق ولا ينقضون
الميثاق والذين يصلون ما امر الله به ان يوصل قال ابن عباس يريد الايمان بجميع الكتب والرسل
يعني يصلون بينهم بالايمان بهم ولا يفرقون بين احد منهم والاكثرون على ان المراد به صلة الرحم
عن عبد الرحمن بن عوف قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قال الله تبارك وتعالى
انا الله وانا الرحمن خلقت الرحم وشققت لها اسما من اسمي فمن وصلها وصلته ومن قطعها
قطعته او قال بتته اخرجه ابو داود والترمذي ق عن عايشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم الرحم معلقة بالعرش تقول من وصلني وصله الله ومن قطعني قطعه الله خ عن ابي هريرة
ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من سره ان يبسط له في رزقه وان ينسا له في اثره فليصل رحمه
صلة الرحم مبرة الاهل والاقارب والاحسان اليهم وضده القطع قوله وان ينسا له في اثره
الاثر ها هنا الاجل وسمي الاجل اثرا لانه تابع للحياة وسابقها ومعنى ينسا يوخر والمراد به
تاخير الاجل وهو على وجهين احدهما ان يبارك الله له في عمره فكانما قد زاد فيه والثاني ان يزيده
في عمره زيادة حقيقية والله يفعل ما يشاء ق عن جبير بن مطعم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
لا يدخل الجنة قاطع زاد في رواية قال سفيان يعني قاطع رحم خ عن عبد الله بن عمرو بن العاص
قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ليس الواصل بالمكافي الواصل من اذا قطعت رحمه
وصلها عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال تعلموا من انسابكم ما تصلون به ارحامكم
فان صلة الرحم محبة في الاهل مثراة في المال منساة في الاثر اخرجه الترمذي وقوله تعالى ويخشون
ربهم يعني انهم مع وفايهم بعهد الله وميثاقه والقيام بما امر الله به من صلة الرحم يخشون
ربهم والخشية خوف مشوب بتعظيم واكثر ما يكون ذلك عن علم بما يخشى منه ويخافون سوء الحساب
تقدم معناه والذين صبروا يعني على طاعة الله وقال ابن عباس على امر الله وقال عطا على المصايب
والنوايب وقيل صبروا عن الشهوات وعن المعاصي وقيل حمله على العموم اولى فيدخل فيه
الصبر على جميع المامورات من ساير العبادات والطاعات وجميع اعمال البر وترك جميع المنهيات

فيدخل فيه ترك جميع المعاصي والحسد والحقد والغيبة وغير ذلك من المنهيات ويدخل فيه
الصبر عن المباحات مثل جميع الشهوات والصبر على ما نزل به من الامراض والمصايب واصل الصبر
حبس النفس عما يقتضيه العقل او الشرع او عما يقتضيان حبسها عنه فالصبر لفظ عام يدخل
تحته جميع ما ذكروا انما قيد الصبر بقوله ابتغاء وجه ربهم لان الصبر ينقسم الى نوعين الاول
الصبر المذموم وهو ان الانسان قد يصبر ليقال ما اكمل صبره واشد قوته على ما تحمل من
النوازل وقد يصبر لئلا يعاب على الجزع وقد يصبر لئلا يشمت به الاعدا فكل هذه الامور
وان كان ظاهرها الصبر فليس ذلك داخلا تحت قوله ابتغاء وجه ربهم لانها لغير الله تعالى
النوع الثاني الصبر المحمود وهو ان يكون الانسان صابرا لله تعالى راضيا بما نزل به من الله طالبا
في ذلك ثواب الله محتسبا اجره على الله فهذا هو الصبر الداخل تحت قوله ابتغاء وجه ربهم
يعني صبروا على ما نزل بهم تعظيما لله وطلب رضوانه واقاموا الصلوة يعني الصلاة المفروضة
وقيل حمله على العموم اولى فيدخل صلاة الفرض والنفل والمراد باقامتها اتمام اركانها وهيئاتها
وانفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية قال الحسن المراد به الزكاة المفروضة فان لم يتهم بترك ادا الزكاة
فالاولى ان يوديها سرا وان كان متهما بترك ادا الزكاة فالاولى ان يوديها علانية وقيل المراد بالسر
ما يخرج من الزكاة بنفسه والمراد بالعلانية ما يوديه الى الامام وقيل المراد بالسر صدقة التطوع
والمراد بالعلانية الزكاة الواجبة وحمله على العموم اولى ويدرون بالحسنة السيئة قال ابن عباس
يدفعون بالصالح من العمل السيئ وهو معنى قوله تعالى ان الحسنات يذهبن السيئات ويدل
على صحة هذا التاويل ما جا في الحديث ان النبي صلى الله عليه وسلم قال واذا عملت سيئة فاعمل
بجنبها حسنة تمحها السر بالسر والعلانية بالعلانية وروى البغوي بسنده عن عقبة بن عامر
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان مثل الذي يعمل السيات ثم يعمل الحسنات كمثل رجل عليه
درع ضيقة قد خنقته ثم عمل حسنة فانفكت حلقة ثم عمل اخرى فانفكت اخرى حتى يخرج
الى الارض وقال ابن كيسان يدفعون الذنب بالتوبة وقيل لا يكافون الشر بالشر ولكن يدفعون
الشر بالخير وقال القتيبي معناه اذا سفه عليهم حلموا فالسفه السيئة والحلم الحسنة وقال
قتادة ردوا عليهم رداً معروفا وقال الحسن اذا حرموا اعطوا واذا ظلموا عفوا واذا قطعوا
وصلوا وقال عبد الله بن المبارك هذه ثمان خلال مشيرة الى ابواب الجنة الثمانية قلت انما هي
تسع خلال فيحتمل انه عد خلتين بواحدة ولما ذكر الله عز وجل هذه الخلال من اعمال البر ذكر
بعدها ما اعد للعاملين بها من الثواب فقال تعالى اولئك يعني من اتى بهذه الاعمال لهم عقبى الدار
يعني الجنة والمعنى ان عاقبتهم دار الثواب جنات عدن بدل من عقبى الدار يعني بساتين اقامة يقال
عدن بالمكان اذا اقام به يدخلونها يعني الذين تقدم وصفهم ومن صلح من ابائهم وازواجهم
وذرياتهم يعني ومن صدق من ابائهم بما صدقوا به وان لم يعمل باعمالهم قاله ابن عباس وقال الزجاج

ان الانسان لا ينتفع بغير اعماله الصالحة فعلى قول ابن عباس معنى صلح صدق وامن ووحد وعلى
قول الزجاج معناه صلح في عمله قال الواحدي والصحيح ما قاله ابن عباس لان الله تعالى جعل
ثواب المطيع سروره بما يراه في اهله حيث بشره بدخوله الجنة مع هولا فدل على انهم يدخلونها
كرامة للمطيع العامل الاتي بالاعمال الصالحة ولو كان دخولهم الجنة باعمالهم الصالحة لم
يكن في ذلك كرامة للمطيع ولا فايدة في الوعد به اذ كل من كان صالحا في عمله فهو يدخل الجنة
قال الامام فخر الدين الرازي قوله تعالى وازواجهم ليس فيه ما يدل على التمييز بين زوجة وزوجة
ولعل الاولى من مات عنها او ماتت عنه ومما روي انه لما كبرت سودة اراد النبي صلى الله عليه وسلم
طلاقها فسالته ان لا يفعل ووهبت يومها لعايشة فامسكها رجا ان تحشر في جملة ازواجه
كالدليل على ما ذكرناه وقوله تعالى والملايكة يدخلون عليهم من كل باب يعني من ابواب الجنة وقيل
من ابواب القصور قال ابن عباس يريد به التحية من الله والتحف والهدايا سلام عليكم يعني يقولون
سلام عليكم فاضمر القول هاهنا لدلالة الكلام عليه بما صبرتم يعني يقولون لهم سلمكم الله من الافات
التي كنتم تخافون منها وادخلكم بما صبرتم في دار الدنيا على الطاعات وترك المحرمات وقيل ان
السلام قول والصبر فعل ولا يكون القول ثوابا للفعل فعلى هذا يكون قوله سلام عليكم دعا من
الملايكة لهم يعني سلمكم الله بما صبرتم قال مقاتل ان الملايكة يدخلون عليهم في مقدار كل يوم
من ايام الدنيا ثلاث مرات معهم الهدايا والتحف من الله تعالى يقولون سلام عليكم بما صبرتم
وروى البغوي بسنده عن ابي امامة موقوفا عليه قال ان المومن ليكون متكيا على اريكته اذا
دخل الجنة وعنده سماطان من خدم وعند طرف السماطين باب مبوب فيقبل الملك من ملايكة
الله يستاذن فيقوم ادنى الخدم الى الباب فاذا بالملك يستاذن فيقول للذي يليه ملك يستاذن
كذلك حتى يبلغ المومن فيقول ايذنوا له فيقول اقربهم الى المومن ايذنوا له ويقول الذي يليه
ايذنوا له كذلك حتى يبلغ اقصاهم الذي عند الباب فيفتح له فيدخل فيسلم ثم ينصرف
فنعم عقبى الدار يعني فنعم العقبى عقبى الدار وقيل معناه فنعم عقبى الدار ما انتم فيه
والذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه لما ذكر الله احوال السعدا وما اعد لهم من الكرامات
والخيرات ذكر بعده احوال الاشقيا وما لهم من العقوبات فقال تعالى والذين ينقضون
عهد الله ونقض العهد ضد الوفا به وهذا من صفة الكفار لانهم هم الذين نقضوا عهد
الله من بعد ميثاقه وخالفوا امره ومعنى من بعد ميثاقه من بعدما اوثقوه على انفسهم
من الاعتراف والقبول ويقطعون ما امر الله به ان يوصل يعني ما بينهم وبين المومنين من الرحم
والقرابة ويفسدون في الارض يعني بالكفر والمعاصي اولئك يعني من هذه صفته لهم اللعنة
يعني الطرد عن رحمة الله يوم القيامة ولهم سوء الدار يعني النار لان منقلب الناس في العرف
الى دورهم ومنازلهم فالمومنون لهم عقبى الدار وهي الجنة والكفار لهم سوء الدار وهي النار وقوله

تعالى الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر يعني يوسع على من يشاء من عباده فيغنيه من فضله
ويضيق على من يشاء من عباده فيفقره ويقتر عليه وهذا امر اقتضته حكمة الله وفرحوا بالحياة
الدنيا يعني مشركي مكة لما بسط الله الرزق عليهم اشروا وبطروا والفرح لذة تحصل في القلب
بنيل المشتهى وفيه دليل على ان الفرح بالدنيا والركون اليها حرام وما الحيوة الدنيا في الاخرة
يعني بالنسبة الى الاخرة الا متاع اي قليل ذاهب قال الكلبي كمتاع مثل السكرجة والقصعة
والقدر يتمتع بها في الدنيا ثم تذهب كذلك الحياة في الدنيا الا انها ذاهبة لا بقا لها ويقول
الذين كفروا يعني من اهل مكة لولا انزل عليه اية من ربه يعني هلا انزل على محمد اية ومعجزة مثل
معجزة موسى وعيسى قل اي قل لهم يا محمد ان الله يضل من يشاء فلا ينفعه نزول الايات وكثرة
المعجزات اذا لم يهده الله عز وجل ويهدي اليه من اناب يعني ويرشد الى دينه والايمان به من
اناب بقلبه ورجع اليه بكليته الذين امنوا بدل من قوله من اناب وتطمئن قلوبهم يعني وتسكن قلوبهم
بذكر الله قال مقاتل بالقران الا انه طمانينة لقلوب المومنين والطمانينة والسكون انما يكونان
بقوة اليقين والاضطراب انما يكون بالشك الا بذكر الله تطمئن القلوب يعني بذكره تسكن قلوب
المومنين ويستقر اليقين فيها وقال ابن عباس هذا في الحلف وذلك ان المسلم اذا حلف بالله على
شيء سكن قلوب المومنين اليه فان قلت اليس قد قال الله تبارك وتعالى في اول سورة الانفال
انما المومنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم والوجل استشعار الخوف وحصول الاضطراب
وهو ضد الطمانينة فكيف وصفهم بالوجل والطمانينة وهل يمكن الجمع بينهما في حال
واحدة قلت انما يكون الوجل عند ذكر الوعيد والعقاب والطمانينة انما يكون عند الوعد
والثواب فالقلوب توجل اذا ذكرت عدل الله وشدة حسابه وعقابه وتطمئن اذا ذكرت
فضل الله ورحمته وكرمه واحسانه الذين امنوا وعملوا الصالحات طوبى لهم خبره واختلفوا
في تفسير طوبى فقال ابن عباس فرح لهم وقرة عين وقال عكرمة نعم ما لهم وقال قتادة حسنى لهم
وفي رواية اخرى عنه ان هذه كلمة عربية يقول الرجل للرجل طوبى لك اي اصبت خيرا وقال ابراهيم
النخعي خير لهم وكرامة وقال الزجاج طوبى من الطيب وقيل تاويلها الحال المستطابة
لهم وهو كلما استطاب في الجنة من بقا بلا فنا وعز بلا ذل وغنا بلا فقر وصحة بلا سقم
وقال الازهري تقول طوبى لك وطوباك لحن لا تقوله العرب وهو قول اكثر النحويين وقال سعيد
ابن جبير طوبى اسم الجنة بالحبشية وروي عن ابي امامة وابي هريرة وابي الدردا ان طوبى
اسم شجرة في الجنة تظل الجنان كلها قال عبيد بن عمير هي شجرة في جنة عدن اصلها في دار النبي
صلى الله عليه وسلم وفي كل دار وغرفة في الجنة منها غصن لم يخلق الله لونا ولا زهرة الا وفيها
منها الا السواد ولم يخلق الله فاكهة ولا ثمرة الا وفيها منها ينبع من اصلها عينان الكافور والسلسبيل
وقال مقاتل كل ورقة منها تظل امة عليها ملك يسبح الله بانواع التسبيح وروى عن ابي سعيد

الخدري ان رجلا سال رسول الله صلى الله عليه وسلم عن طوبى فقال شجرة في الجنة مسيرة مائة
سنة ثياب اهل الجنة تخرج من اكمامها وعن معاوية بن قرة عن ابيه يرفعه قال طوبى شجرة
غرسها الله بيده ونفخ فيها من روحه تنبت الحلي والحلل وان اغصانها لترى من وراء سور الجنة
هكذا ذكره البغوي هذين الحديثين بغير سند وروى بسنده موقوفا على ابي هريرة قال ان
في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة سنة اقروا ان شئتم وظل ممدود فبلغ ذلك
كعب الاحبار فقال صدق والذي انزل التوراة على موسى والقران على محمد لو ان رجلا ركب
حقة او جذعة ثم دار باصل تلك الشجرة ما بلغها حتى يسقط هرما ان الله غرسها بيده
ونفخ فيها من روحه وان افنانها لمن وراء سور الجنة وما في الجنة نهر الا وهو يخرج من اصل
تلك الشجرة قال البغوي وبهذا الاسناد عن عبد الله بن المبارك عن الاشعث عن عبد الله عن
شهر بن حوشب عن ابي هريرة قال ان في الجنة شجرة يقال لها طوبى يقول الله لها تفتقي لعبدي
عما يشا فتفتق له عن فرس بسرجه بلجامها وهيئتها كما يشا وتفتق له عن الراحلة برحلها وزمامها
وهيئتها كما يشا وعن الثياب ق عن سهل بن سعد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان في
الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها ق وعن ابي سعيد الخدري ان النبي صلى الله
عليه وسلم قال ان في الجنة شجرة يسير الراكب الجواد المضمر السريع مائة عام ما يقطعها ق عن ابي هريرة
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة سنة زاد البخاري
في روايته واقروا ان شئتم وظل ممدود وقوله تعالى وحسن ماب يعني ولهم حسن منقلب
ومرجع ينقلبون ويرجعون اليه في الاخرة وهي الجنة قوله عز وجل كذلك ارسلناك في امة
قد خلت من قبلها امم يعني كما ارسلنا كذا يا محمد الى هذه الامة كذلك ارسلنا انبيا من قبلك الى امم
قد خلت ومضت لتتلو عليهم الذي اوحينا اليك يعني لتقرا عليهم الذي اوحينا اليك من القران
وشرايع الدين وهم يكفرون بالرحمن قال قتادة ومقاتل وابن جريج هذه الاية مدنية نزلت
في صلح الحديبية وذلك ان سهيل بن عمرو لما جا واتفقوا على ان يكتبوا كتاب الصلح فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلي بن ابي طالب اكتب بسم الله الرحمن الرحيم فقالوا لا نعرف
الرحمن الا صاحب اليمامة يعنون مسيلمة الكذاب اكتب كما نكتب باسمك اللهم فهذا معنى قوله
وهم يكفرون بالرحمن يعني انهم ينكرونه ويجحدونه والمعروف ان الاية مكية وسبب نزولها
ان ابا جهل سمع النبي صلى الله عليه وسلم وهو في الحجر يدعو ويقول في دعائه يا الله يا رحمن
فرجع ابو جهل الى المشركين وقال ان محمدا يدعو الهين يدعو الله ويدعو الها اخر يسمى الرحمن
ولا نعرف الرحمن الا رحمن اليمامة فنزلت هذه الاية ونزل قوله قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن
ايا ما تدعوا فله الاسما الحسنى وروى الضحاك عن ابن عباس انها نزلت في كفار قريش حين
قال لهم النبي صلى الله عليه وسلم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن فقال الله تعالى قل اي قل يا محمد

ان الرحمن الذي انكرتم معرفته **هو ربي لا اله الا هو عليه توكلت** يعني عليه اعتمدت في اموري كلها
واليه متاب يعني واليه توبتي ورجوعي قوله تعالى **ولو ان قرانا سيرت به الجبال** الاية نزلت
في نفر من مشركي مكة منهم ابو جهل بن هشام وعبد الله بن ابي امية جلسوا خلف الكعبة وارسلوا الى
النبي صلى الله عليه وسلم فاتاهم وقيل انه مر بهم وهم جلوس فدعاهم الى الله عز وجل فقال له
عبد الله بن ابي امية ان سرك ان نتبعك فسير جبال مكة بالقران فاذهبها عنا حتى تنفسح
فانها ارض ضيقة لمزارعنا واجعل لنا فيها انهارا وعيونا لنغرس الاشجار ونزرع ونتخذ
البساتين فلست كما زعمت باهون على ربك من داود حيث سخر له الجبال يسبحن معه وسخر لنا
الريح لنركبها الى الشام لميرتنا وحوايجنا ونرجع في يومنا كما سخرت لسليمان كما زعمت فلست
اهون على ربك من سليمان واحي لنا جدك قصيا او من شئت من موتانا لنساله عن امرك احق
ما تقول ام باطل فان عيسى كان يحيي الموتى ولست باهون على الله منه فانزل الله عز وجل هذه
الاية ولو ان قرانا سيرت به الجبال فاذهبت عن وجه الارض **او قطعت به الارض** يعني شققت
فجعلت انهارا وعيونا **او كلم به الموتى** باحيايها واختلفوا في جواب لو فقال قوم جواب لو محذوف
وانما حذف اكتفا بمعرفة السامع مراده وتقديره ولو ان قرانا فعل به كذا وكذا لكان هذا القران
فهو كقول الشاعر ٠ فاقسم لو شي اتانا رسوله ٠ سواك ولكن لم نجد لك مدفعا ٠ اراد لو شي اتانا رسوله
سواك لرددناه وهذا معنى قول قتادة فانه قال معناه لو فعل هذا بقران قبل قرانكم لفعل
بقرانكم وقال الاخرون جواب لو متقدم تقدير الكلام وهم يكفرون بالرحمن ولو ان قرانا سيرت
به الجبال او قطعت به الارض او كلم به الموتى لكفروا بالرحمن ولم يومنوا به لما سبق من علمنا فيهم
كما قال ولو اننا نزلنا اليهم الملايكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شي قبلا ما كانوا ليومنوا ثم
قال تعالى **بل لله الامر جميعا** يعني في هذه الاشيا وفي غيرها ان شا فعل وان شا لم يفعل **افلم ييأس
الذين امنوا** قال اكثر المفسرين معناه افلم يعلم قال الكلبي هي لغة النخع وقيل هي لغة هوازن
واختلف اهل اللغة في هذه اللفظة فقال الليث وابو عبيدة الم ييأس الم يعلم واستدلوا
لهذه اللغة بقول الشاعر ٠ اقول لهم بالشعب اذ ياسرونني ٠ الم تيأسوا اني ابن فارس زهدم ٠
بمعنى الم تعلموا واستدلوا عليه ايضا بقول شاعر اخر ٠ الم ييأس الاقوام اني انا ابنه ٠ وان كنت
عن ارض العشيرة نائيا ٠ يعني الم يعلم الاقوام قال قطرب ييأس بمعنى علم لغة للعرب قالوا ووجه
هذه اللغة انما وقع الياس في مكان العلم لان علمك بالشي وتيقنك به يياسك من غيره وقيل
لم يرد ان الياس في موضع كلام العرب للعلم وانما قصد ان ياس الذين امنوا من ذلك يقتضي ان يحصل
العلم بانتفايه فاذا بمعنى ياسهم يقتضي حصول العلم وقال الكسائي ما وجدت العرب تقول ييست
بمعنى علمت قال وهذا الحرف في القران من الياس المعروف لا من العلم وذلك ان المشركين لما طالبوا
رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذه الايات اشراب المسلمون لذلك وارادوا ان يظهر لهم اية ليجتمعوا

على الايمان فقال الله تعالى افلم ييأس الذين امنوا من ايمان هولا ويعلمون علما يقينا ان لو يشا
الله لهدى الناس جميعا من غير ظهور اية وقال الزجاج القول عندي معناه افلم ييأس الذين
امنوا من ايمان هولا لان الله لو شا لهدى الناس جميعا وحاصله ان في معنى الاية قولان احدهما
ان ييأس بمعنى علم والقول الثاني انه من الياس المعروف وتقرير القولين ما تقدم وتمسك اهل السنة
بقوله **ان لو يشا الله لهدى الناس جميعا** على ان الله لم يشا هداية جميع الخلق **ولا يزال الذين كفروا
تصيبهم بما صنعوا** يعني من الكفر والاعمال الخبيثة **قارعة** اي نازلة وداهية تقرعهم بانواع
البلايا احيانا فمرة بالجدب ومرة بالسلب ومرة بالقتل والاسر وقال ابن عباس اراد بالقارعة
السرايا التي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبعثها اليهم **او تحل** يعني السرية او البلية **قريبا من
دارهم** وقيل معناه او تحل انت يا محمد قريبا من دارهم **حتى ياتي وعد الله** يعني بالنصر والفتح
وظهور رسول الله صلى الله عليه وسلم ودينه وقيل اراد بوعد الله يوم القيامة لان الله يجمعهم
فيه فيجازيهم باعمالهم **ان الله لا يخلف الميعاد** والغرض منه تقوية قلب النبي صلى الله عليه وسلم وازالة
الحزن عنه لعلمه بان الله لا يخلف الميعاد قوله عز وجل **ولقد استهزي برسل من قبلك** وذلك ان
كفار مكة انما سالوا هذه الاشيا على سبيل الاستهزا فانزل الله هذه الاية تسلية للنبي
صلى الله عليه وسلم والمعنى انهم كما طلبوا منك هذه الايات على سبيل الاستهزا فكذلك قد استهزي
برسل من قبلك **فامليت للذين كفروا** يعني فامهلتهم واطلت لهم المدة **ثم اخذتهم** يعني بالعذاب
بعد الامهال فعذبتهم في الدنيا بالقحط والاسر والقتل وفي الاخرة بالنار **فكيف كان عقاب**
يعني فكيف كان عقابي لهم **افمن هو قايم على كل نفس بما كسبت** يعني افمن هو حافظها ورازقها وعالم بها
وبما عملت من خير او شر ويجازيها بما كسبت فيثيبها ان احسنت ويعاقبها ان اسات وجوابه محذوف
تقديره كمن ليس بقايم بل هو عاجز عن نفسه ومن كان عاجزا عن نفسه فهو عن غيره اعجز وهي
الاصنام التي لا تضر ولا تنفع **وجعلوا لله شركا** يعني وهو المستحق للعبادة لا هذه الاصنام التي
جعلوها لله شركا **قل سموهم** يعني له وقيل صفوهم بما يستحقون ثم انظروا هل هي اهل لان تعبد
ام تنبيونه يعني ام تخبرون الله **بما لا يعلم في الارض** يعني انه لا يعلم ان لنفسه شريكا من خلقه وكيف
يكون المخلوق شريكا للخالق وهو العالم بما في السموات والارض ولو كان لعلمه والمراد من ذلك نفي العلم
بان يكون له شريك **ام بظاهر من القول** يعني انهم يتعلقون بظاهر من القول مسموع وهو في الحقيقة باطل
لا اصل له وقيل معناه بل بظن من القول لا يعلمون حقيقته **بل زين للذين كفروا مكرهم** قال ابن عباس
زين لهم الشيطان الكفر انما فسر المكر بالكفر لان مكرهم برسول الله صلى الله عليه وسلم كفر منهم والمزين
في الحقيقة هو الله تعالى لانه هو الفاعل المختار على الاطلاق لا يقدر احد ان يتصرف في الوجود
الا باذنه فتزيين الشيطان القا الوسوسة فقط ولا يقدر على اضلال احد وهدايته الا الله
تعالى يدل عليه سياق الاية وهو قوله ومن يضلل الله فما له من هاد وقوله **وصدوا عن السبيل** قرى بضم

الصاد ومعناه صرفوا عن سبيل الدين والرشد والهداية ومنعوا من ذلك والصاد المانع
لهم هو الله تعالى وقرى وصدوا بفتح الصاد ومعناه انهم صدوا غيرهم عن الايمان **ومن**
يضلل الله فما له من هاد الوقف عليه بسكون الدال وحذف اليا في قراة اكثر القرا **لهم عذاب في**
الحياة الدنيا يعني بالقتل والاسر ونحو ذلك مما فيه غيظهم **ولعذاب الاخرة اشق** يعني اشد
واغلظ لان المشقة غلظ الامر على النفس وشدته مما يكاد يصدع القلب من شدته فهو من
الشق الذي هو الصدع **وما لهم من الله** يعني من عذاب الله **من واق** يعني من مانع يمنعهم من عذابه
قوله تعالى **مثل الجنة التي وعد المتقون** اي صفة الجنة التي وعد المتقون **تجري من تحتها الانهار**
اكلها دايم يعني لا ينقطع ابدا **وظلها** يعني انه دايم ابدا لا ينقطع وليس في الجنة شمس ولا قمر
ولا ظلمة بل هو ظل ممدود لا ينقطع ولا يزول وفي الاية رد على جهم واصحابه يقولون ان نعيم الجنة
يفنى وينقطع وفي الاية دليل على ان حركات اهل الجنة لا تنتهي الى سكون دايم كما يقوله ابو
الهذيل واستدل القاضي عبد الجبار المعتزلي بهذه الاية على ان الجنة لم تخلق بعد قال ووجه الدليل
انها لو كانت مخلوقة لوجب ان تفنى وينقطع اكلها لقوله كل شي هالك الا وجهه فوجب ان
لا تكون مخلوقة لقوله اكلها دايم يعني لا ينقطع قال ولا ننكر ان يكون في السموات جنات كثيرة
يتمتع بها الملايكة ومن يعد حيا من الانبيا والشهدا وغيرهم على ما روي الا ان الذي ينتهي اليه
ان جنة الخلد لم تخلق بعد والجواب عن هذا ان حاصل دليلهم مركب من ايتين احدهما قوله تعالى كل
شي هالك الا وجهه والاخرى قوله اكلها دايم وظلها فاذا ادخلنا التخصيص على هذين
العمومين سقط دليلهم فنخصص هذين الدليلين بالدلايل الدالة على ان الجنة مخلوقة منها قوله
تعالى وجنة عرضها السموات والارض اعدت للمتقين وقوله تعالى **تلك عقبى الذين اتقوا** يعني ان
عاقبة اهل التقوى هي الجنة **وعقبى الكافرين النار** يعني في الاخرة قوله عز وجل **والذين اتيناهم الكتاب**
يفرحون بما انزل اليك في المراد بالكتاب قولان احدهما انه القران والذين اوتوه المسلمون وهم اصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم والمراد انهم يفرحون بما يتجدد من الاحكام والتوحيد والنبوة
والحشر بعد الموت بتجدد نزول القران **ومن الاحزاب** يعني الجماعات الذين تحزبوا على رسول الله
صلى الله عليه وسلم من الكفار واليهود والنصارى **من ينكر بعضه** وهذا قول الحسن وقتادة فان قلت
ان الاحزاب من الكفار وغيرهم من اهل الكتاب ينكرون القران كله فكيف قال ومن الاحزاب من ينكر
بعضه قلت ان الاحزاب لا ينكرون القران جملة لانه قد ورد فيه اثبات الله واثبات قدرته وعلمه
وحكمته وهم لا ينكرون ذلك ابدا والقول الثاني ان المراد بالكتاب التوراة والانجيل والمراد
باهله الذين اسلموا من اليهود والنصارى مثل عبد الله بن سلام واصحابه ومن اسلم من النصارى
وهم ثمانون رجلا اربعون من نجران وثلاثون من الحبشة وعشرة ممن سواهم فرحوا بالقران
لكونهم امنوا به وصدقوه ومن الاحزاب يعني بقية اهل الكتاب من اليهود والنصارى وساير

المشركين من ينكر بعضه وقيل كان ذكر الرحمن قليلا في القران في الابتدا فلما اسلم عبد الله
ابن سلام ومن معه من اهل الكتاب ساءهم قلة ذكر الرحمن في القران مع كثرة ذكره في التوراة فلما
كرر الله تعالى ذكر لفظة الرحمن في القران فرحوا بذلك فانزل الله الذين اتيناهم الكتاب
يفرحون بما انزل اليك ومن الاحزاب يعني مشركي مكة من ينكر بعضه وذلك لما كتب رسول الله
صلى الله عليه وسلم كتاب الصلح يوم الحديبية فيه بسم الله الرحمن الرحيم قالوا ما نعرف
الرحمن الا رحمن اليمامة يعنون مسيلمة الكذاب فانزل الله وهم يكفرون بالرحمن قل هو ربي وانما
قال ومن الاحزاب من ينكر بعضه لانهم كانوا لا ينكرون الله وينكرون الرحمن **قل** اي قل يا محمد **انما**
امرت ان اعبد الله وحده **ولا اشرك به** شيا **اليه ادعو** يعني الى الله والى الايمان به ادعو الناس
واليه ماب يعني مرجعي يوم القيامة **وكذلك انزلناه حكما عربيا** اي كما انزلنا الكتب على الانبيا
بلغاتهم ولسانهم انزلنا اليك يا محمد هذا الكتاب وهو القران عربيا بلسانك ولسان قومك
وانما سمي القران حكما لان فيه جميع التكاليف والاحكام والحلال والحرام والنقض والابرام
فلما كان القران سببا للحكم جعل نفس الحكم على سبيل المبالغة وقيل ان الله لما حكم على جميع
الخلق بقبول القران والعمل بمقتضاه سماه حكما لذلك المعنى **ولين اتبعت اهواءهم** قال جمهور
المفسرين ان المشركين دعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم الى ملة ابايه فتوعده الله على اتباع
اهوايهم في ذلك وقال ابن السايب المراد به متابعة ابايهم في الصلاة الى بيت المقدس **بعدما جاك**
من العلم يعني بانك على الحق وان قبلتك هي الكعبة وقيل ظاهر الخطاب فيه للنبي صلى الله
عليه وسلم والمراد به غيره وقيل هو حث للنبي صلى الله عليه وسلم على تبليغ الرسالة والقيام
بما امر به ويتضمن ذلك تحذير غيره من المكلفين لان من هو ارفع منزلة واعظم قدرا واعلا رتبة
اذا حذر كان غيره ممن هو دونه بطريق الاولى **ما لك من الله من ولي ولا واق** يعني من ناصر ولا حافظ
قوله تعالى **ولقد ارسلنا رسلا من قبلك** روي ان اليهود وقيل المشركين قالوا ان هذا الرجل يعنون
النبي صلى الله عليه وسلم ليس له همة الا في النسا فعابوا عليه ذلك وقالوا لو كان كما يزعم انه رسول
من الله لكان مشتغلا بالزهد وترك الدنيا فاجاب الله عز وجل عن هذه الشبهة وعما عابوه
بقوله عز وجل ولقد ارسلنا رسلا من قبلك **وجعلنا لهم ازواجا وذرية** فانه قد كان لسليمان
عليه السلام ثلثماية امراة حرة وسبعماية سرية فلم يقدح ذلك في نبوته وكان لابيه داود عليه
السلام ماية امراة فلم يقدح ذلك ايضا في نبوته فكيف يعيبون عليك ذلك ويجعلوه قادحا
في نبوتك والمعنى ولقد ارسلنا رسلا من قبلك ياكلون ويشربون وينكحون وما جعلناهم ملايكة
لا ياكلون ولا يشربون ولا ينكحون **وما كان لرسول ان ياتي باية الا باذن الله** هذا جواب لعبد الله
ابن ابي امية وغيره من المشركين الذين سالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم الايات واقترحوا عليه
ان يريهم المعجزات وتقدير هذا الجواب ان المعجزة الواحدة كافية في اثبات النبوة وقد اتاهم

رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمعجزات الكثيرة التي يعجز عن مثلها البشر فما لهم ان يقترحوا
عليه شيا واتيان الرسول بالمعجزات الكثيرة التي يعجز عن مثلها البشر ليس اليه بل هو مفوض
الى مشية الله عز وجل فان شا اظهرها وان شا لم يظهرها **لكل اجل كتاب** وذلك ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم كان يخوفهم بنزول العذاب عليهم فلما استبطاوا ذلك وقد كانوا يستعجلون
بنزوله فاخبر الله ان لكل قضا قضاه كتاب قد كتبه فيه ووقت يقع فيه لا يتقدم ولا يتاخر
والمعنى ان لكل اجل اجله الله كتاب قد اثبته فيه وقيل في الاية تقديم وتاخير تقديره
لكل كتاب اجل ومدة والمعنى ان الكتب المنزلة لكل كتاب منها وقت ينزل فيه **يمحوا الله ما يشا
ويثبت** وذلك انهم لما اعترضوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا ان محمدا يامر اصحابه
بامر اليوم ثم يامرهم بخلافه غدا وما سببه ذلك الا انه يقوله من تلقا نفسه فاجاب الله
عن هذا الاعتراض بقوله يمحوا الله ما يشا ويثبت قال سعيد بن جبير وقتادة يمحوا الله
ما يشا من الشرايع والفرايض فينسخه ويبدله ويثبت ما يشا من ذلك فلا ينسخه ولا يبدله
وقال ابن عباس يمحوا الله ما يشا ويثبت الا الرزق والاجل والسعادة والشقاوة ويدل
على صحة هذا التاويل ما روي عن حذيفة بن اسيد بفتح الهمزة قال سمعت رسول الله صلى
الله عليه وسلم يقول اذا مر بالنطفة ثنتان واربعون ليلة بعث الله اليها ملكا فصورها
وخلق سمعها وبصرها وجلدها ولحمها وعظامها ثم قال يا رب اذكر ام انثى فيقضي ربك
ما يشا فيكتب الملك ثم يقول يا رب اجله فيقول ربك ما يشا ويكتب الملك ثم يقول الملك
يا رب رزقه فيقضي ربك ما يشا ويكتب الملك ثم يخرج الملك الصحيفة فلا يزيد على امر
ولا ينقص اخرجه مسلم ق عن ابن مسعود قال حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الصادق
المصدوق ان خلق احدكم يجمع في بطن امه اربعين يوما ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يكون
مضغة مثل ذلك ثم يبعث الله اليه ملكا باربع كلمات يكتب رزقه واجله وعمله وشقي
او سعيد ثم ينفخ فيه الروح فوالذي لا اله غيره ان احدكم ليعمل بعمل اهل الجنة حتى ما يكون
بينه وبينها الا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل اهل النار فيدخلها وان احدكم
ليعمل بعمل اهل النار حتى ما يكون بينه وبينها الا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل
اهل الجنة فيدخلها فان قلت هذا الحديث والذي قبله صريح بان الاجال والارزاق مقدورة
وكذا السعادة والشقاوة لا يتغيران عما قدره الله وعلمه في الازل فيستحيل زيادتها ونقصها
وكذلك يستحيل ان ينقلب السعيد شقيا او الشقي سعيدا وقد صح في فضل صلة الرحم
ان صلة الرحم تزيد في العمر فكيف الجمع بين هذه الاحاديث وبين قوله تعالى يمحوا الله ما يشا
قلت قد تكرر بالدلايل القطعية ان الله عالم بالاجال والارزاق وغيرها وحقيقة العلم
معرفة المعلوم على ما هو عليه فاذا علم الله ان زيدا يموت في وقت معين استحال ان يموت قبله

او بعده وهو قوله تعالى فاذا جا اجلهم لا يستاخرون ساعة ولا يستقدمون فدل ذلك على ان
الاجال لا تزيد ولا تنقص واجاب العلما عما ورد في الحديث في فضل صلة الرحم تزيد في العمر باجوبة
الصحيح منها ان هذه الزيادة تكون بالبركة في عمره بالتوفيق للطاعات وعمارة اوقاته بما ينفعه
في الاخرة وصيانتها عن الضياع وغير ذلك والجواب الثاني منها انه بالنسبة الى ما يظهر للملايكة
في اللوح المحفوظ ان عمر زيد مثلا ستون سنة الا ان يصل رحمه فان وصلها زيد له اربعون سنة
وقد علم الله في الازل ما يقع من ذلك وهو معنى قوله تعالى يمحوا الله ما يشا ويثبت فهو
بالنسبة الى ما يظهر للمخلوقين من تصور الزيادة واما انقلاب الشقي سعيدا او السعيد
شقيا فيتصور في الظاهر ايضا لان الكافر قد يسلم فينقلب من الشقاوة الى السعادة
وكذلك العاصي ونحوه قد يتوب فينقلب من الشقاوة الى السعادة وقد يرتد المسلم والعياذ بالله
فيموت على ردته فينقلب من السعادة الى الشقاوة والاصل في هذا الاعتبار بالخاتمة عند الموت
بما يختم له وهو المراد من علم الله الازلي الذي لا يتغير ولا يتبدل والله اعلم واصل المحو ذهاب
اثر الكتابة وضده الاثبات فمن العلما من حمل الاية على ظاهرها فجعلها عامة في كل شي تقتضيه
ظاهر اللفظ فيزيد الله ما يشا في الرزق والاجل وكذا القول في السعادة والشقاوة
والايمان والكفر ونقل نحو هذا عن عمر وابن مسعود فانهما قالا لا يمحوا السعادة والشقاوة
ويمحو الرزق والاجل ويثبت ما يشا وروي عن عمر انه كان يطوف بالبيت وهو يبكي ويقول
اللهم ان كنت كتبتني في اهل السعادة فاثبتني فيها وان كنت كتبتني على الشقاوة فامحني
واثبتني في اهل السعادة والمغفرة فانك تمحو ما تشا وتثبت وعندك ام الكتاب وروي
مثله عن ابن مسعود وقد ورد في بعض الاثار ان الرجل يكون قد بقي من عمره ثلاثة ايام فيصل
رحمه فيمد الى ثلاثين سنة هكذا ذكره البغوي بغير سند وروي بسنده عن ابي الدردا قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ينزل الله تبارك وتعالى في اخر ثلاث ساعات يبقين من
الليل فينظر في الساعة الاولى منهن في الكتاب الذي لا ينظر فيه احد غيره فيمحو ما يشا ويثبت
ومن العلما من حمل معنى الاية على الخصوص في بعض الاشيا دون بعض فقال المراد من المحو
والاثبات نسخ الحكم المتقدم واثبات حكم اخر عوضا عن الحكم المتقدم وقيل ان الحفظة يكتبون
جميع اعمال بني ادم واقوالهم فيمحو الله من ديوان الحفظة ما ليس فيه ثواب ولا عقاب مثل قول القايل
اكلت شربت دخلت خرجت ونحو ذلك من الكلام وهو صادق فيه ويثبت ما فيه ثواب وعقاب
وهذا قول الضحاك وقال الكلبي يكتب القول كله حتى اذا كان يوم الخميس طرح منه شي ليس فيه
ثواب ولا عقاب وقال ابن عباس هو الرجل يعمل بطاعة الله ثم يعود لمعصية الله فيموت على
ضلالة فهو الذي يمحو والذي يثبت هو الرجل يعمل بطاعة الله ثم يموت وهو في طاعته فهو الذي
يثبت وقال الحسن يمحو الله ما يشا يعني من جا اجله فيذهب به ويثبت من لم يجي اجله وقال

سعيد بن جبير يمحو الله ما يشاء من ذنوب عباده فيغفرها ويثبت ما يشاء فلا يغفرها وقال عكرمة
يمحو الله ما يشاء من الذنوب بالتوبة ويثبت بدل الذنوب حسنات وقال السدي يمحو الله ما يشاء
يعني القمر ويثبت الشمس وقال الربيع هذا في الارواح يقبضها الله عند النوم فمن اراد موته محاه
وامسكه ومن اراد بقاه اثبته ورده الى صاحبه وقيل ان الله يثبت في اول كل سنة حكمها فاذا
مضت السنة محاه واثبت حكما اخر للسنة المستقبلة وقيل يمحو الله الدنيا ويثبت الاخرة
وقيل هذا في المحن والمصايب فهي مثبتة في الكتاب ثم يمحوها بالدعا والصدقة وقيل ان الله
يمحو ما يشا ويثبت ما يشا لا اعتراض لاحد عليه يفعل ما يشا ويحكم ما يريد فان قلت مذهب
اهل السنة ان المقادير سابقة وقد جف القلم بما هو كاين الى يوم القيامة فكيف يستقيم مع
هذا المحو والاثبات قلت المحو والاثبات مما جف به القلم وسبق به القدر فلا يمحو شيا ولا يثبت
شيا الا ما سبق به علمه في الازل وعليه يترتب القضا والقدر مسيلة استدلت الرافضة على
مذهبهم في البدا بهذه الاية قالوا ان البدا جايز على الله وهو ان يعتقد شيا ثم يظهر له خلاف
ما اعتقده وتمسكوا بقوله يمحو الله ما يشا ويثبت والجواب عن هذه المسيلة ان هذا مذهب باطل
ظاهر الفساد لان علم الله قديم ازلي وهو من لوازم ذاته المخصوصة وما كان كذلك كان دخول
التغيير والتبديل فيه محالا كذا ذكره الامام فخر الدين الرازي في تفسير هذه الاية وقوله تعالى
وعنده ام الكتاب يعني اصل الكتاب وهو اللوح المحفوظ الذي لا يتغير ولا يبدل وسمي اللوح المحفوظ
ام الكتاب لان جميع الاشيا مثبتة فيه ومنه تنسخ الكتب المنزلة وقيل ان العلوم كلها
تنسب اليه وتتولد منه قال ابن عباس هما كتابان كتاب يمحو الله ما يشا منه ويثبت ما يشا وام الكتاب
الذي لا يتغير شي منه وروى عطية عن ابن عباس قال ان لله لوحا محفوظا مسيرة خمسماية عام من
درة بيضا لها دفتان من ياقوت لله فيه كل يوم ثلاثماية وستون لحظة يمحو ما يشا ويثبت
وعنده ام الكتاب وسال ابن عباس كعبا عن ام الكتاب فقال علم الله ما هو خالق وما خلقه عاملون
واما نرينك يعني يا محمد بعض الذي نعدهم يعني من العذاب او نتوفينك يعني قبل ان نريك ذلك فانما
عليك البلاغ يعني ليس عليك الا تبليغ الرسالة اليهم والبلاغ اسم اقيم مقام التبليغ وعلينا الحساب
يعني وعلينا ان نحاسبهم يوم القيمة فنجازيهم باعمالهم قوله عز وجل اولم يروا انا ناتي الارض ننقصها
من اطرافها يعني اولم ير كفار مكة الذين سالوا محمدا صلى الله عليه وسلم الايات انا ناتي الارض يعني ارض
الشرك ننقصها من اطرافها قال اكثر المفسرين المراد منه فتح دار الشرك فان ما زاد في دار الاسلام فقد
نقص من دار الشرك والمعنى اولم يروا انا ناتي الارض فنفتحها لمحمد صلى الله عليه وسلم ارضا بعد ارض
حوالي اراضيهم افلا يعتبرون فيتعظون وهذا قول ابن عباس وقتادة وجماعة من المفسرين وذلك ان
المسلمين اذا استولوا على بلاد الكفار قهرا واخرابا كان ذلك نقصا في ديارهم وزيادة في دار الاسلام
وقوتهم وكان ذلك من اقوى الدلايل على ان الله تعالى ينصر عبده ويعز جنده ويظهر دينه وينجز له ما وعده

وقيل هو خراب الارض والمعنى اولم يروا انا ناتي الارض فنخربها ونهلك اهلها افلا يخافون ان
نفعل بهم مثل ذلك قال مجاهد هو خراب الارض وقبض اهلها وعن عكرمة والشعبي نحوه وهذا القول
قريب من الاول وقال عطا وجماعة من المفسرين نقصانها موت العلما وذهاب فقهايها ق عن عبد الله
ابن عمرو بن العاص قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله لا يقبض العلم انتزاعا ينتزعه
من الناس وفي رواية من العباد ولكن يقبض العلم بقبض العلما حتى اذا لم يبق عالما اتخذ الناس رؤسا
جهالا فسيلوا فافتوا بغير علم فضلوا واضلوا قال الحسن قال عبد الله بن مسعود موت العالم ثلمة
في الاسلام لا يسدها شي ما اختلف الليل والنهار وقال عبد الله ايضا عليكم بالعلم قبل ان يقبض
وقبضه ذهاب اهله وقال سليمان لا يزال الناس بخير ما بقي الاول حتى يتعلم الاخر فاذا هلك الاول
ولم يتعلم الاخر هلك الناس وقيل لسعيد بن جبير ما علامة هلاك الناس قال هلاك العلما فعلى
هذا القول فالمراد بالاطراف العلما والاشراف من الناس حكى الجوهري عن ثعلب قال الاطراف الاشراف
واسند الواحدي لهذه الاية بقول الفرزدق واسال بنا وبكم اذا وردت منى اطراف كل قبيلة
من يتبع قال يريد اشراف كل قبيلة قال الواحدي والتفسير على القول الاول اولى لان هذا وان صح فلا
يليق بهذا الموضع قال الامام فخر الدين الرازي ويمكن ان يقال ان هذا الوجه ايضا لا يليق بهذا
الموضع وتقريره ان يقال اولم يروا ما يحدث في الدنيا من الاختلافات خراب بعد عمارة وموت بعد
حياة وذل بعد عز ونقص بعد كمال واذا كانت هذه التغيرات مشاهدة محسوسة فما الذي
يومنهم ان يقلب الله الامر على هولا الكفرة فيجعلهم ذليلين بعد ما كانوا عزيزين ومقهورين بعد ما
كانوا قاهرين وعلى هذا الوجه ايضا يحسن اتصال الكلام بما قبله قوله تعالى والله يحكم لا معقب لحكمه
يعني لا راد لحكمه ولا ناقض لقضايه والمعقب هو الذي يعقب غيره بالرد والابطال ومنه قيل
لصاحب الحق معقب لانه يعقب غريمه بالاقتضا والطلب والمعنى والله يحكم نافذا حكمه خاليا
من المدافع والمعارض والمنازع لا يتعقب حكمه احد بتغيير ولا نقض وهو سريع الحساب قال ابن
عباس يريد سريع الانتقام يعني حسابه للمجازاة بالخير والشر فمجازاة الكفار بالانتقام منهم
ومجازاة المومنين بايصال الثواب اليهم وقد تقدم بسط الكلام في معنى سريع الحساب قبل هذا
وقد مكر الذين من قبلهم يعني من قبل مشركي مكة من الامم الماضية بانبيايهم والمكر ايصال المكروه الى
الانسان من حيث لا يشعر مثل مكر نمرود بابراهيم وفرعون بموسى واليهود بعيسى فلله المكر جميعا
يعني عند الله جزا مكرهم وقال الواحدي يعني جميع مكر الماكرين له ومنه اي هو من خلقه وارادته
فالمكر جميعا مخلوق له بيده الخير والشر واليه النفع والضر والمعنى ان المكر لا يضر الا باذنه وارادته
وفي هذا تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم وامان له من مكرهم كانه قيل قد فعل من كان قبلهم من الكفار
مثل فعلهم وصنعوا مثل صنيعهم فلم يضروا الا من اراد الله ضره واذا كان الامر كذلك وجب
ان لا يكون الامن الا من الله لا من احد من المخلوقين يعلم ما تكسب كل نفس يعني من جميع اكتساب العباد

وما تبرا لها متعلوم عند الله وهو خالقها وخلاف المعلوم ممتنع الوقوع واذا كان كذلك فكل ما علم
وقوعه فهو واجب الوقوع وكل ما علم عدمه كان ممتنع الوقوع واذا كان كذلك فلا قدرة للعبد
على الفعل والترك فكان الكل من الله ولا يحصل ضرر الا باذنه وارادته وفيه وعيد للكفار الماكرين
وسيعلم الكافر وقرى الكفار على الجمع والتوحيد قال ابن عباس يعني ابا جهل وقيل اراد المستهزئين
وهم خمسة نفر من كفار مكة لمن عقبى الدار والمعنى انهم وان كانوا جاهلا بالعواقب فسيعلمون ان
العاقبة الحميدة للمومنين ولهم العاقبة المذمومة في الاخرة حين يدخلون النار ويدخل المومنون
الجنة قوله تعالى ويقول الذين كفروا لست مرسلا لما انكر الكفار كون محمد رسولا من عند الله امره الله
بقوله قل اي قل يا محمد لهولا الكفار الذين انكروا نبوتك كفى بالله شهيدا بيني وبينكم والمراد بشهادة
الله على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ما اظهر على يديه من المعجزات الباهرات والايات القاهرات
الدالة على صدقه وكونه نبيا مرسلا من عند الله ومن عنده علم الكتاب يعني ايضا يشهد على صحة
نبوتك يا محمد واختلفوا في الذي عنده علم الكتاب من هو فروى العوفي عن ابن عباس انهم علما اليهود
والنصارى والمعنى ان كل من كان عالما من اليهود بالتوراة ومن النصارى بالانجيل علم ان محمدا مرسل
من الله لما يجد من الدلايل الدالة على نبوته فيهما شهد بذلك من شهد به وانكره من انكره منهم
وقيل انهم مومنوا اهل الكتاب يشهدون ايضا على نبوتك قال قتادة هو عبد الله بن سلام وانكر
الشعبي هذا وقال هذه السورة مكية وعبد الله بن سلام اسلم بالمدينة وقال يونس لسعيد بن جبير
ومن عنده علم الكتاب هو عبد الله بن سلام فقال كيف يكون عبد الله بن سلام وهذه السورة مكية
وقال الحسن ومجاهد ومن عنده علم الكتاب هو الله تعالى وعلى هذا القول يكون المعنى كفى بالذي يستحق
العبادة وبالذي لا يعلم علم ما في اللوح المحفوظ الا هو شهيدا بيني وبينكم قال الزجاج الاشبه ان
الله لا يشهد على صحة حكمه لغيره وهذا قول مشكل لان عطف الصفة على الموصوف وان كان جايزا الا
انه خلاف الاصل فلا يقال شهد بهذا زيد والفقيه بل يقال شهد بهذا زيد الفقيه لكن يشهد
لصحة هذا القول قراة من قرا ومن عنده علم الكتاب بكسر الميم والدال وهي قراة ابن عباس وغيره
على البنا للمفعول والمعنى ومن عند الله علم الكتاب ودليل هذه القراة قوله وعلمناه من لدنا علما
وقيل معناه ان من علم ان القران الذي جيتكم به معجز ظاهر وبرهان باهر لما فيه من الفصاحة
والبلاغة والاخبار عن الغيوب وعن الامم الماضية فمن علمه بهذه الصفة كان شهيدا بيني وبينكم
والله اعلم بمراده واسرار كتابه تفسير سورة ابراهيم صلى الله عليه وسلم وهي مكية سوى ايتين
وهما قوله الم تر الى الذين بدلوا نعمة الله كفرا الى اخر الايتين وهي احد وقيل اثنان وخمسون اية
وثمانماية واحدى وستون كلمة وثلاثة الاف واربعمائة واربعة وثلاثون حرفا بسم الله الرحمن
الرحيم قوله عز وجل الر كتاب انزلناه اليك يعني هذا الكتاب انزلناه اليك يا محمد والكتاب هو القران
المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم لتخرج الناس من الظلمات الى النور يعني بهذا القران والمراد من الظلمات

ظلمات الكفر

ظلمات الكفر والضلالة والجهل والمراد بالنور الايمان قال الامام فخر الدين الرازي وفيه دليل على
ان طرق الكفر والبدعة كثيرة وطريق الحق ليس الا واحدا لانه تعالى قال لتخرج الناس من الظلمات
الى النور فعبر عن الجهل والكفر بالظلمات وهي صيغة جمع وعبر عن الايمان والهدى بالنور وهو لفظ
مفرد وذلك يدل على ان طرق الكفر والجهل كثيرة واما طريق العلم والايمان فليس الا واحدا باذن ربهم
يعني بامر ربهم وقيل بعلم ربهم الى صراط العزيز الحميد يعني الى دين الاسلام وهو دينه الذي امر به عباده
والعزيز هو الغالب الذي لا يغلب والحميد المحمود على كل حال المستحق لجميع المحامد الله قرى بالرفع
على الاستيناف وخبره ما بعده وقرى بالجر نعتا للعزيز الحميد وقال ابو عمرو قراة الخفض على التقديم
والتاخير تقديره الى صراط الله العزيز الحميد الذي له ما في السموات وما في الارض يعني ملكا وهما فيهما
عبيده وويل للكافرين يعني للذين تركوا عبادة من يستحق العبادة الذي له ما في السموات وما في الارض
وعبدوا من لا يملك شيا البتة بل هو مملوك لله لانه من جملة ما في السموات والارض من عذاب شديد
يعني معد لهم في الاخرة ثم وصفهم فقال تعالى الذين يستحبون الحياة الدنيا على الاخرة يعني يختارون
الحياة الدنيا ويوثرونها على الاخرة ويصدون عن سبيل الله اي ويمنعون الناس عن قبول دين الله
ويبغونها عوجا يعني ويطلبون بها زيغا وميلا فحذف الجار واوصل الفعل وقيل معناه
يطلبون سبيل الله جايرين عن القصد وقيل الهاء في ويبغونها راجعة الى الدنيا ومعناه يطلبون
الدنيا على طريق الميل عن الحق لكن بجهة الحرام اولئك يعني من هذه صفته في ضلال بعيد يعني
عن الحق وقيل يجوز ان يراد في ضلال ذي بعد او فيه بعد لان الضال يبعد عن الطريق قوله تعالى
وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه يعني بلغة قومه ليفهموا عنه ما يدعوهم اليه وهو قوله تعالى
ليبين لهم يعني ما يأتون وما يذرون فان قلت لم يبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الى العرب وحدهم
وانما بعث الى الناس جميعا بدليل قوله يا ايها الناس اني رسول الله اليكم جميعا بل هو مبعوث الى
الثقلين الجن والانس وهم على السنة مختلفة ولغات شتى وقوله بلسان قومه وليس قومه سوى العرب
وذلك يقتضي بظاهره انه مبعوث الى العرب خاصة فكيف يكون وجه الجمع قلت بعث رسول الله
صلى الله عليه وسلم من العرب وبلسانهم والناس تبع للعرب فكان مبعوثا الى الخلق لانهم تبع للعرب ثم
انه يبعث الرسل الى الاطراف فيترجمون لهم بالسنتهم ويدعونهم الى الله تعالى بلغاتهم وقيل
يحتمل انه اراد بقومه اهل بلده وفيهم العرب وغير العرب فيدخل معهم غيرهم من جنسهم في عموم
الدعوة وقيل ان الرسول اذا ارسل بلسان قومه وكانت دعوته وهو محمد صلى الله عليه وسلم خاصة
وكان كتابه بلسان قومه لفهمهم عنه وقيام الحجة عليهم في ذلك فاذا فهموه وتنوقل عنهم
انتشر علمه وقامت التراجم ببيانه وتفهيمه لمن يحتاج الى ذلك ممن هو من غير العرب واذا كان
الكتاب واحدا بلغة واحدة مع اختلاف الامم وتباين اللغات كان ذلك ابلغ في اجتهاد المجتهدين
في تعليم معانيه وتفهيم فوايده وغوامضه واسراره وعلومه وجميع حدوده واحكامه وقوله

فيضل الله من يشاء ويهدي من يشاء يعني ان الرسول ليس عليه الا التبليغ والبيان والله هو الهادي
المضل يفعل ما يشاء وهو العزيز يعني الذي يغلب ولا يغلب الحكيم في جميع افعاله قوله عز وجل
ولقد ارسلنا موسى باياتنا المراد بالايات المعجزات التي جا بها موسى عليه السلام مثل العصى واليد
وفلق البحر وغير ذلك من المعجزات العظيمة الباهرة ان اخرج قومك من الظلمات الى النور يعني ان
اخرج قومك بالدعوة من ظلمات الكفر الى نور الايمان وذكرهم بايام الله قال ابن عباس وابي بن كعب
ومجاهد وقتادة يعني بنعم الله وقال مقاتل بوقايع الله في الامم السالفة يقال فلان عالم بايام
العرب اي بوقايعهم وانما اراد بما كان في ايام الله من النعمة والنقمة فاجتزا بذكر الايام عن ذلك لان
ذلك كان معلوما عندهم وعلى هذا يكون المعنى عظهم بالترغيب والترهيب والوعد والوعيد فالترغيب
والوعد ان يذكرهم ما انعم الله عليهم وعلى من قبلهم ممن امن بالرسل فيما مضى من الايام والترهيب
والوعيد ان يذكرهم باس الله وشدة انتقامه ممن خالف امره وكذب رسله وقيل بايام الله في حق
موسى ان يذكر قومه بايام المحنة والشدة والبلا حين كانوا تحت ايدي القبط يسومونهم سوء
العذاب فخلصهم الله من ذلك وجعلهم ملوكا بعد ان كانوا مملوكين ان في ذلك لايات لكل صبار
شكور الصبار الكثير الصبر والشكور الكثير الشكر وانما خص الصبار والشكور بالاعتبار بالايات
وان كان فيها عبرة للكافة لانهم هم المنتفعون بها دون غيرهم فلهذا خصهم بالايات فكانها
ليست لغيرهم فهو كقوله هدى للمتقين ولان الانتفاع بالايات لا يمكن حصوله الا لمن كان صابرا
شاكرا اما من لا يكون كذلك فلا ينتفع بها البتة واذ قال موسى لقومه اذكروا نعمة الله عليكم لما امر
الله عز وجل موسى عليه السلام ان يذكر قومه ايام الله امتثل ذلك الامر وذكرهم بايام الله فقال اذكروا
نعمة الله عليكم اذ انجاكم من ال فرعون اي اذكروا انعام الله عليكم في ذلك الوقت الذي انجاكم فيه من ال
فرعون يسومونكم سوء العذاب ويذبحون ابناكم فان قلت قال في سورة البقرة يذبحون بغير واو
وقال هنا ويذبحون بزيادة واو فما الفرق قلت انما حذفت الواو في سورة البقرة لان قوله يذبحون
تفسير لقوله يسومونكم سوء العذاب وفي التفسير لا يحسن ذكر الواو وتقول جاني القوم زيد
وعمرو اذا اردت تفسير القوم واما دخول الواو هنا في هذه السورة لان ال فرعون كانوا يعذبونهم
بانواع من العذاب غير التذبيح وبالتذبيح ايضا فقوله يسومونكم سوء العذاب ويذبحون نوع اخر
من العذاب لا انه تفسير للعذاب ويستحيون نساكم يعني يتركوهن احيا وفي ذلكم بلا من ربكم
عظيم فان قلت كيف كان فعل ال فرعون بلا من ربهم قلت تمكينهم وامهالهم حتى فعلوا ما فعلوا
كان ذلك بلا من الله ووجه اخر وهو ان ذلك اشارة الى الانجا وهو بلا عظيم لان البلا يكون
ابتلا بالنعمة والمحنة جميعا ومنه قوله ونبلوكم بالشر والخير فتنة وهذا الوجه اولى لانه
موافق لاول الاية وهو قوله اذكروا نعمة الله عليكم فان قلت هب ان تذبيح الابنا فيه بلا فكيف
يكون استحيا النسا بلا قلت كانوا يستخدمونهن ويتركوهن تحت ايديهم كالاما فكان ذلك بلا واذ

تاذن

تاذن ربكم هذا من جملة ما قال موسى لقومه كانه قيل واذكروا نعمة الله عليكم واذكروا حين
تاذن ومعنى تاذن اذن اي اعلم ولا بد في تفعل من زيادة معنى ليس في افعل كانه قيل واذ اذن ربكم
ايذانا بليغا ينتفي عنده الشكوك وتنزاح الشبهة والمعنى واذ تاذن ربكم فقال لئن شكرتم
يا بني اسرائيل ما خولتكم من نعمة الانجا وغيرها من النعم بالايمان الخالص والعمل الصالح لازيدنكم
يعني نعمة الى نعمة ولاضاعفن لكم ما اتيتكم قيل شكر الموجود صيد المفقود وقيل لئن شكرتم بالطاعة
لازيدنكم في الثواب واصل الشكر تصور النعمة واظهارها وحقيقته الاعتراف بنعمة المنعم
مع تعظيمه وتوطين النفس على هذه الطريقة وها هنا دقيقة وهي ان العبد اذا اشتغل
بمطالعة اقسام نعم الله عز وجل عليه وانواع فضله وكرمه واحسانه اشتغل بشكر تلك النعم
وذلك يوجب المزيد وبذلك يتاكد محبة العبد لله عز وجل وهو مقام شريف واعلى منه وهو
ان يشغله حب المنعم عن الالتفات الى النعم وهذا مقام الصديقين نسال الله القيام بواجب
شكر النعمة حتى يزيدنا من فضله وكرمه واحسانه وانعامه وقوله ولئن كفرتم المراد من الكفر هاهنا
كفران النعمة وهو جحودها لانه مذكور في مقابلة الشكر ان عذابي لشديد يعني لمن كفر نعمتي ولا
يشكرها وقال موسى ان تكفروا انتم يا بني اسرائيل ومن في الارض جميعا يعني والناس كلهم جميعا
فانما ضرر ذلك يعود على انفسكم وحرمتموها الخير كله فان الله لغني يعني عن جميع خلقه حميد
اي محمود في جميع افعاله لانه فيها متفضل وعادل الم ياتكم نبا يعني خبر الذين من قبلكم قوم نوح
وعاد وثمود قال بعض المفسرين يحتمل ان يكون هذا خطابا من موسى لقومه والمقصود منه انه
عليه السلام كان يخوفهم بهلاك من تقدم من الامم ويحتمل ان يكون خطابا من الله على لسان نبيه
لقومه يذكرهم بذلك امر القرون الماضية والامم الخالية والمقصود منه حصول العبرة باحوال من
تقدم وهلاكهم والذين من بعدهم يعني من بعد هولا الامم الثلاثة لا يعلمهم الا الله يعني لا يعلم
كنه مقاديرهم وعددهم الا الله لان علمه محيط بكل شي الا يعلم من خلق وقيل المراد بقوله
والذين من بعدهم لا يعلمهم الا الله هم اقوام وامم ما بلغنا خبرهم اصلا ومنه قوله وقرونا بين ذلك
كثيرا وكان ابن مسعود اذا قرا هذه الاية يقول كذب النسابون يعني انهم يدعون علم النسب الى ادم
وقد نفى الله علم ذلك عن العباد وعن عبد الله بن عباس انه قال بين ابراهيم وعدنان ثلاثون قرنا
لا يعلمهم الا الله وكان مالك بن انس يكره ان ينسب الانسان نفسه ابا ابا الى ادم لانه لا يعلم اوليك
الابا الا الله وقوله تعالى جاتهم رسلهم بالبينات يعني بالدلالات الواضحات والمعجزات الباهرات
فردوا ايديهم في افواههم وفي معنى الايدي والافواه قولان احدهما ان المراد بهما حقيقتهما الجارحتان المعلومتان
ثم في معنى ذلك وجوه قال ابن مسعود عضوا ايديهم غيظا وقال ابن عباس لما سمعوا كتاب الله عجبوا
ورجعوا بايديهم الى افواههم وقال مجاهد وقتادة كذبوا الرسل وردوا ما جاوا به يقال
رددت قول فلان في فيه اي كذبته وقال الكلبي يعني ان الامم ردوا ايديهم الى افواه انفسهم

يعني انهم وضعوا الايدي على الافواه اشارة منهم الى الرسل ان اسكتوا وقيل انهم ردوا
ايديهم على افواه الرسل يسكتونهم بذلك وقيل ان الامم لما سمعوا كلام الرسل عجبوا منه وضحكوا
على سبيل السخرية فعند ذلك ردوا ايديهم في افواههم كما يفعل الذي غلبه الضحك القول الثاني
ان المراد بالافواه غير الجارحة فقيل المراد بالايدي النعم معناه ردوا ما لو قبلوه لكانت نعمة
عليهم يقال لفلان عندي يد نعمة والمراد بالافواه تكذيبهم الرسل والمعنى كذبوهم بافواههم
وردوا قولهم وقيل انهم كفوا عن قبول ما امروا بقبوله من الحق ولم يؤمنوا به يقال فلان رد يده الى
فيه اذا امسك عن الجواب فلم يجب وهذا القول فيه بعد لانهم قد اجابوا بالتكذيب وهو ان
الامم ردوا على رسلهم وقالوا انا كفرنا بما ارسلتم به يعني انا كفرنا بما زعمتم ان الله ارسلكم به
لانهم لم يقروا بانهم ارسلوا اليهم لانهم لو اقروا بان الرسل ارسلوا اليهم لكانوا مؤمنين
وانا لفي شك مما تدعوننا اليه مريب يعني موجب لريبة او موقع في الريبة والتهمة والريبة
قلق النفس وان لا تطمئن الى الامر الذي تشك فيه فان قلت انهم قالوا انا كفرنا بما ارسلتم به
فكيف يقولون ثانيا وانا لفي شك والشك دون الكفر او داخل فيه قلت انهم لما صرحوا بكفرهم
بالرسل كانهم حصل لهم شبهة توجب لهم الشك فقالوا ان لم ندع الجزم في كفرنا فلا اقل من ان
نكون شاكين مرتابين في ذلك قالت رسلهم يعني مجيبين لاممهم افي الله شك يعني هل تشكون في الله
وهو استفهام انكار ونفي لما اعتقدوه فاطر السموات والارض يعني وهل تشكون في كونه خالق
السموات والارض وخالق جميع ما فيهما يدعوكم ليغفر لكم من ذنوبكم يعني ليغفر لكم ذنوبكم اذا
امنتم وصدقتم وحرف من صلة وقيل انها اصل ليس بصلة وعلى هذا انه يغفر لهم ما بينهم
وبينه من الكفر والمعاصي دون مظالم العباد ويؤخركم الى اجل مسمى يعني الى حين انقضاء اجالكم
فلا يعاجلكم بالعذاب قالوا يعني الامم مجيبين للرسل ان انتم يعني ما انتم الا بشر مثلنا يعني في
الصورة الظاهرة لستم ملائكة تريدون ان تصدونا عما كان يعبد اباؤنا يعني ما تريدون بقولكم
هذا الا صدنا عن الهتنا التي كان اباؤنا يعبدونها فاتونا بسلطان مبين يعني بحجة بينة واضحة
على صحة دعواكم قالت لهم رسلهم ان نحن الا بشر مثلكم يعني ان الكفار لما قالوا لرسلهم ان انتم الا بشر
مثلنا قالت لهم رسلهم مجيبين هب ان الامر كما وصفتم فنحن بشر مثلكم لا ننكر ذلك ولكن الله يمن
على من يشاء من عباده يعني بالنبوة والرسالة فيصطفي من يشاء من عباده لهذا المنصب العظيم
الشريف وما كان لنا ان ناتيكم بسلطان الا باذن الله يعني وليس لنا مع ما خصنا الله به من النبوة
وشرفنا به من الرسالة ان ناتيكم باية وبرهان ومعجزة تدل على صدقنا الا باذن الله لنا في ذلك
وعلى الله فليتوكل المؤمنون يعني في دفع شرور اعدائهم عنهم وما لنا الا نتوكل على الله يعني ان
الانبيا قالوا ايضا قد عرفنا انه لا يصيبنا شي الا بقضاء الله وقدره فنحن نثق به ونتوكل عليه في دفع
شروركم عنا وقد هدانا سبلنا يعني وقد عرفنا طريق النجاة وبين لنا الرشد ولنصبرن لام القسم

تقديره والله لنصبرن على ما اذيتمونا يعني به من قول او فعل وعلى الله فليتوكل المتوكلون
فان قلت كيف كرر الامر بالتوكل وهل من فرق بين التوكلين قلت نعم التوكل الاول فيه اشارة
الى استحداث التوكل والتوكل الثاني فيه اشارة الى السعي في التثبت على ما استحدثوا من توكلهم
وابقايه وادامته لتحصل الفرق بين التوكلين قوله تعالى وقال الذين كفروا لرسلهم لنخرجنكم من ارضنا
او لتعودن في ملتنا يعني ليكونن احد الامرين اما اخراجكم ايها الرسل من بلادنا وارضنا
واما عودكم الى ملتنا فان قلت هذا يوهم بظاهره انهم كانوا على ملتهم في اول الامر حتى يعودوا
فيها قلت معاذ الله ولكن العود هنا بمعنى الصيرورة وهو كثير في كلام العرب وفيه وجه
اخر وهو ان الانبيا عليهم السلام قبل الرسالة لم يظهروا خلاف اممهم فلما ارسلوا اليهم
اظهروا مخالفتهم ودعوهم الى الله قالوا لهم لتعودن في ملتنا ظنا منهم انهم كانوا على ملتهم
ثم خالفوهم واجماع الامة على ان الرسل من اول الامر انما نشاوا على التوحيد لا يعرفون غيره
فاوحى اليهم ربهم يعني ان الله تعالى اوحى الى رسله وانبيايه بعد هذه المخاطبات والمحاورات
لنهلكن الظالمين يعني ان عاقبة امرهم الى الهلاك فلا تخافوهم ولنسكننكم الارض من بعدهم
يعني من بعد هلاكهم ذلك يعني ذلك الاسكان لمن خاف مقامي يعني خاف قيامه بين يدي يوم القيامة
فاضاف قيام العبد الى نفسه لان العرب قد تضيف افعالها الى انفسها كقولهم ندمت على
ضربي اياك وندمت على ضربك مثله وخاف وعيد اي وخاف عقابي في قوله عز وجل واستفتحوا
يعني واستنصروا قال ابن عباس يعني الامم وذلك انهم قالوا اللهم ان كان هولاء الرسل صادقين
فعذبنا وقال مجاهد وقتادة واستفتح الرسل على اممهم وذلك انهم لما ييسوا من ايمان
قومهم استنصروا الله ودعوا على قومهم بالعذاب وخاب يعني وخسر وقيل هلك كل جبار عنيد
والجبار في صفة الانسان يقال لمن تجبر نفسه بادعا منزلة عالية لا يستحقها وهو صفة ذم في
حق الانسان وقيل الجبار الذي لا يرى فوقه احدا وقيل الجبار المتعظم في نفسه المتكبر على اقرانه
والعنيد المعاند للحق ومجانبه قاله مجاهد وقال ابن عباس هو المعرض عن الحق وقال مقاتل هو المتكبر
وقال قتادة هو الذي يابى ان يقول لا اله الا الله وقيل العنيد المعجب بما عنده وقيل العنيد الذي
يعاند ويخالف من ورائه جهنم يعني من امامه وهو صائر اليها قال ابو عبيدة هو من الاضداد
يعني انه يقال ورا بمعنى خلف وبمعنى امام وقال الاخفش هو كما يقال هذا الامر من ورائك يعني
انه سياتيك ويسقى يعني في جهنم من ماء صديد وهو ما سال من الجلد واللحم من القيح جعل
ذلك شراب اهل النار وقال محمد بن كعب القرظي هو ما يسيل من فروج الزناة يسقاه الكافر وهو
قوله يتجرعه اي يتحساه ويشربه لا مرة واحدة بل جرعة بعد جرعة لمرارته وحرارته وكراهته
ونتنه ولا يكاد يسيغه اي لا يقدر على ابتلاعه يقال ساغ الشراب في الحلق اذا سهل انحداره فيه
قال بعض المفسرين كاد صلة المعنى يتجرعه ولا يسيغه وقال صاحب الكشاف دخل كاد للمبالغة

يعني ولا يقارب ان يسيغه فكيف تكون الاساغة وقال بعضهم ولا يكاد يسيغه اي يسيغه
بعد ابطا لان العرب تقول ما كدت اقوم اي قمت بعد ابطا فعلى هذا كاد على اصلها وليس بصلة
وقال ابن عباس معناه لا يجيزه وقيل معناه يكاد لا يسيغه ويسيغه ليغلي في جوفه عن ابي امامة
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله ويسقى من ماء صديد يتجرعه قال يقرب اليه فيكرهه
فاذا ادنى منه شوى وجهه ووقعت فروة راسه فاذا شربه قطع امعاه حتى تخرج من دبره قال
وسقوا ماء حميما فقطع امعاءهم وقال وان يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوي الوجوه بيس
الشراب وساءت مرتفقا اخرجه الترمذي وقال حديث غريب قوله وقعت فروة راسه اي جلدة
راسه شبهها بالفروة للشعر الذي عليها وقوله تعالى ويأتيه الموت من كل مكان وما هو بميت
يعني ان الكافر يجد الم الموت وشدته من كل مكان من اعضايه وقال ابراهيم التيمي حتى من تحت
كل شعرة من جسده وقيل يأتيه الموت من قدامه ومن خلفه ومن فوقه ومن تحته وعن يمينه
وعن شماله وما هو بميت فيستريح وقال ابن جريج تعلق نفسه عند حنجرته فلا تخرج من فيه
فيموت ولا ترجع الى مكانها من جوفه فتنفعه الحياة ومن ورايه يعني امامه عذاب غليظ اي شديد
وقيل هو الخلود في النار قوله تعالى مثل الذين كفروا بربهم اعمالهم كرماد هذا كلام مستانف منقطع
عما قبله وهو مبتدا محذوف الخبر عند سيبويه تقديره فيما يقص او فيما يتلى عليكم مثل الذين
كفروا والمثل مستعار للقصة التي فيها غرابة وقوله اعمالهم كرماد جملة مستانفة على تقدير
سوال سايل يقول كيف مثلهم فقيل اعمالهم كرماد وقال الفرا مثل اعمال الذين كفروا بربهم كرماد
فحذف المضاف اعتمادا على ذكره بعد المضاف اليه وقيل يحتمل ان يكون المعنى صفة الذين كفروا بربهم
اعمالهم كرماد كقولك صفة زيد عرضه مصون وماله مبذول والرماد معروف وهو ما يسقط
من الحطب والفحم بعد احراقه بالنار اشتدت به الريح يعني فنسفته وطيرته ولم تبق منه شيا
في يوم عاصف وصف اليوم بالعصوف والعصوف من صفة الريح لان الريح تكون فيه كقولك
يوم بارد وحار وليلة ماطرة لان البرد والحر والمطر يوجد فيه وقيل معناه في يوم عاصف الريح
فحذف لانه قد تقدم ذكرها وهذا مثل ضربه الله لاعمال الكفار التي لم ينتفعوا بها ووجه
المشابهة بين هذا المثل وبين هذه الاعمال هو ان الريح العاصف تطير الرماد وتذهب به وتفرق
اجزاه بحيث لا يبقى منه شي وكذلك اعمال الكفار تبطل وتذهب بسبب كفرهم وشركهم حتى لا يبقى
منها شي ثم اختلفوا في هذه الاعمال ما هي فقيل هي ما عملوه من اعمال الخير في حال الكفر كالصدقة
وصلة الارحام وفك الاسير واقرا الضيف وبر الوالدين ونحو ذلك من اعمال البر والصلاح فهذه
الاعمال وان كانت اعمال بر لكنها لا ينتفع بها صاحبها يوم القيامة بسبب كفره لان كفره احبطها
وابطلها كلها وقيل المراد بالاعمال عبادتهم الاصنام التي ظنوا انها تنفعهم فبطلت وحبطت
ولم تنفعهم البتة ووجه خسرانهم انهم اتعبوا ابدانهم في الدهر الطويل لكي ينتفعوا بها فصارت

وبالا عليهم وقيل المراد بالاعمال الاعمال التي عملوها في الدنيا واشركوا فيها غير الله فانها
لا تنفعهم لانها صارت كالرماد الذي ذرته الريح وصار هبا لا ينتفع به وهو قوله تعالى
لا يقدرون مما كسبوا يعني في الدنيا على شي يعني من تلك الاعمال والمعنى انهم لا يجدون ثواب
اعمالهم في الاخرة ذلك هو الضلال البعيد يعني ذلك الخسران الكبير لان اعمالهم ضلت وهلكت
فلا يرجى عودها والبعيد هنا الذي لا يرجى عوده الم تر ان الله خلق السموات والارض بالحق يعني
لم يخلقهما باطلا ولا عبثا وانما خلقهما لامر عظيم وغرض صحيح ان يشا يذهبكم يعني ايها الناس ويأت
بخلق جديد يعني سواكم اطوع لله منكم والمعنى الذي قدر على خلق السموات والارض فانه يقدر على
افنا قوم واماتتهم وايجاد خلق اخر سواهم كان الاولى لان القادر لا يصعب عليه شي وقيل هذا خطاب
لكفار مكة يريد اميتكم يا معشر الكفار واخلق قوما غيركم خيرا منكم واطوع وما ذلك على الله بعزيز
يعني بممتنع لان الاشيا كلها سهلة على الله وان جلت وعظمت قوله عز وجل وبرزوا لله جميعا يعني
وخرجوا من قبورهم الى الله ليحاسبهم ويجازيهم على قدر اعمالهم والبراز الفضا وبرز حصل
في البراز وذلك ان يظهر بذاته كله والمعنى وخرجوا من قبورهم وظهروا الى الفضا واورد بلفظ
الماضي وان كان معناه الاستقبال لان كل ما اخبر الله عنه فهو حق وصدق وكاين لا محالة فصار
كانه قد حصل ودخل في الوجود فقال الضعفا يعني الاتباع للذين استكبروا وهم القادة الروسا
انا كنا لكم تبعا يعني في الدين والاعتقاد فهل انتم يعني في هذا اليوم مغنون عنا يعني دافعون عنا
من عذاب الله من شي من هنا للتبعيض والمعنى هل تقدرون على ان تدفعوا عنا بعض عذاب الله الذي
حل بنا قالوا يعني الروسا والقادة والمتبوعين للتابعين لو هدانا الله لهديناكم يعني لو ارشدنا
الله ارشدناكم ودعوناكم الى الهدى ولكن لما اضلنا الله دعوناكم الى الضلالة سوا علينا
اجزعنا ام صبرنا يعني مستو علينا الجزع والصبر والجزع ابلغ من الحزن لانه يصرف الانسان
عما هو بصدده ويقطعه عنه ما لنا من محيص يعني من مهرب ولا منجاة مما نحن فيه من العذاب
قال مقاتل يقولون في النار تعالوا نجزع فيجزعون خمسماية عام فلا ينفعهم الجزع فيقولون تعالوا
نصبر فيصبرون خمسماية عام فلم ينفعهم الصبر فعند ذلك يقولون سوا علينا اجزعنا ام
صبرنا ما لنا من محيص وقال محمد بن كعب القرظي بلغني ان اهل النار يستغيثون بالخزنة كما قال
الله وقال الذين في النار لخزنة جهنم ادعوا ربكم يخفف عنا يوما من العذاب فردت عليهم اولم تك
تاتيكم رسلكم بالبينات قالوا بلى قالوا فادعوا وما دعاء الكافرين الا في ضلال فلما ييسوا مما عند
الخزنة نادوا يا مالك ليقض علينا ربك سالوا الموت فلا يجيبهم ثمانين سنة والسنة ثلاثماية
وستون يوما واليوم كالف سنة مما تعدون ثم يجيبهم بقوله انكم ماكثون فلما ييسوا مما عنده
قال بعضهم لبعض تعالوا فلنصبر كما صبر اهل الطاعة لعل ذلك ينفعنا فصبروا فطال صبرهم
فلم ينفعهم فجزعوا فلم ينفعهم فعند ذلك قالوا سوا علينا اجزعنا ام صبرنا ما لنا من محيص

وقوله تعالى وقال الشيطان يعني ابليس لما قضي الامر يعني فرغ منه وادخل اهل الجنة الجنة
واهل النار النار اخذ اهل النار في لوم ابليس وتقريعه وتوبيخه فيقوم فيهم خطيبا قال
مقاتل يوضع له منبر في النار فيجتمع اليه اهل النار يلومونه فيقول لهم ما اخبر الله بقوله ان الله
وعدكم وعد الحق فيه اضمار تقديره فصدق في وعده ووعدتكم فاخلفتكم يعني الوعد وقيل يقول
لهم اني قلت لكم لا بعث ولا جنة ولا نار وما كان لي عليكم من سلطان يعني من ولاية وقهر وقيل لم
اتكم بحجة فيما وعدتكم به الا ان دعوتكم هذا استثنا منقطع معناه لكن دعوتكم فاستجبتم لي فلا
تلوموني ولوموا انفسكم يعني ما كان مني الا الدعا والقا الوسوسة وقد سمعتم دلايل الله وجاتكم
الرسل فكان من الواجب عليكم الا تلتفتوا الي ولا تسمعوا قولي فلما رجحتم قولي على الدلايل الظاهرة
فكان اللوم بكم اولى باجابتي ومتابعتي من غير حجة ولا دليل ما انا بمصرخكم يعني بمغيثكم ولا منقذكم
وما انتم بمصرخي يعني بمغيثي ولا منقذي مما انا فيه اني كفرت بما اشركتموني من قبل يعني كفرت
بجعلكم اياي شريكا له في عبادته وتبرات من ذلك والمعنى ان ابليس جحد ما يعتقده الكفار فيه من
كونه شريكا لله وتبرا من ذلك ان الظالمين لهم عذاب اليم روى البغوي بسنده عن عقبة بن عامر
عن النبي صلى الله عليه وسلم في حديث الشفاعة وذكر الحديث الى قوله فياتوني فياذن الله لي ان اقوم
فيثور مجلسي من اطيب ريح شمها احد حتى اتي ربي فيشفعني ويجعل لي نورا من شعر راسي الى ظفر
قدمي ثم يقول الكفار قد وجد المومنون من يشفع لهم فمن يشفع لنا فيقولون ما هو غير ابليس هو
الذي اضلنا فياتونه فيقولون قد وجد المومنون من يشفع لهم فقم انت فاشفع لنا فانك انت
اضللتنا فيقوم فيثور من مجلسه انتن ريح شمها احد ثم يعظم لجهنم ويقول عند ذلك ان الله وعدكم
وعد الحق الاية وقوله تعالى وادخل الذين امنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار
لما شرح الله عز وجل حال الكفار الاشقيا بما تقدم من الايات الكثيرة شرح احوال المومنين
السعدا وما اعد لهم في الاخرة من الثواب العظيم والاجر الجزيل وذلك ان الثواب منفعة خالصة
دايمة مقرونة بالتعظيم فالمنفعة الحاصلة اليها الاشارة بقوله تعالى وادخل الذين امنوا
وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار وكونها دايمة اشير اليه بقوله خالدين فيها
والتعظيم حصل من وجهين احدهما قوله باذن ربهم لان تلك المنافع انما كانت تفضلا من الله
وانعاما الثاني قوله تحيتهم فيها سلام فيحتمل ان بعضهم يحيي بعضا بهذه الكلمة او الملايكة تحييهم
بها والرب سبحانه وتعالى يحييهم بها ويحتمل ان يكون المراد انهم لما دخلوا الجنة سلموا من جميع الافات
لان السلام مشتق من السلامة قوله عز وجل الم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة لما شرح
الله عز وجل احوال الاشقيا واحوال السعدا ضرب مثلا فيه حكم هذين القسمين فقال تعالى
الم تر اي بعين قلبك فتعلم علم يقين باعلامي اياك فعلى هذا يحتمل ان يكون الخطاب فيه للنبي
صلى الله عليه وسلم ويدخل معه غيره فيه ويحتمل ان يكون الخطاب لكل فرد من الناس فيكون المعنى

الم تر

الم تر ايها الانسان كيف ضرب الله مثلا يعني بين شبها والمثل عبارة عن قول في شي يشبه
قولا في شي اخر بينهما مشابهة ليتبين احدهما من الاخر وتصوره وقيل هو قول سائر لتشبيه
شي بشي اخر كلمة طيبة كشجرة التمر قال ابن عباس هي النخلة وبه قال ابن مسعود وانس ومجاهد
وعكرمة والضحاك ق عن ابن عمر قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اخبروني عن شجرة
تشبه او كالرجل المسلم لا يتحات ورقها ولا ولا ولا توتي اكلها كل حين قال ابن عمر فوقع في
نفسي انها النخلة ورايت ابا بكر وعمر لا يتكلمان فكرهت ان اتكلم فلما لم يقولوا شيا قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم هي النخلة فلما قمنا قلت لعمر يا ابتاه والله لقد كان وقع في نفسي انها النخلة
فقال ما منعك ان تتكلم قال لم اركم تتكلمون فكرهت ان اتكلم او اقول شيا فقال عمر لان تكون قلتها
احب الي من كذا وكذا وفي رواية ان من الشجر شجرة لا يسقط ورقها وانها مثل المسلم فحدثوني
ما هي فوقع الناس في شجر البوادي قال عبد الله ووقع في نفسي انها النخلة فاستحييت ثم قالوا
حدثنا ما هي يا رسول الله قال هي النخلة وفي رواية عن ابن عباس انها شجرة في الجنة وفي رواية اخرى
عنه انها الموز وقوله اصلها ثابت يعني في الارض وفرعها يعني اعلاها في السما يعني ذاهبة
في السما توتي اكلها يعني ثمرها كل حين باذن ربها يعني بامر ربها والحين في اللغة الوقت يطلق
على القليل والكثير واختلفوا في مقداره هنا فقال مجاهد وعكرمة الحين هنا سنة كاملة
لان النخلة تثمر في كل سنة مرة وقال سعيد بن جبير وقتادة والحسن ستة اشهر يعني من
وقت طلعها الى حين صرامها وروي ذلك عن ابن عباس ايضا وقال علي بن ابي طالب ثمانية اشهر
ظاهرا وباطنا ثمانية اشهر وقيل اربعة اشهر من حين ظهور حملها الى ادراكها وقال سعيد
ابن المسيب شهران يعني من وقت يوكل منها الى صرامها وقال الربيع بن انس كل حين يعني كل
غدوة وعشية لان ثمر النخل يوكل ابدا ليلا ونهارا وصيفا وشتا فيوكل منها الجمار
والطلع والبلح والخلال والبسر والمنصف والرطب وبعد ذلك يوكل التمر اليابس الى حين الطري
الرطب فاكلها دايم في كل وقت قال العلما ووجه الحكمة في تمثيل هذه الكلمة التي هي كلمة
الاخلاص واصل الايمان بالنخل من اوجه احدها ان كلمة الاخلاص شديدة الثبوت في
قلب المومن كثبوت اصل هذه النخلة في الارض الوجه الثاني ان هذه الكلمة ترفع عمل المومن
الى السما كما قال تعالى اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه وكذلك فرع هذه
النخلة عال في السما الوجه الثالث ان ثمرة هذه النخلة تاتي في كل حين ووقت وكذلك ما يكتسبه
المومن من الاعمال الصالحة في كل وقت وحين ببركة هذه الكلمة فالمومن كلما قال لا اله الا الله
صعدت الى السما وجاء بركتها وثوابها وخيرها ومنفعتها الوجه الرابع ان النخلة
شبيهة بالانسان في غالب الامر لانها خلقت من فضلة طينة ادم وانها اذا قطع راسها
تموت كالادمي بخلاف ساير الشجر فانه اذا قطع نبت وانها لا تحمل حتى تلقح بطلع الذكر

الوجه الخامس في وجه الحكمة في تمثيل الايمان بالشجر على الاطلاق ان الشجرة لا تسمى شجرة
الا بثلاثة اشيا عرق راسخ واصل قايم وفرع عال وكذلك لا يتم الايمان الا بثلاثة اشيا
تصديق بالقلب وقول باللسان وعمل بالابدان وقوله تعالى ويضرب الله الامثال للناس لعلهم
يتذكرون يعني ان في ضرب الامثال زيادة في الافهام وتصوير للمعاني وتذكير ومواعظ
لمن تذكر واتعظ وقوله تعالى ومثل كلمة خبيثة وهي الشرك كشجرة خبيثة يعني الحنظل قاله انس
ابن مالك ومجاهد وفي رواية عن ابن عباس انها الكشوث وعنه ايضا انها الثوم وعنه
ايضا انها الكافر لانه لا يقبل عمله فليس له اصل ثابت ولا يصعد الى السما اجتثت يعني استوصلت
وقطعت من فوق الارض ما لها من قرار يعني ما لهذه الشجرة من ثبات في الارض لانها ليس لها اصل
ثابت في الارض ولا فرع صاعد الى السما كذلك الكافر لا خير فيه ولا يصعد له قول طيب ولا عمل
صالح ولا لاعتقاده اصل ثابت فهذا وجه تمثيل الكافر بهذه الشجرة الخبيثة عن انس
قال اتي رسول الله صلى الله عليه وسلم بقناع عليه رطب فقال مثل كلمة طيبة كشجرة طيبة اصلها
ثابت وفرعها في السما توتي اكلها كل حين باذن ربها قال هي النخلة ومثل كلمة خبيثة كشجرة
خبيثة اجتثت من فوق الارض ما لها من قرار قال هي الحنظلة اخرجه الترمذي مرفوعا
وموقوفا وقال الموقوف اصح وقوله تعالى يثبت الله الذين امنوا بالقول الثابت لما وصف الله
الكلمة الطيبة في الاية المتقدمة اخبر في هذه الاية انه يثبت الله الذين امنوا بالقول الثابت
والقول الثابت هو الكلمة الطيبة وهي شهادة ان لا اله الا الله في قول جمهور المفسرين ولما
وصف الكلمة الخبيثة في الاية المتقدمة وهي كلمة الشرك قال في هذه الاية ويضل الله
الظالمين يعني بالكلمة الخبيثة وهي كلمة الشرك في قول جميع المفسرين وقوله في الحياة الدنيا
يعني في القبر عند السوال وفي الاخرة يعني يوم القيمة عند البعث والحساب والقول الاول الذي
عليه الجمهور اصح ويدل عليه ما روي عن البرا بن عازب قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول المسلم اذا سيل في القبر يشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله فذلك قوله يثبت الله
الذين امنوا بالقول الثابت وفي رواية ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قرا يثبت الله الذين امنوا
بالقول الثابت قال نزلت في عذاب القبر زاد في رواية يقال له من ربك فيقول ربي الله ونبيي محمد
صلى الله عليه وسلم اخرجه البخاري ومسلم ق عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان العبد
اذا وضع في قبره وتولى وذهب عنه اصحابه انه ليسمع قرع نعالهم اذا انصرفوا اتاه ملكان فيقعدانه
فيقولان له ما كنت تقول في هذا الرجل محمد فاما المومن فيقول اشهد انه عبد الله ورسوله فيقال له
انظر الى مقعدك من النار ابدلك الله به مقعدا من الجنة قال النبي صلى الله عليه وسلم فيراهما جميعا
قال قتادة ذكر لنا انه يفسح له في قبره ثم رجع الى حديث انس واما الكافر والمنافق وفي رواية
واما الكافر والمنافق فيقول لا ادري كنت اقول ما يقول الناس فيه فيقال لا دريت ولا تليت

ثم يضرب بمطرقة من حديد ضربة بين اذنيه فيصيح صيحة يسمعها من يليه الا الثقلين
لفظ البخاري ولمسلم بمعناه زاد في رواية انه يفسح له في قبره سبعون ذراعا ويملا عليه
خضرا الى يوم يبعثون واخرجه ابو داود عن انس وهذا لفظه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال ان المومن اذا وضع في قبره اتاه ملك فيقول له ما كنت تعبد فان هداه الله قال كنت اعبد
الله فيقول له ما كنت تقول في هذا الرجل فيقول هو عبد الله ورسوله فما يسال عن شي بعدها
فينطلق به الى بيت كان له في النار فيقال له هذا كان لك ولكن عصمك الله فابدلك به بيتا
في الجنة فيراه فيقول دعوني حتى اذهب فابشر اهلي فيقال له اسكن وان الكافر والمنافق اذا وضع
في قبره اتاه ملك فينتهره فيقول ما كنت تعبد فيقول ما ادري فيقال له لا دريت ولا تليت
فيقال له ما كنت تقول في هذا الرجل فيقول كنت اقول ما يقول الناس فيضربه بمطرقة من
حديد بين اذنيه فيصيح صيحة يسمعها الخلق غير الثقلين واخرجه النساي ايضا
عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا اقبر الميت او قال اذا اقبر احدكم اتاه
ملكان اسودان ازرقان يقال لاحدهما المنكر وللاخر النكير فيقولان ما كنت تقول في هذا الرجل
فيقول ما كان يقول هو عبد الله ورسوله اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا عبده ورسوله فيقولان
قد كنا نعلم انك تقول هذا ثم يفسح له في قبره سبعون ذراعا ثم ينور له فيه ثم يقال له نم
فيقول ارجع الى اهلي فاخبرهم فيقولون نم كنومة العروس الذي لا يوقظه الا احب اهله
اليه حتى يبعثه الله تعالى من مضجعه ذلك وان كان منافقا فيقول سمعت الناس يقولون
قولا فقلت مثله لا ادري فيقولان قد كنا نعلم انك تقول ذلك فيقال للارض التيمي عليه
فتلتيم عليه فتختلف اضلاعه فلا يزال فيها معذبا حتى يبعثه الله من مضجعه ذلك اخرجه
الترمذي عن البرا بن عازب قال خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في جنازة رجل من
الانصار فانتهينا الى القبر ولما يلحد بعد فجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم وجلسنا حوله
كانما على روسنا الطير وبيده عود ينكت به الارض فرفع راسه صلى الله عليه وسلم
فقال تعوذوا بالله من عذاب القبر مرتين او ثلاثا زاد في رواية وقال ان الميت ليسمع خفق
نعالهم اذا ولوا مدبرين حين يقال له يا هذا من ربك وما دينك ومن نبيك وفي رواية ياتيه
ملكان فيجلسانه فيقولان له ما هذا الرجل الذي بعث فيكم فيقول هو رسول الله فيقولان
وما يدريك فيقول قرات كتاب الله وامنت به وصدقت زاد في رواية فذلك قوله يثبت الله
الذين امنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الاخرة ثم اتفقا قال فينادي مناد من السما
ان صدق عبدي فافرشوه من الجنة وافتحوا له بابا الى الجنة فياتيه من روحها وطيبها ويفسح
له في قبره مد بصره وان كان الكافر فذكر موته قال فيعاد روحه في جسده وياتيه ملكان
فيجلسانه فيقولان من ربك فيقول هاه هاه لا ادري فيقولان ما دينك فيقول هاه هاه

لا ادري فيقولان ما هذا الرجل الذي بعث فيكم فيقول هاه هاه لا ادري فينادي مناد من
السما قد كذب عبدي فافرشوه من النار والبسوه من النار وافتحوا له بابا الى النار فياتيه
من حرها وسمومها ويضيق عليه قبره حتى تختلف فيه اضلاعه زاد في رواية ثم يقيض له
اعمى ابكم معه مرزبة من حديد لو ضرب بها جبلا لصار ترابا فيضربه بها ضربة يسمعها
من بين المشرق والمغرب الا الثقلين فيصير ترابا ثم تعاد فيه الروح اخرجه ابو داود وعن عثمان
ابن عفان قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا فرغ من دفن الميت وقف عليه وقال استغفروا
لاخيكم واسلوا له التثبيت فانه الان يسال اخرجه ابو داود وعن عبد الرحمن بن شماسة
المهدي قال حضرنا عمرو بن العاص وهو في سياق الموت فبكى بكا طويلا وحول وجهه الى الجدار
فجعل ابنه يقول ما يبكيك يا ابتاه اما بشرك رسول الله صلى الله عليه وسلم بكذا وكذا فاقبل بوجهه
فقال ان افضل ما نعد شهادة ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله وذكر الحديث بطوله
وفيه فاذا انا مت فلا تصحبني نايحة ولا نار فاذا دفنتموني فشنوا علي التراب شنا ثم اقيموا
حول قبري قدر ما تنحر جزور ويقسم لحمها حتى استانس بكم وانظر ماذا اراجع به رسل ربي
اخرجه مسلم بزيادة طويلة فيه قيل المراد من التثبيت بالقول الثابت هو ان الله تعالى
انما يثبتهم في القبر بسبب كثرة مواظبتهم على شهادة الحق في الحياة الدنيا وحبهم لها
فمن كان مواظبته على شهادة الاخلاص اكثر كان رسوخها في قلبه اعظم فينبغي للعبد المسلم
ان يكثر من قول لا اله الا الله محمد رسول الله في جميع حالاته من قيامه وقعوده ونومه
ويقظته وجميع حركاته وسكونه فلعل الله عز وجل ان يرزقه ببركة مواظبته على شهادة
الاخلاص التثبيت في القبر وحسن الجواب وتسهيله بفضله ومنه وكرمه واحسانه انه
على كل شي قدير وقوله تعالى ويضل الله الظالمين يعني ان الله تعالى لا يهدي المشركين الى الجواب
بالصواب في القبر ويفعل الله ما يشا يعني من التوفيق والخذلان والهداية والاضلال والتثبيت
وترك التثبيت لا اعتراض عليه في جميع افعاله لا يسال عما يفعل وهم يسالون قوله عز وجل
الم تر الى الذين بدلوا نعمة الله كفرا خ عن ابن عباس في قوله الم تر الى الذين بدلوا نعمة الله قال هم كفار
اهل مكة وفي رواية قال هم والله كفار قريش قال عمرو هم قريش ومحمد نعمة الله واحلوا قومهم دار البوار
قال النار يوم بدر وعن علي رضي الله عنه قال هم كفار قريش نحروا يوم بدر وقال عمر بن الخطاب رضي
الله عنه الافجران من قريش بنو المغيرة وبنو امية اما بنو المغيرة فقد كفيتموهم يوم بدر
واما بنو امية فقد متعوا الى حين فقوله بدلوا نعمة الله كفرا معناه ان الله تعالى لما انعم على
قريش بمحمد صلى الله عليه وسلم فارسله اليهم وانزل عليه كتابه ليخرجهم من ظلمات الكفر الى نور الايمان
فاختاروا الكفر على الايمان وغيروا نعمة الله عليهم وقيل يجوز ان يكون بدلوا شكر نعمة الله عليهم
كفرا لانه لما وجب عليهم الشكر بسبب هذه النعمة اتوا بالكفر فكانهم غيروا الشكر وبدلوه بالكفر

واحلوا

واحلوا قومهم دار البوار يعني من تبعهم على دينهم وكفرهم دار البوار يعني دار الهلاك ثم فسرها
بقوله تعالى جهنم يصلونها وبيس القرار يعني المستقر وجعلوا لله اندادا يعني امثالا واشباها
من الاصنام وليس لله تعالى ند ولا شبه ولا مثل تعالى الله عن الند والشبه والمثل علوا كبيرا
ليضلوا عن سبيله يعني ليضلوا الناس عن طريق الهدى ودين الحق قل تمتعوا اي قل يا محمد لهولا
الكفار عيشوا في الدنيا اياما قلايل فان مصيركم الى النار يعني في الاخرة قوله تعالى قل لعبادي
الذين امنوا يقيموا الصلاة يعني اقيموا وليقيموا الصلاة يعني الواجبة واقامتها اتمام اركانها
وينفقوا مما رزقناهم قيل اراد بهذا الانفاق اخراج الزكاة الواجبة وقيل اراد به جميع الانفاق
في جميع وجوه الخير والبر وحمله على العموم اولى لانه يدخل فيه اخراج الزكاة والانفاق في جميع
وجوه البر سرا وعلانية يعني ينفقون اموالهم في حال السر وحال العلانية وقيل اراد بالسر
صدقة التطوع وبالعلانية اخراج الزكاة الواجبة من قبل ان ياتي يوم لا بيع فيه قال ابو عبيدة
البيع هنا الفدا يعني لا فدا في ذلك اليوم ولا خلال يعني ولا خلة وهي المودة والصداقة التي
تكون بين اثنين وقال مقاتل انما هو يوم لا بيع فيه ولا شرا ولا مخالة ولا قرابة انما هي الاعمال
اما ان يثاب بها او يعاقب عليها فان قلت كيف نفي الخلة في هذه الاية التي في سورة البقرة
واثبتها في قوله الاخلا يوميذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين قلت الاية الدالة على نفي الخلة
محمولة على نفي الخلة بسبب ميل الطبيعة ورعونة النفس والاية الدالة على حصول الخلة وثبوتها
محمولة على الخلة الحاصلة بسبب محبة الله الا ترى انه اثبتها للمتقين فقط ونفاها عن غيرهم
وقيل ان ليوم القيمة احوالا مختلفة ففي بعضها يشتغل كل خليل عن خليله وفي بعضها يتعاطف
الاخلا بعضهم على بعض اذا كانت تلك المخالة لله في محبته قوله عز وجل الله الذي خلق
السموات والارض وانزل من السما ما فاخرج به من الثمرات رزقا لكم اعلم انه تقدم تفسير هذه الاية
في مواضع كثيرة ونذكرها هنا بعض فوايد هذه الاية الدالة على وجود الصانع المختار
القادر الذي لا يعجزه شي اراده فقوله الله الذي خلق السموات والارض انما يذكر خلق السموات
والارض لانهما اعظم المخلوقات الشاهدة الدالة على وجود الصانع الخالق القادر المختار
وانزل من السما ما يعني من السحاب سمي السحاب سما لارتفاعه مشتق من السمو وهو الارتفاع
وقيل ان المطر ينزل من السما الى السحاب ومن السحاب الى الارض فاخرج به اي بذلك الما من
الثمرات رزقا لكم الثمرات اسم يقع على ما يحصل من الشجر وقد يقع على الزرع ايضا بدليل قوله
كلوا من ثمره اذا اثمر واتوا حقه يوم حصاده وقوله من الثمرات بيان للرزق اي اخرج به رزقا
هو الثمرات وسخر لكم الفلك لتجري في البحر بامره لما ذكر الله انعامه بانزال المطر واخراج الثمر لاجل
الرزق والانتفاع بها ذكر نعمته على عباده بتسخير السفن الجارية على الما لاجل الانتفاع
بها في جلب ذلك الرزق الذي هو الثمرات وغيرها من بلد الى بلد اخر فهي من تمام نعم الله على عباده

وسخر لكم الانهار يعني ذللها لكم تجرون بها حيث شئتم ولما كان ماء البحر لا ينتفع به في سقي
الزروع والثمرات ولا في الشرب ايضا ذكر نعمته على عباده في تسخير الانهار وتفجير العيون
لاجل هذه الحاجة فهي من اعظم نعم الله على عباده **وسخر لكم الشمس والقمر دائبين** الدأب العادة المستمرة
دائما على حالة واحدة ودأب في السير داوم عليه والمعنى ان الله سخر الشمس والقمر يجريان
دائما فيما يعود الى مصالح العباد لا يفتران الى اخر الدهر وهو انقضاء عمر الدنيا وذهابها قال ابن
عباس دؤبهما في طاعة الله عز وجل وقال بعضهم معناه يدأبان في مسيرهما وتاثيرهما في ازالة
الظلمة واصلاح النبات والحيوان لان الشمس سلطان النهار وبها تعرف فصول السنة والقمر
سلطان الليل وبه يعرف انقضاء الشهور وكل ذلك بتسخير الله عز وجل وانعامه على عباده
وسخر لكم الليل والنهار يعني يتعاقبان في الضياء والظلمة والنقصان والزيادة وذلك من
انعام الله على عباده وتسخيره لهم **واتاكم من كل ما سألتموه** لما ذكر الله تعالى الانعام العظيمة
التي انعم بها على عباده وسخرها لهم بين بعد ذلك انه تعالى لم يقتصر على تلك النعم بل اعطى
عباده من المنافع والمرادات ما لا يأتي على بعضها العد والحصر والمعنى واتاكم من كل شيء سألتموه
شيئا فحذف الشيء الثاني اكتفاء بدلالة الكلام على التبعيض وقيل هو التكثير يعني واتاكم
من كل ما سألتموه وما لم تسألوه لان نعمه علينا اكثر من ان تحصى **وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها**
يعني ان نعم الله كثيرة على عباده فلا يقدر احد على حصرها ولا عدها لكثرتها **ان
الانسان** قال ابن عباس يريد ابا جهل وقال الزجاج هو اسم جنس ولكن يقصد به الكافر
لظلوم كفار يعني ظلوم لنفسه كفار بنعمة ربه وقيل الظلوم الشاكر لغير من انعم عليه فيضع
الشكر في غير موضعه كفار جحود لنعم الله عليه وقيل يظلم النعمة باغفال شكرها كفار شديد
الكفران لها وقيل ظلوم في الشدة يشكو ويجزع كفار في النعمة يجمع ويمنع قوله تعالى **واذ قال
ابراهيم رب اجعل هذا البلد امنا** يعني ذا امن يؤمن فيه واراد بالبلد مكة فان قلت اي فرق
بين قوله اجعل هذا بلدا امنا وبين قوله اجعل هذا البلد امنا قلت الفرق بينهما انه سأل
في الاول ان يجعله من جملة البلاد التي يأمن اهلها فيها ولا يخافون وسأل في الثاني ان يخرج
هذا البلد من صفة كان عليها من الخوف الى ضدها من الامن كأنه قال هو بلد مخوف فاجعله
امنا **واجنبني وبني ان نعبد الاصنام** يعني ابعدني وبني ان نعبد الاصنام فان قلت قد
توجه على هذه الاية اشكالات وهي من وجوه الاول ان ابراهيم دعا ربه ان يجعل مكة
امنة ثم ان جماعة من الجبابرة وغيرهم قد اغاروا عليها واخافوا اهلها الوجه الثاني
ان الانبياء عليهم السلام معصومون من عبادة الاصنام واذا كان كذلك فما الفائدة
في قوله اجنبني عن عبادتها الوجه الثالث ان ابراهيم سأل ربه ايضا ان يجنب بنيه
عن عبادة الاصنام وقد وجد كثير من بنيه عبد الاصنام مثل كفار قريش وغيرهم ممن

ينسب

ينسب الى ابراهيم عليه السلام قلت الجواب عن الوجوه المذكورة من وجوه فالجواب عن
الوجه الاول من وجهين احدهما ان ابراهيم عليه السلام لما فرغ من بناء الكعبة دعا بهذا
الدعاء والمراد منه جعل مكة امنة من الخراب وهذا موجود بحمد الله فلم يقدر احد على خراب
مكة وارد على هذا ما ورد في الصحيح عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يخرب
الكعبة ذو السويقتين من الحبشة اخرجاه في الصحيحين واجيب عنه بان قوله اجعل هذا
البلد امنا يعني الى قرب القيامة وخراب الدنيا وقيل هو عام مخصوص بقصة ذي السويقتين
ولا تعارض بين النصين الوجه الثاني ان يكون المراد اجعل اهل هذا البلد امنين وهذا
الوجه عليه اكثر العلماء من المفسرين وغيرهم وعلى هذا فقد اختص اهل مكة بزيادة الامن
في بلدهم كما اخبر الله تعالى بقوله ويتخطف الناس من حولهم واهل مكة امنين من ذلك حتى ان
من التجأ الى مكة امن على نفسه وماله وحتى ان الوحوش اذا كانت خارجة من الحرم استوحشت
فاذا دخلت الحرم استأنست لعلمها انه لا يهيجها احد في الحرم وهذا القدر من الامن حاصل
بحمد الله بمكة وحرمها واما الجواب عن الوجه الثاني فمن وجوه ايضا الوجه الاول ان دعاء ابراهيم
لنفسه لزيادة العصمة والتثبيت فهو كقوله واجعلنا مسلمين لك الوجه الثاني ان ابراهيم
عليه السلام وان كان يعلم ان الله تعالى يعصمه من عبادة الاصنام الا انه دعا بهذا الدعاء هضما
للنفس واظهارا للعجز والحاجة والفاقة الى فضل الله ورحمته وان احدا لا يقدر على نفع نفسه
بشيء لم ينفعه الله به فلهذا السبب دعا لنفسه بهذا الدعاء واما دعاؤه لبنيه وهو الوجه الثالث
من الاشكالات فالجواب عنه من وجوه الوجه الاول ان ابراهيم دعا لبنيه من صلبه ولم يعبد
احد منهم صنما قط الوجه الثاني انه اراد اولاده واولاد اولاده الموجودين حالة الدعاء ولا
شك ان ابراهيم عليه السلام قد اجيب فيهم الوجه الثالث قال الواحدي دعا لمن اذن الله
في ان يدعو له فكأنه قال وبني الذين اذنت لي في الدعاء لهم لان دعاء الانبياء مستجاب وقد كان من
نسله من عبد الصنم فعلى هذا الوجه يكون هذا الدعاء من العام المخصوص الوجه الرابع
ان هذا مختص بالمؤمنين من اولاده والدليل عليه انه قال في اخر الاية فمن تبعني فانه مني وذلك
يفيد ان من لم يتبعه على دينه فليس منه والله اعلم بمراده واسرار كتابه وقوله تعالى **رب انهن**
يعني الاصنام **اضللن كثيرا من الناس** وهذا مجاز لان الاصنام جمادات وحجارة لا تعقل شيئا حتى
تضل من عبدها الا انه لما حصل الاضلال بعبادتها اضيف اليها كما تقول فتنتهم الدنيا
وغرتهم وانما افتتنوا بها واغتروا بها **فمن تبعني فانه مني** يعني فمن تبعني على ديني واعتقادي
فانه مني يعني المتدينين بديني المتمسكين بحبلي كما قال الشاعر * اذا حاولت في اسد فجورا * فاني لست
منك ولست مني * اراد ولست من المتمسكين بحبلي وقيل معناه فانه مني حكمه كحكمي جار مجراي
في القرب والاختصاص **ومن عصاني** يعني في غير الدين **فانك غفور رحيم** قال السدي ومن عصاني ثم

تاب فانك غفور رحيم وقال مقاتل ومن عصاني فيما دون الشرك فانك غفور رحيم وشرح
ابو بكر ابن الانباري هذا فقال ومن عصاني فخالفني في بعض الشرايع وعقد التوحيد فانك غفور
ان شيت ان تغفر له غفرت اذا كان مسلما وذكر وجهين اخرين احدهما ان هذا كان قبل ان يعلمه الله
انه لا يغفر الشرك كما استغفر لابويه وهذا يقرر ان ذلك غير محظور فلما عرف انها غير مغفور لهما
تبرا منهما والوجه الاخر قوله ومن عصاني باقامته على الكفر فانك غفور رحيم يعني انك قادر على ان
تغفر له وترحمه بان تنقله من الكفر الى الاسلام وتهديه الى الصواب قوله عز وجل اخبارا عن ابراهيم
ربنا اني اسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم خ عن ابن عباس قال اول ما اتخذ النسا المنطق
من قبل ام اسماعيل اتخذت منطقا لتعفي اثرها على سارة ثم جا بها ابراهيم وبابنها اسماعيل
وهي ترضعه حتى وضعهما عند البيت عند دوحة فوق زمزم في اعلا المسجد وليس بمكة يوميذ
احد وليس بها ما فوضعهما هناك ووضع عندهما جرابا فيه تمر وسقا فيه ما ثم قفى ابراهيم
منطلقا فتبعته ام اسماعيل فقالت يا ابراهيم اين تذهب وتتركنا بهذا الوادي الذي ليس
فيه انيس ولا شي فقالت ذلك مرارا وجعل لا يلتفت اليها فقالت الله امرك بهذا قال نعم قالت
اذا لا يضيعنا ثم رجعت فانطلق ابراهيم ثم دعا بهولا الدعوات فرفع يديه فقال رب اني
اسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع حتى بلغ يشكرون وجعلت ام اسماعيل ترضع اسماعيل
وتشرب من ذلك الما حتى اذا نفد ما في السقا عطشت وعطش ابنها وجعلت تنظر اليه يتلوى
او قال يتلبط فانطلقت كراهية ان تنظر اليه فوجدت الصفا اقرب جبل في الارض يليها فقامت
عليه ثم استقبلت الوادي تنظر هل ترى احدا فلم تر احدا فهبطت منه حتى اذا بلغت الوادي
رفعت طرف درعها ثم سعت سعي الانسان المجهود حتى جاوزت الوادي ثم اتت المروة فقامت
عليها فنظرت هل ترى احدا فلم تر احدا ففعلت ذلك سبع مرات قال ابن عباس قال النبي
صلى الله عليه وسلم فلذلك سعي الناس بينهما فلما اشرفت على المروة سمعت صوتا فقالت صه تريد
نفسها ثم تسمعت فسمعت ايضا فقالت قد اسمعت ان كان عندك غواث فاذا بالملك عند
موضع زمزم فبحث بعقبه او قال بجناحه حتى ظهر الما فجعلت تحوضه وتقول بيدها هكذا
وجعلت تغرف من الما في سقايها وهو يفور بعد ما تغرف وفي رواية قدر ما تغرف قال ابن عباس
قال النبي صلى الله عليه وسلم يرحم الله ام اسماعيل لو تركت زمزم او قال لو لم تغرف من الما لكانت
زمزم عينا معينا قال فشربت وارضعت ولدها فقال لها الملك لا تخافوا الضيعة فان ها هنا
بيت الله يبنيه هذا الغلام وابوه وان الله لا يضيع اهله وكان البيت مرتفعا من الارض
كالرابية تاتيه السيول فتاخذ عن يمينه وعن شماله فكانت كذلك حتى مرت بهم رفقة من
جرهم او اهل بيت من جرهم مقبلين من طريق كدى فنزلوا في اسفل مكة فراوا طايرا عايفا فقالوا
ان هذا الطاير ليدور على ما لعهدنا بهذا الوادي وما فيه ما فارسلوا جريا او جريين فاذا هم

بالما فرجعوا فاخبروهم فاقبلوا وام اسماعيل عند الما فقالوا اتاذنين لنا ان ننزل عندك
قالت نعم ولكن لا حق لكم في الما قالوا نعم قال ابن عباس قال النبي صلى الله عليه وسلم فالفى ذلك
ام اسماعيل وهي تحب الانس فنزلوا وارسلوا الى اهليهم فنزلوا معهم حتى اذا كانوا اهل ابيات منهم وشب الغلام وتعلم
العربية منهم وانفسهم واعجبهم حين شب فلما ادرك زوجوه امراة منهم وماتت ام اسماعيل
فجا ابراهيم بعدما تزوج اسماعيل يطالع تركته اخرجه البخاري باطول من هذا وقد
تقدم الحديث بطوله في تفسير سورة البقرة واما تفسير الاية فقوله ربنا اني اسكنت من
ذريتي من للتبعيض اي بعض ذريتي وهو اسماعيل عليه السلام بواد غير ذي زرع يعني
ليس فيه زرع ومكة واد بين جبلين جبل ابي قبيس وجبل اجياد ومكة في واد بينهما عند
بيتك المحرم سماه محرما لانه يحرم عنده ما لا يحرم عند غيره وقيل لان الله حرمه على الجبابرة
فلم ينالوه بسوء وحرم التعرض له والتهاون به وبحرمته وجعل ما حوله محرما لمكانه وشرفه
وقيل لانه حرم على الطوفان بمعنى امتنع منه وقيل سمي محرما لان الزايرين له يحرمون على انفسهم
اشيا كانت مباحة لهم من قبل وسمي عتيقا ايضا لانه اعتق من الجبابرة او من الطوفان فان قلت
كيف قال عند بيتك المحرم ولم يكن هنالك بيت حينيذ وانما بناه ابراهيم بعد ذلك قلت
يحتمل ان الله عز وجل اوحى اليه واعلمه ان له هناك بيتا قد كان في سالف الزمان وانه سيعمره
فلذلك قال عند بيتك المحرم وقيل يحتمل ان يكون المعنى عند بيتك الذي جرى في سابق علمك
انه سيحدث في هذا المكان **ربنا ليقيموا الصلاة** اللام في ليقيموا متعلقة باسكنت يعني
اسكنت قوما من ذريتي وهم اسماعيل واولاده بهذا الوادي الذي لا زرع فيه ليقيموا اي
لاجل ان يقيموا ولكي يقيموا الصلاة **فاجعل افيدة من الناس** قال البغوي جمع لوفد **تهوي اليهم**
اي تحن وتشتاق اليهم قال السدي امل قلوبهم الى هذا الموضع وقال ابن الجوزي افيدة من الناس
اي قلوب جماعة من الناس فجعله جمع فواد وقال ابن الانباري وانما عبر عن القلوب بالافيدة لقرب
القلب من الفواد فجعل القلب والفواد جارحتين وقال الجوهري الفواد القلب والجمع افيدة
فجعلهما جارحة واحدة ولفظة من في قوله من الناس للتبعيض قال مجاهد لو قال افيدة الناس
لزاحمتكم فارس والروم والترك والهند وقال سعيد بن جبير لحجت اليهود والنصارى والمجوس
ولكنه قال افيدة من الناس فهم المسلمون تهوي اليهم قال الاصمعي يقال هوى يهوي هويا اذا
سقط من علو الى اسفل وقال الفرا تهوي اليهم تريدهم كما تقول رايت فلانا يهوي نحوك معناه
يريدك وقال ايضا تهوي تسرع اليهم وقال ابن الانباري معناه تنحط اليهم وتنحدر وتنزل
هذا قول اهل اللغة في هذا الحرف واما قول المفسرين فقال ابن عباس يريد تحن اليهم لزيارة
بيتك وقال قتادة تنزع اليهم وفي هذا بيان ان حنين الناس اليهم انما هو لطلب حج البيت
لا لاعيانهم وفيه دعا للمومنين بان يرزقهم حج البيت ودعا لسكان مكة من ذريته لانهم

يرتفقون بمن ياتي اليهم من الناس لزيارة البيت فقد جمع ابراهيم عليه السلام في هذا الدعا
من امر الدين والدنيا ما ظهر بيانه وعمت بركته وارزقهم من الثمرات يعني كما رزقت سكان القرى
ذوات الما والزروع فيكون المراد عمارة قرى بقرب مكة لتحصل تلك الثمار وقيل يحتمل ان يكون
المراد جلب الثمرات الى مكة بطريق النقل والتجارة فهو كقوله يجبى اليه ثمرات كل شي وقوله لعلهم يشكرون
يعني لعلهم يشكرون هذه النعم التي انعمت بها عليهم وقيل معناه لعلهم يوحدونك ويعظمونك
وفيه دليل على ان تحصيل منافع الدنيا انما هي ليستعين بها على ادا العبادات واقامة الطاعات
ربنا انك تعلم ما نخفي وما نعلن يعني انك تعلم السر كما تعلم العلن علما لا تفاوت فيه والمعنى
انك تعلم احوالنا وما يصلحنا وما يفسدنا وانت ارحم بنا منا فلا حاجة بنا الى الدعا والطلب
انما ندعوك اظهارا للعبودية لك وتخشعا لعظمتك وتذللا لعزتك وافتقارا الى ما عندك وقيل
معناه تعلم ما نخفي من الوجد بفرقة اسماعيل وامه حيث سكنتهما بواد غير ذي زرع وما نعلن
يعني من البكا وقيل ما نخفي يعني من الحزن المتمكن في القلب وما نعلن يعني ما جرى بينه وبين
هاجر عند الوداع حيث قالت لابراهيم الى من تكلنا قال الى الله قالت اذا لا يضيعنا وما
يخفى على الله من شي في الارض ولا في السما قيل هذا من تتمة قول ابراهيم يعني وما يخفى على الله الذي
هو عالم الغيب من شي في كل مكان وقال الاكثرون انه من قول الله تصديقا لابراهيم فيما قال فهو
كقوله وكذلك يفعلون الحمد لله الذي وهب لي على الكبر اسماعيل واسحاق قال ابن عباس ولد
اسماعيل لابراهيم وهو ابن تسع وتسعين سنة وولد له اسحاق وهو ابن ماية واثنتي عشرة سنة
وقال سعيد بن جبير بشر ابراهيم باسحاق وهو ابن ماية واثنتي عشرة سنة وسبع عشرة سنة
ومعنى قوله على الكبر مع الكبر لان هبة الولد في هذا السن من اعظم المنن لانه سن الياس من
الولد فلهذا شكر الله على هذه المنة فقال الحمد لله الذي وهب لي على الكبر اسماعيل واسحاق
فان قلت كيف جمع بين اسحاق واسماعيل في الدعا في وقت واحد وانما بشر باسحق بعد اسماعيل
بزمان طويل قلت يحتمل ان ابراهيم عليه السلام انما اتى بهذا الدعا عند ما بشر باسحاق وذلك
انه لما عظمت المنة عليه بهبة ولدين عظيمين عند كبره قال عند ذلك الحمد لله الذي وهب لي
على الكبر اسماعيل واسحاق ولا يرد على هذا ما ورد في الحديث انه دعا بقوله ربنا اني اسكنت من
ذريتي الى قوله لعلهم يشكرون اذ اثبت هذا فيكون قوله الحمد لله الذي وهب لي على الكبر اسماعيل
واسحاق في وقت اخر والله اعلم بحقيقة الحال ان ربي لسميع الدعا كان ابراهيم عليه السلام دعا
ربه وساله الولد بقوله رب هب لي من الصالحين فلما استجاب الله دعاه ووهبه ما سال شكر الله
على ما اكرمه به من اجابة دعايه فعند ذلك قال الحمد لله الذي وهب لي على الكبر اسماعيل واسحاق
ان ربي لسميع الدعا وهو من قولك سمع الملك كلام فلان اذا اعتد به وقبله رب اجعلني مقيم
الصلاة يعني ممن يقيم الصلاة باركانها ويحافظ عليها في اوقاتها ومن ذريتي اي واجعل من

ذريتي من يقيم الصلاة وانما ادخل لفظة من التي هي للتبعيض في قوله ومن ذريتي لانه
علم باعلام الله اياه انه قد يوجد في ذريته جمع من الكفار لا يقيمون الصلاة فلهذا قال
ومن ذريتي واراد بهم المومنين من ذريته ربنا وتقبل دعاي سال ابراهيم عليه السلام ربه
ان يتقبل دعاه فاستجاب الله لابراهيم وقبل دعاه بفضله ومنه وكرمه ربنا اغفر لي فان قلت
طلب المغفرة من الله انما يكون لسابق ذنب قد سلف حتى يطلب المغفرة له قلت المقصود منه الالتجا
الى الله سبحانه وتعالى وقطع الطمع من كل شي الا من فضله وكرمه والاعتراف بالعبودية لله تعالى
والاتكال على رحمته ولوالدي فان قلت كيف استغفر ابراهيم لابويه وكانا كافرين قلت
اراد بهما ان اسلما وتابا وقيل انما قال ذلك قبل ان يتبين له انهما من اصحاب الجحيم وقيل ان امه
اسلمت فدعا لها وقيل اراد بوالديه ادم وحوا وللمومنين اي واغفر للمومنين كلهم يوم يقوم الحساب
يعني يوم يبدو ويظهر فيه الحساب وقيل اراد يوم يقوم الناس فيه للحساب فاكتفى بذكر الحساب
لكونه مفهوما عند السامع وهذا دعا للمومنين بالمغفرة والله تعالى لا يرد دعا خليله ابراهيم
ففيه بشارة عظيمة لجميع المومنين بالمغفرة قوله تعالى ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون
الغفلة معنى يمنع الانسان من الوقوف على حقايق الامور وقيل حقيقة الغفلة سهو يعتري
من قلة التحفظ والتيقظ وهذا في حق الله محال فلا بد من تاويل الاية فالمقصود منه انه تعالى
ينتقم من الظالم للمظلوم ففيه وعيد وتهديد للظالم واعلام له بان لا يعامله معاملة
الغافل عنه بل ينتقم ولا يتركه مغفلا قال سفيان بن عيينة فيه تسلية للمظلوم وتهديد
للظالم فان قلت تعالى الله عن السهو والغفلة فكيف يحسبه رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو
اعلم الناس به انه لم يكن غافلا حتى قيل له ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون قلت ان كان
المخاطب به رسول الله صلى الله عليه وسلم ففيه وجهان احدهما التثبيت على ما كان عليه
من انه لا يحسب الله غافلا فهو كقوله ولا تكونن من المشركين ولا تدع مع الله الها اخر وكقوله
يا ايها الذين امنوا امنوا اي اثبتوا على ما انتم عليه من الايمان الوجه الثاني ان المراد بالنهي
عن حسبانه غافلا الاعلام بانه تعالى عالم بما يفعل الظالمون لا يخفى عليه شي وانه ينتقم منهم
فهو على سبيل الوعيد والتهديد لهم والمعنى ولا تحسبنه معاملهم معاملة الغافل عنهم ولكن
يعاملهم معاملة الرقيب الحفيظ عليهم المحاسب لهم على الصغير والكبير وان كان المخاطب غير
النبي صلى الله عليه وسلم فلا اشكال فيه ولا سوال لان اكثر الناس غير عارفين بصفات الله فمن
جوز ان يحسبه غافلا فلجهله بصفاته انما يوخرهم ليوم تشخص فيه الابصار يقال شخص بصر
الرجل اذا بقيت عيناه مفتوحتان لا يطرفهما وشخوص البصر يدل على الحيرة والدهشة من
هول ما يرى في ذلك اليوم مهطعين قال قتادة مسرعين وهذا قول ابي عبيدة فعلى هذا المعنى
ان الغالب من حال من بقي بصره شاخصا من شدة الخوف فانه يبقى واقفا باهتا فبين الله تعالى

في هذه الاية ان احوال اهل الموقف يوم القيمة بخلاف الحال المعتاد فاخبر انهم مع شخوص
الابصار يكونون مهطعين يعني مسرعين نحو الداعي وقيل المهطع الخاضع الذليل الساكت
مقنعي رؤسهم الاقناع رفع الراس الى فوق فاهل الموقف من صفتهم انهم رافعوا رؤسهم الى السما
وهذا بخلاف المعتاد لان من يتوقع البلا فانه يطرق ببصره الى الارض قال الحسن وجوه الناس
يوم القيامة الى السما لا ينظر احد الى احد وهو قوله لا يرتد اليهم طرفهم اي لا ترجع اليهم
ابصارهم من شدة الخوف فهي شاخصة لا ترتد اليهم قد شغلهم ما بين ايديهم وافئدتهم
هوا اي خالية قال قتادة خرجت قلوبهم عن صدورهم فصارت في حناجرهم فلا تخرج من
افواههم ولا تعود الى اماكنها ومعنى الاية ان افئدتهم خالية فارغة لا تعي شيا ولا تعقل من
شدة الخوف وقال سعيد بن جبير وافئدتهم هوا اي مترددة تهوي في اجوافهم ليس
لها مكان تستقر فيه ومعنى الاية ان القلوب يومئذ زائلة عن اماكنها والابصار خاشعة والرؤس
مرفوعة الى السما من هول ذلك اليوم وشدته وانذر الناس يعني وخوف الناس يا محمد يوم القيمة
وهو قوله يوم ياتيهم العذاب فيقول الذين ظلموا يعني ظلموا انفسهم بالشرك والمعاصي ربنا
اخرنا الى اجل قريب يعني امهلنا مدة يسيرة قال بعضهم طلبوا الرجوع الى الدنيا حتى يؤمنوا
به فينفعهم ذلك وهو قوله نجب دعوتك ونتبع الرسل فاجيبوا بقوله اولم تكونوا اقسمتم من قبل
يعني في دار الدنيا ما لكم من زوال يعني ما لكم عنها انتقال ولا بعث ولا نشور وسكنتم في مساكن
الذين ظلموا انفسهم يعني بالكفر والمعاصي ممن كان قبلكم من كفار الامم الخالية كقوم نوح وعاد
وثمود وغيرهم وتبين لكم كيف فعلنا بهم يعني وقد عرفتم كيف كان عقوبتنا اياهم وضربنا
لكم الامثال يعني الامثال التي ضربها الله عز وجل في القران ليتدبروها ويعتبروا بها فيجب
على كل من شاهد احوال الماضين من الامم الخالية والقرون الماضية وعلم ما جرى لهم وكيف
اهلكوا ان يعتبر بهم ويعمل في خلاص نفسه من العقاب والهلاك قوله عز وجل وقد مكروا مكرهم
اختلفوا في الضمير الى من يعود في قوله وقد مكروا فقيل يعود الى الذين سكنوا في مساكن الذين
ظلموا انفسهم وهذا القول صحيح لان الضمير يجب عوده الى اقرب مذكور وقيل ان المراد بقوله
وقد مكروا كفار قريش الذين مكروا برسول الله صلى الله عليه وسلم ومكرهم ما ذكره الله تعالى بقوله
واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك الاية والمعنى وانذر الناس يا محمد يوم ياتيهم العذاب يعني
بسبب مكرهم بك وقوله وعند الله مكرهم يعني جزا مكرهم وقيل ان مكرهم مثبت عند الله ليجازيهم
به يوم القيمة وان كان مكرهم لتزول منه الجبال وقيل معناه ان مكرهم لا يزيل امر محمد صلى الله
عليه وسلم الذي هو ثابت كثبوت الجبال وقد حكي عن علي بن ابي طالب في الاية قولا اخر وهو انها
نزلت في نمروذ الجبار الذي حاج ابراهيم في ربه فقال نمروذ ان كان ما يقول ابراهيم حقا فلا انتهي
حتى اصعد الى السما فاعلم ما فيها فعمد الى اربعة افرخ من النسور فرباهن حتى شبت وكبرت

واتخذ تابوتا من خشب وجعل له بابا من اعلا وبابا من اسفل ثم جوع النسور ونصب خشبات
اربع في اطراف التابوت وجعل على رؤس تلك الخشبات لحما احمر وقعد هو في التابوت واقعد
معه رجلا اخر وامر بالنسور فربطت في اطراف التابوت من اسفل فجعلت النسور كلما
رات اللحم طرن اليه فطارت النسور يوما اجمع حتى بعدت في الهوى فقال نمروذ لصاحبه
افتح الباب الاعلى وانظر الى السما هل قربنا منها ففتح ونظر فقال له ان السما كهيئتها فقال
له افتح الباب الاسفل فانظر الى الارض كيف تراها ففعل فقال ارى الارض مثل اللجة والجبال
مثل الدخان قال فطارت النسور يوما اخر وارتفعت حتى حالت الريح بينها وبين الطيران
فقال نمروذ لصاحبه افتح الباب الاعلى ففعل فاذا السما كهيئتها وفتح الباب الاسفل فاذا
الارض سودا مظلمة فنودي ايها الطاغية اين تريد قال عكرمة وكان معه في التابوت غلام قد
حمل القوس والنشاب فاخذ منه القوس ورمى بسهم فعاد اليه السهم ملطخا بدم سمكة قذفت
بنفسها في بحر في الهوى وقيل طاير اصابه السهم فلما رجع اليه السهم ملطخا قال كفيت اله
السما ثم امر نمروذ صاحبه ان يصوب الخشبات الى اسفل وينكس اللحم ففعل فهبطت النسور
بالتابوت فسمعت الجبال خفيق التابوت والنسور ففزعت وظنت انه قد حدث حدث من
السما وان الساعة قد قامت فكادت تزول عن اماكنها فذلك قوله وان كان مكرهم لتزول منه
الجبال استبعد بعض العلما هذه الحكاية وقال لان الخطر فيه عظيم وما يكاد عاقل ان
يقدم على مثل هذا الامر العظيم وليس فيه خبر صحيح يعتمد عليه ولا مناسبة لهذه الحكاية
بتاويل الاية البته فلا تحسبن الله مخلف وعده رسله يعني فلا تحسبن الله يا محمد مخلف ما وعد به
رسله من النصر واعلا الكلمة واظهار الدين فانه ناصر رسله واولياه ومهلك اعدايه وفيه تقديم
وتاخير تقديره ولا تحسبن الله مخلف رسله وعده ان الله عزيز اي غالب ذو انتقام يعني من
اعدايه قوله عز وجل يوم تبدل الارض غير الارض والسموات ذكر المفسرون في معنى هذا التبديل
قولين احدهما انه تبدل صفة الارض والسما لا ذاتهما فاما تبديل الارض فبتغيير صفتها وهيئتها
مع بقا ذاتها وهو ان تدك جبالها وتستوي وهادها واوديتها وتذهب اشجارها وجميع
ما عليها من عمارة وغيرها لا يبقى على وجهها شي الا ذهب وتمد مد الاديم واما تبديل السما
فهو ان تنتثر كواكبها ويطمس شمسها وقمرها ويكوران وكونها تارة كالدهان وتارة كالمهل
وبهذا القول قال جماعة من العلما ويدل على صحة هذا القول ما روي عن سهل بن سعد قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم يحشر الناس يوم القيامة على ارض بيضا عفرا كقرصة النقي ليس
فيها علم لاحد اخرجاه في الصحيحين العفرا بالعين المهملة وهي البيضا الى الحمرة ولهذا شبهها
بقرصة النقي وهو الخبز البياض الجيد الفايق المايل الى الحمرة كان النار ميلت ببياض وجهه
الى الحمرة وقوله ليس فيها علم لاحد يعني ليس فيها علامة لاحد لتبديل هيئتها وزوال الجبال وجميع

بنا بها فلا يبقى فيها اثر يستدل به والقول الثاني هو تبديل ذوات الارض والسما وهذا قول جماعة
من العلما ثم اختلفوا في معنى هذا التبديل فقال ابن مسعود في معنى هذه الاية قال تبدل
الارض بارض كالفضة بيضا نقية لم يسفك بها دم ولم يعمل عليها خطية وقال علي بن ابي طالب رضه
الارض من فضة والسما من ذهب وقال ابي بن كعب في معنى التبديل بان تصير الارض نيرانا والسما
جنانا وقال ابو هريرة وسعيد بن جبير ومحمد بن كعب القرظي تبدل الارض خبزة بيضا ياكل المومن
من تحت قدميه عن ابي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تكون الارض يوم
القيمة خبزة واحدة يتكفاها الجبار بيده كما يتكفا احدكم خبزته في السفر نزلا لاهل الجنة
اخرجاه في الصحيحين بزيادة فيه قال الشيخ محيي الدين النواوي في شرح هذا الحديث اما النزل
بضم النون والزاي ويجوز اسكان الزاي وهو ما يعد للضيف عند نزوله واما الخبزة فبضم الخا
قال اهل اللغة هي الطلة التي توضع في الملة ويتكفاها بالمهملة بيده اي يميلها من يد الى يد حتى
تجتمع وتستوي لانها ليست منبسطة كالرقاقة وقد حققنا الكلام في اليد في حق الله تعالى
وتاويلها مع القطع باستحالة الجارحة ليس كمثله شي ومعنى الحديث ان الله تعالى يجعل الارض
كالطلة والرغيف العظيم ويكون طعاما نزلا لاهل الجنة والله على كل شي قدير فان قلت اذا
فسرت التبديل بما ذكرت فكيف يمكن الجمع بينه وبين قوله تعالى يومئذ تحدث اخبارها وهو
ان تحدث بكل ما عمل عليها قلت وجه الجمع بين الايتين ان الارض تبدل اولا صفتها مع بقا
ذاتها كما تقدم فيومئذ تحدث اخبارها ثم بعد ذلك تبدل تبديلا ثانيا وهو ان تبدل ذاتها
بغيرها كما تقدم ايضا ويدل على صحة هذا التاويل ما روي عن عايشة قالت سالت رسول الله
صلى الله عليه وسلم عن قوله يوم تبدل الارض غير الارض والسموات فاين يكون الناس يومئذ يا رسول
الله فقال على الصراط اخرجه مسلم وروى ثوبان ان حبرا من اليهود سال رسول الله صلى الله
عليه وسلم اين يكون الناس يوم تبدل الارض غير الارض قال هم في الظلمة دون الجسر ذكره البغوي
بغير سند ففي هذين الحديثين دليل على ان تبديل الارض ثانيا مرة يكون بعد الحساب والله اعلم
بمراده وقوله تعالى وبرزوا يعني وخرجوا من قبورهم لله يعني لحكم الله والوقوف بين يديه للحساب
الواحد القهار صفتان لله تعالى فالواحد الذي لا ثاني له ولا شريك معه المنزه عن الشبه والضد
والند والقهار الغالب الذي يقهر عباده على ما يريد ويفعل ما يشا ويحكم ما يريد قوله تعالى
وترى المجرمين يومئذ مقرنين يعني مشدودين بعضهم الى بعض يقال قرنت الشي بالشي اذا
شددته معه في رباط واحد في الاصفاد يعني في القيود والاغلال قال ابن عباس يقرن كل كافر
مع شيطان في سلسلة وقال ابن زيد تقرن ايديهم وارجلهم الى رقابهم بالاصفاد وهي القيود
وقال ابن قتيبة يقرن بعضهم الى بعض سرابيلهم يعني قمصهم واحدها سربال وقيل السربال كلما
لبس من قطران القطران دهن يتحلب من شجر الابهل والعرعر والتوت كالزفت يدهن به الابل

اذا جربت وهو الهنا يقال هنات البعير اهنوه بالهنا وهو القطران قال الزجاج
وانما جعل لهم القطران سرابيل لانه يبالغ في اشتعال النار في الجلود ولو اراد الله المبالغة
في احراقهم بغير ذلك لقدر ولكن حذرهم بما يعرفون وقرا عكرمة ويعقوب من قطر آن
على كلمتين منونتين فالقطر النحاس المذاب والان الذي انتهى حره وتغشى وجوههم النار
يعني تعلوها وتجللها ليجزي الله كل نفس ما كسبت يعني من خير او شر ان الله سريع الحساب يعني
اذا حاسب عباده يوم القيامة هذا بلاغ للناس يعني هذا القران فيه تبليغ وموعظة
للناس ولينذروا به يعني وليخوفوا بالقران ومواعظه وزواجره وليعلموا انما هو اله
واحد يعني وليستدلوا بهذه الايات على وحدانية الله تعالى وليذكر اولوا الالباب
يعني وليتعظ بهذا القران وما فيه من المواعظ اولوا العقول والافهام الصحيحة فانه
موعظة لمن اتعظ والله اعلم بمراده واسرار كتابه تفسير سورة الحجر مكية باجماعهم وهي
تسع وتسعون اية وستماية واربع وخمسون كلمة والفان وسبعماية وستون حرفا
بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى الر تلك ايات الكتاب وقران مبين تلك اشارة الى ما تضمنته
السورة من الايات والمراد بالكتاب وبالقران المبين الكتاب الذي وعد الله به محمدا صلى الله عليه
وسلم وتنكير القران للتفخيم والتعظيم والمعنى تلك ايات ذلك الكتاب الكامل في كونه كتابا
وفي كونه قرانا واي قران كانه قيل الكتاب الجامع للكمال والغرابة في البيان وقيل اراد بالكتاب
التوراة والانجيل لانه عطف القران على الكتاب والمعطوف غير المعطوف عليه وهذا القول
ليس بالقوي لانه لم يجر للتوراة والانجيل ذكر حتى يشار اليهما وقيل المراد بالكتاب القران
وانما جمعهما بوصفين وان كان الموصوف واحدا لما في ذلك من الفايدة وهي التفخيم والتعظيم
والمبين الذي يبين الحلال من الحرام والحق من الباطل ربما قرئ بالتخفيف والتشديد وهما لغتان
ورب للتقليل وكم للتكثير وانما زيدت ما مع رب ليليها الفعل تقول رب رجل جاني وربما جاني
زيد وان شيت جعلت ما بمنزلة شي كانك قلت رب شي فيكون المعنى رب ود يود الذين كفروا
وقيل ما في ربما بمعنى حين اي رب حين يود يعني يتمنى الذين كفروا والتمني هو تشهي
حصول ما توده واختلف المفسرون في الوقت الذي يتمنى الذين كفروا لو كانوا مسلمين على
قولين احدهما ان ذلك يكون عند معاينة العذاب وقت الموت فحينئذ يعلم الكافر انه كان
على الضلال فيتمنى لو كان مسلما وذلك حين لا ينفعه ذلك التمني قال الضحاك هو عند حالة
المعاينة والقول الثاني ان هذا التمني يكون في الاخرة وذلك حين يعاينون اهوال يوم القيمة
وشدايده وما يصيرون اليه من العذاب فحينئذ يتمنى الذين كفروا لو كانوا مسلمين وقال
الزجاج ان الكافر كلما راى حالا من احوال العذاب وراى حالا من احوال المسلم ود لو كان مسلما
وقيل اذا راى الكافر ان الله تعالى يرحم المسلمين ويشفع بعضهم في بعض حتى يقول من كان من

المسلمين فليدخل الجنة فحينئذ يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين والقول المشهور ان ذلك
التمني حين يخرج الله المومنين من النار عن ابي موسى الاشعري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال
اذا اجتمع اهل النار في النار ومعهم من شا الله من اهل القبلة قال الكفار لمن في النار من اهل
القبلة الستم مسلمين قالوا بلى قالوا فما اغنى عنكم اسلامكم وانتم معنا في النار قالوا كانت لنا
ذنوب فاخذنا بها فيغضب الله لهم بفضل رحمته فيامر بكل من كان من اهل القبلة في النار
فيخرجون منها فحينئذ يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين ذكره البغوي بغير سند وكذا ذكره ابن
الجوزي وقال واليه ذهب ابن عباس في رواية عنه وانس بن مالك ومجاهد وعطا وابو العالية
وابراهيم يعني النخعي فان قلت رب انما وضعت للتقليل وتمني الذين كفروا لو كانوا مسلمين يكثر يوم
القيامة فكيف قال ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين قلت قال صاحب الكشاف هو وارد
على مذهب العرب في قولهم لعلك ستندم على فعلك وربما ندم الانسان على فعله ولا يشكون في
تندمه ولا يقصدون تقليله ولكنهم ارادوا لو كان الندم مشكوكا فيه وكان قليلا لحق عليك
ان لا تفعل هذا الفعل لان العقلا يتحرزون من التعرض للغم المظنون كما يتحرزون من المتيقن ومن
القليل منه كما يتحرزون من الكثير وقال غيره ان هذا التقليل ابلغ في التهديد ومعناه يكفيك
قليل الندم في كونه زاجرا لك عن هذا الفعل فكيف بكثيره وقيل ان شغلهم بالعذاب لا يفرغهم
للندامة انما يخطر ذلك ببالهم فان قلت رب لا تدخل الا على الماضي فكيف قال ربما يود وهو
في المستقبل قلت لان المترقب في اخبار الله تعالى بمنزلة الماضي المقطوع به في تحققه كانه قال
ربما ود وقوله تعالى ذرهم ياكلوا ويتمتعوا يعني دع يا محمد هولا الكفار ياكلوا في دنياهم ويتمتعوا
بلذاتها ويلههم الامل يعني ويشغلهم طول الامل عن الايمان والاخذ بطاعة الله تعالى فسوف
يعلمون يعني اذا وردوا القيامة وذاقوا وبال ما صنعوا وهذا فيه تهديد ووعيد لمن اخذ
بحظه في الدنيا ولذاتها ولم ياخذ بحظه من طاعة الله عز وجل قال بعض اهل العلم ذرهم
تهديد وسوف يعلمون تهديد اخر فمتى يهني العيش بين تهديدين وهذه الاية منسوخة
باية القتال وفي الاية دليل على ان ايثار التلذذ والتنعم في الدنيا يودي الى طول الامل وليس
ذلك من اخلاق المومنين قال علي بن ابي طالب انما اخشى عليكم اثنتين طول الامل واتباع الهوى
فان طول الامل ينسي الاخرة واتباع الهوى يصد عن الحق وما اهلكنا من قرية يعني من اهل قرية
واراد هلاك الاستيصال الا ولها كتاب معلوم اي اجل مضروب ووقت معين لا يتقدم العذاب
عليه ولا يتاخر عنه ولا ياتيهم الا في الوقت الذي حد لهم في اللوح المحفوظ ما تسبق من امة اجلها
من زايدة في قوله من امة كقولك ما جاني من احد يعني احد وقيل هي على اصلها لانها تفيد التبعيض
الى هذا الحكم فيكون ذلك في افادة عموم النفي اكد ومعنى الاية ان الاجل المضروب لهم وهو وقت
الموت ونزول العذاب لا يتقدم ولا يتاخر وهو قوله وما يستاخرون وانما ادخلها في اجلها لارادة

الامة واخرجها من قوله وما يستاخرون لارادة الرجال قوله عز وجل وقالوا يعني مشركي مكة
يا ايها الذي نزل عليه الذكر يعني القران واراد به محمدا صلى الله عليه وسلم انك لمجنون انما نسبوه
الى الجنون لانه صلى الله عليه وسلم كان يظهر عليه عند نزول الوحي عليه ما يشبه الغشي فظنوا
ان ذلك جنونا فلهذا السبب نسبوه الى الجنون وقيل ان الرجل اذا سمع كلاما مستغربا من غيره
فربما نسبه الى الجنون ولما كانوا يستبعدون كونه رسولا من عند الله واتى بهذا القران العظيم
انكروه ونسبوه الى الجنون وانما قالوا يا ايها الذي نزل عليه الذكر على طريق الاستهزا وقيل معناه
يا ايها الذي نزل عليه الذكر في زعمه واعتقاده واعتقاد اصحابه واتباعه انك لمجنون في دعائك
الرسالة لوما قال الزجاج والفرا لوما ولولا لغتان ومعناهما هلا يعني هلا تاتينا بالملائكة
يعني يشهدون لك بانك رسول من الله حقا ان كنت من الصادقين يعني في دعائك الرسالة ما ننزل
الملائكة الا بالحق يعني بالعذاب ووقت الموت وهو قوله وما كانوا اذا منظرين يعني لو نزلت الملائكة
اليهم لم يمهلوا ولم يوخروا ساعة واحدة وذلك ان كفار مكة كانوا يطلبون من رسول الله
صلى الله عليه وسلم انزال الملائكة عيانا فاجابهم الله عز وجل بهذا والمعنى لو نزلوا عيانا لزال
عن الكفار الامهال وعذبوا في الحال ان لم يومنوا ويصدقوا انا نحن نزلنا الذكر يعني القران نزلناه
عليك يا محمد وانما قال تعالى انا نحن نزلنا الذكر جوابا لقولهم يا ايها الذي نزل عليه الذكر فاخبر الله
عز وجل انه هو الذي انزل الذكر على محمد صلى الله عليه وسلم وانا له لحافظون الضمير في له يرجع الى
الذكر يعني وانا للذكر الذي نزلناه على محمد لحافظون يعني من الزيادة فيه والنقص منه والتغيير
والتبديل والتحريف فالقران العظيم محفوظ من هذه الاشيا كلها لا يقدر احد من جميع الخلق من
الجن والانس ان يزيد فيه او ينقص منه حرفا واحدا او كلمة واحدة وهذا مختص بالقران العظيم
بخلاف ساير الكتب المنزلة فانه قد دخل على بعضها التحريف والتبديل والزيادة والنقصان ولما
تولى الله عز وجل حفظ هذا الكتاب بقي مصونا على الابد محروسا من الزيادة والنقصان وقال
ابن السايب ومقاتل الكناية في له راجعة الى محمد صلى الله عليه وسلم يعني وانا لمحمد حافظون
ممن اراده بسو فهو كقوله والله يعصمك من الناس ووجه هذا القول انه تعالى لما ذكر الانزال
والمنزل دل ذلك على المنزل عليه وهو محمد صلى الله عليه وسلم فحسن صرف الكناية اليه لكونه امرا
معلوما الا ان القول الاول اصح واشهر وهو قول الاكثرين لانه اشبه بظاهر التنزيل ورد
الكناية الى اقرب مذكور اولى وهو الذكر واذا قلنا ان الكناية عايدة الى القران وهو الاصح
فاختلفوا في كيفية حفظ الله عز وجل للقران فقال بعضهم حفظه بان جعله معجزا باقيا مباينا
لكلام البشر فعجز الخلق عن الزيادة فيه والنقصان منه لانه لو ارادوا الزيادة فيه او النقصان
منه لتغير نظمه وظهر ذلك لكل عالم عاقل وعلموا ضرورة ان ذلك المزاد ليس بقران وقال اخرون
ان الله حفظه وصانه من المعارضة فلم يقدر احد من الخلق ان يعارضه وقال اخرون بل اعجز الله

الخلق عن ابطاله وافساده بوجه من الوجوه فيقيض له العلماء الراسخين يحفظونه ويذبون عنه
الى آخر الدهر لانه ادعى جماعة من الملاحدة واليهود متوفرة على ابطاله وافساده فلم يقدروا
على ذلك بحمد الله تعالى قوله تعالى ولقد ارسلنا من قبلك في شيع الاولين وما يأتيهم من رسول الا كانوا
به يستهزءون لما تجرى كفار مكة على رسول الله صلى الله عليه وسلم وخاطبوه بالسفاهة وهو قولهم
انك لمجنون واساءوا الادب عليه فاخبر الله تعالى نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم ان عادة الكفار
في قديم الزمان مع انبيائهم كذلك فلك يا محمد اسوة في الصبر على اذى قومك بجميع الانبياء ففيه
تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم وفي الآية محذوف تقديره ولقد ارسلنا رسلا من قبلك يا محمد فحذف
ذكر الرسل لدلالة الارسال عليه وقوله تعالى في شيع الاولين الشيعة هم القوم المجتمعة المتفقة
كلمتهم وقال الفراء الشيعة هم الاتباع وشيعة الرجل اتباعه وقيل الشيعة من يتقوى بهم الانسان
وينتشر عنه فقوله في شيع الاولين من باب اضافة الصفة الى الموصوف كذلك نسلكه في
قلوب المجرمين السلوك النفاذ في الطريق والدخول فيه والسلك ادخال الشيء في الشيء كادخال
الخيط في المخيط ومعنى الآية كما سلكنا الكفر والتكذيب والاستهزاء في قلوب شيع الاولين
كذلك نسلكه اى ندخله في قلوب المجرمين يعني مشركي مكة وفيه رد على القدرية والمعتزلة وهي ابين
آية في ثبوت القدر لمن اذعن للحق ولم يعانده قال الواحدي قال اصحابنا اضاف الله تعالى الى نفسه
ادخال الكفر في قلوب الكفار وحسن ذلك منه فمن آمن بالقرآن فليستحسنه وقال الامام فخر الدين
الرازي احتج اصحابنا بهذه الآية على انه تعالى يخلق الباطل والضلال في قلوب الكفار فقالوا قوله
كذلك نسلكه اى كذلك نسلك الباطل والضلال في قلوب المجرمين قالت المعتزلة لم يجر للضلال
والكفر ذكر فيما قبل هذا اللفظ فلا يمكن ان يكون الضمير عائدا اليه واجيب عنه بانه تعالى قال
وما يأتيهم من رسول الا كانوا به يستهزءون فالضمير في قوله كذلك نسلكه عائد الى الاستهزاء
بالانبياء كفر وضلال فثبت صحة قولنا ان المراد من قوله كذلك نسلكه في قلوب المجرمين انه الكفر
والضلال والله اعلم وقوله تعالى لا يؤمنون به يعني بمحمد صلى الله عليه وسلم وقيل بالقرآن وقد خلت
سنة الاولين فيه وعيد وتهديد لكفار مكة يخوفهم ان ينزل بهم مثل ما نزل بالامم الماضية المكذبة
للرسل والمعنى وقد مضت سنة الله باهلاك من كذب الرسل من الامم الماضية فاحذروا يا اهل
مكة ان يصيبكم مثل ما اصابهم من العذاب ولو فتحنا عليهم بابا من السماء فظلوا فيه يعرجون
يعني ولو فتحنا على هؤلاء الذين قالوا لو ما تأتينا بالملائكة بابا من السماء فظلوا فيه اى ظل فلان
يفعل كذا اذا فعله بالنهار كما يقال بات يفعل كذا اذا فعله بالليل فيه يعني في ذلك الباب
يعرجون يعني يصعدون والمعارج المصاعد وفي المشار اليه بقوله فظلوا فيه يعرجون قولان
احدهما انهم الملائكة وهو قول ابن عباس والضحاك والمعنى لو كشف عن ابصار هؤلاء الكفار
فرأوا بابا في السماء مفتوحا والملائكة تصعد فيه لما آمنوا والقول الثاني انهم المشركون وهو قول

الحسن

الحسن وقتادة والمعنى فظل المشركون يصعدون في ذلك الباب فينظرون في ملكوت السموات وما
فيها من الملائكة لما آمنوا لعنادهم وكفرهم ولقالوا انا سحرنا وهو قوله تعالى لقالوا انما سكرت
ابصارنا قال ابن عباس سدت ابصارنا مأخوذ من سكر النهر اذا حبس ومنع من الجري وقيل هو
من سكر الشراب والمعنى ان ابصارهم حارت ووقع بها من فساد النظر مثل ما يقع للرجل السكران
من تغيير العقل وفساد النظر وقيل سكرت يعني غشيت ابصارنا وسكنت عن النظر واصله من السكور
يقال سكرت عينه اذا تحيرت وسكنت عن النظر بل نحن قوم مسحورون يعني سحرنا محمد وعمل فينا
سحره وحاصل الآية ان الكفار لما طلبوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ينزل عليهم الملائكة
فيروهم عيانا ويشهدوا بصدقه فاخبر الله تعالى انه لو حصل لهم هذا وشاهدوه عيانا لما
آمنوا ولقالوا سحرنا لما سبق لهم في الازل من الشقاء قوله عز وجل ولقد جعلنا في السماء بروجا يعني البروج
التي تنزلها الشمس في مسيرها واحدها برج وهي بروج الفلك الاثني عشر برجا وهي الحمل
والثور والجوزاء والسرطان والاسد والسنبلة والميزان والعقرب والقوس والجدي والدلو والحوت
وهذه البروج مقسومة على ثمانية وعشرين منزلا لكل برج منزلان وثلث منزل وقد تقدم
ذكر منازل القمر في تفسير سورة يونس وهذه البروج مقسومة على ثلاثمائة وستين درجة
لكل برج منها ثلاثون درجة تقطعها الشمس في كل سنة مرة وبها تتم دورة الفلك ويقطعها
القمر في ثمانية وعشرين يوما قال ابن عباس في هذه الآية يريد بروج الشمس والقمر يعني منازلهما
وقال عطية هي قصور في السماء عليها الحرس وقال الحسن ومجاهد وقتادة هي النجوم العظام
قال ابو اسحاق يريد نجوم هذه البروج وهي نجوم على ما صورت به وسميت واصل هذا كله من
الظهور وزيناها يعني السماء بالشمس والقمر والنجوم للناظرين يعني للمعتبرين المستدلين بها
على توحيد خالقها وصانعها وهو الله الذي اوجد كل شيء وخلقه وصوره وحفظناها
يعني السماء من كل شيطان رجيم اى مرجوم فعيل بمعنى مفعول وقيل ملعون مطرود من رحمة الله
قال ابن عباس كانت الشياطين لا يحجبون عن السموات وكانوا يدخلونها ويأتون باخبارها
الى الكهنة فيلقونها اليهم فلما ولد عيسى عليه السلام منعوا من ثلاث سموات فلما ولد محمد
صلى الله عليه وسلم منعوا من السموات اجمع فما منهم من احد يريد ان يسترق السمع الا رمي بشهاب
فلما منعوا من تلك المقاعد ذكروا ذلك لابليس فقال لقد حدث في الارض حدث فبعثهم ينظرون
فوجدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم يتلو القرآن فقالوا هذا والله حدث الا من استرق السمع هذا
استثناء منقطع معناه لكن من استرق السمع فاتبعه اى لحقه شهاب مبين والشهاب شعلة من
نار ساطع ثم سمي الكوكب شهابا لاجل ما فيه من البريق شبه بشهاب النار قال ابن عباس
في قوله الا من استرق السمع يريد الخطفة اليسيرة وذلك ان الشياطين يركب بعضهم
بعضا الى السماء يسترقون السمع من الملائكة فيرمون بالكواكب فلا تخطئ ابدا فمنهم من تقتله ومنهم

من يخرق وجهه او جنبه او يده او حيث يشا الله ومنهم من تخبله فيصير غولا يضل الناس
في البوادي (خ) عن ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا قضى الله الامر في السما ضربت
الملايكة باجنحتها خضعانا لقوله كانه سلسلة على صفوان فاذا فزع عن قلوبهم قالوا
ماذا قال ربكم قالوا الذي قال الحق وهو العلي الكبير فيسمعها مسترقو السمع هكذا بعضهم
فوق بعض ووصف سفيان بكفه فحرفها وبدد بين اصابعه فيسمع الكلمة فيلقيها الى من تحته
ثم يلقيها الاخر الى من تحته حتى يلقيها على لسان الساحر او الكاهن فربما ادركه الشهاب قبل ان يلقيها
وربما القاها قبل ان يدركه فيكذب معها مايه كذبة فيقال اليس قد قال لنا يوم كذا وكذا فيصدق
بتلك الكلمة التي سمعت من السما **فصل** اختلف العلما هل كانت الشياطين ترمى بالنجوم
قبل مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم ام لا على قولين احدهما انه لم تكن ترمى بالنجوم قبل مبعث
رسول الله صلى الله عليه وسلم وانما ظهر ذلك في بدء امره وكان ذلك اساس النبوة ويدل على صحة
هذا القول ما روى عن ابن عباس قال انطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم في طايفة من اصحابه عامدين
الى سوق عكاظ وقد حيل بين الشياطين وبين خبر السما وارسلت عليهم الشهب اخرجاه في
الصحيحين وظاهر هذا الحديث يدل على ان هذا الرمي بالشهب لم يكن قبل مبعثه صلى الله
عليه وسلم فلما بعث حدث هذا الرمي ويعضده ما روي ان يعقوب بن عتبة بن المغيرة بن الاخنس
ابن شريق قال اول من فزع للرمي بالنجوم هذا الحي من ثقيف وانهم جاوا الى رجل منهم يقال له عمرو
ابن امية احد بني علاج وكان ادهى العرب فقالوا له الم تر ما حدث في السما من القذف بالنجوم
فقال بلى ولكن انظروا فان كانت معالم النجوم التي يهتدى بها في البر والبحر ويعرف بها الانوا
من الصيف والشتا لما يصلح الناس في معايشهم هي التي يرمى بها فهو والله طي الدنيا وهلاك
الخلق الذي فيها وان كانت نجوما غيرها وهي ثابتة على حالها فهذا لامر اراده الله بهذا الخلق
قال الزجاج ويدل على انها كانت بعد مولد النبي صلى الله عليه وسلم ان شعرا العرب الذين ذكروا
البرق والاشيا المسرعة لم يوجد في شعرها ذكر الكواكب المنقضة فلما حدث بعد مولده صلى
الله عليه وسلم استعملت الشعرا ذكرها قال ذو الرمة • كانه كوكب في اثر عفرية • مسوم في سواد
الليل منتصب • والقول الثاني ان ذلك كان موجودا قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم ولكن
لما بعث شدد وغلظ عليهم قال معمر قلت للزهري اكان يرمى بالنجوم في الجاهلية قال نعم قلت
افرايت قوله وانا كنا نقعد منها مقاعد للسمع فقال غلظت وشدد امرها حين بعث محمد صلى
الله عليه وسلم ويدل على صحة هذا القول ما روي عن ابن عباس قال اخبرني رجل من اصحاب النبي
صلى الله عليه وسلم من الانصار انهم بينما هم جلوس ليلة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم رمي
بنجم واستنار فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كنتم تقولون في الجاهلية اذا رمي بمثل
هذا قالوا الله ورسوله اعلم كنا نقول ولد الليلة رجل عظيم ومات رجل عظيم فقال رسول الله

صلى الله

صلى الله عليه وسلم فانها لا يرمى بها لموت احد ولا لحياته ولكن ربنا تبارك اسمه اذا قضى
امرا سبح حملة العرش ثم سبح اهل السما الذين يلونهم حتى يبلغ التسبيح الى اهل هذه
السما ثم قال الذين يلون حملة العرش لحملة العرش ماذا قال ربكم فيخبرونهم بما قال فيستخبر
بعض اهل السما بعضا حتى يبلغ الخبر هذه السما الدنيا فيخطف الجن السمع فيقذفون الى
اوليايهم ويرمون فما جاوا به على وجهه فهو حق ولكنهم يقرفون فيه ويزيدون اخرجه
مسلم وقال ابن قتيبة ان الرجم كان قبل مبعثه ولكن لم يكن في شدة الحراسة بعد مبعثه
قال وعلى هذا وجدنا الشعر القديم قال بشر بن ابي خازم وهو جاهلي • والعير يرهقها الغبار
وجحشها • ينقض خلفهما انقضاض الكوكب • وقال اوس بن حجر وهو جاهلي • فانقض كالدري
يتبعه • نقع يثور تخاله طنبا • والجمع بين هذين القولين ان الرمي بالنجوم كان موجودا
قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم فلما بعث شدد ذلك وزاد في حفظ السما وحراستها
صونا لاخبار الغيوب والله اعلم قوله تعالى **والارض مددناها** يعني بسطناها على وجه الما
يقال انها دحيت من تحت الكعبة ثم بسطت هذا قول اهل التفسير وزعم ارباب
الهيئة انها كرة عظيمة بعضها في الما وبعضها خارج عن الما وهو الجزء المعمور منها
واعتذروا عن قوله تعالى والارض مددناها بان الكرة اذا كانت عظيمة كان كل جزء منها
كالسطح العظيم فثبت بهذا ان الارض ممدودة مبسوطة وانها كرة اجاب اصحاب
التفسير بان الله اخبر في كتابه بانها ممدودة وانها مبسوطة ولو كانت كرة لاخبر
بذلك والله اعلم بمراده وكيف هي الارض **والقينا فيها رواسي** يعني جبالا ثوابت وذلك ان
الله تعالى لما خلق الارض على الما مادت ورجفت فاثبتها بالجبال **وانبتنا فيها** اي في الارض
لان انواع النبات المنتفع به يكون في الارض وقيل الضمير يرجع الى الجبال لانها اقرب مذكور
ولقوله **من كل شيء موزون** وانما يوزن ما يتولد في الجبال من المعادن من كل شيء موزون قال ابن عباس
وسعيد بن جبير اي معلوم وقال مجاهد وعكرمة اي مقدور فعلى هذا يكون المعنى معلوم
القدر عند الله تعالى لان الله تعالى يعلم القدر الذي يحتاج اليه الناس في معايشهم وارزاقهم
فيكون اطلاق الوزن عليه مجازا لان الناس لا يعرفون مقادير الاشيا الا بالوزن وقال الحسن
وعكرمة وابن زيد انه عنى به الشيء الموزون كالذهب والفضة والرصاص والحديد والكحل
ونحو ذلك مما يستخرج من المعادن لان هذه الاشيا كلها توزن وقيل معنى موزون متناسب
في الحسن والهيية والشكل تقول العرب فلان موزون الحركات اذا كانت حركاته متناسبة
حسنة وكلام موزون اذا كان متناسبا حسنا بعيدا من الخطا والسخف وقيل ان جميع
ما ينبت في الارض والجبال نوعان احدهما ما يستخرج من المعادن وجميع ذلك موزون والثاني
النبات فبعضه موزون ايضا وبعضه مكيل وهو يرجع الى الوزن لان الصاع والمد مقداران

بالوزن وجعلنا لكم فيها معايش جمع معيشة وهي ما يعيش به الانسان مدة حياته في
الدنيا من المطاعم والمشارب والملابس ونحو ذلك ومن لستم له برازقين يعني الدواب والوحش
والطير انتم منتفعون بها ولستم لها برازقين لان رزق جميع الخلق على الله ومنه قوله وما
من دابة في الارض الا على الله رزقها ويكون من في قوله ومن لستم بمعنى ما لان من لمن يعقل وما
لما لا يعقل وقيل يجوز اطلاق لفظة من على من لا يعقل كقوله فمنهم من يمشي على بطنه وقيل
اراد بهم العبيد والخدم فيكون من على اصلها ويدخل معهم من لا يعقل من الدواب والوحش وان
من شي الا عندنا خزائنه الخزائن جمع الخزانة وهي اسم للمكان الذي يخزن فيه الشي للحفظ يقال
خزن الشي اذا احرزه وقيل اراد مفاتيح الخزائن وقيل اراد بالخزائن المطر لانه سبب الارزاق
والمعايش لبني ادم والدواب والوحش والطير ومعنى عندنا انه في حكمه وتصرفه وامره وتدبيره
تعالى وما ننزله الا بقدر معلوم يعني بقدر الكفاية وقيل ان لكل ارض حدا ومقدارا من المطر
يقال لا ينزل من السما قطرة مطر الا ومعها ملك يسوقها الى حيث يشا الله تعالى وقيل ان المطر
ينزل من السما كل عام بقدر واحد لا يزيد ولا ينقص ولكن الله يمطر قوما ويحرم اخرين
وقيل اذا اراد الله بقوم خيرا انزل عليهم المطر والرحمة واذا اراد بقوم شرا صرف المطر
عنهم الى حيث لا ينتفع به كالبراري والقفار والرمال والبحار ونحو ذلك وحكى جعفر بن محمد
الصادق عن ابيه عن جده انه قال في العرش تمثال جميع ما خلق الله في البر والبحر وهو تاويله
قوله وان من شي الا عندنا خزائنه وارسلنا الرياح لواقح قال ابن عباس يعني للشجر وهو قول
الحسن وقتادة واصل هذا من قولهم لقحت الناقة والقحها الفحل اذا القى اليها الما فحملته كذلك
الرياح كالفحل للسحاب قال ابن مسعود في تفسير هذه الاية يرسل الله الرياح لتلقح السحاب
فتحمل الما فتمجه في السحاب ثم تمر به فتدر كما تدر اللقحة وقال عبيد بن عمير يرسل الله الريح
المبشرة فتقم الارض قما ثم يرسل المثيرة فتثير السحاب ثم يرسل المولفة فتولف السحاب
بعضه الى بعض فتجعله ركاما ثم يرسل اللواقح فتلقح الشجر والاظهر في هذه الاية القاحها
السحاب لقوله بعده وانزلنا من السما ما قال ابو بكر بن عياش لا تقطر قطرة من السما الا بعد ان
تعمل الرياح الاربع فيها فالصبا تهيج السحاب والشمال تجمعه والجنوب تدره والدبور تفرقه
وقال ابو عبيد لواقح هنا بمعنى ملاقح جمع ملقحة حذف الميم ورد الى الاصل وقال الزجاج
يجوز ان يقال لها لواقح وان القحت غيرها لان معناها النسب كما يقال درهم وازن اي ذو
وزن واعترض الواحدي على هذا فقال هذا ليس بمرضي لانه كان يجب ان يصح اللاقح بمعنى ذات
لقح حتى يوافق قول المفسرين واجاب الرازي عنه بان قال هذا ليس بشي لان اللاقح هو المنسوب
الى اللقحة ومن افاد غيره اللقحة فله نسبة الى اللقحة وقال صاحب المفردات لواقح اي ذات لقاح
وقيل ان الريح في نفسها لاقح لانها حاملة للسحاب والدليل عليه قوله تعالى حتى اذا اقلت

سحابا

سحابا ثقالا اي حملت فعلى هذا تكون الريح لاقحة بمعنى حاملة تحمل السحاب قال الزجاج
ويجوز ان يقال للريح لقحت اذا اتت بالخير كما قيل لها عقيم اذا لم تات بخير وورد في بعض
الاخبار ان اللاقح الرياح الجنوب وفي بعض الاثار ما هبت ريح الجنوب الا وانبعث عينا غدقة
ق عن عايشة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا عصفت الريح قال اللهم اني اسالك
خيرها وخير ما فيها وخير ما ارسلت به واعوذ بك من شرها وشر ما فيها وشر ما ارسلت
به وروى البغوي بسنده الى الشافعي الى ابن عباس قال ما هبت ريح قط الا جثى النبي صلى
الله عليه وسلم على ركبتيه وقال اللهم اجعلها رحمة ولا تجعلها عذابا اللهم اجعلها رياحا
ولا تجعلها ريحا قال ابن عباس في كتاب الله عز وجل انا ارسلنا عليهم ريحا صرصرا فارسلنا
عليهم الريح العقيم وقال وارسلنا الرياح لواقح وقال ويرسل الرياح مبشرات وقوله
تعالى فانزلنا من السما ما يعني المطر فاسقيناكموه يعني جعلنا المطر لكم سقيا يقال اسقى فلان
فلانا اذا جعل له سقيا وسقاه اذا اعطاه ما يشرب وتقول العرب سقيت الرجل ماء
ولبنا اذا كان لنفسه فاذا جعلوا له ما يشرب زرعه او ماشيته تقول اسقيته وما انتم
له يعني للمطر بخازنين يعني ان المطر في خزائننا لا في خزائنكم وقيل وما انتم له بمانعين وانا
لنحن نحيي ونميت يعني بيدنا احيا الخلق واماتتهم لا يقدر على ذلك احد الا الله سبحانه وتعالى
لان قوله وانا لنحن يفيد الحصر يعني لا يقدر على ذلك سوانا ونحن الوارثون وذلك بان نميت
جميع الخلق فلا يبقى احد سوانا فيزول ملك كل مالك ويبقى جميع ملك المالكين لنا والوارث
هو الباقي بعد ذهاب غيره والله تعالى هو الباقي بعد فنا خلقه الذين امتعهم بما اتاهم
في الحياة الدنيا لان وجود الخلق وما اتاهم كان ابتداء منه تعالى فاذا افنى جميع الخلايق
رجع الذي كانوا يملكونه في الدنيا على المجاز الى مالكه على الحقيقة وهو الله تعالى وقيل
مصير الخلق اليه قوله عز وجل ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا المستاخرين عن ابن عباس
قال كانت امراة تصلي خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم حسنا من احسن الناس فكان بعض الناس
يتقدم حتى يكون في الصف الاول لئلا يراها ويتاخر بعضهم حتى يكون في الصف المؤخر
فاذا ركع نظر من تحت ابطيه فانزل الله ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا المستاخرين
اخرجه النساي واخرجه الترمذي وقال فيه وقد روي عن ابي الجوزاء نحوه ولم يذكر فيه عن
ابن عباس وهذا اشبه ان يكون اصح قال البغوي وذلك ان النسا كن يخرجن الى الجماعة فيقفن
خلف الرجال فربما كان من الرجال من في قلبه ريبة فيتاخر الى اخر صف الرجال ومن النسا
من في قلبها ريبة فتتقدم الى اول صف النسا لتقرب من الرجال فنزلت هذه الاية فعند
ذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم خير صفوف الرجال اولها وشرها اخرها وخير صفوف
النسا اخرها وشرها اولها اخرجه مسلم عن ابي هريرة وقال ابن عباس اراد بالمتقدمين

من خلق الله وبالمستاخرين من لم يخلق الله تعالى بعد وقال مجاهد المستقدمون القرون
الاولى والمستاخرون امة محمد صلى الله عليه وسلم وقال الحسن المستقدمون يعني في الطاعة
والخير والمستاخرون المبطئون عنها وقال الاوزاعي اراد بالمستقدمين المصلين في اول الوقت
وبالمستاخرين المؤخرين لها الى اخره وقال مقاتل اراد بالمستقدمين والمستاخرين في صف
القتال وقال ابن عيينة اراد من يسلم اولا ومن يسلم اخرا وقال ابن عباس في رواية اخرى عنه
ان النبي صلى الله عليه وسلم حرض على الصف الاول فازدحموا عليه وقال قوم كانت بيوتهم
قاصية عن المسجد لنبيعن دورنا ونشتري دورا قريبة من المسجد حتى ندرك الصف المقدم
فنزلت الاية ومعناها انما تجزون على النيات فاطمانوا وسكنوا فيكون معنى الاية على القول
الاول المستقدم للتقوى والمستاخر للنظر وعلى القول الاخير المتقدم لطلب الفضيلة والمتاخر
للعذر ومعنى الاية ان علمه تعالى محيط بجميع خلقه متقدمهم ومتاخرهم طايعهم وعاصيهم
لا يخفى عليه شي من احوال خلقه وان ربك هو يحشرهم انه حكيم عليم يعني على ما علم منهم
وقيل ان الله تعالى يميت الكل ثم يحشرهم الاولين والاخرين على ما ماتوا عليه م عن جابر قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يبعث كل عبد على ما مات عليه قوله تعالى ولقد خلقنا الانسان
يعني ادم عليه السلام في قول جميع المفسرين سمي انسانا لظهوره وادراك البصر اياه وقيل من
النسيان لانه عهد اليه فنسي من صلصال يعني من الطين اليابس الذي اذا نقرته سمعت له صلصلة
يعني صوتا قال ابن عباس هو الطين الحر الطيب الذي اذا نضب عنه الما تشقق فاذا حرك تقعقع
وقال مجاهد هو الطين المنتن واختاره الكسائي وقال هو من صل اللحم واصل اذا انتن
من حما يعني من الطين الاسود مسنون اي متغير قال مجاهد وقتادة هو المنتن المتغير وقال ابو عبيدة
هو المصبوب تقول العرب سننت الما اذا صببته قال ابن عباس هو التراب المبتل المنتن جعل
صلصالا كالفخار والجمع بين هذه الاقاويل على ما ذكره بعضهم ان الله تعالى لما اراد خلق
ادم عليه السلام قبض قبضة من تراب الارض واليه الاشارة بقوله ان مثل عيسى عند الله
كمثل ادم خلقه من تراب ثم ان ذلك التراب بل بالما وخمر حتى اسود وانتن ريحه وتغير
واليه الاشارة بقوله من حما مسنون ثم ذلك الطين الاسود المتغير صوره صورة الانسان
اجوف فلما جف ويبس كانت تدخل فيه الريح فيسمع له صلصلة يعني صوتا واليه الاشارة
بقوله من صلصال كالفخار وهو الطين اليابس اذا انفخر في الشمس ثم نفخ فيه الروح فكان بشرا
سويا والجان خلقناه من قبل يعني من قبل ادم قال ابن عباس الجان ابو الجن كما ان ادم ابو البشر
وقال قتادة هو ابليس وقيل الجان ابو الجن وابليس ابو الشياطين وفي الجن مسلمون وكافرون
وياكلون ويشربون ويحيون ويموتون كبني ادم واما الشياطين فليس فيهم مسلمون ولا يموتون
الا اذا مات ابليس قال وهب ان من الجن من يولد له وياكلون ويشربون بمنزلة الادميين ومن الجن

من هو بمنزلة الريح لا يتوالدون ولا ياكلون ولا يشربون وهم الشياطين والاصح ان الشياطين
نوع من الجن لاشتراكهم في الاستتار سموا جنا لتواريهم واستتارهم عن الاعين من قولهم
جن الليل اذا استتر والشيطان هو العاتي المتمرد الكافر منهم المومن ومنهم الكافر من نار السموم
يعني من ريح حارة تدخل مسام الانسان من لطفها وقوة حرارتها فتقتله وقيل السموم الريح الحارة
التي تكون بالنهار السموم والريح الحارة التي تكون بالليل الحرور وقال ابو صالح السموم نار
لا دخان لها والصواعق تكون منها وهي نار بين السما والحجاب فاذا احدث امر خرقت الحجاب فهوت
اليها الهدة التي تسمعون من خرق ذلك الحجاب وفي هذا قول اصحاب الهيئة ان الكرة الرابعة
تسمى كرة النار وقيل نار السموم يعني من نار جهنم وقال ابن مسعود هذه السموم جزء من
سبعين جزا من السموم التي خلق منها الجان وتلا هذه الاية قال ابن عباس كان ابليس من حي
من الملايكة يسمون الجان خلقوا من نار السموم وخلقت الجن الذين ذكروا في القران من مارج من نار
وخلقت الملايكة من النور قوله عز وجل واذ قال ربك للملايكة اي واذكر يا محمد اذ قال ربك للملايكة
اني خالق بشرا سمي الادمي بشرا لانه جسم كثيف ظاهر والبشرة ظاهر الجلد من صلصال من حما مسنون
تقدم تفسيره فاذا سويته يعني عدلت صورته واتممت خلقه ونفخت فيه من روحي النفخ عبارة
عن اجرا الريح في تجاويف جسم اخر ومنه نفخ الروح في النشاة الاولى وهو المراد بقوله ونفخت
فيه من روحي واضافه الله عز وجل روح ادم الى نفسه على سبيل التشريف والتكريم له كما يقال
بيت الله وناقة الله وعبد الله وسيجي الكلام على الروح في تفسير سورة سبحان عند قوله
ويسالونك عن الروح ان شا الله تعالى فقعوا له ساجدين الخطاب للملايكة الذين قال الله
لهم اني خالق بشرا امرهم بالسجود لادم بقوله فقعوا له ساجدين وكان هذا السجود سجود
تحية لا سجود عبادة فسجد الملايكة يعني الذين امروا بالسجود لادم كلهم اجمعون قال سيبويه
هذا توكيد بعد توكيد وسيل المبرد عن هذه الاية فقال لو قال فسجد الملايكة لاحتمل ان
يكون سجد بعضهم فلما قال كلهم زال هذا الاحتمال فظهر انهم سجدوا باسرهم
ثم عند هذا بقي احتمال اخر وهو انهم سجدوا في اوقات متفرقة او في دفعة واحدة فلما
قال اجمعون ظهر ان الكل سجدوا دفعة واحدة ولما حكى الزجاج هذا القول عن المبرد قال
وقول الخليل وسيبويه اجود لان اجمعين معرفة فلا يكون حالا وروي عن ابن عباس ان الله
تعالى امر جماعة من الملايكة بالسجود لادم فلم يفعلوا فارسل عليهم نارا فاحرقتهم
ثم قال لجماعة اخرى اسجدوا لادم فسجدوا الا ابليس ابى ان يكون مع الساجدين يعني مع
الملايكة الذين امروا بالسجود لادم فسجدوا قال يعني قال الله يا ابليس ما لك الا تكون مع
الساجدين قال يعني ابليس لم اكن لاسجد لبشر خلقته من صلصال من حما مسنون اراد ابليس
انه افضل من ادم لان ادم طيني الاصل وابليس ناري الاصل والنار افضل من الطين فيكون

ابليس في قياسه افضل من ادم ولم يدر الخبيث ان الفضل فيما فضله الله قال فاخرج منها يعني من الجنة وقيل من السما فانك رجيم اي طريد وان عليك اللعنة الى يوم الدين قيل ان اهل السموات يلعنون ابليس كما يلعنه اهل الارض فهو ملعون في السموات والارض فان قلت ان حرف الى لانتها الغاية فهو ينقطع اللعن عنه يوم الدين الذي هو يوم القيامة قلت لا بل يزداد عذابا الى اللعنة التي عليه كانه قال وان عليك اللعنة فقط الى يوم الدين ثم تزداد بعد ذلك معها عذابا دايما مستمرا لا انقطاع له قال رب فانظرني يعني اخرني الى يوم يبعثون يعني يوم القيمة واراد بهذا السوال انه لا يموت ابدا لانه اذا امهل الى يوم القيمة ويوم القيمة لا يموت فيه احد لزم من ذلك انه لا يموت ابدا فلهذا السبب سال الانظار الى يوم يبعثون فاجابه الله تعالى بقوله قال فانك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم يعني الوقت الذي يموت فيه جميع الخلايق وهو النفخة الاولى فيقال ان مدة موت ابليس اربعون سنة وهو ما بين النفختين وقيل لم يكن اجابة الله تعالى اياه في الامهال اكراما له بل كان ذلك الامهال زيادة في بلايه وشقايه وعذابه واغا سمي يوم القيمة بيوم الوقت المعلوم لان ذلك اليوم لا يعلمه احد الا الله تعالى فهو معلوم عنده وقيل لان جميع الخلايق يموتون فيه فهو معلوم بهذا الاعتبار وقيل لما سال ابليس الانظار الى يوم يبعثون فاجابه الله بقوله فانك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم يعني اليوم الذي عينت وسالت الانظار اليه قال رب بما اغويتني البا للقسم في قوله بما وما مصدرية وجواب القسم لازينن والمعنى اقسم باغوايك اياي لازينن لهم في الارض وقيل الباء للسبب يعني بسبب كوني غاويا لازينن لهم في الارض يعني ازين لهم حب الدنيا ومعاصيك ولاغوينهم اجمعين يعني بالقا الوسوسة في قلوبهم وذلك ان ابليس لما علم انه يموت على الكفر غير مغفور له حرص على اضلال الخلق واغوايهم ثم استثنى فقال الا عبادك منهم المخلصين يعني المومنين الذين اخلصوا لك التوحيد والطاعة والعبادة ومن فتح اللام من المخلصين يكون المعنى الا من اخلصته واصطفيته لتوحيدك وعبادتك وانما استثنى ابليس المخلصين لانه علم ان كيده ووسوسته لا تعمل فيهم ولا يقبلون منه وحقيقة الاخلاص فعل الشي خالصا عن شايبة الغير فكل من اتى بعمل من اعمال الطاعات فلا يخلو اما ان يكون مراده بتلك الطاعة وجه الله فقط او لغير الله او لمجموع الامرين اما ما كان لله تعالى فهو الخالص المقبول واما ما كان لغير الله فهو الباطل المردود واما من كان مراده مجموع الامرين فان ترجح جانب الله كان من المخلصين الناجين وان ترجح الجانب الاخر كان من الهالكين لان المثل يقابله المثل فيبقى القدر الزايد فالى الجانبين ترجح اخذ به قال يعني قال الله تبارك وتعالى هذا صراط علي مستقيم قال الحسن معناه هذا صراط الي مستقيم وقال مجاهد الحق يرجع الى الله وعليه طريقه لا يعرج على شي

وقال

وقال الاخفش معناه علي الدلالة على الصراط المستقيم وقال الكسائي هذا طريق التهديد والوعيد كما يقول الرجل لمن يخاطبه طريقك علي اي لا تنفلت مني وقيل معناه على استقامته بالبيان والبرهان والتوفيق والهداية وقيل هذا عايد الى الاخلاص والمعنى ان الاخلاص طريق علي والى يودي الى كرامتي ورضواني ان عبادي ليس لك عليهم سلطان اي قوة وقدرة وذلك ان ابليس لما قال لازينن لهم في الارض الا عبادك منهم المخلصين اوهم بهذا الكلام ان له سلطانا على غير المخلصين فبين الله تعالى انه ليس له سلطان على احد من عبيده سوا كان من المخلصين اولم يكن من المخلصين قال اهل المعاني ليس لك سلطان على قلوبهم وسيل سفيان بن عيينة عن هذه الاية معناه ليس لك عليهم سلطان ان تلقيهم في ذنب يضيق عنه عفوي وهولا ثنية الله الذين هداهم واجتباهم من عباده الا من اتبعك من الغاوين يعني الا من اتبع ابليس من الغاوين فان له عليهم سلطانا بسبب كونهم منقادين له فيما يامرهم به وان جهنم لموعدهم اجمعين يعني موعد ابليس واشياعه واتباعه لها يعني لجهنم سبعة ابواب يعني سبع طبقات قال علي بن ابي طالب تدرون كيف ابواب جهنم هكذا ووضع احدى يديه على الاخرى اي سبعة ابواب بعضها فوق بعض قال ابن جريج النار سبع دركات اولها جهنم ثم لظى ثم الحطمة ثم السعير ثم سقر ثم الجحيم ثم الهاوية لكل باب منهم جزء مقسوم يعني لكل دركة قوم يسكنونها والجزء بعض الشي وجزاته جعلته اجزا والمعنى ان الله تعالى يجزي اتباع ابليس سبعة اجزا فيدخل كل قسم منهم دركة من النار والسبب فيه ان مراتب الكفر مختلفة فلذلك اختلفت مراتبهم في النار قال الضحاك في الدركة الاولى اهل التوحيد الذين ادخلوا النار يعذبون فيها بقدر ذنوبهم ثم يخرجون منها وفي الثانية النصارى وفي الثالثة اليهود وفي الرابعة الصابيون وفي الخامسة المجوس وفي السادسة اهل الشرك وفي السابعة المنافقون فذلك قوله ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لجهنم سبعة ابواب باب منها لمن سل السيف على امتي او قال على امة محمد صلى الله عليه وسلم اخرجه الترمذي وقال حديث غريب قوله تعالى ان المتقين في جنات وعيون المراد بالمتقين الذين اتقوا الشرك في قول جمهور المفسرين وقيل هم الذين اتقوا الشرك والمعاصي والجنات البساتين والعيون الانهار الجارية في الجنات وقيل يحتمل ان تكون هذه العيون غير الانهار الكبار التي في الجنة وعلى هذا فهل يختص كل واحد من اهل الجنة بعيون او تجري هذه العيون من بعضهم الى بعض وكلا الامرين محتمل فيحتمل ان كل واحد من اهل الجنة يختص بعيون تجري في جناته وقصوره ودوره فينتفع هو بها ومن يختص به من حوره وولدانه ويحتمل انها تجري من جنات بعضهم الى جنات بعض لانهم قد طهروا من الحقد والحسد ادخلوها اي يقال لهم ادخلوها والقايل هو الله تعالى او بعض ملايكته بسلام امنين يعني ادخلوا الجنة مع السلامة والامن من الموت ومن

جميع الافات ونزعنا ما في صدورهم من غل الغل الحقد الكاين في القلب ويطلق على الشحناء
والعداوة والبغضا والحقد والحسد فكل هذه الخصال المذمومة داخلة في الغل لانها
كامنة في القلب يروى ان المومنين يحبسون على باب الجنة فيقتص بعضهم من بعض ثم يومر
بهم الى الجنة وقد نقي قلوبهم من الغل والغش والحقد والحسد اخوانا يعني في المودة والمحبة
والمخالطة وليس المراد منه اخوة النسب على سرر جمع سرير قال بعض اهل المعاني السرير مجلس
رفيع عال مهيا للسرور وهو ماخوذ منه لانه مجلس سرور قال ابن عباس على سرر من ذهب
مكللة بالزبرجد والدر والياقوت والسرير مثل صنعا الى الجابية متقابلين يعني تقابلا بل
بعضهم بعضا لا ينظر احدهم في قفا صاحبه وفي بعض الاخبار ان المومن في الجنة اذا
اراد ان يلقي اخاه المومن سار سرير كل واحد منهما الى صاحبه فيلتقيان ويتحدثان لا يمسهم
فيها يعني في الجنة نصب اي تعب ولا اعيا وما هم منها يعني من الجنة بمخرجين هذا نص من
الله في كتابه على خلود اهل الجنة في الجنة والمراد منه خلود بلا زوال وبقا بلا فنا وكمال
بلا نقصان وفوز بلا حرمان قوله عز وجل نبي عبادي اني انا الغفور الرحيم قال ابن عباس يعني
لمن تاب منهم روي ان النبي صلى الله عليه وسلم خرج على صحابه وهم يضحكون فقال اتضحكون
وبين ايديكم النار فنزل جبريل بهذه الاية وقال يقول لك ربك يا محمد لم تقنط عبادي ذكره البغوي
بغير سند وان عذابي هو العذاب الاليم قال قتادة بلغنا ان نبي الله صلى الله عليه وسلم قال
لو يعلم العبد قدر عفو الله لما تورع عن حرام ولو يعلم قدر عذابه لبخع نفسه يعني لقتل نفسه
خ عن ابي هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله خلق الرحمة يوم خلقها
مائة رحمة فامسك عنده تسعة وتسعين رحمة وارسل في خلقه كلهم رحمة واحدة فلو يعلم
الكافر بكل الذي عند الله من الرحمة لم ييئس من الجنة ولو يعلم المومن بكل الذي عند الله من العذاب
لم يامن من النار وفي الاية لطايف منها انه تعالى اضاف العباد الى نفسه بقوله نبي عبادي وهذا
تعظيم لهم الا ترى انه لما اراد ان يشرف محمد صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج لم يزد على قوله سبحان
الذي اسرى بعبده ليلا فكل من اعترف على نفسه بالعبودية لله تعالى فهو داخل في هذا التشريف
العظيم ومنها انه تعالى لما ذكر الرحمة والمغفرة بالغ في التاكيد بالفاظ ثلاثة اولها قوله
اني وثانيها انا وثالثها ادخل الالف واللام على قوله الغفور الرحيم وهذا يدل على تغليب
جانب الرحمة والمغفرة ولما ذكر العذاب لم يقل اني انا المعذب وما وصف نفسه بذلك
بل قال وان عذابي هو العذاب الاليم على سبيل الاخبار ومنها انه تعالى امر رسوله صلى الله عليه وسلم
ان يبلغ عباده هذا المعنى فكانه اشهد رسوله على نفسه في التزام المغفرة والرحمة قوله تعالى
ونبيهم عن ضيف ابراهيم هذا معطوف على ما قبل اي واخبر يا محمد عبادي عن ضيف ابراهيم
واصل الضيف الميل يقال ضفت الى كذا اذا ملت اليه والضيف من مال اليك نزولا بك

وصارت الضيافة متعارفة في القرى واصل الضيف مصدر ولذلك استوى فيه الواحد والجمع
في عامة كلامهم وقد يجمع فيقال اضياف وضيوف وضيفان وضيف ابراهيم هم الملايكة
الذين ارسلهم الله تعالى ليبشروا ابراهيم بالولد ويهلكوا قوم لوط اذ دخلوا عليه يعني اذ
دخل الاضياف على ابراهيم عليه السلام فقالوا سلاما اي فسلموا سلاما قال يعني ابراهيم
انا منكم وجلون اي خايفون وانما خاف ابراهيم منهم لانهم لم ياكلوا طعامه قالوا لا توجل
يعني لا تخف انا نبشرك بغلام عليم يعني انهم بشروه بولد ذكر غلام في صغره عليم في كبره وقيل
عليم بالاحكام والشرايع والمراد به اسحاق عليه السلام فلما بشروه بالولد عجب ابراهيم من كبره وكبر
امراته فقال ابشرتموني يعني بالولد على ان مسني الكبر يعني على حالة الكبر قاله على طريق
التعجب فبم تبشرون يعني فباي شي تبشرون وهو استفهام بمعنى التعجب كانه عجب من حصول
الولد على الكبر قالوا بشرناك بالحق يعني بالصدق الذي قضاه الله ان يخرج منك ولدا تكثر
ذريته وهو اسحاق فلا تكن من القانطين يعني فلا تكن من الايسين من الخير والقنوط هو
الاياس من الخير قال يعني ابراهيم ومن يقنط من رحمة ربه الا الضالون يعني من ييئس من رحمة
ربه الا المكذبون وفيه دليل على ان ابراهيم لم يكن من القانطين ولكنه استبعد حصول الولد
على الكبر فظنت الملايكة ان به قنوطا فنفى ذلك عن نفسه واخبر ان القانط من رحمة الله
ضال لان القنوط من رحمة الله كبيرة كالامن من مكر الله ولا يحصل الا عند من جهل كون الله
الله تعالى قادرا على ما يريد وان يجهل كونه تعالى عالما بجميع المعلومات فكل هذه الامور
سبب للضلال قال يعني ابراهيم فما خطبكم يعني فما شانكم وما الامر الذي جيتم فيه ايها
المرسلون والمعنى ما الامر الذي جيتم بسببه سوى ما بشرتموني به من الولد قالوا يعني الملايكة
انا ارسلنا الى قوم مجرمين يعني لهلاك قوم مجرمين الا ال لوط يعني اشياعه واتباعه من اهل
دينه انا لمنجوهم اجمعين الا امراته يعني امراة لوط قدرنا يعني قضينا وانما اسند الملايكة الفعل
الى انفسهم وان كان ذلك لله عز وجل لاختصاصهم بالله وقربهم منه كما تقول خاصة الملك
نحن امرنا ونحن فعلنا وان كانوا قد فعلوه بامر الملك انها لمن الغابرين يعني من الباقين في العذاب
والاستثنا من النفي اثبات ومن الاثبات نفي فاستثنا امراة لوط من الناجين ملحقة بالهالكين
فلما جا ال لوط المرسلون وذلك ان الملايكة عليهم السلام لما بشروا ابراهيم بالولد وعرفوه بما
ارسلوا به ساروا الى لوط وقومه ولما دخلوا على لوط قال انكم قوم منكرون وانما قال هذه المقالة
لوط لانهم دخلوا عليه هجما وهم في زي شباب مرد حسان الوجوه فخاف ان يهجم عليهم قومه
فلهذا السبب قال هذه المقالة وقيل ان النكرة ضد المعرفة فقوله انكم قوم منكرون لا اعرفكم
ولا اعرف من اي الاقوام انتم ولا لاي غرض دخلتم علي فعند ذلك قالوا يعني الملايكة بل جيناك بما
كانوا فيه يمترون يعني جيناك بالعذاب الذي كانوا يشكون فيه واتيناك بالحق يعني باليقين الذي

لا شك فيه وانا لصادقون يعني فيما اخبرناك به من اهلاكهم فاسر باهلك بقطع من الليل
يعني اخر الليل والقطع القطعة من الشيء وبعضه واتبع ادبارهم يعني واتبع اثار اهلك
وسر خلفهم ولا يلتفت منكم احد يعني حتى لا يرى ما نزل بقومه من العذاب فيرتاع بذلك وقيل
المراد الاسراع في السير وترك الالتفات الى ورائه والاهتمام بما خلفه كما تقول امض لشانك
ولا تعرج على شيء وقيل جعل ترك الالتفات علامة لمن ينجو من آل لوط وليلا يتخلف احد منهم
فيناله العذاب وامضوا حيث تومرون قال ابن عباس يعني الشام وقال مقاتل يعني زغر
وقيل الاردن وقيل الى حيث يامركم جبريل وذلك ان جبريل امرهم ان يسيروا الى قرية معينة
ما عمل اهلها عمل قوم لوط وقضينا اليه ذلك الامر يعني واوحينا الى لوط ذلك الامر الذي
حكمنا به على قومه وفرغنا منه ثم انه تعالى فسر ذلك الامر الذي قضاه بقوله ان دابر هولاء مقطوع
مصبحين يعني ان هولاء القوم يستاصلون عن اخرهم بالعذاب وقت الصبح وانما ابهم الامر
الذي قضاه عليهم اولا وفسره ثانيا تفخيما له وتعظيما لشانه وجاء اهل المدينة يعني مدينة
سدوم وهي مدينة قوم لوط يستبشرون يعني يبشر بعضهم بعضا باضياف لوط والاستبشار
اظهار الفرح والسرور وذلك ان الملايكة لما نزلوا على لوط ظهر امرهم في المدينة وقيل ان
امراته اخبرتهم بذلك وكانوا شبانا مردا في غاية الحسن ونهاية الجمال فجا قوم لوط الى داره
طمعا منهم في ركوب الفاحشة قال يعني قال لوط لقومه ان هولاء ضيفي وحق على الرجل اكرام
ضيفه فلا تفضحون يعني فيهم يقال فضحه يفضحه اذا اظهر من امره ما يلزمه العار بسببه
واتقوا الله يعني خافوا الله في امرهم ولا تخزون يعني تخجلون قالوا يعني قوم لوط الذين
جاوا اليه اولم ننهك عن العالمين يعني اولم ننهك ان تضيف احدا من العالمين وقيل معناه
اولم ننهك ان تدخل الغربا الى بيتك فانا نريد ان نركب منهم الفاحشة وقيل معناه الستنا
قد نهيناك ان تكلمنا في احد من العالمين اذا قصدناه بالفاحشة قال يعني قال لوط لقومه
الذين قصدوا اضيافه هولاء بناتي ازوجكم اياهن ان اسلمتم فاتوا الحلال ودعوا الحرام
وقيل اراد بالبنات نساء قومه لان النبي كالوالد لامته ان كنتم فاعلين يعني ما امركم به لعمرك
الخطاب فيه للنبي صلى الله عليه وسلم قال ابن عباس معناه وحياتك يا محمد قال ابن عباس
ما خلق الله نفسا اكرم عليه من محمد صلى الله عليه وسلم وما اقسم بحياة احد الا بحياته
والعَمر والعُمر واحد وهو اسم لمدة عمارة مدة الانسان بالحياة والروح وبقايه مدة حياته
وقال النحويون ارتفع لعمرك بالابتدا والخبر محذوف والمعنى لعمرك قسمي فحذف الخبر لان في
الكلام دلالة عليه انهم لفي سكرتهم يعني في حيرتهم وضلالتهم وقيل في غفلتهم يعمهون يعني
يترددون متحيرين وقال قتادة يلعبون فاخذتهم الصيحة مشرقين يعني حين اضات الشمس
فكان ابتدا العذاب الذي نزل بهم وقت الصبح وتمامه وانتهاوه حين اشرقت الشمس فجعلنا عاليها

سافلها

سافلها وامطرنا عليها حجارة من سجيل تقدم تفسيره في سورة هود ان في ذلك يعني
الذي نزل بهم من العذاب لايات للمتوسمين قال ابن عباس للناظرين وقال قتادة للمعتبرين وقال
مقاتل للمتفكرين وقال مجاهد للمتفرسين ويعضد هذا التاويل ما روي عن ابي سعيد الخدري
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اتقوا فراسة المومن فانه ينظر بنور الله ثم قرا ان في ذلك
لايات للمتوسمين اخرجه الترمذي وقال حديث غريب الفراسة بالكسر اسم من قولك تفرست
في فلان الخير وهي على نوعين احدهما ما دل عليه ظاهر الحديث وهو ما يوقعه الله في قلوب
اوليايه فيعلمون بذلك احوال الناس بنوع من الكرامات واصابة الحدس والنظر والظن
والتثبت والنوع الثاني يحصل بدلايل التجارب والخلق والاخلاق يتعرف بذلك احوال
الناس ايضا وللناس في علم الفراسة تصانيف قديمة وحديثة قال الزجاج حقيقة المتوسمين
في اللغة المتثبتين في نظرهم حتى يعرفوا سمة الشيء وصفته وعلامته فالمتوسم الناظر
في سمة الدلايل تقول توسمت في فلان كذا اي عرفت وسم ذلك وسمته وانها يعني قرى قوم لوط
لبسبيل مقيم يعني بطريق واضح قال مجاهد بطريق معلم ليس بخفي ولا زايل والمعنى ان اثار
ما انزل الله بهذه القرى من عذابه وغضبه بسبيل مقيم ثابت لم يندثر ولم يخف والذين يمرون
عليها من الحجاز الى الشام يشاهدون ذلك ويرون اثره ان في ذلك يعني الذي ذكر من
عذاب قوم لوط وما انزل بهم لاية للمومنين يعني المصدقين بما انزل الله على رسوله صلى الله عليه
وسلم وان كان اصحاب الايكة لظالمين يعني كان اصحاب الايكة وهي الغيضة واللام في قوله لظالمين
للتاكيد وهم قوم شعيب عليه السلام كانوا اصحاب غياض وشجر ملتف وكان عامة شجرهم المقل
وكانوا قوما كافرين فبعث الله عز وجل اليهم شعيبا رسولا فكذبوه فاهلكهم الله وهو قوله تعالى
فانتقمنا منهم يعني بالعذاب وذلك ان الله تعالى سلط عليهم الحر سبعة ايام حتى اخذ
بانفاسهم وقربوا من الهلاك فبعث الله سحابة كالظلة فالتجاوا اليها واجتمعوا تحتها يلتمسون
الروح فبعث الله عليهم نارا فاحرقتهم جميعا وانهما يعني مدينة قوم لوط ومدينة اصحاب
الايكة لبامام مبين يعني بطريق واضح مستبين لمن مر بهما وقيل الضمير راجع الى الايكة ومدين
لان شعيبا كان مبعوثا اليهما وانما سمي الطريق اماما لانه يوم ويتبع ولان المسافر ياتم به
حتى يصير الى الموضع الذي يريده قوله عز وجل ولقد كذب اصحاب الحجر المرسلين قال المفسرون
الحجر اسم واد كان يسكنه ثمود وهو معروف بين المدينة النبوية والشام واثاره موجودة
باقية يمر عليها ركب الشام الى الحجاز واهل الحجاز الى الشام واراد بالمرسلين صالحا وحده
وانما ذكره بلفظ الجمع للتعظيم او لانهم كذبوه وكذبوا من قبله من الرسل واتيناهم اياتنا
يعني الناقة وولدها والايات التي كانت في الناقة خروجها من الصخرة وعظم جثتها وقرب
ولادها وغزارة لبنها وانما اضاف الايات اليهم وان كانت لصالح لانه مرسل اليهم بهذه الايات

فكانوا عنها يعني الايات معرضين يعني تاركين لها غير ملتفتين اليها وكانوا ينحتون من الجبال
بيوتا امنين يعني من الخراب وان يقع عليهم الجبل او السقف فاخذتهم الصيحة يعني العذاب
مصبحين يعني وقت الصبح فما اغنى عنهم ما كانوا يكسبون يعني من الشرك والاعمال الخبيثة
ق عن ابن عمر قال لما مر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحجر قال لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا انفسهم
ان يصيبكم ما اصابهم الا ان تكونوا باكين ثم قنع راسه واسرع السير حتى جاوز الوادي قوله
تعالى وما خلقنا السموات والارض وما بينهما الا بالحق يعني لاظهار الحق والعدل وهو ان
يثاب المؤمن المصدق ويعاقب الجاحد الكاذب وان الساعة لاتية يعني وان القيامة لتاتي
ليجازي المحسن باحسانه والمسيء باساته فاصفح الصفح الجميل الخطاب للنبي صلى الله عليه
وسلم اي فاعرض عنهم يا محمد واعف عنهم عفوا حسنا واحتمل ما تلقى من اذى قومك وهذا
الصفح والاعراض منسوخ باية القتال وقيل فيه بعد لان الله تعالى امر نبيه صلى الله عليه
وسلم ان يظهر الخلق الحسن وان يعاملهم بالعفو والصفح الخالي من الجزع والخوف ان ربك هو
الخلاق العليم يعني انه تعالى خلق خلقه وعلم ما هم فاعلوه وما يصلحهم قوله عز وجل ولقد
اتيناك سبعا من المثاني والقران العظيم قال ابن الجوزي سبب نزولها ان سبع قوافل وافت
من بصرى واذرعات ليهود قريظة والنضير في يوم واحد فيها انواع من البز والطيب
والجواهر فقال المسلمون لو كانت هذه الاموال لنا لتقوينا بها وانفقناها في سبيل الله
فانزل الله هذه الاية وقال لقد اعطيتكم سبع ايات هي خير من هذه السبع قوافل ويدل على
صحة هذا قوله ولا تمدن عينيك الاية قاله الحسن بن الفضل قلت وهذا القول ضعيف ولا يصح
لان هذه السورة مكية باجماع اهل التفسير ليس فيها من المدني شي ويهود قريظة والنضير
كانوا بالمدينة فكيف يصح ان يقال ان سبع قوافل جاءت في يوم واحد فيها اموال عظيمة
حتى تمناها المسلمون فانزل الله هذه الاية واخبرهم ان هذه السبع ايات هي خير من هذه السبع
قوافل والله اعلم وفي المراد بالسبع المثاني اقوال احدها انها فاتحة الكتاب وهذا قول عمر
وعلي وابن مسعود وفي رواية عنه وابن عباس في رواية الاكثرين عنه وابي هريرة والحسن
وسعيد بن جبير في رواية عنه ومجاهد في رواية عنه وعطا وقتادة في اخرين ويدل على صحة
هذا التاويل ما روي عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحمد لله رب العالمين
ام القران وام الكتاب والسبع المثاني اخرجه ابو داود والترمذي خ عن ابي سعيد بن المعلى
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحمد لله رب العالمين هي السبع المثاني والقران العظيم الذي اوتيته
اخرجه البخاري وفيه زيادة اما السبب في تسمية فاتحة الكتاب بالسبع المثاني لانها سبع
ايات باجماع اهل العلم واختلفوا في سبب تسميتها بالمثاني فقال ابن عباس والحسن وقتادة
لانها تثنى في الصلاة فتقرا في كل ركعة وقيل لانها مقسومة بين العبد وبين الله نصفين

فنصفها

فنصفها الاول ثنا على الله ونصفها الثاني دعا ويدل على صحة هذا التاويل ما روي
عن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يقول الله تبارك وتعالى
قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين الحديث مذكور في فضايل الفاتحة وقيل سميت
مثاني لان كلمات منها مثناة كالرحمن الرحيم اياك نعبد واياك نستعين اهدنا الصراط
المستقيم صراط فكل هذه الالفاظ مثناه وقال الحسن بن الفضل لانها نزلت مرتين مرة بمكة
ومرة بالمدينة معها سبعون الف ملك وقال مجاهد لان الله تعالى استثناها وادخرها
لهذه الامة فلم يعطها لغيرهم وقال ابو زيد البلخي لانها تثني اهل الشر عن الشر من قول
العرب ثنيت عناني وقال الزجاج سميت فاتحة الكتاب مثاني لاشتمالها على الثنا على
الله تعالى وهو حمد الله وتوحيده وملكه واذا ثبت كون الفاتحة هي السبع المثاني دل ذلك
على فضلها وشرفها وانها من افضل سور القران لافرادها بالذكر في قوله ولقد اتيناك
سبعا من المثاني والقران العظيم مع انها جز من اجزا القران واحد سوره لابد وان يكون
لاختصاصها بالشرف والفضيلة القول الثاني في تفسير قوله سبعا من المثاني انها السبع الطوال
وهذا قول ابن عمر وابن مسعود وفي رواية عنه وابن عباس في رواية عنه وسعيد بن جبير
في رواية عنه والسبع الطوال هي سورة البقرة وال عمران والنسا والمايدة والانعام والاعراف
واختلفوا في السابعة فقيل الانفال مع براة لانها كالسورة الواحدة ولهذا لم يكتبوا
بينهما سطر بسم الله الرحمن الرحيم وقيل السابعة هي سورة يونس ويدل على صحة هذا
القول ما روي عن ثوبان ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله اعطاني السبع الطوال
مكان التوراة واعطاني المئين مكان الانجيل واعطاني مكان الزبور المثاني وفضلني بالمفصل اخرجه
البغوي باسناد الثعلبي قال ابن عباس انما سميت السبع الطوال مثاني لان الفرايض والحدود والامثال
والخبر والعبر ثنيت فيها واورد على هذا القول ان هذه السور مدنيات غالبها فكيف يمكن ان تفسر
هذه الاية بها وهي مكية واجيب عن هذا الايراد بان الله تعالى حكم في سابق علمه بانزال هذه
السورة على النبي صلى الله عليه وسلم واذا كان الامر كذلك صح ان تفسر هذه الاية بهذه السور
القول الثالث ان السبع المثاني هي السور التي دون الطوال وفوق المفصل وهي المئين وحجة
هذا القول الحديث المتقدم واعطاني المثاني مكان الزبور والقول الرابع ان السبع المثاني
هو القران كله وهذا قول طاوس ووجه هذا القول قوله تعالى الله نزل احسن الحديث كتابا
متشابها مثاني وسمي القران كله مثاني لان الاخبار والقصص والامثال ثنيت فيه فان قلت
كيف يصح عطف القران في قوله والقران العظيم على قوله سبعا من المثاني وهل هو الا عطف
الشي على نفسه قلت اذا عني بالسبع المثاني فاتحة الكتاب والسبع الطوال فما وراهن ينطلق
عليه القران لان القران اسم يقع على البعض كما يقع على الكل الا ترى الى قوله بما اوحينا اليك هذا

القران يعني سورة يوسف عليه السلام واذا عنيت بالسبع المثاني القران كله كان المعنى ولقد
اتيناك سبعا من المثاني التي هي القران العظيم وانما سمي القران عظيما لانه كلام الله ووحيه انزله
على خير خلقه محمد صلى الله عليه وسلم قوله تعالى لا تمدن عينيك الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم اي لا تمدن
عينيك يا محمد الى ما متعنا به ازواجا منهم اي اصنافا منهم يعني من الكفار متمنيا لها نهى الله عز وجل
رسوله صلى الله عليه وسلم عن الرغبة في الدنيا ومزاحمة اهلها عليها والمعنى انك قد اوتيت القران العظيم
الذي فيه غنى عن كل شي فلا تشغل قلبك وسرك بالالتفات الى الدنيا والرغبة فيها روي ان سفيان
ابن عيينة تاول قول النبي صلى الله عليه وسلم ليس منا من لم يتغن بالقران يعني لم يستغن بالقران فتاول بهذه
الاية قيل انما يكون ماد عينه الى الشي اذا ادام النظر اليه مستحسنا له فيحصل من ذلك تمني ذلك الشي
المستحسن وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ينظر الى شي من متاع الدنيا ولا يلتفت اليه ولا
يستحسنه ولا تحزن عليهم يعني ولا تغتم على ما فاتك من مشاركتهم في الدنيا وقيل ولا تحزن على
ايمانهم اذ لم يومنوا ففيه النهي عن الالتفات الى اموال الكفار والالتفات اليهم ايضا روى البغوي
بسنده عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تغبطن فاجرا بنعمته فانك لا تدري
ما هو لاق بعد موته ان له عند الله قاتلا لا يموت قيل لابن ابي مريم ما قاتلا لا يموت قال النار ق
عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا نظر احدكم الى من فضل عليه في المال والخلق
فلينظر الى من هو اسفل منه لفظ البخاري ولمسلم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انظروا الى
من هو اسفل منكم ولا تنظروا الى من هو فوقكم فهو اجدر ان لا تزدروا نعمة الله عليكم قال عون بن عبد
الله بن عتبة كنت اصحب الاغنيا فما كان احد اكثر هما مني كنت ارى دابة خيرا من دابتي وثوبا خيرا
من ثوبي فلما سمعت هذا الحديث صحبت الفقرا فاسترحت واخفض جناحك يعني لين جناحك
للمومنين وارفق بهم لما نهاه الله تعالى عن الالتفات الى الاغنيا من الكفار امره بالتواضع واللين
والرفق بفقرا المسلمين وغيرهم من المومنين وقل اي وقل لهم يا محمد اني انا النذير المبين لما امر الله تعالى رسوله
صلى الله عليه وسلم بالزهد في الدنيا والتواضع للمومنين امره بتبليغ ما ارسل به اليهم والنذارة تبليغ
مع تخويف والمعنى اني انا النذير بالعقاب لمن عصاني مبين النذارة كما انزلنا على المقتسمين
يعني انذركم عذابا كعذاب انزلناه بالمقتسمين قال ابن عباس اراد بالمقتسمين اليهود والنصارى وهو
قول الحسن ومجاهد سموا بذلك لانهم امنوا ببعض القران وكفروا ببعضه فما وافق كتبهم امنوا به
وما خالف كتبهم كفروا به وقال عكرمة انهم اقتسموا سور القران فقال واحد هذه السورة لي وقال
اخر هذه السورة لي وانما فعلوا ذلك استهزا به وقال مجاهد انهم اقتسموا كتبهم فامن بعضهم
ببعضها وكفر ببعضها وكفر اخرون منهم بما امن به غيرهم وقال قتادة وابن السايب اراد
بالمقتسمين كفار قريش فقال قتادة سموا بذلك لان اقوالهم تقسمت في القران فقال بعضهم انه
سحر وزعم بعضهم انه اساطير الاولين وقال ابن السايب سموا بالمقتسمين لانهم اقتسموا عقاب

مكة وطرقها وذلك ان الوليد بن المغيرة بعث رهطا من اهل مكة قيل ستة عشر وقيل اربعين
وقال لهم انطلقوا فتفرقوا على عقاب مكة وطرقها حيث يمر بكم اهل الموسم فاذا سالوكم
عن محمد فليقل بعضكم انه كاهن وليقل بعضكم انه شاعر وليقل بعضكم انه ساحر فاذا جاوا
الى صدقتكم فذهبوا وقعدوا على عقاب مكة وطرقها يقولون لمن مر بهم من حجاج العرب لا تغتروا
بهذا الخارج الذي يدعي النبوة منا فانه مجنون كاهن وشاعر وقعد الوليد بن المغيرة على باب
المسجد الحرام فاذا جاوا وسالوه عما قال اوليك المقتسمين قال صدقوا وقوله تعالى الذين جعلوا
القران عضين خ عن ابن عباس في قوله الذين جعلوا القران عضين قال هم اليهود والنصارى جزووه
اجزا امنوا ببعض وكفروا ببعض وقيل هو جمع عضو من قولهم عضيت الشي اذا فرقته وجعلته
اجزا وذلك انهم جعلوا القران اعضا متفرقة فقال بعضهم هو سحر وقال بعضهم هو كهانة وقال
بعضهم هو اساطير الاولين وقيل هو جمع عضة وهو الكذب والبهتان وقيل المراد به العضة
وهي السحر يعني انهم جعلوا القران سحرا فوربك لنسالنهم اجمعين اقسم الله بنفسه انه يسال هولا
المقتسمين الذين جعلوا القران عضين عما كانوا يعملون يعني عما كانوا يقولون في القران وعما كانوا
يعملون من الكفر والمعاصي وقيل يرجع الضمير في لنسالنهم الى جميع الخلق المومن والكافر لان
اللفظ عام فحمله على العموم اولى قال جماعة من اهل العلم عن لا اله الا الله عن انس عن النبي صلى
الله عليه وسلم في قوله تعالى لنسالنهم اجمعين عما كانوا يعملون قال عن قول لا اله الا الله اخرجه الترمذي
وقال حديث غريب وقال ابو العالية يسال العباد عن خلتين عما كانوا يعبدون وماذا اجابوا
المرسلين فان قلت كيف الجمع بين قوله لنسالنهم اجمعين وبين قوله فيومئذ لا يسال عن ذنبه انس
ولا جان قلت قال ابن عباس لا يسالهم هل عملتم لانه اعلم به منهم ولكن يقول لم عملتم كذا واعتمده قطرب
فقال السوال ضربان سوال استعلام وقوله لنسالنهم اجمعين سوال توبيخ وتقريع وجواب اخر
وهو مروي عن ابن عباس ايضا انه قال في الايتين ان يوم القيامة يوم طويل فيه مواقف فيسالون
في بعض المواقف ولا يسالون في بعضها نظيره قوله هذا يوم لا ينطقون وقال في اية اخرى
ثم انكم عند ربكم تختصمون قوله عز وجل فاصدع بما تومر قال ابن عباس اظهر ويروى عنه امضه وقال
الضحاك اعلم واصل الصدع الشق والفرق اي فرق بالقران بين الحق والباطل امر النبي صلى الله
عليه وسلم في هذه الاية باظهار الدعوة وتبليغ الرسالة الى من ارسل اليهم قال عبد الله بن عبيدة
ما زال النبي صلى الله عليه وسلم مستخفيا حتى نزلت هذه الاية فخرج هو واصحابه واعرض عن
المشركين اي كف عنهم ولا تلتفت الى لومهم على اظهار دينك وتبليغ رسالة ربك وقيل اعرض
عن الاهتمام باستهزايهم وقوله تعالى انا كفيناك المستهزين واكثر المفسرين على ان هذا الاعراض
منسوخ باية القتال وقال بعضهم ما للنسخ وجه لان معنى الاعراض ترك المبالاة بهم والالتفات
اليهم فلا يكون منسوخا وقوله تعالى انا كفيناك المستهزين يقول الله عز وجل لنبيه محمد صلى الله

عليه وسلم فاصدع بما امرتك به ولا تخف احدا غيري فاني انا كافيك وحافظك ممن عاداك كما
كفيناك المستهزئين وكانوا خمسة نفر من روسا قريش كانوا يستهزئون بالنبي صلى الله عليه وسلم
وبالقران وهم الوليد بن المغيرة المخزومي وكان راسهم والعاصي بن وايل السهمي والاسود بن المطلب
ابن الحارث بن اسد بن عبد العزى وابو زمعة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد دعا عليه فقال
اللهم اعم بصره واثكله بولده والاسود بن عبد يغوث بن وهب بن عبد مناف بن زهرة والحارث
ابن قيس بن الطلاطلة كذا ذكره البغوي وقال ابن الجوزي الحارث بن قيس بن غيطلة قال الزهري
غيطلة امه وقيس ابوه فهو منسوب الى امه قال المفسرون ان جبريل عليه السلام اتى رسول
الله صلى الله عليه وسلم والمستهزئون يطوفون بالبيت فقام جبريل وقام رسول الله صلى الله
عليه وسلم الى جنبه فمر به الوليد بن المغيرة فقال جبريل يا محمد كيف تجد هذا فقال بيس عبد
الله فقال قد كفيته واوما الى ساق الوليد فمر الوليد برجل من خزاعة نبال يريش نبالا له وعليه
برد يمان وهو يجر ازاره فتعلقت شظية من النبل بازار الوليد فمنعه الكبر ان يطاطي راسه
فينزعها وجعلت تضرب في ساقه فخدشته فمرض منها ومات ومر بهما العاص بن وايل السهمي
فقال جبريل كيف تجد هذا يا محمد فقال بيس عبد الله فاشار جبريل الى اخمص قدميه وقال
قد كفيته فخرج العاص على راحلته يتنزه ومعه ابناه فنزل شعبا من تلك الشعاب فوطي
على شبرقة فدخلت منها شوكة في اخمص رجله فقال لدغت فطلبوا فلم يجدوا شيا وانتفخت
رجله حتى صارت مثل عنق البعير فمات مكانه ومر بهما الاسود بن المطلب فقال جبريل كيف
تجد هذا يا محمد فقال عبد سو فاشار جبريل بيده الى عينيه وقال قد كفيته فعمي قال ابن
عباس رماه جبريل بورقة خضرا فذهب بصره ووجعت عينه فجعل يضرب براسه الجدار
حتى هلك وفي رواية الكلبي قال اتاه جبريل وهو قاعد في اصل شجرة ومعه غلام له وفي رواية
فجعل ينطح راسه بالشجرة ويضرب وجهه بالشوك فاستغاث بغلامه فقال له غلامه
ما ارى احدا يصنع بك شيا غير نفسك حتى مات وهو يقول قتلني رب محمد ومر بهما الاسود
ابن عبد يغوث فقال جبريل كيف تجد هذا يا محمد فقال بيس عبد الله على انه خالي فقال جبريل
قد كفيته واشار الى بطنه فاستسقى بطنه فمات وفي رواية الكلبي انه خرج من اهله
فاصابه سموم فاسود حتى صار حبشيا فاتى اهله فلم يعرفوه واغلقوا دونه الباب فمات
وهو يقول قتلني رب محمد ومر بهما الحارث بن قيس فقال جبريل كيف تجد هذا يا محمد قال
عبد سو فاوما جبريل الى راسه وقال قد كفيته فامتخط قيحا فقتله وقال ابن عباس انه
اكل حوتا مالحا فاصابه العطش فلم يزل يشرب الما حتى انقد بطنه فمات فذلك قوله تعالى
انا كفيناك المستهزئين يعني بك وبالقران الذين يجعلون مع الله الها اخر فسوف يعلمون
يعني اذا نزل بهم العذاب ففيه وعيد وتهديد قوله تعالى ولقد نعلم انك يضيق صدرك

بما يقولون يعني بسبب ما يقولون وهو ما كانوا يسمعونه من الاستهزا به والقول الفاحش
والجبلة البشرية تابى ذلك فيحصل عند سماع ذلك ضيق الصدر فعند ذلك امره بالتسبيح
والعبادة وهو قوله تعالى فسبح بحمد ربك قال ابن عباس فصل بامر ربك وكن من الساجدين
يعني من المتواضعين لله وقال الضحاك فسبح بحمد ربك قل سبحان الله وبحمده وكن من الساجدين
يعني من المصلين روي ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا حزبه امر فزع الى الصلاة قال بعض
العارفين من المحققين السبب في زوال الحزن عن القلب اذا اتى العبد بهذه العبادات
انه يتنور باطنه ويشرق قلبه ويتفسح وينشرح صدره فعند ذلك يعرف قدر الدنيا وحقارتها
فلا يلتفت اليها ولا يتاسف على فواتها فيزول الهم والغم والحزن عن قلبه وقال بعض العلما
اذا نزل بالعبد مكروه ففزع الى الصلاة كانه يقول يا رب انما يجب على عبادتك سوا اعطيتني
ما احب وكفيتني ما اكره فانا عبدك وبين يديك فافعل بي ما تشا واعبد ربك حتى ياتيك
اليقين يعني الموت الموقن به الذي لا يشك فيه احد والمعنى واعبد ربك في جميع اوقاتك ومدة
حياتك حتى ياتيك الموت وانت في عبادة ربك وهذا مثل قوله تعالى في سورة مريم واوصاني
بالصلاة والزكاة ما دمت حيا روى البغوي بسنده عن جبير بن نفير قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم ما اوحى الله الي ان اجمع المال واكون من التاجرين ولكن اوحى الي ان سبح بحمد
ربك وكن من الساجدين واعبد ربك حتى ياتيك اليقين وعن عمر قال نظر رسول الله صلى الله
عليه وسلم الى مصعب بن عمير مقبلا وعليه اهاب كبش قد تنطق به فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم انظروا الى هذا الذي نور الله قلبه لقد رايته بين ابويه يغذوانه باطيب الطعام
والشراب ولقد رايت عليه حلة شراها او قال شريت له بمايتي درهم فدعاه حب الله وحب رسوله
الى ما ترون ذكره البغوي بغير سند والله اعلم بمراده واسرار كتابه تفسير سورة النحل مكية
الا قوله تعالى وان عاقبتم فعاقبوا الى اخر السورة فانها نزلت بالمدينة في قتل حمزة قاله
ابن عباس وفي رواية اخرى عنه انها مكية غير ثلاث ايات نزلت بالمدينة وهي قوله ولا تشتروا
بعهد الله ثمنا قليلا الى قوله يعلمون وقال قتادة هي مكية الا خمس ايات وهي قوله والذين
هاجروا في الله من بعد ما ظلموا وقوله ثم ان ربك للذين هاجروا من بعد ما فتنوا وقوله وان
عاقبتم الى اخر السورة زاد مقاتل قوله من كفر بالله من بعد ايمانه الاية وضرب الله مثلا قرية
كانت امنة مطمينة الاية وقيل كان يقال لسورة النحل سورة النعم لكثرة تعداد النعم فيها
وهي مائة وثمان وعشرون اية والفان وثمانماية واربعون كلمة وسبعة الاف وستمائة وسبعة
احرف بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل اتى امر الله جا ودنا وقرب امر الله تقول العرب
اتاك الامر وهو متوقع المجي بعد وجاء اتى ومعنى الاية اتى امر الله وعدا فلا تستعجلوه يعني
وقوعا والمراد به مجي القيامة قال ابن عباس لما نزل قوله تعالى اقتربت الساعة قال الكفار

بعضهم لبعض ان هذا الرجل يزعم ان القيامة قد قربت فامسكوا عن بعض ما كنتم تعملون
حتى تنظروا ما هو كاين فلما راوا انه لا ينزل شيا قالوا ما نرى شيا فنزل قوله اقترب للناس
حسابهم فاشفقوا فلما امتدت الايام قالوا يا محمد ما نرى شيا مما تخوفنا به فنزل اتى امر الله
فوثب النبي صلى الله عليه وسلم ورفع الناس رؤسهم وظنوا انها قد اتت حقيقة فنزل فلا تستعجلوه
فاطمانوا والاستعجال طلب مجي الشي قبل وقته ولما نزلت هذه الاية قال النبي صلى الله
عليه وسلم بعثت انا والساعة كهاتين ويشير باصبعيه يمدهما اخرجاه في الصحيحين
من حديث سهل بن سعد ق عن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثت انا والساعة
كهاتين كفضل احديهما على الاخرى وضم السبابة والوسطى وفي رواية بعثت في نفس الساعة
فسبقتها كفضل هذه على الاخرى قال ابن عباس كان مبعث النبي صلى الله عليه وسلم من اشراط
الساعة ولما مر جبريل باهل السموات مبعوثا الى محمد صلى الله عليه وسلم قالوا الله اكبر
قامت الساعة وقال قوم المراد بالامر هنا عقوبة المكذبين وهو العذاب بالقتل بالسيف وذلك
ان النضر بن الحارث قال اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السما او
ايتنا بعذاب اليم فاستعجل العذاب فنزلت هذه الاية وقتل النضر يوم بدر صبرا سبحانه
وتعالى عما يشركون يعني تنزه الله وتعاظم بالاوصاف الحميدة عما يصفه به المشركون قوله تعالى
ينزل الملايكة بالروح يعني بالوحي من امره وانما سمي الوحي روحا لانه به تحيى القلوب من موت الجهالات
قال عطا بالنبوة وقال قتادة بالرحمة وقيل الروح هو جبريل والبا بمعنى مع يعني ينزل
الملايكة مع الروح وهو جبريل على من يشا من عباده يعني على من يصطفيه من عباده للنبوة
والرسالة وتبليغ الوحي الى الخلق ان انذروا يعني بان اعلموا انه لا اله الا انا فاتقون اي فخافون
وقيل معناه مروهم بقول لا اله الا الله منذرين يعني مخوفين بالقران خلق السموات والارض بالحق
تعالى عما يشركون تقدم تفسيره خلق الانسان من نطفة فاذا هو خصيم مبين يعني انه جدل
بالباطل بين الخصومة قيل نزلت في ابي بن خلف الجمحي وكان ينكر البعث فجا بعظم رميم
الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال اتزعم ان الله يحيي هذا العظم بعد ما رم فنزلت فيه هذه الاية
ونزل فيه ايضا قوله من يحيي العظام وهي رميم والصحيح ان الاية عامة في كل ما يقع فيه الخصومة
في الدنيا ويوم القيامة وحملها على العموم اولى وفيها بيان القدرة وان خلق الانسان من نطفة
قذرة فصار جبارا كثير الخصومة وفيها كشف عن قبيح ما فعله الكفار من جحدهم نعم الله تعالى
مع ظهورها عليهم قوله عز وجل والانعام خلقها لكم لما ذكر الله عز وجل انه خلق السموات والارض
ثم اتبعه بذكر خلق الانسان ذكر بعده ما ينتفع به في ساير ضروراته ولما كان اعظم
ضرورات الانسان الى الاكل واللباس اللذين يقوم بهما بدن الانسان بدا بذكر الحيوانات
المنتفع به في ذلك وهو الانعام فقال تعالى والانعام خلقها وهي الابل والبقر والغنم قال

الواحدي

الواحدي تم الكلام عند قوله والانعام خلقها فقال تعالى لكم فيها دف قال ويجوز ايضا ان يكون
تمام الكلام عند قوله لكم ثم ابتدا فقال فيها دف قال صاحب النظم احسن الوجهين ان يكون الوقف
عند قوله خلقها ثم يبتدي بقوله لكم فيها دف والدليل عليه انه عطف عليه قوله ولكم فيها جمال
والتقدير لكم فيها دف ولكم فيها جمال ولما كان منافع هذه الانعام منها ضرورية ومنها غير ضرورية
بدا الله تعالى بذكر المنافع الضرورية فقال تعالى لكم فيها دف وهو ما يستدفا به من اللباس
والاكسية ونحوها المتخذة من الاصواف والاوبار والاشعار الحاصلة من النعم ومنافع
يعني النسل والدر والركوب والحمل عليها وساير ما ينتفع به من الانعام ومنها تاكلون يعني
من لحومها فان قلت قوله ومنها تاكلون يفيد الحصر لان تقديم الظرف موذن بالاختصاص وقد
يوكل من غيرها قلت الاكل من هذه الانعام هو الذي يعتمده الناس في معايشهم واما الاكل
من غيرها كالدجاج والبط والوز وصيد البر والبحر فغير معتد به في الاغلب واكله يجري مجرى
التفكه به فخرج ومنها تاكلون مخرج الاغلب في الاكل من هذه الانعام فان قلت منفعة
الاكل مقدمة على منفعة اللباس فلم اخر منفعة الاكل وقدم منفعة اللباس قلت منفعة اللباس
اكثر واعظم من منفعة الاكل فلهذا قدم على الاكل وقوله تعالى ولكم فيها اي في الانعام جمال اي زينة
حين تريحون وحين تسرحون الاراحة رد الابل بالعشي الى مراحها حيث تاوي اليه بالليل ويقال سرح
القوم ابلهم تسريحا اذا اخرجوها بالغداة الى المرعى قال اهل اللغة واكثر ما تكون هذه الاراحة
ايام الربيع اذا سقط الغيث ونبت العشب والكلا وخرجت العرب للنجعة واحسن ما تكون
النعم في ذلك الوقت فمن الله تعالى بالتجمل بها كما من بالانتفاع بها لانه من اغراض اصحاب
المواشي بل هو من معظمها لان الرعاة اذا سرحوا النعم بالغداة الى المرعى وروحوها بالعشي الى
الافنية والبيوت سمع للابل رغا وللشا ثغا يجاوب بعضها بعضا فعند ذلك يفرح اربابها بها
وتتجمل بها الافنية والبيوت ويعظم وقعها عند الناس فان قلت لم قدمت الاراحة على التسريح
قلت لان الجمال في الاراحة وهو رجوعها الى البيوت اكثر منها وقت التسريح لان النعم تقبل
من المرعى ملا البطون حافلة الضروع فيفرح اهلها بها بخلاف تسريحها الى المرعى فانها تخرج
جايعة البطون ضامرة الضروع من اللبن ثم تاخذ في التفرق والانتشار للرعي في البرية
فثبت بهذا البيان ان التجمل في الاراحة اكثر منه في التسريح فوجب تقديمه وقوله تعالى وتحمل
اثقالكم الاثقال جمع ثقل وهو متاع المسافر وما يحتاج اليه من الات السفر الى بلد يعني غير
بلدكم قال ابن عباس يريد من مكة الى اليمن والى الشام وانما قال ابن عباس هذا القول لانه خطاب
لاهل مكة واكثر تجارتهم واسفارهم الى اليمن والشام وحمله على العموم اولى لانه خطاب عام
فدخول الكافة فيه اولى من تخصيصه ببعض المخاطبين لم تكونوا بالغيه يعني بالغي ذلك
البلد الذي تقصدونه الا بشق الانفس يعني بالمشقة والجهد والعنا والتعب والشق نصف الشي

والمعنى على هذا لم تكونوا بالغيه الا بنقصان قوة النفس وذهاب نصفها ان ربكم لرؤف
يعني بخلقه حيث خلق لهم هذه المنافع رحيم يعني بهم قوله تعالى والخيل والبغال والحمير
لتركبوها هذه الاية عطف على ما قبلها والمعنى وخلق هذه الحيوانات لاجل ان تركبوها والخيل
اسم جنس لا واحد له من لفظه كالابل والرهط والنسا وزينة يعني وجعلها زينة مع المنافع
التي فيها فصل احتج بهذه الاية من يرى تحريم لحوم الخيل وهو قول ابن عباس وتلا هذه
الاية وقال هذه للركوب واليه ذهب الحكم ومالك وابو حنيفة واستدلوا ايضا بان
منفعة الاكل اعظم من منفعة الركوب فلو كان اكل لحوم الخيل جايزا لكان هذا المعنى اولى بالذكر
فلما لم يذكره الله علمنا تحريم اكله لان الله خص الانعام بالاكل حيث قال ومنها تاكلون وخص
هذه بالركوب فقال لتركبوها فعلمنا انها مخلوقة للركوب لا للاكل وذهب جماعة من اهل
العلم الى اباحة لحوم الخيل وهو قول الحسن وشريح وعطا وسعيد بن جبير واليه ذهب الشافعي
واحمد واسحاق واحتجوا على اباحة لحوم الخيل بما روي عن اسما بنت ابي بكر الصديق انها قالت
نحرنا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فرسا فاكلناه وفي رواية قالت ذبحنا على عهد رسول
الله صلى الله عليه وسلم فرسا ونحن بالمدينة فاكلناه اخرجه البخاري ومسلم ق عن جابر ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم نهى عن لحوم الحمر الاهلية واذن في الخيل وفي رواية قال اكلنا زمن خيبر
الخيل وحمر الوحش ونهانا النبي صلى الله عليه وسلم عن الحمار الاهلي هذه رواية البخاري ومسلم
وفي رواية ابي داود قال ذبحنا يوم خيبر الخيل والبغال والحمير وكنا قد اصابتنا مخمصة
فنهانا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن البغال والحمير ولم ينهنا عن الخيل واجاب من اباح لحوم
الخيل عن هذه الاية بان ذكر الركوب والزينة لا يدل على ان منفعتها مختصة بذلك وانما خص
هذان المنفعتان بالذكر لانهما معظم المقصود قالوا ولهذا سكت عن حمل الاثقال على الخيل مع
قوله في الانعام وتحمل اثقالكم ولم يلزم من هذا التحريم حمل الاثقال على الخيل وقال البغوي ليس
المراد من الاية بيان التحليل والتحريم بل المراد منها تعريف الله عباده نعمه وتنبيههم على كمال قدرته
وحكمته والدليل الصحيح المعتمد عليه في اباحة لحوم الخيل ان السنة مبينة للكتاب ولما كان
نص الاية يقتضي ان الخيل والبغال والحمير مخلوقة للركوب والزينة وكان الاكل مسكوتا عنه
دار الامر فيه على الاباحة والتحريم فوردت السنة باباحة لحوم الخيل وتحريم لحوم البغال
والحمير اخذنا به جمعا بين النصين والله اعلم وقوله تعالى ويخلق ما لا تعلمون لما ذكر الله تعالى الحيوانات
التي ينتفع بها الانسان في جميع حالاته وضروراته على سبيل التفصيل ذكر بعدها ما لا ينتفع
به الانسان في الغالب على سبيل الاجمال لان مخلوقات الله عز وجل في البر والبحر والسموات اكثر
من ان تحصر او يحيط بها عقل احد وفهمه فلهذا ذكره على الاجمال وقال بعضهم ويخلق ما لا
تعلمون يعني مما اعد الله لاهل الجنة في الجنة ولاهل النار في النار مما لا عين رأته ولا اذن سمعت

ولا خطر

ولا خطر على قلب بشر وقال قتادة في قوله ويخلق ما لا تعلمون يعني السوس في النبات
والدود في الفواكه قوله تعالى وعلى الله قصد السبيل القصد استقامة الطريق يقال طريق
قصد وقاصد اذا اداك الى مطلوبك وفي الاية حذف تقديره وعلى الله بيان قصد السبيل
وهو بيان طريق الهدى من الضلالة وقيل معناه وعلى الله بيان طريق الحق بالايات والبراهين
ومنها جاير يعني ومن السبيل سبيل جاير عن الاستقامة بل هو معوج فالقصد من السبيل هو دين
الاسلام والجاير منها اليهودية والنصرانية وسائر ملل الكفر قال جابر بن عبد الله قصد السبيل
بيان الشرايع والفرايض وقال عبد الله بن المبارك وسهل بن عبد الله قصد السبيل السنة ومنها
جاير الاهوا والبدع ولو شا لهداكم اجمعين فيه دليل على ان الله تعالى ما شا هداية الكفار
وما اراد منهم الايمان لان كلمة لو تفيد انتفا الشي لانتفا غيره فقوله ولو شا لهداكم
معناه ولو شا هدايتكم لهداكم اجمعين وذلك يفيد انه تعالى ما شا هدايتهم فلا جرم ما هداهم
قوله عز وجل هو الذي انزل من السما ما لما ذكر الله تعالى نعمته على عباده بخلق الحيوانات لاجل
الانتفاع والزينة عقبه بذكر انزال المطر من السما وهو من اعظم النعم على العباد فقال هو
الذي انزل يعني والله الذي خلق جميع الاشيا هو الذي انزل من السما ما يعني المطر لكم منه يعني من
ذلك الما شراب يعني تشربونه ومنه يعني ومن ذلك الما شجر الشجر في اللغة ماله ساق من نبات
الارض ونقل الواحدي عن اهل اللغة انهم قالوا الشجر اصناف فاما جل الشجر فعظامه التي تبقى
على الشتا واما دق الشجر فصنفان احدهما تبقى له ارومة في الشتا وينبت في الربيع ومنها ما لا ينبت
له ساق كالبقول وقال ابو اسحاق كل ما ينبت على الارض فهو شجر وانشد يطعمها اللحم اذا عز
الشجر اراد انهم يسقون الخيل اللبن اذا اجدبت الارض وقال ابن قتيبة في هذه الاية يعني
الكلا ومعنى الاية انه ينبت بالما الذي انزل من السما ما ترعى الراعية من ورق الشجر لان الابل
ترعى كل الشجر فيه يعني في الشجر تسيمون يعني ترعون مواشيكم يقال اسمت السايمة اذا خليتها ترعى
وسامت هي اذا رعت حيث شاءت ينبت لكم اي ينبت الله لكم وقرى ننبت على التعظيم لكم به
اي بذلك الما الزرع والزيتون والنخيل والاعناب ومن كل الثمرات لما ذكر الله في الحيوان تفصيلا
واجمالا ذكر في الثمار تفصيلا واجمالا فابتدا بذكر الزرع وهو الحب الذي يقتات به كالحنطة والشعير
وما اشبه ذلك لان به قوام بدن الانسان وثنى بذكر الزيتون لما فيه من الادم والدهن والبركة
فيه وثلث بذكر النخيل لان ثمرها غذا وفاكهة وختم بذكر الاعناب لانه يشبه النخلة
في المنفعة من التفكه والتغذية ثم ذكر ساير الثمرات اجمالا لينبه بذلك على عظيم قدرته وجزيل
نعمته على عباده ثم قال تعالى ان في ذلك يعني الذي ذكر من انواع الثمار لاية يعني علامة دالة على
قدرتنا ووحدانيتنا لقوم يتفكرون يعني فيما ذكر من دلايل قدرته ووحدانيته وسخر لكم الليل والنهار
والشمس والقمر والنجوم تقدم تفسيره في سورة الاعراف مسخرات يعني مذللات مقهورات تحت قهره

وارادته وفيه رد على الفلاسفة والمنجمين لانهم يعتقدون ان هذه النجوم مسخرات في نفسها مذللات **بامره** يعني لامر لها معمورات تحت قهره يصرفها كيف يشا ويختار وانها ليس لها تصرف في نفسها فضلا عن غيرها ولما ذكر الله انه خلق هذه النجوم وجعلها مسخرة لمنافع عباده ختم هذه الاية بقوله **ان في ذلك لايات لقوم يعقلون** يعني ان كل من كان له عقل سليم صحيح علم ان الله تعالى هو الفاعل المختار وان جميع الخلق تحت قدرته وقهره وتسخيره لما اراده منهم **وما ذرا لكم في الارض** يعني وما خلق لكم في الارض وسخرها لاجلكم من الدواب والانعام والاشجار والثمار **مختلفا الوانه** يعني في الخلقة والهيئة والكيفية واختلاف الوان المخلوقات مع كثرتها حتى لا يشبه بعضها بعضا من كل الوجوه دليل قاطع على كمال قدرة الله ولذلك ختم هذه الاية بقوله **ان في ذلك لاية لقوم يذكرون** يعني فيعتبرون بذلك قوله تعالى **وهو الذي سخر البحر** لما ذكر الله تعالى الدلايل الدالة على قدرته ووحدانيته من خلق السموات والارض وخلق الانسان من نطفة وخلق ساير الحيوانات والنبات وتسخير الشمس والقمر والنجوم وغير ذلك من اثار قدرته وعجايب صنعته وذكر انعامه في ذلك على عباده ذكر بعد ذلك انعامه على عباده بتسخير البحر لهم نعمة من الله عليهم ومعنى تسخير الله البحر لعباده جعله بحيث يتمكن الناس من الانتفاع به اما بالركوب عليه او بالغوص فيه او الصيد منه فذكر هذه الثلاثة اقسام من انواع الانتفاع به فقال تعالى وهو الذي سخر البحر **لتاكلوا منه لحما طريا** فبدا بذكر الاكل لانه اعظم المقصود لانه به قوام البدن وفي ذكر الطري مزيد فايدة دالة على قدرة الله تعالى وذلك ان السمك لو كان كله مالحا لما عرف به من قدرة الله تعالى ما يعرف بالطري لانه لما خرج من البحر الملح الزعاق الحيوان الطري الذي لحمه في غاية العذوبة علم انه انما حدث بخلق الله وقدرته لا بحسب الطبع وعلم بذلك ان الله قادر على اخراج الضد من الضد المنفعة الثانية قوله تعالى **وتستخرجون منه حلية تلبسونها** يعني اللولو والمرجان كما قال تعالى يخرج منهما اللولو والمرجان والمراد بلبسهم لبس نسايهم لانه زينة النسا بالحلي وانما هو لاجل الرجال فكان ذلك زينة لهم المنفعة الثالثة قوله **وترى الفلك** يعني السفن **مواخر فيه** يعني جواري قال قتادة مقبلة ومدبرة وذلك انك ترى سفينتين احداهما تقبل والاخرى تدبر تجريان بريح واحدة واصل المخر في اللغة الشق يقال مخرت السفينة مخرا اذا شقت الما بحرجوها وقال مجاهد تمخر الرياح السفن يعني انها اذا جرت يسمع لها صوت قال ابو عبيدة يعني صوايح والمخر صوت هبوب الريح عند شدتها وقال الحسن مواخر يعني مواقر اي مملوة متاعا **ولتبتغوا من فضله** يعني الارباح بالتجارة في البحر **ولعلكم تشكرون** يعني انعام الله عليكم اذا رايتم صنع الله فيما سخره لكم **والقى في الارض رواسي** يعني جبالا ثابتة **ان تميد بكم** يعني ليلا تميل وتضطرب بكم والميد هو اضطراب الشي العظيم كالارض وقال وهب لما خلق الله الارض جعلت تمور وتتحرك فقالت الملايكة ان هذه غير مقرة احدا على ظهرها فاصبحوا

وقد ارسيت بالجبال فلم تدر الملايكة مم خلقت الجبال **وانهارا** يعني وجعل فيها انهارا لان في القى معنى الجعل فقوله تعالى وانهارا معطوف على والقى ولما ذكر الله الجبال ذكر بعدها الانهار لان معظم عيون الانهار واصولها تكون من الجبال **وسبلا** يعني وجعل فيها طرقا مختلفة تسلكونها في اسفاركم والتردد في حوايجكم من بلد الى بلد ومن مكان الى مكان **لعلكم تهتدون** يعني بتلك السبل الى ما تريدون **وعلامات** يعني وجعل فيها علامات تهتدون بها في اسفاركم قال بعضهم تم الكلام عند قوله وعلامات ثم ابتدا **وبالنجم هم يهتدون** وقال محمد بن كعب والكلبي اراد بالعلامات الجبال فالجبال علامات النهار والنجوم علامات الليل وقال مجاهد اراد بالكل النجوم فمنها ما يكون علامات ومنها ما يهتدى به وقال السدي اراد بالنجوم الثريا وبنات نعش والفرقدين والجدي فهذه يهتدى بها الى الطريق والقبلة قال قتادة انما خلق الله النجوم لثلاثة اشيا لتكون زينة السما ومعالم الطرق ورجوما للشياطين فمن قال غير هذا فقد تكلف ما لا علم له به قوله عز وجل **افمن يخلق كمن لا يخلق** لما ذكر الله عز وجل من عجايب قدرته وغرايب صنعته وبديع خلقه ما ذكر على الوجه الاحسن والترتيب الاحكم وكانت هذه الاشيا المخلوقة المذكورة في الايات المتقدمة كلها دالة على كمال قدرة الله تعالى ووحدانيته وانه تعالى هو المنفرد بخلقها جميعا قال على سبيل الانكار على من ترك عبادته واشتغل بعبادة هذه الاصنام التي لا تضر ولا تنفع ولا تقدر على شي افمن يخلق يعني هذه الاشيا الموجودة المرئية بالعيان وهو الله تعالى الخالق لها كمن لا يخلق يعني هذه الاصنام العاجزة التي لا تخلق شيا البتة لانها جمادات لا تقدر على شي فكيف يليق بالعاقل ان يشتغل بعبادتها او يترك عبادة من يستحق العبادة وهو الله خالق هذه الاشيا كلها ولهذا المعنى ختم هذه الاية بقوله **افلا تذكرون** يعني ان هذا القدر ظاهر غير خاف على احد فلا يحتاج فيه الى دقيق الفكر والنظر بل مجرد التذكر فيه كفاية لمن فهم وعقل واعتبر بما ذكر بقي في الاية سوالان الاول قوله كمن لا يخلق المراد به الاصنام وهي جماد لا تعقل فكيف يعبر عنها بلفظ من وهي لمن يعقل والجواب عنه ان الكفار لما سموا هذه الاصنام الهة وعبدوها اجريت مجرى من يعقل في زعمهم الا ترى الى قوله بعد هذه والذين يدعون من دون الله لا يخلقون شيا وهم يخلقون فخاطبهم على قدر زعمهم وعقولهم السوال الثاني قوله افمن يخلق كمن لا يخلق المقصود منه الزام الحجة على من عبد الاصنام حيث جعل غير الخالق مثل الخالق فكيف قال على سبيل الاستفهام افمن يخلق كمن لا يخلق والجواب عنه ليس المراد منه الاستفهام بل المراد منه ان من خلق الاشيا العظيمة واعطى هذه النعم الجزيلة كيف يسوى بينه وبين هذه الجمادات الخسيسة في التسمية والعبادة وكيف يليق بالعاقل ترك عبادة من يستحق العبادة لانه خالق هذه الاشيا الظاهرة كلها ويشتغل بعبادة جمادات لا تخلق شيا البتة والله اعلم وقوله تعالى **وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها** يعني ان نعم الله على العبد فيما خلق فيه من صحة البدن وعافية الجسم واعطاه النظر الصحيح والعقل السليم والسمع الذي يفهم به الاشيا وبطش اليدين

وسعى الرجلين الى غير ذلك مما انعم به عليه في نفسه وفيما انعم الله به عليه مما خلق له من
جميع ما يحتاج اليه من امر الدين والدنيا حتى لو رام احد معرفة ادنى نعمة من هذه النعم لعجز عن
معرفتها وحصرها فكيف بنعمه العظام التي لا يمكن الوصول الى حصرها لجميع الخلق فذلك قوله
وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها يعني ولو اجتهدتم في ذلك واتعبتم نفوسكم فلا تقدروا عليه
ان الله لغفور يعني لتقصيركم في القيام بشكر نعمه كما يجب عليكم رحيم يعني بكم حيث وسع عليكم
النعم ولم يقطعها عنكم بسبب التقصير والمعاصي ~~رحيم يعني بكم حيث~~ والله يعلم ما تسرون
وما تعلنون يعني ان الكفار مع كفرهم كانوا يسرون اشيا وهو ما كانوا يمكرون بالنبي صلى الله عليه
وسلم وما يعلنون يعني وما يظهرون من اذاه فاخبرهم الله انه عالم بكل احوالهم سرها وعلانيتها
لا يخفى عليه خافية وان دقت وخفيت وقيل ان الله تعالى لما ذكر الاصنام وذكر عجزها في الاية
المتقدمة ذكر في هذه الاية ان الاله الذي يستحق العبادة يجب ان يكون عالما بكل المعلومات
سرها وعلانيتها وهذه الاصنام ليست كذلك فلا تستحق العبادة ثم وصف الله هذه الاصنام
بصفات فقال تعالى والذين تدعون من دون الله يعني الاصنام تدعونها الهة من دون الله لا يخلقون
شيا وهم يخلقون فان قلت قوله في الاية المتقدمة افمن يخلق كمن لا يخلق يدل على ان هذه الاصنام
لا تخلق شيا وقوله هنا لا يخلقون شيا وهم يخلقون وهذا هو نفس المعنى المذكور في تلك الاية
فما فايدة هذا التكرار قلت فايدته ان المعنى المذكور في الاية المتقدمة انهم لا يخلقون شيا فقط
والمذكور في هذه الاية انهم لا يخلقون شيا وانهم مخلوقون كغيرهم فكان هذا زيادة في المعنى وهو فايدة
التكرار اموات اي جمادات ميتة لا حياة فيها غير احيا يعني كغيرها والمعنى لو كانت هذه الاصنام
الهة كما تزعمون لكانت احيا غير جايز عليها الموت لان الاله الذي يستحق ان يعبد هو الحي الذي لا يموت
ولما كانت هذه اموات غير احيا فلا تستحق العبادة فمن عبدها فقد وضع العبادة في غير موضعها
وما يشعرون يعني هذه الاصنام ايان يبعثون يعني متى يبعثون وفيه دليل على ان الاصنام يجعل
فيها الحياة وتبعث يوم القيمة حتى تتبرا من عابديها وقيل معناه ما يدري الكفار الذين عبدوا
الاصنام متى يبعثون قوله تعالى الهكم اله واحد يعني ان الذي يستحق العبادة هو اله واحد وهذه
الاصنام متعددة فكيف تستحق العبادة فالذين لا يؤمنون بالاخرة قلوبهم منكرة يعني جاحدة
لهذا المعنى وهم مستكبرون يعني عن اتباع الحق لان الحق اذا تبين كان تركه تكبرا لا جرم يعني حقا
ان الله يعلم ما يسرون وما يعلنون انه لا يحب المستكبرين يعني عن اتباع الحق م عن ابن مسعود ان النبي
صلى الله عليه وسلم قال لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر فقال رجل ان الرجل يحب
ان يكون ثوبه حسنا ونعله حسنة قال ان الله جميل يحب الجمال الكبر بطر الحق وغمط الناس قوله
بطر الحق هو ان يجعل ما جعله الله حقا من توحيده وعبادته باطلا وهذا على قول من جعل اصل
البطر من الباطل ومن جعله من الحيرة فمعناه يتحير عند سماع الحق فلا يقبله ولا يجعله حقا وقيل البطر

التكبر

التكبر يعني انه يتكبر عن سماع الحق فلا يقبله وقوله وغمط الناس يقال غمطت حق فلان اذا احتقرته
ولم تره شيا وكذا معنى غمصته اذا انتقصت به وازدريته قوله عز وجل واذا قيل لهم يعني لهولا
الذين لا يؤمنون بالاخرة وهم كفار مكة الذين اقتسموا عقابها وطرقها اذا سالهم الحاج الذين
يقدمون عليهم ماذا انزل ربكم قالوا اساطير الاولين يعني احاديثهم واباطيلهم ليحملوا اوزارهم
كاملة يوم القيامة اللام في ليحملوا لام العاقبة وذلك انهم لما وصفوا القران بكونه اساطير الاولين
كان عاقبتهم بذلك ان يحملوا اوزارهم يعني ذنوب انفسهم وانما قال كاملة لان البلايا التي اصابتهم
في الدنيا واعمال البر التي عملوها في الدنيا لا تكفر عنهم شيا يوم القيامة بل يعاقبون بكل اوزارهم
قال الامام فخر الدين الرازي وهذا يدل على انه تعالى قد يسقط بعض العقاب عن المومنين
اذ لو كان هذا المعنى حاصلا في حق الكل لم يكن لتخصيص هولا الكفار بهذا التكميل فايدة وقوله
تعالى ومن اوزار الذين يضلونهم بغير علم يعني ويحصل للروسا الذين اضلوا غيرهم وصدوهم عن الايمان
مثل اوزار الاتباع والسبب فيه ما روى عن ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من دعا الى هدى كان
له من الاجر مثل اجور من تبعه لا ينقص ذلك من اجورهم شيا ومن دعا الى ضلالة كان عليه من الاثم
مثل اثام من تبعه لا ينقص ذلك من اثامهم شيا اخرجه مسلم ومعنى الاية والحديث ان الرييس
والكبير اذا سن سنة حسنة او سنة قبيحة فتبعه عليها جماعة فعملوا بها فان الله تعالى يعظم
ثوابه او عقابه حتى يكون ذلك الثواب والعقاب مساويا لكل ما يستحقه كل واحد من الاتباع الذين
عملوا بسنته الحسنة او القبيحة وليس المراد ان الله تعالى يوصل جميع الثواب والعقاب
الذي يستحقه الاتباع الى الروسا لان ذلك ليس بعدل الله ويدل عليه قوله تعالى ولا تزر
وازرة وزر اخرى وقوله تعالى وان ليس للانسان الا ما سعى قال الواحدي ولفظة من
في قوله ومن اوزار الذين يضلونهم بغير علم ليست للتبعيض لانها لو كانت للتبعيض لنقص
عن الاتباع بعض الاوزار وذلك غير جايز لقوله عليه السلام لا ينقص ذلك من اثامهم شيا
لكنها للجنس اي ليحملوا من جنس اوزار الاتباع وقوله بغير علم يعني ان الروسا انما يقدمون
على اضلال غيرهم بغير علم بما يستحقونه من العقاب على ذلك الاضلال بل يقدمون على ذلك
جهلا منهم بما يستحقونه من العذاب الشديد الا ساء ما يزرون يعني الا بيس ما يحملون ففيه
وعيد وتهديد قوله تعالى قد مكر الذين من قبلهم يعني من قبل كفار قريش وهو نمرود بن كنعان الجبار
وكان اكبر ملوك الارض في زمن ابراهيم صلى الله عليه وسلم وكان من مكره انه بنى صرحا ببابل ليصعد
الى السما ويقاتل اهلها في زعمه قال ابن عباس ووهب كان طول الصرح في السما خمسة الاف ذراع وقال
كعب ومقاتل كان طوله فرسخين فهبت ريح فقصفته والقت راسه في البحر وخر عليهم الباقي
فاهلكهم وهم تحته ولما سقط تبلبلت السنة الناس من الفزع فتكلموا يوميذ بثلاثة وسبعين لسانا
فلذلك سميت بابل وكان لسان الناس قبل ذلك السريانية قلت هكذا ذكره البغوي في هذا نظر لان صالحا

عليه السلام كان قبلهم وكان يتكلم بالعربية وكان اهل اليمن عربا منهم جرهم الذين نشا اسماعيل
بينهم وتعلم منهم العربية وكان قبايل من العرب قديمة قبل ابراهيم مثل طسم وجديس ولام كل
هولا عرب فتكلموا في قديم الزمان بالعربية ويدل على صحة هذا قوله ولا تبرجن تبرج الجاهلية الاولى
والله اعلم وقيل حمل قوله قد مكر الذين من قبلهم على العموم اولى فتكون الاية عامة في جميع الماكرين المبطلين
الذين يحاولون الحاق الضرر والمكر بالغير وقوله فاتى الله بنيانهم من القواعد يعني قصد تخريب
بنيانهم من اصوله وذلك بان اتاهم بريح فضعضعت بنيانهم من اعلاه واتاهم بزلزلة قلعت بنيانهم
من قواعده واساسه هذا اذا حملنا تفسير الاية على القول الاول وهو ظاهر اللفظ وان حملنا
تفسير الاية على القول الثاني وهو حملها على العموم كان المعنى انهم لما رتبوا منصوبات ليمكروا بها
على انبيا الله واهل الحق من عباده فاهلكهم الله تعالى وجعل هلاكهم مثل هلاك قوم بنوا بنيانا وثيقا
شديدا ودعموه بالاساطين فانهدم ذلك البنيان وسقط عليهم فاهلكهم فهو مثل ضربه الله لمن
مكر باخر فاهلكه الله بمكره ومنه المثل الساير على السنة الناس من حفر بيرا لاخيه اوقعه الله فيه
وقوله تعالى فخر عليهم السقف من فوقهم يعني سقط عليهم السقف فاهلكهم وقوله من فوقهم للتاكيد
لان السقف لا يخر الا من فوقهم وقيل يحتمل انهم لم يكونوا تحت السقف عند سقوطه فلما قال من
فوقهم علم انهم كانوا تحته وانه لما خر عليهم اهلكهم وماتوا تحته واتاهم العذاب من حيث لا يشعرون
يعني من مامنهم وذلك انهم لما اعتمدوا على قوة بنيانهم وشدته كان ذلك البنيان سبب هلاكهم
ثم يوم القيمة يخزيهم يعني يهينهم بالعذاب وفيه اشعار بان العذاب يحصل لهم في الدنيا وفي
الاخرة لان الخزي هو العذاب مع الهوان ويقول يعني ويقول الله لهم يوم القيمة اين شركاي يعني في زعمكم
واعتقادكم الذين كنتم تشاقون فيهم يعني كنتم تعادون وتخالفون المومنين وتخاصمونهم في شانهم
لان المشاقة عبارة عن كون كل واحد من الخصمين في شق غير شق صاحبه والمعنى ما لهم لا يحضرون
معكم ليدفعوا عنكم ما نزل بكم من العذاب والهوان قال الذين اوتوا العلم يعني المومنين وقيل الملايكة
ان الخزي يعني الهوان اليوم يعني في هذا اليوم وهو يوم القيامة والسو يعني العذاب على الكافرين وانما
يقول المومنون هذا يوم القيمة لان الكفار لما كانوا يستهزون بالمومنين في الدنيا وينكرون عليهم احوالهم
فاذا كان يوم القيمة ظهر الحق واكرموا بانواع الكرامات واهين اهل الباطل وعذبوا بانواع العذاب
فعند ذلك يقول المومنون ان الخزي اليوم والسو على الكافرين وفايدة هذا القول اظهار الشماتة
بهم فيكون اعظم في الهوان والخزي الذين تتوفاهم الملايكة تقبض ارواحهم وهم ملك الموت واعوانه
ظالمي انفسهم يعني بالكفر فالقوا السلم يعني انهم استسلموا وانقادوا لامر الله الذي نزل بهم وقالوا
ما كنا نعمل من سو يعني شركا وانما قالوا ذلك من شدة الخوف بلى ان الله عليم بما كنتم تعملون يعني فلا فايدة
لكم في انكاركم وقال عكرمة عني بذلك من قتل من الكفار يوم بدر فادخلوا اي فيقال لهم ادخلوا ابواب
جهنم خالدين فيها يعني مقيمين فيها لا يخرجون منها وانما قال ذلك لهم ليكون اعظم في الحزن والغم وفيه

دليل على ان الكفار بعضهم اشد عذابا من بعض فلبيس مثوى المتكبرين يعني عن الايمان وقوله عز وجل
وقيل للذين اتقوا ماذا انزل ربكم قالوا خيرا وذلك ان احيا العرب كانوا يبعثون الى مكة ايام الموسم
من ياتيهم بخبر النبي صلى الله عليه وسلم فاذا جا الوافد سال الذين كانوا يقعدون على طرقات مكة من الكفار
فيقولون هو ساحر كاهن شاعر كذاب مجنون واذا لم تلقه خير لك فيقول الوافد انا شر وافد ان رجعت
الى قومي دون ان ادخل مكة والقاه فيدخل مكة فيرى اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فيسالهم عنه
فيخبرونه بصدقه وامانته وانه نبي مبعوث من الله عز وجل فذلك قوله وقيل للذين اتقوا يعني
اتقوا الشرك وقول الزور والكذب ماذا انزل ربكم قالوا خيرا يعني انزل خيرا فان قلت لم رفع الاول
وهو قوله قالوا اساطير الاولين ونصب الثاني وهو قوله قالوا خيرا قلت ليحصل الفرق بين الجوابين
جواب المنكر الجاحد وجواب المقر المومن وذلك انهم سالوا الكفار عن المنزل على النبي صلى الله عليه وسلم
عدلوا بالجواب عن السوال فقالوا هو اساطير الاولين وليس هو من الانزال في شي لانهم لم يعتقدوا
كونه منزلا ولما سالوا المومنين عن المنزل على النبي صلى الله عليه وسلم لم يتلعثموا واطبقوا الجواب على
السوال بينا مكشوفا مفعولا للانزال فقالوا خيرا اي انزل خيرا وتم الكلام عند قوله خيرا فهو وقف
تام ثم ابتدا فقال تعالى للذين احسنوا في هذه الدنيا حسنة يعني للذين اتوا بالاعمال الصالحة
الحسنة لهم ثوابها حسنة مضاعفة من الواحدة الى العشر الى السبع مائة الى اضعاف
كثيرة وقال الضحاك هي النصر والفتح وقال مجاهد هي الرزق الحسن فعلى هذا يكون معنى الاية
للذين احسنوا ثواب احسانهم في هذه الدنيا حسنة وهي النصر والفتح والرزق الحسن وغير ذلك
مما انعم الله به على عباده في الدنيا ويدل على صحة هذا التاويل قوله ولدار الاخرة خير يعني ما لهم
في الاخرة مما اعد الله لهم في الجنة خير مما حصل لهم في الدنيا ولنعم دار المتقين يعني الجنة وقال
الحسن هي الدنيا لان اهل التقوى يتزودون فيها الى الاخرة والقول الاول اولى وهو قول جمهور
المفسرين لان الله فسر هذه الدار بقوله جنات عدن يعني بساتين اقامة من قولهم عدن بالمكان
اذا اقام به يدخلونها يعني تلك الجنان لا يرحلون عنها ولا يخرجون منها تجري من تحتها الانهار
يعني تجري الانهار في هذه الجنان تحت دورها وقصورهم ومساكنهم لهم فيها يعني في الجنان
ما يشاون يعني مما تشتهي الانفس وتلذ الاعين مع زيادات غير ذلك وهذه الحالة لا تحصل لاحد
الا في الجنة لان قوله لهم فيها ما يشاون يفيد الحصر وذلك يدل على ان الانسان لا يجد كلما يريد في الدنيا
كذلك يجزي الله المتقين اي هكذا يكون جزا المتقين ثم عاد الى وصف المتقين فقال تعالى الذين
تتوفاهم الملايكة طيبين يعني مومنين طاهرين من الشرك قال مجاهد زاكية اقوالهم وافعالهم
وقيل ان قوله طيبين كلمة جامعة لكل معنى حسن فيدخل فيه انهم اتوا بكل ما امروا به من فعل الخيرات
والطاعات واجتنبوا كل ما نهوا عنه من المكروهات والمحرمات مع الاخلاق الحسنة والخصال الحميدة
والمباعدة من الاخلاق المذمومة والخصال المكروهة وقيل معناه ان ذواتهم تكون طيبة سهلة

لانهم يبشرون عند قبض ارواحهم بالرضوان والجنة والكرامة فيحصل لهم عند ذلك الفرح
والسرور والابتهاج فيسهل عليهم قبض ارواحهم ويطيب لهم الموت على هذه الحالة يقولون
لهم يعني الملايكة سلام عليكم تسلم عليهم الملايكة او تبلغهم السلام من الله ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون
يعني في الدنيا من الاعمال الصالحة فان قلت كيف الجمع بين قوله تعالى ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون
وبين قوله صلى الله عليه وسلم لن يدخل احدًا منكم عمله الجنة قالوا ولا انت يا رسول الله قال ولا انا
الا ان يتغمدني الله بفضل منه ورحمة اخرجاه في الصحيحين من حديث ابي هريرة قلت قال
الشيخ محيي الدين النواوي رحمه الله في شرح مسلم اعلم ان مذهب اهل السنة انه لا يثبت بالعقل
ثواب ولا عقاب ولا ايجاب ولا تحريم ولا غير ذلك من انواع التكليف ولا تثبت هذه الاشيا
كلها ولا غيرها الا بالشرع ومذهب اهل السنة ايضا ان الله تعالى لا يجب عليه شي بل العالم ملكه
والدنيا والاخرة في سلطانه يفعل فيهما ما يشا فلو عذب المطيعين والصالحين اجمعين وادخلهم
النار كان ذلك عدلا منه واذا اكرمهم ورحمهم وادخلهم الجنة فهو فضل منه ولو نعم الكافرين وادخلهم
الجنة كان ذلك له ولكنه تعالى اخبر وخبره صدق انه لا يفعل هذا بل يغفر للمومنين ويدخلهم الجنة برحمته
ويعذب الكافرين ويدخلهم النار عدلا منه واما المعتزلة فيثبتون الاحكام بالعقل ويوجبون
ثواب الاعمال ويوجبون الاصلح في خبط طويل لهم تعالى الله عن اختراعاتهم الباطلة المنابذة
لنصوص الشرع وفي ظاهر هذا الحديث دلالة لاهل الحق انه لا يستحق احد الثواب والجنة بطاعته
واما قوله تعالى ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون وتلك الجنة التي اورثتموها بما كنتم تعملون
ونحوها من الايات التي تدل على ان الاعمال يدخل بها الجنة فلا تعارض بينها وبين هذا الحديث
بل معنى الايات ان دخول الجنة بسبب الاعمال ثم التوفيق للاعمال والهداية للاخلاص فيها
وقبولها برحمة الله تعالى وفضله فيصح انه لم يدخل بمجرد العمل وهو مراد الحديث ويصح انه
دخل بالاعمال اي بسببها وهي من الرحمة والله اعلم قوله تعالى هل ينظرون يعني هولا الذين
اشركوا بالله وجحدوا نبوتك يا محمد الا ان تاتيهم الملايكة يعني لقبض ارواحهم او ياتي امر ربك
يعني بالعذاب في الدنيا وهو عذاب الاستيصال وقيل المراد به يوم القيمة كذلك فعل الذين
من قبلهم يعني من الكفر والتكذيب وما ظلمهم الله يعني بتعذيبه اياهم ولكن كانوا انفسهم
يظلمون يعني باكتسابهم الكفر والاعمال القبيحة الخبيثة فاصابهم سيات ما عملوا يعني
فاصابهم عقوبات ما اكتسبوا من الاعمال الخبيثة وحاق بهم ما كانوا به يستهزون والمعنى
ونزل بهم جزا استهزايهم وقال الذين اشركوا لو شا الله ما عبدنا من دونه من شي نحن ولا اباونا
يعني ان مشركي مكة قالوا هذا على طريق الاستهزا والحاصل انهم تمسكوا بهذا القول في انكار
النبوة فقالوا لو شا الله منا الايمان لحصل جيتنا ولم تجي واذا كان كذلك فالكل من الله فلا
فايدة في بعثة الرسل الى الامم والجواب عن هذا انهم لما قالوا ان الكل من الله فكان بعثة

الرسل

الرسل عبثا هذا اعتراض على الله تعالى وهو جار مجرى طلب العلة في احكام الله وفي افعاله
وهو باطل لان الله تعالى يفعل ما يشا ويحكم ما يريد فلا اعتراض لاحد عليه في احكامه
وافعاله ولا يجوز لاحد ان يقول له لم فعلت هذا ولم لم تفعل هذا وكان في حكم الله تعالى
وسنته في عباده ارسال الرسل اليهم ليامروهم بعبادة الله وينهوهم عن عبادة غيره
وان الهداية والاضلال اليه فمن هداه فهو المهتدي ومن اضل فهو الضال وهذه سنة الله
في عباده انه يامر الكل بالايمان به وينهاهم عن الكفر ثم انه تعالى يهدي من يشا الى الايمان
ويضل من يشا فلا اعتراض لاحد عليه ولما كانت سنة الله قديمة ببعثة الرسل الى
الامم الكافرة المكذبة كان قول هولا لو شا الله ما عبدنا من دونه من شي نحن ولا اباونا
جهلا منهم لانهم اعتقدوا ان كون الامر كذلك يمنع من جواز بعثة الرسل وهذا الاعتقاد
باطل فلا جرم استحقوا عليه الذم والوعيد واما قوله ولا حرمنا من دونه من شي يعني الوصيلة
والسايبة والحامي والمعنى فلولا ان الله رضيها لنا لغير ذلك ولهدانا الى غيرها كذلك فعل
الذين من قبلهم يعني ان من تقدم هولا من كفار الامم الماضية كانوا على هذه الطريقة وعلى
هذا الفعل الخبيث فانكار بعثة الرسل كان قديما في الامم الخالية فهل على الرسل الا
البلاغ المبين يعني ليس اليهم هداية احد انما عليهم تبليغ ما ارسلوا به الى من ارسلوا اليه
ولقد بعثنا في كل امة رسولا يعني كما بعثنا فيكم محمدا صلى الله عليه وسلم رسولا ان اعبدوا الله
واجتنبوا الطاغوت يعني ان الرسل كانوا يامرون قومهم بان يعبدوا الله وان يجتنبوا عبادة الطاغوت
وهو كل معبود يعبد من دون الله فمنهم يعني فمن الامم الذين جاتهم الرسل من هدى الله يعني هداه
الله الى دينه والايمان به وتصديق رسله ومنهم من حقت عليه الضلالة يعني ومن الامم
من وجب عليهم الضلالة بالقضا السابق في الازل حتى مات على الكفر والضلال وفي هذه
الاية ابين دليل على ان الهادي والمضل هو الله تعالى لانه المتصرف في عباده فيهدي من يشا
ويضل من يشا لا اعتراض لاحد عليه فيما حكم به في سابق علمه فسيروا في الارض فانظروا كيف
كان عاقبة المكذبين يعني فسيروا في الارض معتبرين متفكرين لتعرفوا مال امر من كذب الرسل
وهو خراب منازلهم بالعذاب والهلاك ولتعرفوا ان العذاب نازل بكم ان اصررتم على الكفر
والتكذيب كما نزل بهم قوله عز وجل ان تحرص على هداهم الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم يعني
ان تحرص يا محمد على هدى هولا وايمانهم وتجتهد كل الجهد فان الله لا يهدي من يضل قرئ بفتح
اليا وكسر الدال يعني لا يهدي الله من اضله وقيل معناه لا يهتدي من اضله الله وقرئ بضم اليا
وفتح الدال ومعناه من اضله الله فلا هادي له وما لهم من ناصرين يعني مانعين يمنعونهم من العذاب
واقسموا بالله جهد ايمانهم قال ابن الجوزي سبب نزولها ان رجلا من المسلمين كان له على رجل من
المشركين دين فاتاه يتقاضاه فكان فيما يتكلم المسلم والذي ارجوه بعد الموت فقال المشرك

وانك لتزعم انك تبعث بعد الموت فاقسم بالله ان لا يبعث الله من يموت فنزلت هذه الاية
قاله ابو العالية وتقرير الشبهة التي حصلت للمشركين في انكار البعث بعد الموت ان الانسان
ليس هو الا هذه البنية المخصوصة فاذا مات وتفرقت اجزاوه وبلي امتنع عوده بعينه لان
الشي اذا عدم فقد فني ولم يبق له ذات ولا حقيقة بعد فنايه وعدمه فهذا هو اصل
شبهتهم ومعتقدهم في انكار البعث بعد الموت فذلك قوله واقسموا بالله جهد ايمانهم لا يبعث
الله من يموت فرد الله عليهم ذلك واكذبهم في قولهم فقال تعالى بلى يعني بلى يبعثهم بعد الموت
لان لفظة بلى اثبات لما بعد النفي والجواب عن شبهتهم ان الله خلق الانسان واوجده من
العدم ولم يكن شيا فالذي اوجده بقدرته ثم اعدمه قادر على ايجاده بعد اعدامه لان النشاة
الثانية اهون من الاولى وعدا عليه حقا يعني ان الذي وعد به من البعث بعد الموت وعدا
حقا لا خلف فيه ولكن اكثر الناس لا يعلمون يعني لا يفهمون كيف يكون ذلك العود والله سبحانه
وتعالى قادر على كل شي ليبين لهم الذي يختلفون فيه يعني من امر البعث ويظهر لهم الحق الذي
لا خلف فيه وليعلم الذين كفروا انهم كانوا كاذبين يعني في قولهم لا بعث بعد الموت انما
قولنا لشي اذا اردناه ان نقول له كن فيكون يعني ان الله تعالى اذا اراد ان يحيي الموتى ويبعثهم
للحساب والجزا فلا تعب عليه في احيايهم وبعثهم انما يقول للشي اراده كن فيكون على ما اراد
الله لانه القادر الذي لا يعجزه شي اراده خ عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول الله تبارك وتعالى شتمني ابن ادم وما ينبغي ان يشتمني ويكذبني وما ينبغي له اما شتمه
اياي فيقول اتخذ ولدا واما تكذيبه فقوله ليس يعيدني كما بداني وفي رواية كذبني ابن ادم
ولم يكن له ذلك وشتمني ولم يكن له ذلك فاما تكذيبه اياي فقوله لن يعيدني كما بداني وليس اول
الخلق باهون علي من اعادته واما شتمه اياي فقوله اتخذ الله ولدا وانا الاحد الصمد الذي
لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد قوله تعالى والذين هاجروا في الله من بعد ما ظلموا يعني اوذوا
وعذبوا نزلت في بلال وصهيب وخباب وعابس وجبير وابي جندل بن سهل اخذهم
المشركون بمكة فجعلوا يعذبونهم ليرجعوا عن الاسلام الى الكفر وهم المستضعفون فاما بلال
فكان اصحابه يخرجون الى بطحا مكة في شدة الحر ويشدونه ويجعلون على صدره الحجارة وهو
يقول احد احد فاشتراه منهم ابو بكر الصديق واعتقه واشترى معه ستة نفر اخر واما صهيب
فقال لهم اني رجل كبير ان كنت معكم فلا انفعكم وان كنت عليكم فلا اضركم فاشترى نفسه بماله
فباعوه منه فمر به ابو بكر الصديق فقال يا صهيب ربح البيع واما باقيهم فاعطوهم بعض
ما يريدون فخلوا عنهم وقال قتادة هم اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ظلمهم اهل مكة
فاخرجوهم من ديارهم حتى لحق طايفة بالحبشة ثم بواهم الله بالمدينة بعد ذلك فجعلها
لهم دار هجرة فهاجروا اليها وجعل لهم انصارا من المومنين فاووهم ونصروهم وواسوهم وهذه

الاية

الاية تدل على فضل المهاجرين وفضل الهجرة وفيه دليل على ان الهجرة اذا لم تكن لله
خالصة لم يكن لها موقع وكانت بمنزلة الانتقال من بلد الى بلد اخر ومنه حديث الاعمال
بالنيات وفيه فمن كانت هجرته الى الله ورسوله فهجرته الى الله ورسوله ومن كانت هجرته
الى دنيا يصيبها او امراة ينكحها فهجرته الى ما هاجر اليه اخرجاه في الصحيحين من رواية
عمر بن الخطاب وقوله تعالى لنبوينهم في الدنيا حسنة يعني لنبوينهم تبوية حسنة وهو انه
تعالى انزلهم المدينة وجعلها لهم دار هجرة والمعنى لنبوينهم في الدنيا دارا حسنة او بلدة
حسنة وهي المدينة روي ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان اذا اعطى الرجل من المهاجرين
عطاه يقول له خذ بارك الله فيه هذا ما وعدك الله في الدنيا وما ذخر لك في الاخرة افضل
ثم يقرا هذه الاية وقيل معناه لنحسنن اليهم في الدنيا بان نفتح لهم مكة ونمكنهم من اهلها
الذين ظلموهم واخرجوهم منها ثم ننصرهم على العرب قاطبة وعلى اهل المشرق والمغرب
وقيل المراد بالحسنة في الدنيا التوفيق والهداية الى الدين ولاجر الاخرة اكبر يعني اعظم وافضل
واشرف مما اعطاهم في الدنيا لو كانوا يعلمون قيل الضمير يرجع الى الكفار لان المومنين يعلمون
ما لهم في الاخرة والمعنى لو كان هولا الكفار يعلمون ان اجر الاخرة اكبر مما هم فيه من نعيم الدنيا
لرغبوا فيه وقيل انه راجع الى المهاجرين والمعنى لو كانوا يعلمون ما اعد الله في الاخرة لزادوا في
الجد والاجتهاد والصبر على ما اصابهم من اذى المشركين الذين صبروا يعني في الله على ما نالهم
من الاذى والمكروه فهو صفة مدح يعني صبروا على العذاب ومفارقة الوطن وعلى الجهاد
وبذل الانفس والاموال في سبيل الله وعلى ربهم يتوكلون يعني في امورهم كلها قال بعضهم ذكر
الله الصبر والتوكل في هذه الاية وهما مبدا السلوك الى الله تعالى ومنتهاه اما الصبر فهو
قهر النفس وحبسها على اعمال البر وساير الطاعات واحتمال الاذى من الخلق والصبر عن
الشهوات المباحات والمحرمات والصبر على المصايب واما التوكل فالانقطاع عن الخلق
بالكلية والتوجه الى الحق تعالى بالكلية فالاول هو مبدا السلوك الى الله والثاني هو اخر الطريق
ومنتهاه قوله عز وجل وما ارسلنا من قبلك الا رجالا نوحي اليهم نزلت هذه الاية جوابا لمشركي
مكة حيث انكروا نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وقالوا الله اعظم واجل من ان يكون رسوله بشرا فهلا
بعث ملكا الينا فاجابهم الله عز وجل بقوله وما ارسلنا من قبلك يا محمد الا رجالا يعني
مثلك يوحى اليهم والمعنى ان عادة الله عز وجل جارية من اول ابتدا الخلق انه لم يبعث الا رجالا
من البشر فهذه عادة مستمرة وسنة جارية قديمة فاسالوا اهل الذكر يعني اهل الكتاب
وهم اليهود والنصارى وانما امرهم الله بسوال اهل الكتاب لان كفار مكة كانوا يعتقدون
ان اهل الكتاب اهل علم وقد ارسل الله اليهم رسلا منهم مثل موسى وعيسى وغيرهم من الرسل
وكانوا بشرا مثلهم فاذا سالوهم فلا بد ان يخبروهم بان الرسل الذين ارسلوا اليهم كانوا بشرا

فاذا اخبروهم بذلك زالت الشبهة عن قلوبهم ان كنتم لا تعلمون الخطاب لاهل مكة يعني
ان كنتم يا هولا لا تعلمون ذلك بالبينات والزبر اختلفوا في المعنى الجالب لهذه البا فقيل المعنى وما
ارسلنا من قبلك الا رجالا نوحي اليهم ارسلناهم بالبينات والزبر وقيل الذكر بمعنى العلم في قوله
فاسالوا اهل الذكر يعني اهل العلم والمعنى فاسالوا اهل الذكر الذي هو العلم بالبينات
والزبر ان كنتم لا تعلمون انتم ذلك والبينات والزبر لفظ جامع لكل ما يتكامل به امر الرسالة
لان مدار امر الرسول على المعجزات الدالة على صدقه وهي البينات وعلى بيان الشرايع والتكاليف
وهي المراد بالزبر يعني الكتب المنزلة على الرسل من الله عز وجل وانزلنا اليك الذكر الخطاب للنبي
صلى الله عليه وسلم يعني وانزلنا عليك يا محمد الذكر الذي هو القران وانما سماه ذكرا لان فيه
مواعظ وتنبيها للغافلين لتبين للناس ما نزل اليهم يعني ما اجمل من احكام القران وبيان الكتاب
يطلب من السنة والمبين لذلك المجمل هو الرسول صلى الله عليه وسلم ولهذا قال بعضهم متى وقع
تعارض بين القران والحديث وجب تقديم الحديث لان القران مجمل والحديث مبين بدلالة هذه
الاية والمبين مقدم على المجمل وقال بعضهم القران منه محكم ومنه متشابه فالمحكم يجب
ان يكون مبينا والمتشابه هو المجمل ويطلب بيانه من السنة فقوله لتبين للناس ما نزل اليهم
محمول على ما اجمل فيه دون المحكم المبين المفسر ولعلهم يتفكرون يعني فيما انزل اليهم فيعملوا به
افامن الذين مكروا السيات فيه اضمار تقديره المكرات السيات وهم كفار قريش مكروا برسول
الله صلى الله عليه وسلم وباصحابه وبالغوا في اذيتهم والمكر عبارة عن السعي بالفساد على سبيل
الاخفا وقيل المراد بهذا المكر اشتغالهم بعبادة غير الله فيكون مكرهم على انفسهم والصحيح
ان المراد بهذا المكر السعي في اذى رسول الله صلى الله عليه وسلم والمومنين وقيل المراد بالذين
مكروا السيات نمروذ ومن هو مثله والصحيح ان المراد بهم كفار مكة ان يخسف الله بهم الارض يعني كما
خسف بقارون من قبلهم او ياتيهم العذاب من حيث لا يشعرون يعني ان العذاب ياتيهم بغتة فيهلكهم
فجاة كما اهلك قوم لوط وغيرهم او ياخذهم في تقلبهم يعني في تصرفهم في الاسفار فانه تعالى قادر
على اهلاكهم في الحضر وقال ابن عباس ياخذهم في اختلافهم وقال ابن جريج في اقبالهم وادبارهم يعني
انه تعالى قادر على ان ياخذهم في ليلهم ونهارهم وفي جميع احوالهم فما هم بمعجزين يعني بسابقين
الله ويفوتونه بل هو قادر عليهم او ياخذهم على تخوف قال ابن عباس ومجاهد على تنقص
قال ابن قتيبة التخوف التنقص ومثله التخون يقال تخونه الدهر وتخوفه اذا انتقصه
واخذ ماله وحشمه ويقال هذه لغة هذيل فعلى هذا القول يكون المراد به انه ينقص من
اطرافهم ونواحيهم الشي بعد الشي حتى يهلك جميعهم وقيل هو على اصله من الخوف فيحتمل
انه تعالى لا ياخذهم بالعذاب اولا بل يخيفهم ثم يعذبهم بعد ذلك وقال الضحاك والكلبي
هو من الخوف يعني طايفة فيتخوف الاخرى ان يصيبهم مثل ما اصابهم والحاصل انه تعالى

خوفهم بخسف يحصل في الارض او بعذاب ينزل من السما او بافات تحدث دفعة او بافات
تحدث قليلا قليلا الى ان ياتي الهلاك على اخرهم ثم انه تعالى ختم الاية بقوله فان ربكم لرووف رحيم
يعني انه تعالى لا يعاجل بالعقوبة والعذاب قوله تعالى اولم يروا قرى بالتا على خطاب الحاضرين
وبالياء على الغيبة الى ما خلق الله من شي يعني من جسم قايم له ظل وهذه الروية لما كانت بمعنى
النظر وصلت بالى لان المراد منها الاعتبار والاعتبار لا يكون الا بنفس الروية التي يكون معها نظر
الى الشي ليتامل احواله ويتفكر فيه ويعتبر تتفيا ظلاله يعني تميل وتدور من جانب الى جانب فهي في
اول النهار على حال ثم تتقلص ثم تعود في اخر النهار الى حالة اخرى ويقال للظل بالعشي في لانه من
فا يفي اذا رجع من المغرب الى المشرق والفي الرجوع قال الازهري تفيو الظلال رجوعها بعد انتصاف
النهار فالفي لا يكون الا بالعشي وما انصرفت عنه الشمس والظل يكون بالغداة وهو ما لم تنله
الشمس وقوله ظلاله جمع ظل وانما اضاف الظلال وهو جمع الى مفرد وهو قوله من شي لانه يراد
به الكثرة ومعناه الاضافة الى ذوي الظلال عن اليمين والشمايل قال العلما اذا طلعت الشمس
من المشرق وانت متوجه الى القبلة كان ظلك عن يمينك فاذا ارتفعت الشمس واستوت في وسط
السما كان ظلك خلفك فاذا مالت الشمس الى الغروب كان ظلك عن يسارك وقال قتادة والضحاك
اما اليمين فاول النهار واما الشمال فاخر النهار وانما وحد اليمين وان كان المراد به الجمع للايجاز
والاقتصار في اللفظ وقيل اليمين راجعة الى لفظ الشي وهو واحد والشمايل راجع الى المعنى
لان لفظ الشي يراد به الجمع سجدا لله في معنى هذا السجود قولان احدهما ان المراد به الاستسلام
والانقياد والخضوع يقال سجد البعير اذا طاطا راسه وسجدت النخلة اذا مالت لكثرة الحمل
والمعنى ان جميع الاشيا التي لها ظلال فهي منقادة لله تعالى مستسلمة لامره غير ممتنعة عليه
فيما سخرها له من التفيو وغيره وقال مجاهد اذا زالت الشمس سجد كل شي لله والقول الثاني في
معنى هذا السجود ان الظلال واقعة على الارض ملتصقة بها كالساجد على الارض فلما كانت
الظلال يشبه شكلها شكل الساجد اطلق الله عليها هذا اللفظ وقيل ظل كل ساجد لله
سوا كان ذلك الشي يسجد لله او لا ويقال ان ظل الكافر ساجد لله وهو غير ساجد لله
وهم داخرون اي صاغرون اذلا والداخر الصاغر الذي يفعل ما تامره به شا ام ابى وذلك
ان جميع الاشيا منقادة لامر الله تعالى فان قلت الظلال ليست من العقلا فكيف عبر عنها
بلفظ من يعقل وجمعها بالواو والنون قلت لما وصفها الله تعالى بالطاعة والانقياد لامره
وذلك صفة من يعقل عبر عنها بلفظ من يعقل وجاز جمعها بالواو والنون وهو جمع
العقلا قوله عز وجل ولله يسجد ما في السموت وما في الارض من دابة السجود على نوعين سجود
طاعة وعبادة كسجود المسلم لله عز وجل وسجود انقياد وخضوع كسجود الظلال فقوله
ولله يسجد ما في السموت وما في الارض من دابة يحتمل النوعين لان سجود كل شي بحسبه فسجود

المسلمين والملايكة لله سجود عبادة وطاعة وسجود غيرهم سجود انقياد وخضوع وانى بلفظ ما في قوله ما في السموات وما في الارض للتغليب لان من لا يعقل اكثر ممن يعقل في العدد والحكم للاغلب كتغليب المذكر على المونث ولانه لو اتى بمن التي هي للعقلا لم يكن فيها دلالة بل كانت متناولة للعقلا خاصة فاتى بلفظ ما ليشمل الكل ولفظة الدابة مشتق من الدبيب وهو عبارة عن الحركة الجسمانية فالدابة اسم يقع على كل حيوان جسماني يتحرك ويدب فيدخل فيه الانسان لانه مما يدب على الارض ولهذا افرد الملايكة في قوله والملايكة لانهم اولوا اجنحة يطيرون بها وافردهم بالذكر وان كانوا في جملة من في السموات لشرفهم وقيل اراد ولله يسجد ما في السموات من الملايكة وما في الارض من دابة فسجود الملايكة والمسلمين للطاعة وسجود غيرهم تذللها وتسخيرها لما خلقت له او سجود ما لا يعقل والجمادات يدل على قدرة الصانع سبحانه وتعالى فيدعو العاقلين الى السجود لله عند التامل والتدبر **وهم لا يستكبرون** يعني الملايكة **يخافون ربهم من فوقهم** هو كقوله وهو القاهر فوق عباده وقد تقدم تفسيره **ويفعلون ما يومرون** عن ابي ذر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني ارى ما لا ترون واسمع ما لا تسمعون اطت السما وحق لها ان تيط ما فيها موضع اربع اصابع الا وملك واضع جبهته ساجدا لله لو تعلمون ما اعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا وما تلذذتم بالنسا على الفرش ولخرجتم الى الصعدات تجارون الى الله قال ابو ذر لوددت اني كنت شجرة تعضد اخرجه الترمذي وقال وقد روي عن ابي ذر موقوفا **فصل** وهذه السجدة من عزايم سجود القران فيسن للقاري والمستمع ان يسجد عند قراتها وسماعها قوله تعالى **وقال الله لا تتخذوا الهين اثنين** لما اخبر الله عز وجل في الاية المتقدمة ان كل ما في السموات والارض خاضعون له منقادون لامره عابدون له وانهم في ملكه وتحت قدرته وقبضته نهى في هذه الاية عن الشرك وعن اتخاذ الهين اثنين فقال وقال الله لا تتخذوا الهين اثنين قال الزجاج ذكر الاثنين توكيدا لقوله الهين وقال صاحب النظم فيه تقديم وتاخير تقديره لا تتخذوا اثنين الهين يعني ان الاثنين لا يكون كل واحد منهما الها ولكن اتخذوا الها واحدا وهو قوله **انما هو اله واحد** لان الالهين لا يكونان متساويين في الوجود والقدم وصفات الكمال والقدرة والارادة فصارت الاثنينية منافية للالهية فلذلك قوله انما هو اله واحد يعني لا يجوز ان يكون في الوجود الهين اثنين انما هو اله واحد **فاياي فارهبون** يعني فخافون والرهبة مخافة مع حزن واضطراب وانما نقل الكلام عن الغيبة الى الخطاب الحضور وهو من طريقة الالتفات لانه ابلغ في الترهيب من قوله فاياه فارهبوه فهو من بديع الكلام وبليغه وقوله فاياي فارهبون يفيد الحصر وهو ان لا يرهب الخلق الا منه ولا يرغبون الا اليه والى كرمه وفضله واحسانه **وله ما في السموات والارض** لما ثبت بالدليل الصحيح والبرهان الواضح ان اله العالم لا شريك له في الالهية وجب ان يكون جميع المخلوقات عبيدا له

وفي ملكه

٢٥٩

وفي ملكه وتصرفه وتحت قدرته فذلك قوله وله ما في السموات والارض يعني عبيدا وملكا **وله الدين واصبا** يعني وله العبادة والطاعة واخلاص العمل دايما ثابتا والواصب الدايم قال ابن قتيبة ليس من احد يدان له ويطاع الا انقطع ذلك لسبب في حال الحياة او بالموت الا الحق سبحانه وتعالى فان طاعته واجبة ابدا ولانه المنعم على عباده المالك لهم فكانت طاعته واجبة دايمة ابدا **افغير الله تتقون** يعني انكم عرفتم ان الله واحد لا شريك له في ملكه وعرفتم ان كل ما سواه محتاج اليه فبعد هذه المعرفة كيف تخافون غيره وتتقون سواه فهو استفهام بمعنى التعجب وقيل هو استفهام على طريق الانكار قوله عز وجل **وما بكم من نعمة فمن الله** يعني من نعمة الاسلام وصحة الابدان وسعة في الارزاق وكل ما اعطاكم من مال او ولد فكل ذلك من الله تعالى هو المتفضل به على عباده فيجب عليكم شكره على جميع انعامه ولما بين في الاية المتقدمة انه يجب على جميع العباد ان لا يخافوا الا الله تعالى بين في هذه الاية ان جميع النعم منه فلا يشكر عليها الا اياه لانه هو المتفضل بها على عباده فيجب عليهم شكره عليها **ثم اذا مسكم الضر** اي الشدة والامراض والاسقام **فاليه تجارون** يعني اليه تستغيثون وتصيحون وتضجون بالدعا ليكشف عنكم ما نزل بكم من الضر والشدة واصل الجوار رفع الصوت الشديد ومنه جوار البقرة والمعنى ان النعم لما كانت كلها ابتدا منه فان حصل شدة وضر في بعض الاوقات فلا يفزع الا اليه ولا يدعو الا اياه ليكشفها فانه هو القادر على كشفها وهو قوله تعالى ثم اذا كشف الضر عنكم يعني ثم اذا ازال الشدة والبلا عنكم **اذا فريق منكم** يعني طايفة وجماعة منكم **بربهم يشركون** يعني انهم يضيفون كشف الضر الى العوايد والاسباب ولا يضيفونه الى الله عز وجل فهذا من جملة شركهم الذي كانوا عليه وانما قال منهم فريق لان فريق المومنين لا يرون كشف الضر الا من الله تعالى ثم قال تعالى **ليكفروا بما اتيناهم** قيل ان هذه اللام لام كي ويكون المعنى على هذا انهم انما اشركوا بالله ليجحدوا نعمه عليهم في كشف الضر عنهم وقيل انها لام العاقبة والمعنى عاقبة امرهم هو كفرهم بما اتيناهم من النعما وكشفنا عنهم من الضر والبلا **فتمتعوا** لفظه امر والمراد منه التهديد والوعيد يعني فتعيشوا في اللذة التي انتم فيها الى المدة التي ضربها الله لكم **فسوف تعلمون** يعني عاقبة امركم الى ماذا تصير وهو نزول العذاب بكم قوله تعالى **ويجعلون لما لا يعلمون** قيل الضمير في قوله لما لا يعلمون عايد الى المشركين يعني ان المشركين لا يعلمون وقيل انه عايد الى الاصنام يعني ان الاصنام لا تعلم شيا البتة لانها جماد والجماد لا علم له ومنهم من رجح القول الاول لان نفي العلم عن الحي حقيقة وعن الجماد مجاز فكان عود الضمير الى المشركين اولى لانه قال لما لا يعلمون فجمعهم بالواو والنون وهو جمع لمن يعقل ومنهم من رجح القول الثاني قال لانا اذا قلنا انه عايد الى المشركين احتجنا فيه الى اضمار فيكون المعنى ويجعلون يعني المشركين لما لا يعلمون انه الها ولا له حقا نصيبا واذا قلنا انه عايد الى الاصنام لم يحتج الى هذا الاضمار لانها لا علم لها ولا فهم وقوله **نصيبا مما رزقناهم** يعني ان المشركين جعلوا

للاصنام نصيبًا من حرثهم وانعامهم واموالهم التي رزقهم الله وتقدم تفسيره في سورة الانعام
تالله اقسم بنفسه على نفسه انه يسالهم يوم القيمة وهو قوله لتسئلن عما كنتم تفترون يعني
عما كنتم تكذبون في الدنيا في قولكم ان هذه الاصنام الهة وان لها نصيبًا من اموالهم وهذا التفات
من الغيبة الى الحضور وهو من بديع الكلام وبليغه ويجعلون لله البنات وهم خزاعة وكنانة قالوا
الملائكة بنات الله وانما اطلقوا لفظ البنات على الملائكة لاستتارهم عن العيون كالنساء اولدخول
لفظ التانيث في تسميتهم سبحانه نزه الله نفسه عن الولد والبنات ولهم ما يشتهون يعني ويجعلون
لانفسهم ما يشتهون يعني البنين واذا بشر احدهم بالانثى البشارة عبارة عن الخبر السار الذي
يظهر على بشرة الوجه اثر الفرح به ولما كان الفرح والسرور يوجبان تغير بشرة الوجه فكذلك الحزن
والغم ايضا يظهر اثره على الوجه وهو الكبوة التي تعلو الوجه عند حصول الحزن والغم فثبت
بهذا ان البشارة لفظ مشترك بين الخبر السار والخبر المحزن فصح قوله واذا بشر احدهم بالانثى
ظل وجهه مسودا يعني متغيرا من الغم والحزن والغيظ والكراهة التي حصلت له عند هذه البشارة
والمعنى ان هولا المشركين لا يرضى احدهم بالبنت الانثى ان تنسب اليه فكيف يرضى ان ينسبها الى الله تعالى
ففيه تبكيت لهم وتوبيخ قوله وهو كظيم يعني انه ظل ممتلي حزنا وغما يتوارى من القوم من سوء ما بشر به
يعني انه يختفي من ذلك القوم الذي بشر به وذلك ان العرب كانوا في الجاهلية اذا قربت ولادة زوجة احدهم
توارى عن القوم الى ان يعلم ما ولد له فان ولد له ذكر ابتهج وسر بذلك وظهر وان كانت انثى حزن ولم يظهر
اياما حتى يفكر ما يصنع بها وهو قوله تعالى ايمسكه على هون يعني على هوان وانما ذكر الضمير في ايمسكه
لانه عايد الى ما بشر به في قوله واذا بشر احدهم ام يدسه في التراب يعني ام يخفي ذلك الذي بشر به
في التراب ويئده والدس اخفا الشي في الشي قال اهل التفسير ان مضر وخزاعة وتميما كانوا يدفنون
البنات احيا والسبب في ذلك اما خوف الفقر وكثرة العيال ولزوم النفقة او للحمية فيخاف عليهن
من الاسر ونحوه او لطمع غير الاكفا فيهن فكان الرجل من العرب في الجاهلية اذا ولدت له بنت واراد
ان يستحييها تركها حتى اذا كبرت البسها جبة من صوف او شعر وجعلها ترعى الابل والغنم في البادية
واذا اراد ان يقتلها تركها حتى اذا صارت سداسية قال لامها زينيها حتى اذهب بها الى احمائها
ويكون قد حفر لها حفرة في الصحرا فاذا بلغ بها تلك الحفرة قال لها انظري الى هذه البير فاذا نظرت
اليها دفعها من خلفها في تلك البير ثم يهيل التراب على راسها وكان صعصعة عم الفرزدق اذا احس بشي
من ذلك وجه بابل الى والد البنت حتى يحييها بذلك فقال الفرزدق يفتخر بذلك، وعمي الذي منع
الوائدات، فاحيى الوئيد فلم يوأد، عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
الوائدة والموؤدة في النار اخرجه ابو داود وقوله تعالى الا ساء ما يحكمون يعني بيس ما يقضون حيث
يجعلون لله الذي خلقهم البنات وهم يستنكفون منهن ويجعلون لانفسهم البنين نظيره قوله تعالى
الكم الذكر وله الانثى تلك اذا قسمة ضيزى وقيل معناه الا ساء ما يحكمون في واد البنات للذين

لا يؤمنون بالاخرة مثل السوء يعني صفة السوء من احتياجهم الى الولد وكراهتهم الاناث وقتلهم
خوف الفقر ولله المثل الاعلى اي الصفة العليا المقدسة وهو انه له التوحيد وانه المنزه عن الولد
وانه لا اله الا هو وان له جميع صفات الجلال والكمال من العلم والقدرة والبقا السرمدي وغير ذلك
من الصفات التي وصف الله بها نفسه وقال ابن عباس مثل السوء النار والمثل الاعلى شهادة
ان لا اله الا الله وهو العزيز اي الممتنع في كبريائه وجلاله الحكيم يعني في جميع افعاله قوله عز وجل
ولو يواخذ الله الناس بظلمهم يعني بسبب ظلمهم فيعاجلهم بالعقوبة على ظلمهم وكفرهم وعصيانهم
فان قلت الناس اسم جنس يشمل الكل وقد قال تعالى في اية اخرى فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد
ومنهم سابق بالخيرات فقسمهم في هذه الاية ثلاثة اقسام فجعل الظالمين قسما واحدا من
ثلاثة قلت قوله ولو يواخذ الله الناس بظلمهم عام مخصوص بهذه الاية الاخرى لان في جنس
الناس الانبيا والصالحين ومن لا يطلق عليه اسم الظلم وقيل اراد بالناس الكفار فقط بدليل قوله
ان الشرك لظلم عظيم ما ترك عليها يعني على الارض كناية عن غير مذكور لان الدابة لا تدب الا على الارض
من دابة يعني ان الله تعالى لو يواخذ الناس بظلمهم لاهلك جميع الدواب التي على وجه الارض قال
قتادة وقد فعل الله ذلك في زمن نوح عليه السلام فاهلك من كان على وجه الارض الا من كان في
السفينة مع نوح عليه السلام وروي ان ابا هريرة سمع رجلا يقول ان الظالم لا يضر الا نفسه فقال
بيس ما قلت ان الحبارى تموت هزلا بظلم الظالم وقال ابن مسعود ان الجعل تعذب في جحرها بذنب
ابن ادم وقيل اراد بالدابة الكافر بدليل قوله ان شر الدواب عند الله الذين كفروا وقيل في معنى
الاية ولو يواخذ الله الابا الظالمين بسبب ظلمهم لانقطع النسل ولم يوجد الابنا فلم يبق في
الارض احد ولكن يوخرهم يعني يمهلهم بفضله وكرمه وحلمه الى اجل مسمى يعني الى انتها اجالهم
وانقضا اعمارهم فاذا جا اجلهم لا يستاخرون ساعة ولا يستقدمون يعني لا يوخرون ساعة
عن الاجل الذي جعله لهم ولا ينقصون منه وقيل اراد بالاجل المسمى يوم القيمة والمعنى ولكن
يوخرهم الى يوم القيمة فيعذبهم فلا يستاخرون ساعة عن العذاب ولا يستقدمون ويجعلون لله
ما يكرهون يعني لانفسهم وهن البنات وتصف السنتهم الكذب ان لهم الحسنى يعني ويقولون ان لهم
البنين وذلك انهم قالوا لله البنات ولنا البنين وهذا القول كذب منهم وافترا على الله تعالى وقيل
اراد بالحسنى الجنة والمعنى انهم مع كفرهم وقولهم الكذب يزعمون انهم على الحق وان لهم الجنة وذلك
انهم قالوا ان كان محمد صادقا في البعث بعد الموت فان لنا الجنة لانا على الحق فاكذبهم الله تعالى فقال
لا جرم ان لهم النار يعني في الاخرة لا الجنة وانهم مفرطون قرئ بكسر الراء مع التخفيف يعني مسرفون
وقرئ بكسر الراء مع التشديد يعني مضيعون لامر الله وقراة الجمهور بفتح الراء مع تخفيفها اي
منسيون في النار قاله ابن عباس وقال سعيد بن جبير ومقاتل متروكون وقال قتادة معجلون
الى النار وقال الفرا مقدمون الى النار والفرط المتقدم الى الما قبل القوم ومنه قوله صلى الله عليه وسلم

انا فرطكم على الحوض اى متقدمكم تالله لقد ارسلنا الى امم من قبلك يعنى كما ارسلناك الى هذه
الامة لقد ارسلنا الى امم من قبلك فكان شانهم مع رسلهم التكذيب ففيه تسلية للنبى صلى الله
عليه وسلم فزين لهم الشيطان اعمالهم يعنى اعمالهم الخبيثة من الكفر والتكذيب والمزين فى الحقيقة
هو الله تعالى هذا مذهب اهل السنة وانما جعل الشيطان آلة بالقا الوسوسة فى قلوبهم
وليس له قدرة ان يضل احدا وانما له الوسوسة فقط فمن اراد الله شقاوته سلطه عليه
حتى يقبل وسوسته فهو وليهم اى ناصرهم اليوم ومن كان الشيطان وليه وناصره فهو مخذول
مغلوب مقهور وانما سماه وليا لهم لطاعتهم اياه ولهم عذاب اليم يعنى فى الاخرة وما انزلنا
عليك الكتاب الا لتبين لهم الذى اختلفوا فيه يعنى من امر الدين فتبين لهم الهدى من الضلال
والحق من الباطل والحلال من الحرام وهدى ورحمة يعنى وما انزلنا عليك الكتاب الا بيانا
وهدى ورحمة لقوم يومنون لانهم هم المنتفعون به قوله تعالى والله انزل من السما ماء
يعنى المطر فاحيى به يعنى بالما الارض يعنى بالنبات والزروع بعد موتها يعنى يبسها وجدوبتها
ان فى ذلك لاية يعنى دلالة واضحة على كمال قدرتنا لقوم يسمعون يعنى سماع انصاف وتدبر
وتفكر لان سماع القلوب هو النافع لا سماع الاذان فمن سمع ايات القران بقلبه وتدبرها
وتفكر فيها انتفع ومن لم يسمع بقلبه لم ينتفع بالايات وان لكم فى الانعام لعبرة يعنى اذا
تفكرتم فيها عرفتم كمال قدرتنا نسقيكم مما فى بطونه الضمير عايد الى الانعام فكان حقه ان
يقال مما فى بطونها واختلف النحويون فى الجواب فقيل ان لفظ الانعام مفرد وضع لافادة الجمع
فهو بحسب اللفظ المفرد يكون ضميره ضمير الواحد وهو مذكر وبحسب المعنى يكون ضميره ضمير
الجمع وهو مونث فلهذا المعنى قال هنا مما فى بطونه وقال فى سورة المومنين مما فى بطونها هذا
قول ابى عبيدة والاخفش وقال الكسائى رده الى ما يعنى مما فى بطون ما ذكرنا وقال المورج بن
الكناية مردودة الى البعض وفيه اضمار كانه قال نسقيكم مما فى بطونه اللبن فاضمر اللبن اذ ليس
لكلها لبن من بين فرث وهو ما فى الكرش من الثفل فاذا خرج منها لا يسمى فرثا ودم لبنا خالصا
يعنى من الدم والفرث ليس عليه لون الدم ولا رايحة الفرث قال ابن عباس اذا اكلت الدابة العلف
واستقر فى كرشها وطبخته كان اسفله فرثا واوسطه لبنا واعلاه دما والكبد مسلطة عليها
تقسمها بتقدير الله تعالى فيجرى الدم فى العروق واللبن فى الضروع ويبقى الثفل كما هو سايغا
للشاربين يعنى هنيا سهلا يجرى فى الحلق بسهولة وقيل انه لم يغص باللبن احد قط هذا قول
المفسرين فى معنى هذه الاية وحكى الامام فخر الدين الرازى قول الحكما فى ذلك فقال والقايل ان
يقول الدم واللبن لا يتولدان فى الكرش البتة والدليل عليه الحس فان هذه الحيوانات تذبح ذبحا
متواليا وما راى احد فى كرشها دما ولا لبنا بل الحق ان الحيوان اذا تناول الغذا وصل ذلك العلف
الى المعدة وان كان من الانعام الى كرشه فاذا طبخ وحصل الهضم الاول فما كان منه صافيا انجذب

الى الكبد وما كان كثيفا نزل الى الامعا ثم ذلك الذى حصل فى الكبد ينطبخ فيها ويصير دما
وهو الهضم الثانى ويكون ذلك مخلوطا بالصفرا والسودا وزيادة المائية فاما الصفرا
فتذهب الى المرارة واما السودا فتذهب الى الطحال واما المائية فتذهب الى الكلية ومنها
الى المثانة واما الدم فيذهب فى الاوردة وهى العروق النابتة من الكبد وهناك يحصل
الهضم الثالث وبين الكبد وبين الضرع عروق كثيرة فينصب الدم من تلك العروق الى
الضروع والضرع لحم غددى ابيض فيقلب الله عز وجل ذلك الدم عند انصبابه الى ذلك
اللحم الغددى الرخو الابيض فيصير الدم لبنا فهذا صورة تكون اللبن فى الضرع فاللبن انما يتولد
من بعض اجزا الدم والدم انما يتولد من الاجزا اللطيفة من الاشيا الماكولة الحاصلة فى
الكرش فاللبن تولدا ولا من الفرث ثم من الدم ثانيا ثم صفاه الله تعالى بقدرته فجعله لبنا خالصا
من بين فرث ودم وعند تولد اللبن فى الضرع خلق الله عز وجل بلطيف حكمته فى حلمة الثدى
ثقبا صغارا ومساما ضيقة فجعلها كالمصفاة للبن فكل ما كان لطيفا من اللبن خرج
بالمص والحلب وما كان كثيفا احتبس فى البدن وهو المراد بقوله خالصا يعنى من شوايب
كدورة الدم والفرث سايغا للشاربين يعنى جاريا فى حلوقهم سهلا لذيذا هنيا مريا قوله
عز وجل ومن ثمرات النخيل والاعناب يعنى ولكم ايضا عبرة فيما نسقيكم ونرزقكم من ثمرات
النخيل والاعناب تتخذون منه سكرا الضمير فى منه يرجع الى ما تقديره ولكم من ثمرات
النخيل والاعناب ما تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا قال ابن مسعود وابن عمر والحسن وسعيد
ابن جبير ومجاهد وابراهيم وابن ابى ليلى والزجاج وابن قتيبة السكر الخمر سميت بالمصدر
من قولهم سكر سكرا وسكرا والرزق الحسن ساير ما يتخذ من ثمرات النخيل والاعناب مثل الدبس
والتمر والزبيب والخل وغير ذلك فان قلت الخمر محرمة فكيف ذكرها الله فى معرض الانعام
والامتنان قلت قال العلما فى الجواب عن هذا ان هذه السورة مكية وتحريم الخمر انما نزل
فى سورة المايدة وهى مدنية فكان نزول هذه الاية فى الوقت الذى كانت الخمر فيه غير محرمة
وقيل ان الله عز وجل نبه فى هذه على تحريم الخمر ايضا لانه ميز بينها وبين الرزق الحسن فى الذكر
فوجب ان يقال الرجوع عن كونه حسنا يدل على التحريم وروى العوفى عن ابن عباس ان السكر هو
الخل بلغة الحبشة وقال بعضهم السكر النبيذ وهو نقيع التمر والزبيب اذا اشتد والمطبوخ
من العصير وهو قول الضحاك والنخعى ومن يبيح شرب النبيذ ومن حرمه يقول المراد من الاية
الاخبار لا الاحلال واولى الاقاويل ان قوله تتخذون منه سكرا منسوخ سيل ابن عباس عن هذه
الاية فقال السكر ما حرم من ثمرتها والرزق الحسن ما حل قلت القول بالنسخ فيه نظر لان
قوله ومن ثمرات النخيل والاعناب تتخذون منه سكرا خبر والاخبار لا يدخلها النسخ ومن زعم
انها منسوخة راى ان هذه الاية نزلت بمكة فى وقت اباحة الخمر ثم ان الله حرمها بالمدينة فحكم

على هذه الاية بانها منسوخة وقال ابو عبيدة في معنى الاية ان السكر الطعم يقال هذا سكر
لك اي طعم لك وقال غيره السكر ما سد الجوع من قولهم سكرت النهر اي سددته والتمر والزبيب
مما يسد الجوع وهذا شرح قول ابي عبيدة ان السكر الطعم ان في ذلك يعني الذي ذكر من انعامه
على عباده لاية يعني دلالة وحجة واضحة لقوم يعقلون يعني ان من كان عاقلا استدل بهذه الايات
على كمال قدرة الله ووحدانيته وعلم بالضرورة ان لهذه الاشيا خالقا ومدبرا قادرا على ما
يريد قوله تعالى واوحى ربك الى النحل لما ذكر الله تعالى دلايل قدرته وعجايب صنعته الدالة
على وحدانيته من اخراج اللبن من بين فرث ودم واخراج السكر والرزق الحسن من ثمرات
النخيل والاعناب فذكر في هذه الاية اخراج العسل الذي جعله شفا للناس من دابة ضعيفة
وهي النحلة فقال تعالى واوحى ربك الى النحل الخطاب فيه للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد كل فرد
من الناس ممن له عقل وتفكر يستدل به على كمال قدرة الله ووحدانيته وانه الخالق لجميع الاشيا
المدبر لها بلطيف حكمته وقدرته واصل الوحي الاشارة السريعة وذلك يكون بالكلام على سبيل
الرمز والتعريض وقد يكون بصوت مجرد ويقال للكلمة الالهية التي يلقيها الى انبيايه وحي والى
اوليايه الهام واما تسخير الطير لما خلق له ومنه قوله واوحى ربك الى النحل يعني ان سخرها لما
خلقها له والهمها رشدها وقدر في انفسها هذه الاعمال العجيبة التي يعجز عنها العقلا
من البشر وذلك ان النحل تبني بيوتا على شكل مسدس من اضلاع متساوية لا يزيد بعضها على بعض
بمجرد طباعها ولو كانت البيوت مدورة او مثلثة او مربعة او غير ذلك من الاشكال لكان فيما بينها
خلل ولما حصل المقصود فالهمها الله تعالى ان تبنيها على هذا الشكل المسدس الذي لا يحصل فيه
خلل وفرجة خالية ضايعة والهمها الله ايضا ان يجعلوا عليهم اميرا كبيرا نافذ الحكم
فيهم وهم يطيعونه ويمتثلون امره ويكون هذا الامير اكبرهم جثة واعظمهم خلقة
ويسمى يعسوب النحل يعني ملكهم كذا حكاه الجوهري والهمها الله تعالى ان يجعلوا على باب كل
خلية بوابا لا يمكن غير اهلها من الدخول اليها والهمها ايضا انها تخرج من بيوتها فتدور وترعى
ثم ترجع الى بيوتها ولا تضل عنها ولما امتاز هذا الحيوان الضعيف بهذه الخواص العجيبة
الدالة على مزيد الذكا والفطنة دل ذلك على الالهام الالهي فكان ذلك شبيها بالوحي فلذلك
قال الله تعالى واوحى ربك الى النحل والنحل زنبور العسل ويسمى الدبر ايضا قال الزجاج يجوز
ان يقال سمي هذا الحيوان نحلا لان الله تعالى نحل الناس العسل الذي يخرج من بطونها بمعنى
اعطاهم وقال غيره النحل يذكر ويونث وهي مونثة في لغة الحجاز ولذلك انثها الله فقال تعالى
ان اتخذي من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون يعني يبنون ويسقفون وذلك ان النحل منه
وحشي وهو الذي يسكن الجبال والشجر وياوي الى الكهوف ومنه اهلي وهو الذي ياوي الى البيوت
ويربيه الناس عندهم وقد جرت العادة ان الناس يبنون للنحل الاماكن حتى ياوي اليها وقال

ابن زيد

ابن زيد اراد بالذي يعرشون الكروم ثم كلي من كل الثمرات يعني من بعض الثمرات لانها لا تاكل
جميع الثمار ولفظة كل هنا ليست للعموم فاسلكي سبل ربك يعني الطرق التي الهمك الله ان
تسلكيها وتدخلي فيها لاجل طلب الثمرات ذللا قيل انها نعت للسبل يعني انها مذللة لك الطرق
مسهلة لك مسالكها قال مجاهد لا يتوعر عليها مكان تسلكه وقيل الذلل نعت للنحل يعني انها
مذللة مسخرة لاربابها مطيعة منقادة لهم حتى انهم ينقلونها من مكان الى مكان اخر حيث
شاءوا وارادوا لا تستعصي عليهم يخرج من بطونها يعني العسل شراب مختلف الوانه يعني
ما بين ابيض واحمر واصفر وغير ذلك من الوان العسل وذلك على ما تاكل من الثمار والازهار
يستحيل في بطونها عسلا بقدرة الله ثم يخرج من افواهها بسيل كاللعاب وزعم الامام
فخر الدين الرازي انه راى في بعض كتب الطب ان العسل طل من السما ينزل كالترنجبين فيقع
على الازهار واوراق الشجر فتجمعه النحل تاكل بعضه وتدخر بعضه في بيوتها لانفسها
لتتغذى به فاذا اجتمع في بيوتها من تلك الاجزا الطلية شي كثير فذلك هو العسل وقال هذا
القول اقرب الى العقل لان طبيعة الترنجبين تقرب من طبيعة العسل وايضا فانا نشاهد ان
النحل تتغذى بالعسل واجاب عن قوله تعالى يخرج من بطونها بان كل تجويف في داخل البدن
يسمى بطنا فقوله يخرج من بطونها يعني من افواهها وقول اهل الظاهر اولى واصح لانا نشاهد
انه يوجد في طعم العسل طعم تلك الازهار التي تاكلها النحل وكذلك يوجد لونها وريحها
وطعمه فيه ايضا ويعضد هذا قول بعض ازواج النبي صلى الله عليه وسلم له اكلت مغافير قال لا
قالت فما هذه الريح التي اجد منك قال سقتني حفصة شربة عسل قالت جرست نحله العرفط
العرفط شجر الطلح وله صمغ يقال له المغافير كريه الرايحة فمعنى جرست نحله العرفط اكلت ورعت
من العرفط الذي له الرايحة الكريهة فثبت بهذا الدليل صحة قول اهل الظاهر من المفسرين
وانه يوجد في طعم العسل ولونه وريحه طعم ما ياكل النحل ولونه وريحه لا ما قاله الاطباء من
انه طل لانه لو كان طلا لكان على لون واحد وطبيعة واحدة وقوله ان طبيعة العسل
تقرب من طبيعة الترنجبين فيه نظر لان مزاج الترنجبين معتدل الى الحرارة وهو الطف من
السكر ومزاج العسل حار يابس في الدرجة الثانية فبينهما فرق كبير وقوله كل تجويف في
داخل البدن يسمى بطنا فيه نظر لان لفظ البطن اذا اطلق لم يرد به الا العضو المعروف
مثل بطن الانسان وغيره والله اعلم وقوله تعالى فيه يعني في الشراب الذي يخرج من بطون النحل
شفا للناس وهذا قول ابن عباس وابن مسعود ان الضمير في قوله فيه شفا للناس يرجع الى
العسل وقد اختلفوا في هذا الشفا هل هو على العموم لكل مرض او على الخصوص لمرض
دون مرض على قولين احدهما ان العسل فيه شفا من كل دا وكل مرض وقال ابن مسعود العسل
شفا من كل دا والقران شفا لما في الصدور وفي رواية اخرى عنه عليكم بالشفايين القران والعسل

وروى نافع ان ابن عمر ما كانت تخرج به قرحة ولا شي الا لطخ الموضع بالعسل وقوله يخرج من بطونها شراب مختلف الوانه فيه شفا للناس ق عن ابي سعيد الخدري قال جا رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال ان اخي استطلق بطنه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اسقه عسلا فسقاه ثم جاه فقال اني سقيته عسلا فلم يزده الا استطلاقا فقال له ثلاث مرات ثم جا الرابعة فقال اسقه عسلا فقال لقد سقيته فلم يزده الا استطلاقا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم صدق الله وكذب بطن اخيك فسقاه فبرا وقد اعترض بعض الملحدين ومن في قلبه مرض على هذا الحديث فقال ان الاطبا مجمعون على ان العسل مسهل فكيف يوصف لمن به الاسهال فنقول في الرد على هذا المعترض الملحد الجاهل بعلم الطب بان الاسهال يحصل من انواع كثيرة منها الاسهال الحادث من التخم والهيضات وقد اجمع الاطبا في مثل هذا على ان علاجه بان يترك الطبيعة وفعلها فان احتاجت الى معين على الاسهال اعينت ما دامت القوة باقية فاما حبسها فضرر عندهم واستعجال مرض فيحتمل ان يكون هذا الاسهال لهذا الشخص المذكور في الحديث اصابه الاسهال من امتلا او هيضة فدواه بترك اسهاله على ما هو عليه او تقويته فامره رسول الله صلى الله عليه وسلم بشرب العسل فزاده اسهالا فزاده عسلا الى ان فنيت المادة فوقف الاسهال ويكون الخلط الذي كان به يوافقه شرب العسل فثبت بما ذكرناه ان امره صلى الله عليه وسلم لهذا الرجل بشرب العسل جار على صناعة الطب وان المعترض عليه جاهل لها ولسنا نقصد الاستظهار لتصديق الحديث بقول الاطبا بل لو كذبوه كذبناهم وكفرناهم بذلك وانما ذكرنا هذا الجواب الجاري على صناعة الطب فقها لهذا المعترض وانه لا يحسن صناعة الطب التي اعترض بها والله اعلم وقوله صلى الله عليه وسلم صدق الله وكذب بطن اخيك يحتمل انه صلى الله عليه وسلم راى بنور الوحي الالهي ان العسل الذي امره بشربه سيظهر نفعه بعد ذلك فلما لم يظهر نفعه في الحال عندهم قال صدق الله يعني فيما وعد به من ان فيه شفا وكذب بطن اخيك يعني باستعجالكم الشفا في اول مرة والله اعلم بمراده ومراد رسوله صلى الله عليه وسلم فان قالوا كيف يكون شفا للناس وهو يضر باصحاب الصفرا ويهيج الحرارة ويضر بالشباب المحرورين ويعطش قلنا في الجواب عن هذا الاعتراض ايضا ان قوله فيه شفا للناس خرج مخرج الاغلب انه في الاغلب فيه شفا ولم يقل انه شفا لكل الناس ولكل داء لكنه في الجملة دوا وان نفعه اكثر من مضرته وقل معجون من المعاجين الا وتمامه به والاشربة المتخذة من العسل نافعة لاصحاب البلغم والشيوخ المبرودين ومنافعه كثيرة جدا والقول الثاني انه شفا للاوجاع التي شفاها به وهذا قول السدي وقال مجاهد في قوله فيه شفا للناس يعني القران لانه شفا من امراض الشرك والجهالة والضلالة وهو هدى ورحمة للناس والقول الاول اصح لان الضمير يجب ان يعود الى قريب

المذكورات

المذكورات واقربها قوله يخرج من بطونها وهو العسل فهو اولى ان يرجع الضمير اليه لانه اقرب مذكور وقوله تعالى ان في ذلك لاية لقوم يتفكرون يعني فيعتبرون ويستدلون بما ذكرنا على وحدانيتنا وقدرتنا قوله عز وجل والله خلقكم يعني اوجدكم من العدم واخرجكم الى الوجود ولم تكونوا شيئا ثم يتوفاكم يعني عند انقضا اجالكم اما صبيانا واما شبابا واما كهولا ومنكم من يرد الى ارذل العمر يعني اردئه واضعفه وهو الهرم قال بعض العلما عمر الانسان له اربع مراتب اولها سن النشو والنما وهو من اول العمر الى بلوغ ثلاث وثلاثين سنة وهو غاية سن الشباب وبلوغ الاشد ثم المرتبة الثانية سن الوقوف وهو من ثلاث وثلاثين سنة الى الاربعين سنة وهو غاية القوة وكمال العقل ثم المرتبة الثالثة سن الكهولة وهو من الاربعين الى الستين سنة وهذه المرتبة يشرع الانسان في النقص لكنه يكون نقصا خفيا لا يظهر ثم المرتبة الرابعة سن الشيخوخة والانحطاط من الستين الى اخر العمر وفيه يتبين النقص ويكون الهرم والخرف قال علي بن ابي طالب رضي الله عنه ارذل العمر خمس وسبعون سنة وقيل ثمانون سنة وقال قتادة تسعون سنة ق عن انس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اللهم اني اعوذ بك من العجز والكسل والجبن والهرم والبخل واعوذ بك من عذاب القبر واعوذ بك من فتنة المحيا والممات وفي رواية اخرى عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو بهولا الدعوات اللهم اني اعوذ بك من البخل والكسل وارذل العمر وعذاب القبر وفتنة المحيا والممات وقوله تعالى لكيلا يعلم بعد علم شيا يعني ان الانسان يرجع الى حالة الطفولية بنسيان ما كان علم بسبب الكبر قال ابن عباس لكي يصير كالصبي الذي لا عقل له وقال ابن قتيبة معناه حتى لا يعلم بعد علمه بالامور شيا لشدة هرمه وقال الزجاج المعنى وان منكم من يكبر حتى يذهب عقله خرقا فيصير بعد ان كان عالما جاهلا ليريكم من قدرته انه كما قدر على اماتته واحيايه انه قادر على نقله من العلم الى الجهل هكذا وجدته منقولا عنه ولو قال ليريكم من قدرته انه كما قدر على نقله من العلم الى الجهل انه قادر على احيايه بعد اماتته ليكون ذلك دليلا على صحة البعث بعد الموت كان اجود قال ابن عباس ليس هذا في المسلمين المسلم لا يزداد في طول العمر والبقا الا كرامة عند الله وعقلا ومعرفة وقال عكرمة من قرا القران لم يرد الى ارذل العمر حتى لا يعلم بعد علم شيا وقال في قوله الا الذين امنوا وعملوا الصالحات هم الذين قروا القران وقال ابن عباس في قوله تعالى ثم رددناه اسفل سافلين يريد الكافر ثم استثنى المومنين فقال الا الذين امنوا وعملوا الصالحات وقوله تعالى ان الله عليم يعني بما صنع باوليايه واعدايه قدير يعني على ما يريد قوله تعالى والله فضل بعضكم على بعض في الرزق يعني ان الله تعالى بسط على واحد وضيق وقتر على واحد وكثر لواحد وقلل على اخر وكما فضل بعضكم على بعض في الرزق كذلك فضل بعضكم على بعض في الخلق والخلق والعقل

والصحة والسقم والحسن والقبح والعلم والجهل وغير ذلك فهم متفاوتون ومتباينون في ذلك كله وهذا مما اقتضته الحكمة الالهية والقدرة الربانية فما الذين فضلوا برادي رزقهم على ما ملكت ايمانهم يعني من العبيد حتى يستووا فيه هم وعبيدهم يقول الله تعالى هم لا يرضون ان يكونوا هم ومماليكهم فيما رزقتهم سوا وقد جعلوا عبيدي شركا في ملكي وسلطاني يلزمهم بهذا الحجة على المشركين حيث جعلوا الاصنام شركا لله قال قتادة هذا مثل ضربه الله عز وجل يقول هل منكم احد يرضى ان يشركه مملوكه في جميع ماله فكيف تعدلون بالله خلقه وعباده وقيل في معنى الاية ان الموالي والمماليك الله رازقهم جميعا فهم فيه يعني في رزقه سوا فلا يحسبن الموالي انهم يردون رزقهم على مماليكهم من عند انفسهم بل ذلك رزق الله اجراه على ايدي الموالي للمماليك والمقصود منه بيان ان الرازق هو الله تعالى لجميع خلقه وان الموالي والمماليك في ذلك الرزق سوا وان المالك لا يرزق المملوك بل الرازق للمالك والمملوك هو الله تعالى وقوله افبنعمة الله يجحدون فيه انكار على المشركين حيث جحدوا نعمته وعبدوا غيره قوله عز وجل والله جعل لكم من انفسكم ازواجا يعني النسا لخلق من ادم حوا زوجته وقيل جعل لكم من جنسكم ازواجا لانه خطاب عام يعم الكل فتخصيصه بادم وحوا خلاف الدليل وجعل لكم من ازواجكم بنين وحفدة الحفدة جمع حافد وهو المسرع في الخدمة المسارع الى الطاعة ومنه قوله في الدعا واليك نسعى ونحفد اي نسرع الى طاعتك فهذا اصله في اللغة ثم اختلفت اقوال المفسرين فيهم فقال ابن مسعود والنخعي الحفدة اختان الرجل على بناته وعن ابن مسعود انهم اصهاره فهو بمعنى الاول فعلى هذا القول يكون معنى الاية وجعل لكم من ازواجكم بنين وبنات تزوجونهم فيحصل لكم بسببهم الاختان والاصهار وقال الحسن وعكرمة والضحاك هم الخدم وقال مجاهد هم الاعوان وكل من اعانك فقد حفدك وقال عطا هم ولد الرجل الذين يعينونه ويخدمونه وقيل هم اهل المهنة الذين يمتهنون ويخدمون من الاولاد وقال مقاتل والكلبي البنين هم الصغار والحفدة كبار الاولاد الذين يعينون الرجل على عمله وقال ابن عباس هم ولد الولد وفي رواية اخرى عنه انهم بنو امراة الرجل الذين ليسوا منه وكل هذه الاقوال متقاربة لان اللفظ يحتمل الكل بحسب المعنى المشترك وبالجملة فان الحفدة هم غير البنين لان الله تعالى قال بنين وحفدة فجعل بينهم مغايرة ورزقكم من الطيبات يعني النعم التي انعم بها عليكم من انواع الثمار والحبوب والحيوان والاشربة المستطابة الحلال من ذلك كله افبالباطل يؤمنون يعني بالاصنام وقيل بالشيطان يؤمنون وقيل معناه يصدقون ان لي شريكا وصاحبة وولدا وهذا استفهام انكار اي ليس لهم ذلك وبنعمت الله هم يكفرون يعني انهم يضيعون ما انعم الله به عليهم الى غيره وقيل معناه انهم يجحدون ما احل الله لهم ويعبدون من دون الله ما لا يملك لهم رزقا من السموات والارض يعني الاصنام التي لا تقدر على انزال المطر الذي في السموات خزاينه ولا يقدرون على اخراج النبات الذي في الارض معدنه شيئا يعني لا يملك

من الرزق شيئا قليلا ولا كثيرا وقيل معناه يعبدون من لا يرزق شيئا ولا يستطيعون يعني ولا يقدرون على شي يذكر عجز الاصنام عن ايصال نفع او دفع ضر فلا تضربوا لله الامثال يعني لا تشبهوا الله بخلقه وانه واحد لا مثل له ولا شبيه ولا شريك من خلقه لان الخلق كلهم عبيده وفي ملكه فكيف يشبه الخالق بالمخلوق او الرازق بالمرزوق او القادر بالعاجز ان الله يعلم يعني ما انتم عليه من ضرب الامثال له وانتم لا تعلمون ذلك وقيل معناه وانتم لا تعلمون خطا ما تضربون له من الامثال قوله تعالى ضرب الله مثلا عبدا مملوكا لا يقدر على شي ومن رزقناه منا رزقا حسنا لما نهاهم الله تعالى عن ضرب الامثال لقلة علمهم فضرب هو لنفسه مثلا فقال تعالى مثلكم في اشراككم بالله الاوثان كمثل من سوى بين عبد مملوك عاجز عن التصرف وبين حر كريم مالك قادر قد رزقه الله مالا فهو يتصرف فيه وينفق منه شيا فصريح العقل يشهد بانه لا يجوز التسوية بينهما في التعظيم والاجلال فلما لم تجز التسوية بينهما مع استوايهما في الخلقة والصورة والبشرية فكيف يجوز للعاقل ان يسوي بين الله عز وجل الخالق القادر على الرزق والافضال وبين الاصنام التي لا تملك ولا تقدر على شي البتة وقيل هذا مثل ضربه الله للمومن والكافر فالمراد بالعبد المملوك الذي لا يقدر على شي هو الكافر لانه لما كان محروما من عبادة الله وطاعته صار كالعبد الذليل الفقير العاجز الذي لا يقدر على شي وقيل ان الكافر لما رزقه الله مالا فلم يقدم فيه خيرا صار كالعبد الذي لا يملك شيا والمراد بقوله ومن رزقناه منا رزقا حسنا المومن لانه لما اشتغل بطاعة الله وعبوديته والانفاق في وجوه البر والخير صار كالحر المالك الذي ينفق سرا وجهرا في طاعة الله وابتغا مرضاته وهو قوله فهو ينفق منه سرا وجهرا فاثابه الله الجنة على ذلك فان قلت لم قال عبدا مملوكا لا يقدر على شي وكل عبد هو مملوك وهو غير قادر على التصرف قلت انما ذكر المملوك ليتميز من الحر لان اسم العبد يقع عليهما جميعا لانهما من عباد الله واما قوله لا يقدر على شي احترز به عن المملوك المكاتب والماذون له في التصرف لانهما يقدران على التصرف واحتج الفقها بهذه الاية على ان العبد لا يملك شيا هل يستوون ولم يقل هل يستويان يعني هل يستوي الاحرار والعبيد والمعنى كما لا يستوي هذا الفقير البخيل والغني السخي كذلك لا يستوي الكافر والمومن والعاصي والطايع قال عطا في قوله عبدا مملوكا هو ابو جهل بن هشام ومن رزقناه منا رزقا حسنا هو ابو بكر الصديق ثم قال تعالى الحمد لله حمد الله نفسه لانه المستحق لجميع المحامد لانه المنعم المتفضل على عباده وهو الخالق الرازق لا هذه الاصنام التي عبدها هولا فانها لا تستحق الحمد لانها جماد عاجزة لا يد لها على احد ولا معروف فتحمد عليه انما الحمد الكامل لله لا لغيره فيجب على جميع العباد حمد الله لانه اهل المحامد والثنا الحسن بل اكثرهم يعني الكفار لا يعلمون يعني ان الحمد لله لا لهذه الاصنام وضرب الله مثلا رجلين احدهما ابكم وهو الذي ولد اخرس فكل ابكم اخرس وليس

كل اخرس ابكم والابكم الذي لا يفهم ولا يفهم لا يقدر على شيء هو اشارة الى العجز التام والنقصان الكامل وهو كل على مولاه اي ثقيل على من يلي امره ويعوله وقيل اصله من الغلظ وهو نقيض الحدة يقال كل السكين اذا غلظت شفرته وكل اللسان اذا غلظ فلم يقدر على النطق وكل فلان عن الامر اذا ثقل عليه فلم ينبعث فيه فقوله وهو كل على مولاه اي غليظ ثقيل على مولاه اينما يوجهه اي حيثما يرسله ويصرفه في طلب حاجة وكفاية مهم لا يأت بخير يعني لا يأتي بنجح لانه اخرس عاجز لا يحس ولا يفهم هل يستوي يعني من هذه صفته هو يعني صاحب هذه الصفات المذمومة ومن يأمر بالعدل يعني ومن هو سليم الحواس نفاع ذو كفايات وهو ذو رشد وديانة يأمر الناس بالعدل والخير وهو يعني في نفسه على صراط مستقيم يعني على سيرة صالحة ودين قويم فيجب ان يكون الامر بالعدل عالما قادرا مستقيما في نفسه حتى يتمكن من الامر بالعدل وهذا مثل ثان ضربه الله لنفسه ولما يفيض على عباده من انعامه ويشملهم به من اثار رحمته والطافه والاصنام التي هي موات جماد لا تضر ولا تنفع ولا تسمع ولا تنطق ولا تعقل وهي كل على عابديها لانها تحتاج الى كلفة الحمل والنقل والخدمة وقيل كلا المثلين للمؤمن والكافر فالمؤمن هو الذي يأمر بالعدل وهو على صراط مستقيم والكافر هو الابكم الثقيل الذي لا يأمر بخير فعلى هذا القول تكون الاية على العموم في كل مؤمن وكافر وقيل هي على الخصوص فالذي يأمر بالعدل هو رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على صراط مستقيم والذي هو ابكم هو ابو جهل وقيل الذي يأمر بالعدل عثمان بن عفان وكان له مولى يأمره بالاسلام وذلك المولى يأمر عثمان بالامساك عن الانفاق في سبيل الله فهو الذي لا يأتي بخير وقيل المراد بالابكم الذي لا يأتي بخير ابي بن خلف وبالذي يأمر بالعدل حمزة وعثمان بن عفان وعثمان بن مظعون ولله غيب السموات والارض اخبر الله عز وجل في الاية عن كمال علمه وانه عالم بجميع الغيوب فلا يخفى عليه شيء منها وقيل الغيب هنا هو قيام الساعة وهو قوله وما امر الساعة يعني في قيامها والساعة هي الوقت الذي يقوم الناس فيه لموقف الحساب الا كلمح البصر يعني في السرعة ولمح البصر هو انطباق جفن العين وفتحه وهو طرف العين ايضا او هو اقرب يعني ان لمح البصر يحتاج الى زمان وحركة والله تعالى اذا اراد شيئا قال له كن فيكون في اسرع من لمح البصر وهو قوله ان الله على كل شيء قدير فيه دليل على كمال قدرة الله تعالى وانه تعالى مهما اراده كان كاسرع ما يكون قال الزجاج ليس المراد ان الساعة تاتي في اقرب من لمح البصر ولكنه تعالى وصف سرعة القدرة على الاتيان بها متى شاء لا يعجزه شيء قوله عز وجل والله اخرجكم من بطون امهاتكم لا تعلمون شيئا تم الكلام هنا لان الانسان خلق في اول الفطرة ومبدا الخلقة خاليا عن العلم والمعرفة لا يهتدي سبيلا ثم ابتدا فقال تعالى وجعل لكم السمع والابصار والافئدة يعني ان الله تعالى انما اعطاكم هذه الحواس لتنتقلوا بها من الجهل الى العلم فجعل لكم السمع لتسمعوا به نصوص الكتاب والسنة وهي الدلائل السمعية لتستدلوا بها على ما يصلحكم في امر دينكم وجعل

لكم الابصار لتبصروا بها عجائب مصنوعات الله وغرائب مخلوقاته فتستدلوا بها على وحدانية الله وجعل لكم الافئدة لتعقلوا بها وتفهموا بها معاني الاشياء التي جعلها دلائل وحدانيته وقال ابن مسعود في هذه الاية يريد لتسمعوا مواعظ الله وتبصروا ما انعم الله به عليكم منذ اخرجكم من بطون امهاتكم الى ان صرتم رجالا وتعقلوا عظمة الله وقيل في معنى الاية والله خلقكم في بطون امهاتكم وسواكم وصوركم ثم اخرجكم من الضيق الى السعة وجعل لكم الحواس الات لازالة الجهل الذي ولدتم عليه واجتلاب العلم والعمل به من شكر المنعم وعبادته والقيام بحقوقه والترقي الى ما يسعدكم في الاخرة فان قلت ظاهر الاية يدل على ان جعل هذه الحواس الثلاث بعد الاخراج من البطون وانما خلقت هذه الحواس للانسان في جملة خلقه وهو في بطن امه قلت ذكر العلماء فيه ان تقديم الاخراج وتاخير ذكر هذه الحواس لا يدل على ان خلقها كان بعد الاخراج لان الواو لا توجب الترتيب ولان العرب تقدم وتؤخر في بعض كلامها واقول لما كان الانتفاع بهذه الحواس بعد الخروج من البطن فكانما خلقت في ذلك الوقت الذي ينتفع بها فيه وان كانت قد خلقت قبل ذلك وقوله تعالى لعلكم تشكرون يعني انما انعم عليكم بهذه الحواس لتستعملوها في شكر من انعم بها عليكم الم يروا الى الطير مسخرات يعني مذللات في جو السماء الجو الفضاء الواسع بين السماء والارض وهو الهواء قال كعب الاحبار ان الطير ترتفع في الجو اثني عشر ميلا ولا ترتفع فوق ذلك ما يمسكهن الا الله يعني في حال قبض اجنحتها وبسطها واصطفافها في الهواء وفي هذا حث على الاستدلال بها على ان لها مسخرا سخرها ومذللا ذللها وممسكا امسكها في حال طيرانها ووقوفها في الهواء وهو الله تعالى ان في ذلك لايات لقوم يؤمنون انما خص المؤمنين بالذكر لانهم هم الذين يعتبرون بالايات ويتفكرون فيها وينتفعون بها دون غيرهم قوله تعالى والله جعل لكم من بيوتكم يعني التي هي من الحجر والمدر سكنا يعني مسكنا تسكنونه والسكن ما سكنت اليه وفيه من الفاويت وجعل لكم من جلود الانعام بيوتا يعني الخيام والقباب والاخبية والفساطيط المتخذة من الادم والانطاع واعلم ان المساكن على قسمين احدهما ما لا يمكن نقله من مكان الى مكان اخر وهي البيوت المتخذة من الحجارة والخشب ونحوها والقسم الثاني ما يمكن نقله من مكان الى مكان اخر وهي الخيام والفساطيط المتخذة من جلود الانعام واليها الاشارة بقوله تستخفونها يعني يخف عليكم حملها يوم ظعنكم يعني في يوم سيركم ورحيلكم في اسفاركم والظعن البادية هو طلب الماء والمرعى ونحو ذلك ويوم اقامتكم يعني ويخف عليكم ايضا في اقامتكم وحضركم والمعنى لا يثقل عليكم في الحالتين ومن اصوافها واوبارها واشعارها الكناية عائدة الى النعم يعني ومن اصواف الضان واوبار الابل واشعار المعز اثاثا يعني تتخذون اثاثا والاثاث متاع البيت الكبير واصله من اث اذا كثر وتكاثف وقيل للمال اثاث اذا كثر قال ابن عباس اثاثا يعني مالا وقال مجاهد متاعا وقال القتيبي الاثاث المال اجمع من الابل والغنم والعبيد والمتاع وقال غيره الاثاث هو متاع البيت

من الفرش والاكسية ونحو ذلك ومتاعا يعني وبلاغا وهو ما يتمتعون به الى حين يعني الى حين
يبلى ذلك الاثاث وقيل الى حين الموت فان قلت اي فرق بين الاثاث والمتاع حتى ذكره بواو العطف
والعطف يوجب المغايرة قلت من فرق قال الاثاث ما كثر من آلات البيت وحوائجه وغير ذلك
فيدخل فيه جميع اصناف المال والمتاع ما ينتفع به في البيت خاصة فظهر الفرق بين اللفظين والله اعلم
والله جعل لكم مما خلق ظلالا يعني جعل لكم ما تستظلون به من شدة الحر والبرد وهي ظلال
الابنية والجدران والاشجار وجعل لكم من الجبال اكنانا جمع كن وهو ما يستكن فيه من شدة الحر
والبرد كالاسراب والغيران ونحوها وذلك لان الانسان اما ان يكون غنيا او فقيرا فاذا سافر احتاج
في سفره ما يقيه من شدة الحر والبرد فاما الغني فيستصحب معه الخيام في سفره ليستكن فيها
واليها الاشارة بقوله وجعل لكم من جلود الانعام بيوتا واما الفقير فيستكن بظلال الاشجار
والحيطان والكهوف ونحوها واليه الاشارة بقوله والله جعل لكم مما خلق ظلالا وجعل لكم من
الجبال اكنانا ولان بلاد العرب شديدة الحرارة وحاجتهم الى الظلال وما يدفع شدته وقوته اكثر
فلهذا السبب ذكر الله هذه المعاني في معرض الامتنان عليهم لان النعمة عليهم فيها ظاهرة وجعل
لكم سرابيل تقيكم الحر يعني وجعل لكم قمصا وثيابا من القطن والكتان والصوف وغير ذلك
تمنعكم من شدة الحر قال اهل المعاني والبرد فاكتفى بذكر احدهما لدلالة الكلام عليه وسرابيل
تقيكم باسكم يعني الدروع والجواشن وسائر ما يلبس في الحرب ليمنع من السلاح والباس والحرب
يعني تقيكم في باسكم السلاح ان يصيبكم قال عطاء الخراساني انما نزل القرآن على قدر معرفتهم
فقال تعالى وجعل لكم من الجبال اكنانا وما جعل لهم من السهول اعظم واكثر ولكنهم كانوا اصحاب
جبال كما قال ومن اصوافها واوبارها واشعارها وما جعل لكم من القطن والكتان اكثر ولكن كانوا
اصحاب صوف ووبر وشعر وكما قال وينزل من السماء من جبال فيها من برد وما انزل من الثلج اكثر ولكنهم
كانوا لا يعرفون الثلج وقال تقيكم الحر وما جعل لهم مما يقي من البرد اكثر ولكنهم كانوا اصحاب حر
وقوله تعالى كذلك يعني كما انعم عليكم بهذه النعم يتم نعمته عليكم يعني نعم الدنيا والدين لعلكم تسلمون
يعني لعلكم يا اهل مكة تخلصون لله الوحدانية والربوبية والعبادة والطاعة وتعلموا انه
لا يقدر على هذه الانعامات الا الله تعالى فان تولوا يعني فان اعرضوا عن الايمان بك وتصديقك
يا محمد واثروا ما هم فيه من الكفر واللذات الدنياوية فانما وبال ذلك عليهم لا عليك فانما عليك البلاغ
المبين يعني ليس عليك في ذلك عتب ولا سمة تقصير انما عليك البلاغ وقد فعلت ذلك ثم ذمهم
الله بقوله يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها قال السدي نعمة الله يعني محمدا صلى الله عليه وسلم انكروه
وكذبوه وقيل نعمة الله هي الاسلام وهو من اعظم النعم التي انعم الله بها على عباده ثم ان كفار مكة
انكروه وجحدوه وقال مجاهد وقتادة نعمة الله ما عدد عليهم في هذه السورة من النعم يعرفون
انها من الله ثم اذا قيل لهم تصدقوا وامتثلوا امر الله فيها ينكرونها ويقولون ورثناها عن آبائنا

وقال الكلبي

وقال الكلبي هو انه لما ذكر هذه النعم قالوا هذه نعم كلها من الله لكن بشفاعة آلهتنا وقيل هو
قول الرجل لولا فلان لكان كذا ولولا فلان لما كان كذا وقيل انهم يعرفون بان الله انعم بهذه النعم
ولكنهم لا يستعملونها في طلب رضوانه ولا يشكرونه عليها واكثرهم الكافرون انما قال تعالى واكثرهم
الكافرون مع انهم كانوا كلهم كافرين لانه كان فيهم من لم يبلغ حد التكليف فعبر بالاكثر عن
البالغين وقيل اراد بالاكثر الكافرين الجاحدين المعاندين وقد كان فيهم من ليس بمعاند وان كان
كافرا وقيل انه عبر بالاكثر عن الكل لانه قد يذكر الاكثر ويراد به الجميع قوله عز وجل ويوم نبعث
من كل امة شهيدا لما ذكر الله تعالى انعامه على الكفار وانكارهم لها وذكر ان اكثرهم كافرون اتبعه
بذكر الوعيد لهم في الآخرة فقال تعالى ويوم نبعث من كل امة شهيدا يعني رسولا وذلك اليوم
هو يوم القيامة والمراد به ان الشهداء هم الانبياء يشهدون على اممهم بانكار نعم الله عليهم وبالكفر
ثم لا يؤذن للذين كفروا يعني في الاعتذار وقيل لا يؤذن لهم في الكلام اصلا وقيل لا يؤذن لهم بالرجوع
الى دار الدنيا حتى يعتذروا ويتوبوا وقيل لا يؤذن لهم في معارضة الشهود بل يشهدون عليهم
ويقرون هم بذلك ولا هم يستعتبون الاستعتاب طلب العتاب والمعتبة هي الغلظة والموجدة
التي يجدها الانسان في نفسه على غيره والرجل انما يطلب العتاب من خصمه ليزيل ما في نفسه
عليه من الموجدة والغضب ويرجع الى الرضى عنه واذا لم يطلب العتاب منه دل ذلك على انه
ثابت على غضبه عليه ومعنى الآية انهم لا يكلفون ان يرضوا ربهم في ذلك اليوم لان الآخرة ليست دار
تكليف ولا يرجعون الى الدنيا فيتوبوا ويرضوا ربهم والاستعتاب التعرض لطلب الرضى وهذا باب
منسد عن الكفار في الآخرة واذا رأى الذين ظلموا يعني ظلموا انفسهم بالكفر والمعاصي العذاب يعني
عذاب جهنم فلا يخفف عنهم يعني العذاب ولا هم ينظرون يعني لا يؤخرون ويمهلون واذا رأى الذين
اشركوا يعني يوم القيامة شركاءهم يعني اصنامهم التي كانوا يعبدونها في الدنيا قالوا ربنا هؤلاء شركاؤنا
الذين كنا ندعوا من دونك يعني اربابا وكنا نعبدهم ونتخذهم آلهة فالقوا يعني الاصنام اليهم
يعني الى عابديها القول انكم لكاذبون يعني ان الاصنام قالوا للكفار انكم لكاذبون يعني في تسميتنا
آلهة وما دعوناكم الى عبادتنا فان قلت الاصنام جماد لا تتكلم فكيف يصح منها الكلام قلت لا يبعد
ان الله تعالى لما بعثها واعادها في الآخرة خلق فيها الحياة والنطق والعقل حتى قالوا ذلك
والمقصود من اعادتها وبعثها حتى تكذب الكفار ويراها الكفار وهي في غاية الذلة والحقارة
فيزدادون بذلك غما وحسرة والقوا يعني المشركين الى الله يومئذ السلم يعني انهم استسلموا لله
وانقادوا لحكمه فيهم ولم تغن عنهم آلهتهم شيئا وضل عنهم يعني وزال عن المشركين ما كانوا
يفترون يعني ما كانوا يكذبون في الدنيا في قولهم ان الاصنام تشفع لهم الذين كفروا وصدوا عن سبيل
الله يعني انهم ضموا مع كفرهم انهم منعوا الناس عن الدخول في الايمان بالله ورسوله زدناهم عذابا
فوق العذاب يعني زدناهم هذه الزيادة بسبب صدهم عن سبيل الله مع ما يستحقونه من العذاب

على كفرهم الاصلي واختلفوا في هذه الزيادة ما هي فقال عبد الله بن مسعود عقارب لها انياب
كامثال النخل الطوال وقال سعيد بن جبير حيات كالبخت وعقارب مثال البغال تلسع احداهن
اللسعة فيجد صاحبها المها اربعين خريفا قال ابن عباس ومقاتل يعني خمسة انهار من صفر
مذاب كالنار تسيل من تحت العرش يعذبون بها ثلاثة على مقدار الليل واثنان على مقدار النهار
وقيل انهم يخرجون من حر النار الى برد الزمهرير فيبادرون من شدة الزمهرير الى النار مستغيثين
بها وقيل يضاعف لهم العذاب ضعف بسبب كفرهم وضعف بسبب صدهم الناس عن سبيل الله
بما كانوا يفسدون يعني ان الزيادة انما حصلت لهم بسبب صدهم عن سبيل الله وبسبب ما كانوا
يفسدون مع ما يستحقونه من العذاب على الكفر **ويوم نبعث في كل امة شهيدا عليهم** قال ابن
عباس يريد الانبيا قال المفسرون كل نبي شاهد على امته وهو اعدل شاهد عليها **من انفسهم**
يعني منهم لان كل نبي انما بعث من قومه الذين بعث اليهم ليشهدوا عليهم بما فعلوا من كفر وايمان
وطاعة وعصيان **وجيناك** يعني يا محمد **شهيدا على هولا** يعني على قومك وامتك وتم الكلام هنا
ثم قال تعالى **ونزلنا عليك الكتاب** يعني القران **تبيانا لكل شي** تبيانا اسم من البيان قال مجاهد
يعني ما امر به وما نهى عنه وقال اهل المعاني تبيانا لكل شي يعني من امور الدين اما بالنص
عليه او بالاحالة على ما يوجب العلم به من بيان النبي صلى الله عليه وسلم لان النبي صلى الله
عليه وسلم بين ما في القران من الحدود والاحكام والحلال والحرام وجميع المامورات والمنهيات
او اجماع الامة فهو ايضا اصل ومفتاح لعلوم الدين **وهدي** يعني من الضلالة **ورحمة** يعني لمن امن به
وصدقه **وبشرى للمسلمين** يعني وفيه بشرى للمسلمين من الله عز وجل قوله تعالى **ان الله يامر بالعدل
والاحسان** قال ابن عباس العدل شهادة ان لا اله الا الله والاحسان اداء الفرايض وفي رواية عنه
قال العدل خلع الانداد والاحسان ان تعبد الله كانك تراه وان تحب للناس ما تحب لنفسك ان كان
مومنا تحب ان يزداد ايمانا وان كان كافرا تحب ان يكون اخاك في الاسلام وقال في رواية اخرى عنه
العدل التوحيد والاحسان الاخلاص واصل العدل في اللغة المساواة في كل شي من غير زيادة
في شي ولا غلو فيه ولا نقصان فيه ولا تقصير فالعدل هو المساواة في المكافاة ان خيرا فخير وان شرا
فشر والاحسان ان تقابل الخير باكثر منه والشر بان تعفو عنه وقيل العدل الانصاف ولا انصاف
اعظم من الاعتراف للمنعم بانعامه والاحسان ان تحسن الى من اسا اليك وقيل يعني بالعدل في
الافعال وبالاحسان في الاقوال فلا تفعل الا ما هو عدل ولا تقول الا ما هو حسن **وايتاء ذي القربى**
يعني ويامر بصلة الرحم وهم القرابة الادنى والابعد منك فيستحب ان تصلهم من فضل ما رزقك
الله فان لم يكن لك فضل فدعا حسن وتودد **وينهى عن الفحشا** قال ابن عباس يعني الزنا وقال غيره
الفحشا ما قبح من القول والفعل فيدخل فيه الزنى وغيره من جميع الاقوال والافعال المذمومة **والمنكر**
قال ابن عباس يعني الشرك والكفر وقال غيره المنكر ما لا يعرف في شريعة ولا سنة **والبغي** يعني التكبر

والظلم

والظلم وقيل البغي هو التطاول على الغير على سبيل الظلم والعدوان قال بعضهم ان اعجل المعاصي
عقوبة البغي ولو ان جبلين بغى احدهما على الاخر لدك الباغي قال ابن عيينة في هذه الاية العدل
استوا السر والعلانية والاحسان ان يكون سريرته احسن من علانيته والفحشا والمنكر والبغي
ان تكون علانيته احسن من سريرته وقال بعضهم ان الله تعالى ذكر من المامورات ثلاثة اشيا
ومن المنهيات ثلاثة فذكر العدل والانصاف والمساواة في الاقوال والافعال وذكر في مقابلته
الفحشا وهي ما قبح من الافعال والاقوال وذكر الاحسان وهو ان تعفو عن من ظلمك وتحسن الى من
اسا اليك وذكر في مقابلته المنكر وهو ان تنكر احسان من احسن اليك وذكر ايتا ذي القربى والمراد به
صلة القرابة والتودد اليهم والشفقة عليهم وذكر في مقابلته البغي وهو ان تتكبر عليهم وتظلمهم
حقوقهم ثم قال تعالى **يعظكم لعلكم تذكرون** يعني انما امركم بما امركم به ونهاكم عما نهاكم عنه
لكي تتعظوا وتتذكروا فتعملوا بما فيه رضى الله تعالى قال ابن مسعود ان اجمع اية في القران لخير
وشر هذه الاية وقال اهل المعاني لما قال الله تعالى في الاية الاولى ونزلنا عليك الكتاب
تبيانا لكل شي ذكر في هذه الاية المامور به والمنهي عنه على سبيل الاجمال فما من شي يحتاج اليه
الناس في امر دينهم مما يجب ان يوتى او يترك الا وقد اشتملت عليه هذه الاية وروى عكرمة ان
النبي صلى الله عليه وسلم قرا على الوليد بن المغيرة ان الله يامر بالعدل والاحسان الى اخر الاية
فقال له يا ابن اخي اعد علي فاعادها عليه فقال له الوليد والله ان له لحلاوة وان عليه لطلاوة وان
اعلاه لمثمر وان اسفله لمغدق وما هو بقول البشر قوله عز وجل **واوفوا بعهد الله اذا عاهدتم** لما
ذكر الله تعالى في الاية المتقدمة المامورات والمنهيات على سبيل الاجمال ذكر في هذه الاية
بعض ذلك الاجمال على التفصيل فبدا بالامر بالوفا بالعهد لانه اوكد الحقوق فقال واوفوا
بعهد الله اذا عاهدتم ثم نزلت في الذين بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم على الاسلام فامرهم
بالوفا بهذه البيعة وقيل المراد منه كل ما يلتزمه الانسان باختياره ويدخل فيه الوعد ايضا
لان الوعد من العهد وقيل العهد ها هنا اليمين قال القتيبي العهد يمين وكفارته كفارة يمين
فعلى هذا يجب الوفا به اذا كان فيه صلاح اما اذا لم يكن فيه صلاح فلا يجب الوفا به
لقوله صلى الله عليه وسلم من حلف على يمين ثم راى غيرها خيرا منها فلياتِ الذي هو خير
وليكفر عن يمينه فيكون قوله واوفوا بعهد الله من العام الذي خصصته السنة وقال مجاهد
وقتادة نزلت في حلف اهل الجاهلية ويشهد لهذا التاويل قوله صلى الله عليه وسلم كل حلف كان
في الجاهلية لم يزده الاسلام الا شدة **ولا تنقضوا الايمان بعد توكيدها** يعني تشديدها
فتحنثوا فيها وفيه دليل على ان المراد بالعهد غير اليمين لانه اعم منه **وقد جعلتم الله عليكم
كفيلا** يعني شهيدا بالوفا بالعهد **ان الله يعلم ما تفعلون** يعني من وفا العهد ونقضه ثم ضرب
الله لنقض العهد مثلا فقال تعالى **ولا تكونوا** يعني في نقض العهد **كالتي نقضت غزلها من بعد**

قوة يعني من بعد ابرامه واحكامه قال الكلبي ومقاتل هذه امراة من قريش يقال لها ريطه
بنت عمرو بن سعيد بن كعب بن زيد مناة ابن تميم وكانت خرقا خرقا بها وسوسة وكانت
قد اتخذت مغزلا قدر ذراع وصنارة مثل الاصبع وفلكة عظيمة على قدرها وكانت تغزل الغزل
من الصوف والشعر والوبر وتامر جواريها بالغزل فكن يغزلن من الغداة الى نصف النهار فاذا
انتصف النهار امرتهن بنقض جميع ما غزلن فكان هذا دابها والمعنى ان هذه المراة لم تكف عن العمل
ولا حين عملت كفت عن النقض فكذلك من نقض العهد لا تركه ولا حين عاهد وفى به **انكاثا** جمع نكث
وهو ما ينقض من الغزل او الحبل بعد الفتل **تتخذون ايمانكم دخلا بينكم** يعني دغلا وخيانة
وخديعة والدخل ما يدخل في الشي على سبيل الفساد وقيل الدخل والدغل ان يظهر
الرجل الوفا بالعهد ويبطن نقضه **ان تكون** يعني لان تكون **امة هي اربى من امة** يعني اكثر واعلا
من امة قال مجاهد وذلك انهم كانوا يحالفون الحلفا فاذا وجدوا قوما اكثر من اوليك واعز
نقضوا حلف هولا وحالفوا الاكثر والمعنى انكم طلبتم العز بنقض العهد بان كانت امة اي
جماعة اكثر من جماعة فنهاهم الله عن ذلك وامرهم بالوفا بالعهد لمن عاهدوا وحالفوا **انما يبلوكم
الله به** يعني يختبركم بما امركم به من الوفا بالعهد وهو اعلم بكم **وليبينن لكم يوم القيمة ما كنتم فيه
تختلفون** يعني في الدنيا فيثيب الطايع المحق ويعاقب المسي المخالف قوله تعالى **ولو شا الله
لجعلكم امة واحدة** يعني على ملة واحدة ودين واحد وهو دين الاسلام **ولكن يضل من يشاء**
يعني بخذلانه اياه عدلا منه **ويهدي من يشا** بتوفيقه اياه تفضلا منه وذلك مما اقتضته الحكمة
الالهية لا يسال عما يفعل وهم يسالون وهو قوله تعالى **ولتسالن عما كنتم تعملون** يعني في الدنيا
فيجازي المحسن باحسانه ويعاقب المسي او يغفر قوله عز وجل **ولا تتخذوا ايمانكم دخلا بينكم**
يعني خديعة وفسادا بينكم فتغرون بها الناس فيسكنون الى ايمانكم ويامنون اليكم ثم تنقضونها
وانما كرر هذا النهي تاكيدا عليهم واظهارا لعظيم امر نقض العهد قال المفسرون وهذا في نهي
الذين بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم على الاسلام نهاهم عن نقض عهده لان الوعيد الذي بعده
وهو قوله فتزل قدم بعد ثبوتها لا يليق بنقض عهد قبله انما يليق بنقض عهد رسول الله صلى الله
عليه وسلم على الايمان به وشريعته وقوله **فتزل قدم بعد ثبوتها** مثل يذكر لكل من وقع في بلا ومحنة
بعد عافية ونعمة او سقط في ورطة بعد سلامة تقول العرب لكل واقع في بلا بعد عافية
زلت قدمه والمعنى فتزل اقدامكم عن محجة الاسلام بعد ثبوتها عليها **وتذوقوا السو** يعني العذاب
بما صددتم عن سبيل الله يعني بسبب صدكم غيركم عن دين الله وذلك لان من نقض العهد فقد
علم غيره نقض العهد فيكون هو اقدم على ذلك **ولكم عذاب عظيم** يعني بنقضكم العهد **ولا تشتروا
بعهد الله ثمنا قليلا** يعني ولا تنقضوا عهدكم وتطلبوا بنقضها عوضا من الدنيا قليلا ولكن
اوفوا بها **انما عند الله** يعني فان ما عند الله من الثواب لكم على الوفا بالعهد **هو خير لكم** يعني من عاجل

الدنيا

الدنيا **ان كنتم تعلمون** يعني فضل ما بين العوضين ثم بين ذلك فقال تعالى **ما عندكم ينفد**
يعني من متاع الدنيا ولذاتها يفنى ويذهب **وما عند الله باق** يعني من ثواب الاخرة ونعيم الجنة
ولنجزين الذين صبروا يعني على الوفا بالعهد في السرا والضرا **اجرهم** يعني ثواب صبرهم
باحسن ما كانوا يعملون عن ابي موسى الاشعري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من احب
دنياه اضر باخرته ومن احب اخرته اضر بدنياه فاثروا ما يبقى على ما يفنى وقوله تعالى **من عمل صالحا
من ذكر او انثى وهو مومن** فان قلت من عمل صالحا يفيد العموم فما فايدة ذكر الذكر والانثى
قلت هو مبهم صالح على الاطلاق للنوعين الا انه اذا اطلق كان الظاهر تناوله للذكر دون الانثى
فقيل من ذكر او انثى على التبيين ليعم الوعد للنوعين جميعا وجواب اخر وهو ان هذه الاية واردة
بالوعد بالثواب والمبالغة في تقرير الوعد من اعظم دلايل الكرم والرحمة اثباتا للتاكيد وازالة
لوهم التخصيص وقوله وهو مومن جعل الايمان شرطا في كون العمل الصالح موجبا للثواب **فلنحيينه
حياة طيبة** قال سعيد بن جبير وعطا هي الرزق الحلال وقال مقاتل يعني العيش في الطاعة
وقيل هي حلاوة الطاعة وقال الحسن هي القناعة وقيل رزق يوم بيوم واعلم ان عيش المومن
في الدنيا وان كان فقيرا اطيب من عيش الكافر وان كان غنيا لان المومن لما علم ان رزقه من عند الله
وذلك بتقديره وتدبيره وعرف ان الله محسن كريم متفضل لا يفعل الا الصواب فكان المومن
راضيا عن الله وراضيا بما قدره الله ورزقه اياه وعرف ان مصلحته في ذلك القدر الذي رزقه هو
فاستراحت نفسه من الكد والحرص فطاب عيشه بذلك واما الكافر والجاهل بهذه الاصول
الحريص على طلب الرزق فيكون ابدا في حزن وتعب وعنا وحرص وكد ولا ينال من الرزق الا ما قدر له فظهر
بهذا ان عيش المومن القنوع اطيب من غيره وقال السدي الحياة الطيبة انما تحصل في القبر
لان المومن يستريح بالموت من نكد الدنيا وتعبها وقال مجاهد وقتادة في قوله فلنحيينه حياة طيبة
هي الجنة ورواه عوف عن الحسن وقال لا تطيب لاحد الحياة الا في الجنة لانها حياة بلا موت
وغنى بلا فقر وصحة بلا سقم وملك بلا هلك وسعادة بلا شقاوة فثبت بهذا ان الحياة الطيبة
لا تكون الا في الجنة ولقوله في سياق الاية **ولنجزينهم اجرهم باحسن ما كانوا يعملون** لان ذلك
الجزا انما يكون في الجنة قوله عز وجل **فاذا قرات القران فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم**
الخطاب فيه للنبي صلى الله عليه وسلم ويدخل فيه غيره من امته لان النبي صلى الله عليه وسلم لما كان
غير محتاج الى الاستعاذة وقد امر بها فغيره اولى بذلك ولما كان الشيطان ساعيا في القا
الوسوسة في قلوب بني ادم وكان الاستعاذة بالله مانعة من ذلك فلهذا السبب امر الله
رسوله صلى الله عليه وسلم والمومنين بالاستعاذة عند القراة حتى تبقى مصونة من وسواس
الشيطان عن جبير بن مطعم انه راى رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي صلاة قال عمرو لا ادري
اي صلاة هي فقال الله اكبر كبيرا الله اكبر كبيرا الله اكبر كبيرا ثلاثا والحمد لله كثيرا ثلاثا وسبحان الله

بكرة واصيلا ثم قال اعوذ بالله من الشيطان من نفخه ونفثه وهمزه قال نفخه الكبر ونفثه
الشعر وهمزه الموتة اخرجه ابو داود الموتة الجنون والفا في قوله فاستعذ بالله للتعقيب
فظاهر لفظ الاية يدل على ان الاستعاذة بعد القراة واليه ذهب جماعة من الصحابة والتابعين
وهو قول ابي هريرة واليه ذهب مالك وداود الظاهري قالوا لان قارئ القران يستحق ثوابا عظيما
وربما حصلت الوساوس في قلب القارئ هل حصل له ذلك الثواب ام لا فاذا استعاذ بعد القراة
اندفعت تلك الوساوس وبقي الثواب مخلصا واما مذهب الاكثرين من الصحابة والتابعين ومن
بعدهم من الايمة وفقها الامصار فقد اتفقوا على ان الاستعاذة مقدمة على القراة قالوا ومعنى
الاية اذا اردت ان تقرا القران فاستعذ بالله ومثله قوله تعالى اذا قمتم الى الصلاة فاغسلوا
وجوهكم ومثله من الكلام اذا اردت ان تاكل فقل بسم الله واذا اردت ان تسافر فتاهب وايضا
فان الوسوسة انما تحصل في اثنا القراة فتقديم الاستعاذة على القراة لتذهب الوسوسة
عنه اولى من تاخيرها عن وقت الحاجة اليها ومذهب عطا انه تجب الاستعاذة عند قراة القران
سوا كانت في الصلاة او في غيرها واتفق ساير الفقها على ان الاستعاذة سنة في الصلاة
وغيرها وقد تقدمت هذه المسيلة والخلاف فيها في اول سورة الفاتحة والاستعاذة الاعتصام
بالله والالتجا اليه من شر الشيطان ووسوسته والمراد من الشيطان ابليس وقيل هو اسم جنس
يطلق على جميع المردة من الشياطين لان لهم قدرة على القا الوسوسة في قلوب بني ادم باقدار
الله اياهم على ذلك انه ليس له سلطان على الذين امنوا وعلى ربهم يتوكلون لما امر الله رسوله
صلى الله عليه وسلم بالاستعاذة من الشيطان فكان ذلك اوهم ان له قدرة على التصرف في ابدان بني ادم
فازال الله تعالى هذا الوهم بقوله انه ليس له سلطان يعني ليس له قدرة وولاية على الذين امنوا
وعلى ربهم يتوكلون قال سفيان ليس له سلطان على ان يحملهم على ذنب لا يغفر ويظهر من هذا ان
الاستعاذة انما تفيد اذا حضر بقلب الانسان كونه ضعيفا وانه لا يمكنه التحفظ من وسوسة
الشيطان الا بعصمة الله ولهذا قال المحققون لا حول عن معصية الله الا بعصمة الله ولا قوة على
طاعة الله الا بتوفيق الله ثم قال تعالى انما سلطانه على الذين يتولونه يعني يطيعونه ويدخلون
في ولايته يقال توليته اذا اطعته وتوليت عنه اذا اعرضت عنه والذين هم به مشركون
يعني بالله وقيل الضمير في به راجع الى الشيطان والمعنى هم من اجله مشركون بالله قوله تعالى
واذا بدلنا اية مكان اية والله اعلم بما ينزل الاية وذلك ان المشركين من اهل مكة قالوا ان محمدا
يسخر باصحابه يامرهم اليوم بامر وينهاهم عنه غدا ما هو الا مفتر يتقوله من تلقا نفسه
فانزل الله هذه الاية والمعنى واذا نسخنا حكم اية فابدلنا مكانه حكما اخر والله اعلم بما ينزل
اعتراض دخل في الكلام والمعنى والله اعلم بما ينزل من الناسخ وبما هو اصلح لخلقه وفيما يغير
ويبدل من حكم اياته وهو اعلم بجميع ذلك فيما هو من مصالح عباده وهذا توبيخ وتقريع للكفار على

قولهم للنبي صلى الله عليه وسلم وهو قوله قالوا انما انت مفتر اي تختلقه من عندك والمعنى اذا كان
الله تعالى اعلم بما ينزل فما بالهم ينسبون محمدا الى الافترا والكذب لاجل التبديل والنسخ وانما
فايدة ذلك ترجع الى مصالح العباد كما يقال ان الطبيب يامر المريض بشربة ثم بعد ذلك
ينهاه عنه ويامره بغيره لما يرى فيه من المصلحة بل اكثرهم لا يعلمون يعني لا يعلمون فايدة
الناسخ وتبديل المنسوخ قل اي قل لهم يا محمد نزله يعني القران روح القدس يعني جبريل صلى الله عليه وسلم
اضيف الى القدس وهو الطهر كما يقال حاتم الجود وطلحة الخير والمعنى الروح المقدسة المطهرة
من ربك يعني ان جبريل نزل بالقران من ربك يا محمد بالحق ليثبت الذين امنوا يعني ليثبت بالقران
قلوب المومنين فيزدادوا ايمانا ويقينا وهدى وبشرى يعني وهو هدى وبشرى للمسلمين قوله عز وجل
ولقد نعلم انهم يقولون انما يعلمه بشر وذلك ان كفار مكة قالوا انما يتعلم هذه القصص وهذه
الاخبار من انسان اخر وهو ادمي مثله وليس هو من عند الله كما يزعم فاجابهم الله بقوله ولقد نعلم
انهم يقولون انما يعلمه بشر واختلفوا في ذلك البشر من هو فقال ابن عباس كان رسول الله صلى الله عليه
وسلم يعلم قينا بمكة اسمه بلعام وكان نصرانيا اعجمي اللسان فكان المشركون يرون رسول الله صلى الله عليه
وسلم يدخل عليه ويخرج من عنده فكانوا يقولون انما يعلمه بلعام وقال عكرمة كان رسول الله صلى
الله عليه وسلم يقري غلاما لبني المغيرة يقال له يعيش وكان يقرا الكتب فقالت قريش انما يعلمه يعيش
وقال محمد بن اسحاق كان رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما بلغني كثيرا ما يجلس عند المروة الى غلام رومي
نصراني عبد لبعض بني الحضرمي يقال له جبر وكان يقرا الكتب وقال عبيد الله بن مسلم كان لنا عبدان من اهل
عين التمر يقال لاحدهما يسار ويكنى ابا فكيهة ويقال للاخر جبر وكانا يصنعان السيوف بمكة وكانا
يقرءان التوراة والانجيل فربما مر بهما النبي صلى الله عليه وسلم وهما يقرءان فيقف ويستمع قال الضحاك
وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اذاه الكفار يقعد اليهما فيستروح بكلامهما فقال المشركون
انما يتعلم محمد منهما وقال الفرا قال المشركون انما يتعلم محمد من عايش مملوك كان لحويطب بن عبد العزى
كان نصرانيا وقد اسلم وحسن اسلامه وكان اعجم وقيل هو عداس غلام عتبة بن ربيعة والحاصل
ان الكفار اتهموا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا انما يتعلم هذه الكلمات من غيره ثم انه يضيفها
الى نفسه ويزعم انه وحي من الله عز وجل وهو كاذب في ذلك فاجاب عنه الله تعالى وانزل هذه الاية
تكذيبا لهم فيما رموا به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الكذب فقال تعالى لسان الذي يلحدون اليه
يعني يميلون ويشيرون اليه اعجمي يعني هو اعجمي والاعجمي هو الذي لا يفصح في كلامه وان كان يسكن البادية
ومنه سمي زياد الاعجم كان في لسانه عجمة مع انه كان من العرب والعجمي منسوب الى العجم وان كان فصيحا
بالعربية والاعرابي الذي يسكن البادية والعربي الذي يسكن الامصار من بلاد العرب وهو منسوب
الى العرب فقوله وهذا لسان عربي مبين يعني بين الفصاحة والبلاغة وهو الجواب هو ان الذي
يشيرون اليه رجل اعجمي في لسانه عجمة تمنعه من الاتيان بفصيح الكلام ومحمد صلى الله عليه وسلم

جاءكم بهذا القرآن الفصيح الذي عجزتم انتم عنه وانتم اهل الفصاحة والبلاغة فكيف
يقدر من هو اعجمي على مثله واين فصاحة هذا القرآن من عجمة هذا الذي يشيرون اليه فثبت
بهذا البرهان ان الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم وحي اوحاه الله اليه وليس هو من تعليم
الذي يشيرون ولا هو اتى به من تلقاء نفسه بل هو وحي من الله عز وجل اليه وروي ان الرجل الذي
كانوا يشيرون اليه اسلم وحسن اسلامه ان الذين لا يؤمنون بآيات الله يعني لا يصدقون
انها من عند الله لا يهديهم الله يعني لا يرشدهم ولا يوفقهم للايمان ولهم عذاب اليم يعني في
الآخرة ثم اخبر الله ان الكفار هم المفترون فقال تعالى انما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون بآيات
الله يعني انما يقدم على الفرية الكذب من لا يؤمن بآيات الله فهو رد لقول كفار قريش انما انت
مفتر واولئك هم الكاذبون يعني في قولهم انما يعلمه بشر لا محمد صلى الله عليه وسلم فان قلت قد قال
تعالى انما يفتري الكذب فما معنى قوله واولئك هم الكاذبون والثاني هو الاول قلت قوله انما يفتري
الكذب اخبار عن فعلهم وقوله واولئك هم الكاذبون نعت لازم لهم كقول الرجل لغيره كذبت وانت
كاذب اي كذبت في هذا القول ومن عادتك الكذب وفي الآية دليل على ان الكذب من اخس الذنوب
الكبائر لان الكاذب المفتري هو الذي لا يؤمن بآيات الله روى البغوي باسناد الثعلبي عن عبد الله
ابن جراد قال قلت يا رسول الله المؤمن يزني قال قد يكون ذلك قلت المؤمن يسرق قال قد يكون ذلك
قلت المؤمن يكذب قال لا قال الله انما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله قوله تعالى من كفر بالله
من بعد ايمانه الا من اكره وقلبه مطمئن بالايمان نزلت في عمار بن ياسر وذلك ان المشركين اخذوه واباه
ياسرا وامه سمية وصهيبا وبلالا وخبابا وسالما فعذبوهم ليرجعوا عن الاسلام فاما سمية ام
عمار فانها ربطت بين بعيرين ووجئ قبلها بحربة فقتلت وقتل زوجها ياسر فهما اول قتيلين قتلا
في الاسلام واما عمار فانه اعطاهم بعض ما ارادوا بلسانه مكرها قال قتادة اخذ بنو المغيرة
عمارا وغطوه في بئر ميمون وقالوا اكفر بمحمد فتابعهم على ذلك وقلبه كاره فاخبر رسول الله صلى الله
عليه وسلم ان عمارا كفر فقال كلا ان عمارا ملئ ايمانا من قرنه الى قدمه واختلط الايمان بلحمه ودمه
فاتى عمار رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يبكي فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ما وراءك قال
شر يا رسول الله نلت منك وذكرت آلهتهم فقال كيف وجدت قلبك قال مطمئنا بالايمان فجعل النبي
صلى الله عليه وسلم يمسح عينيه وقال ان عادوا لك فعد لهم بما قلت فنزلت هذه الآية وقال مجاهد
نزلت في اناس من اهل مكة آمنوا فكتب اليهم بعض اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ان هاجروا الينا
فانا لا نراكم منا حتى تهاجروا فخرجوا يريدون المدينة فادركتهم قريش في الطريق ففتنوهم عن
دينهم فكفروا كارهين وهذا القول ضعيف لان الآية مكية وكان هذا في اول الاسلام قبل ان يؤمروا
بالهجرة وقال مقاتل نزلت في جبر مولى عامر بن الحضرمي اكرهه سيده على الكفر فكفر مكرها وقلبه مطمئن
بالايمان ثم اسلم عامر بن الحضرمي مولى جبر وحسن اسلامهما وهاجرا الى المدينة والاولى ان يقال الآية عامة

في كل من اكره على الكفر وقلبه مطمئن بالايمان وان كان السبب خاصا فان قلت المكره
على الكفر ليس بكافر فلا يصح استثناؤه من الكافر فما معنى هذا الاستثناء الا من اكره قلت
المكره لما ظهر منه بعد الايمان ما مثله يظهر من الكافر طوعا صح هذا الاستثناء لهذه المشابهة
والمشاكلة والله اعلم فصل في حكم الآية قال العلماء يجب ان يكون الاكراه الذي يجوز له ان
يتلفظ معه بكلمة الكفر ان يعذب بعذاب لا طاقة له به مثل التخويف بالقتل والضرب الشديد
والايلامات القوية مثل التحريق بالنار ونحوه قال العلماء اول من اظهر الاسلام سبعة رسول الله
صلى الله عليه وسلم وابو بكر وخباب وصهيب وبلال وعمار وابوه ياسر وامه سمية فاما رسول
الله صلى الله عليه وسلم فمنعه الله من اذى المشركين بعمه ابي طالب واما ابو بكر فمنعه قومه
وعشيرته واخذ الآخرون والبسوا ادراع الحديد واجلسوهم في حر الشمس بمكة فاما بلال
فكانوا يعذبونه وهو يقول احد احد حتى اشتراه ابو بكر واعتقه وقتل ياسر وسمية كما تقدم
وقال خباب لقد اوقدوا لي نارا ما اطفأها الا ودك ظهري واجمعوا على ان من اكره على الكفر لا يجوز
له ان يتلفظ بكلمة صريحا بل يأتي بالمعاريض وبما يوهم انه كفر فلو اكره على التصريح يباح له ذلك
بشرط طمأنينة القلب على الايمان غير معتقد ما يقوله من كلمة الكفر ولو صبر حتى قتل كان افضل
لان ياسرا وسمية قتلا ولم يتلفظا بكلمة الكفر ولان بلالا صبر على العذاب ولم يلم على ذلك قال
العلماء من الافعال اما ما لا يتصور الاكراه عليها كشرب الخمر واكل لحم الخنزير والميتة ونحوها فمتى
اكره بالسيف والقتل على ان يشرب الخمر او ياكل الميتة او لحم الخنزير جاز له ذلك لقوله تعالى
ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة وقيل لا يجوز له ذلك ولو صبر كان افضل ومن الافعال ما لا يتصور
الاكراه عليه كالزنا لان الاكراه يوجب الخوف الشديد وذلك يمنع من انتشار الآلة فلا يتصور
فيه الاكراه واختلف العلماء في طلاق المكره فقال الشافعي واكثر العلماء لا يقع طلاق المكره وقال
ابو حنيفة يقع حجة الشافعي ومن وافقه قوله تعالى لا اكراه في الدين ولا يمكن ان يكون المراد نفي ذاته
لان ذاته موجودة فوجب حمله على نفي آثاره والمعنى انه لا اثر له ولا عبرة به وقوله تعالى وقلبه
مطمئن بالايمان فيه دليل على ان محل الايمان هو القلب ولكن من شرح بالكفر صدرا يعني
فتحه ووسعه لقبول الكفر واختاره ورضي به فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم يعني في
الآخرة ذلك بانهم استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة يعني ذلك الاقدام على الارتداد الى الكفر
لاجل انهم استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة وان الله لا يهدي القوم الكافرين يعني لا يرشدهم الى
الايمان ولا يوفقهم للعمل به اولئك الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم وابصارهم تقدم تفسيره
واولئك هم الغافلون يعني عما يراد بهم من العذاب في الآخرة وهو قوله تعالى لا جرم انهم في الآخرة هم
الخاسرون يعني ان الانسان انما يعمل في الدنيا ليربح في الآخرة فاذا دخل النار بان خسرانه
وظهر غبنه لانه ضيع راس ماله وهو الايمان ومن ضيع راس ماله فهو خاسر قوله عز وجل ثم ان

ربك للذين هاجروا من بعد ما فتنوا يعني عذبوا ومنعوا من الدخول في الاسلام فتنهم المشركون ثم جاهدوا وصبروا يعني على الايمان والهجرة والجهاد ان ربك من بعدها من بعد الفتنة التي فتنوها لغفور رحيم نزلت هذه الاية في عياش بن ابي ربيعة وكان اخا ابي جهل من الرضاعة كان اخاه لامه وفي ابي جندل بن سهيل بن عمرو والوليد بن الوليد بن المغيرة وسلمة بن هشام وعبد الله بن اسيد الثقفي فتنهم المشركون وعذبوهم فاعطوهم بعض ما ارادوا ليسلموا من شرهم ثم انهم بعد ذلك هاجروا وجاهدوا وقال الحسن وعكرمة نزلت هذه في عبد الله بن ابي سرح قد اسلم وكان يكتب للنبي صلى الله عليه وسلم فاستزله الشيطان فارتد ولحق بالكفار فلما كان يوم فتح مكة امر النبي صلى الله عليه وسلم بقتله فاستجار له عثمان وكان اخاه لامه فاجاره رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتى به فاسلم وحسن اسلامه وهذا القول انما يصح اذا قلنا ان هذه الاية مدنية نزلت بالمدينة فتكون من الايات المدنيات في السور المكيات والله اعلم بحقيقة ذلك قوله تعالى يوم تاتي كل نفس تجادل يعني تخاصم وتحتج عن نفسها بما اسلفت من خير وشر اشتغلت بالمجادلة لا تتفرغ الى غيرها فان قلت النفس هي نفس واحدة وليس لها نفس اخرى فما معنى قوله كل نفس تجادل عن نفسها قلت ان النفس قد يراد بها بدن الانسان وقد يراد بها مجموع ذاته وحقيقته فالنفس الاولى هي مجموع ذات الانسان وحقيقته والنفس الثانية هي بدنه فهي عينها وذاتها ايضا والمعنى يوم ياتي كل انسان يجادل عن ذاته ولا يهمه غيره ومعنى هذه المجادلة الاعتذار بما لا يقبل منه كقولهم والله ربنا ما كنا مشركين ونحو ذلك من الاعتذارات وتوفى كل نفس ما عملت يعني جزاء ما عملت في الدنيا من خير او شر وهم لا يظلمون يعني لا ينقصون من جزاء عملهم شيئا بل يوفون ذلك كاملا من غير زيادة ولا نقصان روي ان عمر ابن الخطاب رضي الله عنه قال لكعب الاحبار خوفنا فقال يا امير المومنين والذي نفسي بيده لو وافيت القيامة بمثل عمل سبعين نبيا لاتت عليك تارات وانت لا يهمك الا نفسك وان لجهنم لزفرة ما يبقى ملك مقرب ولا نبي مرسل الا جثى على ركبتيه حتى ابراهيم خليل الرحمن يقول يا رب لا اسالك الا نفسي وان تصديق ذلك فيما انزل الله تعالى يوم تاتي كل نفس تجادل عن نفسها وروى عكرمة عن ابن عباس في هذه الاية قال ما تزال الخصومة بين الناس يوم القيامة حتى تخاصم الروح الجسد فتقول الروح يا رب لم يكن لي يد ابطش بها ولا رجل امشي بها ولا عين ابصر بها فيقول الجسد يا رب انت خلقتني كالخشبة ليست لي يد ابطش بها ولا رجل امشي بها ولا عين ابصر بها فجاء هذا الروح كشعاع النور فيه نطق لساني وبه ابصرت عيناي وبه مشت رجلي فيضرب الله لهما مثلا اعمى ومقعد دخلا حائطا يعني بستانا فيه ثمار فالاعمى لا يبصر الثمر والمقعد لا يناله فحمل الاعمى المقعد فاصابا من الثمر فعليهما العذاب قوله عز وجل وضرب الله مثلا قرية المثل عبارة عن قول في شيء يشبه قولا في شيء اخر بينهما مشابهة ليبين احدهما الاخر ويصوره وقيل هو عبارة عن المشابهة لغيره في معنى من المعاني اي معنى كان وهو اعم الالفاظ الموضوعة للمشابهة

قال الامام فخر الدين الرازي المثل قد يضرب بشيء موصوف بصفة معينة سواء كان ذلك الشيء موجودا او لم يكن وقد يضرب بشيء موجود معين فهذه القرية التي ضرب الله بها هذا المثل يحتمل ان تكون شيئا مفروضا ويحتمل ان تكون قرية معينة وعلى التقدير الثاني فتلك القرية يحتمل ان تكون مكة او غيرها والاكثر من المفسرين على انها مكة والاقرب انها غير مكة لانها ضربت مثلا لمكة ومثل مكة يكون غير مكة وقال الزمخشري في كتابه الكشاف وضرب الله مثلا قرية اي جعل القرية التي هذه حالها مثلا لكل قوم انعم الله عليهم فابطرتهم النعمة فكفروا وتولوا فانزل بهم نقمته فيجوز ان يراد قرية مقدرة على هذه الصفة وان تكون في قرى الاولين قرية كانت هذه حالها فضربها الله مثلا لمكة انذارا من مثل عاقبتها وقال الواحدي يعني ضرب المثل بيان الحال المشبه والمشبه به وها هنا ضرب المشبه به ولم يذكر المشبه لوضوحه عند المخاطبين والاية عند عامة المفسرين نازلة في اهل مكة وما امتحنوا به من الخوف والجوع بعد الامن والنعمة بتكذيبهم النبي صلى الله عليه وسلم فتقدير الاية ضرب الله مثلا لقريتكم مثلا اي بين الله لها شبها ثم قال قرية فيجوز ان تكون القرية بدلا من مثلا لانها هي الممثل بها في المثل ويجوز ان يكون المعنى ضرب الله مثلا مثل قرية فحذف المضاف هذا قول الزجاج والمفسرون كلهم قالوا اراد بالقرية مكة يعنون انه اراد مكة في تمثيلها بقرية صفتها ما ذكر وقال ابن الجوزي في هذه القرية قولان احدهما انها مكة قاله ابن عباس ومجاهد وقتادة والجمهور وهو الصحيح والثاني انها قرية اوسع الله على اهلها حتى كانوا يستنجون بالخبز فبعث الله عليهم الجوع قاله الحسن واقول هذه الاية نزلت في المدينة في قول بعض المفسرين وهو الصحيح لان الله تعالى وصف هذه القرية بصفات ستة كانت هذه الصفات موجودة في اهل مكة فضربها الله مثلا لاهل المدينة يحذرهم ان يصنعوا مثل صنيعهم فيصيبهم ما اصابهم من الجوع والخوف ويشهد لصحة ما قلت ان الخوف المذكور في هذه الاية في قوله فاذاقها الله لباس الجوع والخوف هو البعوث والسرايا التي كان النبي صلى الله عليه وسلم يبعثها في قول جميع المفسرين لان النبي صلى الله عليه وسلم لم يومر بالقتال وهو بمكة انما امر بالقتال لما هاجر الى المدينة فكان يبعث البعوث والسرايا الى حول مكة يخوفهم بذلك وهو بالمدينة والله اعلم بمراده واما تفسير الاية فقوله تعالى وضرب الله مثلا قرية يعني مكة كانت امنة يعني ذات امن لا يهاج اهلها ولا يغار عليهم مطمئنة يعني قارة باهلها لا يحتاجون الى الانتقال عنها للانتجاع كما كان يحتاج اليه سائر العرب ياتيها رزقها رغدا يعني واسعا من كل مكان يعني يحمل اليها الرزق والميرة من البر والبحر نظيره قوله تعالى يجبى اليه ثمرات كل شيء وذلك بدعوة ابراهيم صلى الله عليه وسلم وهو قوله وارزق اهله من الثمرات فكفرت يعني هذه القرية والمراد اهلها بانعم الله جمع نعمة والمراد به سائر النعم التي انعم الله بها على اهل مكة فلما قابلوا نعم الله التي انعم بها عليهم بالجحود والكفران لا جرم ان الله تعالى انتقم منهم فقال تعالى فاذاقها الله لباس الجوع والخوف وذلك ان الله تعالى ابتلاهم بالجوع سبع سنين

فقطع عنهم المطر وقطعت العرب عنهم الميرة بامر رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى جهدوا فاكلوا
العظام المحرقة والجيف والكلاب والميتة والعهن وهو الوبر يعالج بالدم ويخلط به حتى يوكل حتى
كان احدهم ينظر الى السما فيرى شبه الدخان من الجوع ثم ان روسا مكة كلموا رسول الله صلى الله
عليه وسلم في ذلك وقالوا ما هذا هبك عاديت الرجال فما بال النسا والصبيان فاذن رسول الله صلى
الله عليه وسلم للناس في حمل الطعام اليهم وهم بعد مشركون والخوف يعني خوف بعوث النبي صلى
الله عليه وسلم وسراياه التي كان يبعثها للاغارة فكانت تطيف بهم ويغيرون على من حولهم من
العرب فكان اهل مكة يخافونهم فان قلت الاذاقة واللباس استعارتان فما وجه صحتها والاذاقة
المستعارة موقعة على اللباس المستعار فما وجه صحة ايقاعها عليه وهو ان اللباس لا يذاق
بل يلبس فيقال وكساهم الله لباس الجوع او يقال فاذاقهم الله طعم الجوع قلت قال صاحب
الكشاف اما الاذاقة فقد جرت عندهم مجرى الحقيقة لشيوعها في البلايا والشدايد وما يمس الناس
منها فيقولون ذاق فلان البوس والضر واذاقه العذاب شبه ما يدرك من اثر الضر والالم بما يدرك
من طعم المر والبشع واما اللباس فقد شبه به لاشتماله على ما غشي الانسان والتبس به من بعض
الحوادث واما ايقاع الاذاقة على لباس الجوع والخوف فلانه لما وقع عبارة عما يغشى منهما ويلابس
فكانه قيل فاذاقها ما غشيهم من الجوع والخوف ثم ذكر بعده من علم المعاني والبيان ما يشهد
لصحة ما قال وقال الامام فخر الدين الرازي جوابه من وجوه الاول ان الاحوال التي حصلت لهم
عند الجوع نوعان احدهما ان المذوق وهو الطعام فلما فقدوا الطعام صاروا كانهم يذوقون الجوع
الثاني ان ذلك الجوع كان شديدا كاملا فصار كانه احاط بهم من كل الجهات فاشبه اللباس فالحاصل
انه حصل لهم في ذلك الجوع حالة تشبه المذوق وحالة تشبه الملبوس فاعتبر الله كلا الاعتبارين
فقال فاذاقها الله لباس الجوع والخوف الوجه الثاني ان التقدير عرفها الله اثر لباس الجوع
والخوف الا انه تعالى عبر عن التعريف بلفظ الاذاقة واصل الذوق بالفم ثم قد يستعار فيوضع
موضع التعريف والاختبار تقول ناظر فلانا وذق ما عنده قال الشاعر ومن يذق الدنيا فاني طعمتها
وسيق الينا عذبها وعذابها ولباس الجوع والخوف ما ظهر عليهم من الظهور وشحوب اللون
ونهكة البدن وتغير الحال وكسوف البال كما تقول تعرفت سوء اثر الجوع والخوف على فلان وذقت
لا تعرف الوجه الثالث ان يحمل لفظ الذوق واللبس على المماسة فصار التقدير فاذاقها الله
مساس الجوع والخوف ثم قال تعالى **بما كانوا يصنعون** ولم يقل بما صنعت لانه اراد اهل القرية
والمعنى فعلنا بهم ما فعلنا بسبب ما كانوا يصنعون وهذا مثل اهل مكة لانهم كانوا في الامن
والطمانينة والخصب ثم انعم الله عز وجل عليهم بالنعمة العظيمة وهي ارسال محمد صلى
الله عليه وسلم اليهم وهو منهم فكفروا به وكذبوه وبالغوا في اذايه وارادوا قتله فاخرجه الله من
بينهم وامره بالهجرة الى المدينة وسلط على اهل مكة البلا والشدايد والخوف كل ذلك بسبب تكذيبهم

رسول الله

رسول الله صلى الله عليه وسلم وخروجه من بين اظهرهم وقوله تعالى **ولقد جاءهم** يعني اهل مكة **رسول
منهم** يعني محمدا صلى الله عليه وسلم يعرفون نسبه ويعرفونه قبل النبوة وبعدها **فكذبوه فاخذهم
العذاب** يعني الجوع والخوف وقيل القتل يوم بدر والقول الاول اولى لما تقدم في الاية **وهم ظالمون**
يعني كافرون **فكلوا مما رزقكم الله** في المخاطبين بهذا قولان احدهما انهم المسلمون وهو قول
جمهور المفسرين والثاني انهم المشركون من اهل مكة قال الكلبي لما اشتد الجوع باهل مكة كلمه
روساوهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا انك انما عاديت الرجال فما بال النسا والصبيان
فاذن رسول الله صلى الله عليه وسلم للناس ان يحملوا الطعام اليهم حكاه الواحدي وغيره وعلى
القول الاول وهو الصحيح قوله تعالى فكلوا مما رزقكم الله قال ابن عباس فكلوا يا معشر المومنين مما
رزقكم الله يريد الغنايم **حلالا طيبا** يعني ان الله احل الغنايم لهذه الامة وطيبها لهم ولم تحل
لاحد قبلهم **واشكروا نعمة الله** يعني التي انعم بها عليكم **ان كنتم اياه تعبدون انما حرم عليكم
الميتة والدم ولحم الخنزير وما اهل لغير الله به فمن اضطر غير باغ ولا عاد فان الله غفور رحيم**
تقدم تفسير هذه الاية واحكامها في تفسير سورة البقرة فلم نعده ها هنا وقوله تعالى **ولا
تقولوا لما تصف السنتكم الكذب** يعني ولا تقولوا لاجل وصفكم الكذب **هذا حلال وهذا حرام**
يعني انكم تحلون وتحرمون لاجل الكذب لا لغيره فليس لتحليلكم وتحريمكم معنى وسبب الا الكذب
فقط فلا تفعلوا ذلك قال مجاهد يعني البحيرة والسايبة وقال ابن عباس يعني قولهم ما في بطون
هذه الانعام خالصة لذكورنا ومحرم على ازواجنا وذلك ان العرب في الجاهلية كانوا يحلون
اشيا ويحرمون اشيا من عند انفسهم وينسبون ذلك الى الله وهو قوله تعالى **لتفتروا على الله
الكذب** يعني لا تقولوا ان الله امرنا بذلك فتكذبوا على الله لان وصفهم الكذب هو افترا على الله ثم
اوعد المفترين الكذب فقال تعالى **ان الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون** يعني لا ينجون من العذاب
وقيل معناه لا يفوزون بخير لان الفلاح هو الفوز بالخير والنجاح ثم بين ان ما هم فيه من نعيم
الدنيا يزول عنهم عن قريب فقال تعالى **متاع قليل** يعني متاعهم في الدنيا متاع قليل فانه لا بقا له
ولهم عذاب اليم يعني في الاخرة **وعلى الذين هادوا** يعني اليهود **حرمنا ما قصصنا عليك من قبل**
يعني ما سبق ذكره وبيانه في سورة الانعام وهو قوله تعالى وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر الاية
وما ظلمناهم يعني بتحريم ذلك عليهم **ولكن كانوا انفسهم يظلمون** يعني انا حرمنا عليهم ما حرمنا
بسبب بغيهم وظلم انفسهم نظيره قوله تعالى فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات احلت
لهم وقوله **ثم ان ربك للذين عملوا السوء بجهالة** المقصود من هذه الاية بيان فضل الله وكرمه وسعة
مغفرته ورحمته لان السوء لفظ جامع لكل فعل قبيح فيدخل تحته الكفر وساير المعاصي وكل ما لا
ينبغي فكل من عمل السوء فانما يعمله بالجهالة لان العاقل لا يرضى بفعل القبيح فمن صدر عنه فعل قبيح
من كفر او معصية انما يصدر عنه بسبب جهله اما الجهل بقدر ما يترتب عليه من العقاب او الجهل

بعد من نعصيه فثبت بهذا ان من فعل السوء انما يفعله بجهالة ثم ان الله تعالى وعد من عمل سوء بجهالة ثم تاب واصلح العمل في المستقبل فانه يتوب عليه ويرحمه وهو قوله **ثم تابوا من بعد ذلك** يعني من بعد عمل ذلك السوء **واصلحوا** يعني اصلحوا العمل في المستقبل وقيل معنى الاصلاح الاستقامة على التوبة **ان ربك من بعدها** يعني من بعد عمل السوء بالجهالة والتوبة منه **لغفور** يعني لمن تاب وامن **رحيم** يعني بجميع المومنين التائبين قوله عز وجل **ان ابراهيم كان امة** حكى ابن الجوزي عن ابن الانباري انه قال هذا مثل قول العرب فلان رحمة وفلان علامة ونسابة يقصدون بهذا التانيث قصد التناهي في المعنى الذي يصفونه به والعرب توقع الاسماء المبهمة على الجماعة وعلى الواحد كقوله تعالى فنادته الملائكة وانما ناداه جبريل وحده وانما سمي ابراهيم صلى الله عليه وسلم امة لانه اجتمع فيه من صفات الكمال وصفات الخير والاخلاق الحميدة ما اجتمع في امة ومنه قول الشاعر ٭ وليس على الله بمستنكر ٭ ان يجمع العالم في واحد ٭ ثم للمفسرين في معنى هذه اللفظة اقوال احدها قول ابن مسعود الامة معلم الخير يعني انه كان معلما للخير يأتم به اهل الدنيا الثاني قال مجاهد انه كان مومنا وحده والناس كلهم كفار فلهذا المعنى كان امة وحده ومنه قوله صلى الله عليه وسلم في زيد بن عمرو بن نفيل يبعثه الله امة وحده وانما قال فيه هذه المقالة لانه كان قد فارق الجاهلية وما كانوا عليه من عبادة الاصنام الثالث قال قتادة ليس من اهل دين الا وهم يتولونه ويرضونه وقيل الامة فعلة بمعنى مفعول وهو الذي يؤتم به وكان ابراهيم عليه السلام اماما يقتدى به دليله قوله اني جاعلك للناس اماما وقيل انه عليه السلام هو السبب الذي لاجله جعلت امته ومن تبعه ممتازين عن سواهم بالتوحيد لله والدين الحق وهو من باب اطلاق المسبب على السبب وقيل انما سمي ابراهيم عليه السلام امة لانه قام مقام امة في عبادة الله **قانتا لله** يعني مطيعا لله وقيل هو القائم باوامر الله **حنيفا** مسلما يعني مقيما على دين الاسلام لا يميل عنه ولا يزول وقيل من اختتن وضحى واقام مناسك الحج سمي حنيفا وابراهيم عليه السلام اول من اختتن وضحى واقام مناسك الحج **ولم يك من المشركين** يعني انه عليه السلام كان من الموحدين المخلصين من صغره الى كبره **شاكرا لانعمه** يعني انه كان شاكرا لله على نعمه التي انعم بها عليه **اجتباه** اي اختاره لنبوته واصطفاه لخلته **وهداه الى صراط مستقيم** يعني هداه الى دين الاسلام لانه الصراط المستقيم والدين القويم **واتيناه في الدنيا حسنة** يعني الرسالة والخلة وقيل هي لسان الصدق والثناء الحسن والقبول العام في جميع الامم وان الله حببه الى جميع الخلق فكل اهل الاديان يتولونه المسلمون واليهود والنصارى ومشركوا العرب وغيرهم وقيل هو قول المصلي في التشهد اللهم صل على محمد وعلى ال محمد كما صليت على ابراهيم وعلى ال ابراهيم وقيل هي انه اتاه اولادا ابرارا على الكبر **وانه في الاخرة لمن الصالحين** يعني في اعلى مقامات الصالحين في الجنة وقيل معناه وانه في الاخرة لمع الصالحين يعني الانبياء في الجنة فتكون من بمعنى مع ولما وصف الله

عز وجل ابراهيم عليه السلام بهذه الصفات الشريفة العالية امر الله نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم باتباعه فقال تعالى **ثم اوحينا اليك ان اتبع ملة ابراهيم** يعني دينه وما كان عليه من الشريعة والتوحيد قال اهل الاصول كان النبي صلى الله عليه وسلم مامورا بشريعة ابراهيم الا ما نسخ منها وما لم ينسخ صار شرعا له وقال ابو جعفر الطبري امره باتباعه في التبري من الاوثان والتدين بدين الاسلام وهو قوله **حنيفا وما كان من المشركين** تقدم تفسيره **انما جعل السبت على الذين اختلفوا فيه** يعني وهم اليهود روى الكلبي عن ابي صالح عن ابن عباس قال امرهم موسى بتعظيم يوم الجمعة فقال تفرغوا لله كل سبعة ايام يوما فاعبدوه في يوم الجمعة ولا تعملوا فيه شيئا من صنعتكم وستة ايام لصنعتكم فابوا عليه وقالوا لا نريد الا اليوم الذي فرغ الله فيه من الخلق يوم السبت فجعل ذلك اليوم عليهم وشدد عليهم فيه ثم جاءهم عيسى عليه السلام بيوم الجمعة فقالوا لا نريد الا ان يكون عيدهم بعد عيدنا يعنون اليهود فاتخذوا الاحد فاعطى الله عز وجل الجمعة لهذه الامة فقبلوها فبورك لهم فيها وعن ابي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم نحن الاخرون السابقون يوم القيامة بيد انهم اوتوا الكتاب من قبلنا واوتيناه من بعدهم فهذا يومهم الذي فرض عليهم فاختلفوا فيه فهدانا الله له فهم لنا فيه تبع فغدا لليهود وبعد غد للنصارى وفي رواية لمسلم نحن الاخرون الاولون يوم القيامة ونحن اول من يدخل الجنة وفي رواية اخرى له قال اضل الله عن الجمعة من كان قبلنا فكان لليهود يوم السبت وللنصارى يوم الاحد فجاء الله بنا فهدانا ليوم الجمعة فجعل الجمعة والسبت والاحد وكذلك هم لنا تبع يوم القيامة نحن الاخرون في الدنيا والاولون يوم القيامة المقضي لهم قبل الخلائق قال الشيخ محي الدين النواوي في شرح مسلم قال العلماء في معنى الحديث نحن الاخرون في الزمان والوجود السابقون في الفضل ودخول الجنة فتدخل هذه الامة الجنة قبل ساير الامم وقوله بيد انهم يعني غير انهم او الا انهم وقوله فهذا يومهم الذي فرض عليهم فاختلفوا فيه فهدانا الله له قال القاضي عياض الظاهر انه فرض عليهم تعظيم يوم الجمعة بغير تعيين ووكل الى اجتهادهم لاقامة شرايعهم فيه فاختلف احبارهم في تعيينه ولم يهدهم الله له وفرضه على هذه الامة مبينا ولم يكله الى اجتهادهم ففازوا بفضيلته قال يعني القاضي عياض وقد جاء ان موسى عليه السلام امرهم بيوم الجمعة واعلمهم بفضلها فناظروه ان السبت افضل فقيل له دعهم قال القاضي ولو كان منصوصا عليه لم يصح اختلافهم فيه بل كان يقول خالفوا فيه قال الشيخ محي الدين النواوي ويمكن ان يكون امروا به صريحا ونص على عينه فاختلفوا فيه هل يلزم تعيينه ام لهم ابداله فابدلوه وغلطوا في ابداله قال الامام فخر الدين الرازي في قوله تعالى على الذين اختلفوا فيه يعني على نبيهم موسى حيث امرهم بالجمعة فاختاروا السبت فاختلافهم في السبت كان اختلافا على نبيهم في ذلك اي لاجله وليس معنى قوله اختلفوا فيه ان اليهود اختلفوا

فمنهم من قال بالسبت ومنهم من لم يقل به لان اليهود يتفقون على ذلك وزاد الواحدي على هذا
فقال وهذا مما اشكل على كثير من المفسرين حتى قال بعضهم معنى الاختلاف في السبت ان
بعضهم قال هو اعظم الايام حرمة لان الله فرغ فيه من خلق الاشيا وقال اخرون بل الاحد
افضل لان الله تعالى ابتدا فيه بخلق الاشيا وهذا غلط لان اليهود لم يكونوا فريقين في
السبت وانما اختار الاحد النصارى بعدهم بزمان طويل فان قلنا ان اليهود انما اختاروا السبت
لان اهل الملل اتفقوا على ان الله خلق الخلق في ستة ايام وبدا بالخلق والتكوين في يوم الاحد
وتم الخلق يوم الجمعة وكان يوم السبت يوم فراغ فقالت اليهود نحن نوافق ربنا في ترك العمل
في هذا اليوم فاختاروا السبت لهذا المعنى وقالت النصارى انما بدا بخلق الاشيا في يوم
الاحد فنحن نجعل هذا اليوم عيدا وهذان الوجهان معقولان فما وجه فضل الجمعة حتى
جعله اهل الاسلام عيدا قلت يوم الجمعة افضل الايام لان كمال الخلق وتمامه كان فيه وحصول
التمام والكمال يوجب الفرح والسرور فجعل يوم الجمعة عيدا لهذا الوجه وهو اولى وجه اخر وهو
ان الله عز وجل خلق فيه اشرف خلقه وهو ادم عليه السلام ابو البشر وفيه تاب عليه فكان يوم
الجمعة اشرف الايام لهذا السبب ولان الله تعالى اختار يوم الجمعة لهذه الامة وادخره لهم ولم
يختاروا لانفسهم شيا وكان ما اختاره الله لهم افضل مما اختاره غيرهم لانفسهم قال بعض
العلما بعث موسى بتعظيم السبت ثم نسخ بيوم الاحد في شريعة عيسى عليه السلام ثم نسخ يوم السبت
ويوم الاحد بيوم الجمعة في شريعة محمد صلى الله عليه وسلم فكان افضل الايام يوم الجمعة
كما ان محمدا صلى الله عليه وسلم افضل الانبيا وفي معنى الاية قول اخر قال قتادة الذين اختلفوا
فيه اليهود استحله بعضهم وحرمه بعضهم فعلى هذا القول يكون معنى قوله انما جعل السبت
اي وبال السبت ولعنته على الذين اختلفوا فيه وهم اليهود فاحله بعضهم فاصطادوا فيه فلعنوا
ومسخوا قردة وخنازير في زمن داود عليه السلام وقد تقدمت القصة في تفسير سورة الاعراف
وبعضهم ثبت على تحريمه فلم يصطد فيه شيا وهم الناهون والقول الاول اقرب الى الصحة
وقوله تعالى **وان ربك ليحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون** يعني في امر السبت فيحكم
الله بينهم يوم القيامة فيجازي المحقين بالثواب والمبطلين بالعقاب قوله عز وجل **ادع الى سبيل
ربك بالحكمة والموعظة الحسنة** يعني ادع الى دين ربك يا محمد وهو دين الاسلام بالحكمة يعني بالمقالة
المحكمة الصحيحة وهي الدليل الموضح للحق المزيل للشبهة والموعظة الحسنة يعني وادعهم الى الله
بالترغيب والترهيب وهو انه لا يخفى عليهم انك تناصحهم وتقصد ما ينفعهم **وجادلهم
بالتي هي احسن** يعني بالطريقة التي هي احسن طرق المجادلة من الرفق واللين من غير فظاظة ولا
تعنيف وقيل ان الناس خلقوا وجعلوا على ثلاثة اقسام القسم الاول وهم العلما الكاملون
اصحاب العقول الصحيحة والبصاير الثاقبة الذين يطلبون معرفة الاشيا على حقايقها فهولاهم

المشار اليهم

المشار اليهم بقوله ادع الى سبيل ربك بالحكمة يعني ادعهم بالدلايل القطعية اليقينية
حتى يعلموا الاشيا بحقايقها حتى ينتفعوا وينفعوا الناس وهم خواص العلما من الصحابة وغيرهم
القسم الثاني وهم اصحاب الفطرة السليمة والخلقة الاصلية وهم غالب الناس الذين لم يبلغوا
حد الكمال ولم ينزلوا الى حضيض النقصان فهم وسط الاقسام وهم المشار اليهم بقوله والموعظة
الحسنة اي ادع هولا بالموعظة الحسنة والقسم الثالث وهم اصحاب جدال وخصام ومعاندة
وهولاهم المشار اليهم بقوله وجادلهم بالتي هي احسن يعني حتى ينقادوا الى الحق ويرجعوا اليه
وقيل المراد بالحكمة القران يعني ادعهم بالقران الذي هو حكمة وموعظة حسنة وقيل المراد بالحكمة
النبوة اي ادعهم بالنبوة والرسالة والمراد بالموعظة الحسنة الرفق واللين في الدعوة وجادلهم
بالتي هي احسن اي اعرض عن اذاهم ولا تقصر في تبليغ الرسالة والدعا الى الحق فعلى هذا القول
قال بعض علما التفسير هذا منسوخ باية السيف **ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله وهو اعلم
بالمهتدين** يعني انما عليك يا محمد تبليغ ما ارسلت به اليهم ودعاهم بهذه الطرق الثلاثة وهو
اعلم بالفريقين الضال والمهتدي فيجازي كل عامل بعمله قوله تعالى **وان عاقبتم فعاقبوا بمثل
ما عوقبتم به** نزلت هذه الاية بالمدينة في سبب شهدا احد وذلك ان المسلمين لما راوا ما فعل
المشركون بقتلى المسلمين يوم احد من تبقير البطون والمثلة السيئة حتى لم يبق احد من قتلى المسلمين
الا مثل به غير حنظلة بن ابي عامر الراهب وذلك ان اباه ابا عامر الراهب كان مع ابي سفيان فتركوا
حنظلة لذلك فقال المسلمون حين راوا ذلك لين اظهرنا الله عليهم لنربين على صنيعهم ولنمثلن
بهم مثلة لم يفعلها احد من العرب باحد ووقف رسول الله صلى الله عليه وسلم على عمه حمزة
ابن عبد المطلب وقد جدعوا انفه واذانه وقطعوا مذاكيره وبقروا بطنه واخذت هند بنت
عتبة قطعة من كبده فمضغتها ثم استرطتها لتاكلها فلم تلبث في بطنها حتى رمت بها فبلغ
ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فقال اما انها لو اكلتها لم تدخل النار ابدا حمزة اكرم على الله
من ان يدخل شيا من جسده النار فلما نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى عمه حمزة نظر الى شي
لم ينظر الى شي قط كان اوجع لقلبه منه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم رحمة الله عليك فانك
ما علمت الا خيرا ما كنت الا فعالا للخيرات وصولا للرحم ولولا حزن من بعدك عليك لسرني ان
ادعك حتى تحشر في افواج شتى اما والله لين اظفرني الله بهم لامثلن بسبعين منهم مكانك فانزل
الله عز وجل وان عاقبتم الاية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بل نصبر وامسك عما اراد
وكفر عن يمينه عن ابي بن كعب قال لما كان يوم احد اصيب من الانصار اربعة وستون
رجلا ومن المهاجرين ستة منهم حمزة فمثلوا بهم فقالت الانصار لين اصبنا منهم يوما
مثل هذا لنربين عليهم قال فلما كان يوم فتح مكة فانزل الله عز وجل وان عاقبتم فعاقبوا
بمثل ما عوقبتم به ولين صبرتم لهو خير للصابرين فقال رجل لا قريش بعد اليوم فقال

رسول الله صلى الله عليه وسلم كفوا عن القوم الا اربعة اخرجه الترمذي وقال حديث حسن
غريب واما تفسير الاية فقوله تعالى وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به سمى الفعل الاول
باسم الثاني للمزاوجة في الكلام والمعنى ان صنع بكم سوء من قتل او مثلة ونحوه فقابلوه بمثله ولا
تزيدوا عليه فهو كقوله جزاء سيئة سيئة مثلها امر الله برعاية العدل والانصاف في هذه الاية
في باب استيفاء الحقوق يعني ان رغبتم في استيفاء القصاص فاقتصوا بالمثل ولا تزيدوا عليه فان
استيفاء الزيادة ظلم والظلم ممنوع منه في عدل الله وشرعه ورحمته وفي الاية دليل على ان الاولى
ترك استيفاء القصاص وذلك بطريق الاشارة والرمز والتعريض ان الترك اولى فان كان لا بد من
استيفاء القصاص فيكون من غير زيادة عليه بل يجب مراعاة المماثلة ثم انتقل من طريق الاشارة
الى طريق التصريح فقال تعالى ولئن صبرتم لهو خير للصابرين يعني ولئن عفوتم وتركتم استيفاء
القصاص وصبرتم كان ذلك العفو والصبر خيرا من استيفاء القصاص وفيه اجر للصابرين
العافين فصل اختلف العلماء هل هذه الاية منسوخة ام لا على قولين احدهما انها نزلت
قبل براءة فامر النبي صلى الله عليه وسلم ان يقاتل من قاتله ولا يبدا بالقتال ثم نسخ ذلك وامر بالجهاد
وهذا قول ابن عباس والضحاك فعلى هذا يكون معنى قوله ولئن صبرتم عن القتال فلما اعز الله الاسلام
وكثر اهله امر الله رسوله بالجهاد ونسخ هذا بقوله اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم الاية القول
الثاني انها محكمة وانها نزلت في من ظلم ظلامة فلا يحل له ان ينال من ظالمه اكثر مما نال منه الظالم
وهذا قول مجاهد والشعبي والنخعي وابن سيرين والثوري قال بعضهم الاصح انها محكمة لان الاية
واردة في تعليم حسن الادب في كيفية استيفاء الحقوق والقصاص وترك التعدي وهو طلب الزيادة
وهذه الاشياء لا تكون منسوخة فلا تعلق لها بالنسخ والله اعلم قوله عز وجل واصبر وما صبرك
الا بالله الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم امر الله نبيه صلى الله عليه وسلم بالصبر واعلمه ان
صبره بتوفيقه ومعونته ولا تحزن عليهم يعني الكافرين واعراضهم عنك وقيل معناه ولا تحزن
على قتلى احد وما فعل بهم فانهم افضوا الى رحمة الله ورضوانه ولا تك في ضيق مما يمكرون يعني
ولا يضيقن صدرك يا محمد بسبب مكرهم فان الله كافيك وناصرك عليهم قرئ في ضيق بفتح الضاد
وكسرها فقيل هما لغتان وقال ابو عمرو الضيق بالفتح الغم وبالكسر الشدة قال ابو عبيدة الضيق بالكسر
في قلة المعاش وفي المسكن واما ما كان في القلب والصدر فانه بالفتح وقال ابن قتيبة الضيق
تخفيف ضيق مثل هين وهين ولين ولين فعلى هذا هو صفة كانه قال ولا تك في امر ضيق
من مكرهم قال الامام فخر الدين الرازي هذا الكلام لان الضيق صفة والصفة تكون حاصلة
في الموصوف ولا يكون الموصوف حاصلا في الصفة فكان المعنى فلا يكن الضيق فيك الا ان الفائدة
في قوله ولا تك في ضيق هي ان الضيق اذا عظم وقوي صار كالشيء المحيط بالانسان من كل جانب
كالقميص المحيط فكانت الفائدة في ذكر هذا اللفظ بهذا المعنى ان الله مع الذين اتقوا اي اتقوا

المثلة والزيادة في القصاص وسائر المناهي والذين هم محسنون يعني بالعفو عن الجاني وهذه المعية
يعني بالعفو والفضل والرحمة يعني اذا اردت ايها الانسان ان اكون معك بالعون والفضل والرحمة
فكن من المتقين المحسنين وفي هذا اشارة الى التعظيم لامر الله والشفقة على خلق الله قال بعض
المشايخ كمال الطريق صدق مع الحق وخلق مع الخلق وكمال الانسان ان يعرف الحق لذاته والخير لاجل
ان يعمل به وقيل لهرم بن حيان عند الموت اوص فقال انما الوصية في المال ولا مال لي ولكني اوصيك
بخواتيم سورة النحل والله اعلم بمراده واسرار كتابه تفسير سورة بني اسرائيل في نزولها قال ابن
الجوزي هي مكية في قول الجماعة الا ان بعضهم يقول فيها مدني فروي عن ابن عباس انه قال هي مكية الا ثماني
ايات من قوله وان كادوا ليفتنونك الى قوله نصيرا وهذا قول قتادة وقال مقاتل فيها من المدني وقل
رب ادخلني مدخل صدق الاية وقوله ان الذين اوتوا العلم من قبله وقوله ان ربك احاط بالناس وقوله
وان كادوا ليفتنونك وقوله ولولا ان ثبتناك والتي تليها وهي مائة وعشر ايات وقيل واحدى عشرة اية
وخمسماية وثلاث وثلاثون كلمة وستة الاف واربعماية وستون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم
قوله عز وجل سبحان الذي اسرى بعبده ليلا روى ابن الجوزي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه سئل عن تفسير
سبحان الله فقال تنزيه الله عن كل شيء هكذا ذكره بغير سند قال النحويون سبحان اسم علم للتسبيح
وتفسير سبحان الله تنزيه الله من كل سوء ونقيصة واصله في اللغة التباعد فمعنى سبحان الله بعده
ونزاهته عن كل ما لا ينبغي الذي اسرى يقال سرى به واسرى به لغتان بعبده اجمع المفسرون والعلماء
والمتكلمون ان المراد به محمد صلى الله عليه وسلم لم يختلف احد من الامة في ذلك وقوله بعبده اضافة
تشريف وتعظيم وتبجيل وتفخيم وتكريم ومنه قول بعضهم • تالله لا تدعني الا بيا عبدها • فانه
سيدى اشرف اسمائي • قيل لما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الدرجات العالية والمراتب الرفيعة
ليلة المعراج اوحى الله عز وجل اليه يا محمد بم شرفتك قال رب حيث نسبتني الى نفسك بالعبودية
فانزل الله سبحان الذي اسرى بعبده ليلا فان قلت الاسرا لا يكون الا بالليل فما معنى ذكر الليل
قلت اراد بقوله ليلا بلفظ التنكير تقليل مدة الاسرا وانه اسري به في بعض ليلة من مكة الى الشام
مسيرة شهر او اكثر فدل تنكير الليل على البعضية من المسجد الحرام قيل كان الاسرا من نفس مسجد مكة
وفي حديث مالك بن صعصعة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بينما انا في المسجد الحرام في الحجر
وذكر حديث المعراج وسيأتي بكماله فيما بعد وقيل عرج به من دار ام هاني بنت ابي طالب وهي بنت
عمه اخت علي فعلى هذا اراد بالمسجد الحرام الحرم الى المسجد الاقصا يعني الى بيت المقدس سمي اقصا
لبعده عن المسجد الحرام ولانه لم يكن حينئذ وراءه مسجد الذي باركنا حوله يعني بالانهار والاشجار
والثمار وقيل سماه مباركا لانه مقر الانبيا ومهبط الملايكة والوحي وقبلة الانبيا قبل نبينا محمد صلى الله
عليه وسلم واليه يحشر الخلق يوم القيامة فان قلت ظاهر الاية يدل على ان الاسرا كان الى بيت المقدس
والاحاديث الصحيحة تدل على انه عرج به الى السما فكيف الجمع بين الدليلين وما فائدة ذكر المسجد الاقصى

فقط قلت كان الاسرا على ظهر البراق الى المسجد الاقصا ومنه كان عروجه الى السما على المعراج
وفايدة ذكر المسجد الاقصا فقط انه صلى الله عليه وسلم لو اخبر بصعوده الى السما اولا لاشتد
انكارهم لذلك فلما اخبر انه اسري به الى بيت المقدس وبان لهم صدقه فيما اخبر به عنه من العلامة
التي فيه وصدقوه عليها اخبر بعد ذلك بمعراجه الى السما فجعل الاسرا الى المسجد الاقصى كالتوطية
لمعراجه الى السما وقوله تعالى لنريه من اياتنا يعني من عجايب قدرتنا فقد راى محمد صلى الله عليه
وسلم تلك الليلة الانبيا وصلى بهم وراى الايات العظام فان قلت لفظة من اياتنا تقتضي
التبعيض وقال في حق ابراهيم عليه السلام وكذلك نري ابراهيم ملكوت السموات والارض
وظاهر هذا يدل على فضيلة ابراهيم عليه السلام على محمد صلى الله عليه وسلم ولا قايل به فما
وجهه قلت ملكوت السموات والارض من بعض ايات الله ايضا ولايات الله افضل من ذلك
واكثر فالذي اراه محمدا صلى الله عليه وسلم من اياته وعجايبه تلك الليلة كان افضل من ملكوت
السموات والارض فظهر بذلك فضل محمد صلى الله عليه وسلم على ابراهيم صلى الله عليه وسلم
انه هو السميع لاقوال ودعايه البصير لافعاله والحافظ له في ظلمة الليل وقت اسرايه وقيل
انه هو السميع لما قالت له قريش حين اخبرهم بمسيره الى بيت المقدس البصير بما ردوا عليه من
التكذيب وقيل هو السميع لاقوال جميع خلقه البصير بافعالهم فيجازي كل عامل بعمله فحمله
على العموم اولى فصل في ذكر حديث المعراج وما يتعلق به من الاحكام وما قال العلما فيه
ق عن قتادة عن انس بن مالك بن صعصعة ان نبي الله صلى الله عليه وسلم حدثهم عن ليلة اسري به
قال بينما انا في الحطيم وربما قال في الحجر مضطجع ومنهم من قال بين النايم واليقظان اذ اتاني
ات قال فسمعته يقول فشق ما بين هذه الى هذه فقلت للجارود وهو الى جنبي ما يعني به قال
من ثغرة نحره الى شعرته وسمعته يقول من قصه الى شعرته فاستخرج قلبي ثم اتيت بطست
من ذهب مملوة ايمانا فغسل قلبي ثم حشي ثم اعيد ثم اتيت بدابة دون البغل وفوق الحمار
ابيض فقال له الجارود هو البراق يا ابا حمزة فقال انس نعم يضع خطوه عند اقصى طرفه
فحملت عليه فانطلق بي جبريل عليه السلام حتى اتى السما الدنيا فاستفتح فقيل من هذا قال
جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد ارسل اليه قال نعم قيل مرحبا به فنعم المجي
جا فلما خلصت فاذا فيها ادم فقال هذا ابوك ادم فسلم عليه فسلمت عليه فرد السلام
وقال مرحبا بالابن الصالح والنبي الصالح ثم صعد حتى اتى السما الثانية فاستفتح فقيل من هذا
قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد ارسل اليه قال نعم قيل مرحبا به فنعم المجي جا
ففتح فلما خلصت فاذا بيحيى وعيسى وهما ابنا خالة قال هذا يحيى وعيسى فسلم عليهما
فسلمت فردا ثم قالا مرحبا بالاخ الصالح والنبي الصالح ثم صعد بي الى السما الثالثة فاستفتح
فقيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد ارسل اليه قال نعم قيل مرحبا به

فنعم

فنعم المجي جا فلما خلصت فاذا يوسف قال هذا يوسف فسلم عليه فسلمت عليه فرد ثم قال
مرحبا بالاخ الصالح والنبي الصالح ثم صعد حتى اتى السما الرابعة فاستفتح قيل من هذا قال
جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد ارسل اليه قال نعم قيل مرحبا به فنعم المجي جا ففتح فلما
خلصت فاذا ادريس قال هذا ادريس فسلم عليه فسلمت عليه فرد ثم قال مرحبا بالاخ الصالح
والنبي الصالح ثم صعد بي حتى اتى السما الخامسة فاستفتح قيل من هذا قال جبريل قيل
ومن معك قال محمد قيل وقد ارسل اليه قال نعم قيل مرحبا به فنعم المجي جا فلما خلصت فاذا
هارون قال هذا هارون فسلم عليه فسلمت عليه فرد ثم قال مرحبا بالاخ الصالح والنبي الصالح
ثم صعد حتى اتى السما السادسة فاستفتح قيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد
قيل وقد ارسل اليه قال نعم قيل مرحبا به فنعم المجي جا فلما خلصت فاذا موسى قال هذا
موسى فسلم عليه فسلمت عليه فرد ثم قال مرحبا بالاخ الصالح والنبي الصالح فلما جاوزته
بكى فقيل ما يبكيك قال ابكي لان غلاما بعث بعدي يدخل الجنة من امته اكثر مما يدخلها من امتي
ثم صعد بي الى السما السابعة فاستفتح جبريل قيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال
محمد قيل وقد بعث اليه قال نعم قيل مرحبا به فنعم المجي جا فلما خلصت فاذا ابراهيم قال
هذا ابوك ابراهيم فسلم عليه فسلمت عليه فرد السلام ثم قال مرحبا بالابن الصالح والنبي الصالح
ثم رفعت الى سدرة المنتهى فاذا نبقها مثل قلال هجر واذا ورقها مثل اذان الفيلة قال هذه
سدرة المنتهى فاذا اربعة انهار نهران باطنان ونهران ظاهران فقلت ما هذان يا جبريل
قال اما الباطنان فنهران في الجنة واما الظاهران فالنيل والفرات ثم رفع لي البيت المعمور ثم
اتيت باناء من خمر واناء من لبن واناء من عسل فاخذت اللبن فقال هي الفطرة التي انت عليها وامتك
قال ثم فرضت علي الصلاة خمسين صلاة كل يوم فرجعت فمررت على موسى فقال بم امرت قلت
امرت بخمسين صلاة كل يوم قال ان امتك لا تستطيع خمسين صلاة كل يوم واني والله قد جربت
الناس قبلك وعالجت بني اسرايل اشد المعالجة فارجع الى ربك فاساله التخفيف لامتك فرجعت فوضع
عني عشرا فرجعت فقال مثله فرجعت فوضع عني عشرا فرجعت الى موسى فقال مثله فرجعت فوضع
عني عشرا فرجعت الى موسى فقال مثله فرجعت فامرت بعشر صلوات كل يوم فرجعت الى موسى
فقال مثله فرجعت فامرت بخمس صلوات كل يوم فرجعت الى موسى فقال بما امرت قلت امرت
بخمس صلوات كل يوم قال ان امتك لا تستطيع خمس صلوات كل يوم واني قد جربت الناس قبلك
وعالجت بني اسرايل اشد المعالجة فارجع الى ربك فاساله التخفيف لامتك قال سالت ربي حتى
استحييت ولكني ارضى واسلم فلما جاوزت نادى مناد امضيت فريضتي وخففت عن عبادي
زاد في رواية واجزي بالحسنة عشرا وفي رواية بينما انا عند البيت بين النايم واليقظان وفيه
ثم غسل البطن بما زمزم ثم ملي حكمة وايمانا وفيه فرفع لي البيت المعمور فسالت جبريل فقال

هذا البيت المعمور يصلي فيه كل يوم سبعون الف ملك اذا خرجوا لم يعودوا اخر ما عليهم
ق عن انس بن مالك قال كان ابو ذر يحدث ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فرج سقف
بيتي وانا بمكة فنزل جبريل ففرج صدري ثم غسله من ما زمزم ثم جا بطست من ذهب ممتلي
حكمة وايمانا فافرغها في صدري ثم اطبقه ثم اخذ بيدي فعرج بي الى السما فلما جينا الى السما
الدنيا قال جبريل لخازن السما الدنيا افتح قال من هذا قال هذا جبريل قال هل معك احد قال نعم
معي محمد صلى الله عليه وسلم قال فارسل اليه قال نعم ففتح قال فلما علونا السما الدنيا فاذا رجل عن
يمينه اسودة وعن يساره اسودة فاذا نظر قبل يمينه ضحك واذا نظر قبل شماله بكى فقال مرحبا
بالنبي الصالح والابن الصالح قال فقلت يا جبريل من هذا قال هذا ادم وهذه الاسودة عن
يمينه وعن شماله نسم بنيه واهل اليمين اهل الجنة والاسودة التي عن شماله اهل النار فاذا
نظر قبل يمينه ضحك واذا نظر قبل شماله بكى قال ثم عرج بي جبريل حتى اتى السما الثانية فقال
لخازنها افتح فقال له خازنها مثل ما قال خازن السما الدنيا قال انس بن مالك فذكر انه
وجد في السموات ادم وادريس وعيسى وموسى وابراهيم ولم يبين كيف منازلهم غير انه
ذكر انه وجد ادم في السما الدنيا وابراهيم في السما السادسة قال فلما مر جبريل ورسول الله
بادريس قال مرحبا بالنبي الصالح والاخ الصالح قال ثم مر فقلت من هذا قال هذا ادريس قال
ثم مررت بموسى فقال مرحبا بالنبي الصالح والاخ الصالح قال فقلت من هذا قال هذا موسى ثم
مررت بعيسى فقال مرحبا بالنبي الصالح والاخ الصالح قال فقلت من هذا قال هذا عيسى
قال ثم مررت بابراهيم فقال مرحبا بالنبي الصالح والابن الصالح قال فقلت من هذا قال ابراهيم
قال ابن شهاب واخبرني ابن حزم ان ابن عباس وابا حية الانصاري يقولان قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ثم عرج بي حتى ظهرت لمستوى اسمع فيه صريف الاقلام قال ابن حزم وانس بن مالك قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم ففرض الله على امتي خمسين صلاة فرجعت بذلك حتى مررت بموسى قال موسى
ما فرض ربك على امتك قال قلت فرض عليهم خمسين صلاة قال لي موسى فراجع ربك فان امتك
لا تطيق ذلك قال فراجعت ربي فوضع شطرها قال فرجعت الى موسى فاخبرته قال راجع ربك
فان امتك لا تطيق ذلك فراجعت ربي فقال هي خمس وهي خمسون لا يبدل القول لدي فرجعت
الى موسى فقال راجع ربك فقلت قد استحييت من ربي قال ثم انطلق بي جبريل حتى اتى سدرة
المنتهى فغشيها الوان ما ادري ما هي قال ثم ادخلت الجنة فاذا فيها جنابذ اللولو واذا ترابها
المسك ق عن شريك بن ابي نمر انه سمع انس بن مالك يقول ليلة اسري برسول الله صلى الله عليه وسلم
من مسجد الكعبة انه جاه ثلاثة نفر قبل ان يوحى اليه وهو نايم في المسجد الحرام فقال اولهم ايهم
هو فقال اوسطهم هو خيرهم فقال اخرهم خذوا خيرهم فكانت تلك الليلة فلم يرهم حتى
اتوه ليلة اخرى فيما يرى قلبه وتنام عينه ولا ينام قلبه وكذلك الانبيا تنام اعينهم ولا تنام قلوبهم

فلم يكلموه

فلم يكلموه حتى احتملوه فوضعوه عند بير زمزم فتولاه منهم جبريل فشق جبريل ما بين نحره
الى لبته حتى فرغ من صدره وجوفه وغسله من ما زمزم بيده حتى انقا جوفه ثم اتي بطست
من ذهب فيه تور من ذهب محشوا ايمانا وحكمة فحشى صدره ولغاديده يعني عروق حلقه ثم
اطبقه ثم عرج به الى السما الدنيا فضرب بابا من ابوابها فناداه اهل السما من هذا قال جبريل
قالوا ومن معك قال معي محمد قالوا وقد بعث اليه قال نعم قالوا مرحبا به واهلا يستبشر به اهل
السما لا يعلم اهل السما ما يريد الله به في الارض حتى يعلمهم فوجد في السما الدنيا ادم عليه
السلام قال جبريل هذا ابوك ادم فسلم عليه فرد عليه وقال مرحبا واهلا يا بني نعم الابن انت
فاذا هو في السما الدنيا بنهرين يطردان فقال ما هذان النهران يا جبريل قال هذا النيل والفرات
عنصرهما قال ثم مضى به في السما فاذا هو بنهر اخر عليه قصر من لولو وزبرجد فضرب بيده
فاذا هو مسك اذفر قال ما هذا يا جبريل قال هذا الكوثر الذي خبا لك ربك ثم عرج به الى السما
الثانية فقالت الملايكة مثل ما قالت الاولى من هذا قال جبريل قالوا ومن معك قال محمد قالوا
وقد بعث اليه قال نعم قالوا مرحبا به واهلا ثم عرج به الى السما الثالثة قالوا مثل ما قالت
الاولى والثانية ثم عرج به الى الرابعة فقالوا مثل ذلك ثم عرج به الى الخامسة فقالوا مثل
ذلك ثم عرج به الى السادسة فقالوا مثل ذلك ثم عرج به الى السابعة فقالوا مثل ذلك
كل سما فيها انبيا قد سماهم فاوعيت منهم ادريس في الثانية وهارون في الرابعة واخر في الخامسة
ولم احفظ اسمه وابراهيم في السادسة وموسى في السابعة بتفضيل كلام الله قال موسى
رب لم اظن ان ترفع علي احدا ثم علا به فوق ذلك بما لا يعلمه احد الا الله حتى جا سدرة المنتهى
ودنا الجبار رب العزة فتدلى فكان منه قاب قوسين او ادنى فاوحى اليه فيما يوحي اليه خمسين صلاة
على امتك كل يوم وليلة ثم هبط حتى بلغ موسى فاحتبسه موسى فقال يا محمد ماذا عهد اليك
ربك قال عهد الي خمسين صلاة كل يوم وليلة قال ان امتك لا تستطيع ذلك فارجع فليخفف
عنك ربك وعنهم فالتفت النبي صلى الله عليه وسلم الى جبريل كانه يستشيره في ذلك فاشار اليه
جبريل ان نعم ان شيت فعلا به الى الجبار تعالى فقال وهو مكانه يا رب خفف عنا فان امتي
لا تستطيع هذا فوضع عنه عشر صلوات ثم رجع الى موسى فاحتبسه فلم يزل يردده موسى
الى ربه حتى صارت خمس صلوات ثم احتبسه موسى عند الخمس فقال يا محمد لقد راودت بني
اسرايل قومي على ادنى من هذا فضعفوا وتركوه فامتك اضعف اجسادا وقلوبا وابدانا وابصارا
واسماعا فارجع فليخفف عنك ربك كل ذلك يلتفت النبي صلى الله عليه وسلم الى جبريل عليه
السلام ليشير عليه فلا يكره ذلك جبريل فرفعه عند الخامسة فقال يا رب ان امتي ضعيفة
اجسادهم وقلوبهم واسماعهم وابصارهم فخفف عنا فقال الجبار يا محمد قال لبيك وسعديك
قال انه لا يبدل القول لدي كما فرضت عليك في ام الكتاب فكل حسنة بعشر امثالها فهي خمسون

في ام الكتاب وهي خمس عليك فرجع الى موسى فقال كيف فعلت قال خفف عنا اعطانا بكل
خمسة عشر امثالها فقال موسى قد والله راودت بني اسرائيل على ادنى من ذلك فتركوه فارجع
الى ربك فليخفف عنك ايضا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا موسى قد والله استحييت
من ربي مما اختلف قال فاهبط بسم الله فاستيقظ وهو في المسجد الحرام هذا لفظ حديث
البخاري وادرج مسلم حديث شريك عن انس الموقوف عليه على حديث ثابت البناني المسند
وذكر منه حديث شريك طرفا ثم قال وساق الحديث نحو حديث ثابت قال مسلم وقدم
واخر وزاد ونقص وليس في حديث ثابت عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
اتيت بالبراق وهو دابة ابيض طويل فوق الحمار ودون البغل يضع حافره عند منتهى طرفه
قال فركبته حتى اتيت بيت المقدس قال فربطته بالحلقة التي تربط بها الانبيا قال
ثم دخلت المسجد فصليت فيه ركعتين ثم خرجت فجاني جبريل باناء من خمر واناء من لبن
فاخترت اللبن فقال جبريل عليه السلام اخترت الفطرة قال ثم عرج بنا الى السما فاستفتح
جبريل فقيل من انت قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد بعث اليه قال قد بعث اليه ففتح
لنا فاذا انا بادم فرحب بي ودعا لي بخير ثم عرج بنا الى السما الثانية فاستفتح فقيل من انت
قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد بعث اليه قال قد بعث اليه ففتح لنا فاذا بابني
الخالة عيسى بن مريم ويحيى بن زكريا فرحبا بي ودعوا لي بخير ثم عرج بنا الى السما الثالثة فاستفتح
جبريل فقيل من انت قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد بعث اليه قال قد بعث اليه
ففتح لنا فاذا انا بيوسف عليه السلام اذا هو قد اعطي شطر الحسن قال فرحب بي ودعا لي بخير
ثم عرج بنا الى السما الرابعة فاستفتح جبريل فقيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال
محمد قيل وقد بعث اليه قال قد بعث اليه ففتح لنا فاذا انا بادريس فرحب ودعا لي بخير قال الله
ورفعناه مكانا عليا ثم عرج بي الى السما الخامسة فاستفتح جبريل قيل من هذا قال جبريل
قيل ومن معك قال محمد قيل وقد بعث اليه قال قد بعث اليه ففتح لنا فاذا بهارون فرحب بي ودعا
لي بخير ثم عرج بي الى السما السادسة فاستفتح جبريل قيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك
قال محمد قيل وقد بعث اليه قال قد بعث اليه ففتح لنا فاذا انا بموسى فرحب بي ودعا لي بخير ثم
عرج بي الى السما السابعة فاستفتح جبريل فقيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد
قيل وقد بعث اليه قال قد بعث اليه ففتح لنا فاذا انا بابراهيم عليه السلام مسندا ظهره الى البيت
المعمور واذا هو يدخله كل يوم سبعون الف ملك لا يعودون اليه ثم ذهب بي الى السدرة المنتهى
واذا ورقها كاذان الفيلة واذا ثمرها كالقلال قال فلما غشيها من امر الله ما غشي تغيرت فما احد
من خلق الله يستطيع ان ينعتها من حسنها فاوحى الي ما اوحى ففرض علي خمسين صلاة كل يوم
وليلة فنزلت الى موسى فقال ما فرض ربك على امتك قلت خمسين صلاة قال ارجع الى ربك فاساله

التخفيف

التخفيف فان امتك لا تطيق ذلك فاني قد بلوت بني اسرائيل وخبرتهم قال فرجعت الى ربي فقلت يا رب
خفف عن امتي فحط عني خمسا فرجعت الى موسى فقلت حط عني خمسا فقال ان امتك لا يطيقون
ذلك فارجع الى ربك فاساله التخفيف قال فلم ازل ارجع بين ربي تبارك وتعالى وبين موسى
حتى قال يا محمد انهن خمس صلوات كل يوم وليلة لكل صلاة عشر فتلك خمسون صلاة ومن هم
بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة فان عملها كتبت له عشرا ومن هم بسيئة فلم يعملها لم تكتب
شيا فان عملها كتبت سيئة واحدة قال فنزلت حتى انتهيت الى موسى فاخبرته فقال ارجع الى
ربك فاساله التخفيف فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت قد رجعت الى ربي حتى استحييت
منه هذه رواية مسلم واخرجه الترمذي مختصرا وفيه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اتي
بالبراق ليلة اسري به ملجما مسرجا فاستصعب عليه فقال له جبريل ا بمحمد تفعل هكذا ما ركبك
احد اكرم على الله منه فارفض عرقا واخرجه النساي مختصرا والمعنى واحد وفي اخره قال فرجعت
الى ربي فسالته التخفيف فقال اني يوم خلقت السموات والارض فرضت عليك وعلى امتك خمسين
صلاة فخمس بخمسين فقم بها انت وامتك فعرفت انها امر الله جري فرجعت الى موسى فقال ارجع فعرفت انها من الله صري يقول حتم فلم ارجع فصل
قال البغوي قال بعض اهل الحديث ما وجدنا للبخاري ومسلم في كتابيهما شيا لا يحتمل مخرجا
الا حديث شريك بن ابي نمر عن انس واحال الامر فيه على شريك وذلك انه ذكر فيه ان ذلك كان قبل
الوحي واتفق اهل العلم على ان المعراج كان بعد الوحي بنحو من اثني عشر سنة وفيه ان الجبار تبارك
وتعالى دنا فتدلى وذكرت عايشة ان الذي تدلى هو جبريل عليه السلام قال البغوي وهذا الاعتراض
عندي لا يصح لان هذا كان روياي في النوم اراه الله ذلك قبل ان يوحى اليه بدليل اخر الحديث
فاستيقظ وهو في المسجد الحرام ثم عرج به في اليقظة بعد الوحي وقبل الهجرة بسنة تحقيقا
لروياه التي راها من قبل كما انه راى فتح مكة في المنام عام الحديبية سنة ست من الهجرة كان
تحقيقها سنة ثمان ونزل قوله تعالى لقد صدق الله رسوله الرويا بالحق وقال الشيخ محيي الدين
النواوي رحمه الله في كتاب شرح مسلم قد جا في رواية شريك في هذا الحديث اوهام انكرها عليه
العلما وقد نبه مسلم على ذلك بقوله وقدم واخر وزاد ونقص منها قوله وذلك قبل ان يوحى
اليه وهو غلط لم يوافق عليه وان الاسرا اقل ما قيل فيه انه كان بعد مبعثه صلى الله عليه وسلم بخمسة
عشر شهرا وقال الحربي كان ليلة سبع وعشرين من ربيع الاخر قبل الهجرة بسنة وقال الزهري
كان بعد مبعثه صلى الله عليه وسلم بخمس سنين وقال ابن اسحاق اسري به صلى الله عليه وسلم وقد فشا
الاسلام بمكة والقبايل قال الشيخ محيي الدين واشبه الاقوال قول الزهري وابن اسحاق واما قوله
في رواية شريك وهو نايم وفي الرواية الاخرى بينما انا عند البيت بين النايم واليقظان فقد
يحتج به من يجعلها رويا نوم ولا حجة فيه اذ قد يكون ذلك اول وصول الملك اليه وليس في الحديث
ما يدل على كونه نايما في القصة كلها هذا كلام القاضي عياض وهذا الذي قاله في رواية شريك وان

اهل العلم قد انكروها قد قاله غيره وقد ذكر البخاري في رواية شريك هذه عن انس في كتاب
التوحيد من صحيحه واتى بالحديث مطولا قال الحافظ عبد الحق في كتابه الجمع بين الصحيحين
بعد ذكره هذه الرواية هذا الحديث بهذا اللفظ من رواية شريك بن ابي نمر عن انس قد زاد فيه
زيادة مجهولة واتى به بالفاظ غير معروفة وقد روى حديث الاسرا جماعة من الحفاظ المتقنين
والايمة المشهورين كابن شهاب وثابت البناني وقتادة يعني عن انس فلم يات احد منهم بما اتى به
شريك وشريك ليس بالحافظ عند اهل الحديث قال والاحاديث التي تقدمت قبل هذا هي المعول
عليها فصل في شرح بعض الفاظ حديث المعراج وما يتعلق به كانت ليلة الاسرا قبل
الهجرة بسنة يقال كانت في رجب ويقال في رمضان وقد تقدم زيادة على هذا القدر
في الفصل الذي قبل هذا واختلف الناس في الاسرا برسول الله صلى الله عليه وسلم فقيل انما كان
ذلك في المنام والحق الذي عليه اكثر الناس ومعظم السلف وعامة الخلف من المتاخرين من
الفقها والمحدثين والمتكلمين انه اسري بروحه وجسده صلى الله عليه وسلم ويدل عليه قوله
تعالى سبحان الذي اسرى بعبده ولفظ العبد عبارة عن مجموع الروح والجسد والاحاديث
الصحيحة التي تقدمت تدل على صحة هذا القول لمن طالعها وبحث عنها وحكى محمد بن جرير الطبري
في تفسيره عن حذيفة انه قال ذلك كان رويا وانه ما فقد جسد رسول الله صلى الله عليه وسلم
وانما اسري بروحه وحكى هذا القول عن عايشة ايضا وعن معا ونحوه والصحيح ما عليه جمهور
العلما من السلف والخلف والله اعلم قوله صلى الله عليه وسلم اتيت بالبراق هو اسم للدابة التي
ركبها رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة اسري به واشتقاقه من البرق لسرعته او لشدة
صفايه وبياضه ولمعانه وتلاليه ونوره والحلقة باسكان اللام ويجوز فتحها والمراد بربط
البراق بالحلقة الاخذ بالاحتياط في الامور وتعاطي الاسباب وان ذلك لا يقدح في التوكل
اذا كان الاعتماد على الله تعالى وقوله جاني جبريل باناء من خمر واناء من لبن فاخترت اللبن فيه اختصار
والتقدير وقال لي اختر فاخترت اللبن وقول جبريل اخترت الفطرة يعني فطرة الاسلام وجعل
اللبن علامة للفطرة الصحيحة السليمة لكونه سهلا طيبا سايغا للشاربين وانه سليم العاقبة
بخلاف الخمر فانها ام الخبايث وجالبة لانواع الشر قوله ثم عرج بي حتى اتى السما الدنيا فاستفتح
جبريل فقيل من انت قال جبريل فيه بيان الادب لمن استاذن وان يقول انا فلان ولا يقول انا
فانه مكروه وفيه ان للسما ابوابا وبوابين وان عليها حرس وقول بواب السما وقد ارسل اليه
وفي الرواية الاخرى وقد بعث اليه معناه للاسرا وصعود السما وليس مراده الاستفهام عن
اصل البعثة والرسالة فان ذلك لا يخفى عليه الى هذه المدة هذا هو الصحيح في معناه وقيل
غيره وقوله فاذا انا بادم وذكر جماعة من الانبيا فيه استحباب لقا اهل الفضل والصلاح
بالبشر والترحيب والكلام الحسن وان كان الزاير افضل من المزار وفيه جواز مدح الانسان في

وجهه

وجهه اذا امن عليه من الاعجاب وغيره من اسباب الفتنة وقوله فاذا انا بابراهيم
مسند ظهره الى البيت المعمور فيه دليل على جواز الاستناد الى القبلة وتحويل ظهره اليها
وقوله ثم ذهب بي الى السدرة هكذا وقع في هذه الرواية السدرة بالالف واللام وفي باقي
الروايات الى سدرة المنتهى قال ابن عباس وغيره من المفسرين سميت بذلك لان علم الملايكة
ينتهي اليها ولم يجاوزها احد غير رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ابن مسعود سميت
بذلك لكونه ينتهي اليها ما يهبط من فوقها وما يصعد من تحتها من امر الله عز وجل وقوله واذا
ثمرها كالقلال بكسر القاف جمع قلة بضمها وهي الجرة الكبيرة التي تسع قربتين او اكثر قوله فرجعت
الى ربي قال الشيخ محيي الدين معناه رجعت الى الموضع الذي ناجيته منه اولا فناجيته فيه
ثانيا وقوله فلم ازل ارجع بين موسى وبين ربي معناه بين موضع مناجاة ربي عز وجل قلت
واما على معنى الرويا وما يتعلق بها فانه سياتي ان شا الله تعالى في تفسير سورة النجم
عند قوله ثم دنا فتدلى قوله ففرض الله على امتي خمسين صلاة الى قوله فوضع شطرها وفي الرواية
الاخرى فوضع عني عشرا وفي الاخرى خمسا ليس بين هذه الروايات منافاة لان المراد بالشطر الجزء
وهو الخمس وليس المراد منه النصف واما رواية العشر فهي رواية شريك ورواية الخمس رواية
ثابت البناني وقتادة وهما اثبت من شريك والمراد حط عني خمسا الى اخره ثم قال هي خمس
وهي خمسون يعني خمسين في الاجر والثواب لان الحسنة بعشر امثالها واحتج العلما بهذا
الحديث على جواز نسخ الشي قبل فعله وفي اول الحديث انه شق صدره صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج
وقد شق ايضا في صغره وهو عند حليمة التي كانت ترضعه فالمراد بالشق الثاني زيادة التطهير
لما يراد به من الكرامة ليلة المعراج وقوله اتيت بطست من ذهب قد يتوهم متوهم انه يجوز استعمال
انا الذهب لنا وليس الامر كذلك لان هذا الفعل من فعل الملايكة وهو مباح لهم استعمال الذهب
او يكون هذا قبل تحريمه وقوله ممتلي حكمة وايمانا فافرغها في صدري فان قلت الحكمة والايمان معان
والافراغ صفة الاجسام فما معنى ذلك قلت يحتمل انه جعل في الطست شي يحصل به كمال الايمان
والحكمة وزيادتهما فسمي ايمانا وحكمة لكونه سببا لهما وهذا من احسن المجاز وقوله في صفة ادم
عليه السلام فاذا رجل عن يمينه اسودة وعن يساره اسودة وهو جمع سواد وقد فسره في الحديث
بانه نسم بنيه يعني ارواح بنيه وقد اعترض على هذا بان ارواح المومنين في السما وارواح
الكفار تحت الارض السفلى فكيف تكون في السما والجواب عنه بانه يحتمل ان ارواح الكفار تعرض
على ادم عليه السلام وهو في السما فوافق وقت عرضها على ادم مرور النبي صلى الله عليه وسلم به فاخبر
بما راى وقوله اذا نظر عن يمينه ضحك واذا نظر عن شماله بكى فيه شفقة الوالد على اولاده وسروره
وفرحه بحسن حال المومن منهم وحزنه على سو حال الكافر منهم وقوله في ادريس مرحبا بالنبي
الصالح والاخ الصالح وقد اتفق المورخون ان ادريس هو اخنوخ وهو جد نوح عليه السلام

فيكون جدا النبي صلى الله عليه وسلم كما ان ابراهيم جده فكان ينبغي ان يقول بالنبي الصالح والابن
الصالح كما قال ادم وابراهيم عليهما السلام والجواب عن هذا انه قيل ان ادريس المذكور هنا هو
الياس وهو من ذرية ابراهيم فليس هو جدا لنوح هذا جواب القاضي عياض قال الشيخ محيي الدين ليس
في الحديث ما يمنع كون ادريس ابا لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم وان قوله الاخ الصالح يحتمل ان يكون
قاله تلطفا وتادبا وهو اخ وان كان ابا لان الانبيا اخوة والمومنون اخوة والله اعلم **فصل**
في ذكر الايات التي ظهرت بعد المعراج الدالة على صدقه صلى الله عليه وسلم وبيان احاديث تتعلق
بالاسرا قال البغوي روي انه لما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة اسري به فكان بذي طوى
قال يا جبريل ان قومي لا يصدقوني قال يصدقك ابو بكر وهو الصديق قال ابن عباس وعايشة عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم لما كانت ليلة اسري بي واصبحت بمكة فضقت بامري وعرفت ان الناس
مكذبي فروي انه صلى الله عليه وسلم قعد معتزلا حزينا فمر به ابو جهل فجلس اليه فقال كالمستهزي هل
استفدت من شي قال نعم اسري بي الليلة قال الى اين قال الى بيت المقدس قال ابو جهل ثم اصبحت بين
اظهرنا قال نعم فلم ير ابو جهل ان ينكر ذلك مخافة ان يجحده الحديث ولكن قال اتحدث قومك بما
حدثتني قال نعم قال ابو جهل يا معشر بني كعب بن لوي هلموا فانقضت المجالس وجاوا حتى جلسوا
اليهما قال حدث قومك ما حدثتني قال نعم اسري بي الليلة قالوا الى اين قال الى بيت المقدس
قالوا ثم اصبحت بين اظهرنا قال نعم فبقي الناس بين مصفق وبين واضع يده على راسه متعجبا
وارتد ناس ممن كان قد امن به وصدقه وسعى رجل من المشركين الى ابي بكر فقال له هل لك في صاحبك
يزعم انه اسري به الليلة الى بيت المقدس قال او قد قال ذلك قال نعم قال لين كان قال ذلك لقد
صدق قالوا وتصدقه انه ذهب الى بيت المقدس وجا في ليلة قبل ان يصبح قال نعم لاني اصدقه
بما هو ابعد من ذلك اصدقه بخبر السما في غدوة او روحة فلذلك سمي ابو بكر الصديق قال وكان في
القوم من قد اتى المسجد الاقصى قالوا هل تستطيع ان تنعت لنا المسجد قال نعم فذهبت انعت وانعت
حتى التبس علي قال فجي بالمسجد وانا انظر اليه فقال القوم اما النعت فوالله لقد اصاب فيه ثم قالوا
يا محمد اخبرنا عن عيرنا فهي اهم الينا هل لقيت منها شيا قال نعم مررت بعير بني فلان وهي بالروحا
وقد اضلوا بعيرا وهم في طلبه وفي رحالهم قدح من ما فعطشت فاخذته فشربت منه ثم وضعته كما
كان فسالوا هل وجدوا الما في القدح حين رجعوا قالوا هذه اية قال ومررت بعير بني فلان وفلان
وفلان راكبان قعودا لهما بذي مر فنفر بعيرهما مني فرمى بفلان فانكسرت فسالوهما عن ذلك قالوا وهذه
اية قالوا فاخبرنا عن عيرنا قال مررت بها بالتنعيم قالوا فما عدتها واحمالها وهيتها فقال كنت
في شغل عن ذلك ثم مثلت له بعدتها واحمالها وهيتها ومن فيها وكانوا بالحزورة قال نعم هيتها
كذا وكذا وفيها فلان وفلان يقدمها جمل اورق عليه غرارتان مخيطتان تطلع عليكم عند طلوع
الشمس قالوا وهذه اية ثم خرجوا يشتدون نحو الثنية وهم يقولون والله لقد قص محمد شيا وبينه

حتى اتوا كدا فجلسوا عليه فجعلوا ينظرون متى تطلع الشمس فيكذبونه اذ قال قايل منهم هذه
الشمس قد طلعت وقال اخر وهذه العير قد طلعت يقدمها بعير اورق فيها فلان وفلان كما قال
فلم يومنوا وقالوا هذا سحر مبين م عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لقد رايتني في الحجر وقريش تسالني عن مسراي فسالتني عن اشيا من بيت المقدس لم اثبتها فكربت
كربة ما كربت مثلها قط قال فرفعه الله لي انظر اليه ما يسالوني عن شي الا انبيتهم به وقد رايتني في
جماعة من الانبيا فاذا موسى قايم يصلي فاذا رجل ضرب جعد كانه من رجال شنوءة واذا عيسى بن مريم
قايم يصلي اقرب الناس به شبها عروة بن مسعود الثقفي واذا ابراهيم قايم يصلي اشبه الناس به
صاحبكم يعني به نفسه صلى الله عليه وسلم فحانت الصلاة فاممتهم فلما فرغت قال لي قايل يا محمد
هذا مالك خازن النار فسلم عليه فالتفت اليه فبداني بالسلام ق وعن جابر انه سمع رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقول لما كذبني قريش قمت الى الحجر فجلى الله لي بيت المقدس فطفقت اخبرهم عن اياته
وانا انظر اليه زاد البخاري في رواية له لما كذبني قريش حين اسري بي الى بيت المقدس وذكر الحديث
م عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اتيت على موسى ليلة اسري بي عند الكثيب الاحمر وهو
قايم يصلي في قبره قال بريدة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما انتهينا الى بيت المقدس قال
جبريل كذا باصبعه فخرق به الحجر وشد به البراق اخرجه الترمذي فان قلت كيف راى رسول
الله صلى الله عليه وسلم موسى يصلي في قبره وكيف صلى بالانبيا في بيت المقدس ثم وجدهم على
مراتبهم في السموات وسلموا عليه وترحبوا به وكيف تصح الصلاة من الانبيا بعد الموت وهم في الدار
الاخرة قلت اما صلاته صلى الله عليه وسلم بالانبيا ببيت المقدس يحتمل ان الله جمعهم له ليصلي بهم
ويعترفوا بفضله وتقدمه عليهم ثم ان الله تعالى اراه اياهم في السموات على مراتبهم ليعرف هو
مراتبهم وفضلهم واما مروره بموسى وهو قايم يصلي في قبره عند الكثيب الاحمر فيحتمل انه كان
بعد رجوعه من المعراج واما حكم صلاة الانبيا وهم في الدار الاخرة فهم في حكم الشهدا بل
افضل منهم وقد قال الله ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا بل احيا فالانبيا احيا
بعد الموت واما حكم صلاتهم فيحتمل انها الذكر والدعا وذلك من اعمال الاخرة قال الله تعالى
دعواهم فيها سبحانك اللهم وورد في الحديث انهم يلهمون التسبيح كما يلهمون النفس ويحتمل
ان الله تعالى خصهم بخصايص في الاخرة كما خصهم في الدنيا بخصايص لم يخص بها غيرهم منها
انه صلى الله عليه وسلم اخبر انه راهم يلبون ويحجون فكذلك الصلاة والله اعلم بالحقايق قوله تعالى
ولقد اتينا موسى الكتاب يعني التوراة وجعلناه يعني الكتاب هدى لبني اسرايل الا تتخذوا يعني وقلنا
لهم لا تتخذوا من دوني وكيلا يعني ربا وكفيلا ذرية يعني يا ذرية من حملنا مع نوح انه كان
عبدا شكورا يعني نوحا انه كان كثير الشكر وذلك انه كان اذا اكل طعاما وشرب شرابا ولبس
ثوبا قال الحمد لله فسماه الله عبدا شكورا الذلك قوله عز وجل وقضينا الى بني اسرايل في الكتاب لتفسدن

في الارض مرتين قال ابن عباس وقضينا عليهم في الكتاب فالى بمعنى على والمراد بالكتاب اللوح المحفوظ
واللام في لتفسدن لام القسم مجازه والله لتفسدن في الارض يعني بالمعاصي والمراد بالارض
ارض الشام وبيت المقدس ولتعلن يعني ولتستكبرن ولتظلمن الناس علوا كبيرا فاذا جاء وعد اولاهما
يعني اولى المرتين قيل افسادهم في المرة الاولى هو ما خالفوا من احكام التوراة وركبوا من المحارم
وقيل افسادهم في المرة الاولى قتل شعيا في الشجرة وارتكابهم المعاصي بعثنا عليكم عبادا لنا
يعني جالوت وجنوده وهو الذي قتله داود وقيل هو سنجاريب من اهل نينوى وقيل هو بخت
نصر البابلي وهو الاصح اولي باس شديد يعني ذوي بطش وقوة في الحرب فجاسوا خلال الديار
يعني طافوا بين الديار وسطها يطلبونكم يقتلونكم وكان وعدا مفعولا يعني قضاء كائنا
لازما لا خلف فيه ثم رددنا لكم الكرة عليهم يعني رددنا لكم الدولة والغلبة على الذين بعثوا
عليكم حين تبتم من ذنوبكم ورجعتم عن الفساد وامددناكم باموال وبنين وجعلناكم اكثر نفيرا
يعني اكثر عددا ان احسنتم احسنتم لانفسكم يعني لها ثوابها وجزاء احسانها وان اساتم
فلها يعني فعليها عقاب اساءتها فاذا جاء وعد الاخرة يعني المرة الاخرة من افسادكم وهو قصدهم
قتل عيسى فخلصه الله منهم ورفعه اليه وقتلوا زكريا ويحيى عليهما السلام فسلط عليهم الفرس
والروم فسبوهم وقتلوهم وهو قوله ليسوءوا وجوهكم يعني ليحزنوكم ويغموكم وقرئ بالنون
اي ليسوء الله وجوهكم وليدخلوا المسجد يعني بيت المقدس ونواحيه كما دخلوه اول مرة يعني وقت
افسادهم الاول وليتبروا ما علوا تتبيرا يعني وليهلكوا ما غلبوا عليه من بلاد بني اسرايل اهلاكا
ذكر القصة في هذه الايات قال محمد بن اسحاق كانت بنو اسرايل فيهم الاحداث والذنوب وكان
الله في ذلك متجاوزا عنهم ومحسنا اليهم وكان اول ما نزل بهم بسبب ذنوبهم ان ملكا منهم كان
يدعى صديقة وكان الله اذا ملك عليهم الملك بعث معه نبيا يسدده ويرشده ولا ينزل عليهم
كتابا انما يومرون باتباع التوراة والاحكام التي فيها فلما ملك صديقة بعث الله معه شعيا بن
امصيا وذلك قبل مبعث زكريا ويحيى وشعيا هو الذي بشر بعيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم فقال
أوري شلم ومعنى بشرى الان يأتيك راكب الحمار ومن بعده صاحب البعير فملك ذلك الملك يعني صديقة
بني اسرايل بيت المقدس زمانا فلما انقضى ملكه عظمت الاحداث فيهم وكان معه شعيا فبعث الله
سنجاريب ملك بابل ومعه ستمائة الف راية فلم يزل سائرا حتى نزل حول بيت المقدس والملك مريض
من قرحة كانت في ساقه فجاء شعيا النبي اليه وقال يا ملك بني اسرايل ان سنجاريب ملك بابل قد
نزل بك هو وجنوده وقد هاب الناس وفرقوا منهم فكبر ذلك على الملك وقال يا نبي الله هل اتاك
من الله وحي فيما حدث فتخبرنا به وكيف يفعل الله بنا وبسنجاريب وجنوده فقال شعيا لم
ياتني وحي في ذلك فبينما هم على ذلك اوحى الله الى شعيا النبي ان ائت ملك بني اسرايل فمره ان يوصي
وصيته ويستخلف على ملكه من يشاء من اهل بيته فاتى شعيا ملك بني اسرايل فقال ان ربك قد اوحى الي

ان امرك ان توصي وصيتك وتستخلف من شئت على ملكك من اهل بيتك فانك ميت فلما قال
ذلك شعيا لصديقة الملك اقبل على القبلة فصلى ودعا فقال وهو يبكي ويتضرع الى الله تعالى
بقلب مخلص اللهم رب الارباب واله الالهة يا قدوس المتقدس يا رحمن يا رحيم يا رووف الذي لا تاخذه
سنة ولا نوم اذكرني بعملي وفعلي وحسن قضائي على بني اسرايل وذلك كله كان منك وانت اعلم به
من سري وعلانيتي لك فاستجاب الله له وكان عبدا صالحا فاوحى الله الى شعيا ان يخبر صديقة
ان ربه قد استجاب له ورحمه واخر اجله خمسين سنة وانجاه من عدوه سنجاريب فاتاه شعيا
فاخبره فلما قال له ذلك انقطع عنه الحزن وخر ساجدا وقال الهي واله ابائي لك سجدت وسبحت
وكرمت وعظمت انت الذي تعطي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من
تشاء عالم الغيب والشهادة انت الاول والاخر والظاهر والباطن وانت ترحم وتستجيب دعوة المضطرين
انت الذي اجبت دعوتي ورحمت تضرعي فلما رفع راسه اوحى الله الى شعيا ان قل للملك صديقة
فيامر عبدا من عبيده فياتيه بماء التين فيجعله على قرحته فيشفى فيصبح وقد برئ ففعل ذلك
فشفي فقال الملك لشعيا سل ربك ان يجعل لنا علما بما هو صانع بعدونا هذا قال الله لشعيا قل
له اني قد كفيتك عدوك وانجيتك منهم وانهم سيصبحون موتى كلهم الا سنجاريب وخمسة نفر
من كتابه فلما اصبحوا جاء صارخ يصرخ على باب المدينة يا ملك بني اسرايل ان الله قد كفاك عدوك
فاخرج فان سنجاريب ومن معه هلكوا فخرج الملك والتمس سنجاريب فلم يوجد في الموتى فبعث
الملك في طلبه فادركه الطلب في مغارة ومعه خمسة نفر من كتابه احدهم بخت نصر فجعلوهم في
الجوامع ثم اتوا بهم الملك فلما راهم خر ساجدا لله تعالى من حين طلعت الشمس الى العصر ثم قال لسنجاريب
كيف رايت فعل ربنا بكم الم يقتلكم بحوله وقوته ونحن وانتم غافلون فقال سنجاريب قد اتاني
خبر ربكم ونصره اياكم ورحمته التي يرحمكم بها قبل ان اخرج من بلادي فلم اطع مرشدا ولم يلقني في
الشقوة الا قلة عقلي ولو سمعت او عقلت ما غزوتكم فقال الملك صديقة الحمد لله رب العالمين
الذي كفاناكم بما شاء ان ربنا لم يبقك ومن معك لكرامة بك عليه ولكنه انما ابقاك ومن معك
لتزدادوا شقوة في الدنيا وعذابا في الاخرة ولتخبروا من وراءكم بما رايتم من فعل ربنا بكم فتنذروا من
بعدكم ولولا ذلك لقتلك ومن معك ولدمك ودم من معك اهون على الله من دم قراد لو قتلته ثم ان
ملك بني اسرايل امر حرسه ان يقذف في رقابهم الجوامع ففعل وطاف بهم سبعين يوما حول بيت
المقدس وايليا وكان يرزقهم في كل يوم خبزتين من شعير فقال سنجاريب للملك صديقة
القتل خير مما تفعل بنا فامر بهم الى السجن فاوحى الله الى شعيا النبي ان قل لملك بني اسرايل يرسل
سنجاريب ومن معه لينذروا من وراءهم وليكرمهم وليحملهم حتى يبلغوا بلادهم فبلغ ذلك شعيا
للملك ففعل فخرج سنجاريب ومن معه حتى قدموا بابل فلما قدموا جمعوا الناس فاخبروهم
كيف فعل الله تعالى بجنوده فقال له كهانه وسحرته يا ملك بابل قد كنا نقص عليك خبر ربهم

وخبر نبيهم ووحي الله الى نبيهم فلم تطعنا ومني امنة لا يستطيعها احد مع ربهم وكان
امر سنحاريب تخويفا لبني اسرائيل ثم كفاهم الله تعالى ذلك تذكرة وعبرة ثم ان سنحاريب
لبث بعد ذلك سبع سنين ثم مات واستخلف على ملكه ابن ابنه بخت نصر فعمل بعمله وقضى
بقضايه فلبث سبع عشرة سنة ثم قبض الله ملك بني اسرائيل صديقة فمرج امر بني
اسرائيل وتنافسوا الملك حتى قتل بعضهم بعضا وشعيا بينهم معهم لا يقبلون منه فلما
فعلوا ذلك قال الله لشعيا قم في قومك اوحي على لسانك فلما قام انطق الله لسانه بالوحي فقال
يا سما استمعي ويا ارض انصتي * فان الله يريد ان يقص شان بني اسرائيل الذين رباهم بنعمته
واصطنعهم لنفسه وخصهم بكرامته وفضلهم على عباده ثم هم كالغنم الضايعة التي لا راعي لها
فاوى شاذها وجمع ضالتها وجبر كسيرها وداوى مريضها واسمن مهزولها وحفظ سمينها
فلما فعل ذلك بطرت فتناطحت كباشها فقتل بعضهم بعضا حتى لم يبق منهم عظم صحيح يجبر
اليه كسير فويل لهذه الامة الخاطئة لا يدرون اين جاءهم الحين ان البعير مما يذكر وطنه
فينتابه وان الحمار مما يذكر الاري الذي شبع عليه فيراجعه وان الثور مما يذكر المرج الذي سمن فيه
فينتابه وان هولاء القوم لا يذكرون من حيث جاءهم الخير وهم اولوا الالباب والعقول ليسوا
ببقر ولا حمير اني ضارب لهم مثلا فليسمعوه قل كيف ترون في ارض كانت خوا زمانا لا عمران
فيها وكان لها رب حكيم قوي فاقبل عليها بالعمارة وكره ان تخرب ارضه وهو قوي او يقال ضيع
وهو حكيم فاحاط عليها جدارا وشيد فيها قصرا وانبط نهرا وصف فيها غراسا من الزيتون
والرمان والنخل والاعناب والوان الثمار كلها وولى ذلك واستحفظه ذا راي وهمة حفيظا
قويا امينا فلما اطلعت جا طلعها خروبا قالوا بيست الارض هذه نرى ان يهدم جدارها وقصرها
ويدفن نهرها ويقبض قيمها ويحرق غرسها حتى تصير كما كانت اول مرة خرابا مواتا لا عمران
فيها قال الله تعالى قل لهم الجدار ذمتي وان القصر شريعتي وان النهر كتابي وان القيم نبيي وان
الغراس هم وان الخروب الذي اطلع الغراس اعمالهم الخبيثة واني قد قضيت عليهم قضاهم على انفسهم
وانه مثل ضربته لهم يتقربون الي بذبح البقر والغنم وليس ينالني اللحم ولا اكله ويدعون ان
يتقربوا الي بالتقوى والكف عن ذبح الانفس التي حرمتها فايديهم مخضوبة منها وثيابهم متزملة
بدمايها يشيدون لي البيوت مساجد ويطهرون اجوافها وينجسون قلوبهم قلوبهم واجسادهم
ويدنسونها ويزوقون لي المساجد ويزينونها ويخربون عقولهم واخلاقهم ويفسدونها
فاي حاجة الى تشييد البيوت ولست اسكنها واي حاجة الى تزويق المساجد ولست ادخلها
انما امرت برفعها لاذكر واسبح فيها يقولون صمنا فلم يرفع صيامنا وصلينا فلم تنور صلاتنا
وتصدقنا فلم تزك صدقتنا ودعونا بمثل حنين الحمام وبكينا بمثل عوا الذياب في كل ذلك لا يستجاب
لنا قال الله فسلهم ما الذي يمنعني ان استجيب لهم الست اسمع السامعين وابصر الناظرين واقرب

المجيبين وارحم

وارحم الراحمين فكيف ارفع صيامهم وهم يلبسونه بقول الزور ويتقوون عليه بطعمة
الحرام ام كيف انور صلاتهم وقلوبهم صاغية الى من عاداني ويحادني وينتهك محارمي ام كيف
تزكوا عندي صدقاتهم وهم يتصدقون باموال غيرهم انما اجر عليها اهلها المغصوبين
ام كيف استجيب دعاءهم وانما هو قولهم بالسنتهم والفعل من ذلك بعيد وانما استجيب
للداعي اللين وانما اسمع قول المستضعف المسكين وان من علامة رضاي رضا المساكين يقولون
لما سمعوا كلامي وبلغتهم رسالتي انها اقاويل منقولة واحاديث متوارثة وتاليف مما يولف
السحرة والكهنة وزعموا انهم لو شاوا ان ياتوا بحديث مثله فعلوا ولو شاوا ان يطلعوا على علم
الغيب بما يوحي اليهم الشياطين اطلعوا واني قد قضيت يوم خلقت السموات والارض
قضا اثبته وحتمته على نفسي وجعلت دونه اجلا مؤجلا لا بد انه واقع فان صدقوا بما ينتحلون
من علم الغيب فليخبروك متى انفذه او في اي زمان يكون وان كانوا يقدرون على ان ياتوا بما يشاون
فلياتوا بمثل هذه القدرة التي بها امضيه فاني مظهره على الدين كله ولو كره المشركون فان كانوا
يقدرون على ان يقولوا ما يشاون فليقولوا مثل الحكمة التي ادبر بها ذلك القضا ان كانوا
صادقين واني قد قضيت يوم خلقت السما والارض ان اجعل النبوة في الاجرا وان اجعل الملك
في الرعا والعز في الاذلا والقوة في الضعفا والغنى في الفقرا والعلم في الجهلة والحلم في الاميين
فسلهم متى هذا ومن القايم بهذا ومن اعوان هذا الامر وانصاره ان كانوا يعلمون فاني باعث لذلك نبيا
اميا اعمى من عميان ضالين ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب في الاسواق ولا متزين بالفحش ولا قوال
للخنا اسدده لكل جميل واهب له كل خلق كريم اجعل السكينة لباسه والبر شعاره والتقوى
ضميره والحكمة معقوله والصدق والوفا طبيعته والعفو والمعروف خلقه والعدل سيرته
والحق شريعته والهدى امامه والاسلام ملته واحمد اسمه اهدي به بعد الضلالة واعلم به
بعد الجهالة وارفع به بعد الخمالة واشهر به بعد النكرة واغني به بعد العيلة واجمع به بعد
الفرقة واولف به بين قلوب مختلفة واهوا متشتتة وامم متفرقة واجعل امته خير امة
اخرجت للناس يامرون بالمعروف وينهون عن المنكر توحيدا لي وايمانا بي واخلاصا لي يصلون
لي قياما وقعودا وركعا وسجودا يقاتلون في سبيلي صفوفا وزحوفا ويخرجون من ديارهم
واموالهم ابتغا رضواني الهمهم التكبير والتوحيد والتسبيح والتمجيد والمدحة والتحميد لي
في مسيرهم ومجالسهم ومضاجعهم ومتقلبهم ومثواهم يكبرون ويهللون ويقدسون على روس
الاشراف ويطهرون لي الوجوه والاطراف ويعقدون الثياب على الانصاف قربانهم دماوهم واناجيلهم
في صدورهم رهبان بالليل ليوث بالنهار ذلك فضلي اوتيه من اشا وانا ذو الفضل العظيم فلما
فرغ شعيا من مقالته عدوا عليه ليقتلوه فهرب منهم فلقيته شجرة فانفلقت له فدخل فيها فادركه
الشيطان فاخذ بهدبة من ثوبه فاراهم اياها فوضعوا المنشار في وسطها فانشروها حتى

فقطعوها وقطعوه في وسطها واستخلف الله على بني اسرايل بعد ذلك رجلا منهم يقال له ناشية
ابن اموص وبعث لهم ارميا بن خلقيا وكان من سبط هارون بن عمران وذكر ابن اسحاق انه الخضر
واسمه ارميا سمي الخضر لانه جلس على فروة بيضا فقام عنها وهي تهتز خضرا فبعث الله ارميا
الى ذلك الملك يسدده ويرشده ثم عظمت الاحداث في بني اسرايل وركبوا المعاصي واستحلوا
المحارم فاوحى الله الى ارميا ان ائت قومك من بني اسرايل فاقصص عليهم ما امرك به وذكرهم نعمي
وعرفهم باحداثهم فقال ارميا اني ضعيف ان لم تقوني عاجز ان لم تبلغني مخذول ان لم تنصرني
قال الله تعالى ولم تعلم ان الامور كلها تصدر عن مشيئتي وان القلوب والالسنة بيدي اقلبها كيف
شئت اني معك ولن يصل اليك شي منهم فقام ارميا ولم يدر ما يقول فالهمه الله عز وجل في الوقت
خطبة بليغة بين لهم فيها ثواب الطاعة وعقاب المعصية وقال في اخرها عن الله عز وجل واني
حلفت بعزتي لاقيضن لهم فتنة يتحير فيها الحليم ولاسلطن عليهم جبارا قاسيا البسه الهيبة
وانزع من صدره الرحمة يتبعه عدد مثل سواد الليل المظلم ثم اوحى الله الى ارميا اني مهلك بني
اسرايل بيافث ويافث من اهل بابل فسلط الله عليهم بخت نصر فخرج في ستماية الف راية
ودخل بيت المقدس بجنوده ووطي الشام وقتل بني اسرايل حتى افناهم وخرب بيت المقدس
وامر جنوده ان يملا كل رجل منهم ترسه ترابا ثم يقذفه في بيت المقدس ففعلوا حتى ملوه ثم امرهم
ان يجمعوا من في بلدان بيت المقدس كلهم فاجتمع عنده كل صغير وكبير من بني اسرايل فاختار منهم
سبعين الف صبي فلما خرجت غنايم جنده واراد ان يقسمها فيهم قالت له الملوك الذين كانوا
معه ايها الملك غنايمنا كلها واقسم بيننا هولا الصبيان الذين اخترتهم من بني اسرايل فقسمهم
بين الملوك الذين كانوا معه فاصاب كل رجل منهم اربعة غلمة وفرق بخت نصر من بني اسرايل ثلاث فرق
ثلثا اقر بالشام وثلثا سبى وثلثا قتل وذهب بانية بيت المقدس وبالصبيان السبعين الالف
حتى اقدمهم بابل وكانت هذه الوقعة الاولى التي انزل الله عز وجل ببني اسرايل بظلمهم فذلك قوله
قوله تعالى فاذا جا وعد اولاهما بعثنا عليكم عبادا لنا اولي باس شديد يعني بخت نصر واصحابه
ثم ان بخت نصر اقام في سلطانه ما شا الله ثم راى رويا عجيبة اذ راى شيا اصابه فانساه
الذي راى فدعا دانيال وحنانيا وعزاريا وميشايل وكانوا من ذراري الانبيا وسالهم عنها
فقالوا اخبرنا بها نخبرك بتاويلها فقال ما اذكرها ولين لم تخبروني بها وبتاويلها لانزعن
اكتافكم فخرجوا من عنده فدعوا الله وتضرعوا اليه فاعلمهم الذي سالهم عنه فجاوه فقالوا رايت
تمثالا قدماه وساقاه من فخار وركبتاه وفخذاه من نحاس وبطنه من فضة وصدره من ذهب
وراسه وعنقه من حديد قال صدقتم قالوا بينما انت تنظر اليه قد اعجبك ارسل الله
صخرة من السما فدقته فهي التي انستكها قال صدقتم فما تاويلها قالوا تاويلها انك رايت ملك
الملوك بعضهم كان الين ملكا وبعضهم كان احسن ملكا وبعضهم كان اشد ملكا الفخار اضعفه

ثم فوقه

ثم فوقه النحاس اشد منه ثم فوق النحاس الفضة احسن من ذلك وافضل والذهب احسن
من الفضة وافضل ثم الحديد ملكك فهو اشد واعز مما كان قبله والصخرة التي رايت ارسل
الله من السما فدقته نبي يبعثه الله من السما فيدق ذلك اجمع ويصير الامر اليه ثم ان اهل بابل
قالوا لبخت نصر ارايت هولا الغلمان من بني اسرايل الذين سالناك ان تعطيناهم ففعلت
فانا قد نكرنا نساانا منذ كانوا معنا لقد راينا نساانا انصرفت وجوههن عنا اليهم فاخرجهم
من بين اظهرنا او اقتلهم فقال شانكم بهم فمن احب ان يقتل من كان في يده فليفعل فلما قربوهم
للقتل بكوا وتضرعوا الى الله عز وجل وقالوا يا ربنا اصابنا البلا بذنوب غيرنا فوعدهم الله
ان يحييهم فقتلوا الا من كان منهم مع بخت نصر منهم دانيال وحنانيا وعزاريا وميشايل
ثم لما اراد الله تعالى هلاك بخت نصر انبعث فقال لمن في يده من بني اسرايل ارايتم هذا
البيت الذي اخربت والناس الذين قتلت من هم وما هذا البيت قالوا هذا بيت الله وهولا
اهله كانوا من ذراري الانبيا فظلموا وتعدوا فسلطت عليهم بذنوبهم وكان ربهم رب السموات
والارض ورب الخلايق كلهم يكرمهم ويعزهم فلما فعلوا ما فعلوا اهلكهم وسلط عليهم غيرهم
فاستكبر وتجبر وظن انه بجبروته فعل ذلك ببني اسرايل قال فاخبروني كيف ان اطلع الى السما
العليا فاقتل من فيها واتخذها ملكا فاني قد فرغت من اهل الارض قالوا ما يقدر عليها احد
من الخلايق قال لتفعلن او لاقتلنكم عن اخركم فبكوا وتضرعوا الى الله تعالى فبعث الله عز وجل
عليه بقدرته بعوضة فدخلت منخره حتى عضت على ام دماغه فما كان ينام ولا يسكن حتى
يوجا له راسه على ام دماغه فلما مات شقوا راسه فوجدوا البعوضة عاضة على ام دماغه
ليري الله العباد قدرته ونجى الله من بقي من بني اسرايل في يده وردهم الى الشام فبنوا فيه وكثروا
حتى كانوا على احسن ما كانوا عليه ويزعمون ان الله تعالى احيي اوليك الذين قتلوا فلحقوا بهم
ثم انهم لما دخلوا الشام دخلوها وليس معهم من الله عهد كانت التوراة قد احترقت وكان
عزير من السبايا الذين كانوا ببابل فلما رجع الى الشام جعل يبكي ليله ونهاره وخرج عن
الناس فبينما هو كذلك اذ جاه رجل فقال له يا عزير ما يبكيك قال ابكي على كتاب الله وعهده
الذي كان بين اظهرنا الذي لا يصلح ديننا واخرتنا غيره قال افتحب ان يرد اليك ارجع
فصم وتطهر وطهر ثيابك ثم عد الى المكان الذي وعد تجلس فيه فاتى ذلك الرجل بانا فيه
ما وكان ملكا بعثه الله اليه فسقاه من ذلك الانا فمثلت التوراة في صدره فرجع الى بني
اسرايل فوضع لهم التوراة فاحبوه حبا لم يحبوا احبه شيا قط ثم قبضه الله تعالى وجعلت
بنو اسرايل بعد ذلك يحدثون الاحداث ويعود الله عليهم ويبعث فيهم الرسل ففريقا
يكذبون وفريقا يقتلون حتى كان اخر من بعث اليهم من انبيايهم زكريا ويحيى وعيسى عليهم السلام
وكانوا من بيت داود فزكريا مات وقيل قتل وقصدوا عيسى ليقتلوه فرفعه الله من بين اظهرهم

وقتلوا يحيى فلما فعلوا ذلك بعث الله عليهم ملكا من ملوك بابل يقال له خردوش فسار اليهم
باهل بابل حتى دخل عليهم الشام فلما ظهر عليهم امر راسا من روسا جنوده يقال له
بيورزاذان صاحب القتل فقال له اني قد كنت حلفت بالهي لئن انا ظفرت على اهل بيت المقدس
لاقتلنهم حتى يسيل الدم في وسط عسكري الا ان لا اجد احدا لا اقتله فامرهم ان يقتلهم حتى
يبلغ ذلك منهم ثم ان بيورزاذان دخل بيت المقدس فقام في البقعة التي كانوا يقربون فيها
قربانهم فوجد فيها دما يغلي فسالهم عنه فقال يا بني اسرايل ما شان هذا الدم يغلي اخبروني
خبره فقالوا هذا دم قربان لنا قربناه فلم يقبل منا فلذلك يغلي ولقد قربنا القربان منذ ثمانماية
سنة فيقبل منا الا هذا فقال ما صدقتموني فقالوا لو كان كاولزماننا لتقبل منا ولكن قد انقطع
منا الملك والنبوة والوحي فلذلك لم يقبل منا فذبح بيورزاذان منهم على ذلك الدم سبعماية
وسبعين روحا من روسهم فلم يهدا الدم فامر بسبعماية غلام من غلمانهم فذبحهم على الدم
فلم يهدا فلما راى بيورزاذان ان الدم لا يهدا قال لهم يا بني اسرايل ويلكم اصدقوني واصبروا
على امر ربكم فقد طال ما ملكتم في الارض تفعلون ما شئتم قبل ان لا اترك منكم نافخ نار من
ذكر ولا انثى الا قتلته فلما راوا الجهد وشدة القتل صدقوه الخبر فقالوا ان هذا دم نبي كان
ينهانا عن امور كثيرة من سخط الله تعالى فلو كنا اطعناه كان ارشد لنا وكان يخبرنا عن
امركم فلم نصدقه فقتلناه فهذا دمه فقال لهم بيورزاذان ما كان اسمه قالوا يحيى بن زكريا
قال الان صدقتموني لمثل هذا ينتقم ربكم منكم فلما راى بيورزاذان انهم صدقوه خر ساجدا
وقال لمن حوله اغلقوا ابواب المدينة واخرجوا من كان هاهنا من جيش خردوش وخلا في بني
ثم قال يا يحيى بن زكريا قد علم ربي وربك ما اصاب قومك من اجلك وما قتل منهم فاهدا
باذن ربك قبل ان لا ابقي من قومك احدا فهدا الدم باذن الله تعالى ورفع بيورزاذان
عنهم القتل وقال امنت بما امنت به بنوا اسرايل وايقنت ان لا رب غيره وقال لبني اسرايل
ان خردوش امرني ان اقتل منكم حتى يسيل دما وكم وسط عسكره واني لا استطيع ان اعصيه
قالوا له افعل ما امرت به فامرهم فحفروا خندقا وامرهم باموالهم من الخيل والبغال والحمير والابل
والبقر والغنم فذبحها حتى سال الدم في العسكر وامر بالقتلى الذين قتلوا قبل ذلك فطرحوا على
ما قتل من المواشي فلم يظن خردوش الا ان ما في الخندق من دماء بني اسرايل فلما بلغ الدم عسكره
ارسل الى بيورزاذان ان ارفع عنهم القتل ثم انصرف الى بابل وقد افنى بني اسرايل وكادوا
الوقعة الاخيرة التي انزل ببني اسرايل في قوله لتفسدن في الارض مرتين فكانت الوقعة الاولى
بخت نصر وجنوده والاخرة خردوش وجنوده وكانت اعظم الوقعتين فلم تقم لهم بعد ذلك
راية وانتقل الملك من الشام ونواحيها الى الروم واليونانيين الا ان بقايا بني اسرايل كثير وكانت
لهم الرياسة ببيت المقدس ونواحيها على وجه الملك وكانوا في نعمة الى ان بدلوا واحدثوا

فسلط

فسلط الله عليهم ططوس بن اسبيانوس الرومي فاخرب بلادهم وطردهم عنها ونزع
الله عنهم الملك والرياسة وضرب عليهم الذلة فليسوا في امة الا وعليهم الصغار والجزية
وبقي بيت المقدس خرابا الى خلافة عمر بن الخطاب فعمره المسلمون بامره وقيل في سبب
قتل يحيى عليه السلام ان ملك بني اسرايل كان يكرمه ويدني مجلسه وان الملك هوي بنت
امراته وقال ابن عباس ابنة اخيه فسال يحيى تزويجها فنهاه عن نكاحها فبلغ ذلك امها
فحقدت على يحيى وعمدت حين جلس الملك على شرابه فالبستها ثيابا رقاقا حمرا وطيبتها
والبستها الحلي وارسلتها الى الملك وامرتها ان تسقيه فان هو راودها عن نفسها ابت
عليه حتى يعطيها ما سالته فاذا اعطاها ما سالت سالت راس يحيى ان يوتى به
في طست ففعلت فلما راودها قالت لا افعل حتى تعطيني ما اسالك قال فما تسالين قالت
راس يحيى بن زكريا في هذا الطست فقال ويحك سليني غير هذا قالت ما اريد غير هذا
فلما ابت عليه بعث فاتي براسه حتى وضع بين يديه والراس يتكلم يقول لا يحل لك فلما اصبح
اذا دمه يغلي فامر بتراب فالقي عليه فرقا الدم يغلي فلا زال يلقي عليه التراب وهو يغلي
حتى بلغ سور المدينة وهو في ذلك يرقى ويغلي فسلط الله عليهم ملك بابل فخرب بيت المقدس
وقتل سبعين الفا حتى سكن قوله عز وجل عسى ربكم ان يرحمكم يعني يا بني اسرايل بعد انتقامه
منكم فيرد الدولة اليكم وان عدتم اي الى المعصية عدنا اي الى العقوبة قال قتادة فعادوا
فبعث الله عليهم محمدا صلى الله عليه وسلم فهم يعطون الجزية عن يد وهم صاغرون وجعلنا
جهنم للكافرين حصيرا اي سجنا ومحبسا من الحصر الذي هو الحبس وقيل فراشا من الحصير الذي
يبسط ويفرش قوله تعالى ان هذا القران يهدي للتي هي اقوم اي الى الطريقة التي هي اصوب وقيل
الى الكلمة التي هي اعدل وهي شهادة ان لا اله الا الله ويبشر يعني القران المومنين الذين يعملون
الصالحات ان لهم اجرا كبيرا يعني الجنة وان الذين لا يومنون بالاخرة اعتدنا لهم عذابا اليما
يعني النار في الاخرة ويدع الانسان اي على نفسه وولده وماله بالشر يعني قوله عند الغضب
اللهم اهلكه اللهم العنه ونحو ذلك دعاه بالخير يعني كدعايه ربه ان يهب له النعمة والعافية
ولو استجاب الله دعاه على نفسه لهلك ولكن الله لا يستجيب بفضله وكرمه وكان الانسان
عجولا اي بالدعا على ما يكره ان يستجاب له فيه وقال ابن عباس معناه ضجرا لا صبر له على سرا ولا ضرا
قوله عز وجل وجعلنا الليل والنهار ايتين اي علامتين دالتين على وحدانيتنا وقدرتنا وفي
معنى الاية قولان احدهما ان يكون المراد من الايتين نفس الليل والنهار وهو انه جعلهما دليلين
للخلق على مصالح الدين والدنيا اما في الدين فلان كل واحد منهما مضاد للاخر مغاير له مع كونهما
متعاقبين على الدوام ففيه دليل على ان لهما مدبرا يدبرهما ويقدرهما بالمقادير المخصوصة واما في
الدنيا فلان مصالح الدنيا لا تتم الا بهما ففي الليل يحصل السكون والراحة وفي النهار يحصل التصرف

في المعاش والكسب والقول الثاني ان يكون المراد وجعلنا نيري الليل والنهار ايتين يريد الشمس والقمر **فمحونا اية الليل** اي جعلنا الليل ممحو الضوء مطموسه مظلما لا يستبان فيه شيء **وجعلنا اية النهار مبصرة** اي يبصر فيه الاشيا رؤية بينة قال ابن عباس جعل الله نور الشمس سبعين جزا ونور القمر كذلك فمحا من نور القمر تسعة وستين جزا فجعلها مع نور الشمس وحكي ان الله امر جبريل فامر جناحه على وجه القمر ثلاث مرات فطمس عنه الضو وبقي فيه النور وسال ابن الكوا عليا عن السواد الذي في القمر فقال هو اثر المحو **لتبتغوا فضلا من ربكم** اي لتتوصلوا ببياض النهار الى استبانة اعمالكم والتصرف في معايشكم **ولتعلموا** اي باختلاف الليل والنهار **عدد السنين والحساب** اي ما تحتاجون اليه منه ولولا ذلك لما علم احد حساب الاوقات ولتعطلت الامور ولو ترك الله الشمس والقمر كما خلقهما لم يعرف الليل من النهار ولم يدر الصايم متى يفطر ولم يعرف وقت الحج ولا وقت حلول الديون الموجلة واعلم ان الحساب يبنى على اربع مراتب الساعات والايام والشهور والسنين فالعدد للسنين والحساب لما دون ذلك من الشهور والايام والساعات وليس بعد هذه المراتب الاربعة الا التكرار **وكل شيء فصلناه تفصيلا** يعني وكل شيء تفتقرون اليه من امر دينكم ودنياكم فقد بيناه تبيانا شافيا واضحا غير ملتبس وقيل انه تعالى لما ذكر احوال ايتي الليل والنهار وهما من وجه دليلان قاطعان على التوحيد ومن وجه اخر انهما نعمتان من الله على اهل الدنيا وكذلك تفضلا منه فلا جرم قال وكل شيء فصلناه تفصيلا قوله عز وجل **وكل انسان الزمناه طايره في عنقه** قال ابن عباس عمله وما قدر عليه فهو ملازمه اينما كان وقيل خيره وشره معه لا يفارقه حتى يحاسب به وقيل ما من مولود الا وفي عنقه ورقة مكتوب فيها شقي او سعيد وقيل اراد بالطاير ما قضى عليه انه عامله وما هو صاير اليه من سعادة او شقاوة وقيل هو من قولك طار له سهم اذا خرج يعني الزمناه ما طار من عمله لزوم القلادة والغل لا ينفك عنه والعنق في قوله عنقه كناية عن اللزوم كما يقال جعلت هذا في عنقك اي قلدتك هذا العمل والزمتك الاحتفاظ به وانما خص العنق من بين ساير الاعضاء لانه موضع القلايد والاطواق والغل مما يزين او يشين فان كان عمله خيرا كان كالقلادة او الحلي في العنق وهو مما يزينه وان كان عمله شرا كان كالغل في عنقه وهو مما يشينه **ونخرج له** يقول الله تعالى ونحن نخرج له **يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا** قيل بسطت للانسان صحيفتان ووكل به ملكان يحفظان عليه حسناته وسيئاته فاذا مات طويت الصحيفتان وجعلت معه في قبره فلا تنشران الى يوم القيامة **اقرا كتابك** اي يقال له اقرا كتابك قيل يقرا يوم القيامة من لم يكن قاريا **كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا** اي محاسبا قال الحسن لقد عدل عليك من جعلك حسيب نفسك وقيل يقول الكافر انك لست بظلام للعبيد فاجعلني احاسب نفسي فيقال له اقرا كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا قوله تعالى **من اهتدى فانما يهتدي لنفسه ومن ضل فانما يضل عليها** يعني ان ثواب العمل الصالح مختص بفاعله وعقاب الذنب مختص بفاعله ايضا ولا يتعدى منه الى غيره وهو قوله تعالى **ولا تزر**

وازرة

وازرة وزر اخرى اي لا تحمل حاملة ثقل اخرى من الاثام ولا يواخذ احد بذنب احد بل كل احد مختص بذنب نفسه **وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا** لاقامة الحجة وقطعا للعذر وفيه دليل على ان ما وجب انما وجب بالسمع لا بالعقل قوله عز وجل **واذا اردنا ان نهلك قرية امرنا مترفيها** في معنى الاية قولان احدهما ان المراد منه الامر بالفعل ثم ان لفظ الاية لا يدل على انه تعالى بماذا امرهم فقال اكثر المفسرين معناه انه تعالى امرهم بالاعمال الصالحة وهي الايمان والطاعة وفعل الخير فخالفوا ذلك الامر عنادا وفسقوا والقول الثاني امرنا مترفيها اي كثرنا فساقها يقال امر القوم اذا كثروا وامرهم الله اذا كثرهم ومنه الحديث خير المال مهرة مامورة اي كثيرة النتاج والنسل فعلى هذا قوله تعالى امرنا ليس من الامر بالفعل والمترف هو الذي ابطرته النعمة وسعة العيش **ففسقوا فيها** اي خرجوا عما امرهم الله به من الطاعة **فحق عليها القول** اي وجب عليها العذاب **فدمرناها تدميرا** اي اهلكناها اهلاك استيصال والدمار الهلاك والخراب **ق** عن ام المومنين زينب بنت جحش ان النبي صلى الله عليه وسلم دخل عليها فزعا يقول لا اله الا الله ويل للعرب من شر قد اقترب فتح اليوم من ردم ياجوج وماجوج مثل هذه وحلق باصبعيه الابهام والتي تليها قالت زينب قلت يا رسول الله افنهلك وفينا الصالحون قال نعم اذا كثر الخبث قوله ويل للعرب ويل كلمة تقال لمن وقع في هلكة او اشرف ان يقع فيها وقوله اذا كثر الخبث اي الشر قوله تعالى **وكم اهلكنا من القرون** اي المكذبة **من بعد نوح** وهم عاد وثمود وغيرهم من الامم الخالية يخوف بذلك كفار مكة قال عبد الله بن ابي اوفى القرن عشرون ومائة سنة فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم في اول قرن واخرهم يزيد بن معاوية اخره وقيل القرن مائة سنة روى محمد بن القاسم عن عبد الله بن بسر المازني ان النبي صلى الله عليه وسلم وضع يده على راسه وقال سيعيش هذا الغلام قرنا قال محمد بن القاسم ما زلنا نعد له حتى تمت له مائة سنة ثم مات وقيل القرن ثمانون سنة وقيل اربعون **وكفى بربك بذنوب عباده خبيرا بصيرا** يعني انه عالم بجميع المعلومات راي لجميع المرئيات لا يخفى عليه شيء من احوال الخلق قوله عز وجل **من كان يريد العاجلة** اي الدار العاجلة يعني الدنيا **عجلنا له فيها ما نشاء** من البسط والتقتير **لمن نريد** اي نفعل بمن ذلك او اهلاكه وقيل في معنى الاية عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد اي القدر الذي نشاء نعجله له في الدنيا لا الذي يشاء هو لمن نريد اي نعجل لمن نشاء قدرناه له وهذا ذم لمن اراد بعمله وطاعته الدنيا ومنفعتها وبيان ان من ارادها لا يدرك منها الا ما قدر له **ثم جعلنا له** اي في الاخرة **جهنم يصلاها** اي يدخلها **مذموما مدحورا** اي مطرودا مبعدا قوله تعالى **ومن اراد الاخرة وسعى لها سعيها** اي عمل لها عملها **وهو مومن فاوليك كان سعيهم مشكورا** اي مقبولا قيل في الاية ثلاث شرايط في كون السعي مشكورا ارادة الاخرة بعمله ونيته في عمل الخير والسعي فيما كلف له من العمل وترك ما امر بتركه والايمان الصحيح الثابت وعن بعض السلف من لم يكن معه ثلاث لم ينفعه عمله ايمان ثابت ونية صادقة وعمل مصيب وتلا هذه الاية قوله عز وجل **كلا نمد هولاء وهولاء**

اي يمد كلا الفريقين من يريد الدنيا ومن يريد الاخرة من عطاء ربك اي نرزقهما جميعا ثم يختلف
بهما الحال في المال وما كان عطاء ربك محظورا اي ممنوعا عن عباده والمراد بالعطاء في الدنيا
اذ لا حظ للكافر في الاخرة انظر يا محمد كيف فضلنا بعضهم على بعض اي في الرزق والعمل يعني
طالب العاجلة وطالب الاخرة وللاخرة اكبر درجات واكبر تفضيلا يعني ان تفاضل الخلق في درجات
منافع الدنيا محسوس فتفاضلهم في درجات منافع الاخرة اكبر واعظم فان نسبة التفاضل في
درجات الاخرة الى التفاضل في درجات الدنيا كنسبة الاخرة الى الدنيا فاذا كان الانسان
تشتد رغبته في طلب فضيلة الدنيا فبان تقوى وتشتد رغبته في طلب الاخرة اولى لانها دار
المقامة قوله لا تجعل مع الله الها اخر الخطاب مع النبي صلى الله عليه وسلم والمراد غيره وقيل معناه
لا تجعل ايها الانسان مع الله الها اخر وهذا اولى فتقعد مذموما اي من غير حمد مخذولا اي بغير
ناصر قوله عز وجل وقضى ربك اي وامر ربك قاله ابن عباس وقيل معناه واوجب ربك وقيل معناه
الحكم الجزم وقيل ووصى ربك وحكي عن الضحاك انه قراها ووصى ربك وقال انهم الصقوا الواو بالصاد
فصارت قافا وهي قراءة علي وابن مسعود قال الامام فخر الدين الرازي في تفسيره الكبير هذا القول
بعيد جدا لانه يفتح باب التحريف والتغيير وقد يتطرق الى القران ولو جوزنا ذلك لارتفع الامان
على القران وذلك يخرجه عن كونه حجة ولا شك انه طعن عظيم في الدين الا تعبدوا الا اياه فيه
وجوب عبادة الله والمنع من عبادة غيره وهذا هو الحق لان العبادة عبارة عن الفعل المشتمل
على نهاية التعظيم ونهاية التعظيم لا تليق الا بمن له الانعام والافضال على عباده ولا منعم الا
الله فكان هو المستحق للعبادة لا غيره وبالوالدين احسانا اي وامر بالوالدين احسانا اي برا بهما
وعطفا عليهما واحسانا اليهما اما يبلغن عندك الكبر احدهما او كلاهما معناه انهما يبلغان
الى حالة الضعف والعجز فيصيران عندك في اخر العمر كما كنت عندهما في اول العمر واعلم انه تعالى لما
ذكر هذه الجملة كلف الانسان في حق الوالدين خمسة اشياء الاول قوله فلا تقل لهما اف وهي كلمة تضجر
وكراهية وقيل ان اصل هذه الكلمة انه اذا سقط عليك تراب ونحوه نفخت فيه تزيله تقول
اف ثم انهم توسعوا بذكر هذه الكلمة عند كل مكروه يصل اليهم والثاني قوله ولا تنهرهما
اي تزجرهما عما يتعاطيانه مما لا يعجبك يقال نهره وانتهره بمعنى فان قلت المنع من التافيف
يدل على المنع من الانتهار فما وجه الجمع قلت المراد من قوله ولا تقل لهما اف المنع من اظهار الضجر بالقليل
والكثير والمراد من قوله ولا تنهرهما المنع من اظهار المخالفة في القول على سبيل الرد عليهما الثالث قوله
وقل لهما قولا كريما اي حسنا جميلا لينا يقتضيه حسن الادب معهما قيل هو ان يقول لهما كقول العبد
الذليل المذنب للسيد الفظ الغليظ الرابع قوله عز وجل واخفض لهما جناح الذل اي الن لهما جناحك
واخفض لهما حتى لا تمتنع من شيء احباه من الرحمة اي من الشفقة عليهما لكبرهما وافتقارهما اليوم
اليك كما كنت في حال الصغر مفتقرا اليهما الخامس قوله تعالى وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا اي

وادع الله

وادع الله لهما ان يرحمهما برحمته الباقية واراد بهذا اذا كانا مسلمين فاما اذا كانا كافرين فان الدعاء
منسوخ في حقهما بقوله تعالى ما كان للنبي والذين امنوا ان يستغفروا للمشركين ولو كانوا اولي قربى
وقيل يجوز الدعاء لهما بان يهديهما الله الى الاسلام فاذا هداهما فقد رحمهما وقيل في معنى هذه
الاية ان الله سبحانه وتعالى بالغ في الوصية بهما حيث افتتحها بالامر بتوحيده وعبادته ثم شفعه
بالاحسان اليهما ثم ضيق الامر في مراعاتهما حتى لم يرخص في ادنى كلمة تنفلت وان يذل ويخضع
لهما ثم ختمها بالامر بالدعاء لهما والترحم عليهما فصل في الاحاديث التي وردت في بر الوالدين
ق عن ابي هريرة قال جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله من احق الناس بحسن
صحابتي قال امك ثم امك ثم اباك ثم ادناك فادناك م عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول رغم انفه ثم رغم انفه قيل من يا رسول الله قال من ادرك والديه عند الكبر او احدهما ثم لم
يدخل الجنة م عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لن يجزي ولد والده الا ان يجده مملوكا
فيشتريه فيعتقه ق عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستاذنه
في الجهاد فقال احي والداك قال نعم قال ففيهما فجاهد وعنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
رضى الرب في رضى الوالدين وسخط الرب في سخط الوالدين اخرجه الترمذي مرفوعا وموقوفا
قال وهو اصح عن ابي الدرداء قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الوالدان اوسط ابواب الجنة
فان شئت فاضع ذلك الباب واحفظه اخرجه الترمذي وقال حديث صحيح ق عن عبد الله بن مسعود
قال سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم اي العمل احب الى الله تعالى قال الصلاة على وقتها قلت ثم اي
قال بر الوالدين قلت ثم اي قال الجهاد في سبيل الله قوله تعالى ربكم اعلم بما في نفوسكم اي من بر الوالدين
واعتقاد ما يجب لهما من التوقير او عقوقهما ان تكونوا صالحين اي ابرارا مطيعين قاصدين الصلاح والبر
بعد تقصير كان منكم في القيام بما لزمكم من حق الوالدين وغيرهما وقيل او فرط منكم في حال الغضب
وعند حرج الصدر وما لا يخلو منه البشر شيء يؤدي الى اذاهما ثم انبتم واستغفرتم مما فرط
منكم فانه كان للاوابين اي للتوابين غفورا قال سعيد بن جبير في هذه الاية هو الرجل تكون منه
البادرة الى ابويه لا يريد بذلك الا الخير فانه لا يؤاخذ به وقال سعيد بن المسيب الاواب الذي
يذنب ثم يتوب ثم يذنب ثم يتوب وعنه انه الرجاع الى الخير وقال ابن عباس الاواب الراجع فيما
يحزنه وينوبه وعنه انهم المسبحون وقيل هم المصلون وقيل هم الذين يصلون صلاة الضحى يدل
عليه ما روي عن زيد بن ارقم قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم على اهل قباء وهم يصلون
الضحى فقال صلاة الاوابين اذا رمضت الفصال اخرجه مسلم قوله اذا رمضت الفصال يريد
ارتفاع الضحى وان تحمى الرمضاء وهو الرمل بحر الشمس فتبرك الفصال من الحر وشدة احراقه اخفافها
والفصال جمع فصيل وهي اولاد الابل الصغار وقيل الاواب الذي يصلي بين المغرب والعشاء
يدل عليه ما روي عن ابن عباس قال ان الملائكة لتحف بالذين يصلون بين المغرب والعشاء وهي صلاة

الا وابين قوله تعالى وات ذا القربى حقه قيل الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم امره الله تعالى ان
يوتي اقاربه حقوقهم وقيل انه خطاب للكل وهو انه سبحانه وتعالى وصى بعد بر الوالدين بالقرابة
وان يوتوا حقهم من صلة الرحم والمودة والزيارة وحسن المعاشرة والموالفة على السرا والضرا والمعاضدة
ونحو ذلك وقيل ان كانوا محاويج وهو موسر لزمه الانفاق عليهم عند ابي حنيفة وقال الشافعي
لا تلزم النفقة الا الوالد على ولده او ولد على والديه فحسب وقيل اراد بالقرابة قرابة رسول الله
صلى الله عليه وسلم وتقدم الكلام على المسكين وابن السبيل ولا تبذر تبذيرا اي لا تنفق مالك في المعصية
وقيل لو انفق الانسان ماله كله في الحق لم يكن مبذرا ولو انفق درهما او مدا في باطل كان مبذرا
وسيل ابن مسعود عن التبذير فقال انفاق المال في غير حقه وقيل هو انفاق المال في العمارة على
وجه السرف وقيل ان بعضهم انفق نفقة في خير فاكثر فقال له صاحبه لا خير في السرف فقال
لا سرف في الخير ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين يعني اولياءهم واصدقاءهم لانهم يطيعونهم
فيما يامرونهم به من الاسراف وقيل امثالهم في الشر وهذا غاية المذمة لانه لا اشر من الشيطان
والعرب تقول لكل من هو ملازم سنة قوم هو اخوهم وكان الشيطان لربه كفورا اي جحودا
للنعمة فما ينبغي ان يطاع لانه يدعو الى مثل عمله قوله عز وجل واما تعرضن عنهم نزلت في مهجع
وبلال وصهيب وسالم وخباب وكانوا يسالون النبي صلى الله عليه وسلم في الاحايين ما يحتاجون
اليه ولا يجد فيعرض عنهم حياء منهم ويمسك عن القول فنزلت هذه الاية والمعنى وان تعرض عن هولاء
الذين امرتك ان توتيهم ابتغاء رحمة من ربك ترجوها اي انتظار رزق من الله ترجوه ان ياتيك فقل لهم
قولا ميسورا اي لينا جميلا اي عدهم وعدا تطيب به قلوبهم وقيل هو ان تقول لهم رزقنا الله واياكم
من فضله قوله تعالى ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك قال جابر اتى صبي فقال يا رسول الله ان امي
تستكسيك درعا ولم يكن لرسول الله صلى الله عليه وسلم الا قميصه فقال للصبي من ساعة
الى ساعة يظهر كذا فعد الينا وقتا اخر فعاد الى امه فقالت قل له ان امي تستكسيك الدرع الذي
عليك فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم داره ونزع قميصه واعطاه وقعد عريانا فاذن بلال
بالصلاة وانتظره فلم يخرج فشغل قلوب اصحابه فدخل عليه بعضهم فراه عريانا فانزل
الله تعالى ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك اي لا تمسك يدك عن النفقة في الحق والخير كالمغلولة
يده لا يقدر على مدها ولا تبسطها اي بالعطا كل البسط اي فتعطي جميع ما عندك وقيل هذا تمثيل
لمنع الشحيح واعطا المسرف امر بالاقتصاد الذي هو بين الاسراف والتقتير فتقعد ملوما اي عند
الله لان السرف غير مرضي عنده وقيل ملوما عند نفسك واصحابك ايضا يلومونك على تضييع
المال بالكلية وقيل يلومونك سايلوك عن الامساك اذا لم يعطهم محسورا اي منقطعا بك لا شي
عندك تنفقه وقيل محسورا اي نادما على ما فرطت منك ثم سلى رسول الله صلى الله عليه وسلم عما
كان يرهقه من الاضاقة بان ذلك ليس هوانا بك عليه ولا بخلا منه عليك فقال تعالى ان ربك

يبسط

يبسط اي يوسع الرزق لمن يشاء ويقدر اي يقتر ويضيق وذلك لمصلحة العباد انه كان بعباده
خبيرا بصيرا يعني انه تعالى عالم باحوال العباد وما يصلحهم فالتفاوت في ارزاق العباد ليس
لاجل البخل بل لاجل رعاية مصالح العباد قوله عز وجل ولا تقتلوا اولادكم خشية املاق
اي فاقة وفقر نحن نرزقهم واياكم وذلك ان اهل الجاهلية كانوا يادون بناتهم خشية الفاقة
او يخافون عليهم من النهب والغارات او انهم ينكحوهن لغير اكفا لشدة الحاجة وذلك عار شديد
عندهم فنهاهم الله عن قتلهن وقال نحن نرزقهم واياكم يعني ان الارزاق بيد الله فكما انه فتح ابواب
الرزق على الرجال فكذلك يفتحه على النسا ان قتلهم كان خطا كبيرا اي اثما كبيرا ولا تقربوا الزنا انه
كان فاحشة اي قبيحة زايدة على حد القبح وسا سبيلا اي بيس طريقا طريقه وهو ان تغصب امراة
غيرك او اخته او بنته من غير سبب والسبب ممكن وهو الصهر الذي شرعه الله تعالى وقيل ان الزنا
يشتمل على انواع من المفاسد منها المعصية وايجاب الحد على نفسه ومنها اختلاط الانساب
فلا يعرف الرجل ولده من هو ولا يقوم احد بتربيته وذلك يوجب ضياع الاولاد وانقطاع النسل
وذلك يوجب خراب العالم قوله عز وجل ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق الاصل في القتل
هو الحرمة المغلظة وحل القتل انما ثبت بسبب عارض فلما كان كذلك نهى الله عن القتل على حكم
الاصل ثم استثنى الحالة التي يحصل فيها حل القتل وهي الاسباب العرضية فقال الا بالحق اي
الا باحدى ثلاث كما روي عن ابن مسعود ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يحل دم امرئ مسلم يشهد
ان لا اله الا الله واني رسول الله الا باحدى ثلاث الثيب الزاني والنفس بالنفس والتارك لدينه
المفارق للجماعة اخرجاه في الصحيحين ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا اي قوة وولاية
على القاتل بالقتل وقيل سلطانه هو انه يتخير فان شا استقاد منه وان شا اخذ الدية وان شا عفا
فلا يسرف في القتل اي الولي قال ابن عباس لا يقتل غير القاتل وذلك انهم كانوا في الجاهلية اذا قتل منهم
قتيل لا يرضون بقتل قاتله حتى يقتلوا اشرف منه وقيل معناه اذا كان القتيل واحدا فلا يقتل به جماعة
بل واحد بواحد وكان اهل الجاهلية اذا كان المقتول شريفا فلا يرضون بقتل القاتل وحده
حتى يقتلوا معه جماعة من اقربايه وقيل معناه انه لا يمثل بالقاتل انه كان منصورا وقيل الضمير
راجع للمقتول ظلما يعني انه منصور في الدنيا بايجاب القود على قاتله وفي الاخرة بتكفير خطاياه
وايجاب النار لقاتله وقيل الضمير راجع الى ولي المقتول معناه انه كان منصورا على القاتل المتعدي
يقول لا يتعدى بالقتل بغير الحق فانه ان فعل ذلك فولي القتيل منصور من قبلي عليه باستيفاء
القصاص منه وقيل في قوله فلا يسرف في القتل اراد به القاتل المتعدي يقول لا تتعدى بالقتل
بغير الحق فانه ان فعل ذلك فولي القتيل منصور من قبلي عليه باستيفا القصاص منه قوله تعالى
ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتي هي احسن اي بالطريقة التي هي احسن وهي تثميره وحفظه عليه
حتى يبلغ اشده هو بلوغ النكاح والمراد بالاشد كمال العقل ورشده بحيث يمكنه القيام بمصالح ماله

فلو بلغ غير كامل العقل لم ينفك عنه الحجر واوفوا بالعهد اي الاتيان بما امر الله والانتهاء عما نهى
عنه وقيل اراد بالعهد ما يلتزمه الانسان على نفسه ان العهد كان مسولا اي عنه وقيل مطلوبا
وقيل العهد يسال عن صاحبه فيقال فيما نقضت كالموءودة تسال فيما قتلت قوله عز وجل واوفوا
الكيل اذا كلتم المراد منه اتمام الكيل وزنوا بالقسطاس المستقيم قيل هو الميزان صغيرا كان
او كبيرا من ميزان الدراهم الى ما هو اكبر منه وقيل هو القبان وقيل هو رومي معرب والاصح انه
عربي ماخوذ من القسط وهو العدل اي زنوا بالعدل المستقيم واعلم ان النقصان الحاصل
بسبب نقصان الكيل والوزن قليل والوعيد الحاصل عليه شديد عظيم فوجب على العاقل
الاحتراز منه وانما عظم الوعيد فيه لان جميع الناس محتاجون الى المعاوضات والبيع
والشرا فالشارع بالغ في منع التطفيف والنقصان سعيا في ابقا الاموال على اربابها ذلك
خير واحسن تاويلا اي احسن عاقبة من ال اذا رجع وهو ما يوول اليه امره قوله تعالى ولا تقف
اي ولا تتبع ما ليس لك به علم اي لا تقل رايت ولم تره ولا سمعت ولم تسمعه وعلمت ولم تعلمه
وقيل معناه لا ترم احدا بما ليس لك به علم وقيل لا تتبعه بالحدس والظن وقيل هو
ماخوذ من القفا كانه يقفو الامور ويتتبعها ويتعرفها وحقيقته انه لا يتكلم في احد
بالظن ان السمع والبصر والفواد كل اوليك كان عنه مسولا معناه يسال المرء عن سمعه وبصره
وفواده وقيل يسال السمع والبصر والفواد عما فعل المرء فعلى هذا ترجع الاشارة في اوليك الى
الاعضا وعلى القول الاول ترجع الى اربابها عن شكل بن حميد قال اتيت النبي صلى الله عليه وسلم
فقلت يا نبي الله علمني تعويذا اتعوذ به قال فاخذ بيدي ثم قال قل اعوذ بك من شر سمعي
ومن شر بصري ومن شر لساني ومن شر قلبي ومن شر منيي قال فحفظتها اخرجه ابو داود والنساي والترمذي
وقال حديث حسن غريب قوله ومن شر منيي يعني ماءه وذكره قوله عز وجل ولا تمش في الارض مرحا
اي بطرا وكبرا وخيلا انك لن تخرق الارض اي لن تقطعها بكبرك حتى تبلغ اخرها ولن تبلغ
الجبال طولا اي لا تقدر ان تطاول الجبال وتساويها بكبرك والمعنى ان الانسان لا ينال بكبره
وبطره شيا كمن يريد خرق الارض ومطاولة الجبال لا يحصل على شي وقيل ان الذي يمشي مختالا
يمشي مرة على عقبيه ومرة على صدور قدميه فقيل له انك لن تنقب الارض ان مشيت على صدور قدميك
عن علي قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا مشى تكفا تكفيا كانما ينحط من صبب اخرجه
الترمذي في الشمايل قوله تكفيا التكفو التمايل في المشي قداما وقوله كانما ينحط من صبب هو
قريب من التكفو اي كانه ينحدر من موضع عال عن ابي هريرة قال ما رايت شيا احسن من
رسول الله صلى الله عليه وسلم كان الشمس تجري في وجهه وما رايت احدا اسرع في مشيه من
رسول الله صلى الله عليه وسلم كانما الارض تطوى له انا لنجهد انفسنا وانه لغير مكترث اخرجه
الترمذي قوله لغير مكترث اي شاق والاكتراث الامر الذي يشق على الانسان كل ذلك كان سيه

العهد

عند ربك

عند ربك مكروها اي ما ذكر من الامور التي نهى الله عنها فيما تقدم فان قلت كيف قيل سيئة
مع قوله مكروها قلت قيل فيه تقديم وتاخير تقديره كل ذلك كان مكروها سيئة وقيل
مجازه كل ذلك كان سيئة وكان مكروها وقيل انه يرجع الى المعنى دون اللفظ لان السيئة
الذنب وهو مذكر قوله تعالى ذلك اشارة الى ما تقدم من الاوامر والنواهي في هذه الايات مما اوحى
اليك ربك من الحكمة اي ان الاحكام المذكورة في هذه الايات شرايع واجبة الرعاية في جميع
الاديان والملل لا تقبل النسخ والابطال فكانت محكمة وحكمة بهذا الاعتبار وقيل ان
حاصل هذه الايات يرجع الى الامر بالتوحيد وانواع البر والطاعات والاعراض عن الدنيا
والاقبال على الاخرة وذلك من الحكمة وقيل ان هذه الايات كانت في الواح موسى عليه السلام
اولها لا تجعل مع الله الها اخر قال الله تعالى وكتبنا له في الالواح من كل شي موعظة واعلم
ان الله تعالى افتتح هذه الايات بالامر بالتوحيد والنهي عن الشرك وختمها به والمقصود
منه التنبيه على ان كل قول وعمل يجب ان يكون فيه التوحيد لانه راس كل حكمة وملاكها ومن
عدمه لم ينفعه شي ثم انه تعالى ذكر في الاية الاولى ان الشرك يجب كون صاحبه مذموما
مخذولا وقال في هذه الاية ولا تجعل مع الله الها اخر فتلقى في جهنم ملوما مدحورا والفرق
بين المذموم والملوم اما كونه مذموما فمعناه ان الفعل الذي اقدم عليه قبيح ومنكر فهو مذموم
ثم يقال له لم فعلت هذا الفعل القبيح وما الذي حملك عليه فهذا هو اللوم والفرق بين
المخذول والمدحور ان المخذول هو الضعيف الذي لا ناصر له والمدحور هو المبعود المطرود
عن كل خير قوله عز وجل افاصفاكم ربكم يعني افخصكم واختاركم فجعل لكم الصفوة ولنفسه
ما ليس بصفوة بالبنين يعني اختصكم بافضل الاولاد وهم البنون واتخذ من الملايكة اناثا
لانهم كانوا يقولون الملايكة بنات الله مع علمهم بان الله تعالى هو الموصوف بالكمال الذي
لا نهاية له وهذا يدل على نهاية جهل القايلين بهذا القول انكم لتقولون قولا عظيما
يخاطب مشركي مكة يعني باضافتهم اليه الاولاد وهي خاصة بالاجسام ثم انهم يفضلون عليه
انفسهم حيث يجعلون له ما يكرهون لانفسهم يعني البنات قوله تعالى ولقد صرفنا في هذا القران
يعني العبر والحكم والامثال والاحكام والحجج والاعلام والتشديد في صرفنا للتكثير والتكرير
ليذكروا اي ليتعظوا ويعتبروا وما يزيدهم اي تصريفنا وتذكيرنا الا نفورا اي تباعدا عن الحق
قل يا محمد لهولا المشركين لو كان معه الهة كما تقولون اذا لابتغوا اي لطلبوا يعني هولا الالهة
الى ذي العرش سبيلا اي بالمغالبة والقهر ليزيلوا ملكه كفعل ملوك الدنيا بعضهم ببعض وقيل
معناه لتقربوا اليه وقيل معناه لعرفوا لله فضله فابتغوا ما يقربهم اليه والاول اصح ثم نزه نفسه
فقال عز وجل سبحانه وتعالى عما يقولون علوا كبيرا معنى وصفه بذلك المبالغة في البراءة والبعد
مما يصفونه به قوله عز وجل تسبح له السموات السبع والارض ومن فيهن يعني الملايكة والانس والجن

وان من شي الا يسبح بحمده قال ابن عباس وان من شي حي الا يسبح وقيل جميع الحيوانات
والنابتات وقيل ان الشجرة تسبح والاصطوانة لا تسبح وقيل ان التراب يسبح ما لم يبتل
فاذا ابتل ترك التسبيح وان الخرزة تسبح ما لم ترفع من موضعها فاذا رفعت تركت التسبيح
وان الورقة لتسبح ما دامت على الشجرة فاذا سقطت تركت التسبيح وان الما يسبح ما دام
جاريا فاذا ركد ترك التسبيح وان الثوب ليسبح ما دام جديدا فاذا توسخ ترك التسبيح
وان الوحش والطير لتسبح اذا صاحت فاذا سكتت تركت التسبيح وان من شي جماد او حي
الا يسبح بحمده حتى صرير الباب ونقيض السقف وقيل كل الاشيا تسبح الله حيوانا كان
او جمادا وتسبيحها سبحان الله وبحمده يدل على ذلك ما روي عن ابن مسعود قال كنا
نعد الايات بركة وانتم تعدونها تخويفا كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر فقل
الما فقال اطلبوا فضلة من ما فجا وا بانا فيه ما قليل فادخل يده صلى الله عليه وسلم
في الانا ثم قال حي على الطهور المبارك والبركة من الله ولقد رايت الما ينبع من بين
اصابع رسول الله صلى الله عليه وسلم ولقد كنا نسمع تسبيح الطعام وهو يوكل اخرجه
البخاري م عن جابر بن سمرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان بمكة حجرا كان يسلم على
ليالي بعثت اني لاعرفه الان خ عن ابن عمر قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب الى جذع فلما
اتخذ المنبر تحول اليه فحن الجذع فاتاه فمسح بيده عليه وفي رواية فنزل فاحتضنه وساره بشي ففي
هذه الاحاديث دليل على ان الجماد يتكلم وانه يسبح وقال بعض اهل المعاني تسبيح السموات والارض
والجمادات والحيوانات سوى العقلا بلسان الحال حيث تدل على الصانع وقدرته ولطيف حكمته فكانها
تنطق بذلك ويصير لها بمنزلة التسبيح والقول الاول اصح لما دلت عليه الاحاديث وانه منقول
عن السلف واعلم ان لله تعالى علما في الجمادات لا يقف عليه غيره فينبغي ان يكل علمه اليه وقوله تعالى
ولكن لا تفقهون تسبيحهم اي لا تعلمون ولا تفهمون تسبيحهم ما عدا من يسبح بلغتكم ولسانكم
انه كان حليما غفورا اي حيث لم يعاجلكم بالعقوبة على غفلتكم وجهلكم بالتسبيح قوله عز وجل
واذا قرات القران جعلنا بينك وبين الذين لا يومنون بالاخرة حجابا مستورا اي يحجب قلوبهم عن
فهمه والانتفاع به وقيل معناه مستورا عن اعين الناس فلا يرونه كما روي عن سعيد بن جبير
انه قال لما نزلت تبت يدا ابي لهب جات امراة ابي لهب ومعها حجر والنبي صلى الله عليه وسلم مع ابي بكر
فلم تره فقالت لابي بكر ان صاحبك لقد بلغني انه هجاني فقال والله ما ينطق بالشعر ولا يقوله
فرجعت وهي تقول قد كنت جيت بهذا الحجر لارضخ راسه فقال ابو بكر ما راتك يا رسول الله
قال لم يزل ملك بيني وبينها وجعلنا على قلوبهم اكنة اي اغطية ان يفقهوه اي لئلا يفقهوه
وفي اذانهم وقرا اي ثقلا لئلا يسمعوه واذا ذكرت ربك في القران وحده يعني اذا قلت لا اله الا الله
وانت تتلو القران ولوا على ادبارهم نفورا جمع نافر نحن اعلم بما يستمعون به اي من الهزء بك وبالقران

وقيل معناه نحن اعلم بالوجه الذي يستمعون به وهو التكذيب به اذ يستمعون اليك اي وانت
تقرا القران واذ هم نجوى اي وبما يتناجون في امرك وقيل معناه ذووا نجوى بعضهم يقول هو مجنون
وبعضهم يقول هو كاهن وبعضهم يقول هو ساحر او شاعر اذ يقول الظالمون يعني الوليد بن المغيرة
واصحابه ان تتبعون الا رجلا مسحورا اي مطبوبا وقيل مخدوعا وقيل معناه انه سحر فجن وقيل هو
من السحر وهو الرية ومعناه انه بشر مثلكم ياكل ويشرب قال الشاعر ارانا موضعين لحتم غيب
ونسحر بالطعام وبالشراب اي نغذى بهما انظر كيف ضربوا لك الامثال اي الاشباه فقالوا ساحر
شاعر كاهن مجنون فضلوا اي في جميع ذلك وحاروا فلا يستطيعون سبيلا اي الى طريق الحق وقالوا
ايذا كنا عظاما اي بعد الموت ورفاتا اي ترابا وقيل الرفات الاجزا المتفتتة من كل شي تكسر اينا
لمبعوثون خلقا جديدا فيه انهم استبعدوا الاعادة بعد الموت والبلا فقال الله تعالى ردا عليهم
قل لهم يا محمد كونوا حجارة اي في الشدة او حديدا اي في القوة وليس هذا بامر الزام بل هو امر
تعجيز اي استشعروا في قلوبكم انكم حجارة او حديد في القوة او خلقا مما يكبر في صدوركم
قيل يعني في السما والارض والجبال لانها اعظم المخلوقات وقيل يعني به الموت لانه لا شي في نفس
ابن ادم اكبر من الموت ومعناه لو كنتم الموت بعينه لاميتنكم ولابعثنكم فسيقولون من يعيدنا
اي من يبعثنا بعد الموت قل الذي فطركم اي خلقكم اول مرة فمن قدر على الانشا قدر على الاعادة
فسينغضون اليك روسهم اي يحركونها اذا قلت لهم ذلك مستهزين بما تقول ويقولون متى هو يعني
البعث والقيامة قل عسى ان يكون قريبا اي هو قريب يوم يدعوكم اي من قبوركم الى موقف القيامة
فتستجيبون بحمده قال ابن عباس بامره وقيل بطاعته وقيل مقرين بانه خالقهم وباعثهم ويحمدونه
حين لا ينفعهم الحمد وقيل هذا خطاب مع المومنين فانهم يبعثون حامدين وتظنون ان لبثتم
اي في الدنيا وقيل في القبور الا قليلا وذلك لان الانسان لو مكث في الدنيا وفي القبر الوفا من السنين
عد ذلك قليلا بنسبة مدة القيامة والخلود في الاخرة وقيل انهم يستحقرون مدة الدنيا في جنب القيامة
قوله تعالى وقل لعبادي يقولوا التي هي احسن وذلك ان المشركين كانوا يوذون المسلمين فشكوا ذلك الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله عز وجل وقل لعبادي يقولوا يعني للكفار التي هي احسن اي لا يكافوهم
على سفههم بل يقولوا له يهديك الله وكان هذا قبل الاذن في القتال والجهاد وقيل نزلت في عمر بن الخطاب
وذلك انه شتمه بعض الكفار فامره الله بالعفو وقيل امر الله المومنين بان يقولوا ويفعلوا الخلة التي
احسن وقيل الاحسن كلمة الاخلاص لا اله الا الله ان الشيطان ينزغ بينهم اي يفسد ويلقي العداوة
ان الشيطان كان للانسان عدوا مبينا اي ظاهر العداوة ربكم اعلم بكم ان يشا يرحمكم اي يوفقكم
للايمان فتومنوا او ان يشا يعذبكم اي يميتكم على الشرك فتعذبوا وقيل معناه ان يشا يرحمكم فينجيكم من
اهل مكة او ان يشا يعذبكم اي يسلطهم عليكم وما ارسلناك عليهم وكيلا اي حفيظا وكفيلا قيل
نسختها اية القتال وربك اعلم بمن في السموات والارض يعني ان علمه غير مقصور عليكم بل علمه متعلق

بجميع الموجودات والمعدومات ومتعلق بجميع ذات الارضين والسموات يعلم حال كل احد ويعلم ما يليق به من المصالح والمفاسد وقيل معناه انه عالم باحوالهم واختلاف صورهم واخلاقهم وملِلهم واديانهم **ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض** وذلك انه اتخذ ابراهيم خليلا وكلم موسى تكليما وقال لعيسى كن فكان واتى سليمان ملكا لا ينبغي لاحد من بعده واتى داود زبورا وذلك قوله تعالى واتينا داود زبورا وهو كتاب انزله الله على داود ويشتمل على مائة وخمسين سورة كلها دعا وثنا على الله وتحميد وتمجيد ليس فيه حلال ولا حرام ولا فرايض ولا حدود ولا احكام فان قلت لم خص داود في هذه الاية بالذكر دون غيره من الانبيا قلت فيه وجوه احدها ان الله تعالى ذكر انه فضل بعض النبيين على بعض ثم قال واتينا داود زبورا وذلك ان داود اعطي مع النبوة الملك فلم يذكره بالملك وذكر ما اتاه من الكتاب تنبيها على ان الفضل المذكور في الاية المراد منه العلم لا الملك والمال الوجه الثاني ان الله كتب له في الزبور ان محمدا خاتم الانبيا وان امته خير الامم فلهذا خصه بالذكر الوجه الثالث ان اليهود زعمت انه لا نبي بعد موسى ولا كتاب بعد التوراة فكذبهم الله بقوله واتينا داود زبورا ومعنى الاية انكم لم تنكروا تفضيل النبيين فكيف تنكرون تفضيل النبي صلى الله عليه وسلم واعطاه القران وانه اتى موسى التوراة وداود الزبور وعيسى الانجيل فلم يبعد ان يفضل محمدا صلى الله عليه وسلم على جميع الخلايق وذلك فضل الله يوتيه من يشا وهذا خطاب مع من يقر بتفضيل الانبيا عليهم السلام قوله عز وجل **قل ادعوا الذين زعمتم من دونه** وذلك ان المشركين اصابهم قحط شديد حتى اكلوا الكلاب والجيف فاستغاثوا بالنبي صلى الله عليه وسلم ليدعو لهم قال الله عز وجل قل للمشركين ادعوا الذين زعمتم انها الهة من دونه **فلا يملكون كشف الضر عنكم** اي الجوع والقحط **ولا تحويلا** اي الى غيركم او تحويل الحال من العسر الى اليسر ومقصود الاية الرد على المشركين حيث قالوا ليس لنا اهلية ان نشتغل بعبادة الله فنحن نعبد المقربين اليه وهم الملايكة ثم انهم اتخذوا لذلك الملك الذي عبدوه تمثالا وصورة واشتغلوا بعبادته فاحتج على بطلان قولهم بهذه الاية وبين عجز الهتهم ثم قال تعالى **اولئك الذين يدعون** اي الذين يدعونهم المشركين الهة **يبتغون الى ربهم الوسيلة** اي القربة والدرجة العليا قال ابن عباس هم عيسى وامه وعزير والملايكة والشمس والقمر والنجوم وقال عبد الله بن مسعود نزلت هذه الاية في نفر من العرب كانوا يعبدون نفرا من الجن فاسلم اولئك الجن ولم يعلم الانس بذلك فتمسكوا بعبادتهم فعيرهم الله وانزل هذه الاية وقوله تعالى **ايهم اقرب** معناه ينظرون ايهم اقرب الى الله فيتوسلون به وقيل ايهم اقرب يبتغي الوسيلة الى الله ويتقرب اليه بالعمل الصالح وازدياد الخير والطاعة **ويرجون رحمته** اي جنته **ويخافون عذابه** وقيل معناه يرجون ويخافون كغيرهم من عباد الله فكيف تزعمون انهم الهة **ان عذاب ربك كان محذورا** اي حقيقا بان يحذره كل احد من ملك مقرب ونبي مرسل فضلا عن غيرهم من الخلايق قوله تعالى **وان من قرية الا نحن مهلكوها قبل يوم القيامة** اي بالموت والخراب **او معذبوها عذابا شديدا** اي بالقتل

وانواع العذاب

وانواع العذاب اذا كفروا وعصوا وقيل الاهلاك في حق المومنين هو بالاماتة والعذاب في حق الكفار قال عبد الله بن مسعود اذا ظهر الزنا والربا في قرية اذن الله في هلاكها **كان ذلك في الكتاب** اي في اللوح المحفوظ **مسطورا** اي مكتوبا مثبتا عن عبادة بن الصامت قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان اول ما خلق الله القلم فقال له اكتب فقال ما اكتب قال اكتب القدر ما هو كاين الى الابد اخرجه الترمذي قوله تعالى **وما منعنا ان نرسل بالايات الا ان كذب بها الاولون** قال ابن عباس سال اهل مكة رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يجعل لهم الصفا ذهبا وان ينحي الجبال عنهم ليزرعوا فاوحى الله الى رسوله صلى الله عليه وسلم ان شئت ان استاني بهم فعلت وان شئت اوتيهم ما سالوا فعلت فان لم يومنوا اهلكتهم كما اهلكت من كان قبلهم فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا بل تستاني بهم فانزل الله وما منعنا ان نرسل بالايات اي التي سالها كفار قومك الا ان كذب بها الاولون اي فاهلكناهم فان لم يومن قومك بعد ارسال الايات اهلكتهم لان من سنتنا في الامم اذا سالوا الايات ثم لم يومنوا بعد اتيانها ان نهلكهم ولا نمهلهم وقد حكمنا بامهال هذه الامة الى يوم القيامة ثم ذكر من تلك الايات التي اقترحها الاولون ثم كذبوا بها لما ارسلت فاهلكوا فقال تعالى **واتينا ثمود الناقة مبصرة** اي بينة وذلك لان اثار اهلاكهم في بلاد العرب قريبة من حدودهم يبصرها صادرهم وواردهم **فظلموا بها** اي فجحدوا انها من عند الله وقيل فظلموا انفسهم بتكذيبها فعاجلناهم بالعقوبة **وما نرسل بالايات الا تخويفا** اي وما نرسل بالايات المقترحة الا تخويفا من نزول العذاب فان لم يخافوا وقع عليهم وقيل معناه وما نرسل بالايات يعني العبر والدلالات الا تخويفا اي انذارا بعذاب الاخرة ان لم يومنوا فان الله تعالى يخوف الناس بما شاء من اياته لعلهم يرجعون قوله عز وجل **واذ قلنا لك** اي واذكر يا محمد اذ قلنا لك **ان ربك احاط بالناس** اي ان قدرته محيطة بهم فهم في قبضته وقدرته لا يقدرون على الخروج من مشيئته واذا كان الامر كذلك فهم لا يقدرون على امر من الامور الا بقضائه وقدرته وهو حافظك ومانعك منهم فلا تهبهم وامض لما امرك به من تبليغ الرسالة فهو ينصرك ويقويك على ذلك **وما جعلنا الرويا التي اريناك الا فتنة للناس** الاكثرون من المفسرين على ان المراد منه ما راى النبي صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج من العجايب والايات قال ابن عباس هي رويا عين اريها رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة اسري به الى بيت المقدس اخرجه البخاري وهو قول سعيد بن جبير والحسن ومسروق وقتادة ومجاهد وعكرمة وابن جريج وغيرهم والعرب تقول رايت بعيني روية ورويا فلما ذكرها رسول الله صلى الله عليه وسلم للناس انكر بعضهم ذلك وكذبوا فكانت فتنة للناس وازداد المخلصون ايمانا وقال قوم اسري بروحه دون جسده وهو ضعيف وقال قوم كان له معراجان معراج روية عين في اليقظة ومعراج رويا منام وقيل اراد بهذه الرويا ما راى النبي صلى الله عليه وسلم عام الحديبية انه دخل مكة هو واصحابه فعجل السير الى مكة قبل الاجل فصده المشركون فرجع الى المدينة فكان رجوعه في ذلك العام بعد ما اخبر انه يدخلها فتنة لبعضهم ثم

دخل مكة في العام المقبل وانزل الله لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق وقيل ان النبي صلى الله عليه وسلم
راى في المنام ولد الحكم بن امية يتداولون منبره كما يتداول الكرة فساءه ذلك فان اعترض معترض على
هذا التفسير وقال السورة مكية وهاتان الواقعتان كانتا بالمدينة اجيب بانه لا اشكال فيه فانه
لا يبعد ان النبي صلى الله عليه وسلم راى ذلك بمكة ثم كان حقيقة بالمدينة والشجرة الملعونة في القران
يعني شجرة الزقوم التي وصفها الله تعالى في سورة الصافات والعرب تقول لكل طعام كريه طعام ملعون
والفتنة فيها ان ابا جهل قال ان ابن ابي كبشة يعني النبي صلى الله عليه وسلم يوعدكم بنار تحرق الحجارة
ثم يزعم انه ينبت فيها شجرة وتعلمون ان النار تحرق الشجر وقيل ان عبد الله بن الزبعرى قال ان محمدا
يخوفنا بالزقوم الا الزبد والتمر فقال ابو جهل يا جارية تعالي فزقمينا فاتت بزبد وتمر فقال يا قوم
تزقموا فهذا ما يخوفكم به محمد صلى الله عليه وسلم فانزل الله تعالى حين عجبوا ان يكون في النار شجر انا جعلناها
فتنة للظالمين الايات فان قلت اين لعنت شجرة الزقوم في القران قلت لعنت حيث لعن الكفار الذين
ياكلونها لان الشجرة لا ذنب لها حتى تلعن وانما وصفت بلعن اصحابها على المجاز وقيل وصفها الله
تعالى باللعن لان اللعن الابعاد من الرحمة وهي في اصل جهنم في ابعد مكان من الرحمة وقال ابن عباس
في رواية عنه ان الشجرة الملعونة هي الكشوث الذي يلتوي على الشجر والشوك فيجففه ونخوفهم فما يزيدهم
اى التخويف الا طغيانا كبيرا اى تمردا وعتوا عظيما قوله تعالى واذ قلنا للملائكة اسجدوا لادم فسجدوا الا
ابليس قال اأسجد لمن خلقت طينا اى من طين وذلك ان ادم خلق من تراب الارض من عذبها وملحها
فمن خلق من العذب فهو سعيد ومن خلق من الملح فهو شقي قال يعني ابليس ارايتك الكاف للمخاطب
والمعنى اخبرني هذا الذي كرمت علي اى فضلت علي لئن اخرتني اى امهلتني الى يوم القيامة لاحتنكن ذريته
الا قليلا اى لاستاصلنهم بالاضلال وقيل معناه لاقودنهم كيف شئت وقيل لاستولين عليهم بالاغواء
الا قليلا يعني المعصومين الذين استثناهم الله تعالى في قوله ان عبادي ليس لك عليهم سلطان قال الله
تعالى اذهب اى امض لشانك وليس من الذهاب الذي هو ضد المجيء فمن تبعك منهم فان جهنم جزاؤكم
اى جزاؤك وجزاء اتباعك جزاء موفورا اى مكملا قوله عز وجل واستفزز اى استخف واستزل واجهل
وازعج من استطعت منهم اى من ذرية ادم بصوتك قال ابن عباس معناه بدعائك الى معصية الله وكل
داع الى معصية الله فهو من جند ابليس وقيل اراد بصوتك الغناء والمزامير واللهو واللعب واجلب عليهم
بخيلك ورجلك اى اجمع عليهم مكايدك وحيلك واحثثهم على الاغواء وقيل معناه استعن عليهم
بركبان جندك ومشاتهم يقال ان له خيلا ورجالا من الجن والانس فكل من قاتل ومشى في معصية الله فهو من
جند ابليس وقيل المراد منه ضرب المثل كما تقول للرجل المجد في الامر جئتنا بخيلك ورجلك وشاركهم
في الاموال والاولاد اما المشاركة في الاموال فكل ما اصيب من حرام او انفق في حرام وقيل هو الربا
وقيل هو ما كانوا يذبحونه لالهتهم او يحرمونه كالبحيرة والسائبة والوصيلة والمشاركة في الاولاد
فروي عن ابن عباس انها الموءودة وقيل اولاد الزنا وعن ابن عباس ايضا هو تسميتهم اولادهم بعبد العزى

وعبد

وعبد الحرث وعبد شمس ونحوه وقيل هو ان رغبوا اولادهم في الاديان الباطلة كاليهودية
والنصرانية والمجوسية ونحوها وقيل ان الشيطان يقعد على ذكر الرجل وقت الجماع فاذا لم
يقل بسم الله اصاب معه امراته وانزل في فرجها كما ينزل الرجل وروي في بعض الاخبار ان فيكم
مغربين قيل وما المغربون قال الذين شارك فيهم الجن وعن ابن عباس انه ساله رجل فقال ان امراتي
استيقظت وفي فرجها شعلة نار قال ذلك من وطء الجن وعدهم اى منهم الجميل في طاعته وقيل
قل لهم لا جنة ولا نار ولا بعث وذلك ان الشيطان اذا دعا الى المعصية فلا بد ان يقرر اولا انه
لا مضرة في فعله البتة وذلك لا يمكن الا اذا قال له لا معاد ولا جنة ولا نار ولا حياة بعد هذه الحياة
فيتقرر عنده ان هذا الفعل يفيد انواعا من اللذة والسرور ولا حياة للانسان في الدنيا الا به فهذا
طريق الدعوى الى المعصية ثم ينفره عن فعل الطاعات وهو انه يقرر عنده ان لا جنة ولا نار
ولا عقاب فلا فائدة فيها وقيل معناه عدهم ان شفاعة الاصنام عند الله وايثار العاجل على
الاجل فان قلت كيف ذكر الله هذه الاشياء بصيغة الامر والله تعالى يقول ان الله لا يامر بالفحشاء قلت
هذا على طريق التهديد كقوله تعالى اعملوا ما شئتم وكقول القائل اجتهد جهدك فسترى ما ينزل
بك وقوله تعالى وما يعدهم الشيطان الا غرورا اى تزيين الباطل بما يظن انه حق واعلم ان الله تعالى
لما قال وعدهم اردفه بما يكون زاجرا عن قبول وعده بقوله وما يعدهم الشيطان الا غرورا هو
والسبب فيه انه انما يدعو الى قضاء الشهوة وطلب الرياسة ونحو ذلك ولا يدعو الى معرفة
الله ولا الى عبادته وتلك الاشياء التي يدعو اليها خيالية لا حقيقة لها ولا تحصل الا بعد متاعب
ومشاق عظيمة واذا حصلت كانت سريعة الذهاب والانقضاء وينغصها الموت والهرم وغير
ذلك واذا كانت هذه الاشياء بهذه الصفة كانت الرغبة فيها غرورا ان عبادي ليس لك عليهم
سلطان يعني بعباده الانبياء واهل الفضل والصلاح لا يقدر على اغوائهم وكفى بربك وكيلا اى حافظا
والمعنى انه تعالى لما امكن ابليس ان ياتي بما يقدر عليه من الوسوسة كان ذلك سببا لحصول الخوف
في قلب الانسان فقال تعالى وكفى بربك وكيلا فالله تعالى اقدر منه وارحم بعباده فهو يدفع عنهم
كيد الشيطان ووساوسه ويعصمهم من اغوائه واضلاله وفي بعض الاثار ان ابليس لما خرج الى الارض
قال يا رب اخرجتني من الجنة لاجل ادم فسلطني عليه وعلى ذريته قال انت مسلط قال لا استطيعه
الا بك فزدني قال استفزز من استطعت منهم الاية فقال ادم يا رب سلطت ابليس علي وعلى ذريتي
واني لا استطيعه الا بك قال لا يولد لك ولد الا وكلت به من يحفظه قال رب زدني قال الحسنة بعشر
امثالها والسيئة بمثلها قال رب زدني قال التوبة معروضة ما دام الروح في الجسد قال رب زدني
فقال يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا الاية وفي الخبر ان ابليس قال يا رب بعثت نبيا
وانزلت كتبا فما قراءتي قال الشعر قال فما كتابي قال الوشم قال ومن رسلي قال الكهنة قال اين مطعمي قال
ما لم يذكر عليه اسمي قال فما شرابي قال كل مسكر قال واين مسكني قال الحمامات قال واين مجلسي قال الاسواق

قال وما جبايلي قال النسا قال وما ادافي قال الزمار قوله تعالى ربكم الذي يزجي لكم اي يسوق ويجري لكم
الفلك اي السفن في البحر لتبتغوا من فضله اي لتطلبوا من رزقه بالارباح في التجارة وغيرها انه كان
بكم رحيما اي حيث يسر لكم هذه المنافع والمصالح وسهلها عليكم واذا مسكم الضر في البحر اي الشدة
وخوف الغرق في البحر ضل من تدعون اي ذهب عن اوهامكم وخواطركم كل من تدعونه في حوادثكم
من الاصنام وغيرها الا اياه اي الا الله وحده فانكم لا تذكرون سواه ولا يخطر ببالكم غيره لانه
القادر على اغاثتكم ونجاتكم فلما نجاكم اي اجاب دعاكم وانجاكم من هول البحر وشدته واخرجكم
الى البر اعرضتم اي عن الايمان والاخلاص والطاعة وكفرتم النعمة وهو قوله وكان الانسان كفورا اي
جحودا افامنتم اي بعد انجائكم ان يخسف بكم جانب البر اي نغوره والمعنى ان الجهات كلها له وفي
قدرته برا كان او بحرا بل ان كان الغرق في البحر ففي جانب البر ما هو مثله وهو الخسف لانه تغييب
تحت التراب كما ان الغرق تغييب تحت الما او يرسل عليكم حاصبا اي يمطر عليكم حجارة من السما كما
امطرها على قوم لوط ثم لا تجدوا لكم وكيلا اي مانعا وناصرا ام امنتم ان يعيدكم فيه اي في البحر
تارة اخرى اي مرة اخرى فيرسل عليكم قاصفا من الريح قال ابن عباس اي عاصفا وهي الريح الشديدة وقيل هي
الريح التي تقصف كل شي من شجر وغيره فيغرقكم بما كفرتم اي بكفرانكم النعمة واعراضكم حين انجاكم ثم لا تجدوا
لكم علينا به تبيعا التبيع المطالب المعنى انا نفعل ما نفعل بكم ثم لا تجدوا احدا يطالبنا بما فعلنا انتصارا
لكم ودركا للثار من جهتنا وقيل معناه من يتبعنا بالانكار علينا قوله تعالى ولقد كرمنا بني ادم قال ابن
عباس هو انهم ياكلون بالايدي وغير الادمي ياكل بفيه من الارض وقال ايضا بالعقل وقيل بالنطق
والتمييز والخط والفهم وقيل باعتدال القامة وامتدادها وقيل بحسن الصورة وقيل الرجال
باللحا والنسا بالذوايب وقيل بتسليطهم على جميع ما في الارض وتسخيره لهم وقيل بحسن تدبيرهم
امر المعاش والمعاد وقيل بان منهم خير امة اخرجت للناس وحملناهم في البر اي على الابل والخيل والبغال
والحمير والبحر اي وحملناهم في البحر على السفن وهذا من موكدات التكريم لان الله سبحانه وتعالى سخر
لهم هذه الاشيا لينتفعوا بها ويستعينوا بها على مصالحهم ورزقناهم من الطيبات يعني لذيذ المطاعم
والمشارب وقيل السمن والزبد والتمر والحلوى وجعل رزق غيرهم مما لا يخفى وقيل ان جميع الاغذية
اما نباتية واما حيوانية ولا يتغذى الانسان الا باطيبها بعد الطبخ الكامل والنضج
التام ولا يحصل هذا لغير الانسان وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا واعلم ان الله تعالى قال
في اول الاية ولقد كرمنا بني ادم وفي اخرها وفضلناهم ولا بد من الفرق بين التكريم والتفضيل
والا لزم التكرار والاقرب ان يقال ان الله كرم الانسان على سائر الحيوان بامور خلقية ذاتية طبيعية
مثل العقل والنطق والخط وحسن الصورة ثم انه تعالى عرفه بواسطة ذلك العقل والفهم اكتساب
العقايد الصحيحة والاخلاق الفاضلة فالاول هو التكريم والثاني هو التفضيل ثم قال تعالى على كثير
ممن خلقنا تفضيلا ظاهر الاية يدل على انه فضل بني ادم على كثير من خلقه لا على الكل فقيل فضلوا على

جميع

على جميع الخلق الا على الملايكة وهذا مذهب المعتزلة وقال الكلبي فضلوا على الخلايق كلهم الا
على طايفة من الملايكة مثل جبريل وميكايل واسرافيل وعزرايل واشباههم وقيل فضلوا
على جميع الخلايق وعلى الملايكة كلهم فان قلت كيف تصنع بكثير قلت يوضع الاكثر موضع الكل
كقوله تعالى يلقون السمع واكثرهم كاذبون اراد كلهم وفي الحديث عن جابر يرفعه قال لما خلق الله
ادم وذريته قالت الملايكة يا رب خلقتهم ياكلون ويشربون وينكحون فاجعل لهم الدنيا ولنا الاخرة
فقال تعالى لا اجعل من خلقته بيدي ونفخت فيه من روحي كمن قلت له كن فكان وقيل بالتفضيل وهو
الاولى والراجح ان خواص بني ادم وهم الانبيا افضل من خواص الملايكة وعوام الملايكة افضل من
عوام بني ادم وهذا التفضيل انما هو بين الملايكة والمومنين من بني ادم لان الكفار لا حرمة لهم
قال الله تعالى ان الذين امنوا وعملوا الصالحات اوليك هم خير البرية وعن ابي هريرة رضي الله عنه
قال المومن اكرم على الله تعالى من الملايكة الذين عنده قوله عز وجل يوم ندعوا كل اناس بامامهم
اي بنبيهم وقيل بكتابهم الذي نزل عليهم وقيل بكتاب اعمالهم وعن ابن عباس بامام زمانهم الذي
دعاهم في الدنيا اما الى الهدى واما الى الضلالة وذلك ان كل قوم يجتمعون الى رئيسهم في الخير والشر
وقيل بمعبودهم وقيل بامهاتهم جمع ام يعني بامهاتهم والحكمة فيه رعاية حق عيسى واظهار شرف
الحسن والحسين وان لا يفتضح اولاد الزنا فمن اوتي كتابه بيمينه فاوليك يقرءون كتابهم فان قلت لم خص
اصحاب اليمين بقراءة كتابهم مع ان اصحاب الشمال يقرءونه ايضا قلت الفرق ان اصحاب الشمال اذا طالعوا
كتابهم وجدوه مشتملا على مهلكات عظيمة فيستولي عليهم الخجل والدهشة فلا يقدرون على
اقامة حروفه فتكون قراءتهم كلا قراءة واما اصحاب اليمين اذا طالعوا كتابهم وجدوه مشتملا على الحسنات
والطاعات فيقرءونه احسن قراءة وابينها ولا يظلمون فتيلا اي ولا ينقصون من ثواب اعمالهم ادنى شي ومن
كان في هذه اعمى المراد عمى القلب والبصيرة لا عمى البصر والمعنى ومن كان في هذه الدنيا اعمى اي عن هذه النعم
التي قد عددها في هذه الايات المتقدمة فهو في الاخرة التي لم تعاين ولم تر اعمى واضل سبيلا قال ابن عباس
وقيل معناه ومن كان في هذه الدنيا اعمى القلب عن رؤية قدرة الله واياته ورؤية الحق فهو في الاخرة اعمى
اي اشد عمى واضل سبيلا اي اخطا طريقا وقيل معناه ومن كان في الدنيا كافرا ضالا فهو في الاخرة اعمى
لانه في الدنيا تقبل توبته وفي الاخرة لا تقبل توبته قوله تعالى وان كادوا ليفتنونك عن الذي اوحينا اليك
قيل في سبب نزولها ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يستلم الحجر الاسود فمنعته قريش وقالوا لا ندعك حتى
تلم بالهتنا وتمسها فحدث نفسه ما علي ان افعل ذلك والله يعلم اني لها كاره بعد ان يدعوني استلم
الحجر وقيل طلبوا منه ان يذكر الهتهم حتى يسلموا ويتبعوه فحدث نفسه فانزل الله هذه الاية وقال
ابن عباس قدم وفد ثقيف على النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا نبايعك على ان تعطينا ثلاث خصال قال
وما هن قالوا لا نجبي في الصلاة اي لا ننحني ولا نكسر اصنامنا بايدينا وان تمتعنا باللات سنة من غير ان
نعبدها فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا خير في دين لا ركوع فيه ولا سجود واما ان لا تكسروا اصنامكم بايديكم

فذلك لكم واما الطاغية يعني اللات والعزى فاني غير ممتعكم بها قالوا يا رسول الله انا نحب
ان تسمع العرب انك اعطيتنا ما لم تعط غيرنا فان خشيت ان تقول العرب اعطيتهم ما لم تعطنا
فقل الله امرني بذلك فسكت النبي صلى الله عليه وسلم فطمع القوم في سكوته ان يعطيهم ذلك فانزل الله
وان كادوا اي هموا ليفتنونك ليصرفونك عن الذي اوحينا اليك لتفتري اي لتختلق وتتقول علينا
غيره اي ما لم نقله واذا اي لو فعلت ما دعوك اليه لاتخذوك خليلا اي والوك وصافوك ولولا ان
ثبتناك اي على الحق بعصمتنا اياك لقد كدت تركن اي تميل اليهم شيئا قليلا اي قربت من الفعل
فان قلت كان النبي صلى الله عليه وسلم معصوما فكيف يجوز ان يقرب ما طلبوه قلت كان ذلك
خاطر قلب ولم يكن عزما وقد عفا الله عن حديث النفس وكان النبي صلى الله عليه وسلم يقول
بعد ذلك اللهم لا تكلني الى نفسي طرفة عين والجواب الصحيح هو ان الله تعالى قال ولولا ان ثبتناك
وقد ثبته الله فلم يركن اليهم اذا لاذقناك ضعف الحياة وضعف الممات اي لو فعلت ذلك
لاذقناك ضعف عذاب الحياة وضعف عذاب الممات يعني اضعفنا لك العذاب في الدنيا والاخرة
ثم لا تجد لك علينا نصيرا اي ناصرا يمنعك من عذابنا قوله عز وجل وان كادوا ليستفزونك من
الارض اي ليخرجوك منها قيل هذه الاية مدنية وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم لما قدم المدينة
كره اليهود مقامه بالمدينة حسدا فاتوه فقالوا يا ابا القاسم لقد علمت ما هذه بارض الانبيا
وان ارض الانبيا الشام وهي الارض المقدسة وكان بها ابراهيم والانبيا عليهم السلام فان كنت نبيا
مثلهم فات الشام وانما يمنعك الخروج اليها مخافة الروم وان الله سيمنعك من الروم ان كنت
رسوله فعسكر النبي صلى الله عليه وسلم على ثلاثة اميال من المدينة وفي رواية الى ذي الحليفة حتى
تجتمع اليه اصحابه فيخرج فانزل الله هذه الاية والارض هاهنا ارض المدينة وقيل الارض ارض مكة
والاية مكية هم المشركون ان يخرجوه منها فكفهم الله عنه حتى امره بالخروج للهجرة فخرج بنفسه وهذا
اليق بالاية لان ما قبلها خبر عن اهل مكة والسورة مكية وقيل هم المشركون كلهم وارادوا ان يستفزوه
من ارض العرب باجتماعهم وتظاهرهم عليه فمنع الله رسوله ولم ينالوا منه ما املوا والاستفزاز
الازعاج واذا لا يلبثون خلافك الا قليلا اي لا يبقون بعد اخراجك الا زمانا قليلا حتى يهلكوا
قوله تعالى سنة من قد ارسلنا قبلك من رسلنا يعني ان كل قوم اخرجوا رسولهم من بين اظهرهم
فسنة الله ان يهلكهم ولا يعذبهم ما دام نبيهم بينهم فاذا خرج من بين اظهرهم عذبهم ولا تجد
لسنتنا تحويلا اي تبديلا قوله عز وجل اقم الصلاة لدلوك الشمس روي عن ابن مسعود انه قال
الدلوك الغروب وهو قول النخعي ومقاتل والضحاك والسدي وقال ابن عباس وابن عمر وجابر هو
زوال الشمس وهو قول عطا وقتادة ومجاهد والحسن واكثر التابعين ومعنى اللفظ يجمعهما لان
اصل الدلوك الميل والشمس تميل اذا زالت واذا غربت والحمل على الزوال اولى القولين لكثرة القايلين به
واذا حملناه عليه كانت الاية جامعة لمواقيت الصلاة كلها فدلوك الشمس يتناول صلاة الظهر

والعصر

والعصر الى غسق الليل اي ظهور ظلمته وقال ابن عباس بدو الليل وهذا يتناول المغرب والعشا
وقران الفجر يعني صلاة الفجر سمى الصلاة قرانا لانها لا تجوز الا بقران ان قران الفجر كان مشهودا
اي يشهده ملايكة الليل وملايكة النهار خ عن ابي هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول تفضل صلاة الجمع صلاة احدكم وحده بخمس وعشرين جزا وتجتمع ملايكة الليل وملايكة
النهار في صلاة الفجر ثم قال ابو هريرة اقروا ان شيتم ان قران الفجر كان مشهودا قال الامام
فخر الدين الرازي في تفسيره هذا دليل قاطع قوي على ان التغليس افضل من التنوير لان الانسان اذا
شرع فيها من الصبح ففي ذلك الوقت الظلمة باقية فيكون ملايكة الليل حاضرين ثم اذا امتدت الصلاة
بسبب ترتيل القراة وتكثيرها زالت الظلمة وظهر الضو حضرت ملايكة النهار اما اذا ابتدا بهذه
الصلاة في وقت الاسفار فهناك لم يبق احد من ملايكة الليل فلا يحصل المعنى المذكور في الاية
فثبت ان قوله تعالى كان مشهودا دليل على ان الصلاة اول وقتها افضل قوله تعالى ومن الليل فتهجد به
اي قم بعد نومك والتهجد لا يكون الا بعد القيام من النوم والمراد من الاية قيام الليل للصلاة وكانت
صلاة الليل فريضة على النبي صلى الله عليه وسلم وعلى الامة في الابتدا لقوله تعالى يا ايها المزمل
قم الليل الا قليلا ثم نزل التخفيف فصار الوجوب منسوخا في حق الامة بالصلوات الخمس
وبقي قيام الليل على الاستحباب بدليل قوله فاقروا ما تيسر منه وبقي الوجوب ثابتا في حق
النبي صلى الله عليه وسلم بدليل قوله نافلة لك اي زيادة لك يريد فريضة زايدة على ساير الفرايض
التي فرضها الله عليك روي عن عايشة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ثلاث هن علي فريضة وهي
سنة لكم الوتر والسواك وقيام الليل وقيل ان الوجوب صار منسوخا في حقه كما في حق الامة
فصار قيام الليل نافلة لان الله تعالى قال نافلة لك ولم يقل عليك فان قلت ما معنى التخصيص
اذا كانت زيادة في حق المسلمين كما في حقه صلى الله عليه وسلم قلت فايدة التخصيص ان
النوافل كفارات لذنوب العباد والنبي صلى الله عليه وسلم قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما
تاخر فكانت له نافلة وزيادة في رفع الدرجات فصل في الاحاديث الواردة في قيام
الليل ق عن المغيرة بن شعبة قال قام رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى انتفخت قدماه فقيل له
اتتكلف هذا وقد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تاخر قال افلا اكون عبدا شكورا م عن زيد
بن خالد الجهني قال لارمقن صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم الليلة فتوسدت عتبته او فسطاطه
فقام فصلى ركعتين خفيفتين ثم صلى ركعتين طويلتين طويلتين طويلتين ثم صلى ركعتين دون
اللتين قبلهما ثم صلى ركعتين دون اللتين قبلهما ثم صلى ركعتين دون اللتين قبلهما ثم صلى ركعتين
دون اللتين قبلهما ثم اوتر فذلك ثلاث عشرة ركعة لفظ ابي داود ق عن ابي سلمة بن عبد الرحمن
انه سال عايشة كيف كانت صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم في رمضان قالت ما كان يزيد في
رمضان ولا في غيره على احدى عشرة ركعة يصلي اربعا فلا تسال عن حسنهن وطولهن ثم يصلي اربعا

فلا تسال عن حسنهن وطولهن ثم يصلي ثلاثا قالت عايشة فقلت يا رسول الله اتنام قبل ان توتر فقال يا عايشة ان عيني تنامان ولا ينام قلبي ق عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي فيما بين ان يفرغ من صلاة العشا الى الفجر احدى عشرة ركعة يسلم في كل ركعتين ويوتر بواحدة ويسجد سجدتين قدر ما يقرا احدكم خمسين اية قبل ان يرفع راسه فاذا سكت المؤذن من صلاة الفجر وتبين له الفجر قام فركع ركعتين خفيفتين ثم اضطجع على شقه الايمن حتى ياتيه المؤذن للاقامة م عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قام من الليل افتتح صلاته بركعتين خفيفتين عن عوف بن مالك الاشجعي قال قمت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقام فقرا سورة البقرة لا يمر باية رحمة الا وقف وسال ولا يمر باية عذاب الا وقف وتعوذ ثم ركع بقدر قيامه يقول في ركوعه سبحان ذي الجبروت والملكوت والكبريا والعظمة ثم سجد بقدر قيامه ثم قال في سجوده مثل ذلك ثم قام فقرا بال عمران ثم قرا سورة اخرجه ابو داود والنساي عن عايشة قالت قام رسول الله صلى الله عليه وسلم باية من القران ليلة اخرجه الترمذي ن عن الاسود قال سالت عايشة كيف كانت صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم من الليل قالت كان ينام اوله ويقوم اخره فيصلي ثم يرجع الى فراشه فاذا اذن المؤذن وثب فان كانت به حاجة اغتسل والا توضا وخرج عن انس قال ما كنا نشا ان نرى رسول الله صلى الله عليه وسلم في الليل مصليا الا رايناه ولا نشا ان نراه نايما الا رايناه اخرجه النساي زاد في رواية غيره قال وكان يصوم من الشهر حتى نقول لا يفطر منه شيا ويفطر حتى نقول لا يصوم منه شيا وقوله عز وجل عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا اجمع المفسرون على ان عسى من الله واجب وذلك لان لفظة عسى تفيد الاطماع ومن اطمع انسانا في شي ثم حرمه كان عارا والله اكرم من ان يطمع احدا ثم لا يعطيه ما اطمعه فيه والمقام المحمود هو مقام الشفاعة لانه يحمده فيه الاولون والاخرون ق عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لكل نبي دعوة مستجابة واني اختبات دعوتي شفاعة لامتي فهي نايلة منكم ان شا الله من مات لا يشرك بالله شيا م عن عبد الله بن عمرو بن العاص ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول ثم صلوا علي فمن صلى علي صلاة صلى الله عليه بها عشرا ثم سلوا الله لي الوسيلة فانها منزلة في الجنة لا ينبغي الا لعبد من عباد الله وارجوا ان اكون انا هو فمن سال لي الوسيلة حلت له الشفاعة خ عن جابر بن عبد الله ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قال حين يسمع الندا اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القايمة ات محمدا الوسيلة والفضيلة وابعثه مقاما محمودا الذي وعدته حلت له شفاعتي يوم القيامة ق عن انس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال يجمع الله الناس يوم القيمة فيهتمون لذلك وفي رواية فيلهمون لذلك فيقولون لو استشفعنا الى ربنا فيريحنا من مكاننا فياتون ادم فيقولون انت ادم ابو البشر خلقك الله بيده واسكنك جنته واسجد لك ملايكته وعلمك اسما كل شي فاشفع لنا عند ربك حتى يريحنا من مكاننا هذا فيقول لست هناكم ويذكر خطيته التي اصاب فيستحيي ربه منها ولكن ائتوا نوحا اول رسول بعثه الله الى اهل الارض فياتون

نوحا فيقول لست هناكم فيذكر خطيته التي اصاب فيستحيي ربه منها ولكن ائتوا ابراهيم الذي اتخذه الله خليلا فياتون ابراهيم فيقول لست هناكم ويذكر خطيته التي اصاب فيستحيي ربه منها ولكن ائتوا موسى الذي كلمه الله واعطاه التوراة قال فياتون موسى فيقول لست هناكم ويذكر خطيته التي اصاب فيستحيي ربه منها ولكن ائتوا عيسى روح الله وكلمته فياتون عيسى روح الله وكلمته فيقول لست هناكم ولكن ائتوا محمدا عبدا قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تاخر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فياتوني فاستاذن على ربي فيوذن لي فاذا رايته وقعت ساجدا فيدعني ما شا الله فيقال يا محمد ارفع راسك قل يسمع سل تعطه اشفع تشفع قال فارفع راسي فاحمد ربي بتحميد يعلمنيه ربي ثم اشفع فيحد لي حدا فاخرجهم من النار وادخلهم الجنة ثم اعود فاقع ساجدا فيدعني ما شا الله ان يدعني ثم يقال لي ارفع يا محمد قل يسمع سل تعطه اشفع تشفع فارفع راسي فاحمد ربي بتحميد يعلمنيه ثم اشفع فيحد لي حدا فاخرجهم من النار وادخلهم الجنة قال فلا ادري في الثالثة او في الرابعة فاقول يا رب ما بقي في النار الا من حبسه القران اي وجب عليه الخلود وفي رواية للبخاري ثم تلا هذه الاية عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا قال وهذا المقام المحمود الذي وعده نبيكم صلى الله عليه وسلم زاد في رواية فقال النبي صلى الله عليه وسلم يخرج من النار من قال لا اله الا الله وكان في قلبه من الخير ما يزن شعيرة ثم يخرج من النار من قال لا اله الا الله وكان في قلبه من الخير ما يزن برة قال يزيد بن زريع في حديث شعبة ذرة وفي رواية من ايمان مكان خير وفي حديث معبد بن هلال العنزي عن انس في حديث الشفاعة وذكر نحوه وفيه فاقول يا رب امتي امتي فيقال انطلق فمن كان في قلبه ادنى ادنى ادنى مثقال حبة من خردل من ايمان فاخرجه من النار فانطلق فافعل قال فلما خرجنا من عند انس مررنا بالحسن فسلمنا عليه فحدثناه بالحديث الى هذا الموضع فقال هيه فقلنا لم يزدنا على هذا فقال لقد حدثني وهو جميع منذ عشرين سنة كما حدثكم ثم قال ثم اعود في الرابعة فاحمده بتلك المحامد ثم اخر له ساجدا فيقال يا محمد ارفع راسك وقل يسمع لك وسل تعطه واشفع تشفع فاقول يا رب ايذن لي فيمن قال لا اله الا الله قال ليس ذلك لك او قال ليس ذلك اليك ولكن وعزتي وكبريايي وعظمتي لاخرجن منها من قال لا اله الا الله قوله وهو جميع اي مجتمع الذهن والراي عن ابي سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا سيد ولد ادم يوم القيمة ولا فخر وبيدي لوا الحمد ولا فخر وما من نبي يوميذ ادم فمن سواه الا تحت لواي وانا اول من تنشق عنه الارض ولا فخر قال فيفزع الناس ثلاث فزعات فياتون ادم فيقولون انت ابونا فاشفع لنا الى ربك فيقول اني اذنبت ذنبا فاهبطت به الى الارض ولكن ائتوا نوحا فياتون نوحا فيقول اني دعوت على اهل الارض دعوة فاهلكوا ولكن اذهبوا الى ابراهيم فياتون ابراهيم فيقول اني كذبت ثلاث كذبات ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما منها كذبة الا ماحل بها عن دين الله

ولكن ائتوا موسى فيأتون موسى فيقول قد قتلت نفسا ولكن ائتوا عيسى فيأتون عيسى فيقول
اني عُبِدتُ من دون الله ولكن ائتوا محمدا فيأتوني فانطلق معهم قال ابن جدعان قال انس فكاني
انظر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فاخذت بحلقة باب الجنة فاقعقعها فيقال من هذا فيقال
محمد فيفتحون لي ويرحبون فيقولون مرحبا فاخر ساجدا فيلهمني الله من الثنا والحمد فيقال ارفع
راسك سل تعطه اشفع تشفع وقل يسمع لقولك وهو المقام المحمود الذي قال الله عسى ان
يبعثك ربك مقاما محمودا قال سفيان ليس عن انس غير هذه الكلمة فاخذ بحلقة باب الجنة
فاقعقعها اخرجه الترمذي قوله ماحل المماحلة المخاصمة والمجادلة والمعنى انه عليه السلام
خاصم وجادل عن ذريته بتلك الالفاظ التي صدرت عنه وقوله فاقعقعها اي احركها
حركة شديدة والقعقعة حكاية اصوات الترس وغيره مما له صوت عن انس قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم انا اول الناس خروجا اذا بعثوا وانا خطيبهم اذا وفدوا وانا مبشرهم
اذا ايسوا ولوا الحمد يومئذ بيدي وانا اكرم ولد ادم على ربي ولا فخر اخرجه الترمذي زاد في
رواية غير الترمذي وانا مستشفعهم اذا احبسوا الكرامة والمفاتيح يومئذ بيدي يطوف
على خدم كانهم بيض مكنون او لولو منثور م عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
انا سيد ولد ادم يوم القيمة واول من ينشق عنه القبر واول شافع واول مشفع زاد الترمذي
قال انا اول من تنشق عنه الارض فاكسى حلة من حلل الجنة ثم اقوم عن يمين العرش فليس احد من
الخلايق يقوم ذلك المقام غيري عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال ان الشمس تدنو يوم القيمة
حتى يبلغ العرق نصف الاذن فبينما هم كذلك استغاثوا بادم ثم بموسى ثم بمحمد فيشفع ليقضي
بين الخلق فيمشي حتى ياخذ بحلقة الباب فيومئذ يبعثه الله مقاما محمودا يحمده اهل الجمع كلهم م عن
يزيد بن صهيب الفقير قال كنت قد شغفني راي من راي الخوارج فخرجنا في عصابة ذوي عدد
نريد ان نحج ثم نخرج على الناس قال فمررنا على المدينة فاذا جابر بن عبد الله جالس الى سارية يحدث
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم واذا هو قد ذكر الجهنميين فقلت يا صاحب رسول الله ما هذا
الذي تحدثونا والله يقول انك من تدخل النار فقد اخزيته وكلما ارادوا ان يخرجوا منها اعيدوا
فيها فما هذا الذي تقولون قال اتقرؤ القران قلت نعم قال فاقرا ما قبله انه في الكفار ثم قال فهل
سمعت بمقام محمد الذي يبعثه فيه قلت نعم قال فانه مقام محمد صلى الله عليه وسلم المحمود الذي يخرج
الله به من يخرج من النار قال ثم نعت وضع الصراط ومر الناس عليه قال واخاف ان لا اكون احفظ
ذاك قال غير انه قد زعم ان قوما يخرجون من النار بعد ان يكونوا فيها قال يعني فيخرجون كانهم عيدان
السماسم قال فيدخلون نهرا من انهار الجنة فيغتسلون فيه فيخرجون كانهم القراطيس فرجعنا
فقلنا ويحكم اترون هذا الشيخ يكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم فرجعنا فلا والله ما خرج
غير رجل واحد او كما قال والاحاديث في الشفاعة كثيرة واول من انكرها عمرو بن عبيد وهو مبتدع

بالاتفاق اهل السنة وروى ابو وايل عن ابن مسعود انه قال ان الله اتخذ ابراهيم خليلا وان صاحبكم
خليل الله واكرم الخلق عليه ثم قرا ان يبعثك ربك مقاما محمودا قال يقعده على العرش
وعن مجاهد مثله وعن عبد الله بن سلام قال يقعده على الكرسي قوله عز وجل وقل رب ادخلني مدخل
صدق واخرجني مخرج صدق المراد منهما الادخال والاخراج قال ابن عباس معناه ادخلني مدخل
صدق المدينة واخرجني مخرج صدق مكة نزلت حين امر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالهجرة وقيل
معناه اخرجني من مكة امنا من المشركين وادخلني مكة ظاهرا عليها بالفتح وقيل ادخلني في امرك
الذي ارسلتني به من النبوة مدخل صدق واخرجني من الدنيا وقد قمت بما وجب علي من حق النبوة
مخرج صدق وقيل ادخلني في طاعتك مدخل صدق واخرجني من المناهي مخرج صدق وقيل معناه
ادخلني حيثما ادخلتني بالصدق واخرجني بالصدق ولا تجعلني ممن يخرج بوجه ويدخل بوجه
فان ذا الوجهين لا يكون امينا عند الله واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا اي حجة بينة وقيل ملكا
قويا تنصرني به على من عاداني وعزا ظاهرا اقيم به دينك فوعده الله لينزعن ملك فارس والروم وغيرهما
ويجعله له واجابه دعاه وقال له والله يعصمك من الناس وقال ليظهره على الدين كله وقال وعد الله
الذين امنوا وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض الاية قوله تعالى وقل جاء الحق يعني الاسلام
والقران وزهق الباطل اي الشرك والشيطان ان الباطل كان زهوقا اي مضمحلا غير ثابت وذلك ان
الباطل وان كان له دولة وصولة في وقت من الاوقات فهو سريع الذهاب والزوال ق عن عبد الله
ابن مسعود قال دخل النبي صلى الله عليه وسلم مكة يوم الفتح وحول البيت ثلثمائة وستون نصبا
فجعل يطعنها بعود في يده ويقول جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا جاء الحق وما
يبدي الباطل وما يعيد قوله عز وجل وننزل من القران ما هو شفاء ورحمة للمومنين من في قوله
من القران لبيان الجنس والمعنى ننزل من هذا الجنس الذي هو قران ما هو شفاء اي بيان من الضلالة والجهالة
يتبين به المختلف ويتضح به المشكل ويستشفى به من الشبهة ويهتدى به من الحيرة وهو شفاء القلوب
بزوال الجهل عنها وقيل هو شفاء للامراض الباطنة والظاهرة وذلك لانها تنقسم الى نوعين احدهما
الاعتقادات الباطلة والثاني الاخلاق المذمومة اما الاعتقاد فاشده فسادا الاعتقادات
الفاسدة في الذات والصفات والنبوات والقضا والقدر والبعث بعد الموت فالقران كله مشتمل
على دلايل المذهب الحق في هذه الاشيا وابطال المذاهب الفاسدة لا جرم كان القران شفاء لما
في القلوب من هذا النوع واما النوع الثاني وهو الاخلاق المذمومة فالقران مشتمل على التنفير
منها والارشاد الى الاخلاق المحمودة والاعمال الفاضلة فثبت ان القران شفاء من جميع الامراض
الباطنة واما كونه شفاء من الامراض الجسمانية فلان التبرك بقراءته يدفع كثيرا من الامراض
يدل عليه ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم في فاتحة الكتاب وما يدريك انها رقية ورحمة للمومنين
لما كان القران شفاء للامراض الباطنة والظاهرة فهو جدير بان يكون رحمة للمومنين ولا يزيد

الظالمين الا خسارا لان الظالم لا ينتفع به والمومن ينتفع به فكان رحمة للمومنين وخسارا
للظالمين وقيل لان كل اية تنزل يتجدد لهم تكذيب بها فيزداد خسارهم قال قتادة لم
يجالس القران احدا الا قام عنه بزيادة او نقصان قضى الله الذي قضى شفا ورحمة للمومنين
ولا يزيد الظالمين الا خسارا قوله تعالى واذا انعمنا على الانسان اي بالصحة والسعة اعرض
اي عن ذكرنا ودعاينا ونا بجانبه اي تباعد منا بنفسه وترك التقرب الينا بالدعا وقيل معناه
تكبر وتعظم واذا مسه الشر اي الشدة والضر كان يوسا اي ايسا قنوطا وقيل معناه انه
يتضرع ويدعو عند الضر والشدة فاذا تاخرت الاجابة ييس فلا ينبغي للمومن ان يدع الدعا
ولو تاخرت الاجابة قوله عز وجل قل كل اي كل احد يعمل على شاكلته قال ابن عباس على ناحيته
وقيل الشاكلة الطريقة اي يعمل على طريقته التي جبل عليها وفيه وجه اخر وهو ان كل
انسان يعمل على حسب جوهر نفسه فان كانت نفسه شريفة طاهرة صدرت عنه افعال جميلة
واخلاق زكية طاهرة وان كانت نفسه كدرة خبيثة صدرت عنه افعال خسيسة فاسدة
ردية فربكم اعلم بمن هو اهدى سبيلا اي اوضح طريقا واحسن مذهبا واتباعا للحق قوله تعالى
ويسالونك عن الروح قل الروح من امر ربي عن عبد الله بن مسعود قال بينما انا امشي
مع رسول الله النبي صلى الله عليه وسلم وهو يتوكا على عسيب معه فمر بنفر من اليهود فقال بعضهم
لبعض سلوه عن الروح وقال بعضهم لا تسالوه لا يسمعكم ما تكرهون فقاموا اليه وفي رواية فقام
اليه رجل منهم فقال يا ابا القاسم ما الروح فسكت وفي رواية فقالوا حدثنا عن الروح فقام
ساعة ينظر فعرفت انه يوحى اليه فتاخرت حتى صعد الوحي قال ويسالونك عن الروح قل الروح
من امر ربي وما اوتيتم من العلم الا قليلا فقال بعضهم لبعض قد قلنا لكم لا تسالوه وفي رواية
وما اوتوا من العلم الا قليلا قال الاعمش هكذا في قراتنا العسيب جريد النخل وسعفه وقال
ابن عباس ان قريشا اجتمعوا وقالوا ان محمدا نشا فينا بالامانة والصدق وما اتهمناه بكذب
وقد ادعى ما ادعى فابعثوا نفرا الى اليهود بالمدينة واسالوهم عنه فانهم اهل كتاب فبعثوا
جماعة اليهم فقالت اليهود سلوه عن ثلاثة اشيا فان اجاب عن كلها او لم يجب عن شي منها
فليس بنبي وان اجاب عن اثنين ولم يجب عن واحدة فهو نبي فسلوه عن فتية فقدوا في الزمن
الاول ما كان امرهم فانه كان لهم حديث عجيب وعن رجل بلغ مشرق الارض ومغربها ما خبره
وعن الروح فسالوا النبي صلى الله عليه وسلم فقال اخبركم بما سالتم غدا ولم يقل ان شا الله فلبث
الوحي قال مجاهد اثني عشر وقيل خمسة عشر يوما وقيل اربعين يوما واهل مكة يقولون وعدنا
محمد غدا وقد اصبحنا لا يخبرنا بشي حتى حزن رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكث الوحي وشق عليه
ما يقوله اهل مكة ثم نزل جبريل عليه السلام بقوله تعالى ولا تقولن لشي اني فاعل ذلك غدا الا ان يشا
الله ونزل في الفتية ام حسبت ان اصحاب الكهف والرقيم كانوا من اياتنا عجبا ونزل فيمن بلغ الشرق والغرب

ويسالونك

٢٩٦

ويسالونك عن ذي القرنين ونزل في الروح ويسالونك عن الروح قل الروح من امر ربي واختلفوا
في الذي وقع السوال عنه فروي عن ابن عباس انه جبريل وعن علي انه ملك له سبعون الف وجه في كل
وجه سبعون لسانا يسبح الله تعالى بكلها وقال مجاهد خلق على صورة بني ادم لهم ايدي وارجل
وروس ليسوا بملايكة ولا ناس ياكلون الطعام وقال سعيد بن جبير لم يخلق الله خلقا اعظم من الروح
غير العرش لو شا ان يبتلع السموات والارض ومن فيها بلقمة واحدة لفعل صورة خلقه على صورة
الملايكة وصورة وجهه على صورة الادميين يقوم يوم الساعة على يمين العرش وهو اقرب الخلق
الى الله اليوم عند الحجب السبعين واقرب الخلق الى الله يوم القيامة وهو ممن يشفع لاهل التوحيد
ولولا ان بينه وبين الملايكة سترا من نور لاحترق اهل السموات من نوره وقيل الروح هو القران لان
الله سماه روحا ولان به حياة القلوب وقيل هو الروح المركب في الخلق الذي به يحيى الانسان وهو اصح
الاقوال وتكلم قوم في ماهية الروح فقال بعضهم هو الدم الا ترى ان الانسان اذا مات لا يفوت منه
الا الدم وقال قوم نفس الحيوان بدليل انه يموت باحتباس النفس وقال قوم هو عرض وقال قوم هو
جسم لطيف يحيى به الانسان وقيل الروح معنى اجتمع فيه النور والطيب والعلم والعلو والبقا الا
ترى انه اذا كان موجودا يكون الانسان موصوفا بجميع هذه الصفات واذا خرج منه ذهب الكل
واقاويل الحكما والصوفية في ماهية الروح كثيرة وليس هذا موضع استقصايها واولى
الاقاويل ان يوكل علمها الى الله عز وجل وهو قول اهل السنة قال عبد الله بن بريدة ان الله لم
يطلع على الروح ملكا مقربا ولا نبيا مرسلا بدليل قوله قل الروح من امر ربي الذي استاثر به وما اوتيتم
من العلم اي من علم ربي الا قليلا اي في جنب علم الله عز وجل الخطاب عام وقيل هو خطاب لليهود
فانهم كانوا يقولون اوتينا التوراة وفيها العلم الكثير فقيل لهم ان علم التوراة قليل في جنب
علم الله وقيل ان القلة والكثرة تدور ان مع الاضافة فوصف الشي بالقلة مضافا الى ما فوقه وبالكثرة
مضافا الى ما تحته وقيل ان النبي صلى الله عليه وسلم علم معنى الروح ولكن لم يخبر به لان ترك الاخبار
به كان علما للنبوة والقول الاصح هو ان الله عز وجل استاثر بعلم الروح قوله عز وجل ولين شينا لنذهبن
بالذي اوحينا اليك معناه انا كما منعنا علم الروح عنك وعن غيرك ان شينا ذهبنا بالقران ومحوناه
من الصدور والمصاحف فلم نترك له اثرا وبقيت كما كنت ما تدري ما الكتاب ثم لا تجد لك به علينا
وكيلا معناه لا تجد بعد الذهاب به من يتوكل علينا باسترداده عليك واعادته محفوظا مسطورا
الا رحمة من ربك معناه الا ان يرحمك ربك فيرده عليك وقيل هو على الاستثنا المنقطع معناه
لكن رحمة من ربك تركته غير مذهوب به وهذا امتنان من الله تعالى ببقا القران محفوظا فان قلت
كيف يذهب بالقران وهو كلام الله عز وجل قلت المراد منه محوه من المصاحف واذهابه من
الصدور وقال عبد الله بن مسعود اقروا القران قبل ان يرفع فانه لا تقوم الساعة حتى يرفع هذه
المصاحف ترفع فكيف بما في صدور الناس قال يسرى عليه ليلا فيرفع ما في صدورهم فيصبحون

لا يحفظون شيئا ولا يجدون في المصاحف شيئا ثم يفيضون في الشعر وعن عبد الله بن عمرو بن العاص
قال لا تقوم الساعة حتى يرفع القرآن من حيث نزل له دوي حول العرش كدوي النحل فيقول الرب ما لك
فيقول يا رب اتلى ولا يعمل بي اتلى ولا يعمل بي ان فضله كان عليك كبيرا اي بسبب بقاء العلم والقرآن عليك
وجعلك سيد ولد آدم وختم بك النبيين واعطاك المقام المحمود قوله قل لئن اجتمعت الانس والجن على
ان ياتوا بمثل هذا القرآن لا ياتون بمثله اي لا يقدرون على ذلك ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا اي اعوانا
نزلت حين قال المشركون لو نشاء لقلنا مثل هذا فكذبهم الله عز وجل فالقرآن معجز في النظم والتاليف
والاخبار عن الغيوب وهو كلام في اعلى طبقات البلاغة لا يشبه كلام الخلق لانه كلام الخالق وهو
غير مخلوق ولو كان مخلوقا لاتوا بمثله قوله عز وجل ولقد صرفنا للناس في هذا القرآن من كل مثل اي
رددنا وكررنا من كل معنى هو كالمثل في غرابته وحسنه وقيل معناه من كل وجه من العبر والاحكام
والوعد والوعيد والقصص وغيرها فابى اكثر الناس الا كفورا اي جحودا قوله تعالى وقالوا لن نؤمن لك
اي لن نصدقك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا لما تبين اعجاز القرآن وانضمت اليه معجزات اخر وبينات
ولزمتهم الحجة وغلبوا اخذوا يتعللون باقتراح الايات فقالوا لن نؤمن لك روى عكرمة عن ابن عباس
ان عتبة وشيبة ابني ربيعة وابا سفيان بن حرب والنضر بن الحارث وابا البختري بن هشام والاسود
ابن عبد المطلب وزمعة بن الاسود والوليد بن المغيرة وابا جهل بن هشام وعبد الله بن ابي امية
وامية بن خلف والعاص بن وائل ونبيها ومنبها ابني الحجاج اجتمعوا بعد غروب الشمس عند ظهر الكعبة
فقال بعضهم لبعض ابعثوا الى محمد فكلموه وخاصموه حتى تعذروا فيه فبعثوا اليه ان اشراف قومك
قد اجتمعوا لك ليكلموك فجاءهم رسول الله صلى الله عليه وسلم سريعا وهو يظن انه بدا لهم في امره بدا وكان
حريصا يحب رشدهم حتى جلس اليهم فقالوا يا محمد انا بعثنا اليك لنعذر فيك وانا والله لا نعلم
رجلا من العرب ادخل على قومه ما ادخلت على قومك لقد شتمت الاباء وعبت الدين وسفهت الاحلام
وشتمت الالهة وفرقت الجماعة وما بقي من قبيح الا وقد جئته فيما بيننا وبينك فان كنت جئت بهذا
الحديث تطلب به مالا جعلنا لك من اموالنا حتى تكون اكثرنا مالا وان كنت تريد الشرف سودناك
علينا وان كنت تريد ملكا ملكناك علينا وان كان هذا الذي ياتيك رئيا تراه قد غلب عليك لا نستطيع
رده بذلنا لك اموالنا في طلب الطب حتى نبريك منه ونعذر فيك وكانوا يسمون التابع من الجن الرئي
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بي ما تقولون ما جئتكم بما جئتكم به لطلب اموالكم ولا للشرف
عليكم ولا للملك عليكم ولكن الله بعثني اليكم رسولا وانزل علي كتابا وامرني ان اكون لكم بشيرا
ونذيرا فبلغتكم رسالة ربي ونصحت لكم فان تقبلوا مني فهو حظكم من الدنيا والاخرة وان تردوه
علي اصبر لامر الله حتى يحكم الله بيني وبينكم فقالوا يا محمد فان كنت غير قابل منا ما عرضنا
عليك فقد علمت انه ليس احد اضيق بلادا ولا اشد عيشا منا فسل لنا ربك الذي بعثك فليسير
عنا هذه الجبال التي قد ضيقت علينا ويبسط لنا بلادنا ويفجر فيها الانهار كانهار الشام والعراق

وليبعث لنا من مضى من ابائنا وليكن منهم قصي بن كلاب فانه كان شيخا صدوقا فنسأله
عما تقول احق هو ام باطل فان صدقوك صدقناك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بهذا بعثت
فقد بلغتكم ما ارسلت به فان تقبلوه فهو حظكم وان تردوه اصبر لامر الله تعالى قالوا فان لم
تفعل هذا فسل لنا ربك ان يبعث ملكا يصدقك واسأله ان يجعل لك جنانا وقصورا وكنوزا
من ذهب وفضة يغنيك بها عما نراك فانك تقوم بالاسواق وتلتمس المعاش كما نلتمسه فقال
ما بعثت بهذا ولكن الله بعثني بشيرا ونذيرا قالوا فاسقط السماء كما زعمت ان ربك ان شاء فعل
فقال ذلك الى الله ان شاء فعل ذلك بكم وقال قايل منهم لن نؤمن لك حتى تاتينا بالله والملائكة قبيلا
فلما قالوا ذلك قام رسول الله صلى الله عليه وسلم وقام معه عبد الله بن ابي امية وهو ابن عمته عاتكة
بنت عبد المطلب فقال يا محمد عرض عليك قومك ما عرضوا فلم تقبله منهم ثم سالوك لانفسهم
امورا ليعرفوا بها منزلتك من الله فلم تفعل فوالله لا اومن لك ابدا حتى تتخذ الى السماء ترقى فيه
وانا انظر حتى تاتيها فتاتي بنسخة منشورة معك ونفر من الملائكة يشهدون لك بما تقول وايم الله
لو فعلت ذلك لظننت ان لا اصدقك فانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم الى اهله حزينا لما راى
من مباعدتهم فانزل الله وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض يعني ارض مكة ينبوعا اي عيونا
او تكون لك جنة من نخيل وعنب اي بستان فيه نخيل وعنب فتفجر الانهار خلالها تفجيرا اي تشقيقا
او تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا اي قطعا او تاتي بالله والملائكة قبيلا قال ابن عباس كفيلا اي
ما يكفلون بما تقول وقيل هو جمع القبيلة اي باصناف الملائكة قبيلة قبيلة يشهدون لك بصحة ما تقول
وقيل معناه نراهم مقابلة عيانا او يكون لك بيت من زخرف اي من ذهب واصله الزينة او ترقى اي تصعد
في السماء ولن نؤمن لرقيك اي لاجل رقيك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه اي امرنا فيه باتباعك وهذا قول
عبد الله بن ابي امية قل اي يا محمد سبحان ربي امره بتنزيهه وتمجيده وفيه معنى التعجب هل كنت الا
بشرا رسولا اي كسائر الرسل وانه كان الرسل لا ياتون قومهم الا بما يظهر الله عليهم من الايات فليس
امر الايات اليهم انما هو الى الله تعالى ولو اراد ان ينزل ما طلبوا لفعل ولكن لا ينزل الايات على ما يقترحه
البشر وما انا الا بشر وليس ما سالتم في طوق البشر واعلم ان الله تعالى قد اعطى النبي صلى الله عليه
وسلم من الايات والمعجزات ما يغني عن هذا كله مثل القرآن وانشقاق القمر ونبع الماء من بين اصابعه
وما اشبهها من الايات وليست بدون ما اقترحوه بل هي اعظم مما اقترحوه والقوم عامتهم كانوا
متعنتين ولم يكن قصدهم طلب الدليل ليؤمنوا فرد الله عليهم سؤالهم قوله عز وجل وما منع الناس
ان يؤمنوا اذ جاءهم الهدى اي الوحي والمعنى وما منعهم الايمان بالقرآن وبنبوة محمد صلى الله عليه وسلم
الا شبهة تلجلجت في صدورهم وهي انكارهم ان يرسل الله البشر وهو قوله الا ان قالوا اي جهلا منهم
ابعث الله بشرا رسولا وذلك ان الكفار كانوا يقولون لن نؤمن لك لانك بشر وهلا بعث الله الينا ملكا
فاجابهم الله بقوله قل لو كان في الارض ملائكة يمشون مطمئنين اي مستوطنين مقيمين فيها لنزلنا عليهم

من السماء ملكا رسولا اى من جنسهم لان الجنس الى الجنس اميل قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم اى على انى
رسوله اليكم وانى قد بلغت ما ارسلت به اليكم وانكم كذبتم وعاندتم انه كان بعباده يعنى المنذرين
والمنذرين خبيرا بصيرا اى عالما باحوالهم فهو مجازيهم وفيه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم ووعيد
للكفار ومن يهد الله فهو المهتدى ومن يضلل فلن تجد لهم اولياء من دونه اى يهدونهم وفيه ايضا تسلية
للنبى صلى الله عليه وسلم ومعناه ان الذين حكم لهم بالايمان والهداية وجب ان يصيروا مومنين ومن يسبق
لهم حكم الله بالضلالة والجهل استحال ان ينقلبوا عن ذلك ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم
ق عن انس ان رجلا قال يا رسول الله قال الله الذين يحشرون على وجوههم الى جهنم ايحشر الكافر على وجهه
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اليس الذى امشاه الله على الرجلين فى الدنيا قادرا على ان يمشيه
على وجهه يوم القيامة قال قتادة حين بلغه بلى وعزة ربنا وعن ابى هريرة قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم يحشر الناس يوم القيامة ثلاثة اصناف صنفا مشاة وصنفا ركبانا وصنفا
على وجوههم قيل يا رسول الله وكيف يمشون على وجوههم قال ان الذى امشاهم على اقدامهم
قادر على ان يمشيهم على وجوههم اما انهم يتقون بوجوههم كل حدب وشوك اخرجه الترمذى
الحدب كل ما ارتفع من الارض عميا وبكما وصما اى لا يبصرون ولا ينطقون ولا يسمعون فان قلت
كيف وصفهم بانهم عمى وبكم وصم وقد قال تعالى ورأى المجرمون النار وقال دعوا هنالك ثبورا
وقال سمعوا لها تغيظا وزفيرا فاثبت لهم الروية والكلام والسمع قلت فيه اوجه احدها قال
ابن عباس معناه عميا لا يرون ما يسرهم بكما لا ينطقون بحجة صما لا يسمعون ما يسرهم الوجه الثانى
معناه يحشرون على ما وصفهم الله تعالى ثم تعاد اليهم هذه الاشيا الوجه الثالث هذا حين
يقال لهم اخسئوا فيها ولا تكلمون فيصيرون باجمعهم عميا وبكما وصما لا يرون ولا ينطقون ولا
يسمعون ماواهم جهنم كلما خبت اى سكن لهبها وقيل ضعفت وهدأت من غير ان يجد نقصان
فى ايلام الكفار لان الله تعالى قال لا يفتر عنهم وقيل معناه ارادت ان تخبو زدناهم سعيرا اى وقودا
وقيل المراد من خبت اى نضجت جلودهم واحترقت اعيدوا الى ما كانوا عليه وزيد فى سعير النار
لتحرقهم ذلك جزاؤهم بانهم كفروا باياتنا لما ذكر الوعيد المتقدم قال ذلك جزاؤهم بما كفروا
يعنى ذلك العذاب جزاؤهم بسبب كفرهم باياتنا وقالوا ائذا كنا عظاما ورفاتا ائنا لمبعوثون
خلقا جديدا اجابهم الله ورد عليهم بقوله اولم يروا ان الله الذى خلق السموات والارض اى فى عظمها
وشدتها قادر على ان يخلق مثلهم اى فى صغرهم وضعفهم وجعل لهم اجلا اى وقتا لعذابهم لا ريب
فيه اى لا شك فيه انه ياتيهم قيل الموت وقيل يوم القيامة فابى الظالمون الا كفورا اى جحودا او عنادا
قل لو انتم تملكون خزائن رحمة ربى اى خزائن نعمه ورزقه وقيل ان خزائن الله غير متناهية والمعنى
لو انكم ملكتم من النعم خزائن لا نهاية لها اذا لامسكتم اى لبخلتم وحبستم خشية الانفاق والفقر
والنفاد وهذا مبالغة عظيمة فى وصفهم بهذا الشىء وكان الانسان قتورا اى ممسكا بخيلا فان قلت

قد يوجد

قد يوجد فى جنس الانسان من هو جواد كريم فكيف وصفه بالبخل قلت الاصل فى الانسان
البخل لانه خلق محتاج والمحتاج لا بد وان يحب ما يدفع به عنه ضرر الحاجة ويمسكه لنفسه الا
انه قد يوجد لاسباب خارجة مثل ان يحب المدحة او رجا ثواب فثبت بهذا ان الاصل
فى الانسان البخل قوله تعالى ولقد اتينا موسى تسع ايات بينات اى دلالات واضحات قال
ابن عباس هى العصا واليد البيضا والعقدة التى كانت بلسانه فحلها وفلق البحر والطوفان والجراد
والقمل والضفادع والدم وقيل عوض فلق البحر واليد السنون ونقص من الثمرات وقيل الطمس
والبحر بدل السنين ونقص قيل كان الرجل منهم مع اهله فى الفراش وقد صارا حجرين والمراة قايمة
تخبز وقد صارت حجرا وروى ان عمر بن عبد العزيز سال محمد بن كعب القرظى عن الايات فذكر منها الطمس
فقال عمر هكذا يجب ان يكون الفقيه ثم قال يا غلام اخرج نحو الجراب فاخرجه فاذا فيه بيض مكسر
بنصفين وجوز مكسر وثوم وحمص وعدس كلها حجارة وقيل التسع ايات هى ايات الكتاب وهى احكام
يدل عليه ما روى عن صفوان بن عسال ان يهوديا قال لصاحبه تعالى حتى نسال هذا النبى فقال الاخر
لا تقل نبى فانه لو سمع صارت له اربعة اعين فاتياه فسالاه عن هذه الاية ولقد اتينا موسى تسع
ايات بينات فقال لا تشركوا بالله شيئا ولا تقتلوا النفس التى حرم الله الا بالحق ولا تزنوا ولا
تاكلوا الربا ولا تسحروا ولا تمشوا بالبرى الى سلطان ليقتله ولا تسرفوا ولا تقذفوا المحصنة ولا
تفروا من الزحف وعليكم خاصة اليهود ان لا تعدوا فى السبت فقبلا يده وقالا نشهد انك نبى قال فما
يمنعكم ان تتبعونى قالوا ان داود دعا ربه ان لا يزال فى ذريته نبى وانا نخاف ان اتبعناك ان تقتلنا اليهود
فسئل يا محمد بنى اسرائيل يجوز الخطاب معه والمراد غيره ويجوز ان يكون خاطبه وامره بالسوال ليتبين
كذبهم مع قومهم اذ جاءهم يعنى جا موسى الى فرعون بالرسالة من عند الله عز وجل فقال له فرعون انى
لاظنك يا موسى مسحورا قال ابن عباس مخدوعا وقيل مطبوبا اى مسحورا وقيل معناه ساحرا معطى
علم السحر فهذه العجايب التى تفعلها من سحرك قال موسى لقد علمت خطابا لفرعون قال ابن عباس علمه فرعون
ولكنه عاند ما انزل هولاء الا رب السموات والارض يعنى الايات التسع بصائر اى بينات يبصر بها
وانى لاظنك يا فرعون مثبورا قال ابن عباس ملعونا وقيل هالكا وقيل مصروفا عن الخير فاراد ان
يستفزهم من الارض معناه اراد فرعون ان يخرج موسى وبنى اسرائيل من ارض مصر فاغرقناه ومن معه
جميعا اى اغرقنا فرعون وجنوده ونجينا موسى وقومه وقلنا من بعده اى من بعد هلاك فرعون
لبنى اسرائيل اسكنوا الارض يعنى ارض مصر والشام فاذا جاء وعد الاخرة يعنى القيامة جئنا بكم لفيفا
اى جميعا الى الموقف للقيامة واللفيف الجمع الكثير اذا كانوا مختلطين من كل نوع فيهم المومن والكافر والبر
والفاجر وقيل المراد بوعد الاخرة نزول عيسى من السما قوله تعالى وبالحق انزلناه وبالحق نزل يعنى انا ما اردنا
انزال القران الا تقريره للحق ولما اردنا هذا المعنى فكذلك وقع وحصل وقيل معناه وما انزلنا
القران الا بالحق المقتضى لانزاله وما نزل الا ملتبسا بالحق لاشتماله على الهداية الى كل خير وما ارسلناك

الا مبشرا يعني بالجنة للمطيعين ونذيرا اي مخوفا بالنار للعاصين قوله عز وجل وقرانا فرقناه
اي فصلناه وبيناه وقيل فرقنا به بين الحق والباطل وقيل معناه نجوما لم ينزل مرة واحدة
يدل عليه قوله تعالى لتقراه على الناس على مكث اي على تودة وترسل في ثلاث وعشرين سنة ونزلناه
تنزيلا اي على حسب الحوادث قل امنوا به او لا تومنوا فيه وعيد وتهديد ان الذين اوتوا العلم من قبله
قيل هم مومنوا اهل الكتاب الذين كانوا يطلبون الدين قبل مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم
ثم اسلموا بعد مبعثه مثل زيد بن عمرو بن نفيل وسلمان الفارسي وابي ذر وغيرهم اذا يتلى عليهم
يعني القران يخرون للاذقان قال ابن عباس اراد به الوجوه سجدا اي يسقطون على الوجوه سجدا
ويقولون سبحان ربنا اي تعظيما لربنا لانجازه ما وعد في الكتب المنزلة من بعثة محمد صلى الله عليه وسلم
ان كان وعد ربنا لمفعولا اي كاينا واقعا ويخرون للاذقان يبكون ويزيدهم خشوعا اي خضوعا لربهم
وقيل يزيدهم القران لين قلب ورطوبة عين فالبكا مستحب عند قراة القران عن ابي هريرة قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يلج النار رجل بكى من خشية الله حتى يعود اللبن في الضرع ولا اجتمع
على عبد غبار في سبيل الله ودخان جهنم اخرجه الترمذي والنساي وزاد النساي في منخري
مسلم ابدا الولوج الدخول والمنخر الانف عن ابن عباس قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
عينان لا تمسهما النار عين بكت من خشية الله وعين باتت تحرس في سبيل الله اخرجه الترمذي
قوله عز وجل قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن قال ابن عباس سجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات ليلة
فجعل يقول في سجوده يا الله يا رحمن فقال ابو جهل ان محمدا ينهانا عن الهتنا وهو يدعو الهين
فانزل الله هذه الاية ومعناهما انهما اسمان لله تعالى فسموه بهذا الاسم وبهذا الاسم ايا ما
تدعوا ما صلة ومعناه اي هذين الاسمين سميتم او ذكرتم او من جميع اسمايه فله الاسما الحسنى
يعني اذا حسنت اسماوه كلها فهذان الاسمان منها ومعنى كونها حسنى انها مشتملة على معاني
التقديس والتعظيم والتمجيد ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها ق عن ابن عباس في قوله ولا تجهر
بصلاتك ولا تخافت بها قال نزلت ورسول الله صلى الله عليه وسلم مختفي بمكة وكان اذا صلى باصحابه
رفع صوته بالقران فاذا سمعه المشركون سبوا القران ومن انزله ومن جاء به فقال الله تبارك وتعالى
لنبيه صلى الله عليه وسلم ولا تجهر بصلاتك اي بقراتك فيسمع المشركون فيسبون القران ولا تخافت
عن اصحابك فلا تسمعهم وابتغ بين ذلك سبيلا زاد في رواية وابتغ بين ذلك سبيلا اسمعهم
ولا تجهر حتى ياخذوا عنك القران وقيل نزلت الاية في الدعا وهو قول عايشة والنخعي ومجاهد ومكحول
ق عن عايشة ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها قالت انزل ذلك في الدعا وقيل كان اعراب من بني
تميم اذا سلم رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اللهم ارزقنا مالا وولدا يجهرون بذلك فانزل الله
ولا تجهر بصلاتك اي لا ترفع صوتك بقراتك ولا دعايك ولا تخافت بها المخافتة خفض الصوت
والسكون وابتغ اي اطلب بين ذلك سبيلا اي طريقا وسطا بين الجهر والاخفا عن ابي قتادة ان النبي

صلى الله عليه وسلم قال لابي بكر مررت بك وانت تقرا وانت تخفض من صوتك فقال اني اسمعت من ناجيت
فقال ارفع قليلا وقال لعمر مررت بك وانت تقرا وانت ترفع من صوتك فقال اني اوقظ الوسنان واطرد
الشيطان فقال اخفض قليلا اخرجه الترمذي وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا امر الله نبيه صلى الله
عليه وسلم بان يحمده على وحدانيته وقيل معناه الحمد لله الذي عرفني انه لم يتخذ ولدا وقيل ان كل من له ولد
فهو يمسك جميع النعم لولده واذا لم يكن له ولد افاض من نعمه على عبيده وقيل ان الولد يقوم مقام
والده بعد انقضايه والله عز وجل يتعالى عن جميع النقايص فهو المستحق لجميع المحامد ولم يكن له شريك
في الملك والسبب في اعتبار هذه الصفة انه لو كان له شريك لم يكن مستحقا للحمد والشكر وكذلك قوله
ولم يكن له ولي من الذل ومعناه انه لم يذل فيحتاج الى ناصر يتعزز به وكبره تكبيرا اي وعظمه عن ان يكون له
ولد او شريك او ولي وقيل اذا كان منزها عن الولد والشريك والولي كان مستوجبا لجميع انواع المحامد
عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اول من يدعى الى الجنة يوم القيامة الذين يحمدون الله
في السرا والضرا عن عبد الله بن عمرو قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحمد لله راس الشكر ما شكر الله
عبد لا يحمده عن جابر بن عبد الله ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان افضل الدعا الحمد لله وافضل
الذكر لا اله الا الله اخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب عن سمرة بن جندب قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم احب الكلام الى الله اربع لا اله الا الله والله اكبر وسبحان الله والحمد لله لا يضرك
بايهن بدات اخرجه مسلم والله اعلم بمراده واسرار كتابه وهذا اخر تفسير الربع الثاني
من الخازن ووافق الفراغ من كتابته يوم الخميس المبارك لست وعشرين خلون
من شهر رمضان المعظم قدره الذي هو من شهور سنة ثمان
ومايه والف من الهجرة النبوية على صاحبها
افضل الصلاة واتم السلام وحسبنا
الله ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة
الا بالله العلي العظيم وصلى
الله على سيدنا محمد وعلى
اله وصحبه وسلم
تسليما كثيرا
والحمد لله
وحده
تم

Süleyma[...]anesi
Kısmı Beşir Ağa
Yeni
Eski 30